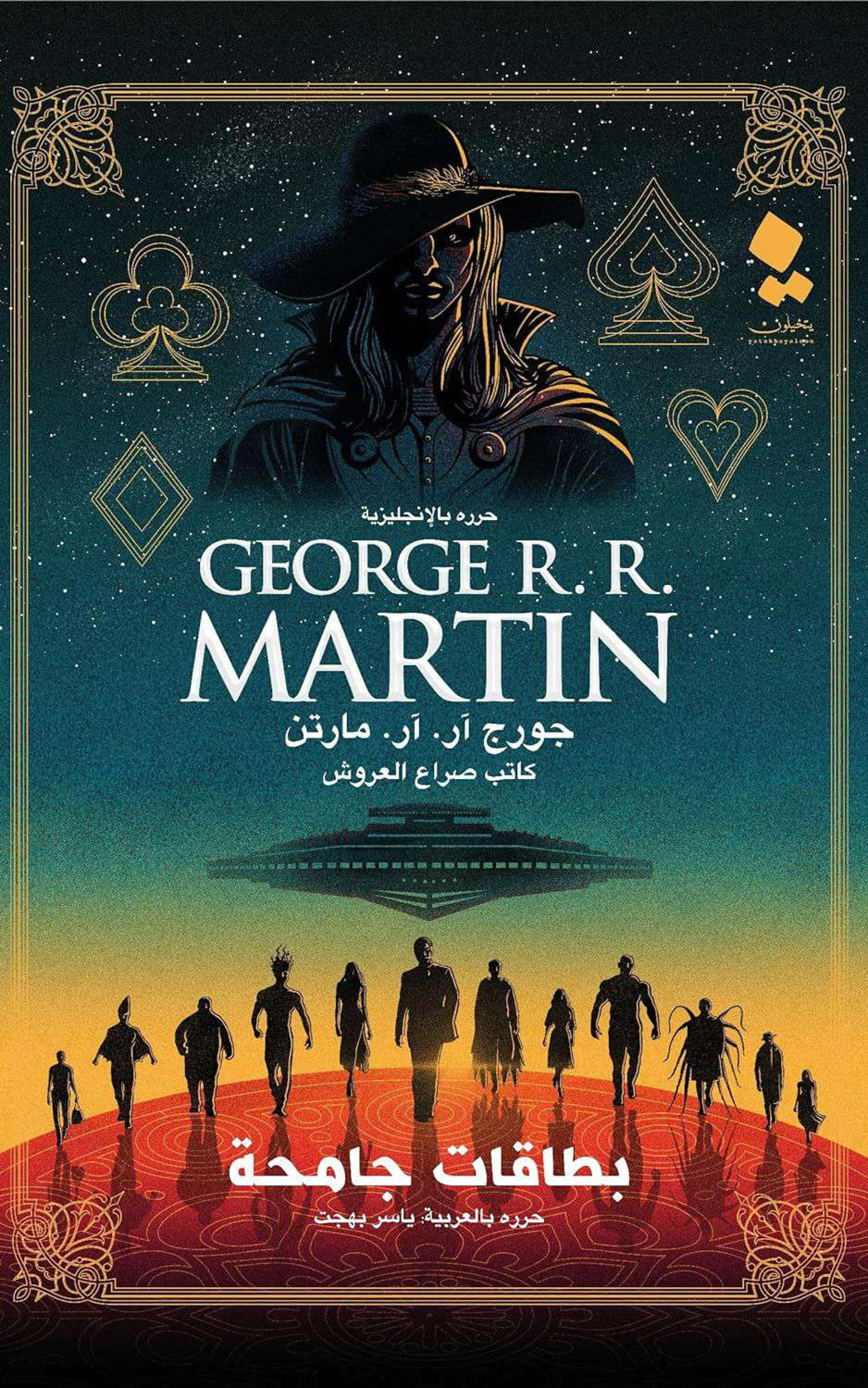

حرره بالإنجليزية

GEORGE R. R. MARTIN

جورج آر. آر. مارتن

كاتب صراع العروش

بطاقات جامحة

حرره بالعربية: ياسر بهجت

يتخيلون

لأجل كين كيلر، الذي ترعرع من

نفس الجذور رباعية الألوان مثلي

ملاحظة من المحررين

بطاقات جامحة هو عمل خيالي في عالم خيالي تمامًا يتشابه تاريخه بتاريخنا، الأسماء والشخصيات والأماكن وحتى الأحداث الموصوفة في «بطاقات جامحة»، جميعها خيالية أو استُخدِمَت في إطار خيالي. أي تشابه مع أحداث، أماكن، أشخاص حقيقيين، أحياء كانوا أو أموات، هو محض صدفة.

كمثال: الأبحاث والمقالات والكتابات المختلفة الأخرى المُضمَّنة في هذا العمل خيالية تمامًا، ولا نتعمد مشابهة كُتَّاب حقيقيين للإيحاء بأن هؤلاء الأشخاص قد كتبوا أو نشروا أو شاركوا تلك الأبحاث أو المقالات أو الكتابات المُضمَّنة في هذا العمل.

بطاقات جامحة ١

سلسلة بطاقات جامحة (باللغة العربية)

1. بطاقات جامحة
2. علية الآيائص
3. جموح الجواكر

حررها باللغة الإنجليزية:

جورج ر. ر. مارتن

حررها باللغة العربية:

ياسر بهجت

المقدمة

من العصور الجامحة: تاريخ شفهي عن أعوام ما بعد الحرب

بقلم ستدز تِركِل (بانثيون، ١٩٧٩)

هيربيرت إل. كرانستون

بعد عدة سنوات، حين رأيت مايكل ريني يخرج من ذلك الصحن الطائر في فيلم «اليوم الذي توقفت فيه الأرض» انحنيت نحو زوجتي وقلت: «هكذا يجب أن يبدو مبعوث من الفضاء». لطالما ظننت أن وصول تاكيون هو ما أعطاهم فكرة هذه الفيلم، ولكنكم تعلمون كيف تخلط هوليوود الأمور. لقد عشت تلك الأحداث؛ لذلك أعرف حقيقة الأمر. بداية نزل في وايت ساندز وليس في واشنطن. لم يكن معه روبوت، ولم نُطلِق عليه النار. نظرًا إلى ما حدث بعد ذلك، ربما كان علينا أن نفعل. هه؟

مركبته، في الحقيقة، لم تكن بالطبع صحنًا طائرًا، ولم تكن تشبه بأي طريقة صواريخ في-2 التي استحوذنا عليها، ولا حتى صواريخنا القمرية المرسومة على لوحة وارنر. لقد خالفت مركبته جميع قوانين الديناميكا الهوائية المعروفة وكذلك قوانين النسبية الخاصة التي طرحها أينشتاين.

نزل مساءً، غطت الأضواء سفينته، أجمل ما شاهدته بحياتي. هبطت في منتصف ساحة التدريب، دون صواريخ أو نفاثات أو مراوح أو أي آلية دفع ظاهرة. غشاؤها الخارجي بدا وكأنه المرجان أو نوع من الأحجار المسامية، غطتها النقوش اللولبية والمدببة، كشيء قد تجده في مغارة أحجار كلسية أو تلحظه في رحلة غوص بأعماق البحار.

كنت في أول جيب تصل إلى مركبته. حين وصلنا، كان تاك قد خرج منها. مايكل ريني، بدا في الفيلم دقيقًا ببدلته الفضائية ذات اللون الفضي المزرق، ولكن تاكيون بدا كمزيج بين الفرسان الثلاثة ومؤد من مؤدي السيرك. لا يضايقني أن أخبركم أننا جميعًا كنا خائفين ونحن نقود نحوه، علماء الصواريخ والمثقفين بقدر خوف المجندين. أذكر ما أذاعه مسرح ميركوري في ١٩٣٩، حين خدع أورسن ويلز الجميع وأقنعهم أن المريخيين قد غزوا نيوجيرسي، ولم أتمالك نفسي من التفكير بأنها الآن تتحول إلى حقيقة. ولكن بمجرد أن سُلِّطَت أضواؤنا الكاشفة عليه، وهو واقف هنالك أمام سفينته، ارتحنا جميعًا. فلم يكن مخيفًا.

كان قصيرًا، قرابة المتر والستين أو حولها، وبصراحة بدا أكثر خوفًا منا. كان يلبس بنطالًا أخضر ضيقًا وبدا حذاؤه وكأنه جزء من البنطال، وقميص برتقالي عليه دانتيل أنثوي

مكشكش على الرسغين والياقة، وصديري غريب ضيق جدًّا من الديباج الفضي. معطفه كان أصفر ليمونيًّا، وعليه حرملة خضراء تتطاير في الهواء من خلفه وملتفة حول كاحليه. وعلى رأسه كانت قبعة عريضة الحواف، برزت منها ريشة حمراء طويلة، إلا أنني حين اقتربت منه، تنبهت أنها ريشة مدببة غريبة. شعره غطى كتفيه؛ فاعتقدت في اللمحة الأولى أنه فتاة. فقد كان شعره عجيبًا غير مألوف، أحمر لامعًا بشكل مبالغ فيه، كأنه أسلاك من نحاس.

لم أفهم ما كان، ولكنني أذكر أن أحد الألمان قال إنه بدا وكأنه فرنسي.

وبمجرد وصولنا، بدأ بشق طريقه نحو الجيب، وبجراءة خاض في الرمال حاملًا حقيبة تحت أحد إبطيه. بدأ بإخبارنا باسمه، ولم يزل يخبرنا به أثناء وصول أربع سيارات جيب أخرى. تحدث بإنجليزية أفضل من معظم الألمان المتواجدين معنا، بالرغم من لُكنته العجيبة، كان من الصعب علينا التأكد في البداية حين أمضى عشر دقائق في سرد اسمه علينا.

كنت أول بشري يتحدث إليه. هذه والله هي الحقيقة، لا يهمني ما يقوله أحد لكم، فأنا أول من تحدث إليه. خرجت من الجيب ورفعت يدي قائلًا: «أهلًا بك في أمريكا». وبدأت بتقديم نفسي، ولكنه قاطعني قبل أن أنطق بكلمة أخرى.

«هيرب كرانستون من كيب ماي، نيوجيرسي». قال.

«عالِم صواريخ. عظيم. أنا أيضًا عالِم».

لم يبدُ كأي عالِم قابلته في حياتي، ولكنني تفهمت الاختلاف؛ إذ إنه قد جاءنا من الفضاء. وقد كنت أكثر قلقًا عن كيفية معرفته باسمي. فسألته.

لوح بكشكشاته في الهواء بعدم صبر واضح. «قرأت أفكارك. ليس هذا مهمًّا. كرانستون، وقتنا قصير. لقد تحطمت سفينتهم». ظننت أنه بدا متوعكًا قليلًا وهو يقول ذلك، حزين، أتفهمون قصدي؟ متألم، ولكنه كان خائفًا كذلك. ومُجهَدًا، مُجهَدًا جدًّا. ثم بدأ بالتحدث عن كرة. تلك الكرة التي تحمل فيروس البطاقة الجامحة. بالطبع، جميعنا يعلم هذا الآن، ولكن في حينها لم أفهم ما كان يثرثر فيه. إنها ضائعة، هذا ما قاله، عليه استعادتها، وتمنَّى لأجلنا جميعًا أن تكون ما زالت مُحكَمة. أراد التحدث إلى كبار قادتنا. لا بد أنه قرأ أسماءهم من عقلي؛ لأنه ذكر وارنر، وأينشتاين، والرئيس، إلا أنه سماه «رئيسكم ذلك المسمى بهاري ترومان». ثم تسلق إلى حوض الجيب الخلفي وجلس. «خذني إليهم، في الحال».

البروفيسور ليل كراوفورد كينت

أؤكد لكم أنني من أطلق اسمه عليه. فاسمه الحقيقي، بالطبع، اسمه الفضائي بكامل نسبه، كان طويلًا، وبشكل مستحيل حاول البعض منا اختصاره، على ما أذكر، باستخدام هذا الجزء أو ذاك منه خلال اجتماعاتنا، ولكن من الواضح أنه يُعد نوعًا من خرق الأدب على كوكبه، تاكِس. فطالما صحَّح لنا، وبعنجهية شديدة لأصدقكم القول، كمتحذلق عجوز يوبخ مجموعة من الصبية. نحتاج أن نناديه باسم ما. اللقب جاء أولًا. كان من الممكن أن نلقبه «جلالتكم» أو ما شابه، حيث إنه يدعي بأنه أمير، ولكن الأمريكان لا يتقبلون مثل هذه الألقاب، كما أنه قال إنه طبيب، ولو أنه ليس بالمعنى المفهوم لدينا. والحق يُقال، فقد تبين أنه يعلم الكثير عن علم الوراثة والكيمياء الحيوية، والتي يبدو أنها مجال تخصُّصه. معظم فريقنا كانوا من حمَلة الدرجات المتقدمة، وكنا نلقِّب بعضنا على ذلك الأساس؛ ولذلك فقد كان من الطبيعي أننا تورطنا بتلقيبه بالدكتور كذلك.

علماء الصواريخ كانوا مولعين بسفينة زائرنا، تحديدًا بما يخص نظرية نظام دفعها لتجاوز سرعة الضوء. للأسف، فإن ضيفنا التاكيّ قد أحرق محرك سفينته النجمي في عجلته للوصول إلى هنا قبل أقاربه أولئك، وبأية حال فقد كان مُصِرًّا على رفضه بالسماح لأي منا، عسكر كنا أو مدنيين، بفحص سفينته من الداخل. وارنر وألمانه اضطروا للتنازل وسؤال

الفضائي عن محركه. على حد فهمي فإن الفيزياء النظرية وتقنيات السفر بين النجوم لم تكن من المجالات التي يختص بها زائرنا، فكانت إجاباته لهم غير واضحة، ولكننا تمكّنّا من فهم أن محركه يستخدم هيثيرتو - جسيم غير معروف يتحرك بسرعة أعلى من سرعة الضوء.

كان للفضائي مصطلح لذلك الجسيم، لا يمكن نطقه كاسم صاحبنا تمامًا. في الحقيقة، كان لديّ بعض من الأسس في الإغريقية القديمة، كما هو حال جميع الرجال المثقفين، وولع بالتسميات. فكنت أنا من ابتكر اسم «تاكيون». ويبدو أن المجندين قد اختلط عليهم الأمر، وبدؤوا بالإشارة إلى زائرنا «ذلك الزميل تاكيون». وانتشرت تلك المقولة، ومن هناك كانت خطوة قصيرة للوصول إلى الدكتور تاكيون، الاسم الذي عرفه به العامة لدى الصحف.

العقيد إدوارد ريد، الجيش الأمريكي

الاستخبارات (متقاعد)

تريدون مني قولها أيس كذلك؟ كل صحفي ملعون تحدثت إليه يريدني أن أقولها. حسنًا، ها هي ذي. لقد أخطأنا. ودفعنا الثمن كذلك. هل تعلم أنهم بعد ذلك كانوا على قيد أنملة من محاكمتنا عسكريًا، كامل فرق التحقيق؟ تلك هي الحقيقة.

صلب الموضوع، أنني لا أعرف كيف يمكن أن يتوقع منا أن نفعل أي شيء بطريقة مختلفة عما قمنا به. كنت مسؤولًا عن التحقيق معه. فأنا أعي تمامًا ما حدث.

ماذا كنا نعرف عنه حقيقة؟ لا شيء سوى ما قاله لنا بنفسه. السذج كانوا يعاملونه كعيسى، ولكن على العسكريين أن يكونوا أكثر حرصًا. إذا أردت فهم الموقف، فعليك أن تضع نفسك في مكاننا وأن تتذكر كيف كان الأمر في ذاك الزمن. كانت قصته محض هراء، ولم يستطع إثبات أي جزء ملعون منها.

نعم، قد هبط في طائرته الصاروخية مضحكة الشكل، إلا أنه لم تكن لديه أية صواريخ. ذلك كان مثيرًا للإعجاب. ربما جاءت طائرته بالفعل من الفضاء، كما قال. ولكنها أيضًا قد لا تكون كذلك. ربما كانت أحد مشاريع النازية السرية، بقايا من الحرب. كانت لديهم نفاثات في آخر الحرب كما تعلم، وتلك الفي-2، لقد كانوا يعملون أيضًا على القنبلة النووية. ولربما كانت مركبته روسية. لا أعلم. لو أن تاكيون سمح لنا فقط بفحص سفينته، لتمكّن رجالنا من معرفة مصدرها، أنا على يقين من ذلك. ولكنه لم يسمح لأحد بدخول اللعينة؛ ما جعل قصته أكثر مدعاة للشك. ما الذي كان يحاول إخفاءه؟

قال إنه أتى من كوكب تاكِس. أنا لم أسمع بكوكب ملعون

باسم تاكِس. المريخ، الزهرة، المشتري، بكل تأكيد. حتى مونجو(1) وبرسوم(2) كذلك. ولكن تاكِس؟ لقد تواصلت مع دستة من علماء الفلك حول البلاد، حتى رجل في إنجلترا. أين كوكب تاكِس؟ سألتهم. لا وجود لكوكب تاكِس، هذا ما قالوه لي.

كان من المفترض أنه فضائي أليس كذلك؟ لقد فحصناه. فحص بدني كامل، أشعة سينية، وسيل من الاختبارات النفسية، كل ما تتصوره. وعادت النتائج بأنه إنسي. بأي طريقة ما نظرنا إليه، يتضح أنه إنسي. لا أعضاء زائدة، ولا دم أخضر، خمس أصابع في كل من اليدين والرجلين، خصيتان، وقضيب. الملعون لم يكن يختلف عني وعنك. لقد تحدث الإنجليزية بحق الجحيم. ولكن تخيل هذا، لقد تحدث الألمانية كذلك. والروسية، والفرنسية، وبضع لغات أخرى نسيتها. سجلت بعضًا من جلساتي معه، وأسمعتها للُغوي، وقال لي إن اللكنة كانت من أوروبا الوسطى.

أما مختصو الصحة العقلية، أوَّاه! لو أنك سمعت تقاريرهم. قالوا جنون ارتياب كلاسيكي. قالوا جنون عظمة. قالوا شيزو. قالوا كل أنواع الأمراض. أعني، فكِّر معي، هذا الرجل ادَّعى أنه أمير من الفضاء، ولديه قوى سحرية، وقد أتى هنا بمفرده لينقذ كوكبنا اللعين بأكمله. هل يبدو لك ذلك عاقلًا؟

دعني أُدلِ بدلوي فيما يخص تلك القوى السحرية. أعترف بأنها كانت أكثر ما أرقني. أعني، لم يكن تاكيون يستطيع أن يخبرك بما تفكر به فحسب، فقط كان يستطيع أن ينظر إليك بغرابة ويجعلك تتقافز على مكتبك وتُسقط بنطالك شئت أن تفعل أم أبيت. أمضيت ساعات معه كل يوم، وقد أقنعني. ولكن التقارير لم تُقنِع الرتب العليا في الشرق. لا بد أنها خدعة ما، هذا ما ظنوه. لا بد وأنه كان ينوِّمنا مغناطيسيًّا، كان يقرأ أجسادنا، يستخدم السيكولوجيا ليقنعنا بأنه يقرأ أفكارنا. كانوا سيرسلون لنا ساحرًا مسرحيًّا ليكتشف كيف كان يفعلها، ولكن المصيبة حلَّت قبل أن يفعلوا ذلك.

لم يطلب الكثير. كل ما أراده كان اجتماعًا بالرئيس ليحشد الجيش الأمريكي للبحث عن سفينة صاروخية. تحت قيادة تاكيون، بالطبع، فلم يكن أحد آخر مؤهلًا. أكبر علمائنا يمكن أن يكونوا معاونيه. كان يريد الرادار، غواصات، طائرات نفاثة، كلاب بحث، وآلات عجيبة لم يسمع بها أحد قط. كل ما يخطر على بالك، ذلك ما كان يريد. ولم يكن يرغب بالتشاور مع أحد إطلاقًا. إذا أردت الحقيقة، هذا الرجل كان يرتدي ملابس مصفِّف شعر شاذِّ الميول، ولكن طريقته بإلقاء الأوامر تجعلك تعتقد أنه كان يحمل ثلاث نجمات على الأقل.

وما سبب كل ذلك؟ آه، نعم، قصته، كانت بالتأكيد عظيمة.

على ذلك الكوكب تاكِس، على قوله، دستتان من العوائل الكبيرة التي تدير الأمر برُمَّته، كنوع من الأُسَر الملكية، إلا أنهم جميعًا يملكون قوى سحرية، وتكابروا بها على كل من سواهم مِمَّن لا يملكون تلك القوى. تلك العوائل أمضت جُلَّ وقتها في التناحر مثل هاتفيلد وماكوي(3). جماعته كانت تمتلك سلاحًا سريًّا عملوا عليه لقرنين. فيروس مصنَّع صُمِّم ليتفاعل مع التركيبة الوراثية للمصاب، على حد قوله. كان هو أحد أعضاء الفريق البحثي.

كنت أجاريه. ماذا يفعل هذا الجرثوم؟ سألته. تصور إجابته! يفعل كل شيء.

ما كان من المفترض أن يقوم به، بحسب تاكيون، هو زيادة قواهم تلك، وربما أيضًا إضافة قوى جديدة لهم، لتجعلهم آلهة، وهذا بكل تأكيد سيقلب الموازين لصالح عشيرته. ولكنها لم لتفعل ذلك دائمًا. فعلت أحيانًا. ولكن في الغالب قتلت المصابين. تحدَّث كثيرًا عن مدى فتك ذلك الشيء، وقد تمكن من إصابتي بالقشعريرة. ما الأعراض؟ سألته. فقد كنا نعلم بالأسلحة الجرثومية في ٤٦؛ في حال كان يقول الحقيقة، أردت أن نعرف ما نبحث عنه.

لم يستطع وصف أعراضها. فقد كانت تنتج عنها كل الأعراض. كل شخص له أعراضه المختلفة، كل شخص. هل

سمعت بجرثومة تعمل بهذه الطريقة؟ أنا لم أسمع بها.

بعد ذلك قال تاكيون إنها أحيانًا تحوِّل الناس إلى مسوخ عوضًا عن قتلهم. أي نوع من المسوخ؟ سألته. كل الأنواع، ردَّ عليّ. اعترفت بأن ذلك يبدو سيئًا جدًّا، وسألته لِمَ لَمْ تستخدمه جماعته على باقي العوائل؟ لأن الفيروس يعمل في بعض الحالات، أجابني. أعاد صنع ضحاياه، وأعطاهم قوى. أي نوع من القوى؟ جميع أنواع القوى بطبيعة الحال.

إذن فقد كان لديهم هذا الشيء. لم يرغبوا في استخدامه على أعدائهم، وربما أعطوهم قوى. لم يرغبوا في استخدامه على أنفسهم، ويقتلوا نصف العائلة. ولم يرغبوا في نسيان أمره. فقرَّروا تجربته علينا. لِمَ علينا؟ لأننا كنا متطابقين جينيًّا مع التاكيونيين، هذا ما قاله، الكائن الوحيد الذي يعرفونه، والمرض صُمِّم ليعمل على الجين التاكيوني. فما سبب حظنا هذا؟ بعض قومه ظنوا بأنه تطور متوازٍ، آخرون يرون أن الأرض هي مستعمرة تاكيونية – لم يكن يعلم ولم يكن يهتم.

لكنه كان مهتمًّا بالتجربة. اعتقد أنها «خسة». اعترض، على حد قوله، لكنهم تجاهلوه. غادرت سفينتهم باتجاهنا، فقرر تاكيون أن يوقفهم بمفرده. لحق بهم في سفينة أصغر، أحرق محركه التكيوني اللعين ليصل إلى هنا قبلهم. حين

اعترضهم، قالوا له أن يذهب إلى الجحيم، بالرغم من كونه من عائلتهم، وحدثت بينهم معركة فضائية من نوع ما. تعطلت سفينته، وشُلّت سفينتهم وسقطت. في مكان ما في الشرق، على حد قوله. فقدهم، بسبب أعطال سفينته. فهبط في وايت ساندز حيث اعتقد أنه سيجد المساعدة.

لقد دوّنت كامل القصة على مسجلي. بعد ذلك، قامت المخابرات الحربية بالتواصل مع جميع أنواع الخبراء: كيمياء حيوية، أطباء، حرب بيولوجية، كل ما يخطر ببالك. فيروس فضائي، هذا ما قلناه لهم، أعراض عشوائية تمامًا ولا يمكن التنبؤ بها. مستحيل، هذا ما قالوه. هراء محض. أعطاني أحدهم محاضرة كاملة عن كيف أن الجراثيم الأرضية لا يمكن أن تصيب المريخيين كما في كتاب إتش. جي. ويلز، وأن الجراثيم المريخية، كذلك، لا تستطيع أن تصيبنا. وقد أجمع الكل على أن جزئية الأعراض العشوائية كانت مثيرة للسخرية. فما الذي كان يفترض بنا أن نفعله؟ أطلقنا النكات على الإنفلونزا المريخية وحمى رجل الفضاء. أسماها أحدهم، لا أذكر مَن تحديدًا، بفيروس البطاقة الجامحة في أحد التقارير، واستخدم بقيتنا الاسم، ولكن لم يصدقه أحد ولو للحظة.

كان وضعا سيئًا، وتاكيون زاده سوءًا حينما حاول الهرب.

وكاد أن ينجح. أرسل البنتاجون أحد رجالهم للتحقيق معه، عقيد اسمه واين، أما تاكيون فقد فاض به الكيل أخيرًا، على ما أعتقد. فتحكم بالعقيد واين، وخرجا سوية من المبنى. كلما تعرض لهما أحد، ألقى واين أوامره بتركهم يعبرون، فالرتبة لها مميزاتها. القصة الرسمية هي أن واين كانت لديه أوامر بمرافقة تاكيون إلى واشنطن. استولوا على جيب ووصلوا إلى السفينة الفضائية، ولكن أحد الحراس كان قد أبلغني بما يحدث، فكان رجالي بانتظارهما، ومعهم أوامر مباشرة بتجاهل كل ما قد يقوله العقيد واين. أعدناه إلى الحجز وأبقيناه هناك، تحت حراسة مشددة. وبالرغم من كل قواه السحرية، فإنه لم يكن بيده ما يفعله بذلك الخصوص. كان باستطاعته إرغام شخص واحد على فعل ما يريد، ربما ثلاثة أو أربعة إذا حاول جاهدًا، ولكن ليس كلنا، وحينها كنا قد فطنا لحيله.

ربما كان تصرفًا أحمق، ولكن محاولة هروبه دبرت له لقاءً مع أينشتاين الذي أزعجنا به. البنتاجون أصروا على أنه أعظم منوِّم مغناطيسي في العالم، ولكنني لم أقتنع بذلك بعدها، ليتك سمعت ما يعتقده العقيد واين عن تلك النظرية. كذلك بدأ السذج بالقلق. على كل حال، معًا، أنا وواين تمكَّنَّا من الحصول على تصريح لنقل السجين إلى برينستون. توقعت أن لقاء مع أينشتاين لن يضر، وقد يأتي بفائدة ما.

تم حجز سفينته، وقد حصلنا على كل ما كنا سنحصل عليه من الرجل ذاته. فمن المفترض أن أينشتاين أعظم عقل على الكوكب، ربما تمكن هو من فك لغز هذا الرجل. أليس كذلك؟

ما يزال هناك من يقول إن الجيش هو الملوم على كل ما حدث، ولكن ذلك غير صحيح البتة. من السهل أن تكون حكيمًا بعد فوات الأوان، ولكنني كنت هناك، وسأتمسك لآخر يوم بحياتي بأن الخطوات التي اتخذناها كانت حصيفة وعقلانية.

ما يحرقني تمامًا هو تحدثهم عن إهمالنا في البحث عن كرة أبواغ البطاقات الجامحة اللعينة. ربما أخطأنا، نعم، ولكننا لم نكن حمقى، كنا نغطي مؤخراتنا. كل قاعدة عسكرية في البلاد أُمِرَت بأن تبحث عن سفينة فضاء متحطمة تشبه الصدفة مغطاة بالإضاءات. هل خطئي أنا أنهم لم يأخذوا الأمر بمحمل الجد؟

على الأقل أثنوا عليّ بشيء واحد. حين انفجرت أبواب الجحيم، أرسلت تاكيون على نفاثة إلى نيويورك خلال ساعتين. كنت في المقعد خلفه. ذو الشعر الأحمر الجبان بكى خلال رحلته عبر البلاد. أما أنا، فقد كنت أدعو للفتى النقّات.

♣ ♦ ♠ ♥

(1) مونجو هو كوكب خيالي من القصة المصورة فلاش جوردن.

(2) برسوم هو اسم المريخ في أحد روايات الخيال العلمي المشهورة في بدايات القرن العشرين.

(3) هاتفيلد وماكوي، عائلتان في أمريكا تناحرتا لعقود طويلة.

ثلاثون دقيقة فوق برودواي!

رحلة الفتى النفَّاث الأخيرة!

بقلم هوارد والدروب

ترجمة فاطمة مازح

لم تستطع طائرات قاعدة بونهام الجوية في شانتاك بولاية نيوجيرسي الإقلاع يومها. وبالكاد استطاع ضوء برج الملاحة الجوية الصغير إرسال بصيص نور بسيط ليبدِّد عتمة الضباب الكثيف.

كسر الصمت صوت العجلات على الأرض الرَّطبة أمام حظيرة الطائرات ٢٣. فُتح باب السيارة ثم أُغلق بعد لحظات. ثم سُمع صوت خطوات متوجِّهة نحو الباب المخصَّص للعاملين فقط. فُتح الباب بعدها. إنه سكوب سوانسون ومعه كاميرا «كوداك أوتوغراف مارك ٢» وحقيبة بها مصابيح وأفلام تصوير.

رفع لينكولن ترابنور رأسه من محرك طائرة بي – 40. كان يقوم بإصلاحها لشركة طيران اشترتها عبر مزاد علني مقابل 293 دولارًا. كان واضحًا من حالة المحرك أنها خدَمت مع فرقة النمور الطائرة عام 1940. أطفأ لينك المذياع الذي كان يُذاع عبره مباراة كرة قدم أمريكية.

«مرحبًا يا لينك». قال سكوب.

«مرحبًا».

«هل وصلك أي خبر؟»

«لا تتوقع أي خبر. أعلَمني بالبرقية التي أرسلها البارحة أنه سيصل الليلة. بالنسبة لي هذا أفضل من لا شيء».

جلس سكوب على مقعد العمل وأشعل سيجارة كاميل من علبة كبريت ثري تورتشيز، ثم نفث الدخان باتجاه لافتة ممنوع التدخين المعلَّقة في الجزء الخلفي من الحظيرة.

«ما هذا؟» سأل متوجهًا إلى آخر الحظيرة، حيث وجد علبتَي ملحقات جناح أحمر طويل كانتا ما تزالان مغلَّفتين، وخزَّانين خارجيين على شكل دمعة سعة ٣٠٠ غالون. «متى وصلت هذه؟»

«قام سلاح الجو بشحنها البارحة من سان فرانسيسكو. كما وصلت اليوم برقية أخرى. ربما يجدر بك قراءتها بما أنك مَن يكتب القصة». قال لينك ثم ناوله تعاليم وزارة الحرب.

إلى: الفتى النفَّاث (توملين، روبرت. لا اسم أوسط)

العنوان: قاعدة بونهام الجوية

الحظيرة ٢٣

نيوجيرسي، شانتاك

١. اعتبارًا من هذا التاريخ الواقع فيه 12 أغسطس 1946، وبتمام الساعة الثانية عشرة بتوقيت زولو، تم إعفاؤك من خدمتك الحالية في القوات الجوية لجيش الولايات المتحدة.

2. طائرتك (النموذجية - التجريبية) (الرقم التسلسلي JB 1 –) قد خرجت من الخدمة بموجب هذا القرار من القوات الجوية الأمريكية، وتم تعيينك كطيار خاص. لن يتم تقديم أي دعم عتادي آخر من القوات الجوية الأمريكية أو وزارة الحرب.

3. سيتم إرسال السجلات والإشادات والجوائز لاحقًا.

4. تظهر سجلاتنا أن توملين، روبرت (لا اسم أوسط) غير حائز على رخصة طيار. يرجى التواصل مع لواء الطيران القتالي للحصول على الدورات والشهادات.

5. عدم التحليق.

من

أرنولد، هنري هارلي

رئيس أركان القوات الجوية الأمريكية

المرجع: الأمر التنفيذي رقم ٢ في 08 ديسمبر 1941

«ماذا بخصوص عدم حيازته رخصة طيار؟» سأل الصحفي ثم أردف، «لقد راجعت أرشيفه بالكامل، وأرشيفه مليء عن بَكرة أبيه. وكأنه حلّق أكثر وأسرع من أي طيار آخر، وأسقط طائرات أكثر من أقرانه جميعًا. يوجد في سجل إنجازاته خمسمائة طائرة وخمسون بارجة. كل هذه الإنجازات دون رخصة طيار؟»

مسح لينك الزيت عن شاربه وأجاب: «نعم. لقد كان أكثر فتى مهووس بالطائرات رأيته على الإطلاق. لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره في عام ١٩٣٩ عندما سمع أن هناك وظيفة شاغرة هنا. هرب حينها من دار الأيتام عند الرابعة صباحًا وتوجّه للتقديم عليها. جاء مسؤولو الدار لإرجاعه، ولكن البروفيسور سيلفربيرغ وظّفه بالطبع، وسوّى الأمر معهم».

«هل كان سيلفربيرغ ذاك الذي اغتاله النازيون؟ ذاك الذي صنع الطائرة؟»

«بشحمه ولحمه. لقد كان سابقًا لعصره، ولكنه غريب. لقد ركّبت الطائرة له. جمعتها من الصفر أنا وبوبي بأيدينا. لكن

سيلفربيرغ صنع طائراته بأعتى محركاتٍ قد مرت عليَّ يومًا. كان النازيون والإيطاليون وقبائل الويتل في بريطانيا قد بدأوا تشغيل طائراتهم، لكن الألمان اكتشفوا أن شيئًا ما كان يحدث هنا».

«كيف تعلَّم الفتى قيادة الطائرات؟»

«لطالما كان يعلم برأيي. كان تارةً يساعدني في ثَني المعادن هنا وتارةً أخرى تجده والبروفيسور يحلِّقان بطائرة قديمة بسرعة ٤٠٠ ميل في الساعة في الظلام».

«كيف تمكَّنا من إخفاء الأمر؟»

«لم يتمكنا في الواقع. لقد تتبع الجواسيس سيلفربيرغ؛ أرادوا احتجازه والطائرة. لحسن الحظ كانت مع بوبي حينها. أعتقد أنه والبروفيسور كانا يشُكَّان بأن أمرًا ما سيحدث. قاوم سيلفربيرغ النازيين بشدة حتى قتلوه بالنهاية. وحصلت بعدها فضيحة دبلوماسية. كان على متن طائرة JB-1 يومها ستة أسلحة من عيار ٠,٣٠؛ لا أدري من أين عثر عليها البروفيسور. أفرغ الولد بعدها انتقامه بسيارة مليئةٍ بالجواسيس وزورق بخاري سريع في نهر هدسون على متنه شخصيات من السفارة تحمل تأشيرات دبلوماسية».

توقف لينك للحظة ثم أردف:

«لحظة ... نهاية ضربة رأس مزدوجة لصالح الفريق الأزرق». ثم رفع صوت مذياع الفيلكو الموضوع على رف العدة.

«... ساندرز لبابنفوس ثم لفولستاد ... إرسال مزدوج ... وانتهى! انخفض فريق ريد سوكس درجتين لصالح فريق كليفلاند. مستمعينا الأعزاء، سنعـ ...»

أطفأ لينك المذياع وقال: «ها قد طارت الخمس دولارات. على أية حال، ماذا كنت أقول؟

قتل الألمان الحقيرون سيلفربيرغ وانتقم له الفتى النفّاث. فرَّ بعدها إلى كندا أليس كذلك؟»

«انضم إلى سلاح الجو الملكي الكندي بشكل غير رسمي. شارك في معركة بريطانيا، وحارب اليابانيين في الصين مع فرقة النمور الطائرة، ثم عاد وشارك في الهجوم على ميناء بيرل هاربر».

«وهل كلّفه روزفلت بذلك؟»

«تقريبًا. هل تعلم ما المضحك في أمر مسيرته المهنية كلها؟ لقد شارك بالحرب كاملةً، منذ أواخر عام ١٩٣٩ حتى ١٩٤٥. ثم يشاء القدر أن يتوه في نهايتها في المحيط الهادئ ويختفي أثره، لنظن بعدها أنه قد مات. ويشاء القدر مرة أخرى أن يتم

إيجاده الشهر الماضي على جزيرة مهجورة. والآن هو في طريقه للمنزل».

تبع كلامه صوت صفير رفيع وعالٍ وكأن طائرة مروحية على وشك الهبوط. جاء الصوت من السماء الملبَّدة. أطفأ سكوب سيجارته الثالثة وسأل: «كيف سيتمكن من الهبوط في مثل هذا الطقس».

«لقد جهز نفسه برادار للاطّلاع على أحوال الطقس المختلفة. حصل عليه من مقاتل ألماني في عام ١٩٤٣. يمكنه الهبوط في سيرك في منتصف الليل».

توجَّه الرجلان نحو الباب واستقبلهما ضوءان يبدِّدان عتمة الضباب من طائرة تهبط. انخفضت الطائرة في آخر المدرج ثم استدارت وعادت على الطريق المخصص لها.

لمَع جسم الطائرة الأحمر تحت الأضواء الرمادية في مهبط الطائرات. واستدارت الطائرة عالية الجناح ذات المحرِّكين نحو الرجلين وقادت حتى توقفت.

وضع لينك ترااينور مجموعة من الأوتاد المزدوجة تحت كل من تروس عجلات الهبوط الخلفية الثلاثية، ارتفع نصف الفوهة الزجاجية للطائرة وانسحبت للخلف. كان للطائرة أربع فوهات مدافع عيار ٢٠ ملم في جذور الأجنحة بين

المحركات، ومنافذ إطلاق نار عيار ٧٥ ملم في أسفل وإلى يسار حافة قمرة القيادة.

كانت للطائرة دفَّة رفيعة عالية، وكانت الأدراج الخلفية على شكل ذيل سمك السلمون المرقَّط. كان تحت كل من الأدراج فُوَّهة رشاش خلفي. تميزت فقط بأربعة نجوم غير معيارية تابعة لسلاح الجو الأمريكي في شكل دائري أسود والرقم التسلسلي 1 – JB على الجناح الأيمن العلوي والسفلي الأيسر وتحت الدفة.

أما هوائي الرادار على الفوهة فكان يبدو كسيخ شوي.

خرج من قمرة القيادة فتى يرتدي بنطالًا أحمر وقميصًا أبيض وخوذة زرقاء ونظارة واقية، ثم نزل على السلالم اليسرى.

كان فتى قصيرًا ومكتنز البنية لم يتجاوز التاسعة عشرة أو العشرين من عمره. خلع خوذته ونظارته الواقية، وبان شعره البني الباهت المتجعِّد وعيناه العسليتان.

«لينك!»

رحب الفتى بالرجل البدين وضمَّه إلى صدره، وربت على ظهره لدقيقة كاملة. ألقى سكوب نظرة سريعة عليه.

«فات زمن منذ أن ناداني أحدهم بهذا الاسم. من الرائع سماعه مجددًا». قال لينك.

ثم أردف: «هذا سكوب سوانسون، سيعيد لك أمجادك السابقة».

«أفضِّل النوم». قال وهو يصافح يد الصحفي. «هل من مكان هنا يمكنني تناول البيض واللحم فيه؟»

♣ ♦ ♠ ♥

رسا المركب على الرصيف وسط الضباب. وفي المرفأ، كانت هناك سفينة قد انتهت من إفراغ حمولتها وتستعد للإبحار جنوبًا.

كان هناك ثلاثة رجال على المرسى: فريد وإد وفيلمور. نزل رجل من المركب حاملًا في يديه حقيبة. انحنى فيلمور لمستوى قائد الزورق البخاري وأعطاه ورقة مالية من فئة الخمسة وورقتين من فئة العشرين. ثم ساعد الرجل في حمل الحقيبة.

«عودًا حميدًا يا دكتور تود».

«من الرائع العودة يا فيلمور». كان تود يرتدي بدلة فضفاضة وفوقها معطف رغم أنه كان في شهر أغسطس.

وكان يرتدي قبعته منخفضة على وجهه، وانعكس عليه بريق المعدن من الأضواء الشاحبة من أحد المستودعات.

«هؤلاء فريد وإد، سيمكثان الليلة فقط». قال فيلمور.

«مرحبًا». قال كلا الرجلان.

مشى الرجال نحو السيارة. كانت سيارة «ميركوري» طراز ١٩٤٦ تشبه الغواصة. ركب الرجال السيارة بعد أن ألقى فريد وإد نظرة أخيرة على الممرات التي كساها الضباب. ركِب فريد مقعد السائق وإد بجانبه، وبحوزتهما بندقية مقطوعة معيار ١٠.

«لا أحد يتوقع قدومي أو يهتم حتى». قال الدكتور تود.

«جميع من يحمل ضغينةً ضدي إما مات أو أصبح محترَمًا خلال الحرب وجمَّع ثروةً كبيرة. أما أنا فمجرد رجل عجوز ومتعب. سأستقر في الريف وأُرَبي النحل وأقامر في سباق الأحصنة».

«ألا يوجد أي مخطَّط على جدول أعمالك يا زعيم؟»

«إطلاقًا».

أدار رأسه أثناء مرورهم على ضوء الشارع. كان نصف وجهه مشوهًا، وكأنه صار عبارة عن لوحة خالية تمتد من

الفك إلى الجبين طولًا، ومن المنخر إلى الأذن اليسرى عرضًا.

«لم يعُد باستطاعتي استخدام الأسلحة مثلًا، فلم أعد أملك ذات الإدراك للعمق».

«نعم أعرف، وصلني ما أصابك في عام ١٩٤٣». رد فيلمور.

«كنت أدير عملية مربحة إلى حدٍّ ما خارج مصر بينما كان الفيلق الأفريقي ينهار. كنت أُقِلُّ الأشخاص إلى الخارج أو أدخلهم في أسطول جوي محايد اسميًا مقابل مبلغ معين، كعمل جانبي. ثم توجهت مع ذلك الطيار المعروف».

«من؟»

«ذلك الفتى الذي كان يقود طائرة حربية قبل حصول الألمان عليها».

«لم أكن أتابع أخبار الحرب كثيرًا صراحةً يا زعيم. أفضِّل الاطلاع على رؤوس أقلام النزاعات الإقليمية».

«كان يجدر بي فعل المثل. كنا نغادر الحدود الجوية التونسية مع بعض الأشخاص المهمين. صرخ الطيار وتلا صراخه انفجار هائل. لم أعِي على نفسي إلا صباح اليوم التالي مع شخص واحد آخر في قارب نجاة في وسط البحر الأبيض المتوسط. كان وجهي يؤلِمُني. جلست وسقط مني

شيء ما في قاع القارب. كانت مقلة عيني اليسرى تحدق بي من يدي. علمت حينها حجم المصيبة التي أصابتني».

«هل قلت فتى يقود طائرة حربية؟» سأل إد.

«نعم. اكتشفنا لاحقًا أنهم اخترقوا شفرتنا، وأنه طار ستمائة ميل لاعتراض رحلتنا».

«هل تريد الانتقام؟» سأل فيلمور.

«لا. لقد مضى زمن على القصة حتى بِتُّ بالكاد أتذكر ذاك القسم من وجهي. ولكنني في المقابل تعلمت أن أكون حذِرًا أكثر. لقد ساعدتني الحادثة على تكوين شخصية جديدة».

«إذن لا مخططات؟»

«أبدًا».

«ربما هذا من الأفضل». رد فيلمور.

ثم شاهدَا أضواء المدينة تمر من زجاج النوافذ.

♣ ♦ ♠ ♥

طرق الباب. كان يشعر بعدم الارتياح ببذلته البنية ومعطفه غير المريحَيْن.

«تفضل الباب مفتوح». أجابه صوت امرأة. ابتعد الصوت

قليلًا وسمع: «سأوافيك بعد قليل».

فتح الفتى النقَّاث باب القاعة البلُّوطي ودخل إلى الغرفة متجاوزًا الجدار المصنوع من الطوب الزجاجي.

في منتصف الغرفة، وقفت امرأة جميلة في منتصف عملية ارتداء فستانها. كان فستانها ما يزال على ذراعيها ورأسها، وكان يغطي جسدها قميص تحتي بلا أكمام، وحمالة جوارب، وجوارب طويلة من الحرير. كانت تشد فستانها بإحدى يديها.

أشاح الفتى النقَّاث بوجهه وقد اعتراه الخجل والصدمة.

«أوه». قالت المرأة بدهشة، «أوه ... أنا ... من أنت؟»

«إنه أنا يا بليندا؛ روبرت».

«روبرت؟»

«بوبي ... بوبي توملين».

حدَّقت به لوهلة وقد غطت نفسها بيديها رغم أنها كانت تبدو محتشمة بالكامل.

«أوه، بوبي». قالت ثم ركضت وعانقته بشدة وقبلته.

كانت هذه أول قبلة يحصل عليها من ست سنوات.

«بوبي. لقد أسعدتني رؤيتك. أنا ... لقد كنت أنتظر شخصًا آخر. شخص ... صديقاتي. كيف عثرت عليَّ؟»

«حسنًا، لم يكن الأمر سهلًا».

ابتعدت عنه قائلة: «دعني أنظر إليك جيدًا».

نظر إليها بدوره. كانت في الرابعة عشرة من عمرها حين رآها آخر مرة؛ فتاة نحيفة بشعر أشقر باهت في دار الأيتام. كانت مسترجلة لدرجة أنها لكمته ذات مرة عندما كانت في الحادية عشرة من عمرها وكاد أن يفقد الوعي. وكانت تكبُره سنًّا بعام.

غادر بعدها لينضم لسلاح الجو ويحارب هتلر إلى جانب البريطانيين. كان يكتب لها كلما استطاع خلال الحرب بعد دخول أمريكا. ولكنها ذات يوم غادرت دار الأيتام إلى دار رعاية. علم ذلك في عام ٤٤، عندما تمت إعادة إحدى رسائله وكان عليها عبارة: «تم نقله - لا عنوان إعادة توجيه». ثم فقد كل شيء خلال العام الماضي.

«لقد تغيرتِ أيضًا».

«وأنت».

«آه ...»

«تابعت أخبار الصحف طوال فترة الحرب. حاولت أن أكتب مرارًا ولكني لا أعتقد أن أيًا منها قد وصلك. ثم علمت يومًا أنك في عداد المفقودين في البحر، وقد استسلمت نوعًا ما».

«كنت كذلك في الواقع، لكنهم وجدوني والآن قد عدت. ما أخباركِ؟»

«جيدة، في الواقع أفضل منذ هربت من دار الرعاية». قالت وقد بان الألم على وجهها. «لا تدري كم أنا سعيدة بنجاتي من ذاك الجحيم. يا إلهي يا بوبي، كم أتمنى لو أن الأمور جرت عكس ما حدث». قالت ذلك وقد ملأت الدموع عينيها.

سارع لتهدِئتها وقال: «مهلًا، اجلسي. لقد جلبت لكِ شيئًا».

«هدية؟»

«نعم». ناولها طردًا ورقيًا متسخًا وملطخًا بالزيت.

«لقد حملتها معي دائمًا في العامين الأخيرين من الحرب، حتى إنها كانت معي في الطائرة على تلك الجزيرة. أعتذر لكنني لم أجد وقتًا لتغليفها بشكل لائق».

مزقت ورق الكرافت الإنكليزي، ووجدت بداخله نسخًا من روايتي «المنزل في زاوية بو» و«قصة الأرنب السيئ الشرس»: «شكرًا جزيلًا».

تذكر حينها حالتها السابقة في ملابس دار الأيتام، متربة ومتعبة من لعبة البيسبول ومستلقية على أرضية غرفة القراءة تقرأ كتاب ويني ذا بو.

«أترين كتاب ويني ذا بو، لقد وقَّع عليه كريستوفر روبين الحقيقي. اكتشفت أنه ضابط في سلاح الجو الملكي في إحدى قاعدات بريطانيا. قال إنه عادة لا يقبل بهذا الأمر وأنه جندي عادي، ولكنني وعدته أن أبقي الأمر سرًّا بيننا. لقد بحثت كثيرًا حتى عثرت على نسخة، وكان يعرف ذلك. أما الكتاب الآخر فخلفه حكاية أخرى. كنت أعيد بعض طائرات B-17 المعطَّلة عند الغسق تقريبًا عندما نظرت للأعلى ورأيت مقاتلتين ليليتين ألمانيتين تقترِبان من الموقع، ربما بهدف القيام بدورية استطلاع للقبض على بعض أفراد طاقم اللانكستر قبل خروجهم من القناة. باختصار، أُسقِطت كلا المقاتلتين بالقرب من قرية صغيرة. للأسف كان الوقود قد نفد واضطررت للهبوط. رأيت مرعى أغنام على مرج منبسط مع بحيرة في نهايته البعيدة، فدخلته. عندما خرجت من قمرة القيادة، رأيت سيدة تحمل بندقية ومعها كلب راعي يقفان على حافة الحقل. اقتربَت بما يكفي لرؤية المحركات ثم قالت:

«إسقاط موفَّق! هل تريد الدخول لتناول العشاء

واستخدام الهاتف للاتصال بقيادة مقاتلة سلاح الجو الملكي البريطاني؟». كان بإمكاننا رؤية كلا مقاتلتي ME- 110s تحترقان بعيدًا.

«أنت الفتى النقَّاث الشهير، لقد غطينا مغامراتك في صحيفة ساوري. أنا السيدة هيليس». ومدت يدها لمصافحتي. صافحتها وسألتها:

هل أنتِ السيدة ويليام هيليس؟ هل هذا ساوري؟

نعم.

أنت بياتركس بوترا!

هذا ما يقولونه.

لو ترينها يا بليندا، امرأة عجوز بدينة ترتدي فستانًا عاديًا وسترة رثة، ولكنني أكاد أقسم أن بريطانيا بأكملها كانت تشع نورًا عندما تبتسم!»

فتحت بليندا الكتاب ووجدت على الورقة الأولى:

إهداء إلى صديقة الفتى النقَّاث الأمريكية ... بليندا

من السيدة ويليام هيليس

«بياتركس بوتر»

12 أبريل 1943

شرب الفتى النفَّاث القهوة التي حضرتها له بليندا.

«أين صديقاتكِ؟»

«حسنًا، كان من المفترض أن يصل، أعني تصِلْنَ. أفكر بالذهاب إلى الممر والاتصال بهن. يمكنني بعدها تغيير ملابسي وتبادل أطراف الحديث واسترجاع الذكريات».

«لا، لا داعٍ لذلك. سأتصل بكِ لاحقًا خلال الأسبوع لترتيب موعد ليلي ما. سيكون الأمر ممتعًا».

«بالطبع، لِمَ لا».

نهض عندها الفتى النفَّاث.

«شكرًا على الكتب يا بوبي. لقد كانت لفتةً مميزةً بالفعل».

«يسعدني رؤيتكِ من جديد يا بي».

«لم يدعُني أحد بهذا الاسم منذ أن كنت في دار الأيتام. اتصل بي في أقرب وقت ... رجاءً».

«بالتأكيد». ثم انحنى وقبَّلها مجددًا.

توجَّه نحو الدَّرَج. الْتقى أثناء نزوله برجل يرتدي بدلة زوت معدلة، بنطلون بحزام ومعطف طويل وساعة يد بسوار،

سلسلة وربطة عنق بحجم شماعة المعطف، وشعر مصفَّف للخلف. كان كمن استحم بمنتج تصفيف الشعر بريلكريم وكريم ما بعد الحلاقة أولد سبايس. من فرط حماسِه كان يتسلق الدَّرَج درَجتَيْن درَجتَيْن وهو يهمهم: «ليست الطريدة بل المطاردة».

سمعه الفتى النقَّاث يطرق باب بليندا، وكان المطر بدأ بالانهمار خارجًا.

تمتم لنفسه: «رائع، وكأنني في مشهد سينمائي».

♣ ♦ ♠ ♥

سيطر صمت مَقيت على الليلة التالية.

وكأن جميع الكلاب في باين بارنز اتفقت ليلتها على العواء سوية. صرخت القطط وأخلت العصافير آلاف الأشجار بخوف.

سيطرت الكهرباء الساكنة على جميع أجهزة الراديو في شمال شرق الولايات المتحدة. اشتعلت النيران بأجهزة التلفزيون الجديدة وتضاعَف حجمها. وابتعد الناس عن أجهزة تلفزيون ديمونت مقاس ٩ بوصة من هول الصوت والضوء المفاجئ اللذان شهِدهما كل منزل وحانة ومتجر إلكترونيات على امتداد الساحل الشرقي.

أما بالنسبة لأولئك الذين خرجوا في تلك الليلة الحارة من شهر أغسطس، فقد كان الأمر أكثر غرابةً. فقد شاهدوا خط ضوء رفيع ومرتفع يتحرك ويسقط. كان لمعانُه وحجمه يزدادان كلما اقترب من الارتطام بالأرض، إلى أن تحول أخيرًا إلى صاعقة زرقاء وخضراء وبدَا وكأنه توقَّف. ثم طار إلى مائة شرارة متساقطة تلاشت ببطء في السماء المظلمة المليئة بالنجوم.

قال البعض إنهم رأوا ضوءًا آخر أصغر حجمًا بعد بضع دقائق. بدَا وكأنه يحوم، ثم حوَّل مساره نحو الغرب. خفت لمعانه كلما ابتعد. ضجت عناوين الصحف بقصص «صواريخ الأشباح» في السويد طوال ذلك الصيف. لقد كان موسمًا سخيفًا.

وردت بعض المكالمات إلى مكتب الطقس أو قواعد القوات الجوية للجيش للسؤال عن الموضوع، فكان الرد أنه ربما كان نجمًا ضالًّا من زخّة شهب دلتا أكواريد.

ولكن الحقيقة الصحيحة كانت بحوزة شخص واحد خارج باين بارنز، ولكنه لم يكُن في حالة مزاجية تسمح له بالتواصل مع أحد.

♣ ♦ ♠ ♥

دخل الفتى النفَّاث شركة «بلاك ويل» للطباعة. كان يرتدي بنطالًا فضفاضًا وقميصًا وسترة طيار بنية. استقبلته لوحة بألوان حمراء وزرقاء ساطعة كُتِب عليها: دار كوش كوميكس.

توقف عند مكتب موظفة الاستقبال.

«روبرت توملين. أريد مقابلة السيد فاريل».

حدَّقت فيه السكرتيرة، امرأة شقراء نحيفة ترتدي نظارات ذات حواف منكسرة تجعلها تبدو وكأن خفاشًا يخيم على وجهها.

«لقد تُوفِّي السيد فاريل في شتاء عام ١٩٤٥. هل كنت في الخدمة أو شيئًا من هذا القبيل؟»

«شيء من هذا القبيل».

«هل تود مقابلة السيد لوبوي؟ لقد استلم مكان السيد فاريل».

«أريد مقابلة المسؤول عن كتاب قصص الفتى النفَّاث المصورة».

بدأ المكان كله بالاهتزاز؛ إذ اشتعلت النار بالمطابع في الجزء الخلفي من المبنى. واشتعلت أغلفة الكتب الهزلية

المعلقة على جدران المكتب، والتي كانت تَعِد بأشياء لا يمكن لغيرها تقديمها.

«روبرت توملين». قالت السكرتيرة عبر الهاتف الداخلي.

«سكراتش سكواوك ... لم أسمع به قط ... سكويش».

«لِمَ تريد مقابلته؟»

«أخبريه بأن الفتى النفَّاث يود لقاءه».

«أوه أعتذر. لم أستطع التعرُّف عليك».

«كالكثيرين مثلكِ».

♣ ♦ ♠ ♥

كان لوبوي يشبه قَزَمًا سُحِب منه دمه. كان شاحبًا مثل هاري لانغدون، أو كعشب نما تحت كيس من الخيش.

«الفتى النفَّاث!» قال ومد يده التي كانت تبدو كالديدان. «لقد كان الجميع يعتقد أنك استُشهِدت حتى الأسبوع الفائت. أنت بطل قومي، أتعلم ذلك؟»

«لا أشعر وكأني كذلك».

«كيف يمكنني مساعدتك؟ لا تفهمني بشكل خاطئ، أشعر بالفخر للقائك أخيرًا، ولكن لا بد أنك رجل مشغول».

«حسنًا، أولًا، اكتشفت أنه لم يتم إيداع أيٍّ من شيكات الترخيص والملكية في حسابي منذ أن تم الإبلاغ عن فقداني واعتباري ميتًا الصيف الماضي».

«ماذا؟ حقًّا؟ لا بد أن القسم القانوني قد وضعها في حساب الضمان أو ما شابه حتى تقدَّم شخص ما بالمطالبة بها. سأحضرها فورًا».

«حسنًا أود الحصول عليها الآن قبل أن أغادر».

«ماذا؟ لا أعرف ما إذا كان بإمكانهم فعل ذلك. هذا يبدو مفاجئًا للغاية».

حدَّق الفتى النفَّاث به مليًّا.

«حسنًا، حسنًا. صِليني بقسم المحاسبة». صرخ في الهاتف الداخلي.

«أوه، لقد كان أحد الأصدقاء يجمع نسخي. لقد راجعت بيان الشراكة الخاصة والتداول على مدار العامين الماضيين. أعلم أن قصص الفتى النفَّاث المصوَّرة تبيع خمسمائة ألف نسخة مؤخرًا».

صرخ لوبوي في الهاتف أكثر ثم وضعه جانبًا. «سوف يستغرق الأمر بعض الوقت. أي طلبات أخرى؟»

«لا أحب ما يحدث للكتاب الهزلي».

«ما الذي لا يعجبك؟ إنها تبيع نصف مليون نسخة شهريًّا!»

«مثلًا، الطائرة صارت تبدو أكثر فأكثر وكأنها رصاصة. كما فشل الفنانون برسم الأجنحة في مكانها الصحيح بحق السماء!»

«هذا هو العصر الذري يا فتى. الأولاد في الوقت الحاضر لا يحبون الطائرة التي تبدو وكأنها ساقُ لحم خروف حمراء مع علّاقات معاطف بارزة من الأمام».

«لطالما كان شكلها كذلك. كما لفتني أمر آخر، لماذا صار لون الطائرة أزرق في الإصدارات الثلاثة الأخيرة؟»

«لم يكن قراري أنا! برأيي أن اللون الأحمر أفضل، لكن السيد بلاك ويل أرسل مذكرة أكّد فيها ألا يكون أي شيء سوى الدم باللون الأحمر. إنه محارب قديم».

«إذن أخبره أن الطائرة يجب أن تبدو بشكل صحيح وأن تكون باللون المناسب. كما تم إرسال التقارير القتالية. عندما كان فاريل مسؤولًا، كانت القصة المصورة تدور حول الطيران والقتال وتنظيف حلقات التجسس؛ مواضيع حقيقية. لم تكن عندها القصة المصورة تتجاوز العشر صفحات».

«عندما كان فاريل مسؤولًا، كانت القصة تبيع ٢٥٠ نسخة فقط».

حدَّق به روبرت مجددًا.

بدأ الفتى النقَّاث كلامه: «أعلم أن الحرب قد انتهت، وأن الجميع يريد منزلًا جديدًا وإثارة تسليه، لكن انظر إلى ما وجدته في الأشهر الثمانية عشر الماضية ... أولًا أنا أقاتل أحدًا كشبح الموت. لم أطأ مكانًا يُدعى جبل الهلاك. والأفظع! الهيكل العظمي الأحمر؟ السيد ماجوت؟ الأستاذ بلوتو؟ ما هذا بكل الجماجم واللوامس؟ بربِّك ... توأمان شريران يدعيان ستورم ودرنغ هوهنزولرن؟ قرد مفصلي الأرجل ... غوريلا بست مجموعات من الأكواع؟ من أين اختُرِعت كل هذه الأشياء؟»

«لا تلمني بل لُمِ الكتَّاب. إنهم جماعة مجنونة، يتعاطَوْن البنزيدرين وما شابه. كما أن ذلك ما يريده أطفال اليوم!»

«ماذا عن مميزات الطيران والمقالات عن أبطال الطيران الحقيقيين؟ اعتقدت أن عقدي كان ينص على ذكر ميزتين على الأقل، وإصدار يدور حول الأحداث والأشخاص الحقيقيين؟»

«سنعيد النظر بالموضوع مجددًا، ولكن دعني أخبرك من

الآن أن الأطفال لا يريدون هذا النوع من القصص. أصبحوا يريدون قصصًا عن الوحوش والمَركبات الفضائية والأحداث التي ستجعلهم يتبوّلون في ملابسهم. ألا تتذكر؟ لقد كنت طفلًا يومًا!»

الْتقط الفتى النفَّاث قلم رصاص من المكتب. «كنت في الثالثة عشرة من عمري عندما بدأت الحرب، وفي الخامسة عشرة عندما قصفوا ميناء بيرل هاربر. شاركت في القتال لمدة ست سنوات. لا أعتقد أنني عشت الطفولة من قبلُ».

صمت لوبوي للحظات.

«هل تعلم ماذا يجب أن تفعل؟ عليك كتابة كل ما لا يعجبك في الكتاب وإرساله إلينا. سأطلب من القسم القانوني مراجعة الأمر وسنحاول القيام بشيء ما لحل المشكلة. بالطبع، نحن نطبع ثلاثة أعداد مسبقًا. لذا سنطبع ما تريد بعد عيد الشكر».

تنهَّد الفتى النفَّاث وقال: «حسنًا».

«أريدك أن تكون سعيدًا من أعماق قلبك؛ وذلك لأن «الفتى النفَّاث» هو العمل المفضل لديّ، وأعني ذلك حقًّا. القصص الأخرى مجرد وظيفة. ويا إلهي، يا لها من وظيفة: المواعيد النهائية والعمل مع السكارى وما هو أسوأ، أطنان الإصدارات

التي تحتاج إلى طباعة؛ هل لك فقط أن تتخيل! لكني أحب العمل على «الفتى النفَّاث». إنها فريدة».

«يسعدني ذلك».

«بالطبع بالطبع». طرق لوبوي أصابعه على المكتب ثم قال: «أتساءل ما الذي يؤخِّرهم هكذا؟»

«ربما يبحثون عنها بين سجلات الحسابات الأخرى».

«لا لو سمحت، نحن منظَّمون للغاية هنا!» قال لوبوي باحتداد.

«أنا أمزح».

«أوه. على أية حال، لقد ذُكِر في الصحيفة أنك كنت ... كيف يمكنني قولها ... عالقًا على جزيرة نائية أو ما شابه؟ لا بد أن الأمر كان صعبًا أليس كذلك؟»

«حسنًا كان الأمر موحِشًا. مللت من صيد الأسماك وتناولها. لقد كان الوضع مملًّا في الغالب، وافتقدت كل شيء، ولا أعني بذلك اشتقت إلى شيء ما، بل فاتني الكثير. لقد بقيت هناك من ٢٩ أبريل حتى الشهر الماضي.

كنت متأكدًا أحيانًا أنني سأصاب بالجنون. لم أستطع أن أصدق نفسي ذات صباح عندما نظرت إلى البعيد ورأيت

سفينة «يو إس إس ريلاكتانت» راسية على بعد أقل من ميل من الشاطئ. أطلقت شعلة ثم أتَوْا وأخذوني. لقد استغرق الأمر شهرًا للوصول إلى مكان ما لإصلاح الطائرة والراحة والعودة إلى المنزل. أنا سعيد بالعودة».

«أتوقع ذلك. وهل صادفت الكثير من الحيوانات الضارية على الجزيرة؟ كالأسود والنمور وما شابه؟»

ضحك الفتى النفَّاث: «الجزيرة بعرض أقل من ميل وطول ميل وربع. لم يكن هناك سوى بعض الطيور والجرذان والسحالي».

«سحالي؟ سحالي ضخمة وسامة؟»

«بل صغيرة. كنتُ قد أكلت نصف عددها قبل أن أغادر. اصطدت عددًا وفيرًا باستخدام مقلاع صنعته من خرطوم أكسجين».

«هاه! بالطبع!»

فُتِح الباب ودخل شاب طويل يرتدي قميصًا ملطخًا بالحبر.

«هل هذا هو؟» سأل لوبوي.

«رأيته مرة من قبل، ولكن يبدو كذلك». أجاب الرجل.

«حسنًا هذا كافٍ بالنسبة لي».

«ليس لي. أرني هويتك ووقِّع على اتفاقية الإبراء من الالتزام».

تنهد الفتى النفَّاث ثم وقَّع. نظر للمبلغ المكتوب على الشيك. لقد كان مبلغًا قليلًا. طوى الشيك ووضعه في جيبه.

«سأترك عنواني مع السكرتيرة من أجل الشيك القادم، وسأرسل رسالة تتضمَّن اعتراضاتي خلال هذا الأسبوع».

«عليك بذلك. سعِدت بلقائك. على أمل أن تجمعنا شراكة طويلة ومزدهرة».

«شكرًا». قال الفتى النفَّاث وغادر مع المحاسب.

جلس لوبوي على كرسيه الدوار. وضع يديه خلف رأسه وحدق بالمكتبة أمامه.

اندفع للأمام فجأة وحمل الهاتف واتصل بالكاتب الرئيسي لقصة «الفتى النفَّاث».

بعد اثنتي عشرة رنة، رفع الهاتف شخص وقد بدا الخمول والتشوش على صوته.

«عُدْ لوَغْيك، معك لوبوي. تصور معي التالي: إصدار خاص من اثنتين وخمسين صفحة! عدد كامل لقصة واحدة. هل أنت جاهز؟ الفتى النفَّاث على جزيرة الديناصورات! هل

دوّنت ما أقول؟ أتصور أمامي الكثير من رجال الكهف وديناصورًا ضخمًا. وماذا بعد؟ نعم نعم نعم ... وتيرانوصور. وبضعة جنود يابانيين أسرى. مقاتل ساموراي ربما. متى؟ جميع هذه الأحداث في عام ١١٠٠ قبل الميلاد. المسيح؟ لِمَ لا. تعلم ماذا يجب أن تفعل.

ماذا؟ الثلاثاء. معك لنهار الخميس الساعة الخامسة عصرًا، حسنًا؟ توقف عن التذمُّر. ستحصل على مائة وخمسة دولارات مقابل مهمة بسيطة. أراك لاحقًا».

أغلق الخط واتصل بعدها بالرسام ليخبره عن مفهومه للغلاف.

♥ ♠ ♦ ♣

كان إد وفريد في طريق عودتهما من توصيل طلبية في باين بارنز.

كانا يقودان شاحنة قلّابة بطول ثماني ياردات. كانت قد أنزلت حمولة ست ياردات مكعّبة من الأسمنت حديث الصب منذ بضع دقائق. وقبل ثماني ساعات أنزلت حمولة خمس ياردات ونصف من الماء والرمل والحصى والأسمنت، ومكونًا سريًّا.

كان حمل المكون السري منافيًا لثلاثة قواعد من أصل

الخمس غير القابلة للكسر من قانون مباشرة الأعمال غير المدمجة والمعفاة من الضرائب في الولاية.

كان قد جلبه رجال أعمال آخرون إلى مركز لمعدات البناء بالجملة، ووضعوه في خلاطة الأسمنت.

لم يكن لإد وفريد أدنى علاقة بالموضوع. كانت مهمتهما تتلخَّص فحسب في قيادة قلّابة عبر الغابة مقابل حفنة من الألوف.

ورغم أن الغابة لم تكُن تبعُد كثيرًا عن المدينة، فإنها كانت دامسة الظلام، وكأنهما لم يعودَا في نطاق مائة ميل عن تلك البلدة بالتعداد السكاني الذي يتجاوز الخمسمائة ألف.

أنارت المصابيح الأمامية الخنادق التي كانت تحتوي على كل شيء من الطائرات القديمة إلى زجاجات حامض الكبريتيك في أكوام مسدودة. كانت بعض المهملات ما تزال حديثة الرمي، وقد تراقصت ألسنة الدخان واللهب حول بعضها. وتوهج البعض الآخر دون احتراق. كما تشكلت فقاعات في بركة المعادن وهي تذوب.

عادَا بعدها إلى وسط الغابة من جديد، يتنقلون من مكب إلى آخر.

«مهلًا! توقف!» صرخ إد.

سحب فريد الفرامل وأوقف المحرك.

«اللعنة! ما خطبك بحق السماء؟»

«هناك! أقسم أنني رأيت شخصًا يدفع كرة زجاجة بلون نيوني بحجم ولاية كليفلاند!»

«أنا متأكد من أنه لن يعود». قال فريد.

«لا! هيا بربِّك! إنه أمر لا تراه كل يوم».

«اللعنة يا إد! ستتسبب يومًا ما بهلاكنا كلينا!»

♥ ♠ ♦ ♣

لم تكن كرة زجاجة. كما لم يحتاجا لضوء المصابيح الأمامية ليعرفا أن ما أمامهما هو لغم مغناطيسي؛ علبة مستديرة تتوهَّج من تلقاء نفسها وبأضواء تدور من حولها. حتى إنها قد أخفت الرجل الذي كان يدفعها.

«تبدو وكأنها حيوان مدرَّع نيوني ملتف». قال فريد باستغراب.

رمش الرجل الذي كان خلف اللغم بعينيه، فلم يكن قادرًا على الرؤية جيدًا من مصابيحهم. كان شخصًا رثًّا وقذرًا بلحية ملطخة بالتبغ، وشعر مبعثر وطويل.

اقترب الرجلان منه.

«إنه ملكي!» قال الرجل، ثم وقف أمام اللغم وفتح يديه ليمنع الرجلين من الاقتراب أكثر.

«حسنًا أيها العجوز، فقط أخبرنا ماذا معك؟» قال إد.

«تذكرتي للربح السريع، هل أنتما من سلاح الجو؟»

«كلا، على الإطلاق. دعنا نلقِ نظرةً فحسب».

حمل الرجل حجرًا مهدِّدًا إياهم، «ابتعدا! لقد وجدته قرب حطام الطائرة. سيدفع سلاح الجو لي ثروة لاستعادة هذه القنبلة الذرية!»

«لا تبدو وكأنها قنبلة ذرية على الإطلاق». رد فريد. «انظر للكتابات على جانبها، ليست باللغة الإنكليزية حتى».

«بالطبع لا! لا بد أن هذا سلاح سري؛ لهذا أخفوه بهذا الشكل الغريب».

«من؟»

«لقد أفصحت أكثر مما يجب. ابتعدَا عن طريقي».

نظر فريد للعجوز وخاطبه: «لقد أثرت فضولي. أخبرني المزيد».

«ابتعد عن طريقي يا فتى، لقد قتلت رجلًا مرة من أجل علبة عصيدة ذرة!»

مد فريد يده لجيب سترته وأخرج سلاحًا بكاتم صوت.

«لقد سقط الليلة الماضية». بدأ العجوز فورًا بالكلام. «أيقظَني عندما أضاء السماء بأكملها. بحثت عنه طوال اليوم. كنت أعتقد أن الغابة ستزدحم بأفراد سلاح الجو وجنود الدولة، ولكن أحدًا لم يأتِ».

«وجدته الليلة قبل حلول الظلام. كان قد عاث خرابًا في المكتب. تحطمت الأجنحة تمامًا عن الشيء عندما سقط. تناثر حول الحطام أشخاص كثيرون بملابس غريبة، نساء ورجال».

خفض رأسه دقيقة وقد بان الخجل على وجهه.

«ولكنهم كانوا في عداد الموتى جميعًا. لا بد أنها طائرة نفاثة إذ لم أجد مراوح أو شيء من هذا القبيل. كانت القنبلة الذرية ملقاة في وسط الحطام. كنت أحسب أن سلاح الجو سيدفع أموالًا جيدة لاستعادتها؛ وذلك لأن صديقي كان قد وجد مرة بالونًا للطقس وأعطَوْه دولارًا وربعًا. برأيي هذا الشيء يفوق البالون أهمية بأطنان!»

ضحك فريد. «دولارًا وربع إذن؟ سأعطيك عشرة دولارات

مقابله».

«يمكنني الحصول على مليون!»

رفع فريد زناد السلاح.

«خمسون». أجاب العجوز.

«عشرون».

«ليس عدلًا ولكن حسنًا».

«ما عملك به؟» سأل إد.

«سأعطيه للدكتور تود وهو سيعرف كيف يتصرف به. إنه من النوع المحب للعلوم».

«ماذا لو أنها حقًّا قنبلة ذرية؟»

«حسنًا، لا أعتقد أن القنابل الذرية تحتوي رشاشات. كما أن الرجل العجوز محق، لو أنها كذلك لامتلأت الغابة بعناصر سلاح الجو. وبربك، خمسة منها قد انفجرت بالفعل، ومن المستحيل أن يكون لديهم أكثر من اثنتي عشرة. بالتأكيد أن القنابل الباقية بالحفظ والصون وتحت الحراسة».

«حسنًا إن لم يكن لغمًا فما هو؟»

«لا أكترث. كل ما يهمني هو أن يكون ذا قيمة كي نتقاسم ثمنه مع الدكتور تود. إنه رجل عادل».

«بالنسبة لمجرم، فنعم».

ضحكا كثيرًا وأكملا طريقهما والشيء الغريب يتدحرج من ميل لميل في مؤخرة الشاحنة.

♣ ♦ ♠ ♥

أدخل أفراد الشرطة العسكرية الرجل الأصهب إلى مكتبه وعرَّفُوا الرجلين على بعضهما.

«تفضل بالجلوس يا دكتور». قال إيه إي وهو يشعل غليونه.

لم يكن الرجل الآخر مرتاحًا، فقد خضع لاستجوابٍ قاسٍ لمدة يومين على يد مخابرات الجيش.

«لقد أخبرني الشباب بما حدث في قسم شرطة وايت ساندز، وأنك أبيت التكلم إلا معي. كما علمت أنهم استعملوا معك بنتاثول الصوديوم، ولكنك لم تتأثر بتاتًا؟»

«بلى، لقد جعلني أثمل». أجاب الرجل الذي بدا شعره تحت أضواء الاستجواب أشقر أو برتقاليًا.

«ولكن لم تتكلم».

«تفوهت ببضع الحماقات، ولكن لم تكن تلك التي يريدونها».

«غريب».

«إنها كيمياء الدم».

تنهَّد إيه إي. نظر من نافذة مكتبه في برينستون. «حسنًا إذن. سوف أستمع إلى قصتك. لن أعدك بأنني سأصدق أي منها لكنني سأستمع».

«لا بأس». قال الرجل وقد تنفس بعمق، «فلنبدأ».

بدأ كلامه ببطء في البداية. كان يختار كلماته بعناية، لكنه اكتسب ثقة في حديثه مع الوقت. صار يتحدث بشكل أسرع، وسيطرت لهجته على كلامه. لم يستطع إيه إي فهم كلامه بالكامل، فقد بدا له وكأنه أحد سكان جزر فيجي الذي تعلم اللغة الإنكليزية من سويدي. أعاد إيه إي ملء غليونه مرتين ولكنه لم يشعله بعد ملئه للمرة الثالثة. بدا اهتمامه بكلام الرجل جليًّا من طريقة جلوسه، وكان يومئ برأسه بين الحين والآخر، ليتحرك شعره الرمادي بما يشبه هالة ضوء في منتصف الظهيرة.

ختم الرجل كلامه.

وتذكر عندها إيه إي غليونه وأشعله. وضع يديه خلف رأسه وبان المزق على كوعه الأيسر.

«لن يصدقوا حرفًا من كلامك».

«لا أهتم. أريد منهم أن يتصرفوا سريعًا فحسب. يجب أن أستعيدها سريعًا».

نظر إليه إيه إي مليًّا.

«إذا حدث وصدَّقوا كلامك، فسيؤثِّر ذلك على سبب وجودك هنا، بل على واقع أنك هنا إذا فهمت ما أعنيه».

«ما الذي يمكنني فعله إذن؟ لو أن سفينتي كانت ما تزال تعمل لكنت بحثت بنفسي. ولكنني فعلتُ ما رأيته الخيار التالي الأفضل، لقد هبطت في مكان كنت متأكدًا أنني سأجذب الأنظار فيه وطلبت التحدُّث معك. أو ربما مع علماء آخرين أو مؤسسات علمية».

ضحك إيه إي قائلًا:

«سامحني، ولكنك لا تعرف كيف تجري الأمور هنا. سنحتاج الجيش. سنحتاج الجيش والحكومة سواء شئنا أم أبينا؛ وذلك لكي نؤمِّن أفضل الشروط الممكنة، بالنسبة لنا، وذلك منذ البداية. يجب أن نفكر في شيء معقول بالنسبة لهم

ويحشدهم للبحث في ذات الوقت.

سأتواصل مع الجيش بخصوصك، وسأتصل أيضًا ببعض الأصدقاء. لقد خرجنا لتوّنا من حرب عالمية وخرجت بعض الأمور من تحت سيطرتنا. ربما يمكننا إيجاد حل لهذه القصة.

يجدر بنا القيام باتصالاتنا من حجرة هاتف عمومي. بالطبع سيرافقنا أفراد من الشرطة العسكرية لذلك يجب أن ننتبه».

«أخبرني الآن». قال وهو يلتقط قبعته من زاوية المكتبة المكتظة، «هل تحب المثلجات؟»

«هل تعني اللاكتوز وكتل السكر المجمَّدة في مزيج يُحفَظ تحت درجة التجمد؟»

«أؤكد لك أنها أشهى مما تبدو. كما أنها منعشة». وخرج الرجلان يدًا بيد.

♥ ♠ ♦ ♣

ربَّت الفتى النفَّاث على الجانب المدمَّر من طائرته. وقف أمام الحظيرة رقم ٢٣. خرج لينك من مكتبه وهو يمسح يديه بخرقة متسخة.

«كيف سار الأمر؟»

«جيد. يريدون دفتر مذكراتي. سيكون إصدار الربيع

الأعظم إذا استطعت إنهاءه لحينها».

«هل ما زلت مصممًا على بيع الطائرة؟» سأل الميكانيكي وأكمل: «يعز عليَّ مفارقتها».

«لقد أغلقت هذا الفصل من حياتي. أشعر وكأنني لست جاهزًا للتحليق بعدُ، حتى ولو كمسافر عادي».

«ماذا تريدني أن أفعل؟»

نظر الفتى النفَّاث للطائرة.

«ركِّب ملحقات الأجنحة المخصَّصة للارتفاعات العالية وخزانات الوقود الخارجية. ستبدو أكبر وألمع. قد يشتريها أحد من المتحف برأيي. سأعرضها للمتاحف أولًا، وإذا لم ينفع الأمر فسأعرضها في إعلانات بيع. يجب أن نُزيل الأسلحة إذا أراد شخص من العامة شراءها. تأكد جيدًا من أن كل شيء ثابت في مكانه. ربما لم يكن يجدر بي هزها أثناء رحلتي من سان فرانسيسكو، ولكنهم أجرَوْا لها صيانة جيدة في قاعدة هيكام الجوية. باختصار، أصلِحْ كل ما تراه مناسبًا».

«بالطبع».

«سأتصل بك غدًا إلا إذا طرأ أمر لا يحتمل الانتظار».

طائرة تاريخية للبيع: طائرة نفاثة ذات محركين بمحركات دفع ٢ × ١٢٠٠ رطل وسرعة ٦٠٠ ميل في الساعة على ارتفاع ٢٥٠٠٠ قدم ومدى 650 ميلًا وخزانات وقود خارجية بقدرة 1000 وات (الخزانات وملحقات الأجنحة) بطول 31 قدمًا، وارتفاع 33 قدمًا (قدرة 49 وات). نقبل العروض المعقولة. الرؤية أفضل من الوصف. معروضة في حظيرة الطائرات رقم 23 في قاعدة بونهام الجوية في شانتاك، نيوجيرسي.

وقف الفتى النفَّاث أمام نافذة المكتبة. كان يتأمل عناوين الكتب الجديدة هناك. كان كل كتاب أكبر من الآخر. في العام المقبل، سيكون كتابه واحدًا منهم. ليس كتابًا فكاهيًّا، بل قصة دوره في الحرب. كان يأمل أن تكون جيدة بما يكفي حتى لا تضيع بين الجموع.

كان يبدو وكأن أي شخص جُنِّد للحرب كتب كتابًا عن كيف كسب النزاع.

تضمن شباك واحد فقط ست روايات عن ذكريات الحرب، بقلم جميع الرُّتب من مقدم إلى لواء (ربما لم تسنح الفرصة لأولئك الحلاقين برتبة الجندي الأول بكتابة الكثير من الكتب).

أو ربما كتبوا بضعةً من الكتب الكثيرة الأخرى التي عُرضت على الشباك الآخر.

كان هناك كتابان بالقرب من الباب، وأكوام كتب كبيرة لوحدها معروضة في النافذة. لم تكن الكتب الأكثر مبيعًا تتمحور عن الحرب أو مذكراتها. فعلى سبيل المثال: كتاب بعنوان الجندب يستلقي ثقيلًا، بقلم شخص يُدعى أبندسن «هوثورن أبندسن، اسم مستعار». أو كتاب آخر سميك بعنوان زراعة الزهور على ضوء الشموع في غرف الفندق، بقلم كاتبة متواضعة لدرجة أنها تسمي نفسها «السيدة تشارلز فاين آدامز». لا بد أنه كتاب أشعار سيئة أحبه العامة بجنون. فلم يعد هناك أهمية للأذواق.

وضع الفتى النفَّاث يديه في جيوب معطفه الجلدي ودخل إلى أقرب صالة سينما.

♣ ♦ ♠ ♥

شاهد تود الدخان يتصاعد من المختبر وانتظر رنين الهاتف. ركض الناس ذهابًا وإيابًا إلى المبنى على بعد نصف ميل.

لم يحدث شيء لمدة أسبوعين. كان توركيلد، العالم الذي وظَّفه تود لإجراء الاختبارات، يقدِّم له تقاريرًا يومية. ولكنَّ أيًّا من اختباراته لم تنجح على القرود أو الكلاب أو الفئران أو السحالي أو الثعابين أو الضفادع أو الحشرات أو حتى

على الأسماك المعلقة في الماء. بدأ الدكتور ثوركيلد يعتقد أن رجال تود دفعوا عشرين دولارًا مقابل غاز خامل في حاوية فاخرة.

حدث انفجار منذ لحظات قليلة وها هو الآن ينتظر. رن الهاتف أخيرًا.

«تود ... يا إلهي! معك جونز من المختبر ... لقد ...»، تشوش الخط. «يا إلهي! ثوركيلد ... إنه ... جميعهم ...» ثم سمع دوي انفجار بالقرب من الهاتف المتصل. «يا إلهي ...»

«اهدأ». قال تود. «هل الجميع في المختبر بخير؟»

«نعم ... أجل ... ولكن الـ ... أعع». كان المتصل يتقيَّأ فانتظره تود.

«أعتذر يا دكتور تود، ما يزال المختبر مغلقًا. لقد اشتعلت النار على العشب في الخارج. لا بد أن أحدًا ألقى بعَقِب سيجارة».

«ماذا حدث بالضبط؟»

«لقد كنت أدخِّن في الخارج، ولا بد أن أحدًا بالداخل أخطأ في مكان ما. أنا ... لا أعرف. لقد ... لقد مات معظمهم، أعتقد. لا أعلم. شيء ما ... آه لحظة، لحظة. ما يزال أحدهم على

قيد الحياة في المكتب، يمكنني رؤيته من هنا ... إنه ...»

الْتقط أحدهم الهاتف وقال بصوت منخفض:

«توج، توج». قال أحدهم بصوت معدوم.

«تورجـ ...»

«ثوركيلد؟»

«نعم. ساعدني. ساعدني».

صدرت ضوضاء صادرة عن تخبُّط. «ساعدني». وتبعه صوت يشبه إفراغ هلام على مكتب فوضوي.

سُمِع دَوِيٌّ إطلاق نار وارتد الهاتف عن المكتب.

«لقد أطلق النار عليه ... على نفسه». قال جونز.

«سأحضر فورًا».

♥ ♠ ♦ ♣

دخل تود مكتبه بعد انتهاء التنظيف. لم يكن الحال جيدًا ولكن العبوة كانت ما تزال سليمة. مهما كانت الحادثة لم تحدث أضرارًا جسيمة، فالحيوانات كانت بخير أيضًا. لم يكن الحظ حليف البشر في المقابل. تُوُفِّي ثلاثة على الفور، بالإضافة لثوركيلد الذي انتحر، واثنين آخرين اضْطُرَّ

ثوركيلد وجونز لقتلهما. كما كان هناك شخص سابع في عداد المفقودين، تم تأكيد أنه لم يخرج من المبنى بأية وسيلة.

جلس تود على مكتبه وفكر مَلِيًّا. ثم رفع الهاتف الذي كان على المكتب وأجرى اتصالًا.

«نعم يا دكتور؟» قال فيلمور فور دخوله الغرفة حاملًا مجموعة من البرقيات وأوامر السمسرة تحت ذراعه.

فتح تود خزانة المكتب وبدأ بعدِّ الأموال.

«أريدك يا فيلمور أن تقصد مرفأ إليزابيث في كارولينا الشمالية وأن تشتري لي خمسة مناطيد. أخبرهم بأنني بائع سيارات. ثم رتِّب لي مليون قدم مكعبة من الهيليوم ليتم تسليمها إلى مستودع في جنوب بنسلفانيا. فكِّك الأجهزة وجهز لي قائمة كاملة بما بين أيدينا وما نحتاج. يمكننا تأمينها بكميات. تواصل مع القائد ماك واعرف ما إذا كان ما يزال لديه سفينة الشحن تلك. سنحتاج جوازات سفر جديدة. أحضر لي أكياس تشولي؛ سأحتاج أيضًا إلى جهة اتصال في سويسرا. كما سأحتاج إلى طيار برخصة للتحليق بالمناطيد، وبعض بدلات الغطس، وعبوات أكسجين، وأطنان من زلط الرصاص، وخرائط بحرية، وأحضر لي فنجانًا من القهوة».

«يمكن لفريد التحليق بالمنطاد». أجاب فيلمور.

«هذان الرجلان متعددا المواهب».

«ظننتُ أننا قمنا بمغامرتنا الأخيرة يا زعيم».

«فيلمور». قال تود وهو ينظر إلى صديقه منذ عشرين عامًا. «بعض المغامرات تفرض نفسها علينا يا فيلمور، سواءً شئنا أم أبينا».

«ديوي أدميرال خليج مانيلا

ديوي تناول الشوكولا

دمعت عيناها حين قالت أقبل

هل نحب بعضنا؟ نعم نفعل!»

غنى الأطفال وهم يقفزون على الحبل. كانوا قد بدؤوا اللعب فور عودتهم من المدرسة.

كان الأمر في بادئ الأمر يزعج الفتى النفَّاث. ترك الآلة الطابعة وتوجه نحو النافذة، ولكنه لم يصرخ عليهم، بل جلس يتفرج.

لم تكن عملية الكتابة سلِسة بالنسبة له. فما كان يخبر به طلاب الصف الثاني بسهولة تحوَّل على الورق إلى كلام ثقيل ومغرور.

لاحقت ثلاث طائرات؛ اثنتان من طراز ME-109 وواحدة من طراز TA-152، طائرة B-24 معطلة. كانت قد تعرضت لأضرار جسيمة جرَّاء قذائف مدفعية؛ لذلك تم تغطية اثنين من الدعائم بالريش في حين كان البرج العلوي مفقودًا.

حاولت إحدى طائرات الـ ١٠٩ التحليق على عُلُوٍّ منخفض، ربما في محاولةٍ مفاجئة لإطلاق النار في الجانب السفلي من القاذفة.

خففت من سرعة طائرتي عند دخولي في منعطف طويل وأطلقت طلقة انحراف من بعد ٧٠٠ ياردة. أصابت ثلاثة أهداف ومن بعدها طائرة الـ ١٠٩.

لمحتني طائرة الـ TA-152 ثم أسرعت للاعتراض. ولكنني عندما أصبت الـ ١٠٩، كنت قد تراجعت وشددت فرامل الهواء. ومضت طائرة الـ ١٥٢ من بعد أقل من ٥٠ ياردة، وتمكنت من رؤية النظرة المفاجئة على وجه الطيار. أطلقت رشقة واحدة بسلاح عيار٢٠ ملم. تحطمت الطائرة عن بَكْرة أبيها.

تأهبت عندها، فكان ما يزال هناك طائرة ١٠٩ خلف قاذفة الليبرايتور. كان الطيار يطلق النار من رشاشه ومدفعه. أخرج المدفع الخلفي وبرج الكرة، ولكن الأخير لم يكن على ارتفاع مناسب. كان طيار القاذفة يحاول تحريك الطائرة كي يتمكن رماة مدفع الخصر من التصويب جيدًا، ولكن لم يعمل سوى

مدفع الخصر الأيسر.

كنت على بعد أكثر من ميل واحد، لكني استدرت إلى اليمين وحلّقت إلى الأعلى. أنزلت المقدمة وأطلقت طلقة واحدة بقطر ٧٥ ملم قبل أن تضيء الضربة وتصطدم بالـ ١٠٩.

تحطم جسم الطائرة المقاتلة بالكامل وتمكنت من رؤية فرنسا من خلال الجسم المحطّم. يمكنني وصف المشهد كالتالي: كأنني أقف فوق شخص يحمل مظلة وأغلقها فجأة. كانت المقاتلة تشبه أثناء سقوطها زينة شجرة عيد ميلاد.

بدأ الرماة المتبقون على طائرة B-24 بإطلاق النار عليّ. شغلت نظام تحديد الصديق من العدو، ولكنهم لم يتلقَّوْا إشارتي.

لمحت مظلتين ألمانيتين بالأسفل. لا بد أن الطيارَيْن الأولَيْن قد نجَوَا. عدت إلى قاعدتي.

عندما تمت صيانة طائرتي، اكتشفوا أن ما تبقى بحوزتي هو اثنتا عشرة قذيفة عيار ٢٠ ملم، وأنني فقدت قذيفة من عيار ٧٥ ملم. بالنهاية لقد أسقطت ثلاث طائرات.

علمت بعدها أن طائرة الـ B-24 سقطت في قناة وتحطمت. لم يسجل أي ناجين.

من يهتم لهذه الأخبار؟ فكر الفتى النفَّاث بينه وبين نفسه. لقد انتهت الحرب، إذن هل يريد أي شخص حقًّا قراءة كتاب الفتى في المروحية عندما يتم نشره؟ وهل يريد أي شخص باستثناء البلداء قراءة قصص الفتى النفَّاث المصورة بعد الآن؟

لا أعتقد حتى أن أحدًا يحتاجني. ماذا يمكنني أن أفعل الآن؟ مكافحة الجريمة؟ يمكنني القبض على سيارات الهروب المليئة باللصوص، وسنخوض معركة عادلة حقيقية. الترحال عبر الريف؟ لقد حدث ذلك مع هوفر، كما أنني لا أرغب بالطيران مجددًا. سيسافر الناس في إجازات على متن الطائرات هذا العام أكثر مما فعلوا في السنوات الثلاث والأربعين الماضية، سواءً على الرحلات التجارية أو نقل البريد الجوي أو إلقاء البذور أو الحروب.

ماذا بإمكاني أن أفعل؟ فتح الخزينة؟ محاكمة المستغلين وقت الحرب؟ المهمة الوحيدة والأنسب هي معاقبة كبار السن الذين يسرقون مال الدولة بحجة إدارة دور الأيتام، في حين أن الأطفال يتضوَّرن جوعًا ويتم تعنيفهم؟ لا يحتاجونني لفعل ذلك، بل لسبانكي وألفافا وباكويت.

«توت توت

هتلر في التابوت

ترِن ترَن

موسوليني في الكفن!»

غنى الأطفال بعد أن زادوا من حدة لعبهم وصاروا يقفزون على حبلين ويقومون بالحركات. فكر بينه وبين نفسه عن مقدار الطاقة التي يملكها الأطفال. فقد تحمسوا باللعب قليلًا ثم خففوا.

«في القبر العميق

ينام هتلر الأحمق

في القبر العميق

داخل الخندق!»

ابتعد الفتى النفَّاث عن النافذة وقرر الذهاب للسينما مجددًا.

لم يقم بشيء يُذكر منذ لقائه ببليندا سوى القراءة والكتابة والذهاب لمشاهدة الأفلام. كان آخر فيلمين قد شاهدهما قبل عودته إلى المنزل في صالة مزدحمة في فرنسا في أواخر عام ٤٤. شاهد يومها فيلمًا مبتذلًا بميزة مزدوجة. وشاهد فيلم الإزعاج النازي من إنتاج يونايتد أرتستس عام ٤٣ من بطولة بوبي واتسون في دور هتلر وفرانك فايلن، أحد أفضل

الممثلين بنظر الفتى النفّاث. ووجد أنه أفضل من الفيلمين السابقين. أما الفيلم الآخر، جايف جنكشن، فكان فيلمًا تافهًا من إنتاج «بروديوسرز ريليسينغ كوربورايشن» ومن بطولة ديكي مور عن مجموعة من فناني موسيقى الجاز يرقصون في محل عصير.

كان أول شيء فعله بعد الحصول على أمواله والعثور على شقة هو العثور على أقرب صالة سينما، حيث شاهد فيلم «يقولون جريمة قتل» عن منزل مليء بالأشخاص الغريبين في الهضاب، من بطولة فريد ماكموري ومارجوري ماين، وممثل آخر يدعى بورتر هول. كان هذا الممثل يلعب دور شقيقين توأمين متطابقين قاتلَيْن يدعيان بيرت وميرت.

«من هو من؟» سأل ماكموري، والتقطت مارجوري ماين مقبض فأس وضربت أحدهما في منتصف ظهره، فانقسم جسده ووقع قسمه الأعلى من خصره على الأرض بطريقة كاريكاتورية منافية للطبيعة البشرية، ولكنه بقي واقفًا على قدميه.

«هذا ميرت». قالت ماين وهي ترمي الفأس في كومة الحطب. «ظهره غير طبيعي». كان الفيلم مليئًا بالراديوم وجرائم القتل، ووجده الفتى النفّاث مسليًا.

ومنذ ذلك اليوم، صارت زياراته للسينما يومية. كان في

بعض الأحيان يزور ثلاث صالات سينما ليشاهد من ستة حتى ثمانية أفلام في اليوم الواحد. صار يعتاد شيئًا فشيئًا على الحياة المدنية كأمثاله من الجنود والبحارة، من خلال مشاهدة الأفلام.

شاهد للمرة الثانية فيلم «عطلة نهاية الأسبوع الضائعة» من بطولة راي ميلاند وفرانك فايلن الذي كان يلعب دور ممرض ذكر يعمل في جناح القسم النفسي. كما شاهد أفلامًا كـ «شجرة تنمو في بروكلين»، و«عودة الرجل النحيف للمنزل» من بطولة ويليام باول في أوج إدمانه على الكحول، و«هيا يا فتيات»، و«إنه في الكيس» من بطولة فريد ألين، و«الشقراء المثيرة»، و«حكاية جي آي جو» (كان الفتى النقَّاث موضوع أحد أعمدة بايل في عام ٤٣). وشاهد فيلم رعب بعنوان «ممر الموت» من بطولة بوريس كارلوف، ونوع جديد من الأفلام الإيطالية بعنوان المدينة المفتوحة، وقد شاهده في دار فنية، وفيلم آخر بعنوان «ساعي البريد دائمًا يرن مرتين».

شاهد أفلامًا من إنتاج مونوغرام بيكتشرز وبروديوسرز ريليسينغ كوربورايشن وريبابليك ويسترنز وأفلام جريمة. كان يشاهد الأفلام على مدار ٢٤ ساعة ولكنه كان ينساها بعد ١٠ دقائق من مغادرته السينما. لم تحقق بعض تلك الأفلام

نجاحات ساحقة؛ وذلك بسبب ندرة وجود الأسماء البارزة وهيئة الممثلين الرجال غير المتناسقة، وكانت تُعرض لمدة ٥٩ دقيقة بالضبط ومقابل أسعار زهيدة.

تنهَّد الفتى النفَّاث. لقد فاته الكثير من الأفلام خلال الحرب، بل في الواقع فاته الكثير من الحياة. فاته يوم النصر في أوروبا، ويوم الانتصار على اليابان؛ يوم كان محبوسًا على تلك الجزيرة قبل أن يجده طاقم سفينة يو إس إس ريلاكتانت مع طائرته. وبعد سماعه لحديث طاقم السفينة، شعر وكأنه فاتته الحرب والأفلام أيضًا.

كان يتطلع بحماس للأفلام التي كانت تصدر في الخريف. كان يتطلع لمشاهدتها في السينما فور صدورها، حاله كحال الكثيرين، وكما اعتاد يوم كان ما يزال في الميتم.

عاد الفتى النفَّاث إلى آلته الطابعة. «عليَّ أن أعمل كي أنهي الكتاب. يمكنني الذهاب للسينما في الليل».

بدأ في كتابة كل الأشياء المثيرة التي قام بها في ١٢ يوليو ١٩٤٤.

في الفناء، كانت النساء تستدعي الأطفال لتناول العشاء مع عودة آبائهم إلى المنزل من العمل. كان هناك طفلان ما يزالان يقفزان على الحبل. كانا يغنيان بصوت رفيع:

«هتلر هتلر شكله غريب

موسوليني من الأرض قريب

سونيا هنري تتزلج هكذا

وبيتي جرابل تقع هكذا!»

لم يكن يوم نائب الرئيس الثاني الذي يعمل كبائع الملابس الرجالية في البيت الأبيض على ما يرام.

فقد بدأ يومه باتصال ورده بعد السادسة صباحًا بقليل. أبلغه أعضاء وزارة الداخلية المتوترون ما سمعوه من إشاعات من تركيا. كان الاتحاد الروسي يزرع أفرادًا حول حدود البلد.

«حسنًا». رد الرجل العادي من ميسوري، «لا تتصلوا بي إلا إذا تجاوزوا الحدود اللعينة».

والآن هذا.

راقب الرئيس القادم من إنديبندنس الباب ينغلق بعد خروج أينشتاين. كان آخر ما رآه هو كعب حذائه الممزق.

جلس في كرسيه ورفع نظارته السميكة عن عيونه ومسحها بشدة.

شبك أصابعه ببعضها ووضع مرفقيه على مكتبه. نظر إلى المحرات الصغير الموجود في مقدمة مكتبه (والذي استبدل بنموذج سلاح إم-١ جاراند الذي كان على مكتبه منذ اليوم الذي تولى فيه منصبه وحتى يوم الانتصار على اليابان). كانت هناك ثلاثة كتب في الزاوية اليمنى من المكتب، وإنجيل، وقاموس مرادفات مصغر، وتاريخ مصور للولايات المتحدة. كما كان هناك ثلاثة أزرار على مكتبه للاتصال بأمناء مختلفين، لكنه لم يستخدمها أبدًا.

«إنني أتخبط لمنع اندلاع عشر حروب في عشرين مكان، خصوصًا الآن وقد حققنا السلام. هناك إضرابات تلوح في الأفق في كل صناعة، وهذا عار شديد. الناس يسعون للحصول على المزيد من السيارات والثلاجات، فحالهم كحالي، أنهكتهم الحرب وإنذارات الحرب».

«وبدلًا من تنفُّس الصعداء، لا بد لي من ركل عش الدبابير مرة أخرى، وإخراج الجميع بحثًا عن قنبلة جرثومية لعينة قد تنفجر وتصيب الولايات المتحدة بأكملها، وتقتل نصف الناس أو أكثر».

يا ليتنا قاتلنا بالعِصِيّ والحجارة.

«كلما سارعت بالعودة لإندبيندنس، وخصوصًا شارع ٢١٩ في جيلوير الشمالية، كلما عاد ذلك بالفائدة عليّ وعلى هذا

البلد اللعين».

«إلا إذا كان ذلك اللعين ديوي يريد الترشح للرئاسة مرة أخرى. عندها كما قال لينكولن، فإنني أفضل أن أبتلع كرسيًا هزازًا على شكل غزال على أن أترك ذلك اللعين يصبح رئيسًا».

«إنه السبب الوحيد الذي يُبقِيني على هذا الكرسي حتى انتهاء فترة ولاية روزفلت».

«كلما عثرنا على القنبلة بشكل أسرع، كلما أجلنا فرضية حدوث حرب عالمية ثانية».

رفع الهاتف.

«صلني برئيس الأركان فورًا».

«الرائد ترومان يتحدث».

«مرحبًا أيها الرائد، أنا ترومان الآخر، رئيسك. هلا وصلت الجنرال أوسترندر على الخط معنا؟»

أثناء انتظاره، نظر إلى الأشجار عبر مروحة النافذة (كان يكره مكيف الهواء). كانت السماء ملونة بالأزرق الذي سرعان ما يتحوَّل إلى نحاسي في الصيف.

ثم نظر إلى ساعة الحائط؛ إنها ١٠:٢٣ صباحًا بحسب

التوقيت الصيفي الشرقي. يا له من يوم ... يا له من عام ... بل يا له من قرن!

«الجنرال أوسترندر معنا يا سيدي».

«جنرال، لقد غطسنا حتى أعناقنا في الوحل».

♣ ♦ ♠ ♥

وردته الرسالة التالية بعد بضع أسابيع:

أودِع مبلغ ٢٠ مليون دولار في حساب رقم Z21٤٣ في البنك السويسري في بيرن في تمام الساعة الحادية عشر بتوقيت زولو، وذلك في تاريخ ١٤ سبتمبر. إن لم تلتزم بذلك فستفقد مدينة رئيسية. أنت تعرف مدى قوة هذا السلاح. كان شعبك يبحث عنه، وأنا أملكه. سأستخدم نصفه في المدينة الأولى، ولمنعي من استخدامه في الثانية، أريد عندها ٣٠ مليون دولار. أتعهد بألَّا يتم استخدامه إذا تم سداد الدفعة الأولى، وسيتم بعدها إرسال التعليمات حول مكان استرداد السلاح.

رفع الرئيس الهاتف وأعطى أوامره.

«ارفعوا من جهودكم. اتصلوا بمجلس الوزراء. اجمعوا جميع رؤساء الأركان، وأوسترندر».

«حاضر سيدي».

«اتصلوا بذلك الفتى الطيار، ما كان اسمه ...؟»

«أتعني الفتى النفَّاث يا سيدي؟ لم يعُد في الخدمة».

«لقد عاد».

«حاضر سيدي».

♣ ♦ ♠ ♥

ظهر الشيء على الرادارات لأول مرة نهار الخميس في ١٥ سبتمبر ١٩٤٦ عند الساعة ٢:٢٤ ظهرًا.

عند الساعة ٢:٣١، كان يتحرك ببطء نحو المدينة على علو ستين ألف قدم تقريبًا.

في تمام الساعة ٢:٤١، دوّت أولى صفارات الإنذار محذرة من الغارات الجوية. وكانت مدينة نيويورك شهدتها لآخر مرة في أبريل ١٩٤٥ خلال تدريبات التعتيم.

وبحلول ٢:٤٨ حلت فوضى عارمة.

وكأن شخصًا في المكتب ضغط الأزرار الخاطئة. انقطعت الكهرباء عن كل مكان باستثناء المستشفيات ومراكز الشرطة ومراكز الإطفاء. توقَّفت محطات قطار الإنفاق. توقف كل

شيء عن العمل، حتى إشارات المرور. كما أن نصف معدات الطوارئ التي تم تشغيلها آخر مرة في الحرب لم تعمل.

ازدحمت الشوارع بالمارة والسيارات، فسارع الشرطة لتنظيم حركة المرور. خاف بعض أفراد الشرطة عندما تم أمرهم بارتداء أقنعة غاز. انقطعت خطوط الاتصال. عمَّ العنف أرجاء المدينة وبدأت الشجارات، وحُبس الناس في مخارج محطات الأنفاق وناطحات السحاب.

ازدحمت الجسور.

تضاربت الأوامر، منها كان بأن ينزل الناس إلى الملاجئ، والأخرى بأن يتم إخلاء الجزيرة. نادى شرطيان على ذات الإشارة بأوامر متضاربة. احتار الناس أي الأوامر يتبع.

ثم لفت أنظار الناس شيء لامع وصغير في السماء.

فتحت المدفعية المضادة للطائرات نيرانها بشكل غير فعال لمدى ميلين.

واستمرت على هذا الحال طويلًا.

لم يبدأ الرعب الحقيقي إلا بعد أن اندلعت النيران فوق جيرسي.

في تمام الثالثة عصرًا.

قال الدكتور تود: «الأمر بسيط جدًا حقًّا». نظر إلى أسفل نحو مانهاتن التي كانت ترقد أمامه مثل كنز دفين. التفت إلى فيلمور وحمل جهازًا أسطوانيًّا طويلًا يشبه مزيج قنبلة أنبوبية وقفل مركب. «في حالة حدوث أي شيء لي، ما عليك سوى إدخال هذا المصهر في الحامل في المتفجرات». وأشار إلى الجزء الشريطي مع الفتحة في العلبة المغطاة بالحروف السنسكريتية. «أدرها إلى الرقم خمسمائة، ثم اسحب هذه الرافعة». وأشار إلى مزلاج باب حجرة القنابل. «ستسقط. كنت مخططًا بشأن المدفعيات المضادة للطائرات. الدقة في التحديد ليست هدفنا».

نظر إلى فيلمور من فتحة خوذة الغطس خاصته. كان الجميع يرتدون بدلات غوص بخراطيم متصلة بعبوات الأكسجين.

«تأكد من أن الجميع جاهز وخوذاتهم متصلة، فقد يتسبَّب نقص الهواء بارتفاع ضغط دمهم. ستتمكن هذه البدلات من حمايتهم لبضع دقائق».

«ستجري الأمور بسلاسة يا زعيم».

«لا أتوقع سوى ذلك. سنذهب بعد أن نلقي القذيفة على

مدينة نيويورك إلى موعدنا بالسفينة ونفجِّر الزلط، ثم نرتاح قليلًا قبل أن نتوجه إلى أوروبا. سيدفعون المبلغ عندئذٍ طواعية ولن يعرفا أننا سنستخدم القنبلة الجرثومية بالكامل. وبالطبع فإن سبعة ملايين ضحية أو أكثر ستوضح لهم مدى جديتنا».

«انظروا». قال إد من مقعد الطيار المساعد، «إنهم يستخدمون مدفعيات مضادة للطيران!»

«ما ارتفاعنا؟»

«ثمانية وخمسون ألف قدم بالتمام». قال فريد.

«والهدف؟»

نظر إد وتحقق من الخريطة. «ستة عشر ميلًا إلى الأمام مباشرة. لقد كنت محقًّا بشأن تيارات الرياح يا دكتور تود».

♣ ♦ ♠ ♥

كان قد تم إرساله لقاعدة جوية خارج العاصمة واشنطن، تحسبًا، كي يكون قريبًا من مدن الساحل الشرقي المهمة.

قضى معظم يومه إما بالقراءة أو النوم أو التحدث عن شؤون الحرب مع طيارين آخرين. كان معظمهم ذا تجربة متواضعة، إذ لم يقاتلوا سوى في آخر أيام الحرب.

وكما سبق أن أشرنا، كان معظمهم طيارين مقاتلين، مثله. وكانوا قد تلقوا تدريبهم بطيارات P-59 آيراكوميتس أو P-80 شوتينج ستار. وثلةٌ قليلة منهم كانوا من جماعة مروحية P-51. لذلك حصل توتر قليل بينهم.

ولكنهم جميعهم ذوو خبرة متواضعة. وتواترت بعض الأحاديث عن نية ترومان فصل سلاح الجو إلى عدة فروع، وذلك بحلول العام التالي. شعر الفتى النفّاث أن قطار العمر قد فاته، رغم أنه ما يزال في التاسعة عشرة من عمره.

«إنهم يخطّطون لشيء سيخترق الجدار الأمني. بيل هو المسؤول عنه».

«أخبرني صديق لي في قاعدة موروك الجوية أن أنتظر حتى يتم تشغيل قاذفة الجناح الطائر. إنهم يعملون بالفعل على إصدار كامل خاص بالطائرات. قاذفة يمكنها أن تقطع ثلاثة عشر ألف ميل بسرعة خمسمائة في الساعة، وتحمل طاقمًا مكونًا من ثلاثة عشر سريرًا داخل طابقين بسبعة أسرة في الطابق، ويمكنها التحليق ليوم ونصف بشكل متواصل!» قال آخر.

«هل يعلم أحد ما أمر هذا الإنذار؟ هل ينوي الروس شرًّا؟» سأل شاب يافع برتبة ملازم ثانٍ، وقد سيطر عليه التوتر.

«سمعت أن وجهتنا هي اليونان. سأستمتع بشرب غالونات من الأوزو». قال أحدهم.

«بل فودكا مصنوعة من قشر البطاطس التشيكية. إنه يوم السعد إذا ما احتفلنا بالميلاد».

لاحظ الفتى النفَّاث أنه قد فاته حديث الغرفة المازح دون أن ينتبه.

رن جهاز الاتصال الداخلي وصدر منه صوت إنذار. نظر الفتى النفَّاث لساعته ووجدها ٢:٢٥ ظهرًا.

♣ ♦ ♠ ♥

أدرك حينها أنه فاته شيء أكثر من مزاح أفراد طاقم سلاح الجو. كان شاردًا، ولكنه عاد الآن لوعيه. لقد كانت رحلته لواشنطن في الليلة السابقة مجرد رحلة روتينية.

أما ما يحدث الآن فمختلف. عادت ذكريات الحرب من جديد. بات له الآن وجهة ... هدف ... ومهمة.

كان يرتدي أيضًا بدلة ضغط T-2 تجريبية من القوات البحرية. كانت مثالية؛ مصنوعة بالكامل من المطاط والأربطة ومزودة بزجاجات ضغط وخوذة فضاء حقيقية كتلك التي رآها في قصة بلانيت كوميكس المصورة. كانوا قد أخذوا

مقاساته في الليلة الماضية، وذلك بعد أن رأوا أجنحة طائرته المخصصة للارتفاعات العالية وخزانات الوقود الخارجية.

«يجب أن نصغر مقاسها من أجلك». قال رقيب الطيران.

«لديَّ قمرة قيادة مضغوطة». أجاب الفتى النفَّاث.

«حسنًا ولكن في حال احتجنا لك أو حدث أي طارئ».

كانت البدلة ضيقة للغاية حتى قبل أن يتم ضغطها. كانت الأكمام تتَّسع لغوريلا والصدر لشمبانزي.

«سترتاح بالمجال الواسع إذا ما تضخم هذا الشيء في أية حالة طوارئ». قال الرقيب.

«كما تشاء». رد الفتى النفَّاث.

حتى إنهم طلوا الجسم بالأبيض والقوائم بالأحمر كي يتوافقا مع زيه. وبانت خوذته الزرقاء ونظارته الواقية من خلال الفقاعة البلاستيكية الشفافة.

تسلَّق الطائرة وقد اعتراه شعور بالسعادة أنه بات لديه ما يفعله. كانت مهمته الوحيدة أن يرافق أسطول طائرات الـ P-80، وألا يتدخل إلا عند الحاجة. لطالما كان يفضل العمل الفردي.

كانت السماء أمامه بزرقة السماء في لوحة رمزية «انتصار

فينوس» بريشة برونزينو. كانت تغطيها غيوم قليلة معظمها في جهة الشمال. رافقته الشمس من اليسار. حلقت الطائرة بين الغيوم بخط غير مستقيم.

وانتشرت الطائرات مقابله وأنزلت أسلحتها.

أطلق مدفعه من عيار ٢٠ ملم.

برزت المتتبعات من بين المدافع عيار ٠,50 على كل طائرة P-80. تركوا المروحيات خلفهم وأداروا مقدماتهم نحو مانهاتن.

♣ ♦ ♠ ♥

بدوا وكأنهم سرب نحل غاضب تطرد حول صقر.

امتلأت السماء بالطائرات المقاتلة المروحية والنفّاثة.

أما من الأعلى، فتدلّت كتلة وتحركت ببطء نحو المدينة. كان محيط المدفعيات المضادة للطيران هو السكون الوحيد وسط العاصفة، وكان القصف الصادر منه أعتى مما قد شهده الفتى النفّاث في أوروبا واليابان.

لم تكن المدفعيات قادرة على إصابة الكثير من الأهداف، وخاصة المقاتلات التي كانت تحلق على علو مرتفع.

اتصل قسم مراقبة المقاتلات بهم.

«إلى جميع الأسطول الجوي، معكم القائد العسكري كلارك جابل. الهدف على إحداثيات خمسة خمسة صفر ... أكرر، الهدف على إحداثيات خمسة خمسة صفر. الهدف يتحرك شرق الشمال الشرقي على عقد اثنين خمسة. لا تستطيع المدفعية المضادة للطائرات إصابتها».

«ألغوا الموضوع». قال قائد الأسطول. «سنحاول التحليق على علو كافٍ لإلهاء العدو. اتبعني يا طيار هودياك».

نظر الفتى النفَّاث إلى السماء. كانت الكرة مستمرة في تحركها.

«ماذا تحمل؟» سأل الفتى النفَّاث القائد العسكري كلارك جابل.

«إلى الفتى النفَّاث. تم إبلاغنا أنها تحمل نوعًا من القنابل. لا بد أنها منطاد أو ما شابه على ارتفاع لا يقل عن خمسمائة ألف قدم مربع. حوِّل».

«سأبدأ بالتحليق للأعلى. إن لم تستطع الطائرات الأخرى الوصول إليه، ألغِ الأمر أيضًا».

ساد الصمت على جهاز الاتصال اللاسلكي قبل أن يسمع: «حسنًا».

رفع مقدمة طائرته فور رؤيته لطائرات الـ P-80 الفضية تلمع فوقه كالصُّلبان.

«هيا يا صغيرتي، فلنصنع بعض السحر».

♣ ♦ ♠ ♥

بدأت طائرات الشوتينج ستار بالابتعاد. لم يكن الفتى النفَّاث يسمع سوى صوت تنفسه في بدلته المضغوطة وهدير المحرك الرفيع عالي الصوت.

«هيا يا صغيرتي، أنتِ لها!»

أظهرت الطائرة التي كانت تحلِّق فوقه نفسها أخيرًا. كانت ستة مناطيد غير شرعية تحمل أسطوانة مستطيلة. بدت الأسطوانة وكأنها زورق طوربيد. لم يتمكَّن من رؤية المزيد. أما خلف المناطيد، فكان الهواء بنفسجيًّا وباردًا. وكأن الوجهة التالية هي الفضاء الخارجي.

حلقت آخر طائرات P-80 عاليًا في السماء. كان بعضها يطلق نيرانًا متفرِّقة، والبعض الآخر يقوم بالتفافات مفاجئة كما كانت تفعل المقاتلات تحت نيران المدافع خلال الحرب.

حاولت إحدى طائرات الـ P-80 السيطرة على الجو، فانخفضت ميلين قبل أن تتساوى مع مستوى الطائرات

الأخرى.

تمرَّدت طائرة الفتى النفَّاث. صار من الصعب السيطرة عليها. خفض مستوى المقدمة ولكنه اضْطُرَّ للمقاومة.

«أبعِد الجميع من الطريق». صرخ للقائد كلارك جابل.

«ها هي فرصتك لتسطعي». قال مخاطبًا طائرته.

فجَّر محركاته الخارجية ووقعت كالقنابل من خلفه. أنزل مدفعه وبدأ القصف.

حدَّد هدفه وأطلق عليه. أطلق أربع مرات أخرى حتى فرغ مدفعه من الطلقات.

حاول التحليق على ارتفاع منخفض لمحاولة زيادة سرعته، فبدا وكأنه سمكة سلمون تسبح نحو طريدتها. ثم حلَّق بعدها بطائرة JB-1 بطريقة لولبية.

«هل هذا أفضل؟»

اندفعت المحركات في الهواء بعد أن خفت حمولتها، وارتفعت الطائرة بسلاسة.

كان يحلق فوق مانهاتن وسكانها السبعة مليون. لا بد أنهم يشاهدونه من الأسفل وهم يفكِّرون بأنها آخر لحظات حياتهم. هل هذا ثمن العيش في العصر الذري؟ هل سيقضي

الناس حياتهم بالنظر للأعلى والتفكير متى ستكون نهايتهم؟

ضغط الفتى النفَّاث بقوة على رافعة تحت قدمه، فانزلقت قذيفة مدفع عيار ٧٥ مم من مؤخرة الطائرة. وضع يده على شريط التحميل التلقائي وتراجع قليلًا عن عجلة التحكم.

اخترقت الطائرة الحمراء السماء كالصاعقة.

لقد اقترب الآن. اقترب أكثر من أقرانه. ولكنه كان ما يزال بعيدًا. لا يزال أمامه خمس دورات لإتمام المهمة.

ارتفعت الطائرة أكثر فأكثر، وصارت تتأرجح في الهواء الرقيق. بدت وكأنها حيوان أحمر يتسلق جدارًا أزرقَ حريريًا، وكان ينزلق كلما تقدم.

توقف الزمن بانتظار الحدث القادم.

تبِعه حينها سرب أسلحة من الأسطوانة.

أطلق العنان لمدفعه.

من بيان رجل الدورية فرانسيس في «فرانسيس الشرطي المتكلم» أوهوي، في ١٥ سبتمبر ١٩٤٦ عند الساعة ٦:٤٥ مساءً.

كنا نشاهد من الشارع في الجادة السادسة، نحاول إقناع الناس بعدم دفع بعضهم بعضًا في حالة ذعر. هدأوا بعد أن

ألهاهم مشهد المعارك وما يحدث في الأعلى.

كان مع بعض مراقبي الطيور مناظير، فصادرتها منهم. لقد شاهدت كل شيء إلى حدٍّ كبير. لم يكن الحظ حليف الطائرات المقاتلة. كما لم يكن أداء مضادات الطائرات من فوق في بويري جيدًا أيضًا. ما زلت أقول إن الجيش يجب مقاضاته لأن رجال الدفاع الجوي أُصِيبوا بالذعر لدرجة أنهم نسُوا ضبط المؤقِّت على القذائف، وسمعت أن بعض القذائف نزلت في برونكس وفجرت مجموعة كاملة من الشقق.

ولكن تلك الطائرة الحمراء، تلك التي يقودها الفتى النفَّاث، كانت في أوج أدائها. كانت تلك القذائف تطير يمينًا ويسارًا ولكن دون أن تصيب المنطاد.

كنت في الشارع حين توقفت بالقرب مني شاحنة إطفاء. كان الطاقم بأكمله عليها، وكان الملازم يصرخ لي لأركب معهم. لقد كُلِّفْنَا بفض نزاع والاهتمام بحادث مرور في القسم الغربي من المدينة.

ركبت معهم ولكن ناظري لم يفارق المشهد الذي يحصل في السماء.

انفضت أعمال الشغب إلى حدٍّ كبير. ولكن في المقابل كانت صفارات الإنذار من هجوم جوي ما تزال تدوِّي في الأجواء.

لم يمنع ذلك الناس من التوقف والتحديق بالسماء لرؤية ما يمكن أن يحدث.

صرخ الملازم بهم بأن يدخلوا على الأقل للمباني. دفعت البعض منهم، ثم ألقيت نظرة أخيرة.

سأشعر بالخيبة إن لم يكن الفتى النفَّاث قد أسقط منطادًا على الأقل (سمعت أنه استخدم مدافع الهاوتزر الخاصة به). ولكن ذاك الشيء كان أكبر من طائرته وكان محمَّلًا بشيء. لسوء الحظ نفدت الذخيرة من الطيار ولم يعد على ذات الارتفاع. بدا وكأنه يدور في الأجواء ...

نسيت أن أخبركم بأن ذلك المنطاد كان يبدو وكأنه يحمل أسلحة كثيرة. كانت تنهمر على الطائر المقاتل كالأمطار الغزيرة.

ثم فجأة عاد بطائرته واصطدم بتلك الأسطوانة على المناطيد. صارا جسدًا واحدًا. لا بد أنه كان يماطل، يتعمَّد أن يطير ببطء إلى أن اصطدمت الطائرة بجانب ذلك الشيء.

بدا لي بعدها كأن المنطاد كان يسقط، قليلًا فقط. ولكن الملازم سحب المنظار من يدي فاضطررت إلى محاولة تركيز عيناي للرؤية قدر المستطاع.

سطع ضوء في السماء فظننت أن المنطاد قد انفجر.

اختبأت خلف سيارة ونظرت للأعلى؛ كان ما يزال في مكانه.

«احترسوا! فليختبئ الجميع!» صرخ الملازم، فساد الرعب بين المواطنين من جديد. صار الجميع يركض من ميل لميل، فمنهم من اختبأ خلف السيارات ومنهم من اختبأ خلف أقرب شيء منه، ومنهم من دخل عبر النوافذ. تحول الشارع لفيلم من «الحمقى الثلاثة» لبضع دقائق.

غرقت الشوارع ومحطة هدسون بعد بضع دقائق بأجزاء قطع طيارة حمراء.

ملأ الدخان والنار كل مكان. كانت قمرة القيادة كالبيض المهشم، والأجنحة مطوية كالمراوح الورقية. قَذفت روافع البدلة المضغوطة الفتى النفَّاث عند انتفاخها. ثنى نفسه ككرة حتى بدا كقطة خائفة.

انشطرت الأسطوانة إلى نصفين من مكان اصطدام أجنحة المقاتلة بها. وتكونت طبقة جليد من الأكسجين على القمرة المهشمة.

نزع الفتى النفَّاث خراطيم الأكسجين، فعبوة الأكسجين كانت تحتوي على مخزون هواء كافٍ لخمس دقائق. صارع للخروج من مقدمة الطائرة، وعاثر للفكاك من الأشرطة المعدنية التي كانت ملتفَّة حول ذراعيه وقدميه. لم يكن

يجب أن يحدث كل هذا، بل ببساطة كان من المفترض أن تقوم هذه البدلات بدفعك وشد حبل المظلة خاصتك.

تخبطت الطائرة بالهواء. أمسك الفتى النفَّاث بعمود هوائي بيده التي بها قفاز. انكسر الهوائي في يده فسارع للإمساك بآخر.

كان على علو اثني عشر ميلًا من المدينة. جعلت المباني المدينة تبدو كقنفذ من بعيد. تحطم محرك طائرته الأيسر وصار الوقود يتسرب منه، ثم فلت من الطائرة ووقع تحت الأسطوانة. شاهده يسقط أكثر وأكثر.

صار الهواء بنفسجيًا كالخوخ، وهيكل المنطاد متوهجًا كالنار في الهشيم في منتصف النهار. أما جوانب الأسطوانة باتت كالخردة، مكسرة ومدمرة.

تحطم المنطاد بالكامل كطبق من الزجاج.

حلَّق أحدهم فوق رأس الفتى النفَّاث الذي كان بارزًا من الفتحة في المعدن. كانت تتدلى منه خراطيم عديدة، وتبعه سقوط حطام من الهواء من جَرَّاء تخفيف الضغط المتفجر.

انخفض علو الطائرة.

مد الفتى النفَّاث يده نحو جانب الأسطوانة ووجد رافعة.

شعر بحزام المظلة قد علق على مصفوفة الرادار. التوت الطائرة وشعر بثقلها.

فتح أزرار حزام الأمان فتمزقت المظلة عن ظهره وبين قدميه.

ألتوت طائرته من المنتصف فصار شكلها مشابهًا للأحدب. كانت الأجنحة على وشك ملامسة قمرة القيادة من سوء حال الطائرة. انثنت بعدها من كلا الجهتين وتحطمت.

وقعت الطائرة على ما بدا وكأنه بقايا الرجل الذي وقع من الأسطوانة.

شاهد الفتى النفَّاث سقوط طائرته أثناء تدليه من يد واحدة على ارتفاع اثني عشر ميلًا.

أمسك معصمه الأيمن بيده اليسرى، ودفع نفسه حتى وضع قدمًا على جانب المنطاد، ثم شق طريقه للداخل.

كان هناك شخصان في الداخل: أحدهما عند أجهزة التحكم، والآخر وقف في الوسط خلف شيء دائري كبير. كان الأخير يدفع أسطوانة في فتحة بداخل الطائرة. وكان هناك برج مدفع رشاش محطم على جانب واحد من الأسطوانة.

مد الفتى النفَّاث يده لإمساك سلاح الخدمة عيار 38,٠

والذي كان مثبتًا على صدره. شعر بالألم من مجرد محاولة إمساكه، أما الركض تجاه الرجل خلف الصمام فشكل معاناة له.

كانوا يرتدون بدل غوص. وكانت بدلاتهم منفوخة وكأنها تم حشوها بعشر أو اثنتي عشرة كرة شاطئ. وكانوا يتحركون ببطء.

أحكم الفتى النفَّاث يده على زناد سلاحه عيار 38،٠ وأزاله من جرابه.

ولكن السلاح أفلت من يده وطار وارتطم بالسقف ثم وقع من الفتحة التي دخل منها.

أصيب الرجل عند أجهزة التحكم برصاصة واحدة، وانقض الطيار على الرجل الآخر.

ثبتت يده على معصم الآخر الذي كان يرتدي ملابس الغوص أثناء محاولة الأخير دفع الفتيل الأسطواني في جانب العلبة المستديرة. رأى الفتى النفَّاث أن الجهاز بأكمله مثبت على لوح باب مفصلي.

كان للرجل نصف وجه فقط، أما على الجانب الآخر فرأى الفتى النفَّاث معدِنًا أملسَ من خلال فتحة خوذة الغوص.

فتل الرجل الفتيل بكلتا يديه.

رأى من خلال السقف الممزق منطادًا آخر قد بدأ بالانكماش. شعر بعدها بأنهم يهبطون نحو المدينة.

أمسك الفتى النفَّاث الفتيل بكلتا يديه. اصطدم الرجلان ببعضهما مع تمايل المنطاد.

في المقابل، كان الرجل خلف المسؤول عن التحكم يجهز نفسه للهرب ويرتدي مظلته.

اصطدم الرجلان مرة أخرى من جراء تمايل آخر. حاول الرجل فتح الباب بجهد كبير.

لكن الفتى النفَّاث منعه.

تصادما معًا من جديد. حاول كل منهما حمل العلبة فأمسك كل منهما بدلة الآخر بيد والفتيل بيد أخرى.

أدار الفتى النفَّاث الفتيل نصف دورة.

أدركه الرجل ببدلة الغطس من خلفه وسحب عليه سلاحًا أوتوماتيكيًا عيار 45,٠. أبعد يده التي كانت مغطاة بكف ذهبية من الفتيل وسحب الزناد. رأى الفتى النفَّاث السلاح موجهًا نحوه.

«مت أيها الطيار! مت!»

ثم أطلق النار أربع مرات.

من بيان رجل الدورية فرانسيس في أوهوي، في ١٥ سبتمبر ١٩٤٦ عند الساعة ٦:٤٥ مساءً (التكملة).

ركضنا جميعًا ونظرنا للسماء فور توقف أمطار كتل المعدن. لمحت كتلة بيضاء تحت المنطاد، أسرعت لأخذ المنطاد من يد الملازم.

إنها مظلة. صليت لجميع السماوات أن يكون الفتى النفَّاث قد استطاع الفرار قبل تحطم طائرته.

ورغم معلوماتي المتواضعة حيال الطيران، فإني كنت أعلم أن فتح المظلة على ارتفاع كذاك يعني مصيبة.

وفجأة أثناء مشاهدتي، انفجر كل شيء في السماء. انفجرت كلها دفعة واحدة. حصل كل ذلك بغمضة عين، وملأ الدخان السماء بعدما كانت مليئة بالطائرات.

بدأ الجميع بالتشجيع. لقد نجح الولد مجددًا. لقد فجر المنطاد قبل أن يلقي القنبلة الذرية على جزيرة مانهاتن.

أمَرَنا الملازم بركوب الشاحنة لنحاول إنقاذ الفتى.

وبالفعل هذا ما فعلنا. صرنا نتساءل عن مكان هبوطه. أينما مررنا كنا نجد أناسًا وسط أكوام الخراب وألسنة النيران

تشجع وتهتف.

لاحظت بعد قيادتنا لعشر دقائق بعد الانفجار لطخة كبيرة في الهواء. عادت الطائرات الأخرى التي كانت مع الفتى النفَّاث، وحلقت في كل مكان في الهواء. كانت معها بعض طائرات الموستانج والثندرجاغز أيضًا. بدا الحال كعرض جوي منتظم.

بطريقة ما نزلنا بالقرب من الجسر قبل أن يفعل أي شخص آخر. ولحسن الحظ أننا فعلنا؛ وذلك لأنه عندما وصلنا إلى الماء، رأينا رجلًا يسقط على بعد حوالي عشرين قدمًا من الشاطئ. نزل مثل الصخرة. كان يرتدي بدلة الغطس. سبَحنا للقرب منه، وأمسكت بجزء من المظلة، وأخذ رجل إطفاء بعض الخراطيم، ونقلناه إلى الشاطئ.

ولكنه لم يكن الفتى النفَّاث. لقد كان، وبحسب ما وردتنا من معلومات، إدوارد «إدي اللذيذ» شايلوه. وهو مجرم مبتدئ.

كان في حالة مزرية. حصلنا على مفتاح ربط من سيارة الإطفاء وأزلنا خوذته. كان لونه أرجوانيًا مثل اللفت. استغرق الأمر منه سبعًا وعشرين دقيقة للوصول إلى الأرض. لقد أُغمي عليه بالطبع بسبب عدم وجود ما يكفي من الهواء هناك. كان أيضًا متجمدًا جدًّا لدرجة أنني سمعت أنه كان عليهم بتر إحدى قدميه وجميع أصابعه باستثناء الإبهام على

اليد اليسرى.

لكنه قفز من الشيء قبل أن ينفجر. نظرنا إلى الوراء، على أمل رؤية مظلة الفتى النفَّاث أو ما شابه، ولكن عبثًا حاولنا. لم أرَ سوى تلك اللطخة الكبيرة الضبابية هناك، وكل تلك الطائرات تدور حولها.

بعد ذلك أخذنا شايلوه إلى المستشفى.

هذا هو تقريري.

بيان إدوارد «إدي اللذيذ» شايلوه، في ١٦ سبتمبر ١٩٤٦ (مقتطف)

وضعنا القنابل الخمس في بضعة أكياس غاز. ثم صدم طائرته بنا مباشرة، فانفجرت. طار فريد وفيلمور دون مظلاتهم.

شعرت وكأنني مشلول حين انخفض الضغط، فقد ضاقت البدلة جدًّا. حاولت الحصول على مظلتي. رأيت أن الدكتور تود معه الفتيل وعلى وشك إدخاله في القنبلة.

شعرت وكأن الأسطوانة سقطت عن الطائرة. وبلمح البصر وجدت الفتى النفَّاث أمامنا ومعنا في الفتحة التي أحدثها بطائرته.

سحبت سلاح الروسكو خاصتي، ولكنني وجدت الطيار قد توجه مباشرةً نحو تود.

«أوقفه ... أوقفه!» صاح تود عبر جهاز اللاسلكي في البدلة. حاولت التصويب عليه لكنني أفلته. فجأة انقض على تود والقنبلة، فقررت حينها أن أنجو بنفسي.

هربت عندها، ولكنني كنت ما أزال أسمع صراخهما وشجارهما عبر جهاز الراديو. صرخ بعدها تود وأخرج سلاحه عيار 45،٠ وأفرغ أربع طلقات في صدر الفتى النفَّاث من مسافة أقرب من تلك التي بيني وبينك. وقع كلاهما على الأرض وقفزت عندها من فتحة الطائرة.

ثم استفقت هنا، وفي رأسي ملايين الأفكار المشوشة ...

... ماذا دار بينهما؟ لم يكن معظم كلامهما واضحًا لي. ما أستطيع استذكاره هو أمر تود لي بأن أوقفه؛ لذلك حاولت إطلاق النار عليه. وركضت بعدها نحو الفتحة. كانا يصرخان. لم أسمع بعدها سوى صوت الفتى النفَّاث عند تصادم خوذاتهما. لا بد أنهما تعاركا كثيرًا؛ لأن أنفاسهما كانت مسموعة بقوة على جهاز الراديو.

ثم أطلق تود النار على الفتى النفَّاث أربع مرات وقال: «مت يا فتى! مت!»

كنت عندها قد قفزت، ولا بد أنهما تَقاتَلَا قليلًا بعدها. ولكنني سمعت الفتى النفَّاث يقول: «لا يمكنني أن أموت، ليس بعدا! لم أشاهد فيلم قصة جولسون».

مرت ثماني سنوات على يوم وفاة توماس وولف، لكنه كان يومه المفضل عندما كان حيًّا. كان ذلك اليوم يوم وداع الصيف للأرض وحلول الخريف على جميع أنحاء أمريكا الشمالية والكرة الأرضية الشمالية.

ذلك الطقس القادم من القطبين وكندا بدلًا من الخليج والمحيط الهادئ.

في النهاية قاموا بنَصب نُصب تذكاري للطيار المقاتل؛ «الطفل الذي لا يمكن أن يموت بعد». أحد المحاربين القدامى ذو التسعة عشر ربيعًا الذي منع رجلًا مجنونًا من تفجير مانهاتن. كانوا قد أدركوا ذلك بعد أن ساد الهدوء على المدينة.

استغرقهم الأمر بعض الوقت لتذكُّر ذلك. لم يستطيعوا فورًا العودة للجامعات أو شراء ثلاجة جديدة. لقد استغرقهم الأمر طويلًا لتذكر ما كان عليه الحال قبل ١٥ سبتمبر ١٩٤٦. كانوا يعتقدون عند النظر لسماء مدينة نيويورك ورؤية الفتى

النفَّاث يفجر الطائرة المهاجمة أن مشاكلهم قد انتهت.

ولكنهم كانوا مخطئين. كانوا مخطئين أكثر من راعي الأغنام الذي أمَّن الذئب على غنماته؛ ظنًّا أنه كلب.

دانيال ديك

طياري المساعد جودوت

حياة الفتى النفَّاث

ليبينكوت، ١٩٦٣

توسع الضباب الخفيف من أعلى السماء وانحنى نحو الأسفل.

امتد جزء منه بفعل الرياح أثناء مروره عبر التيار النفَّاث باتجاه الشرق.

تشكل الضباب تحت تلك التيارات وتدلى كأعمدة المطر. استقر ببطء في المدينة أدناه وشكل مجاري المياه مرارًا وتكرارًا، لتتكسر المياه كالأحجار بالقرب من عاصفة.

وكان كلما نزل يصدر صوتًا لطيفًا يشبه صوت أمطار الخريف اللطيفة.

♣ ♦ ♠ ♥

النائم

بقلم روجر زيلازني

ترجمة فاطمة مازح

رحلةٌ طويلةٌ إلى المنزل

أربعة عشر عامًا كان عمره حين أضحى النوم عدوًّا له، هاجسًا مظلمًا وفظيعًا يهابه كما يهاب الآخرون الموت. لم تكن مشكلته عصبيةً بتعريفها الغامض، فمشاكل الأعصاب تُعرف بعناصرها اللامنطقيّة، في حين كان ما يهابه ينبع من سببٍ رئيسيٍ ويتبع مسارًا منطقيًا، مثل المسائل الهندسية.

ولم يلغِ هذا الأمر عدم وجود اللامنطقيّة في حياته. على العكس تمامًا. إذ صارت اللامنطقيّة نتيجةً لحالته لا سببًا، أو هذا ما حاول إقناع نفسه به على الأقل.

ببساطةٍ، كان النوم لعنةً عليه وعدوًّا له. كان جحيمَه الذي اشتراه على أقساطٍ.

وعلى عكس أعوامه الدراسيّة الثّمانية السّابقة، لم يتمكّن كرويد كرينسون من إنهاء الصف التاسع. ولكن الذنب لم يكن ذنبه إطلاقًا، فقد كان فتًى عاديًا بمستوًى دراسيٍّ متوسّطٍ وبنيةٍ معتدلةٍ ووجه يملؤه النّمش وعينين زرقاوين وشعرٍ

بنيٍّ أملس. كان يحب لعب الألعاب ذات الطابع الحربي مع أصدقائه، حتى انتهت الحرب الحقيقية ذات يوم. بعدها طغى طابع الشرطة واللصوص على ألعابهم أكثر فأكثر. وكان في خضم الحرب ينتظر بلهفةٍ دوره ليكون الفتى النفَّاث، ولكنه بعد الحرب غالبًا ما كان يلعب دور اللص في لعبة الشرطة واللصوص.

وبينما كان كرويد قد بدأ عامه الدراسي التاسع، فإنه لم يتمكن، كالكثير من أقرانه، من إتمام الشهر الدراسي الأول الموافق لسبتمبر من عام ١٩٤٦ ...

♣ ♦ ♠ ♥

«إلام تنظر؟»

استحضره سؤال الآنسة مارستون دون تعابير وجهها؛ إذ لم يشح بنظره عن المظهر الذي أمامه. فقد كان النظر بترقب غُرفًا له ولزملائه في الصف، خصوصًا مع اقتراب حلول الساعة الثالثة. وكان من الغُرف أيضًا تلبية نداء معلمتهم حين تناديهم، حتى ولو زيفًا؛ إذ ما يشغل بالهم في الواقع هو صوت جرس الانتهاء فحسب.

أما هو فكان رده: «المناطيد».

لم يكن وحده من ينظر، بل وثلاثة صبية وفتاتان ممن

كانوا يجلسون على مرمى نظرٍ واضحٍ؛ مما أثار فضول الآنسة مارستون ودفعها للتوجه نحو النافذة لتتوقف عندها وتحدق.

كما لو في ممر من السَّحاب، خمسة أو ستَّة عناصر صغيرة الحجم تحلِّق عاليًا وتتحرك كما لو أنها متصلةٌ ببعضها. وبمحاذاتهم طائرةٌ مرَّت بسرعة، لتتبادر بعدها إلى الأذهان الذِّكريات البيضاء والسوداء الطازجة لشريط الأخبار العاجلة. بدا المشهد في الواقع وكأنما الطائرة كانت تهاجم المناطيد الفضية.

راقبت الآنسة مارستون المشهد لبضع ثوانٍ ثم عادت أدراجها.

وقالت: «حسنًا جميعًا ... إنه مجرد ...»

وما لبثت أن دوّت صفارات الإنذار بعدها وحلَّت انقباضةٌ لا إراديةٌ على الآنسة مارستون.

«غارة جوية!» صرخت من المقعد الأول فتاةٌ تدعى شارلوت.

«كلا ليست كذلك». رد جيمي ووكر وقد ظهر تقويم أسنانه. «لم يعد هناك غارات، لقد انتهت الحرب».

«أعرف صوتها جيدًا، كلما انقطعت الكهرباء ...» جاوبت شارلوت ليقاطعها بوبي تريمسون موضحًا: «ولكن الحرب انتهت».

«يكفي جميعًا، من المرجَّح أن يكون الأمر مجرَّد تدريب عسكريٍّ حاليًّا فحسب». تابعت الآنسة مارستون.

ولكنها عندما نظرت للنافذة مجددًا، رأت لمحةً من نار في السماء قبل أن تحجب الغيوم منظر الصراع الجوي.

«فليلازم الجميع مقاعدهم». صرخت الآنسة للتلامذة الذين هموا بالتجمهر حول النافذة، وأضافت: «سأقوم بالتحقق من الإدارة عما إذا كان هناك تدريبٌ لم يُعلَن عنه وسأعود سريعًا. يمكنكم التحدُّث فيما بينكم بهدوء».

ثم غادرت مسرعةً وأغلقت الباب من خلفها بقوة. أما كرويد فتابع مراقبة لوحة الغيوم التي تشكَّلت، منتظرًا انجلاءها من جديد.

«إنه طيارٌ مقاتلٌ». قال كرويد مخاطبًا بوبي تريمسون من آخر الممر.

«بربِّك، ما عمله هناك. لقد انتهت الحرب». ردَّ بوبي.

«إنها طائرة حربية نفاثة، لقد رأيتها في نشرات الأخبار. كما

أنها تعمل هكذا. إنه يقود أفضل طراز».

«إنك تختلق أي كلامٍ وحسب». قالت ليزا من الخلف ولكن كرويد لم يكترث.

«إنه يقاتل الأشرار هناك، لقد رأيت النار، هناك إطلاق نار».

لم تتوقف صفارات الإنذار عن الدوي. ورافقها من الشارع صوت إيقاف فرامل عالٍ يتبعه بوق سيارةٍ قصير وصوت تصادم خفيفٍ.

«حادث!» ما لبث أن صرخ بوبي حتى ترك الجميع مقاعدهم وتوجهوا نحو النافذة.

عندها، نهض كرويد من مكانه كي لا تُحجب رؤيته. وجد موقعًا مميزًا لأنه قريب من النافذة. ولكنه على عكس الآخرين، لم ينظر إلى حادث التصادم، بل تابع النظر إلى الأعلى.

«لقد انبعج صندوق سيارته». قال جو سارزانو.

«ماذا؟» سألت إحدى الفتيات.

سمع كرويد أصوات الدوي تبتعد ورأى أن الطائرة لم تعد ظاهرةً.

«ما هذه الأصوات؟» سأل بوبي.

«قصف مضاد للطيران». أجابه كرويد.

«أنت مجنون!»

«إنهم يحاولون إسقاط الأشياء الطائرة، مهما كانت».

«نعم نعم بالطبع، تمامًا كما في الأفلام».

بدأت الغيوم بالتجمُّع من جديد. ظن حينها كرويد أنه قد رأى الطائرة مرةً أخرى وكأنها على وشك الاصطدام بالمناطيد، ولكنه لم يستطع التأكُّد مما رآه.

«اللعنة! اقضِ عليهم أيها الطيار!» قال كرويد.

ضحك بوبي مما جعل كرويد يدفعه بقوة.

«مهلًا! انتبه مَن الذي تدفعه!»

التفت كرويد نحوه، ولكن بوبي لم يبدُ مهتمًّا بمتابعة النقاش، بل كان ينظر من النافذة ويشير نحو أمرٍ ما.

«لماذا يركض هؤلاء الناس؟»

«لا أعلم».

«هل بسبب الحادث؟»

«لا».

«انظرا حادثٌ آخرًا»

انحرفت سيارة «ستوديبيكر» زرقاء بسرعة على مفرق الطريق كي لا تصطدم بالسيارتين المتوقفتين، ولكنها اصطدمت بشكل خفيف بسيارة «فورد» كانت تمر. اصطدمت كلتا السيارتين مما جعل السيارات المارة الأخرى تتوقف لتتجنَّب الاصطدام بدورها. تعالت أصوات أبواق السيارات. وفي المقابل استمرت أصوات القصف المضاد للطيران الخفيفة مع استمرار أصوات صفارات الإنذار، وصار الناس يركضون في الطرقات غير آبهين حتى لحوادث الاصطدام.

سألت شارلوت عندها: «هل تعتقدون أن الحرب اندلعت من جديد؟»

«لا أعلم». أجاب ليو.

وفجأةً امتزجت أصوات صفارات إنذار الشرطة مع أصوات أخرى.

«يا للهول، حادثٌ آخرًا»

وما لبث أن أنهى بوبي كلامه حتى اصطدمت سيارة «بونتياك» بمؤخرة إحدى السيارتين المتصادمتين. تَواجه السائقون الثلاثة على الفور، واحتد النقاش بين اثنين منهم،

في حين كان الآخر ببساطةٍ يتحدث ويشير بين الحين والآخر نحو السماء. ولكن بعد فترةٍ وجيزة غادروا جميعًا وهرعوا بعيدًا عن الطرقات.

«ما يحدث ليس تدريبًا عسكريًا». قال جو.

فأجابه كرويد وهو ينظر إلى غيمة تحولت إلى اللون الوردي من الشمس التي حجبتها. «أعلم. برأيي هناك أمرٌ سيئ للغاية».

ثم ابتعد عن النافذة وأخبر الجميع أنه سيذهب إلى منزله.

«ستُقحِم نفسك في المتاعب». قالت له شارلوت.

نظر كرويد إلى الساعة ثم قال: «أراهن أن الجرس سيُقرع قبل أن تعود المعلمة حتى». وأضاف: «لا أعتقد أنهم سيأذنون لنا بالمغادرة إن لم نغادر بأنفسنا الآن، خصوصًا مع كل ما يجري، وأنا عن نفسي أريد العودة إلى المنزل».

ثم استدار وتوجه نحو الباب.

«سأذهب أيضًا». أردف جو.

كلاكما «سيُقحم نفسه في المتاعب».

عبر كلا التلميذين الممر، ولكن ما إن اقتربا من الباب حتى ناداهما صوت ذكر بالغ: «أنتما الاثنان! عودا!»

ركض كرويد واندفع نحو الباب الأخضر الكبير ولم يتوقف للحظةٍ. وتبعه جو مباشرةً أثناء نزوله الدَّرَج. امتلأ الشارع بكلا الاتجاهين بالسيارات المتوقفة، ووقف الناس على أسطح المباني وعلى النوافذ يراقبون ما يجري بالسماء.

أسرع نحو الرصيف وانعطف يمينًا؛ إذ إن منزله يقع جنوبًا على بعد ستة أحياءٍ سكنيةٍ، ضمن مجموعة من ثمانين منزلًا متراصًّا مخالفًا للمقاييس. أما منزل جو فكان يقع على بُعد نصف المسافة هذه ثم شرقًا.

وقبل وصولهما إلى منعطف الطريق، أوقفهما تدفُّق الناس من جانب الطريق إلى اليمين، مما جعلهما يقتحمان بالتالي خط المشاة. كان الجميع يحاول العبور من بينهم للتوجه إما شمالًا أو جنوبًا. سمع الولدان بعض الشتائم وصوت مشاجرةٍ بالقرب منهما. شدَّ جو كُمَّ رجل وسأله عندما الْتفت له الأخير: «ما الذي يحدث؟»

أجابه الرجل: «قنبلة على الأغلب. حاول الفتى النفَّاث إيقاف حامليها وأعتقد أنه تم تفجيرهم. كما يمكن أن تنفجر القنبلة بأي لحظة إذ إنها ذرية على الأغلب».

«أين تم إسقاطها؟» صرخ كرويد.

فأشار عندها الرجل إلى الشمال الغربي مجيبًا: «هناك». ثم اختفى بعد أن شق طريقه من بين فتحةٍ بين الناس.

خاطب جو كرويد قائلًا: «كرويد، يمكننا عبور الشارع إذا قفزنا فوق غطاء السيارة».

أومأ كرويد برأسه ثم تبع صديقه الذي قفز على غطاء سيارة «دودج» رمادية كان ما يزال ساخنًا. انهال السائق عليهما بالشتائم لكنه لم يستطع فتح بابه بسبب حشود الناس، وكذلك الحال عند باب الركاب الذي لم يستطع فتحه سوى قليلًا قبل أن يصطدم برفرف سيارة أجرة. شق الولدان طريقهما من حول سيارة الأجرة وعبرا التقاطع من منتصفه، متجاوزين أثناء عبورهما سيارتين أخريين.

خفت حركة المشاة في وسط الحي التالي، وتراءت أمام ناظريهما فسحة فارغة كبيرة المساحة، فما كان منهما إلا أن ركضا باتجاهها ولكنهما توقّفا فجأة.

على قارعة الرصيف رجل مستلقٍ يعاني من تشنُّجات. كانت يداه ورأسه متورمة كثيرًا وقد تحول لونها للأحمر الداكن المائل للبنفسجي. وعندما اتضحت رؤيتهما للرجل، وجداه ينزف من أنفه وفمه وأذنيه وعينه وأطراف أصابعه.

«يا للهول! ما الذي حصل له؟» سأل جو وقد سيطر الخوف عليه.

«لا أعلم». أجابه كرويد، «فلنبق بعيدين عنه ونقفز فوق المزيد من السيارات».

وصلا إلى الطريق التالي بغضون عشر دقائق، ولاحظا أثناء رحلتهما أن أصوات السلاح قد سكنت منذ مدةٍ طويلةٍ، على عكس أصوات صفارات الإنذار بشأن الغارات الجوية وصفارات إنذار الشرطة وأبواق السيارات.

«أشم رائحة دخان». قال كرويد.

«أنا أيضًا. مع العلم أنه لو كان هناك ثمة حريق فلن تستطيع شاحنات الإطفاء إخماده».

«من الممكن أن تحترق المدينة برمتها».

«ربَّما الأمر ليس كما نتوقع».

«برأيي بلى».

تابع الولدان مسيرهما ولكنها علِقا بين حشود الناس، فأُبعِدا عن الزاوية.

«لن نستطيع العبور بهذا الشكل!» صاح كرويد.

ولكن الأمر لم يحمل أهميةً كبرى؛ إذ توقف الناس بعد لحظات.

عندها تساءل جو: «هل تعتقد أن بمقدورنا الزحف عبر الشارع والعبور من فوق السيارات مجددًا؟»

«لا ضرر من التجربة».

تكلّلت تجربتهما بالعودة للزاوية بالنجاح، رغم أن مسيرتهما كانت أبطأ من قبلُ؛ إذ لم يكونا وحدهما من يسير على ذات الطريق.

لمح كرويد عبر زجاج السيارة الأمامي وجه السائق الخالي الشبيه بالزواحف، ويديه المغطاتين بالحراشيف تمسكان عجلة القيادة بإحكام، رغم أنها انفصلت عن عمودها. ثم مات السائق. أشاح كرويد بنظره فرأى عمودًا من الدخان يتصاعد من خلف المباني في الشمال الشرقي.

لم يستطيعا إكمال المسير عند وصولهما للزاوية، فالناس هناك قد تجمهروا خائفين. لم يخلُ الأمر من الصرخات بين الحين والآخر؛ مما جعل كرويد على وشك البكاء. ولكنه كان يعلم أن لا جدوى من البكاء؛ لذلك حاول الحفاظ على رباطة جأشه.

«ما العمل الآن؟» سأل كرويد جو.

«إذا تطلب الأمر أن نبيت الليلة هنا يمكننا كسر زجاج سيارةٍ فارغة للنوم فيها».

«أريد الذهاب إلى المنزل!»

«أنا أيضًا. إذن فلنحاول قدر الإمكان اجتياز مسافةٍ بعيدةٍ».

تابع الولدان السير لساعةٍ تقريبًا ولم يجتازا سوى حيٍّ واحدٍ. وفي كل مرةٍ كانا يعبران فوق سيارة كانا ينالان نصيبهما من الشتائم والصراخ من السائقين. بعض السيارات التي اجتازاها كانت فارغةً، أما الأخرى ففضَّلَا عدم النظر إلى ما بداخلها. ومع تقدم الوقت زادت خطورة حركة المشاة؛ إذ زادت وتيرتها ورافقتها بعض المشاجرات القصيرة والصرخات الكثيرة، ناهيك عن عدد من الجثث التي وُضِعت على المداخل أو زوايا الطرقات. غلب شعور من الحيرة والدهشة على الناس لبضع ثوانٍ عند توقف صفارات الإنذار، ولكن هذا لم يدُم؛ إذ ما لبث أن تعالى صوت شخص يخاطب الناس عبر مكبر الصوت، ولكنه كان بعيدًا جدًّا مما جعل كلامه غير مفهوم، ما عدا كلمة واحدة كانت كفيلةً بإعادة الرعب لقلوب الجميع؛ الجسور.

عايش كرويد لحظة وقوع امرأةٍ من المبنى المقابل، ولكنه أشاح بنظره قبل ارتطامها بالأرض. ورغم عدم وجود بوادر

حريق في الأجواء، فقد ملأت رائحة الدخان الهواء. وعلى مسافةٍ قريبةٍ، كان يراقب الحشود تسير بشكل طبيعيٍ، إلا أن شخصًا من بينهم، لم يستطع التأكُّد من جنسه، انفجر فجأةٍ في وسطهم؛ مما جعلهم يتوقفون عن المسير ويعودون أدراجهم. هرع فورًا بعدها بدوره واختبأ بين سيارتين في وسط الطريق وانتظر لحاق صديقه به.

«أكاد أموت من الخوف يا جو. ربما من المحبذ أن نزحف تحت أي سيارةٍ ونختبئ ريثما تنتهي هذه الفوضى».

«راودتني الفكرة عينها، ولكن ماذا لو سقط جزء مشتعل من المبنى على السيارة وتسبب باشتعالها؟»

«ماذا تعني؟»

«إذا وصلت النيران لخزان الوقود ستشتعل السيارة برمتها وتنفجر، تمامًا كما المفرقعات النارية».

«يا إلهي!»

«يجب أن نكمل طريقنا. يمكنك المبيت لديَّ إذا كان الأمر أسهل بالنسبة لك».

رأى كرويد شخصًا يقوم بحركات شبيهة بالرقص ويمزق ملابسه ليبدأ بعدها شكله بالتغير. ثم بدأ أحدهم بالعواء في

آخر الشارع وصدر صوت انكسار زجاج.

تضاءلت حركة المشاة خلال النصف الساعة التالية إلى ما يُعدُّ مستوًى طبيعيًا لو حدث في ظروفٍ طبيعيةٍ. ويُرجَع الأمر إلى عدة أسباب منها: أن الناس قد وصلوا إلى وجهاتهم، أو أنهم نقلوا الازدحام إلى منطقةٍ أخرى. أما من كان لا يزال مارًّا فقد كان يعبر من بين الجثث. انزوى الناس من أسطح المباني ومن خلف النوافذ، وانخفضت أصوات أبواق السيارات وتحولت من دائمة لمتقطعة، كل هذا والولدان قد عبرا ثلاثة أحياءٍ وشارعًا منذ مغادرتهما المدرسة.

«سأنعطف من هنا». قال جو ثم أضاف: «هل تريد المجيء معي أو إكمال مسيرك؟»

«لقد هدأ الوضع على ما يبدو، سأكمل مسيري».

«أراك لاحقًا».

«حسنًا».

وانعطف جو بعدها إلى اليسار بسرعةٍ. راقبه كرويد قليلًا ثم أكمل مسيره. وفي أول الشارع، رأى رجلًا يركض من أحد المداخل صارخًا. كان يبدو وكأنَّ حجمه يتزايد وحركاته تصبح أكثر غرابة كلما اقترب من وسط الشارع. وفجأةً، انفجر. أسند كرويد ظهره على الجدار الواقع على يساره

وتحسس نبضات قلبه، ولكن لم يحدث بعدها أي اضطراب جديد. بعد لحظات سمع صوت المنادي من جديد. جاءت كلماته من الغرب هذه المرة وكانت أكثر وضوحًا: «الجسور مغلقة للمشاة والسيارات. لا تحاولوا عبور الجسور. عودوا إلى منازلكم. الجسور مغلقةٌ».

تابع مسيره، وأثناء رحلته سمع دوي إنذار وحيد من الشرق، ورأى طائرةً تحلق على علوٍّ منخفض. كما رأى على يساره جثةً مكومةً على بعضها أمام مدخل فاستعجل في سيره. ثم رأى دخانًا يتصاعد من الشارع المقابل وهَمَّ بالبحث عن مصدره، فوجده صادرًا من جثة امرأةٍ تجلس على عتبة بابٍ ورأسها بين يديها. تراءى له كأن حجمها يتضاءل كلما شاهدها، لتقع بعدها إلى جانبها مصدِرةً صوت حشرجةٍ غريبًا. حاول استرجاع رباطة جأشه وأكمل المسير.

مرت من أمامه شاحنة عسكرية فركض نحوها. التفت نحوه شخص يرتدي خوذة يجلس بجانب السائق وسأله: «لماذا لست في منزلك يا بني؟»

فأجابه: «أنا في طريقي الآن».

«أين يقع منزلك؟»

فأشار كرويد بإصبعه إلى اتجاه منزله وقال: «على بعد

حيين من هنا».

«اذهب إلى منزلك مباشرةً».

«ما الذي يحصل؟»

«إننا نخضع للقانون العرفي. على الجميع التزام منازلهم، ومن المحبَّذ أيضًا إبقاء النوافذ مغلقةً أيضًا».

«ما السبب؟»

«يبدو أنه تم إطلاق نوع من القنابل الجرثومية، ولكننا لسنا متأكدين بعد».

«هل كان الطيار ...؟»

«لقد استشهد الفتى النفَّاث. استشهد أثناء محاولته إيقافهم».

ترقرقت الدموع في عيني كرويد.

«هيا إلى منزلك. مباشرةً».

عبرت الشاحنة الشارع وواصلت طريقها نحو الغرب. ركض كرويد وأبطأ عندما وصل إلى الرصيف. بدأ يرتجف. وشعر عندها بالألم الذي أصاب ركبتيه، فقد جرحهما أثناء الزحف فوق السيارات. مسح عينيه. وشعر بالبرد الشديد. توقف عن

السير في منتصف الحي وتثاءب عدة مرات، فقد كان مرهقًا. كان متعبًا للغاية. عاود التحرك ولكنه شعر بقدميه أثقل من المعتاد؛ مما دفعه للتوقف مرة أخرى تحت شجرة. ولكنه سمع أنينًا من أعلاها.

نظر كرويد لأعلى الشجرة وأدرك أنها ليست ما كان يظن. لم تكن شجرةً بل كائنًا طويلًا وبنيًّا يمتلك جذورًا طويلةً ووجهًا بشريًّا طويلًا للغاية بالقرب من قمته. وكان الكائن هو مصدر الأنين. ابتعد كرويد عن الكائن، فمدَّ الأخير أحد أطرافه ليحاول إمساك كرويد من كتفه، لكن لحسن الحظ كانت أطرافه ضعيفةً مما مكّن كرويد من الابتعاد عنه ببضع خطوات، وجعل الكائن يئنُّ من جديد. شعر كرويد وكأنما المنعطف يبعد أميالًا، فتذكر عندها أنه ما يزال على بُعد مسافة حيٍّ لكي يبلغ وجهته.

اشتد تعبه الآن ولم يعد يستغرب أي شيء من العالم الجديد الذي عايشه اليوم. أصبحت الأمور كلها سواسيةً، سواءً رأى رجلًا يطير بنفسه، أو بركة طين بوجه بشري على يمينه، أو سيارةً مقلوبةً، أو كومةً من الرماد، أو شرائط هاتف معلقة ...

مشى نحو الزاوية وقد أثقله التعب. أسند ظهره إلى عمود الإنارة ثم انزلق وجلس تحته.

أراد إغلاق عينيه والنوم ولكنه كان يعلم أن ذلك يُعَد غباءً، فمنزله صار قريبًا. بضع خطوات وسيغمره دفء سريره الخاص.

أمسك عمود الإنارة ورفع نفسه عن الأرض. شارع واحد بعد ...

وصل إلى حيه وانفرجت أساريره. بضع خطوات فحسب تفصله عن باب منزله.

سمع صوت نافذة يُفتح ومن ثَمَّ اسمه. إنها إلين ابنة الجيران الصغيرة. نظرت إليه باستحقار وخاطبته: «البقاء لله في والدك».

انتابه البكاء ولكنه لم يقدر أن يذرف دمعة، فالتعب كان أقوى من أية حالةٍ قد تصيبه. أسند نفسه إلى الباب ورنَّ الجرس. كان متعبًا لدرجة لم يستطع التقاط مفتاحه حتى ...

وما إن فتح أخوه كارل الباب حتى خرَّ على الأرض ولم يستطع النهوض بعدها.

«لقد أنهكني التعب». أخبر أخاه ونام.

القاتل في قلب الحلم

مع اليوم الأول لانتشار فيروس البطاقات الجامحة، غطَّ

كرويد في سبات عميق دام لنحو أربعة أسابيع. ووجد فور استيقاظه أن الكثير من حوله قد تغير، كشكله والعالم من حوله وطفولته التي مضت أثناء نومه. ولم يقتصر التغيير الذي أصابه على زيادة طوله نصف قدمٍ؛ إذ أصابته أيضًا قوةٌ عظيمةٌ وكسا جسده شعرٌ أحمر ناعم. ولاحظ كرويد أثناء مراقبة نفسه في مرآة الحمام أن الشعر الذي كساه ليس بعادي؛ مما جعله يشعر بالاشمئزاز من منظره. تمنى لو كان لونه غير الأحمر فتلاشى اللون فورًا وحل مكانه شعر أشقر باهت يصاحبه وخزٌ مزعجٌ في جميع أعضائه.

أثار الأمر فضوله، فتمنى عندها لو أن الشعر يصبح أخضرًا. وبالفعل حصل ما أراد وشعر بذات الوخز مجددًا، لكن الشعور هذه المرة كان أقرب للاهتزاز. ثم تمنى لو يكون أسود اللون وهذا ما حصل، إلا أنه عاد للَّون الباهت. وحثه فضوله على تجربة المزيد من الألوان، فصار يختبر الدرجات الباهتة تلو الأخرى. بقي على هذه الحال طويلًا حتى بدأ يختفي تدريجيًا. تحول إلى كائنٍ شفاف يمكن الرؤية من خلاله حتى اختفى تمامًا.

رفع يديه أمام وجهه ولكنه لم ير شيئًا. حمل منشفته الرطبة ووضعها أمام صدره فوجدها صارت شفافةً أيضًا؛ اختفت رغم أنها ما تزال موجودة.

أعاد نفسه إلى الأشقر الباهت، فهو مقبولٌ اجتماعيًا أكثر من الخيارات الأخرى. ارتدى ثيابه بصعوبةٍ بالغةٍ، فما كان يومًا بنطاله الفضفاض صار بالكاد يغطي ساقيه، أما قميصه الأخضر من قماش الفلانيل، فلم يستطع إغلاق كامل أزراره بالكامل. نزل الدرج حافي القدمين وبهدوء قاصدًا المطبخ. كان الوقت يقترب من الثالثة صباحًا ولكنه كان يتضور جوعًا. تفقد أفراد عائلته، أمه وأخاه وأخته، دون إزعاجهم.

في المطبخ وجد نصف رغيفٍ من الخبز في الصندوق فالتهمه بنهمٍ. كان يأكل بشراهةٍ كبيرةٍ، مما جعله يعض إصبعًا عن غير قصد، فقط حينها أبطأ بالأكل قليلًا. كما وجد شريحة لحم وقطعة جبن في البراد، وبالطبع أكلهما. وشرب أربعة أكوابٍ من الحليب. وتسلى بتفاحتين وجدهما على المنضدة أثناء بحثه عن المزيد من الطعام في خزانات المطبخ. كما عثر على علبة مقرمشاتٍ وتناولها أثناء إكماله عملية البحث، وألحق بها ست قطع من البسكويت، ونصف وعاء زبدة فول سوداني تناوله بالملعقة.

التهم كل ما وقع نظره عليه. لم يعد هناك طعام ولكن جوعه لم يخفت. فجأةً صدمته فظاعة ما تناول؛ إذ قضى حتى على فتات الطعام الموجود في المنزل. وتذكر بعدها النهار العصيب الذي عايشه أثناء عودته لآخر مرة من

المدرسة. ماذا لو كان البلد يعاني من فقرٍ بالغذاء؟ ماذا لو كانوا يتبعون سياسة التقشُّف؟ لقد تناول الطعام المفروض أن يكون للجميع، وحده.

كان يعلم أنه يتوجب عليه توفير الطعام لنفسه ولعائلته. توجه نحو غرفة الجلوس ونظر من النافذة فوجد الشارع خاليًا من معالم للحياة. تبادرت إلى ذهنه مسألة القانون العرفي الذي سمع به أثناء عودته من المدرسة منذ وقتٍ مجهول. كم مضى على نومه؟ كان يعلم بينه وبين نفسه أن مدةً ليست بقصيرة قد مضت بالفعل.

ما إن فتح باب منزله حتى استقبله برد الليل. خيَّمت الظلمة فكان مصدر الضوء الوحيد هو عمود الإنارة غير المكسور، وكان يشعُّ من بين أغصان الشجرة القريبة. وبدا وكأن معظم أشجار الحي لم تقوَ على مفارقة أوراقها خلال ظهر ذلك اليوم المشؤوم، فتمسكت بالقليل على أغصانها بينما تساقطت البقية على أطراف الطريق. أخذ مفتاح المنزل الاحتياطي وخرج من المنزل ثم أقفل الباب من خلفه. ورغم أنه كان حافي القدمين، فإنه لم يشعر بالبرد حين لامست قدماه الدَّرَج رغم أنه كان متأكدًا من برودته.

توقف فجأةً واختبأ في الظلام، فقد كان يخاف من المجهول.

رفع يده أمام ضوء الشارع وتمتم لنفسه: «باهت ... باهت ... باهت ...».

اختفى جسده شيئًا فشيئًا فصار الضوء يعبر عبره، واستمر كذلك حتى اختفى تمامًا وشعر بجسده يرتجف. لم يعد يشعر بوجود شيءٍ منه سوى رجفة جسده.

خالجته طاقة عظيمة فأسرع بالمسير. لم يجد أي أثرٍ للكائن الغريب الشبيه بالشجرة في الحي المجاور، تمامًا كما لم يجد أثرًا للحياة في الشارع، ولكنه لم يخل من الكثير من الحطام والدمار الذي طال حتى تقريبًا جميع السيارات المركونة. كما لاحظ أنه يكاد لا يمر بجانب مبنى إلا ووجد نافذةً على الأقل مسدودةً بقطعة كرتون أو خشب. أما الأشجار على جانب الطريق فصارت عبارة عن جذوعٍ متشظيةٍ. حتى إشارة المرور المعدنية لم تسلم من الضرر وانثنت بشدة إلى جانبٍ واحدٍ. شد في سيره وقد فاجأه كم تقدم في مسيره. وأخيرًا مر بجانب مدرسته ووجدها سالمةً من الأضرار، ما عدا بعض النوافذ المخلوعة، فأكمل مسيره.

زار ثلاثة متاجر بقالة عبثًا؛ إذ لم يجد باستقباله سوى عبارة «مغلق حتى إشعار آخر». ما كان منه سوى أن اقتحم الثالث، ولم يجد صعوبةً بذلك، إذ كل ما تطلب الأمر منع هو دفع الألواح الخشبية. أشعل الضوء ووجد المكان يعمه الخراب،

فعلم عندها أنه قد تم نهب المتجر بالكامل.

حوَّل وجهته نحو القسم العلوي من المدينة، ومر بالقرب من أنقاض العديد من المباني المحترقة. سمع صوتين من أحد المباني، أحدهما أجش والآخر عالٍ وحاد، وتبعهما بعض لحظات من وميض ضوءٍ أبيضٍ وصراخ. وتزامن الحدث مع سقوط جزء من جدار طوب على ظهره وعلى الرصيف. لم يجد سببًا للبحث. كما ظن أنه قد سمع صوتًا من قنوات الصرف الصحي بين الحين والآخر.

تجوَّل تلك الليلة لأميالٍ، ولم ينتبه إلى أن أحدًا يتبعه حتى اقترب من ميدان تايمز. ظن لأول وهلةٍ أنه كلب، لكن الأخير اقترب منه فانتبه كرويد إلى ملامحه البشرية. توقف حينها وواجهه، فجلس الكائن على بعد عشرة أقدامٍ تقريبًا ونظر إليه.

«أنت منا أيضًا». قال الكائن بنبرة عواء.

«أيمكنك رؤيتي؟»

«بل شمك».

«ماذا تريد؟»

«الطعام».

«أنا كذلك».

«سأدلك أين يمكنك إيجاد الطعام، ولكن مقابل حصة».

«حسنًا. هيا».

اصطحبه الكائن إلى منطقةٍ معزولةٍ فيها عشر شاحنات عسكرية مركونة والعديد من العساكر.

«ماذا يحدث هنا؟» سأل كرويد.

«سأشرح لك لاحقًا. ستجد الطعام في الشاحنات الأربع على يسارك».

تجاوز كرويد الحدود بسهولة وتوجه نحو مؤخرة السيارة وأخذ حمولة يديه من العبوات، ثم عاد من حيث جاء. توجه و«الكائن الكلب» نحو مدخل على بُعد حيين، حيث عاد كرويد إلى طبيعته تدريجيًا ثم شرعا في تناول الطعام بشراهة.

أطلعه «الكائن الكلب»، واسمه بنتلي، على الأحداث التي تلت استشهاد الفتى النفَّاث، والتي تزامنت مع سبات كرويد. أخبره عن الهجوم على جيرسي، وأعمال الشغب، والأحكام العرفية، و«التاكيونين»، وعشرة الآلاف حالة وفاة بسبب الفيروس، وعن الناجين الذين تحولوا؛ المحظوظين وسيئي

الحظ.

أنهى بنتلي كلامه قائلًا: «باختصار، أنت من المحظوظين».

«لماذا أشعر وكأنني العكس؟»

«لقد حافظت على طبيعتك البشرية على الأقل».

«هل راجعت الدكتور تاكيون إذن؟»

«كلا، ذلك الرجل يكاد لا يجد وقتًا لحك شعره، لكنني سأحاول على أية حال».

«يجب عليّ مراجعته أيضًا».

«ربما».

«ماذا تعني بربما؟»

«لماذا تريد العودة لطبيعتك؟ إنك أفضل حالًا هكذا. يمكنك الحصول على ما تشاء وفعل ما تشاء».

«هل تقصد السرقة؟»

«الغاية تبرر الوسيلة. الأوقات العصيبة التي نعايشها تستدعي منك ذلك».

«ربما أنت محق».

«يمكنني تزويدك ببعض الملابس التي قد تناسبك».

«أين هي؟»

«هناك».

«حسنًا».

لم يجد كرويد صعوبةً في اقتحام باب متجر الملابس الخلفي الذي قاده بنتلي إليه. تلاشى مرة أخرى بعد ذلك وعاد ليحصل على حمولة أخرى من طرود الطعام. مشى بنتلي بجانبه ورافقه بطريقه إلى المنزل.

«هل تمانع مرافقتي لك؟»

«أبدًا».

«أريد أن أرى منزلك. يمكنني تزويدك بالعديد من الأغراض المفيدة».

«حقًّا؟»

«أريد صديقًا يدعمني بالطعام. ألا تعتقد أن شراكتنا ستعود بالفائدة على كلينا؟»

«نعم».

من بعد ذلك اليوم، أصبح كرويد عائل أسرته. لم يسائله أخاه وأخته الأكبر عن مصدر الطعام والمال الذي كان يحصل عليه بسهولة أثناء غيابه ليلًا. كذلك لم تفعل والدته، فعن نفسها كانت ما تزال غارقةً بأحزانها على فقدان والده. أما بنتلي مرشده ومعلمه في هذه الأمور، فقد حفظ سره في أمور أخرى، فقد كان ينام في الحي أينما سنحت له الفرصة.

«ربما يجدر بي زيارة ذلك الطبيب الذي ذكرته». قال كرويد أثناء إخراجه صندوق المعلبات الذي أخذه من المستودع وجلوسه عليه.

«تاكيون؟» سأل بنتلي وهو يفرد جسده بطريقة لا تشبه الكلاب.

«بعينه».

«ما الخطب؟»

«لا أستطيع النوم. لم يزرني النوم لحظةً منذ أن استيقظت منذ خمسة أيام».

«إذن؟ لا أرى مشكلةً في ذلك. بالعكس هذا يعطيك وقتًا أكثر لتفعل ما تشاء».

«لكنني بدأت أشعر بالإرهاق. أشعر بالإرهاق ولا أتمكن من

النوم».

«ستنام في نهاية المطاف. لا داعي لزيارة تاكيون. أساسًا حتى لو حاول علاجك فإن فرصك بالشفاء ضئيلة، تقريبًا الربع أو الثلث».

«كيف لك أن تعلم؟»

«لقد راجعته».

«أوه!»

تناول كرويد تفاحةً ثم تابع السؤال: «إذن هل ستجرب العلاج؟»

«أحتاج إلى التشجيع. من منا يود عيش بقية حياته ككلب؟ وكلب فاشل أيضًا. بالمناسبة أريدك أن تجلب لي طوق براغيث من متجر الحيوانات الأليفة على طريقنا».

«حاضر. أتساءل ... هل سأخلد للنوم لمدة طويلةٍ كما حدث سابقًا إذا شاءت الأقدار واستطعت النوم؟»

استسلم بنتلي وجاوب بعدم اهتمام: «من يدري».

«من سيعتني بعائلتي حينها؟ من سيعتني بك؟»

«أنت محق. أعتقد أنني سأنتظر فترةً وسأجرب العلاج إذا

ما توقفت أنت عن الخروج ليلًا. أما بشأن عائلتك فيفضل أن توفر لهم مبلغًا من المال. لن يدوم الحال هكذا، وسيكونون على رأس الهرم إذا كانوا يملكون المال».

«أنت محق».

«أنت قوي كالجبل، هل تعتقد أنه بمقدورك فتح خزينة؟»

«ربما. لا أعلم».

«سنجرب الأمر كذلك أثناء عودتنا. أعرف مكانًا جيدًا».

«حسنًا».

«... وربما بعض بودرة البراغيث».

♥ ♠ ♦ ♣

ومع اقتراب الصباح، كان كرويد جالسًا يقرأ ويأكل حين سيطرت عليه نوبة تثاؤب. نهض من مكانه فشعر بثقلٍ مفاجئٍ في أطرافه. تسلق الدَّرَج ودخل غرفة كارل وأيقظه.

«ما الأمر يا كرويد؟» سأله كارل.

«أشعر بالنعاس».

«اخلد للنوم إذن».

«لقد مر وقت طويل منذ أن نمت آخر مرة. أخاف أن أنام

طويلًا كما حصل من قبل».

«أوه!»

«لذلك هاك بعض المال كي تستطيع الاعتناء بالجميع في حال نمت طويلًا».

وفتح بعدها الدُّرج العلوي من خزانة كارل ووضع رِزمةً ضخمة من الأموال تحت الجوارب.

«آه كرويد ... من أين حصلت على هذه الأموال؟»

«لا شأن لك بذلك. هيا عد إلى النوم».

عاد إلى غرفته وغيَّر ملابسه ثم دخل سريره. سيطر عليه برد شديد.

♥ ♠ ♦ ♣

عندما استيقظ كان هناك صقيع على زجاج النوافذ. عندما نظر إلى الخارج، رأى أن هناك ثلجًا على الأرض تحت سماء رصاصية. كانت يده على العتبة عريضة ومظلمة وأصابعه قصيرة وسميكة.

تفقَّد نفسه في مرآة الحمام. وجد نفسه شخصًا ذا بنيةٍ قويةٍ يبلغ طوله حوالي خمس أقدام ونصف ويمتاز بعينين بنيتين وشعرٍ داكنٍ. لاحظ علامات قاسية شبيهة بالندبات

على مقدمة ساقيه وذراعيه وكتفيه وأسفل ظهره وأعلى عنقه. وبعد خمس عشرة دقيقة اكتشف أنه يستطيع رفع درجة حرارة يده إلى النقطة التي اشتعلت فيها النيران في المنشفة التي كان يحملها. مرت بضع دقائق أخرى قبل أن يكتشف أيضًا أنه بمقدوره توليد الحرارة من أي عضوٍ في جسده، وذلك بعد أن أشعل النار بالبساط والمشمع عن طريق الخطأ.

لم يكن هناك نقص في الطعام هذه المرة، مما جعله يتناول الطعام لساعة دون توقف قبل أن يسكن جوعه. ارتدى بنطالًا رياضيًا خفيفًا وبلوزة. تساءل في نفسه عن نوعية الثياب التي يمكنه الاحتفاظ بها إذا كان شكله سيتغير كلما خلد في سبات.

ولم يكن هناك داعٍ للخروج ليلًا والبحث عن الطعام، فقد أدت أعداد الوفيات الهائلة الناتجة عن الفيروس إلى حدوث فائضٍ في المواد الغذائية في المستودعات؛ ومن ثَمَّ عاودت المتاجر فتح أبوابها بشكل طبيعي، ورجعت حركة الشراء إلى طبيعتها.

قضت أمه معظم أيامها في الكنيسة، وإخوته كارل وكلوديا على مقاعد الدراسة بعد إعادة فتح المدارس، أما هو فكان يعلم أنه لن يتمكن من معاودة الدراسة. وبالرغم من أن مبلغ

الأموال الذي كان بحوزته كان ما يزال كافيًا، فكر كرويد أن لا ضرر من تأمين المزيد، فبعد البحث والتفكر وجد أنه نام تسعة أيام أكثر من المرة السابقة. تساءل عما إذا كان يمكنه فتح باب الخزانة المعدني بحرارة يده، فقد عانى كثيرًا أثناء فتح الخزانة السابقة حتى كاد يستسلم، رغم تأكيد بنتلي أنها مجرد صفيحة قصدير. لذلك، آثر التجربة على قطعة أنبوب مجلفن في الخارج.

رسم خطته بعناية، ولكن تقديراته لم تصب الهدف، إذ تطلب الأمر فتحه لثماني خزانات ليجمع المبلغ المطلوب. ولم يسعفه الحظ أثناء محاولاته العديدة؛ إذ تم تفعيل أجهزة الإنذار في الكثير من المنازل مما زاد من حدة توتره. ولعلَّ ما زاد الطين بلة هو أن معظم الخزانات لم تحتوِ سوى أوراق. كان يأمل أن تكون بصمات أصابعه قد تغيرت مع تغير شكله أثناء نومه. كان يعمل بأسرع ما يمكنه. وكم تمنى لو أن بنتلي معه، فهو يعلم ما الذي يجب فعله. لطالما لمَّح الكائن الكلب أن مجال عمله يدخل حيز الأعمال غير القانونية.

مرت الأيام أسرع مما كان يشتهي. جدَّد خزانة ملابسه لتلائم جميع احتياجاته. وصار يجوب أرجاء المدينة خلال الليل ويتفقد آثار الدمار المتبقية وأعمال التصليح المستمرة. كما تابع أخبار المدينة والعالم التي حصلت خلال نومه. بات

من السهل تصديق كلام رجل من الفضاء الخارجي بعد أن أضحت نتائج الفيروس تتمحور حوله. سأل رجلًا بقبة من الرصاص وأصابع متلاصقة عن الدكتور تاكيون، فأعطاه الرجل عنوان الدكتور ورقمه. احتفظ كرويد بالمعلومات في محفظته ولم يزر الدكتور أو يتصل به حتى، فماذا لو فحصه الدكتور وعالجه في حين أنه لم يكن بمقدور أحد في عائلته جني قوت يومه؟

جاء اليوم الذي بلغت فيه شهيته ذروتها مرة أخرى، وكان يعلم أن هذا الأمر يعني تحضُّر جسده لتغيير جديد. حاول هذه المرة مراقبة مشاعره بانتباه شديد كي يستطيع فهم الأمور في المستقبل. استغرق الأمر بقية ذلك النهار والليل وجزءًا من اليوم التالي قبل أن تنتابه القشعريرة ويغلب عليه النعاس. ترك رسالة يبلغ بها الآخرين عن سباته؛ وذلك لأنهم كانوا بالخارج عند بدء العوارض. وفي هذه المرة أغلق باب غرفة نومه لأنه علم أنهم كانوا يراقبونه بانتظام أثناء نومه، بل إنهم كانوا قد استدعوا طبيبًا ذات مرة، أو بالأحرى طبيبةً. أوصتهم الطبيبة بحكمة أن يتركوه ينام، وذلك بمجرد أن علمت عن تاريخ حالته. وكانت قد اقترحت أيضًا أن يرى الدكتور تاكيون عندما استيقظ، لكن والدته أضاعت الورقة التي تضمنت اقتراحات الطبيبة. كان من الواضح أن السيدة كرينسون لم تكن في أفضل حالاتها العقلية حينها.

ومرةً أخرى، راوده ذات الحلم. استطاع هذه المرة الانتباه إلى أنه حلم نفس الحلم من قبل وتذكره. استذكر مشاعر الخوف التي رافقته ذلك اليوم أثناء عودته من المدرسة. كان يسير في شارعٍ مُضاء، وكان الشارع يبدو خاليًا ولكنه ما لبث أن سمع صوتًا من خلفه، فالتفت ليتحقق منه. رأى الناس يخرجون من المداخل والنوافذ والسيارات وغرف التفتيش وأشخاصهم وأقدامهم متجهة نحوه. تابع مسيره ولكنه سمع ما بدا كالتنهد الجماعي من خلفه؛ ما دفعه للنظر مرة أخرى ليجد الناس يتبعونه بعدائية وقد تجلت تعابير الكراهية على وجوههم. صار الخوف يتحكَّم بقدميه، فقد بات متأكدًا أنهم يسعون خلفه. يسعون لتدميره ...

♥ ♠ ♦ ♣

استفاق هذه المرة بمظهرٍ بشع ودون أي قوى خارقة. كان أجرد وبأنفٍ كبير. غطت الحراشف الخضراء والرمادية جسده وطالت أصابعه، ونمت لديه مفاصل إضافية. صارت عيناه صفراوان ومشقوقتان، وإذا حدث وأن وقف كثيرًا، كان يصيبه ألم عظيم في فخِذيه وأسفل ظهره؛ لذلك كان من الأسهل له الزحف على قوائمه الأربع. أما حين أراد التعبير عن غضبه إزاء حالته، صدر منه صوت صفير بارز.

كان المساء لا يزال في أوله عندما سمع أصواتًا من الأسفل.

فتح الباب قليلًا ووقف خلفه ثم نادى فلبَّاه أشقاؤه كلوديا وكارل بسرعة.

«كرويد! هل أنت بخير؟» سأله كارل.

«نعم ولا». جاوب كرويد بصوت يشبه الفحيح ثم أردف: «سأصبح بخير فور أن آكل، إنني أتضور جوعًا. أريد الطعام، الكثير من الطعام ... فورًا!»

«ما الخطب؟» سألته كلوديا. «لماذا لا تخرج؟»

«فلنتكلم لاحقًا! أحتاج طعامًا فورًا!»

رفض مغادرة غرفته أو السماح لأسرته برؤيته. كانوا يحضرون له الطعام والمجلات والصحف، وكان يقضي وقته بالاستماع للراديو والتنقل على قوائمه الأربع. شعر بالتوق للنوم هذه المرة بعد أن اعتاد الخوف منه. استلقى على السرير على أمل أن يأتي قريبًا، لكنه حرم منه لنحو الأسبوع.

عندما استفاق في المرة التالية، وجد نفسه كائنًا يبلغ طوله نحو ستة أقدام بشعر داكن وجسد نحيل وملامح مقبولة. كان يتمتع بقوة تمتَّع بها سابقًا عدة مرات ولكن دون قوى خارقة، لكنه ما لبث أن اكتشف العكس عندما انزلق على الدرج أثناء إسراعه إلى المطبخ. فحينها وجد أنه قد أنقذ نفسه بالطيران.

وجد لاحقًا ملاحظةً كتبتها له كلوديا ووضعتها على بابه. كان مضمون الملاحظة رقم هاتف بنتلي. احتفظ بها في محفظته، إذ إن مكالمةً أخرى كانت على سلم أولوياته.

♣ ♦ ♠ ♥

نظر إليه الدكتور تاكيون وابتسم ابتسامةً طفيفة.

ثم قال: «كان من الممكن أن تكون حالتك أسوأ».

«كيف؟»

«حسنًا، كان من الممكن أن تُرسَم جوكرًا».

«ماذا رُسِمت إذن؟»

«حالتك من أكثر الحالات المثيرة للانتباه من بين الحالات الأخرى التي عاينتها. ملخص جميع الحالات الأخرى أن مفعول الفيروس يسري وفي النهاية يقتل المصاب أو يغيره للأفضل أو الأسوأ. أما أنت، فأقرب تشبيه لحالتك شبيه بتشخيص مرض الملاريا الأرضي. يبدو أن الفيروس الذي تحمله يتجدَّد كل فترة».

«كان الجوكر من حظي ذات مرة».

«نعم، وقد تصيبك ذات الحالة مرة أخرى، ولكنك على

عكس الآخرين ممن أصابتهم، جل ما عليك هو الانتظار. يمكنك النوم حتى تنقضي فترتها».

«لا أريد أن أصبح ذلك الوحش مجددًا. هل من طريقة لتغيير هذا الجزء من حالتي فقط؟»

«مع الأسف. هذه الحالة جزء من الأعراض الكلية. أنا لا أعالج عارضًا واحدًا بل الحالة ككل».

«هل نسبة شفائي ثلاثة من أربعة؟»

«من أخبرك بهذا؟»

«جوكر يدعى بنتلي. إنه يشبه الكلب تقريبًا».

«بنتلي من حالات العلاج الناجحة لديَّ. لقد عاد بشريًا. في الواقع لقد غادر مؤخرًا».

«أحقًّا؟! من الرائع معرفة أن أحدهم قد نجا».

أشاح تاكيون بنظره وأجاب بعد لحظات:

«نعم».

«أخبرني شيئًا».

«ماذا؟»

«إذا كنت أتغير أثناء النوم إذن يمكنني تأجيل التغيير إذا ما

بقيت مستيقظًا، أليس كذلك؟»

«أرى ما تعنيه. نعم، قد تؤخر المنبهات حدوث الحالة قليلًا. إذا شعرت ببدء العوارض أثناء تواجدك في مكان ما، فمن المحتمل أن يمنع الكافيين الموجود في فنجانين من القهوة نومك لفترة كافية إلى حين عودتك إلى المنزل».

«هل هناك من شيء أقوى؟ أعني شيئًا يؤخر نومي لفترة أطول».

«نعم، هناك منبهات أقوى، كالأمفيتامينات مثلًا. لكنها يمكن أن تكون خطيرة إذا تناولتها بكثرة على المدى طويل».

«خطيرة من أي ناحية؟»

«قد تسبب العصبية والهيجان والعدوانية. أما على المدى البعيد فقد تسبب الذُّهان السام والاضطراب الوهامي والهلوسة وجنون الارتياب».

«الجنون؟»

«نعم».

«يمكنني الإقلاع عنها في حال شعرت بأي من هذه العوارض، أليس كذلك؟»

«مع الأسف الأمر ليس بهذه البساطة».

«لا أريد أن أكون وحشًا مرة أخرى أو ... لم تقل ذلك، ولكن أليس من الممكن أن أموت خلال إحدى السباتات؟»

«هذا الاحتمال وارد. هذا فيروس شرير، ولكنك تخطيت الكثير من الهجمات حتى الآن. برأيي جسمك يعرف ما يفعله؛ لذلك لن أقلق نفسي أكثر من اللازم بشأن ذلك».

«إن ما يزعجني حقًّا هو موضوع الجوكر».

«هذا احتمال عليك ببساطة أن تتعايش معه».

«حسنًا. شكرًا لك يا دكتور».

«أتمنى أن تأتي إلى مستشفى جبل سيناء في المرة القادمة التي تشعر فيها بحدوث العوارض. أود حقًّا مراقبة العملية فيك».

«أفضل ألا أفعل».

أومأ تاكيون برأسه.

«أو يمكنك القدوم فور استيقاظك ربما؟»

«ربما». أجابه كرويد ثم صافحه.

«بالمناسبة يا دكتور، كيف تلفظ كلمة (أمفيتامين)؟»

♥ ♠ ♦ ♣

مر كرويد على منزل عائلة سارزانو بعد موعده، فهو لم ير جو منذ آخر يوم في سبتمبر؛ يوم عادا من المدرسة سويًّا، لقد حدت مقتضيات كسب العيش من وقت فراغه منذ ذلك الحين.

فتحت السيدة سارزانو الباب بمقدار شق وحدقت به. عرَّف كرويد عن نفسه وحاول شرح سبب تغير شكله، ولكنها مع ذلك رفضت فتح الباب أكثر.

«صغيري جو ... لقد تغير أيضًا». قالت.

«امم، ماذا تعنين بتغير؟» سألها كرويد.

«تغير ... لقد تغير ... ارحل من هنا».

ثم أُغلِق الباب.

طرق كرويد الباب مجدَّدًا ولكنه لم يلق جوابًا، فغادر وتناول ثلاث شرائح لحم، فلا شيء على جدول أعماله.

♣ ♦ ♠ ♥

درس كرويد ملامح بنتلي الجديدة بتمعن؛ ذاك الرجل الصغير الحجم ذو الملامح الماكرة والشعر الداكن والعينين الزائغتين، تلك الملامح التي تجعلك تشعر وكأن شكله فقط ما تغير ولكن طباعه العامة بقيت على حالها. بالمقابل، تأمل

بنتلي كرويد لبضع ثوانٍ ثم سأله: «أحقًّا هذا أنت يا كرويد؟»

«نعم».

«هيا ادخل اجلس. اشرب بعض العصير، لدينا الكثير لنتكلم عنه».

أفسح بنتلي الطريق ليدخل كرويد إلى الشقة المفروشة والزاهية.

«لقد شفيت وعدت على رأس عملي ولكن سوق العمل راكدة». قال بنتلي بعد أن جلس كلاهما. «ماذا عنك؟»

أطلع كرويد بنتلي عن حالته والتغييرات التي تصيبه والقوى التي تصاحب كل تغيير. كما أخبره عن حديثه مع تاكيون ولكنه أغفل إخباره عن عمره؛ وذلك لأن جميع التغييرات التي عايشها جعلته يبدو في سن الرشد. كان يخشى ألا يثق به بنتلي كما يثق به الآن إذا علم حقيقة الأمر.

«لم تقم بالمهمات كما يجب». قال الرجل صغير الحجم بعد أن أشعل سيجارةً وسعل، ثم أردف: «يجب ألا تترك الأمر للقدر، بل يجب أن تخطط للأمر بعناية. يجب أن تستغل قواك الخارقة في كل مرة. لقد أخبرتني أنك تستطيع الطيران هذه المرة أليس كذلك؟»

«نعم».

«ممتاز. هناك الكثير من الأماكن المرتفعة في ناطحات السحاب التي يعتقد الناس أنها آمنة جدًّا. الآن هو الوقت الأمثل لإصابة الهدف. وأفضل ما في الأمر أنك تملك جميع مقومات النجاح. ناهيك أنه إذا حدث ورآك أحدهم فهذا ليس بالأمر الجلل، فمن المؤكد أنك ستغير شكلك».

«وستؤمن لي الأمفيتامينات؟»

«قدر ما تشاء. تعال غدًا في مثل هذا الوقت إلى ذات المكان. ربما أيضًا سأكون قد وجدت عملًا لنا وسأحضر لك الحبوب».

«شكرًا بنتلي».

«لا شكر على واجب. إن تعاونَّا معًا فسيعود هذا علينا بالثراء الفاحش».

♣ ♦ ♠ ♥

خطط بنتلي للمهمة بعناية، وعاد كرويد للمنزل بعد ثلاثة أيام حاملًا معه كمية مال تفوق ما حمل في أي مرة سابقة. سلم معظم المال لكارل الذي كان يهتم بشؤون العائلة المالية.

«هلَّا تمشينا قليلًا؟» سأل كارل بعد أن خبأ المال خلف

مجموعة من الكتب، وألقى بنظره على غرفة الجلوس حيث تجلس كلوديا وأمهم.

أومأ كرويد بالقبول، «بالطبع».

«تبدو أكبر عمرًا هذه الأيام». بادر كارل الذي سيبلغ الثامنة عشر من عمره بعد بضعة أشهر بالحديث فور خروجهم إلى الشارع.

«أشعر وكأنني أكبر أيضًا».

«لا أعلم من أين تحصل على هذه المبالغ باستمرار».

«هذا لصالحك».

«حسنًا لن أتذمر بما أنني أعتاش منها أيضًا. لكني أردت أن تعرف عن أمي. حالتها تزداد سوءًا. منذ رؤيتها لأبي ممزقًا بتلك الطريقة ... لم تعد على طبيعتها منذ تلك الحادثة. لقد فاتك أسوأ ما في الأمر حتى الآن في آخر مرة كنت فيها نائمًا. لقد نهضت بحق الجحيم لثلاث ليالٍ مختلفة في فبراير وخرجت في ثوب النوم حافية القدمين! صارت تتجول كما لو كانت تبحث عن أبي. لقد حالفنا الحظ في كل مرة ووجدها شخص نعرفه وأعادها. ظلت تسأل السيدة براندت عما إذا كانت قد رأت أبي. على أية حال، ما أحاول قوله هو أن حالتها تزداد سوءًا. لقد تحدثت بالفعل مع اثنين من

الأطباء وكلاهما يعتقد أنها يجب أن توضع في منزل عناية لفترة من الوقت. كما أعتقد أنا وكلوديا ذلك أيضًا. ليس بمقدورنا مراقبتها طوال الوقت. نحن نخشى أنها قد تتأذى. لقد بلغت كلوديا السادسة عشرة من عمرها الآن، لذلك يمكن لكلينا تدبر أمرنا في غيابها. لكن إقامتها في مركز العناية قد يكون مكلفًا».

«يمكنني تأمين المزيد من المال». أجاب كرويد.

التقى كرويد ببنتلي في اليوم التالي وأخبره عن حاجته لتنفيذ مهمة جديدة. انفرجت أسارير الرجل الصغير بعد سماعه بالأمر، فكرويد لم يرغب بتنفيذ مهمةٍ جديدةٍ بعد آخر مهمة قاما بها.

«امنحني يومًا أو اثنين لأخطط وسأتواصل معك». قال بنتلي.

«حسنًا».

في اليوم التالي، بدأت شهية كرويد بالاستيقاظ، ووجد نفسه يتثاءب بين الفينة والأخرى؛ لذلك تناول بعض الحبوب.

أفادته الحبوب جيدًا، بل أفضل مما كان يتوقع في الواقع. انتابه شعورٌ رائع. لم يستطع أن يتذكر آخر مرة شعر فيها بهذا الشعور الجيد. شعر وكأن كل شيء كان يسير على ما يرام على سبيل التغيير. شعر وكأنه يسير على الغيوم ولكنه أكثر يقظة ووعيًا من المعتاد أيضًا. الأهم من ذلك أنه لم يكن يشعر بالنعاس.

بدأت أحاسيسه بالتلاشي بعد حلول الليل، بعد نوم الجميع. تناول حبة أخرى. وعندما بدأ العمل، شعر بشعور رائع لدرجة أنه خرج وطار عاليًا فوق المدينة، حلق بين أبراج المدينة الساطعة للمدينة والعالية في ليلة مارس الباردة، حتى بدا له وكأنه يمتلك مفتاحًا سريًا لأسرارها. استذكر أثناء تحليقه فوق محطة هدسون المعارك التي خاضها الفتى النفَّاث؛ وذلك لأنها احترقت عن بكرة أبيها حين سقطت فوقها أجزاء من طائرته. وكان قد قرأ خبرًا مضمونه نية المدينة بناء تذكار للطيار المقاتل في المحطة. عجبًا! أي مشاعر خالجته أثناء سقوطه؟

كان يتجول بين المباني، تارةً يستريح فوق أحدها، وتارةً يقفز ويسقط لينقذ نفسه في اللحظة الأخيرة. في إحدى المرات رأى رجلين يراقبانه من المدخل. أزعجه الأمر ولكن لسبب ما لم يفهمه. عاد بعدها إلى المنزل وبدأ بتنظيفه. قام

بتكديس الصحف والمجلات القديمة وربطها في حزم، ثم أفرغ سلال القمامة وكنس الأرضية ومسحها. غسل جميع الأطباق في الحوض، وألقى بأربع حمولات من القمامة فوق النهر الشرقي، إذ لم تكن عمليات جمع القمامة قد عادت إلى نظامها الطبيعي بعد. كما مسح الغبار عن كل شيء وقام بتلميع الفضيات وغسل النوافذ.

فجأةً شعر بالتعب وتملكته الرجفة. انتبه للأعراض وتناول حبةً أخرى ثم باشر بإعداد ركوةٍ من القهوة مليئةٍ حتى أعلاها. مرت الدقائق والقلق يعتريه بوتيرةٍ متزايدةٍ. لم يكن مرتاحًا لشعور التنميل الذي أصاب يديه مما دفعه لغسلهما أكثر من مرة ولكن دون جدوى. بالنهاية تناول حبة أخرى ثم جلس يراقب الساعة ويستمع لصوت غليان القهوة في الركوة. اختفى شعور التنميل والرجفة مع جهوز قهوته فشعر بارتياح عميق. تبادر إلى ذهنه الرجلان في المدخل أثناء احتسائه لقهوته. هل كانا يسخران منه يا ترى؟ خالجه شعور مفاجئ بالغضب، فرغم أنه لم يلمح وجهيهما ولم يميز تعابيرهما، فإنهما كانا يراقبانه! وربما لو كان الوقت حليفهما لرشقاه بالحجارة.

هز رأسه. ما يفكر به سخيف، فهما مجرد رجلين. فجأة، اعترته رغبة بالركض إلى الخارج والسير في جميع أنحاء

المدينة، أو ربما الطيران مرة أخرى، لكنه بذلك قد يفوت اتصال بنتلي. سيطر القلق عليه، حاول القراءة لكنه لم يتمكن من تركيز انتباهه كالمعتاد. أخيرًا، اتصل ببنتلي.

«هل اعتمدت خطة بعد؟»

«بعد يا كرويد، لِمَ العجلة؟»

«بدأ النعاس يسيطر علي. أنت تعلم ماذا يعني هذا».

«نعم أعلم. ألا تتعاطى علاجاتك؟»

«بلى».

«حسنًا اسمع، لا تكثر من الدواء قدر المستطاع. إنني أعمل على أكثر من خطة الآن ولكنني سأحاول إيجاد شيء جيد بحلول الغد. بحال لم أنجح، أقلع عن الدواء واخلد إلى النوم. يمكننا المحاولة المرة القادمة، حسنًا؟»

«أريد المحاولة هذه المرة يا بنتلي».

«سأتصل بك غدًا. لا تجهد نفسك».

خرج كرويد للمشي قليلًا. كانت السماء ملبدة بالغيوم وكان الثلج والجليد يغطيان الأرض. لاحظ كرويد أنه لم يتناول الطعام منذ البارحة وبدا له الأمر سيئًا، خصوصًا مع شهيته الجديدة التي باتت طبيعيةً بالنسبة له. أوعز السبب

للحبوب التي يتعاطاها، فسعى لتناول العشاء ولو بالغصب. تابع المسير وتبادر إلى ذهنه فكرة أخرى، ما زال لا يستطيع الجلوس بين الناس وتناول الطعام، فمجرد التفكير بالأمر يؤرقه؛ لذلك فضل طلب الطعام وأخذه معه.

في طريقه إلى المطعم، أوقفه صوت صدر من مدخل ما. التفت كرويد بسرعة للرد على من ناداه، مما دفع الرجل لرفع يديه والتراجع للخلف باستسلام.

«أرجوك، لا تؤذني». قال الرجل.

تراجع كرويد قليلًا بدوره واعتذر للرجل.

كان الرجل يرتدي معطفًا بني اللون مرفوع الياقة وقبعة بحافة منخفضة بقدر تسمح له بالرؤية فقط. لم يرفع الرجل رأسه ولكن كرويد لمح منقارًا معقوفًا، وعينين لامعتين، وبشرة لامعة بشكل غير طبيعي.

«هلا أسديت لي معروفًا يا سيدي؟» قال الرجل بصوت رفيع.

«ماذا تريد؟»

«الطعام».

مد كريد يده لجيبه بشكل تلقائي.

«لا. أملك المال. الأمر برمته هو أنني لا أستطيع دخول المطعم بهذا الشكل وطلب الطعام. سأدفع لك مقابل أن تدخل وتجلب لي وجبتي همبرجر».

«كنت على وشك الدخول على أية حال».

جلس كرويد على مقعد وتناول الطعام مع الرجل. لطالما أثار اهتمامه الجواكر، فقد كان يعلم أنه واحد منهم. وتساءل بعدها هل من الممكن أن يجد مكانًا للأكل إذا ما استفاق يومًا ما بشكل بشع وكان المنزل خاليًا؟

«لم أعد أزور هذا الجزء من المدينة ولكنني اضطررت لإنهاء عمل». قال الرجل.

«أين تتجمعون عادةً؟»

«نحن مجموعة في منطقة بويري حيث لا يزعجنا أحد. يمكننا تناول الطعام حيث نشاء، فلا أحد يكترث لشكلنا».

«هل تعني أن البشر قد ... يهاجمونكم؟»

ضحك الرجل ضحكة قصيرة صاخبة.

«البشر ليسوا لطفاء كما تظن أيها الفتى، على الأقل ليس حين تتعرف إليهم عن كثب».

«سأرافقك إلى منزلك».

«إنك تغامر».

«لا بأس».

صادفا خلال مسيرهما ثلاثة رجال على مقعد ما انفكوا يحدقون بهما. كان كرويد قد تناول حبتين إضافيتين خلال مرورهما في بضعة أحياء سابقة، أو على الأقل هذا ما كان يعتقده. تناول كرويد الحبوب كي لا يصيبه التوتر أثناء حديثه مع صديقه الجديد جون، أو على الأقل هذا ما أراد أن يتم مناداته به. السبب الآخر كان لتأخير ظهور العوارض. علم كرويد فور رؤيته للرجلين أن نيتهما تجاهه وتجاه جون لم تكن خيرًا، فتشنجت كتفاه وتحولت يداه التي كانت بجيبه لقبضات.

«بق بق بق بق». قال أحد الرجلين، فتأهب كرويد للرد، لكن جون أوقفه.

استمر كرويد وصديقه بالمسير فتبعهما الرجلان.

«كير كير كير». قال أحدهما.

«باق باق باق». تبعه الآخر.

فجأةً، طار عقب سيجارة فوق رأس كرويد ووقع أمامه.

«هاي مهلًا يا محب غريبي الأطوار».

شعر كرويد بيد على كتفه.

أمسك كرويد اليد وعصرها حتى صارت العظام تصدر طقطقة خفيفة. بدأ الرجل بالصراخ لكنه سرعان ما توقف عندما ترك كرويد يد الرجل وصفعه على وجهه، فارتمى الأخير على الأرض. حاول الرجل الآخر تسديد لكمة على وجه كرويد لكن الأخير تجاوز اللكمة بسهولة وأمسك بيد الرجل مما جعله يلتف بالكامل ليصبح وجهًا لوجه مع كرويد. ثم مد يده اليسرى وأمسك بياقة الرجل وضربه ولفه ورفعه في الهواء ثم صدمه مرة أخرى في جدار من الطوب بالقرب منهم ثم تركه. سقط الرجل على الأرض ولم يتحرك.

كان الرجل الآخر قد سحب سكينًا وانهال على كرويد بوابل من الشتائم وهم بمهاجمته. انتظر كرويد حتى صار الرجل قريبًا منه ثم ارتفع أربع أقدام في الهواء وركله في وجهه. اختل توازن الرجل ووقع على الأرض. طار كرويد فوق الرجل ثم هبط على صدره. ركل السكين بعيدًا، ثم ابتعد وأكمل مسيره مع جون.

«أنت آيص». قال الرجل الصغير بعد صمت قصير.

«ليس دائمًا، قد أكون جوكرًا في بعض الأحيان. حالتي تتبدل كلما خلدت للنوم».

«لم يكن هناك داعٍ للقسوة».

«بلى، بل كان يجدر بي أن أكون أقسى. يجب أن نعتني بعضنا ببعض ما دام الوضع هكذا».

«نعم. شكرًا».

«أريد منك أن تأخذني للأماكن في بويري حيث لا يزعجنا أحد. قد اضطر لزيارتها يومًا ما».

«بالطبع».

«اسمي كرويد كرينسون، ك – ر – ي – ن – س – و – ن. لا تنس، حسنًا، فلربما سأبدو بمظهر مغاير المرة القادمة».

«حسنًا».

أخذه جون في عدة جولات وعرفه على الأماكن التي يقيم بها بعض فصيلته. كما عرفه على ستة جواكر صادفاهم خلال المسير. كانوا جميعًا بشعين للغاية. تذكر كرويد مرحلة السحلية. سلم كرويد على كل منهم وسألهم عما إذا كانوا يحتاجون شيئًا، لكنهم هزوا رؤوسهم بالنفي وحدقوا به. كان يعلم أن مظهره لم يعد عليه بفائدة.

«عمتم مساءً». ودع كرويد الجميع ثم طار.

كان يحلق على طول مجرى النهر الشرقي بخوف متزايد من أن الناجين غير المصابين كانوا يراقبونه في انتظار الهجوم عليه. وصار يتخيل أن شخصًا في هذه اللحظة قد يحمل بندقية بمنظار ويصوب عليه.

زاد من سرعته. كان من ناحية يعلم مدى سخافة خوفه، لكنه من ناحية أخرى كان خوفه أكبر من أن يتجاهله. هبط في الزاوية وركض إلى باب منزله الأمامي وهم بالدخول. أسرع نحو الطابق العلوي وحبس نفسه في غرفة نومه.

حدق في السرير وأراد الاستلقاء عليه، ولكنه خاف من أن ينام. إذا نام سينتهي كل شيء، سينتهي العالم بالنسبة له. قام بتشغيل الراديو وبدأ بالمشي في غرفته والقلق يعتريه. كان يعلم أن ليلته ستكون طويلة.

اتصل به بنتلي في اليوم التالي وأخبره أنه وضع خطة رائعة ولكنها محفوفة بالمخاطر. أبلغه كرويد أنه لا يهتم للأمر. ومع ذلك، أخبره بنتلي أنه يجب أن يحمل معه متفجرات؛ وذلك لأن الخزانة صعبة الفتح حتى مع قواه الخارقة، كما يمكن أن يكون هناك حراس مسلحون. كان على كرويد تعلم كيفية استعمال المتفجرات إلى ذلك الحين.

لم يتعمد قتل الحارس، لكن الأخير أخافه عندما شهر

مسدسه بوجهه. كما لا بد أنه أخطأ في تقدير التوقيت، فقد بدأ التفجير قبل أوانه مما نتج عنه خسارته لإصبعيه الأوليين من يده اليسرى بسبب قطعة من المعدن طارت من عصف التفجير. لكن لم يثنه الأمر عن مهمته فلف يده في منديله وأخذ النقود وخرج.

♥ ♠ ♦ ♣

تقاسم وبنتلي الأموال، وأمره الأخير بأن يخلد إلى النوم. طار كرويد وتوجه نحو منزله، ولكنه اضطر للهبوط واقتحام مخبز وتناول ثلاثة أرغفةٍ من الخبز قبل إكمال رحلته، ولكنه كان شارد الذهن. كان ما يزال بحوزته ثلاث حبات دواء، ولكن مجرد التفكير بها وتّره.

فتح نافذة غرفته التي تركها غير مقفلة ثم دخل. ترنح في القاعة متوجهًا نحو غرفة كارل وألقى بكيس النقود أمام بابه وهو نصف نائم. ارتجف ثم عاد إلى غرفته وأغلق الباب. قام بتشغيل الراديو. أراد أن يغسل يده المصابة في الحمام، لكن الحمام بدا بعيدًا جدًّا. ارتمى على السرير ولم يتزحزح بعدها.

♥ ♠ ♦ ♣

كان يسير في شارعٍ مضاء، وكان الشارع يبدو خاليًا ولكنه ما لبث أن سمع صوتًا من خلفه، فالتفت ليتحقق منه. رأى

الناس يخرجون من المداخل والنوافذ والسيارات وغرف التفتيش وأشخاصهم وأقدامهم متجهة نحوه. تابع مسيره ولكنه سمع ما بدا كالتنهد الجماعي من خلفه؛ ما دفعه للنظر مرة أخرى ليجد الناس يتبعونه بعدائية وقد تجلت تعابير الكراهية على وجوههم. التفت نحوهم وأمسك برأس رجل منهم وخنقه. توقف الآخرون وتراجعوا بخوف. سحق رأس رجل آخر، والتفت الآخرون وهموا بالهروب. ولكنه لحق بهم.

يوم الكرغل

استفاق كرويد في يونيو وكانت المفاجآت بانتظاره. اكتشف أن والدته دخلت في مصحة، وأن شقيقه قد تخرج من المدرسة الثانوية، وأن أخته تمت خطبتها. أما هو فكان يحوز القدرة على تعديل صوته بطريقة تحطم أو تعطِّل أي شيء تقريبًا، بمجرد أن يكون لديه القدرة على تحديد التردُّد المناسب من خلال نوع من ردود الفعل الرنانة التي كان يفتقر إلى المفردات لتفسيرها. كان أيضًا طويلًا ونحيفًا وذا شعر داكن وبشرة شاحبة، وقد نمت أصابعه المفقودة من جديد.

توقع أن يكون بمفرده، فاتصل ببنتلي مرة أخرى ليرتب معه مهمة واحدة كبيرة في فترة صحوته وينتهي منها بسرعة قبل أن يتغلب عليه التعب. لقد عقد العزم على عدم تناول

الحبوب مرة أخرى؛ لأنه كان يفكر في نوعية الكابوس في أيامه الأخيرة في آخر مرة.

أولى هذه المرة اهتمامًا أكبر للتخطيط وطرح أسئلة أفضل. أما بنتلي فكان يطلعه على مجمل التفاصيل. دفعه فقدان والديه وزواج أخته الوشيك إلى التفكير في عدم ثبات العلاقات الإنسانية، وأدرك أن بنتلي ليس دائمًا في حياته.

تمكن من تعطيل نظام الإنذار وإتلاف باب قبو البنك ودخل. وعلى الرغم من أنه لم يكن يتعمد الأمر، لكنه حطم جميع نوافذ المباني الثلاثة أثناء البحث عن الترددات المناسبة. وتمكن في النهاية من الهرب وبحوزته بكمية كبيرة من المال. استأجر هذه المرة صندوق ودائع في أحد البنوك في جميع أنحاء المدينة وأودع به الجزء الأكبر من حصته، فقد أزعجته إلى حدٍّ ما حقيقة أن شقيقه كان يقود سيارة جديدة.

كما استأجر غرفًا في القرية ووسط المدينة وتلال مورنينج سايد والقسم الشرقي الأعلى وبويري، ودفع الأجرة لمدة عام سلفًا. وضع المفاتيح في قلادةٍ حول رقبته، ووضع معها المفاتيح الخاصة بصندوق الأمانات الخاص به. كان يريد أماكن يمكنه الوصول إليها بسرعة بغض النظر عن مكان وجوده عندما ينتابه النعاس. فرش شقتين بأثاث كامل وجهز الأربع الباقية بفرش وأجهزة راديو، فقد كان في

عجلة من أمره؛ لذلك ترك تأمين بوسائل الراحة لوقت لاحق. استيقظ وهو مدرك للعديد من الأحداث التي حدثت أثناء نومه الأخير، ولم يكن بإمكانه إلا أن يعزو ذلك إلى تخوفه اللاواعي من بث الأخبار من الراديو الذي تركه يعمل هذه المرة الأخيرة. قرر مواصلة هذه العادة.

استغرقه الأمر ثلاثة أيام لتحديد أماكن خلواته الجديدة واستئجارها وتجهيزها، وكان آخرها في بويري. بحث عن جون وعرَّف عن نفسه ثم تناول العشاء معه. كانت القصص التي سمعها عن عصابة كارهي الجواكر قد أزعجته، وعندما انتابه الجوع والقشعريرة والنعاس في تلك الليلة تناول حبة دواء ليبقى مستيقظًا ويقوم بدوريات حراسة في المنطقة، فبرأيه لن تؤذيه حبة أو اثنتان.

لم يبدُ أيٌّ أثر للعصابة في تلك الليلة، لكن كرويد لم يرتح. ظل متخوفًا من احتمال أنه قد يستيقظ كجوكر في المرة القادمة. دفعه خوفه لتناول حبتين إضافيتين مع وجبة الإفطار ليؤجل العوارض قليلًا. شعر بعدها بنوبة من الطاقة أخذ على أساسها قرارًا بتأثيث مساكنه المحلية. تناول في تلك الليلة ثلاث حبات أخرى ليقوم بنوبة حراسة أخيرة في المدينة. صار يغني أثناء مسيره على طول الشارع الثاني والأربعين. وقد حطم نوافذ المباني التي مر بالقرب منها. كما

تسبب في عواء الكلاب التي تبعد عنه عدة أميال، وأيقظ اثنين من الجواكر وآيضًا بقدرة على سماع الترددات فوق العالية. خرج له برنيجان ذو أذني خفاش لمحاسبته على الصداع الذي تسبَّب له به، لكنه غيَّر رأيه وانتهى به الأمر بشراء عدة مشروبات له وطلبه منه غناء «جالواي باي» بتردد لطيف على الأذنين. مع الأسف توفي برنيجان بعد أسبوعين بعد أن أسقط عليه مسلز فينشينزي تمثالًا أثناء هروبه من نيران شرطة نيويورك.

في اليوم التالي، انتقم كرويد من سائق أجرة انهال عليه بوابل من الشتائم عبر تعريض سيارته لسلسلة من الذبذبات التي جعلتها تتعطل. كما قام بفعل ذات الشيء لجميع من أثبت عداءه له من خلال تعطيل أبواق سياراتهم. عندها، أعادت زحمة السير الخانقة إلى ذهنه ما حدث أمام مدرسته في اليوم الأول من البطاقة الجامحة. يوم هرب.

استيقظ في أوائل أغسطس في شقته في تلال مورنينج سايد. تذكر رويدًا رويدًا كيف وصل إلى هناك، ووعد نفسه بأنه لن يأخذ أي حبوب أخرى هذه المرة. عندما نظر إلى الأورام في ذراعه الملتوية، علم أنه سيفي بالوعد الذي قطعه. أراد هذه المرة العودة إلى النوم في أسرع وقت ممكن. نظر من النافذة، وكان ممتنًّا لأن الوقت كان ما يزال

ليلًا، فمشواره لبويري بعيد.

♣ ♦ ♠ ♥

استيقظ في أحد أيام الأربعاء في منتصف سبتمبر ليجد نفسه بشعر أشقر داكن ببنية وطول وبشرة متوسطين. لم يجد أي علامات ظاهرة لمتلازمة البطاقة الجامحة. أخضع نفسه لمجموعة متنوعة من الاختبارات البسيطة التي علمته التجربة أنه من المرجَّح أن تكشف عن قدرته الخفية، لكن الأمر لم يعد بأي نتيجة.

في حيرة، ارتدى أفضل الملابس التي كانت في متناول يده وخرج لتناول الإفطار المعتاد. التقط العديد من الصحف على طول الطريق وقرأها بينما كان يلتهم طبقًا تلو الآخر من البيض المخفوق والفطائر المحلاة والوافل. كان صباحًا باردًا عندما دخل الشارع، ولكن الجو اعتدل عند مغادرته المطعم عند العاشرة.

استقل قطار الأنفاق إلى وسط المدينة ودخل إلى أول متجر ملابس لائق رآه وأعاد تجهيز نفسه بالكامل. اشترى زوجًا من النقانق من بائع متجول وأكلهما أثناء سيره إلى محطة مترو الأنفاق.

نزل من القطار ومشى إلى أقرب محل لبيع الأطعمة الشهية

ليلًا، فمشواره لبويري بعيد.

♣ ♦ ♠ ♥

استيقظ في أحد أيام الأربعاء في منتصف سبتمبر ليجد نفسه بشعر أشقر داكن ببنية وطول وبشرة متوسطين. لم يجد أي علامات ظاهرة لمتلازمة البطاقة الجامحة. أخضع نفسه لمجموعة متنوعة من الاختبارات البسيطة التي علمته التجربة أنه من المرجَّح أن تكشف عن قدرته الخفية، لكن الأمر لم يعد بأي نتيجة.

في حيرة، ارتدى أفضل الملابس التي كانت في متناول يده وخرج لتناول الإفطار المعتاد. التقط العديد من الصحف على طول الطريق وقرأها بينما كان يلتهم طبقًا تلو الآخر من البيض المخفوق والفطائر المحلاة والوافل. كان صباحًا باردًا عندما دخل الشارع، ولكن الجو اعتدل عند مغادرته المطعم عند العاشرة.

استقل قطار الأنفاق إلى وسط المدينة ودخل إلى أول متجر ملابس لائق رآه وأعاد تجهيز نفسه بالكامل. اشترى زوجًا من النقانق من بائع متجول وأكلهما أثناء سيره إلى محطة مترو الأنفاق.

نزل من القطار ومشى إلى أقرب محل لبيع الأطعمة الشهية

حيث أكل شطيرتي لحم البقر المحمر مع فطائر البطاطس. سأل نفسه: «هل أنا أماطل يا ترى؟» كان يعلم أنه يمكن أن يجلس هنا طوال اليوم ويأكل. كان يشعر بأن عملية الهضم تحدث مثل فرن انفجر في معدته. قام ودفع ثم رحل. كان يسير بقية الطريق. كم شهرًا مر يا ترى؟ تساءل وهو يحك جبهته. حان الوقت للاطمئنان على كارل وكلوديا. حان الوقت ليطمئن على حال أمه، لمعرفة ما إذا كان أي شخص بحاجة إلى أي أموال.

♣ ♦ ♠ ♥

وصل كرويد إلى منزل عائلته وحمل المفتاح ليفتح الباب، لكنه تراجع عن الأمر وطرق الباب. فتح له كارل الباب بعد قليل.

«تفضل». قال كارل.

«إنه أنا، كرويد».

«كرويد! يا إلهي! ادخل ادخل! لم أعرفك! كم مضى من الوقت؟»

«مضى وقت طويل».

دخل كرويد.

«كيف حال الجميع؟»

«أمي لا تزال على حالها. لكنهم كما تعلم كانوا قد أبلغونا ألا نأمل كثيرًا».

«نعم، هل تحتاج المال لها؟»

«الشهر القادم ربما. قد أحتاج حينها إلى ألفين أو ما شابه».

أخرج كرويد من جيبه ظرفًا وناوله إياه.

«قد تربكها رؤيتي بهذا الشكل المختلف».

هز كارل رأسه معبرًا عن استنكاره.

«قد تربكها رؤيتك بكل الأحوال يا كرويد».

«أوه!»

«هل تريد تناول أي شيء؟»

«نعم بالتأكيد».

قاده شقيقه إلى المطبخ.

«يوجد الكثير من اللحم المشوي هنا. يمكنك صنع شطيرة شهية».

«ممتاز. كيف حال عملك؟»

«أوه، ما زلت في أول الطريق ولكنني أتحسن يومًا بعد يوم».

«ممتاز. وكيف حال كلوديا؟»

«من الجيد أنك أتيت اليوم. لم تعرف إلى أين سترسل بطاقة الدعوة».

«أي دعوة؟»

«دعوة زفافها. ستتزوج السبت».

«لذلك الفتى من جيرسي؟»

«نعم، سام. إنه يدير عملًا عائليًا يدر عليه أموالًا جيدة».

«أين سيقام الحفل؟»

«في ريدج وود. يمكن المجيء معي. سأُقِلُّك معي إلى هناك».

«حسنًا. أتساءل ماذا يجب أن أهديهما؟»

«لقد حضَّرَا لائحة، سأحضرها لك».

«حسنًا».

♥ ♠ ♦ ♣

خرج كرويد بعد ظهر ذلك اليوم واشترى شاشة تلفزيون دومونت مقاس ١٦ بوصة، ودفع نقدًا ثم رتَّب أمور تسليمه إلى ريدج وود. زار بنتلي بعد ذلك، لكنه رفض المهمة المحفوفة بالمخاطر بحجة افتقاره الواضح إلى القوى الخاصة هذه المرة. في الواقع، كان العذر جيدًا، فهو لم يكن يريد حقًّا العمل على أية حال، خاصة وأنه لا يريد المخاطرة جسديًّا أو قانونيًّا بسبب اقتراب موعد حفل الزفاف.

تناول العشاء مع بنتلي في مطعم إيطالي وجلسا لساعات يستمتعان بعصير العنب ويتحدثان ويخططان. حاول بنتلي أن يشرح له قيمة الغطاء المالي طويل المدى والحصول على الاحترام يومًا ما، وهو شيء لم يستطع تحقيقه لنفسه أبدًا.

سار معظم الليل بعد ذلك، وحاول دراسة المباني بحثًا عن نقاط ضعفها وللتفكير في عائلته المتغيرة. في وقت ما بعد منتصف الليل، عندما كان يمر على سنترال بارك ويست، بدأ إحساس قوي بالحكة على صدره وانتشر في جميع أنحاء جسده. بعد دقيقة، كان عليه أن يتوقف ويخدش نفسه بعنف. أصبحت الحساسية أمرًا مألوفًا جدًّا في هذا الوقت، وتساءل عما إذا كان التغيير الجديد قد جلب له حساسية تجاه شيء ما في الحديقة.

غادر المكان بسرعة. خفت الحكة بعد عشر دقائق تقريبًا

واختفت كليًا بعد نصف ساعة، ولكن يداه ووجهه كانا وكأنهما متشققان.

في نحو الرابعة صباحًا توقف في مطعم يفتح طوال الليل قبالة ميدان التايمز. جلس يأكل ببطء وثبات ويقرأ نسخة من مجلة تايم التي تركها شخص ما في كشك. احتوى قسمها الطبي على مقال عن الانتحار بين فصيلة الجواكر؛ الأمر الذي جعله يشعر بالاكتئاب بشكل كبير. ذكّرته الاقتباسات التي تضمّنتها بأشياء سمعها من قبلُ من العديد من الأشخاص الذين كان يعرفهم؛ مما جعله يتساءل عما إذا كان أي منهم من بين الذين تمت مقابلتهم. لقد كان يفهم مشاعرهم جيدًا، على الرغم من أنه لم يستطع مشاركتها بالكامل، فهو كان يعلم أنه بغَضِّ النظر عمَّا رسمه، فسيتم دائمًا منحه بطاقة جامحة جديدة في المرة القادمة، وأنه في كثير من الأحيان كان آيصًا.

طقطقت جميع مفاصله عندما نهض، وشعر بألم حاد بين كتفيه. شعر بانتفاخ بقدميه أيضًا. عاد إلى المنزل قبل الفجر وشعر بالحُمَّى. في الحمام، نقع منشفة ليضعها على جبهته. لاحظ في المرآة أن وجهه بدَا منتفخًا. جلس على الكرسي المريح في غرفة نومه حتى سمع كارل وكلوديا يتحركان. عندما نهض لينضم إليهما لتناول الإفطار، شعر وكأن مفاصله

متحجِّرة، وصدر عنها صوت الطقطقة مرة أخرى عندما نزل السلم.

عندما دخل المطبخ احتضنته كلوديا النحيفة والشقراء، ثم درست وجهه الجديد وقالت: «تبدو متعبًا يا كرويد».

فما كان منه إلا أن قال: «فألكِ على نفسكِ، لا يمكنني أن أتعب فزفافكِ بعد يومين. يجب أن أحضره».

«يمكنك أن ترتاح دون أن تنام، أليس كذلك؟»

أومأ كرويد برأسه.

«إذن لا ترهق نفسك، لا بد أن الأمر صعب عليك. تعالَ، فلنتناول الطعام معًا».

كان الجميع يحتسون القهوة سويًا حين سأل كارل كرويد:

«هل تريد زيارة مكتبي ورؤية التجهيزات التي قمت بها الآن؟»

«ربما لاحقًا، يجب أن أنجز بعض الأمور أولًا».

«حسنًا. ماذا عن الغد؟»

«ربما. سأحاول».

غادر كارل ثم نهضت كلوديا وأعادت تعبئة فنجان كرويد.

«لم نعد نراك كما اعتدنا».

«نعم. كما تعلمين أنني أنام أحيانًا لأشهر متتالية، وعندما أستيقظ لا أكون دائمًا بأبهى حالاتي. أما في المرات الأخرى فعليّ العمل بجد لأدفع الفواتير».

«نحن نُقدِّر عملك الجاد. لا أستطيع استيعاب الأمر. أنت طفل ولكنك تبدو كرجل بالغ وتتصرف كذلك. لم تتمكن من الاستمتاع بطفولتك».

ابتسم كرويد:

«إذن هل أنتِ أيضًا ... سيدة بالغة؟ أنت في السابعة عشرة من عمركِ ولكنكِ تتزوجين».

ابتسمت كلورديا بدورها:

«إنه رجل جيد يا كرويد. أنا متأكدة أننا سنحظى بحياة هانئة سويًّا».

«آمل ذلك. إن أردتِ يومًا الوصول إليّ فسأعطيكِ عنوان مكان يمكنكِ أن تتركي لي رسالة به، ولكنني لست متفرِّغًا في جميع الأوقات».

«أتفهَّم الأمر. ماذا تعمل الآن على أية حال؟»

«لقد عملت في عدة مجالات. حاليًّا أنا أعمل في مجالين

ولكن بحذر، من أجل زفافكِ. أخبريني عن خطيبكِ».

«أوه ... إنه رجل محترم ووقور. درس في برينستون وكان قائدًا في الجيش».

«الأوروبي؟ أم في المحيط الهادئ؟»

«واشنطن».

«أوه ... ذو معارف».

أومأت كلوديا برأسها:

«عائلته عريقة».

«حسنًا ... ممتاز. أتمنى لكِ كل الخير».

نهضت كلوديا وعانقته من جديد.

«لقد اشتقت لك». قالت كلوديا.

«وأنا أيضًا».

«يجب أن أنجز بعض الأمور أيضًا. إلى اللقاء».

«حسنًا».

«خذ الأمور ببساطة اليوم».

قام فور مغادرتها بتمديد ذراعيه قدر ما يستطيع، محاولًا

تخفيف الألم في كتفيه. مزق قميصه من الخلف أثناء فعله ذلك. نظر في المرآة المعلقة في الردهة. كانت أكتافه أعرض مما كانت عليه بالأمس. في الواقع، بدا جسده بالكامل أكثر نضوجًا. عاد إلى غرفته وخلع ملابسه. كان معظم جذعه مغطى بطفح جلدي أحمر. مجرد النظر إليه جعله يريد أن يحك لكنه كبح نفسه. بدلًا من ذلك، ملأ حوض الاستحمام وجلس فيه لفترة طويلة. انخفض منسوب المياه بشكل واضح بحلول الوقت الذي خرج فيه. عندما درس نفسه في مرآة الحمام بدا أكبر. هل يمكن أن يمتص بعض الماء عن طريق جلده؟ على أية حال، بدا أن الالتهاب قد اختفى، على الرغم من أن بشرته كانت ما تزال خشنة في تلك المناطق التي كانت بارزة فيها.

ارتدى ملابسه التي كان قد تركها سابقًا في المنزل عندما كان أكبر حجمًا، ثم ركب قطار الأنفاق متجهًا نحو متجر الملابس الذي زاره سابقًا. جدَّد خزانة ملابسه بالكامل ثم عاد إلى منزله. شعر أثناء ركوبه القطار بدوار حركة شديد، ولاحظ أن يديه جافتان وقاسيتا الملمس، وعندما فرَكهما وقع منهما جلد ميت شبيه بقشرة الشعر.

غادر محطة مترو الأنفاق متجهًا نحو منزل آل سارزانو. ولكن هذه المرة لم تكن السيدة روز والدة جو من فتح له

الباب.

«ماذا تريد؟» سألت السيدة.

«أبحث عن جو سارزانو».

«لا يوجد أحد بهذا الاسم هنا. لا بد أنهم القاطنون السابقون».

«هل تعرفين إلى أين انتقلوا؟»

«لا أعلم. يمكنك سؤال مدير المبنى، ربما هو يعلم».

ثم أغلقت الباب.

جرب شقة مدير المبنى، لكنه لم يلقَ جوابًا. في طريقه للمنزل، شعر بالثقل والانتفاخ. كما اعتراه خوف مفاجئ عندما تثاءب للمرة الثانية. شعر وكأن العوارض قد بدأت أبكر من المعتاد. كان هذا التحول محيرًا أكثر من المعتاد.

غلى ركوة قهوة وانتظر جهوزها بقلق. كان يعلم أنه قد لا يستيقظ كل مرة بقوى مميزة ولكن بشكل مغاير. فكر بكل المرات التي تغير بها، أكان لجوكر أو لآيص، على عكس هذه المرة الذي ظل فيها ... طبيعيًا.

عندما جهزت القهوة، جلس ليحتسيها. لاحظ عندها أنه كان يحك فخذه اليمين دون انتباه. فرك يديه ببعضهما ووقع

منهما المزيد من الجلد الميت وأوعز الأمر لزيادة حجمه. وتذكر ما عاناه من حكة وطقطقة عظام وتعب. علم حينها أنه ليس طبيعيًّا بالكامل، ولكن ما هو الأمر غير الطبيعي به بالضبط؟ هل يمكن للدكتور تاكيون مساعدته؟ أو على الأقل إطْلاعه على ما يحدث له.

اتصل بالرقم الذي كان يحفظه عن ظهر قلب فردت عليه امرأة بصوت مبتهج. أخبرته أن الدكتور تاكيون ليس موجودًا حاليًّا لكنه سيعود في الظهيرة. سجلت المرأة اسمه وطلبت منه الحضور عند الثالثة.

شرب كرويد ركوة القهوة بالكامل. زادت الحكة تدريجيًّا أثناء شربه فنجان القهوة الأخير؛ مما دفعه لملء حوض الاستحمام من جديد والجلوس به. صار جسده بالكامل جافًّا ومليئًا بالجلد الميت.

جلس في حوض الاستحمام لفترة طويلة. أمدّه الدفء والرطوبة بشعور بالرضا، مما جعله ينحني إلى الخلف ويغلق عينيه. غمره شعور رائع ...

فجأةً ارتعب وجلس، فقد كان على وشك أن يستسلم للنوم. أمسك بالمنشفة وبدأ في فرك نفسه بقوة، ولكنه لم يكن يحاول تجفيف نفسه فحسب. ثم خفف من قوة الفرك وصار يجفِّف نفسه بهدوء بينما الحوض يفرغ. اندفع إلى غرفته

وجلب الحبوب التي كان قد وضعها في الجزء الخلفي من درج الملابس وتناول حبتين. مهما كان جسده يطلب، بات النوم عدوه اللدود.

عاد إلى الحمام ونظَّف الحوض وارتدى ملابسه. كان يعلم أن التمدد على السرير قليلًا والاستراحة كما اقترحت كلوديا سيكون أمرًا رائعًا، ولكنه كان يعلم أيضًا أن الأمر ليس بهذه البساطة.

♣ ♦ ♠ ♥

أخذ تاكيون عيِّنة دم وأدخلها في جهازه. تطلَّبه الأمر عدة محاولات، ففي محاولته الأولى، دخلت الإبرة قليلًا ولم تتزحزح بعدها. أما الإبرة الثالثة فتم إدخالها بقوة كبرى حتى اخترقت طبقة مقاومة تحت الجلد وتم سحب الدم.

وفي انتظار الجهاز، أجرى تاكيون فحصًا شاملًا.

«هل كانت قواطعك بهذا الطول عندما استيقظت؟» سأل تاكيون وهو يفحص فم كرويد.

«بدت طبيعية أثناء غسلها. هل نمَت؟»

«انظر بنفسك».

حمل تاكيون مرآة صغيرة أمام وجه كرويد ليرى الأخير

أسنانه صارت أطول بإنش وأكثر حدة.

«هذا تطور جديد. لا أعلم متى حدث هذا».

حرك تاكيون ذراع كرويد اليسرى لأعلى خلف ظهره بحركة هامرلوك خفيفة، ثم دفع أصابعه تحت لوح الكتف البارز. فصرخ كرويد.

«هل آلمك الأمر؟» سأل تاكيون.

«يا إلهي! ما هذا؟ هل انكسر شيء في ظهري؟»

هز الطبيب برأسه ثم فحص بعض الجلد الميت تحت المجهر. وفحص بعدها أقدام كرويد.

«هل كانت قدماك بهذا الكبر أيضًا عندما استيقظت؟»

«لا، ما الذي يحدث هنا!»

«فلننتظر انتهاء الجهاز من التحليل. لقد زرتني ثلاث أو أربع مرات من قبل ...»

«نعم».

«لحسن الحظ أنك زرتني مرة فور استيقاظك، وفي مرة أخرى زرتني حوالي ست ساعات بعد استيقاظك. كان لديك في المرة السابقة مستوى عالٍ من هرمون غريب للغاية

اعتقدت في ذلك الوقت أنه قد يكون مرتبطًا بعملية التغيير نفسها. في المرة الأخرى، أي بعد ست ساعات من الاستيقاظ كانت ما تزال لديك آثار للهرمون، ولكن بمستوى منخفض جدًا. كانت هاتان المرتين الوحيدتين التي كان الهرمون واضحًا فيهما».

«إذن؟»

«الهدف من فحص الدم الآن هو التحقّق ممّا إذا كان للهرمون أثر. أوه لقد جهز الفحص».

ظهرت سلسلة من الرموز الغريبة على شاشة الوحدة الصغيرة.

«نعم، نعم، بكل تأكيد». قال تاكيون أثناء قراءته نتائج الفحص.

«لديك نسبة عالية من المادة في دمك، أعلى حتى مما كانت عليه بعد الاستيقاظ مباشرة. همم ... لقد كنت تتناول الأمفيتامينات مرة أخرى أيضًا».

«كنت مضطرًا. لقد كان النعاس بدأ بالسيطرة عليّ ويجب أن أبقى مستيقظًا حتى السبت. أخبرني ببساطة عن هذا الهرمون اللعين».

«هذا يعني أن التغيير ما يزال في طور الاستمرار. لسبب ما، لقد استيقظت قبل أن يتم التغيير بشكل كامل. من الواضح أنه يخضع لدورة طبيعية ولكن تم قطعها».

«لماذا؟»

هز تاكيون بكتفيه، وهي حركة يبدو أنه قد تعلَّمها منذ زيارة كرويد الأخيرة له.

«أي كوكبة كاملة من الأحداث البيوكيميائية المحتملة تنتج عن التغيير نفسه. أعتقد أنك ربما تلقيت بعض التحفيز الدماغي كأثر جانبي لتغيير آخر كان قيد الحدوث في الوقت الذي تم اعتراضه. مهما كان هذا التغيير النموذجي، فقد اكتمل، لكن بقية العملية لم تكتمل. لذا يحاول جسمك الآن إعادتك للنوم حتى ينتهي من عمله».

«بمعنى آخر، هل استيقظت قبل الأوان؟»

«نعم».

«ما العمل؟»

«توقف عن أخذ العلاج ودع الطبيعة تقوم بعملها».

«لا يمكنني ذلك. يجب أن أبقى مستيقظًا ليومين بعدُ، أو يوم ونصف في الواقع».

«أشك في أن جسدك سيتحمل. لقد أخبرتك سابقًا أن جسدك يعلم ماذا يفعل. برأيي أنك تغامر في بقائك مستيقظًا».

«أغامر؟ هل تعني أنني قد أموت أو أنني سأشعر بعدم الراحة؟»

«أنا ببساطة لا أعرف يا كرويد. حالتك فريدة من نوعها. كل تغيير يأخذ مسارًا مختلفًا. الشيء الوحيد الذي يمكننا الوثوق به هو أنه بغَضِّ النظر عن أي نوع من أنواع التكيُّف التي أجراها جسمك مع الفيروس، فهذا ما ينقلك لبر الأمان. إذا حاولت البقاء مستيقظًا بوسائل غير طبيعية الآن، ستجد هذا الشيء مقابلك».

«لقد أجلت نومي لعدة مرات بالأمفيتامينات».

«نعم، ولكن في تلك الأوقات كنت تؤجل فقط بدء العملية. العملية عادة لا تبدأ حتى تسجل كيمياء الدماغ حالة النوم. لكن كيف يتم ذلك بالفعل؟ وما علاقة وجود الهرمون باستمرارها؟ فأنا لا أعرف ماذا سيحدث. يمكنك تحويل مرحلة الآيص إلى مرحلة الجوكر. وقد تدخل في غيبوبة طويلة حقًّا. أنا ببساطة لا أملك أي وسيلة للإخبار».

أخذ كرويد قميصه ولبسه.

«سأطلعك على مَجريات الأمور». قال كرويد.

♣ ♦ ♠ ♥

لم يشعر كرويد بالرغبة في المشي بقدر ما كان يفعل عادة. ركب قطار الأنفاق مرة أخرى وشعر من جديد بدوار الحركة وصداع هذه المرة. وكان كتفاه ما يزالان يؤلمانه بشدة، فزار صيدلية بالقرب من محطة مترو الأنفاق واشترى علبة من الأسبرين.

توقف عند المبنى السكني الذي كان يقيم فيه آل سارزانو سابقًا قبل أن يتوجه إلى منزله. هذه المرة كان المدير موجودًا، ولكنه لم يكُن قادرًا على مساعدته. لم تترك عائلة جو أي عنوان عند مغادرتها. نظر كرويد إلى المرآة بجانب باب الرجل وهو يغادر، وصُدم من انتفاخ عينيه ومن الهالات العميقة تحتها. لاحظ أنها بدأت تؤلمه.

عاد إلى منزله، فقد وعد كلوديا وكارل باصطحابهما إلى مطعم فاخر لتناول العشاء. وأراد أن يكون بأبهى حالاته من أجل المناسبة. دخل إلى حمامه وخلع ملابسه، فتفاجأ بمظهره منتفخًا وعملاقًا. تذكر عندها أنه نسي إخبار تاكيون أنه لم يلبِّ نداء الطبيعة ولا مرة عند استيقاظه في المرات السابقة. لا بد أن جسده يستفيد بالكامل من كل ما يأكله أو يشربه. صعد على الميزان ووجد وزنه ثلاثمائة فقط، ولكنه

كان أثقل من ذلك. تناول ثلاث حبات أسبرين وكان يأمل أن يشعر بمفعولها قريبًا. حك ذراعه وسقط منه شريط طويل من اللحم ولكن بدون ألم وبدون نزيف. حك بلطف أكثر في مناطق أخرى واستمر بالتقشير. استحم وغسل أنيابه. قام بتمشيط شعره وخرجت منه بقع كبيرة. توقف عن التمشيط. أراد أن يبكي للحظة، لكنه كان مشتَّتًا بفعل صوت التثاؤب. ذهب إلى غرفته وأخذ حبتين من الأمفيتامينات. ثم تذكر أنه سمع في مكان ما أن كتلة الجسم يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند حساب جرعات الدواء. لذلك أخذ واحدة أخرى، تحسبًا.

وجد كرويد مطعمًا بأجواء معتمة، وأعطى النادل بعض الأموال كي يجلسهم في حجرة في الخلف، بعيدًا عن أنظار الجميع.

«كرويد، إنك تبدو بحالة ... مزرية». قالت كلوديا عندما عادت من عملها.

«أعلم، لقد زرت طبيبي اليوم».

«وماذا قال لك؟»

«أحتاج للكثير من النوم. وهذا ما سأفعله بعد الزفاف».

«يمكنك عدم الحضور يا كرويد، لا بأس. صحتك أهم».

«لا، أريد الحضور. سأكون بخير».

ماذا سيخبرها إن كان هو بنفسه لا يفهم ما الأمر؟

لنفترض أن المناسبة بالنسبة له تمثل أكثر من حفل زفاف قريبه المفضل ... إن المناسبة مثلت التمزيق الأخير لمنزله، وإنه من غير المحتمل أن يكون لديه آخر. لنفترض أنها نهاية مرحلة من وجوده وبداية مجهول كبير.

آثر الأكل عن الكلام. كانت شهيته يومها مفتوحة، وكان الطعام جيدًا بشكل خاص. راقبه كارل بذهول بعد انتهائه من وجبته الخاصة، حيث قام كرويد بتناول طبقين آخرين من شرائح اللحم المشوي يكفيان لشخصين، وتوقف مؤقتًا فقط لطلب سلال إضافية من اللفائف.

عندما انتهى الجميع من طعامهم وهَمُّوا بالنهوض، كانت مفاصل كرويد تطقطق من جديد.

جلس على سريره في وقت لاحق من تلك الليلة وكان يشعر بالألم. لم تُفِدْه حبوب الأسبرين كثيرًا. خلع ملابسه لأنها كانت كلها ضيقة من جديد. وكان كلما حك جلده يتقشر وتسقط منه قطع كبيرة، لكنها كانت جافة وشاحبة ولم تظهر عليها علامات دم. لا عجب أن وجهه كان يبدو متعبًا. ورأى

في الجزء السفلي من صدره شيئًا رماديًا وقاسيًا. لم يستطع معرفة ما هو لكن وجوده أخافه.

قرر بالأخير مكالمة بنتلي غير آبه بالساعة. كان يحتاج أن يكلم أحدًا عالمًا بحاله، فلم يجد غير بنتلي.

رن الهاتف كثيرًا قبل أن يرد بنتلي. أخبره كرويد بما يحدث معه.

«برأيي يا فتى يجب أن تلتزم بتعاليم الدكتور وتنام إلى حين اكتمال الحالة».

«لا يمكنني، ليس بعدُ على الأقل. أحتاج إلى يوم واحد بعدُ ثم سأنام. يمكنني الصمود إلى حينها، ولكنني أتألم كثيرًا، ومظهري ...»

«حسنًا، حسنًا، إليك الحل. تعال إلى منزلي في حوالي العاشرة صباحًا. لا أستطيع عمل شيء الآن، ولكنني أعرف رجلًا يمكنه تزويدك بمسكنات قوية المفعول. أريد رؤيتك وجهًا لوجه أيضًا حتى أستطيع حل أمر مظهرك».

«حسنًا. شكرًا جزيلًا يا بنتلي».

«لا شكر على واجب، أنا أتفهّمك، لم أكن سعيدًا بكوني كلبًا. تصبح على خير».

«وأنت من أهله».

بعد ساعتين، أصيب كرويد بتشنجات شديدة أعقبها إسهال. كما شعر وكأن مثانته على وشك الانفجار. استمر على حاله هذه طوال الليل. قام ليزن نفسه في الثالثة والنصف فوجد وزنه قد انخفض إلى ٢٧٦. وبحلول الساعة السادسة كان وزنه ٢٤٢ رطلًا. قرقر باستمرار. فكر بينه وبين نفسه أن هذه الآلام أفادته بأن شغلته عن الحكاك والآلام بمفاصله. كما كانت كفيلة بإبقائه مستيقظًا دون أمفيتامينات.

بحلول الثامنة صباحًا صار وزنه ٢١٦ ولاحظ أنه قد فقد شهيته عندما ناداه كارل لتناول الإفطار. الغريب في الأمر أن مقاسه لم ينقص على الإطلاق. لم يتغير شكل جسمه العام منذ اليوم السابق. كان شاحبًا الآن وكأنه مصاب بالمهق؛ مما منحه مظهر مصاص دماء سمين، خصوصًا مع أسنانه البارزة.

اتصل ببنتلي عند الساعة التاسعة صباحًا وذلك لأن بطنه ما انفك يصدر أصواتًا، وكان يدخل الحمام بشكل زائد. أوضح أنه يعاني من الإسهال ولا يمكنه المجيء للحصول على الدواء. قال بنتلي إنه سيحضره بنفسه بمجرد أن يجلبه الرجل. كان كارل وكلوديا قد غادرا بالفعل يومها. تجنبهم كرويد هذا الصباح، مدعيًا أنه يعاني من اضطراب في

المعدة. كان يزن الآن ١٩٨ رطلًا.

وفي قرابة الساعة الحادية عشرة تقريبًا، جاء بنتلي. كان كرويد قد فقد عشرين رطلًا أخرى بحلول ذلك الوقت، وخدش شريحة كبيرة من الجلد من أسفل بطنه. كانت منطقة الأنسجة المكشوفة تحتها رمادية ومتقشرة.

«يا إلهي!» قال بنتلي بدهشة حين رآه.

«نعم».

«لديك مناطق صلعاء في رأسك».

«نعم».

«سأحضر لك قطعة شعر مستعار. كما سأتحدث إلى سيدة أعرفها، خبيرة تجميل. سنوفر لك نوعًا من الكريم لتضعه، سيمنحك بعض اللون الطبيعي. أعتقد أنه من الأفضل لك ارتداء نظارات داكنة أيضًا عندما تذهب إلى حفل الزفاف. أخبرهم أن لديك قطرات في عينيك. إنك تتحدّب أيضًا. متى حدث ذلك؟»

«لم ألاحظ حتى. لقد كنت مشغولًا».

ربت بنتلي على الكتلة بين كتفي كرويد فصرخ الأخير.

«أعتذر. يستحسن أن تأخذ فورًا».

«نعم».

«يفضل أن ترتدي سترة فضفاضة. أي مقاس تفضل؟»

«حاليًا لا أعلم».

«لا بأس. أعرف شخصًا يملك مستودعًا. سأرسل لك دستة».

«يجب أن أذهب يا بنتلي، يجب أن أدخل الحمام».

«حسنًا، تناول دواءك وارتح قليلًا».

صار وزن كرويد ١٥٥ بحلول الساعة الثانية. لقد نفعه المسكن واختفت الآلام لأول مرة منذ فترة طويلة. لسوء الحظ، جعله ذلك يشعر بالنعاس أيضًا واضطر إلى تناول الأمفيتامينات مرة أخرى. ولكن لحسن الحظ، منحه هذا المزيج أول شعور جيد منذ أن بدأ العمل بأكمله، على الرغم من أنه كان يعلم أنه مؤقت.

وعند تسليم حمولة المعاطف عند الثالثة والنصف، انخفض وزنه إلى ١٣٢ رطلًا وشعر بنفسه خفيفًا للغاية. كما شعر وكأن دمه ماء. وجد معطفًا يناسبه تمامًا وأخذه إلى غرفته، تاركًا الآخرين على الأريكة. وعند الساعة الرابعة، جاءت خبيرة التجميل؛ امرأة شقراء طويلة بأظافر مطلية وتمضغ العلكة.

قامت بتمشيط معظم شعره وحلقت الباقي، كما ركَّبت له قطعة شعر مستعار. قامت بعد ذلك بترتيب وجهه موجِّهةً إياه عن كيفية استخدام مستحضرات التجميل أثناء عملها. كما نصحته بإبقاء فمه مغلقًا قدر الإمكان لإخفاء أنيابه. كان مسرورًا بالنتائج فدفع لها مبالغ طائلة. لاحظت بعد ذلك أن هناك خدمات أخرى قد تؤديها له، لكن معدته كانت تقرقر من جديد فاضطر لتوديعها.

بدأت معدته بالارتياح بحلول السادسة مساءً. كان وزنه قد بلغ 116 ولكنه كان يشعر بالراحة. توقفت الحكة أخيرًا أيضًا، رغم أنه كان قد خدش جلدًا أكثر في صدره وساعديه وفخذيه.

عاد كارل من عمله ونادى على كرويد.

«ما هذه المعاطف؟»

«قصة طويلة. يمكنك الحصول عليها إذا أردت».

«نعم، إنها كشميرا!»

«نعم».

«هذه على مقاسي».

«خذها إذن».

«كيف تشعر؟»

«أفضل. شكرًا».

شعر تلك الليلة بقوته تعود، فذهب للمشي لمسافة طويلة كما اعتاد. رفع مقدمة سيارة متوقفة عاليًا في الهواء لاختبار قوته. بالفعل، يبدو أنه يتعافى الآن. مع الشعر والمكياج بدا وكأنه رجل سمين في حديقته المتنوعة، طالما أن فاه مغلق. لو كان يملك مزيدًا من الوقت فقط لكان زار طبيب أسنان لحل مسألة الأنياب. لم يأكل شيئًا في تلك الليلة أو في الصباح. شعر بضغط غريب على جانبي رأسه لكنه أخذ حبة أخرى ولم يشعر بعدها بأي ألم.

♣ ♦ ♠ ♥

قبل أن يغادر هو وكارل إلى ريدج وود، أخذ كرويد حمامًا أخيرًا. تساقط جزء كبير من جلده لكنه لم يهتم، فقد كانت ملابسه تغطي جسده المرقع. لحسن الحظ أن وجهه على الأقل ظل سليمًا. قام بوضع مكياجه بعناية وضبط قطعة الشعر. ارتدى ملابسه بالكامل ومعها نظارة شمسية، فبدا أنيقًا للغاية. وقد أخفت السترة انتفاخ ظهره إلى حدٍّ ما.

كان صباحًا منعشًا وملبَّدًا بالغيوم. لم يكن يعاني من مشاكل في معدته ولكنه أخذ حبة دواء من باب الوقاية، فلم

يكن متأكدًا إذا ما اختفت آلامه كلها. توجب عليه أخذ حبة أمفيتامين إضافية أيضًا. لم يكن لديه أي مشاكل، كان يشعر بالراحة ولكن مع قليل من التوتر.

أثناء مرورهم عبر النفق وجد نفسه يفرك يديه، مما جعل قطعة كبيرة من الجلد تنفصل على ظهر يده اليسرى. أثار الأمر استياءه ولكنه تذكر أن الأمور حتى الآن تحت سيطرته، فقد تذكر إحضار قفازات.

لم يكن يعرف ما إذا كان السبب هو الضغط في النفق، لكن شعر بالضغط في مرة أخرى. لم يكن إحساسًا مؤلمًا بل ضغط شديد في أذنيه وصدغه. كان الجزء العلوي من ظهره ينبض أيضًا، وكانت هناك حركة بداخله. عض شفته وخلع جزءًا منها، فغضب.

«ما الخطب؟» سأله كارل.

«لا شيء».

على الأقل لم تكن شفته تنزف.

«يمكنني إعادتك للمنزل إذا كنت ما تزال مريضًا. لا أريدك أن تمرض في حفل الزفاف، خاصة أمام أناس مهمين كأهل سام».

«سأكون بخير».

شعر بالدوار، فالضغط انتقل للعديد من النقاط داخل جسده. وتفوقت المسكنات القوية التي أخذها على قوته الأساسية. يبدو أن كل شيء يتدفق بشكل مثالي. صار يدندن نغمة وينقر بأصابعه على ركبته.

«... لا بد أن المعاطف قد كلفتك ثروة. إنها ما تزال جديدة». قال كارل.

«بِعْها واحتفظ بالمال لنفسك».

«هل هي غالية؟»

«على الأغلب».

«هل تقوم بأعمال غير قانونية يا كرويد؟»

«كلا ولكنني ذو معارف».

«سأصمت إذن».

«حسنًا».

«أتعلم، لكنك تبدو كذلك، خاصةً مع السترة السوداء والنظارات».

لم يُجِبْه كرويد. كان منهمكًا بالإصغاء لجسده والذي كان

يخبره عن أن عضوًا في ظهره سينفصل عن جسده. فرك كتفيه بالمقعد وشعر بالراحة.

تعرف كرويد على والدي سام، ويليام ومارسيا كيندال؛ رجل صلب وسمين بشعر شائب وسيدة شقراء لم تبدُ عليها علامات السن. تذكر كرويد أن يبتسم دون أن يفتح فمه، حتى أنه كان يرد على الأحاديث عبر تحريك شفتيه بالكاد. كانا يدرسان شكله بدقة، وشعر أن في فمهم كلامًا يريدان قوله، ولكنهما كانا مضطرين لاستقبال الضيوف.

«أود التحدث معك أثناء الاستقبال». كان هذا آخر ما قاله ويليام.

تنهد كرويد وابتعد. لقد انتهى أمره الآن، فلم يكن لديه نية لحضور حفل الاستقبال. كان يفضل أن يكون في سيارة أجرة عائدًا إلى مانهاتن بمجرد أن تنتهي مراسم الزفاف، عائدًا لدفء سريره. من المحتمل أن يكون سام وكلوديا في جزر الباهاما قبل أن يستيقظ.

لمح قريبه مايكال الذي يقطن في مدينة نيوآرك. أراد التسليم عليه لكنه تراجع، إذ سيُضطر لشرح سبب تغيُّر شكله، وبرأيه الأمر لا يستحق كل هذه المشقة. دخل قاعة الزفاف المليئة بالناس. كارل هو من سيرافق كلوديا على المذبح. ربما حالفه حظه واستيقظ متأخرًا كي لا يقوم بهذه المهمة.

جلس أثناء انتظاره بدء المراسم يتأمل زينة المذبح والزجاج الملون في كلا جانبي القاعة وباقات الأزهار. دخل أشخاص آخرون وجلسوا. أدرك أنه كان يتصبَّب عرقًا. لقد كان الوحيد الذي يرتدي معطفًا. تساءل عما إذا كان الآخرون يعتقدون بأن الأمر غريب، وتساءل عما إذا كان العرق يتسبَّب في سيلان مكياجه. ثم قام بفك أزرار معطفه وتركه مفتوحًا.

استمر بالتعرق وبدأت قدماه تؤلمانه. انحنى إلى الأمام وفك رباط الحذاء. وفيما كان يفعل ذلك سمع صوت تمزق قميصه من الخلف. كما شعر وكأن شيئًا بين كتفيه قد انفك؛ قطعة أخرى من الجلد. شعر بألم حاد عندما حاول الاستقامة. لم يستطع أن يتكئ بالكامل على المقعد. شعر وكأن حدبته قد نمت وكان الضغط عليها مؤلمًا. جلس متكئًا وكأنه يصلي. بدأت الفرقة بالعزف واستمر الناس بالدخول والجلوس. وجلس بالقرب منه زوجان عجوزان.

استقر الجميع في مقاعدهم واستمر كرويد بالتعرق من كل صوب وناحية. امتصت ملابسه العرق وتلطخت بالبقع. قرر خلع السترة ووضعها فقط على كتفيه، لعل حرارته تنخفض. لم تصب حساباته، فقد عاد لإخراج يديه من السترة وتمزقت ملابسه من عدة أمكنة. انفجر حذاؤه الأيسر فجأة وخرجت

أصابع قدمه بشكل رمادي من جانبيه. نظر إليه عدد من الناس بهدف الاستفسار عن هذه الأصوات. كان ممتنًّا أنه غير قادر على الاحمرار.

لم يكن يعلم ما إذا كانت الحكة سببها الحرارة أو سبب نفسي. مهما كان السبب، لا يمكن إنكار أنها كانت حكة حقيقية. كان بحوزته مسكنات للألم والأمفيتامينات ولكن لا علاج لتهيج الجلد. شبَّك يديه بإحكام ليس للصلاة ولكن للحيلولة دون حكهما، ولكنه مع ذلك أقام صلاة أيضًا؛ إذ تطلبت الظروف ذلك. ولكن حتى الصلاة لم تنفع.

من بين رموشه المكسوة بقطرات العرق المتساقطة، رأى مأمور النفوس يدخل. تساءل عما إذا كان هو أيضًا يحدق به. شعر وكأنه لا يوافق على تعرُّق شخص من غير رعيته في قاعته. شد كرويد على أسنانه. تمنى لو أنه كان ما يزال لديه القدرة على جعل نفسه غير مرئي، لاختفى لبضع دقائق وحك كالمجنون ثم عاد وكأن شيئًا لم يكن.

ساعدته إرادته المطلقة على الحفاظ على ثباته حتى انتهاء مسيرة مندلسون. لم يكن قادرًا على التركيز على ما قاله الكاهن بعد ذلك، لكنه بات الآن متأكدًا من أنه لن يكون قادرًا على البقاء جالسًا طوال الحفل بأكمله. تساءل عما سيحدث إذا غادر. هل ستحرج كلوديا؟ من ناحية أخرى، إذا بقي فهذا

بالضبط ما سيحدث. يجب أن يبدو مريضًا بما يكفي لتبرير ذلك. ولكن ماذا لو أدَّى ذلك ليصبح زفافها حديث الناس لسنوات؟ «لقد تركها شقيقها ...» ربما يمكنه الصمود قليلًا بعد.

شعر بشيء يتحرك على ظهره وسترته تتحرك. سمع سيدة تشهق من خلفه فازداد خوفه من التحرك، ولكن الحكة غلبت عليه ففتح يديه للحك ولكنه توقف آخر لحظة وأمسك ظهر المقعد من خلفه ليكبح نفسه. لسوء الحظ انكسر المقعد من قوة قبضته.

تبع الحادثة صمت طويل.

كان الكاهن يحدق به. كما استدار كل من كلوديا وسام للتحديق به. أما هو فقد راوح مكانه ممسكًا بظهر المقعد المكسور وطوله ست أقدام. كان يعرف أنه لا يستطيع حتى أن يبتسم وإلا ستظهر أنيابه.

أسقط الخشب وشبك نفسه بكلتا ذراعيه. انزلق معطفه وتبع ذلك صيحات من الخلف. فما كان منه إلا أن غرس أصابعه في جانبيه بكامل قوته وحك جسده.

سمع ملابسه تتمزق وشعر أن جلده تمزق حتى أعلى رأسه. رأى قطعة الشعر تتساقط على يمينه. ألقى الملابس والجلد

وحك مرة أخرى بقوة. سمع صرخة من الخلف وكان يعلم أنه لن ينسى أبدًا النظرة على وجه كلوديا وهي تبكي. لكنه لم يعد يستطيع التوقف. وكأن ما حدث لم يكن كافيًا، حتى ظهر له جناحان كبيران شبيهان بأجنحة الخفافيش، وبرزت أذناه المستدقة وسقط ما تبقى من ملابسه، وظهر جسده المغطى بالحراشف الداكنة.

بدأ المأمور بالحديث مرة أخرى. بدا وكأنه يتلو صلاة لطرد الشر. جاءت صرخات وأصوات ارتطام سريع. كان يعلم أنه لا يستطيع الخروج من الباب الذي كان يتجه إليه الآخرون، فقفز في الهواء ودار عدة مرات ليشعر بأطرافه الجديدة، ثم غطى عينيه بساعده الأيسر وحطم نافذة ملونة على يساره ليخرج منها.

وفي طريق عودته نحو مانهاتن، شعر أنه سيمر وقت طويل قبل أن يرى الأقرباء الجدد مرة أخرى. كان يأمل ألا يتزوج كارل لبعض الوقت. تساءل بعد ذلك عما إذا كان نفسه سيقابل الفتاة المناسبة.

طار مبتعدًا عما حدث، والنسمات تزيد الدموع في عينيه. ألقى نظرة أخيرة إلى القاعة التي باتت تبدو كعش النمل، ثم طار بعيدًا.

الشاهد

بقلم والتر جون ويليام

ترجمة فاطمة مازح

عندما استشهد الفتى النفَّاث، كنت أشاهد برنامج «ذا جولسون ستوري» الصباحي. أردت مشاهدة أداء لاري بارك، فقد أشاد الجميع به، فدفعني ذلك لمراقبته بدقة وأخذ الملاحظات.

فجميع الممثلين الصاعدين يفعلون كذلك.

انتهى الفيلم وانتهت معه مخطَّطاتي للساعات القليلة التالية. كنت أشعر بالراحة وأردت مشاهدة لاري بارك من جديد، وبالفعل هذا ما فعلت. غلبني النعاسُ في منتصف الفيلم وغفوت، وعندما استيقظتُ كان الفيلم قد انتهى وكنت وَحْدي في صالة السينما.

خرجت إلى الصالة لأجدها فارغةً تمامًا من الناس والموظفين. حتى البوابات كانت مغلقة. كان الوضع وكأن الجميع قد هربوا ونسوا إغلاق أجهزة العرض. خرجت لأجد نفسي فيما بعد ظهيرةِ يومٍ خريفي لطيف في وسط الجادة الثانية الخالية.

ولكن ... الجادة الثانية لا تخلو أبدًا.

تم إغلاق أكشاك الصحف. كانت السيارات القليلة التي استطعت رؤيتها متوقِّفة. تم إيقاف تشغيل سرادق المسرح. كان بإمكاني سماع أبواق السيارات الغاضبة على مسافة بعيدة، وفوقها قعقعة محركات الطائرات العالية الطاقة. كانت هناك رائحةٌ كريهة من مكانٍ ما.

كان كل شيء مغلقًا أو متوقفًا؛ أكشاك الصحف والسيارات القليلة التي استطعت رؤيتها وسرادق المسرح. كلُّ ما تمكَّنت من إدراك وجوده هو أبواقُ السيارات الغاضبة على بُعْدِ مسافةٍ قليلة، وهديرُ طائرةٍ عاليةِ القوة تحلق فوقها. كما انتشرت في الجو رائحةٌ كريهة.

طغى على مدينة نيويورك شعورٌ مخيف يسيطر على المدن التي تعاني من ضربات جوية. مدينة مهجورة تترقب مصيرها بخوف. لقد عايَشتُ ذلك الشعورَ في حروب سابقة، وعادةً ما كنت بطرف الضحية؛ لذلك لم يعجبني ذلك الشعورُ قَط. بدأتُ بالمسير نحو شقتي التي تبعد مقدارَ حيٍّ ونصف.

اكتشفتُ مصدر الرائحة الكريهة في أول مائة قدم من مسيري. كانت تنبعث من بركة وردية مائلةٍ للحُمْرة وكأنها عدة جالونات من الآيس كريم غريب الألوان يذوب على الرصيف وينسكب في المجاري.

ألقيتُ نظرةً عن كثب ووجدتُ بعض العظام بداخل تلك البركة. بالتحديد وجدت عظمةَ فكٍّ بشرية وقصبة ساق ومحجر عين. كانت جميع الأعضاء تتحلل وتتحوَّل إلى زبد وردي فاتح.

كما كانت هناك ملابسُ تحت البركة. زي حارسة بالتحديد. كان مصباحها قد تدحرج نحو المجاري وكان الجزء المعدني منه يذوب مع عظامها.

تدفق الأدرينالين في جسدي وتقلَّبت معدتي. لم أشعر بنفسي سوى أنني أركض.

وصلت إلى شقتي وتداركت الأمر؛ لا بد أن حالة طارئة قد حلت على المدينة. بسرعةٍ شغَّلت جهاز الراديو لأطَّلِع على آخِر الأخبار.

ذهبت للتحقق من مخزون الأطعمة المعلَّبة في خزانة المطبخ ريثما يعمل جهاز الفيلكو. لم أجد سوى علبتَيْ حساءٍ من صنف كامبلز. كانت يداي تَرجُفان بشدة لدرجةِ أنني أوقعتُ إحدى علب الحساء في الخزانة، فتدحرجت ورست خلف علب الثلج. حاولت الوصول إليها من خلف علبة الثلج ولكنني لم أقُم بالحسابات الصحيحة؛ إذ انقلبَتِ الموازينُ عند ارتعاش الضوء فجأةً وطارت علبة الثلج عبر الغرفة

واخترقت الجدار. حتى إن المقلاة التي كانت بيدي وكان يجدر بها التقاطُ قِطَعِ الثلج الذائبة، خانَتْني ووقعت إلى الأرض.

جلبتُ علبة الحساء وأعَدْتُ علبة الثلج التي صارت بخف الريش إلى مكانها. كانت يداي لا تزالان تَرجُفان والضوء لا يزال غير مستقر. رفعتُ العلبة بيدٍ واحدة.

اشتغل الراديو أخيرًا وعلمت بأمر الفيروس. كان يجدر بجميع مَن يشعر بالعوارض التوجُّه فورًا إلى خيم الطوارئ التي أعَّدها الحرس الوطني في جميع أرجاء المدينة. كانت هناك إحداها بالقرب من منزلي في واشنطن سكوير بارك.

لم أشعر بالواقع بأي عوارض، ولكنني في المقابل كان بإمكاني التلاعب بصندوق الثلج كما لو كان كرة، وهذا بحد ذاته لم يكن أمرًا طبيعيًا. تمشيت نحو واشنطن سكوير بارك. ملأت الضحايا كلَّ مكان، حتى إن بعضها كان مُلقًى في الشارع. لم أستطع النظر حولي كثيرًا، فالمنظر كان أسوأ من أي شيء قد رأيته يومًا في الحرب. كنت أعلم أنه طالما أنني بصحة جيدة وما زلت أستطيع الحركة، فإن الأطباء سيضعونني في مرتبة متدنية في قائمة العلاج، وسيستغرق الأمر أيامًا قبل أن أحصل على أية مساعدة؛ لذلك توجَّهت إلى شخص مسؤول وأخبرته أنني كنتُ عسكريًا في السابق.

سألته عما يمكنني فعله للمساعدة؛ وذلك على الأقل لأكون بالقرب من مستشفى إذا ما شعرت أنني سأموت .

طلب مني الأطباء المساعدة بتجهيز مطبخ. كان الناس يصرخون ويموتون ويتحوَّلون أمام ناظِرَي الأطباء، ولكن لم يكن بيد المُسعِفين أية حيلة. لم يكن بيدهم سوى إطعام الضحايا.

قصدت شاحنة عسكرية تابعة للحرس الوطني وبدأت بنقل صناديق الطعام. كان كل منها يزن حوالي الخمسين رطلًا. كدَّست ستة منها بعضها فوق بعض، وحملتها بيد واحدة. ظل تصوُّري للضوء يتغير بطرق غريبة. أفرغت الشاحنة في حوالي دقيقتَين. علقَتْ شاحنةٌ أخرى في الوحل عندما حاولت عبور المنطقة، فالتقطتُ الشاحنةَ بأكملها وحملتها إلى حيث كان من المفترض أن تكون، ثم أفرغتُها وسألت الأطباء عما إذا كانوا يحتاجون إليَّ أو لأي شيء آخَر.

حاوَطتْني هالةُ نور غريبة. أخبرني الناس من حولي أنني كلما قمت بحركة توهَّجت، وأن هالة ذهبية لامعة تشكَّلت حول جسدي. ولكن كأنَّ نظرتي للعالَم من حولي من خلال توهُّجي الخاص كان لها تأثير على الضوء المحيط بي.

لم أُعِرِ الأمرَ اهتمامًا كبيرًا، فالمنظر والوضع من حولي كانا متعبَين. استمر الوضع على حاله لأيام. كان الناس إما

يرسمون الملكة السوداء أو الجوكر. كانوا يتحوَّلون إلى وحوش أو يموتون أو يتغيرون. سرى مفعول الحكم العُرفي على المدينة بأكملها، فصارت كما لو أنها ساحةُ حرب. لم تعايش المدينةُ أيَّ اضطرابات بعد أعمال الشغب الأولى التي حصلت على الجسور. وعاشت المدينة انقطاعًا للتيار الكهربائي وحظر التجول ودوريات لمدة أربع سنوات. وعاد الناس لحياتهم التي اعتادوها خلال الحرب. سادت شائعات غريبة في أرجاء المدينة؛ فأحدهم قال إن ما حدث هو هجوم مريخي، وقال الآخَر إطلاقُ عَرَضي لغازٍ سام، وصدَّق الكثيرون أن ما حدث كان بسبب بكتيريا أطلقها النازيون أو ستالين. وكأنَّ الأمر لم يَكْفِ، فأقسم عدة آلاف من الأشخاص أنهم رأوا شبحَ الفتى النفَّاث يطير دون طائرته في شوارع مانهاتن. واصَلتُ العملَ في المستشفى بنقل الحمولات الثقيلة. وهناك تعرَّفت على تاكيون.

كان قد جاء لتقديم القليل من المصل التجريبي الذي كان يأمل أن يكون قادرًا على تخفيف بعض الأعراض. كان انطباعي الأولُ عنه أنه شخصٌ مخبول استطاع تجاوُزَ الحراس لترويجِ علاجٍ قدَّمته له عمَّتُه نيللي. كان رجلًا نحيلًا وضعيفَ المظهر بشعر أحمر معدني طويل يتخطى كتفَيه. كنت متأكدًا من أن هذا اللون لا محالة من أن يكون غير طبيعي. كانت ملابسه تبدو كما لو أنه حصل عليها من جيش

الخلاص في منطقة المسرح؛ إذ كانت عبارة عن معطف برتقالي زاهٍ يشبه ذلك الذي قد يرتديه قائد فرقة موسيقية، وسترة حمراء بشعار هارفارد، وقبعة روبن هود، مع ريشة وبنطال بطول أربع بوصات تحت ركبتَيه مع جوارب طويلة بنقشة مربعات، وحذاء بلونَين لا يناسبان أحدًا أبدًا. كان يتنقل بين الأَسِرَّة بصينية مليئة بالعلاجات. كان يراقب كلَّ مريض ويحقنه بالإبر. تركتُ جهازَ الأشعة السينية الذي كنتُ أحمله وركضت لإيقافه قبل أن يتسبَّب في أي ضرر.

لكنني ما لبثت أن توقَّفت بمجرد أن لاحظتُ الأشخاص الذين يتبعونه. كان من بينهم جنرال برتبة من ثلاث نجوم وهو قائد الحرس الوطني الذي يدير المستشفى، بالإضافة للسيد أرشيبالد هولمز الذي كان أحد أفراد حاشية الرئيس فرانكلين ديلانو روزفلت القديم في وزارة الزراعة، وقد تعرَّفت عليه في الحال. لقد كان مسؤولًا عن وكالة إغاثة كبيرة في أوروبا بعد الحرب، لكن ترومان أرسله إلى نيويورك بمجرد أن تفشى الطاعون. تبعت إحدى الممرضات وسألتها عما يحدث.

«هناك علاج جديد». أجابت الممرضة، ثم أضافت: «لقد أحضره ذاك الطبيب، تاك شيء ما».

«هل هو مَن ركَّبه؟»

«نعم». أجابت الممرضة وهي تنظر للطبيب بعبوس. «إنه من كوكب آخَر».

نظرت إلى بنطاله وقبعته. «لا بد أنه كذلك». قلت بسخرية.

«لا، حقًّا إنه كذلك».

بمجرد الاقتراب منه، يتضح لك جليًّا الهالات السوداء تحت عينَيه البنفسجيتَين الغريبتَين، والعِرْق البارز على وجهه. لقد كان يسعى جاهدًا منذ بداية الأزمة، تمامًا كما فعل الأطباء وأي شخص آخَر، سواي. لم أجد داعيًا لذلك بسبب الطاقة الغريبة التي تخالِجني بالرغم من نومي لبضع ساعات قليلة كلَّ ليلة.

نظر إليّ قائد الحرس الوطني وقال: «هذه حالة أخرى، اسمه جاك براون».

نظر لي تاكيون وسألني عن عوارضي بصوته العميق ولهجته شبه الأوروبية.

«أشعر بالقوة. يمكنني حمل الشاحنات، وتحيطني هالة ذهبية عند فعل ذلك».

بدا لي وكأنه تحمَّس عند سماع عوارضي.

«مجال قوة بيولوجية! هذا مثير للإعجاب! أود أن أراقبك

لاحقًا. بعد ... انتهاء الأزمة الحالية». قال الجزء الأخير من كلامه وقد بدا على وجهه انزعاجٌ واضح.

«بالطبع. متى ما شئتَ فستجدني جاهزًا».

انتقل إلى السرير التالي، ولكن مسؤول الإغاثة السيد هولمز لم يتبعه. بقي مكانه وصار يراقبني وهو يلهو بحامل السجائر الخاص به.

حاولتُ أن أبدوَ ذا منفعة. سألته: «هل يمكنني مساعدتك بأي شيء يا سيد هولمز؟»

تفاجأ قليلًا من سؤالي: «هل تعرف اسمي؟»

«أتذكَّر قدومَك لمدينة فايت في داكوتا الشمالية في عام ١٩٣٣. بحلول المرض الجديد. كنت في وزارة الزراعة حينها».

«قديمًا. ماذا تفعل في نيويورك يا سيد براون؟»

«كنت ممثلًا قبل إغلاق المسارح».

«أها!» قال وأومأ برأسه: «ستعود المسارحُ للعمل في أقرب وقت. لقد أبلغنا الدكتور تاكيون بأن الفيروس ليس مُعدِيًا».

نظر بعدها إلى مدخل الخيمة. «فَلْنخرج قليلًا للتدخين».

«حسنًا». ثم تبعته بعد أن نفضتُ يدَيَّ وأخذت سيجارةً

بخليطٍ مخصَّص من علبته الفضية. أشعل سيجارته ثم نظر إليَّ من خلف الكبريت عند إشعاله سيجارتي.

«أود إجراء بعض الفحوصات عليك فور انتهاء حالة الطوارئ، للتأكُّد من ماهية قدراتك بالضبط».

هززت كتفَيَّ وأجبته: «لا مانعَ لديَّ يا سيد هولمز، ولكن هل من سببٍ محدَّد؟»

«ربما بإمكاني تدبيرُ وظيفةٍ لك ... في المسرح العالمي».

قطع شيءٌ الاتصالَ بيني وبين الشمس. نظرت للأعلى للتحقُّق منه فلامَسَ إصبعٌ بارد رقبتي.

كان شبح الفتى النفَّاث الأسود يحلِّق في السماء ووشاحه الأبيض يتطاير في الهواء.

♣ ♦ ♠ ♥

وُلِدتُ وترعرعتُ في داكوتا الشمالية. وُلِدت عام ١٩٢٤ في ذروة الأحداث السيئة. كانت البلاد تعاني من مشاكل مع البنوك ومشاكل في الفوائض الزراعية التي أدَّت إلى انخفاض الأسعار. ساءت الأمور أكثر عندما ضرب الكسادُ البلادَ. كانت أسعارُ الحبوب منخفضةً للغاية لدرجةِ أن بعض المزارعين اضطروا حرفيًا إلى الدفع للناس لنقل الأشياء

بعيدًا. أُقِيمت المزادات الزراعية كل أسبوع تقريبًا في قاعة المحكمة، وبِيعَت مزارعُ بقيمةِ خمسين ألف دولار مقابلَ بضعِ مئاتٍ من الدولارات. كما أُغلِق نصف الشارع الرئيسي.

أَضْربَت المزارعُ حينها عن العمل، حيث امتنع المزارعون عن بيع الحبوب حتى ترتفع الأسعار. كنتُ أستيقظ في منتصف الليل لجلب القهوة والطعام لوالدَيَّ وأبناء عمي الذين كانوا يقومون بدوريات على الطرق للتأكد من عدم بيعِ أحدٍ الحبوبَ خفيةً. كانوا سيُصادِرون الشاحنةَ ويُلْقُون بشحنتها إذا أحضر أحدهم الحبوب. وكانوا إذا مرت شاحنة محمَّلة بالماشية، يُطلِقون النارَ على الماشية ويرمونها على جانب الطريق لتتعفَّن. أرسل بعض كبار الشخصيات المحلية الفيلقَ الأمريكي لكسر إضراب المزرعة، فهم كانوا يكسبون ثروةً من شراء القمح بأسعار منخفضة. حمل عناصرُ الفيلق مقابضَ الفؤوس وارتدوا قبعاتهم الصغيرة، ولكن المنطقة بأكملها انتفضَت عليهم وأعطَتهم درسًا لن يَنْسوه في حياتهم؛ ففروا إلى المدينة هاربين.

دون سابق إنذار، صارت مجموعة من المزارعين الألمان تتكلَّم وتتصرَّف كالراديكاليين. في المقابل كان فرانكلين ديلانو روزفلت أولَ رئيس ديمقراطي تصوِّت له عائلتي.

رأيت أرشيبالد هولمز لأول مرة في الحادية عشرة من

عمري. كان يعمل حينها مستشارًا لحل المشاكل عند السيد هنري والاس في وزارة الزراعة. جاء يومَها إلى فايت للتشاوُر مع المزارعين حول بعض الأمور بخصوص ضبط الأسعار، أو التحكم في الإنتاج أو حمايته حسب ما أذكر، وذلك بحسب أجندة الصفقة الجديدة التي حافَظَت على مزرعتنا بعيدةً عن المزاد العلني. ألقى كلمةً صغيرة على دَرَجِ المحكمة عند وصوله، ولسببٍ ما لم أنْسَه.

لطالما كان رجلًا مثيرًا للإعجاب حتى منذ ذلك الحين. كان شخصًا حَسَنَ الملبس بشعر الرمادي، بالرغم من أنه لم يبلغ الأربعين من العمر. كان يدخِّن سيجارة في حامل مثل فرانكلين ديلانو روزفلت، ويتكلم بلهجة سكان بلدة تايد ووتر، التي كانت غريبةً على مسامعي، وكأنه من المعيب لفْظُ حرفِ «الراء». انقلبت الأمور إلى الأفضل بعد زيارته بقليل.

توطّدت معرفتي به بعد سنوات عديدة، ولكنني لم أقدر يومًا على مُناداته باسمه الأول. كان - وسيظل - السيدَ هولمز بالنسبة إليّ.

ولربما يمكنني إيعاز الفضل بشغفي بالتجوال إلى زيارة السيد هولمز. لطالما شعرتُ أن عالمًا آخر ينتظرني خارجَ فايت، خارج داكوتا الشمالية بالكامل. أما عائلتي فكانت تطلُّعاتها لمستقبلي عبارة عن حصولي على مزرعتي الخاصة،

والزواج من فتاةٍ من البلدة، وإنجاب جيش من الأطفال، ثم قضاء أيام الأحد في الاستماع إلى محاضرات القسيس عن عقاب الجحيم، وقضاء باقي أيام الأسبوع في العمل في مزرعتي لصالح البنك.

لطالما نقمث على قلة طموحهم. كنت متأكدًا من أن عالمًا آخَر بانتظاري، وسأحصل على حصتي منه.

كبرت لأصبح رجلًا أشقرَ، طويلَ القامة، عريضَ الكتفَين، وبأيدٍ كبيرة بحجم كرة القدم. أطلق وكيل أعمالي فيما بعدُ لقبَ «المظهر القوي القاسي» على ملامحي. أتقنتُ كرة القدم الأمريكية بشكل جيد، ولكنني لم أفلح في المدرسة. ومثّلت خلال فصول الشتاء الطويلة القاتمة في المسرح المجتمعي والعروض. كما اشتركت في دائرة لمسرح الهُواة باللغتَين الإنكليزية والألمانية. ركّزت اهتمامي على تمثيل الأدوار الميلودراماتيكية الفيكتورية والعروض التاريخية الغنائية، وحصلت على ردودٍ جيدة أيضًا.

كانت الفتيات يُعجَبْنَ بي، فقد كنث شخصًا من الطبقة العادية ولكن بملامحَ وسيمة. ربما ظنَنَّ أني مُزارِعُ أحلامِهن، ولكنني حرصتُ دومًا على ألّا أقع في غرام إحداهن. كنت أخرج مع ثلاث أو أربع فتيات في الوقت ذاته، ولكنني كنتُ آخُذ أقصى درجات الحذر كي لا أقع في الفخ الذي نصبه لي

أهلي.

نشأنا جميعًا على حب الوطن. كان الأمر لنا طبيعيًا كالتنفُّس، فحبُّ الوطن مغروسٌ فينا بالرغم من جميع الصعاب. لم تكن الوطنية أمرًا قابلًا للنقاش حتى، بل من المسلَّمات.

كان فريق كرة القدم المحلي يحقِّق انتصارات جيدة، ورأيت فيه تذكرةَ خلاصي من داكوتا الشمالية. وبالفعل، تلقَّيتُ في نهاية موسم التخرج منحةً دراسية في جامعة مينيسوتا.

ولكنني لم أنجح؛ لذلك عوضًا عن المنحة، آثَرْتُ في اليوم الذي تلا تخرُّجي في مايو من عام ١٩٤٢، الانضمامَ كمجنَّد متطوِّع في فرقة المشاة.

لم يكن الأمر جَلَلًا، فكلُّ فتًى في صفي فعل مثلي.

انتهى بي الأمر مع الفرقة الخامسة في إيطاليا، حيث خاضت فرقةُ المشاة حربًا مروعة. رافَقَنا المطرُ طوال الوقت، ولم يكن هناك مأوًى مناسِب قَط. كانت كل خطواتنا على مرأى ومسمع الألمان غير المرئيِّين. فهُم ما انفكوا يراقبوننا من أعلى التل المقابل بمناظير زايس الملتصقة بأعينهم. وعادةً ما كان يتبع ذلك صوت سلاح ٨٨ المرعب الذي

ينهمر كالمطر ... لا أتذكَّر وقتًا لم أكن فيه خائفًا. كنتُ بطلًا في بعض الأحيان، ولكنني غالبًا كنتُ أختبئ عندما تنهمر الصواريخ. بعد بضعة أشهر من وجودي هناك أصبحت على يقينٍ من أنني لن أعود سالمًا، أو أنني لن أعود حيًّا. لم تكن هناك تبديلات كما هي الحال في فيتنام، بل كان على أحد الرُّماة البقاءُ على خط النار حتى تنتهي الحرب، أو يموت، أو يصاب إصابةً تمنعه من العودة لموقعه. تعايَشتُ مع واقعي وواصَلتُ واجباتي. تمت ترقيتي إلى رتبة رقيب رئيسي، وحصلت في النهاية على نجمة برونزية وثلاثة قلوب بنفسجية، لكن الميداليات والترقيات لم تكن تعني لي الكثير بمقدار حصولي على زوج من الجوارب الجافة.

صادَقتُ في الجيش فتًى يُدعى مارتن كوزوكوفسكي. كان والده منتجًا مسرحيًا ثانويًا في نيويورك. ذكرت أمامه ذات مرة عملي بالتمثيل في داكوتا الشمالية أثناء احتسائنا نبيذًا أحمرَ سيئ الطعم وتدخيننا السجائر؛ كان التدخين عادةً أخرى التقطتُها من الجيش. وفي موجة من النوايا الحَسَنة الناتجة عندما احتساه قال: «بحق الجحيم لماذا لا تأتي إلى نيويورك بعد الحرب؟ يمكنني أنا ووالدي تأمينُ عروضٍ لك». كان حُلمًا بعيدَ المنال؛ إذ لم يكن أيٌّ منا يعرف مصيرَه. مع ذلك علق كلامه في رأسي، وتكلّمنا بالموضوع بعد تلك الليلة. وشاءت الأقدار أن أطولَ ذلك الحُلم.

توجّهت بعد يوم النصر في أوروبا إلى نيويورك. استطاع كوزوكوفسكي الأب تأمينَ بعض الأدوار لي بينما كنت أعمل في مجموعةٍ متنوعة من الوظائف بدوامٍ جزئي. كانت جميع الأعمال سهلةً مقارَنةً بالزراعة والحرب. كانت الدوائر المسرحية مليئةً بالفتيات المثقّفات اللواتي لم يضعْنَ أحمرَ الشفاه، وكأنَّ ذلك كان ينمُّ عن الجرأة. كنَّ على استعداد لأخذك إلى منازلهن إذا استمعتَ إليهن يتحدَّثْنَ عن أنويله أو بيرانديلو أو تحليلهن النفسي. أفضل ما في الأمر أنهن لا يُرِدْنَ الزواج وإنجاب مزارعين صغار. بدأت بوادر السِّلْم تلوح في الأُفق. وبدأت ولاية داكوتا الشمالية تتلاشى حتى بتُّ أظن بعد فترةٍ أن الحرب ربما لم تحصل من الأساس.

لم تكن تساؤلاتي سوى مجرد سراب. لطالما استيقظتُ في معظم الليالي على صوت مدافع ٨٨ في أذني، ليسيطر بعدها الرعب عليَّ بالكامل ويعود الجرح القديم في ربلة ساقي بالنبض كما لو أنه لم يُشفَ. ثم تطاردني ذكريات استلقائي على ظهري في حفرة والوحل يدخل إلى أسفل عنقي. كنت أنتظر المورفين أن يأخذ مفعوله أثناء مراقَبتي للسماء ملبّدة بطائرات ثندربولت الفضية وأشعة الشمس تلمع على أجنحتها الكبيرة. كانت الطائرات تتنقّل بين الجبال بسلاسة. ثم تتبادر إلى ذهني مشاعرُ الغيرة والغضب التي

كانت تعتريني كلما تذكَّرت الطيارين الذين ينعمون بمجالٍ جوي هانئ في حين كنتُ أنزف في أرض المعركة منتظرًا المورفين والبلازما. كنت أقول لنفسي إنني إذا أمسكتُ بأحدهم يومًا فسآخذ بثأري …

♣ ♦ ♠ ♥

أجرى السيد هولمز فحوصاته وبرهن على مدى قوتي الفعلية؛ أقوى من أي أحد قد قابَله يومًا أو تخيَّله. شريطةَ أن أكون قد استعددت جيدًا بما يكفي، يمكنني رفع ما يصل إلى أربعين طنًّا. كان الرصاص ينثني على صدري، وقذائف المدفع الخارقة للدروع عيار ٢٠ ملم قد تُسقِطني بالطاقة المنقولة، ولكن دون أن تخدشني حتى.

لم يتجرأ على تجرِبة أي عيار أعلى من ٢٠ ملم، وكذلك أنا. فلو ضُرِبت بمدفعٍ حقيقي عوضًا عن مدفع كبير فحسب، لَكنتُ الآن في عداد الموتى.

عرفتُ حدود طاقتي. غلب التعب عليّ بعد بضع ساعات من التجارب، وبدأت أشعر بالوهن. حتى الرصاصات العادية صارت تؤلمني. علمت حينها أنني أحتاج قسطًا من الراحة.

لقد أصاب تخمين تاكيون عندما تحدَّث عن مجال قوة بيولوجية، فقد أحاطَت بي هالة ذهبية عندما كنتُ في أوج

طاقتي. لكنني لم أكن أتحكَّم فيها بالضبط، فمثلًا لو أطلق شخصٌ ما رصاصةً على ظهري فجأةً، كان مجال القوة يتوهَّج من تلقاء نفسه، أمَّا عندما كنت أشعر بالتعب، فكان يتلاشى.

لم أتعب يومًا بشكل يجعله يتلاشى بالكامل، وخاصةً عندما أكون بحاجةٍ إليه. خفت كثيرًا مما قد يحدث إذا فقدته يومًا؛ لذلك حرصت على الاعتناء براحتي كلما احتجت.

عندما جاءت نتائج الاختبار، استدعاني السيد هولمز إلى شقته في بارك أفينيو ساوث. كان منزله كبيرًا يقع على الطابق الخامس بأكمله، لكن كثيرًا من الغرف كانت خالية. ماتت زوجته بعد صراع مع سرطان البنكرياس في عام ١٩٤٠، فتخلَّى منذ ذلك الحين عن معظم حياته الاجتماعية. كانت ابنته في إجازة من المدرسة يومها.

قدَّم لي السيد هولمز مشروبًا وسيجارةً، ثم سألني عن رأيي في الفاشية. وسألني عما يمكننا فعله بشأن انتشارها. تذكَّرت عندها ضباطَ قوات الأمن الخاصة النازية المغرورين، وعناصر سلاح الجو المظلي، وما يمكنني إلحاقه بهم الآن وقد بتُّ أتمتَّع بقوى هائلة.

«برأيي سأصبح جنديًا مثاليًا الآن».

ابتسم ابتسامة خفيفة ثم أردف:

«أتريد أن تنخرط في الجيش من جديد؟»

فهمت على الفور ما كان يلمِّح له، فحالة الطوارئ لا تزال مستمرة، والشر يَسُود العالم. كان من الممكن أن يكون لي دورٌ فعَّال في هذا الوضع. وأمامي جلس الساعد الأيمن لفرانكلين ديلانو روزفلت، والذي كان بدوره، أي الأخير، المسؤول الأول والأخير، يطلب مني المساعدة.

وبالطبع تطوَّعت. في الواقع لم أتوانَ لثانيةٍ في فعل ذلك.

صافَحني السيد هولمز ثم سألني: «هل تمانع العمل مع رجلٍ ذي بشرة داكنة؟»

هززت كتفي بالنفي.

ابتسم وقال: «جيد جدًّا، إذًا يجدر بي أن أعرِّفك على شبح الفتى النفَّاث».

لا بد أن الدهشة بانَت على وجهي. ابتسم ابتسامةً أعرض وقال: «في الواقع اسمه إيرل ساندرسن. إنه رجل رائع».

في الواقع، لم يكن اسمه غريبًا على مسامعي. «ساندرسن الذي يلعب لصالح فريق روتجرز؟ إنه رياضي بارع».

تفاجأ السيد هولمز، لا بد أنه لا يتابع الرياضة.

«أوه، برأيي مميزاته تتخطى ذلك».

إيرل ساندرسن الابن، الرجل ذو الحياة المختلفة تمامًا عن حياتي. وُلِد وترعرع في مدينة هارلم في نيويورك. لقد كان أكبر مني بإحدى عشرة سنة، وربما لم أستطِعْ يومًا تحقيقَ ما وصل إليه.

كان إيرل الأب موظفًا في سكة الحديد. كان رجلًا ذكيًّا طوَّر ثقافته بنفسه، ومعجَبًا بفريدريك دوغلاس ودوبوا. كان عضو هيئة في حركة نياجرا، التي أصبحت لاحقًا تُعرف بالجمعية الوطنية للنهوض بالملوَّنين. وانتسب بعدها لأخوية حمَّالي عربات النوم. رجل لطالما عُرِف بقوته وذكائه. ربُّ منزلٍ ممتاز حتى في ظل الأوضاع المحتدمة في هارلم في ذلك الوقت.

أما عند الحديث عن إيرل الابن، فبالتأكيد لم تسقط التفاحة بعيدًا عن الشجرة؛ فقد كان شابًّا متألقًا اقتدى بوالده. لمع نجمه في الثانوية على الصعيد الأكاديمي والرياضي. وحين قرَّر اتباع خطى بول روبنسن والانضمام إلى فريق روتجرز في ١٩٣٠، انهالت عليه المنح الدراسية من

كل حَدَب وصَوْب.

انضمَّ إلى الحزب الشيوعي خلال سنته الجامعية الثانية. وحين تعرَّفت إليه لاحقًا، كان بنظره الأمر أكثر الخيارت منطقية.

«كان الكساد الكبير يزداد سوءًا يومًا بعد يوم. استهدفت نيران رجال الشرطة المنظمين النقابيين في جميع أنحاء البلاد. تعرَّف ذوو البشرة البيضاء على معاناة الملوَّنين الفقراء. كل ما وصلنا من روسيا في ذلك الوقت كان صورًا للمصانع تعمل بكامل طاقتها، على عكس ما كان يحصل هنا في الولايات، حيث تم إغلاق المصانع وتضوَّر العمال جوعًا. كنت أعتقد أن ما يحدث هو الهدوء قبل الثورة. كان الحزب الشيوعي وحده يعمل لصالح النقابات التي كانت بدورها تعمل أيضًا من أجل تحقيق المساواة. نادوا بشعار «أبيض وأسود، معًا لنسعد». وجدت الأمر مناسبًا للغاية، فهم لم يكترثوا لِلَون البشرة، بل كانوا ينظرون إلى قلبك وينادونك «رفيق». كان ذلك أفضل تعامُل حصلتُ عليه من أحد مطلقًا.

لقد كانت لديه جميع الأسباب المحقَّة للانتساب للحزب الشيوعي في ١٩٣١، ولكن هذه الأسباب ذاتها صارت لاحقًا كالسحر الذي انقلب على الساحر، وعاثت في البلاد خرابًا عظيمًا.

لم أفهم صراحةً سبب زواج إيرل ساندرسن من ليليان، ولكن ما كنت أعرفه أكيدًا أن ليليان ما انفكت تلاحق إيرل لسنوات وسنوات. «إنه ببساطة يلمع يا جاك». أخبرتني ذات مرة.

التقت ليليان أبوت بإيرل في الصف الحادي عشر، ومنذ أول لقاء بينهما لم تفارقه للحظة. كانت تشتري له الصحف، وتدفع ثمن تذاكر المسرح من مصروفها، وتحضر معه اجتماعات الراديكاليين. كانت أكبر مشجِّعيه في أي حدَثٍ رياضي. كما انتسبت للحزب الشيوعي بعد شهر من انتسابه. وأخيرًا، بعد بضع أسابيع من تخرُّجه من جامعة روتجرز برتبة شرف، تزوَّجته.

«لم يكن لدى إيرل خيارٌ آخر. لقد اشترى سكوتي عبر الزواج بي».

بالطبع، لم يعلم كلاهما ما كان يخبِّئه المستقبل لهما. كان إيرل منغمسًا في قضايا أكبر منه، خاصةً في الثورة التي كان يعتقد أنها ستحدث لا مَحالة. ربما كان يعتقد أيضًا أن ليليان تستحق القليل من السعادة في هذا الوقت المليء بالمرارة. لم ينفع القبول بالأمر شيئًا.

ولكنه كلَّف ليليان الكثير.

وبعد شهرَين فقط من زواجهما، كان إيرل على متن قارب متوجِّه نحو الاتحاد السوفياتي، قاصدًا جامعة لينين لمدة عام ليتعلَّم كيف يصبح عميلًا مناسبًا للشيوعية الدولية. في المقابل بقيت ليليان في بيتها، وصارت تقضي أيامها إمَّا بالعمل في متجر والدتها، وإما بحضور اجتماعات الحزب التي باتَت مملَّة من دون إيرل. فقدت شغفها في تعلُّم مهامها؛ أن تكون زوجة ثائر.

وبعد أن أمضى سنة في روسيا - توجَّه إيرل لكولومبيا للحصول على شهادة في الحقوق. كانت ليليان داعمة له منذ البداية وحتى تخرُّجه وحصوله على عمل كمحامٍ لآسا فيليب راندولف في أخوية حمالي عربات النوم، إحدى أكثر النقابات راديكاليةً في أمريكا. لا بد أن إيرل الأب كان فخورًا للغاية.

انحسر التزام إيرل مع الحزب الشيوعي مع انحسار الكساد العظيم؛ إذ فهم أخيرًا أن الثورة مشروع فاشل. تم حل إضراب جنرال موتورز لصالح رئيس قسم المعلومات عندما كان إيرل يتعلَّم أن يكون ثوريًا في روسيا. حصلت الأخوية على اعترافها من شركة بولمان في عام ١٩٣٨، وبدأ راندولف أخيرًا في الحصول على راتب بعد أن كان قد عمل طوال تلك السنوات مجانًا. كان الاتحاد وراندولف يستهلكان الكثير من وقت إيرل؛ لذلك بدأ حضورُه في اجتماعات الحزب يقلُّ.

أما عندما تم توقيع الاتفاق الألماني السوفياتي، استقال إيرل من الحزب الشيوعي بنوبة من الغضب. كان الاتفاق مع الفاشيين منافيًا لمعتقداته.

أخبرني إيرل أنه بعد هجوم بيرل هاربر، انتهى الكساد بالنسبة لذوي البشرة البيضاء عندما بدأ التوظيف في مؤسسات الدفاع بشكل واسع، مقابل القليل من الوظائف لذوي البشرة الداكنة. ولكن ضاق الأمر ذرعًا براندولف ومُناصِريه. هدَّد راندولف بإضراب السكك الحديدية في منتصف زمن الحرب. كان من المقرَّر أن يقترن الإضراب بمسيرة إلى واشنطن. أرسل فرانكلين ديلانو روزفلت حلال المشاكل أرشيبالد هولمز للتوصل إلى تسوية. نتج عن ذلك إقرار الأمر التنفيذي رقم ٨٨٠٢، والذي تم بموجبه منع المتعاقدين الحكوميين من التمييز على أساس العِرق. شكَّل ذلك أحدَ أهم التشريعات في تاريخ الحقوق المدنية، وواحدًا من أعظم النجاحات في مسيرة إيرل المهنية. تحدَّث إيرل دائمًا عن ذلك باعتباره أحد أكثر إنجازاته فخرًا.

تغيَّرت فئةُ تجنيد إيرل بعد أسبوع من إقرار الأمر التنفيذي ٨٨٠٢ حيث أقرَّ أنه غير مكلَّف بالخدمة العسكرية إلا في حالات الطوارئ. لم يكن عمله مع نقابة السكك الحديدية ليَحميه، وبالمقابل كانت الحكومة تنتقم منه شيئًا فشيئًا.

قرّر إيرل التطوع في سلاح الجو. لطالما كان يحب التحليق.

لم يكن عمره مناسبًا ليكون طيارًا، ولكنه كان رياضيًّا وصحته الجسدية خوّلت له النجاح في الاختبارات البدنية. تم تصنيفه كمُعادٍ للفاشية خديج، وهو الوصف الرسمي لأي شخص لا يمكن الاعتماد عليه بما يكفي لمجرد عدم إعجابه بهتلر قبل عام ١٩٤١.

تم تعيينه في وحدة ٣٣٢ المقاتلة، وهي وحدة مكوَّنة بالكامل من مقاتلين سُمر البشرة. كانت اختبارات فحص الأهلية صعبة لدرجةِ أنَّه لم يتأهَّل فيها سوى الوزراء والأساتذة والأطباء والمحامين. وأظهر جميع هؤلاء الأشخاص الأذكياء أيضًا ردودَ أفعال الطيارين من الطراز الأول. اضطرت المجموعة للبقاء في توسكيجي وخضعت للكثير من التدريب. كان ذلك لأنه لم يرضَ أيٌّ فرد من أفراد وحدات الطيران بأن ينخرط أفرادٌ من ذوي البشرة الداكنة في صفوفهم. تلقَّوا في النهاية تدريبًا أكثر بثلاث مرات من أي مجموعة عادية، وتم نقلهم إلى قاعدة جوية في إيطاليا. عُرفت المجموعة باسم «النسور الوحيدة» وانتشرت عبر مسرح العمليات الأوروبي.

قامت المجموعة بعمليات فوق ألمانيا ودول حوض البلقان

بطائرات ثندربولت، واستهدفوا أصعبَ الأهداف. لقد قاموا بأكثر من خمسة عشر ألف هجمة جوية، ولم تفقد خلال تلك الفترة أي قاذفة مصحوبة ضد سلاح الجو المظلي الألماني. بعد انتشار الخبر، بدأت مجموعات القاذفات تطلب على وجه التحديد من وحدة ٣٣٢ مرافقة طائراتها.

كان إيرل ساندرسن أحد أبرز طيّاري تلك المجموعة، وحصد في نهاية الحرب ثلاثة وخمسين قتيلًا غير مؤكد. لم يتم تأكيد عمليات القتل لأنه لم يتم توثيق إنجازات العناصر ذوي البشرة السوداء، خوفًا من أن يتفوّقوا على ذوي البشرة البيضاء. لقد كان خوفهم مبررًا، فمجموعُ إنجازات إيرل يفوق إنجازاتِ جميع الطيارين الأمريكيين، ما عدا الفتى النفَّاث الذي كان استثنائيًّا.

وفي ذات يوم استشهاد الفتى النفّاث، عاد إيرل إلى منزله مريضًا. كان يعتقد أن نزلة برد قد أصابته ولكنه استيقظ اليوم التالي كآيص أسود.

صار بإمكانه الطيران بمحض إرادته وبسرعة خمسمائة ميل في الساعة. أطلق عليه تاكيون: «التحريك الذهني الإسقاطي».

كما أصابَته قوة عظيمة، ولكن ليس بقدر قوتي. كان الرصاص يرتد عنه، ولكن قذائف المدفع يمكن أن تؤذيه. وأنا

أعلم أنه يخشى احتمال اصطدامه بطائرة في الجو.

كما كان بإمكانه أن يُسقِط أمامه جدارًا من القوة، أيْ نوع من الموجات الصادمة المتنقلة التي يمكن أن تكتسح أي شيء تعترضها، سواء أكان من البشر أو المركبات أو الجدران. وبمجرد إصداره صوتًا كالرعد، سوف يتم رميهم لبُعْد مائة قدم.

أمضى إيرل أسبوعَين في اختبار مواهبه قبل أن يُظهِرها للعالَم من حوله. حلّق فوق المدينة مرتديًا خوذة الطيار الخاصة به، وسترة الطيران الجلدية السوداء وحذاء. وعندما أخبر الناس أخيرًا، كان السيد هولمز من أوائل الذين اتصلوا.

♥ ♠ ♦ ♣

التقيت بإيرل في اليوم التالي من توقيع الاتفاق مع السيد هولمز. كنت حينها قد انتقلت للعيش في إحدى الغرف الإضافية في بيت السيد هولمز، وأعطاني مفتاحًا للشقة. لقد كنت أرتقي في الحياة.

تعرَّفت عليه فورًا.

«إيرل ساندرسن». قلت قبل أن يعرِّف السيد هولمز أحدَنا على الآخر. صافحته وأردفت: «أتذكر قراءة أخبارك كلها عندما كنتَ لا تزال تلعب لصالح روتجرز».

افتخر إيرل بكلامي: «أنت تملك ذاكرة جيدة».

جلسنا وشرح السيد هولمز رسميًا ما يريده منَّا ومن الآخَرين الذين كان يأمل في تجنيدهم لاحقًا. استاء إيرل عند معرفته بمعنى مصطلح «الآيص»، وهو الشخص الذي يمتلك قوى مفيدة، على عكس «الجوكر»، وهو الشخص الذي شوَّهه الفيروس لحد كبير. شعر إيرل بأن المصطلحات فرضت نظامًا طبقيًا على أولئك الذين أُصيبوا بفيروس البطاقة الجامحة، ولم يكن يريد أن يضعنا في قمةِ هرمٍ اجتماعي ما. عيَّن السيد هولمز فريقنا رسميًا باسم «غرباء في سبيل الديمقراطية». كان يترتب علينا أن نصبح رموزًا مرئية للمُثل الأمريكية لما بعد الحرب، ولننسب الفضل إلى المحاولة الأمريكية لإعادة بناء أوروبا وآسيا، ولمواصَلة الكفاح ضد الفاشية والتمييز.

كانت الولايات المتحدة تسعى لتشكيلِ عصرٍ ذهبي لما بعد الحرب، ومشاركته مع العالَم بأسره. ونحن كمجموعة كنا سنمثِّل رمزَ ذلك العصر.

برأيي كان الأمر مثاليًا وأردت جدًّا أن أكون جزءًا منه.

ولكن إيرل وجد القرار أكثر صعوبةً. كان هولمز قد تحدَّث إليه من قبلُ وطلب منه عقد نفس النوع من الصفقة التي

طلبها برانش ريكي لاحقًا من جاكي روبنسون: كان على إيرل البقاء بعيدًا عن السياسة الداخلية. كان عليه أن يعلن أنه قطع علاقته بستالين والماركسية، وأنه ملتزم بالتغيير السِّلمي. وطُلب منه أن يُبقِي أعصابه تحت السيطرة. كان عليه أن يمتصّ الغضب والعنصرية والتعالي، التي لا مفرّ منها، وأن يفعل ذلك دون انتقام.

أخبرني إيرل لاحقًا عن الصراع الذي عايَشه مع ذاته. كان يعرف حدودَ قوته بحلول ذلك الوقت، وكان يعلم أنه يستطيع تغيير الأشياء ببساطة من خلال الوجود في الأماكن التي تحدث فيها الأشياء المهمة. لن يكون رجال الشرطة الجنوبيون قادرين على تحطيم اجتماعات الاندماج إذا تمكّن أحد الحاضرين من تدمير مجموعة كاملة من جنود الدولة. حتى مُفسِدو الإضراب لم يكونوا ندًّا لموجة قوته. لن يتمكّن سلاح مشاة البحرية بأكمله من طرده إذا ما أراد يومًا ضمّ مطعمٍ ما لإضرابه، ليس من دون تدمير المبنى على أية حال.

لكن السيد هولمز أشار إلى أنه إذا استخدم سلطاته بهذه الطريقة، فلن يكون إيرل ساندرسن هو مَن سيدفع العقوبة. إذا شُوهِد إيرل ساندرسن وهو يتصرَّف بعنف بهدف الاستفزاز، فسيُعاقَب أفراد أبرياء من ذوي البشرة الداكنة في

جميع أنحاء البلاد.

وافَق إيرل على ما أراد السيد هولمز ومنحه كلمته. وابتداءً من اليوم التالي، بدأ كلانا مهمته في تغيير التاريخ.

♣ ♦ ♠ ♥

لم تكن منظمة غرباء في سبيل الديمقراطية يومًا جزءًا من الحكومة الأمريكية. تشاوَر السيد هولمز مع وزارة الخارجية، لكنه دفع لي ولإيرل من جيبه الخاص وكنت أنا أعيش في شقته.

كان أول الأهداف هو التعامُل مع بيرون. لقد انتخب نفسه رئيسًا للأرجنتين في انتخابات مزورة، وكان في طَوْرِ تحويلِ نفسه إلى نسخةٍ جنوب أمريكية من موسوليني، وجعل الأرجنتين ملجأً للفاشيين ومجرمي الحرب. طار فريق غرباء في سبيل الديمقراطية جنوبًا لمعرفةِ ما يمكننا القيام به حيال الأمر.

كلما تذكَّرت مجرى الأمور، زاد استعجابي من سقف توقُّعاتنا الذي بنيناه. عزمنا العقد على الإطاحة بالحكومة الدستورية لدولةٍ أجنبية كبيرة، غير آبِهين بتَبِعات الأمر ... حتى إن إيرل أيَّدنا دون توانٍ. كنا قد قضينا سنوات في محارَبة الفاشيين في أوروبا، لذلك لم نَرَ أيَّ شيء مختلف

بشكل ملحوظ في التحرك جنوبًا وتدميرهم هناك.

انضم لنا عضو آخَر عند مغادَرتنا. بدا ديفيد هارستين وكأنه يتحدَّث مع نفسه على متن الطائرة. كان لاعبَ شطرنج يهوديًّا من بروكلين؛ أحد أولئك الشباب ذوي الشعر المجعد الذين يتحدثون بسرعة، والذين كلما رأيتَهم في جميع أنحاء نيويورك حاولوا أن يبيعوا لك تأمينًا ضد الفيضانات أو إطارات سيارات مستعملة، أو بدلات مخصَّصة مصنوعة من بعض الألياف المعجزة الجديدة بنفس الجودة مثل الكشمير. أمَّا الآن فأصبح عضوًا في منظمة غرباء في سبيل الديمقراطية، وعلى شأنٍ عالٍ من الأهمية. كان يمتلك شخصية تجعلك تحبه رغمًا عنك، وتتفق معه دون تفكير.

كان غريبًا بلا شك. امتاز بالقدرة على إفراز فيرومونات تجعلك تشعر بالود تجاهَه وتجاه العالم، مما كوَّن جوًّا من الحب والقبول في وسطنا. لقد استطاع إقناع ستاليني ألباني بالوقوف على رأسه وغناء «نشيد الراية الموشحة بالنجوم (النشيد الوطني الأمريكي)» عندما أفرز فيروموناته في الغرفة التي جمعَتهما. عندما عاد الستاليني الألباني إلى رشده بعد ذلك، شجب نفسه على الفور وأطلق النار على نفسه.

قررنا إبقاء قوى ديفيد طي الكتمان. وبالمقابل أطلقنا إشاعةَ أنه يملك قوى خارقة ماكرة، كشخصية الشبح على

الراديو. بذلك أصبح جاسوسنا. في الواقع، مهمته تتلخَّص فقط في دخوله مؤتمرات مع الناس وجعلهم يؤيدوننا. عملت خططنا بشكل جيد.

لم يكن بيرون قد رسَّخ سلطته بعدُ، فلم يكن قد مضى سوى أربعة أشهر على تولِّيه منصبه. تطلَّب منا الأمر أسبوعَين لتنظيم الانقلاب الذي أطاح به. كان هارستين والسيد هولمز يحضران اجتماعات مع ضباط الجيش. وكان العمداء في كل مرة يُقسِمون على وضع رأس بيرون على طبق. ولم يسمح لهم شرف المهنة وغرورهم بالتراجع عن وعودهم، حتى بعد تغيُّر نظرتهم للأمور إلى الأفضل.

اكتشفتُ بعض حدود قوتي في صباح اليوم السابق للانقلاب. عندما كنت في الجيش، اعتدت قراءة الصور المصورة، وكنت أرى كيف كان سوبرمان يقفز أمام السيارة كلما حاوَل الأشرار الفرار بسياراتهم، لترتدَّ عنه السيارة عند الاصطدام.

لقد جرَّبت ذلك في الأرجنتين. كان هناك رائد بيروني يجب منعه من الوصول إلى موقع قيادته، فقفزت أمام سيارته «المرسيدس»، ولكنني اصطدمت بها وطرتُ مائتَي قدم وارتطمتُ بتمثال خوان بيرون نفسه.

كانت المشكلة أنني لم أكن أثقل من السيارة. عندما

تصطدم الأشياء، فإن الجسمَ ذا القوة الدافعة الأقلّ هو الذي يتأثّر، والوزن هو أحد مكوِّنات قوة الدفع. لا يهم مدى قوة الجسم الأخف.

أصبحتُ أذكى بعد ذلك. أزلتُ تمثالَ بيرون من مكانه وألقيتُه على السيارة. هكذا كان يجدر بي التصرُّف من الأساس.

ولكنني لم أتعلَّم جميع مهارات الآيص من الكتب الفكاهية. أتذكَّر أنني قرأت عن آيائص الكتب الفكاهية الذين يُمسِكون الرصاص والقذائف بأيديهم العارية ويَثْنونها كالكعك المملح.

ولكن ذلك في الواقع ممكن، ولكن يجب أن تكون لديك القدرة على القيام بذلك. عليك أن تغرس قدمَيك على شيءٍ صلب من أجل الحصول على شيء تندفع منه. بهذا، صار من الأسهل لي الغوص تحت الدبابة وإبعادها عن مسارها. ثم كنت أركض إلى الجانب الآخر وأضع ذراعي حول فوّهة المدفع وكتفي تحتها وأكسرها. كنت أستخدم كتفي كنقطة ارتكاز للرافعة وأثني الفوّهة حول نفسي.

هذا ما كنت أفعله لو كنت مستعجلًا. أما إذا كان الوقت حليفي، كنت سأفتح لنفسي فتحةً في أسفل الدبابة وأدمِّرها من الداخل.

لقد انحرفت عن الموضوع كثيرًا. فَلْنَعُد للحديث عن بيرون.

كان هناك شيئان مهمان يجب القيام بهما. لم يكن من الممكن الوصول إلى بعض البيرونيين المخلصين، وكان أحدهم قائد كتيبة مدرعة مقامة في مجمع محاط بأسوار في ضواحي بوينس آيرس. في ليلة الانقلاب، التقطتُ إحدى الدبابات وأسقطتها على جانبها أمام البوابة، ثم شددْتُ كتفي عليها وثبَّتُّها في مكانها بينما كانت الدبابات الأخرى تحطِّم نفسها في محاوَلة تحريكها.

شلَّ إيرل القوةَ الجوية لبيرون. طار خلف الطائرات على المدرج ومزَّق المثبِّتات.

انتصرت الديمقراطية، وفرَّ بيرون وعاهِرته الشقراء إلى البرتغال.

كافأت نفسي بإجازة لبضع ساعات. بينما تدفَّق الغوغائيون المنتصرون من الطبقة الوسطى إلى الشارع للاحتفال، كنت في غرفة فندق مع ابنة السفير الفرنسي. واستنتجت بعد الاستماع إلى الغوغائيين الذين يهتفون من النافذة وطعم الشامبانيا بأقداح النيكوليت على لساني، أن هناك ما هو أفضل من الطيران.

تم تحسين مظهرنا في تلك الحملة. كنت أرتدي زي الجيش القديم في معظم الأوقات، وهكذا كان يتذكَّرني معظم الناس. كان إيرل يرتدي زي ضابط سلاح الجو الداكن دون الشارة، مع حذاء وخوذة ونظارات واقية ووشاح وسترة الطيران الجلدية القديمة مع رقعة ٣٣٢ على الكتف. كان يخلع خوذته عندما لا يطير، ويرتدي بدلًا عنها قبعة سوداء قديمة كان يحتفظ بها في جيبه. وعندما طُلِب منا الظهور بشكل شخصي، طُلِب منا أنا وإيرل ارتداء ملابسنا الشخصية حتى يعرفنا الجميع. لم يدرك الجمهور قَط أننا في معظم الوقت نرتدي بدلات وربطات عنق، تمامًا مثل أي شخصٍ آخَر.

♥ ♠ ♦ ♣

جمعني وإيرل دائمًا وضعٌ قتاليٌّ ما، وهذا ما أثمر مع الوقت صداقةً وطيدة ... فالناس الذين يشتركون في القتال يصبحون مقرَّبين للغاية. أخبرتُه عن حياتي وعن الحروب التي شاركت فيها، وعن النساء اللواتي مررْنَ بحياتي. أمَّا إيرل، فكان متحفِّظًا أكثر. ربما لم يكن متهيئًا ومتأكدًا من ردِّ فعلي عند سماع مغامراته مع الفتيات ذوات البشرة البيضاء. ولكن بالنهاية، ذات ليلة، وأثناء بحثنا عن بورمان في شمالي إيطاليا، أخبرني عن أورلينا جولدوني.

«كان عليّ تلوين جواربها الممزَّقة في الصباح، أو رسمها بالمكياج لتبدو وكأنها لا تزال ترتديها». قال إيرل بابتسامة مرسومة على وجهه. «ولطالما كنت أستمتع بذلك».

«لماذا لم تكن تعطيها جوارب جديدة؟» سألته. فعلى حد علمي أنه من السهل الحصول على الجوارب. كان جميع الجنود الأمريكيين يكتبون لأقربائهم وأصدقائهم في الولايات المتحدة ويطلبون إرسالَ جوارب نسائية لهم.

«لقد أعطيتها الكثير، ولكن لينا كانت تعطيها للرفاق».

لم يكن إيرل يحتفظ بصورة للينا، وخاصةً أن ليليان قد تجدها. ولكنني رأيتها لاحقًا بالصور، وذلك عندما وُصفت بأنها فيرونيكا لايك الأوروبية. كانت فتاةً ذات شعر أشقر أشعث وأكتاف عريضة وصوت أجش. كانت شخصية لايك على الشاشة رائعة، لكن شخصية جولدوني كانت مثيرة. كانت الجوارب الحريرية تبدو حقيقية في الصور، وكذلك كانت الأرجل تحتها. وكانت الصور تركّز على ساقَيْ لينا بقدرِ ما اعتقد المخرج أنه يمكن أن يفلت بتصويرها. أتذكَّر أنني كنت أفكر في مدى المتعة التي حظي بها إيرل عند تلوينها.

كانت تعمل مغنيةً بملهًى ليلي في نابولي عندما التقيا في أحد النوادي القليلة التي يُسمح فيها للجنود ذوي البشرة الداكنة بدخولها. كانت تبلغ ثمانية عشر عامًا وتعمل

في السوق السوداء. كما كانت تعمل في السابق كمرافقة للشيوعيين الإيطاليين. من نظرة واحدةٍ لها، رمى إيرل جميع احترازاته عُرْضَ الحائط. لربما كانت هذه هي المرة الوحيدة في حياته كلها التي أطلق بها العِنان لنفسه وبدأ بالمخاطَرة. كان يهرب ليلًا من القاعدة متفاديًا أفراد الشرطة العسكرية ليقضي الليلة معها، ثم يعود خلسة في الصباح الباكر ويأخذ مكانه في خطوط الرحلات المتوجِّهة نحو بوخارست أو بلويستي ...

«كان كلانا يعلم أنه أمر مؤقت، فالحرب كانت ستنتهي عاجلًا أم آجلًا». قال إيرل وقد لمحتُ في عينَيه لمعةَ اشتياقٍ وألم. فهمت حينها كم كلَّفه فقدان لينا. «تصرَّف كلانا كبالغين». تنهد طويلًا ثم أردف: «لذلك ودَّع كلٌّ منَّا الآخر، وسُرِّحتُ من الخدمة بعدها. عدتُ لمزاوَلة مهنتي في النقابة من بعدها. لم يَرَ أحدُنا الآخَرَ منذ ذاك اليوم». هز برأسه، «الآن صورها تملأ المكان، ولكنني لم أرَ أيًّا منها».

قبضنا على بورمان في اليوم التالي، أمسكته من قلنسوة الراهب الخاصة به وهزَزْتُه حتى ارتجفت أسنانه. سلَّمناه لممثِّل محكمة جرائم الحرب التابعة للحلفاء، وأعطينا أنفسَنا إجازةً لبضعة أيام.

بدا إيرل أكثر حزنًا مما رأيته في أي وقت مضى. ظل

يختفي لإجراء مكالمات هاتفية. كانت الصحافة تتبعنا دائمًا، وكان إيرل يجفل في كل مرة تُومِض فيها لمبة الكاميرا. اختفى في الليلة الأولى من غرفتنا في الفندق ولم أَرَه لثلاثة أيام.

كنت عادةً مَن يقوم بتلك الحركات، أيْ كنت مَن يتسلَّل لقضاء الوقت مع الفتيات. فاجَأني تصرُّفُ إيرل.

لقد أمضى عطلةَ نهاية الأسبوع مع لينا في فندق صغير شمال روما. رأيتُ صورَهم معًا في الصحف الإيطالية صباح يوم الإثنين. كانت الصحافة قد اكتشفَت ذلك بطريقةٍ ما. تساءلتُ عما إذا كانت ليليان قد سمعت، وبماذا كانت تفكِّر. ظُهْرَ يومِ الإثنين، جاء إيرل عابسًا في الوقت المناسب تمامًا لرحلته إلى الهند؛ كان ذاهبًا إلى كالكوتا لمقابَلة غاندي. انتهى الأمر بإيرل يَعبر بين المهاتما والرصاص الذي أطلقه عليه بعض المتعصبين على درجات المعبد، وفجأةً امتلأت الصحف بما حدث بالهند، وتناسى الجميع ما كان قد حدث للتو في إيطاليا. لا أعرف كيف شرح إيرل ذلك لليليان.

أيًّا كان ما قاله، أعتقد أن ليليان صدَّقته. كانت دائمًا تفعل.

♣ ♦ ♠ ♥

كانت تلك سنوات المجد. حدث خلالها الكثير، فقد اعترِض

طريق هروب الفاشيين إلى أمريكا الجنوبية، واضطر النازيون للبقاء في أوروبا حيث كان من السهل العثور عليهم. وبعد أن انتشلنا أنا وإيرل بورمان من ديره، انتشلنا مينجيل من علية مزرعة في بافاريا، واقتربنا جدًّا من أيخمان في النمسا لدرجةِ أنه أصيب بالذعر ولجأ إلى أحضان دورية سوفياتية، ولكن الروس أطلقوا النار عليه خارجًا. دخل ديفيد هارستين إلى الإسكوريال بجواز سفر دبلوماسي وتحدث مع فرانكو لإلقاء خطاب إذاعي مباشر يعلن فيه استقالته ويدعو لإجراء انتخابات. ثم مكث ديفيد معه على متن الطائرة طوال الطريق إلى سويسرا. دعت البرتغال بعد ذلك مباشَرة إلى إجراء انتخابات، وتوجَّب على بيرون أن يجد منزلًا جديدًا في نانكينغ، حيث أصبح مستشارًا عسكريًّا للجنرال. كان النازيون يهربون من أيبيريا بالعشرات، وقبض صيَّادو النازيين على الكثير منهم.

كنت أجني الكثير من المال. لم يكن السيد هولمز يدفع لي أجرًا كبيرًا، لكنني حصلت على الكثير من أجل تأييد تشيسترفيلد وبيع قصتي إلى لايف. كما كان لديَّ الكثير من عمليات التحدث المدفوعة؛ إذ وظَّفني السيد هولمز كاتبَ خطابات. كنت أسكن في شقة في بارك بالمجان تقريبًا، ولم أضطر قَط لدفع ثمن وجبة إنْ لم أرغب في ذلك. حصلت على مبالغ كبيرة من المقالات التي كُتِبت باسمي، مقالات

بعناوين مثل: «لماذا أُومِن بالتسامح؟»، و«ما تعنيه أمريكا لي»، و«لماذا نحتاج إلى الأمم المتحدة؟» كان كشَّافو مواهب هوليوود يقدِّمون عروضًا لا تُصدق لفتراتٍ طويلةِ الأجل، لكني لم أكن مهتمًّا بعدُ. كنت أكتشف العالم من جديد.

زارني العديد من الفتيات في غرفتي، لدرجةِ أن جمعية المستأجرين تحدَّثت عن تركيبِ بابٍ دوّار.

بدأت الصحف بوصف إيرل بـ «النسر الأسود»، وقد اقتبسوا الاسم من اسم وحدتنا المستعار: «النسور الوحيدة». لكن الاسم لم يعجبه كثيرًا. أما ديفيد هارستين، فقد دعاه القلائلُ من الذين يعرفون موهبته بـ «المبعوث». وأنا «الفتى الذهبي» بالطبع. لم أمانع ذلك.

انضم عضو آخر لغرباء في سبيل الديمقراطية؛ بليث ستانهوب فان رينسيلار، التي بدأت الصحف بدعوتها «خزينة الأفكار». كانت سيدة صغيرة ولائقة تنتمي للجميع الراقي، متشدِّدة كالأحصنة الأصيلة. كانت متزوجة من رجل مخادع من نيويورك يعمل كعضو في الكونغرس الأمريكي، ولها منه ثلاثة أطفال. جمالها من نوع غريب يتطلب وقتًا لملاحظته، وفور أن تفعل لا يمكنك إلا أن تتساءل لِمَ لم تلاحظه من قبلُ؟ أراهن أنها لم تكن على معرفة بمقدار الجمال الذي تملكه.

كانت تملك القدرة على امتصاص الأفكار والذكريات والقدرات وأي شيء آخر.

كانت تكبرني بعشر سنوات، ولكنني لم أجد في ذلك مانعًا لي من مغازلتها.

لم يَخْفَ على أحدٍ أنني كنت زير نساء. ربما لو كانت تعلم عني شيئًا، لَمَا أخذتني على محمل الجد. أو ربما لم تكن تعلم لأنني لم أكن مهمًّا لدرجةِ أن تقرأني.

في النهاية، طردها زوجها السيئ هنري، فجاءت إلى شقتنا للبحث عن مكان للإقامة. غادر السيد هولمز، وغادرت معه آلامي بعد عشرين كأسًا من مشروب البراندي العتيق الخاص به. عرضتُ عليها سريرًا لتخلد إليه، كان سريري أنا في الواقع، ولكنها غضبت مني وغادَرت. لقد كنتُ أستحق ذلك.

لم تكن نيتي أن تفهم اقتراحي كعرضٍ دائم، وكان عليها أن تفهم ذلك.

لذلك، كان من حقي أنا أن أغضب، وليس هي.

قديمًا في عام ١٩٤٧، كان معظم الناس يفضِّلون الزواجَ على الخطيئة، ولكنني لم أنتَمِ إلى أولئك الناس. أما بليث، فكانت مثاليةً لدرجةٍ لا يمكنك أن تخدعها. كانت معظم الوقت على حافة الإصابة بانهيار عصبي. ربما كان ذلك بسبب

كم المعلومات الهائل في رأسها. وفي المقابل، كان آخِر ما تحتاجه في حياتها هو صبي مزرعة من داكوتا يتودّد إليها ليلةَ انهيار زواجها.

سرعان ما ارتبط بليث وتاكيون. أثّر ذلك على ثقتي بنفسي، فقد رُفِضت من أجل كائنٍ من كوكب آخَر. تعرَّفت لاحقًا على تاكيون عن كثب. بالرغم من حبه للزركشة والساتان، فإنه استطاع أن يُسعِد قلبَ بليث، وهذا كان كافيًا لي. فكَّرت بيني وبين نفسي أنه لا بد أنه قام بأمر صحيح حتى استطاع إقناعَ امرأة مثقَّفة كبليث بارتكاب الخطيئة.

اشتهر مصطلح «الآيص» مباشَرةً بعد انضمام بليث إلى غرباء في سبيل الديمقراطية، وأمسينا عندها الآيائص الأربعة. كان السيد هولمز هو آيص الديمقراطية بالمجمل، أو الآيص الخامس. ولم تكن علاقتنا الطيبة بعضنا مع بعض خَفِيَّةً على أحد.

كان مقدار الإعجاب الذي تلقَّيناه مذهلًا. وكأن الجمهور كان ينزِّهنا عن القيام بأي خطأ. حتى إن أشد المتعصبين أشاروا إلى إيرل ساندرسن على أنه «فتى الطيران الملوَّن». كان الجميع يُنصِت بإصغاءٍ شديد حين كان يتحدث عن العنصرية، أو حين يتحدث السيدُ هولمز عن الشعبوية.

كان يتلاعب بصورته عن قصد. كان ذكيًّا، وكان يعرف

كيف تعمل الصحافة. الوعد الذي قدّمه مع مثل هذا النضال للسيد هولمز كان مبررًا بالكامل من خلال الأحداث. كان يحوّل نفسَه عن قصدٍ لبطل ملوّن؛ شخصية طموحة لا تَشُوبها شائبة، شخص رياضي، وعالم، وزعيم نقابي، وبطل حرب، وزوج مخلص، وآيص. كان أول رجل ملوّن على غلاف مجلة تايم، وأول رجل ملوّن على غلاف مجلة لايف. لقد حلَّ محلَّ روبسون كأفضل الرجال الملوَّنين مثاليةً. قال روبسون بسخرية ذات يوم: «قد لا أستطيع الطيران، ولكن إيرل ساندرسن لا يستطيع الغناء».

كان روبسون مخطئًا بالمناسبة.

كان إيرل يزداد غروره يومًا بعد يوم. لم يكن يعلم مصيرَ محبوبي الجماهير عندما يكتشف المحبُّون ماضيهم.

♣ ♦ ♠ ♥

بدأت مسيرة الآيائص الأربعة بالفشل في عام ١٩٤٨. توجَّهنا على عجلٍ إلى ألمانيا عندما كان الشيوعيون على وشك تولّي زمام الأمور في تشيكوسلوفاكيا، لكنه سرعان ما أُلغِيَ الأمر برمته. قرّر شخصٌ ما في وزارة الخارجية أن الموقف معقد للغاية ولا يمكننا إصلاحه، وطلب من السيد هولمز عدم التدخُّل. سمعت إشاعة في وقت لاحق تفيد بأن الحكومة كانت تجنِّد بعض الآيائص المتميزين الخاصين بهم للعمل

لصالحها بشكل سري، وأنه تم الاستعانة بهم ولكنهم فشلوا. لا أعرف مدى صحة الأمر.

وبعد عامَين من فشل مهمة تشيكوسلوفاكيا الذريع، أُرسِلنا إلى الصين لإنقاذ مليار شخص وأكثر في سبيل الديمقراطية.

ورغم أن الأمر لم يكن واضحًا في ذلك الوقت، لكن فريقنا كان قد خسر بالفعل. على الورق، بدت الأمور قابلةً للاسترجاع، فجميع المدن الكبرى لا تزال تحت سيطرة القائد العام للحزب القومي الصيني، وجيشهم مجهَّز جيدًا مقارَنةً بماو وقواته. كما كان يُعرف القائد بعبقريته، وإلا فما الذي يدفع السيد لوس لتسميته رجلَ العام مرتين على مجلة تايم.

من ناحية أخرى، كان الشيوعيون يشقُّون طريقهم جنوبًا بمعدل ثابت يبلغ ٢٣.٥ ميلًا في اليوم. لم يَأْبهوا لحال الجو أكان ممطرًا أو مشمسًا، صيفًا أو شتاءً. كانوا يعيدون تقسيم الأرض أينما حلُّوا؛ لذلك لم يكن ليردعهم شيء أو أحد، سوى القائد العام.

كان الجنرال قد استقال بحلول الوقت الذي تم استدعاؤنا فيه. كانت تلك عادته بين الفينة والأخرى ليثبت للجميع أنه لا غنى عنه.

الْتقى الآيائص الأربعة برجل اسمه تشين، الذي شغل

منصب رئيس الحزب القومي الصيني الجديد. كان رجلًا دائم الخوف من أن يتم استبداله عندما يقرِّر الرجل العظيم القيامَ بعودته الدراماتيكية لإنقاذ البلد.

بدورها، كانت الولايات المتحدة بحلول ذلك الوقت مستعدةً للتنازل عن شمال الصين ومنشوريا اللتَين قد خسرهما الحزبُ القومي الصيني بالفعل، دون المدن الكبرى. كانت الفكرة هي إنقاذ الجنوب للقائد العام عبر تقسيم البلاد. بذلك، يحصل الحزب القومي الصيني على فرصة لترسيخ وجوده في الجنوب أثناء تخطيطه لاستعادة السيطرة في نهاية المطاف. كما سيحصل الشيوعيون على المدن الشمالية دون الاضطرار إلى القتال من أجلها.

كنا جميعًا موجودين، الآيائص الأربعة وهولمز. عُيِّنت بليث مستشارةً علمية، وانتهى بها الأمر بإلقاء خطابات صغيرة حول الصرف الصحي والري والتلقيح. كان ماو وتشوان لاي والرئيس تشين حاضرين جميعًا أيضًا. في المقابل كان القائد العام في كانتون يجلس في خيمته مستاءً، وكان جيش التحرير الشعبي الصيني يسيطر على موكدين في منشوريا ويتوجَّه بخطى ثابتة جنوبًا بمعدل ٢٣.٥ ميلًا في اليوم، بقيادة لين بياو.

لم يترتب عليَّ أنا وإيرل فعل الكثير سوى المراقبة فحسب.

كان أكثر ما راقبناه هو المندوبون. كان أعضاء الحزب القومي الصيني مهذَّبين للغاية وأنيقين. وكان لديهم خَدَم يرتدون الزي الرسمي ويقومون بمهامهم بخفة. بدا تفاعلهم بعضهم مع بعض وكأنه لوحة رقص مينيوت.

حتى الأفراد المؤيدون لجيش التحرير الشعبي الصيني كانوا يبدون كالجنود. شابهوا العساكر الحقيقيين بذكائهم وعنفوانهم وانضباطهم، دون كل الإجراءات الرسمية المتعصبة للحزب القومي الصيني. كان جيش التحرير الشعبي الصيني في حالة حرب، لكن الخسارة لم تكن كلمة في قاموسهم. لم أجد صعوبة في فَهْم ذلك.

شكَّل هذا صدمة لي، فجلُّ ما كنت أعرفه عن الصين هو ما قرأته بكتب بيرل باك، والقائد العام العبقري الموثوق فيه.

«هل هؤلاء يقاتلون هؤلاء؟» سألت إيرل.

«هؤلاء». قال إيرل وهو يشير إلى قوات الحزب القومي الصيني، «لا يقاتلون أحدًا. لا ينفعون بشيء إلا بالهروب والاختباء، وهذا جزء من المشكلة».

«لا تعجبني مجريات الأمر».

خيَّم حزن قليل على إيرل وأجاب: «ولا أنا». ثم أردف بغضب: «مسؤولو الحزب القومي الصيني يسلبون الأراضي

من الفلاحين، أما الشيوعيون فيُعِيدونها، هذا يعني أنهم حصلوا على دعم شعبي. لكن بمجرد فوزهم في الحرب، سيأخذونها من جديد، تمامًا كما فعل ستالين». كان إيرل مطّلعًا على التاريخ، على عكسي أنا مَن كان يفضِّل قراءة الصحف.

رسم السيد هولمز أسسًا للتفاوض على مدى أسبوعَين. ولكن ما لبث أن دخل ديفيد هارستين إلى الغرفة حتى أخذ تشين وماو يبتسم أحدهما للآخر مثل رفاق المدرسة القدامى في لمِّ الشمل، لتُقسَّم بعدها الصين رسميًّا في جلسة مفاوَضات ماراثونية. وصدر أمر بأن يسلِّم كلٌّ من الحزب القومي الصيني وجيش التحرير الشعبي الصيني أسلحتهما.

سرعان ما انهار كل شيء في غضون أيام؛ فقد تراجَعَ القائد العام عن الاتفاقية وعاد لإنقاذ الصين، وذلك بعد أن أخبره العقيد السابق بيرون بلا شك بخيانتنا. لم يتوقَّف لين بياو عن السير جنوبًا. وبعد سلسلة من المعارك الهائلة، انتهى الأمر بالقائد العام العبقري على جزيرة يحرسها الأسطول الأمريكي، جنبًا إلى جنب مع خوان بيرون وعاهِرته الشقراء، الذين اضطروا إلى الهرب مرةً أخرى.

أخبرني السيد هولمز أنه عندما عاد بالطائرة عبر المحيط الهادئ وفي جيبه الحاجز، بينما تداعت الاتفاقية خلفه

وتزايدت الحشود المبتهجة في هونغ كونغ ومانيلا وأوهاو وسان فرانسيسكو، ظل يتذكَّر نيفيل تشامبرلين وقِطعته الصغيرة من الورق، وكيف تحوَّل «سلام تشامبرلين في حبل الاتحاد الأوروبي» إلى فشل ذريع، وتحوَّل تشامبرلين إلى خدعة التاريخ. ولسخرية القدر، أضحى مثالًا محزنًا لرجل كان يحب الخير ويملأ قلبَه الأملُ ويعطي ثقةً عمياء لرجالٍ أمكرَ منه.

لم يكن السيد هولمز مختلفًا. لم يدرك أنه بينما كان يعيش ويعمل من أجل نفس المُثل العليا، من أجل الديمقراطية والليبرالية والإنصاف والتكامل، كان العالم يتغير من حوله، وبما أنه لم يتغير مع العالم، كان العالم على وشك القضاء عليه.

كان العامة لا يزالون على استعدادٍ لمسامحتنا في هذه المرحلة، إلى أن تذكَّروا أننا قد خيَّبنا آمالهم. فقدوا حماسهم شيئًا فشيئًا.

لقد انطفأ وهج الآيائص الأربعة، فمُجرِمو الحرب الكبار قُبِض عليهم، والفاشيون هربوا. أما نحن، فقد اختبرنا حدودَ قوانا بتشيكوسلوفاكيا والصين.

سارعت أنا وإيرل إلى برلين عندما حاصرها ستالين. كنت مجددًا في زي القتال الخاص بي وإيرل في سترته الجلدية.

كان يُجرِي دوريات فوق الحدود الروسية، وأمَّن الجيشُ سيارة جيب وسائقًا لي. تراجع ستالين في النهاية.

لكن أنشطتنا كانت شيئًا فشيئًا تصبح شخصية. ذهبَت بليث لحضور مؤتمرات علمية في جميع أنحاء العالم، وقضت معظم وقتَها مع تاكيون. وشارك إيرل في مظاهرات الحقوق المدنية وتحدث في جميع أنحاء البلاد. أما السيد هولمز وديفيد هارستين فعادا للعمل في تلك السنة الانتخابية من أجل ترشيح هنري والاس.

لقد تحدثت جنبًا إلى جنب مع إيرل في اجتماعات الرابطة الحضرية الوطنية، وقلت أشياءَ لطيفةً بحقِّ السيد والاس لمساعدة السيد هولمز. كما حصلت على الكثير من المال لقيادة أحدث طراز من سيارات كرايسلر وللتحدث عن النزعة الأمريكية.

ذهبت إلى هوليوود بعد الانتخابات للعمل لدى لويس ماير. تقاضَيت مبالغَ طائلةً لم أحصل عليها من قبلُ. وكنت أصلًا أشعر بالملل في شقة السيد هولمز، فلم أكن أفعل شيئًا طوال النهار. تركت معظم أشيائي في الشقة، واعتقدت أنه لن يمر وقتٌ طويل قبل أن أعود.

كنت أتقاضى عشرة آلاف أسبوعيًا. عيَّنتُ وكيلًا، ومحاسبًا، وسكرتيرًا للرد على الهاتف، وشخصًا للتعامل مع الدعاية

الخاصة بي؛ كل ما كان عليّ فِعله في هذه المرحلة هو أخذ دروس في التمثيل والرقص. لم أكن مضطرًّا للعمل بعده، وذلك لأنهم كانوا يواجهون مشاكلَ تتعلّق بمُطابَقة النص مع صورتي. لم يكونوا قد اضطروا من قبلُ لكتابة سيناريو حول بطل خارق أشقر من قبلُ.

توصّلوا بالنهاية لسيناريو يعتمد بشكل كبير على مغامراتنا في الأرجنتين. كان بعنوان «الفتى الذهبي». دفعوا لكليفورد أوديتس الكثير من المال لاستخدام هذا العنوان، وبالنظر إلى ما حدث لي ولأوديتس لاحقًا، صار لهذا الارتباط مفارَقة ساخرة معينة.

لم أهتم للسيناريو عندما أعطوني إياه، فأنا البطل وكان ذلك كافيًا بالنسبة لي. لقد أطلقوا عليّ في الواقع اسم «جون براون». لكن شخصية هارستين تحوّلت إلى نجلِ وزيرٍ من مونتانا، وشخصية أرشيبالد هولمز أصبحت عميلًا لمكتب التحقيقات الفيدرالي بدلًا من أن تكون سياسيًّا من فرجينيا. الطامة الكبرى هي شخصية إيرل ساندرسن، فقد أصبح شخصيةً ثانويةً، تابعًا ذا بشرة داكنة لا يظهر إلا في مَشاهِدَ قليلةٍ فقط لأخذ الأوامر من جون براون، والرد بهدوء بـ «نعم سيدي» أو إلقاء التحية. اتصلت بالأستوديو للتحدث عن هذا. أخبروني عن عدم قدرتهم على كتابةِ مشاهدَ كثيرةٍ له،

فلن يتمكّنوا عندها من قطع مشاهده في النسخة الجنوبية.

سألت المنتِج التنفيذي عما كان يعنيه.

«لا يمكننا تضمين أي شخصية ذات بشرة داكنة في الأفلام التي تُعرض في الجنوب، وإلا فلن يَقبل أحد بعرضها. لذلك نلجأ لكتابة المشاهد بحيث يمكننا اقتطاعُ مشاهدِ الزنوج في النُّسَخ الجنوبية».

اعتراني ذهول شديد، فلم أكن على دراية بما يفعلونه.

«مهلًا ... لقد خطبتُ أمام الجمعية الوطنية للنهوض بالملوّنين والرابطة الحضرية الوطنية. لقد قمتُ بمقابَلة مع ماري ماكلويد بيثون. لا يمكنني أن أكون جزءًا من هذا الأمر المشين».

صار الصوت عبر الهاتف لئيمًا: «راجِع عقدَك يا سيد براون، أنت لا تملك حق القبول بالسيناريو أو لا».

«لا أريد الموافَقة على السيناريو. ما أريده وحسب هو سيناريو يتضمّن حقائق معينة عن حياتي. إذا قبلت بسيناريو كهذا، فسأخسر مصداقيتي. إنك تعبث بصورتي!»

أصبح الأمر بعد ذلك غير سار. صدرَت مني بضعةُ تهديدات وقابَلني المنتِج التنفيذي بالمِثل. تلقَّيت مكالمة من محاسِبي

يخبرني عما قد يحدث إذا ما توقَّفت عن قبض مبلغ عشرة الآلاف أسبوعيًا، وأخبرني وكيل أعمالي أنه ليس لديَّ أيُّ حق قانوني في الاعتراض على أيٍّ من هذا.

اتصلت بالنهاية بإيرل وأطلعته على ما حدث.

«ما المبلغ الذي ستتقاضاه؟»

أخبرته.

قال: «انظر، ما تفعله في هوليوود هو عملك. لكنك جديد هناك. أنت في نظرهم سلعةٌ غير معروفة. أتفهَّمُ أنك تريد أن تدافع عن الحق، هذا ممتاز. ولكنك إذا تراجَعت الآن فلن تفيدني أو تفيد الرابطة الحضرية الوطنية. ابْقَ في العمل واحصل على بعض النفوذ ثم استخدمه. وإذا شعرت بالذنب، يمكنك التبرع للجمعية الوطنية للنهوض بالملوَّنين دائمًا ببعض من تلك عشرة الآلاف دولار الأسبوعية».

وهكذا تم الأمر. قام وكيل أعمالي بإعداد تفاهُم مع الأستوديو مُفادُه أنه سأُستشار بشأن تغييرات السيناريو. نجحت في إلغاء مكتب التحقيقات الفيدرالي من السيناريو، وتركت شخصية هولمز دون أي انتماء حكومي محدد. كما حاوَلتُ أن أجعل شخصية ساندرسن أكثر إثارةً للاهتمام.

شاهدت مسودات التصوير وقد أعجبَتني. كما أحببتُ

تمثيلي، فقد كان طبيعيًا. فبطبيعة الحال كنت قادرًا على الوقوف أمام سيارة مرسيدس مُسرِعة ومُشاهَدتها وهي ترتدُّ عن صدري. تم القيام به مع المؤثرات الخاصة.

عُرِض الفيلم في صالات السينما، وانتقلتُ من تناوُل غداء متواضِع يحتوي على ثلاث كؤوس مارتيني إلى حفلات عشاء فاخرة بمخزون كحول لا متناهٍ. استيقظتُ بعد ثلاثة أيام في تيجوانا. استيقظت بصداع شديد وشكوك أشد بأنني اقترفت حماقةً ما. أكَّدت الشقراء الصغيرة الجميلة التي شارَكَتني الوسادة صحةَ شكوكي. لقد تزوَّجنا للتو. كان عليّ أن ألقي نظرة على رخصة الزواج عندما كانت في الحمام لمعرفة أن اسمها كيم وولف. كانت نجمة صاعدة من جورجيا تتخبَّط في هوليوود منذ ست سنوات.

تغيَّرت نظرتي للزواج بعد تناول بعض حبَّات الأسبرين وقليل من كؤوس التكيلا. ربما قد حان الوقت لأستقر، خصوصًا مع مسيرتي الجديدة وما يصاحبها.

اشتريت منزل رونالد كولمان الريفي الإنكليزي القديم في سوميت درايف في بيفرلي هيلز، وانتقلت مع كيم، وكلتا سكرتيرتَينا، ومصفِّف شعر كيم، وسائقينا، وخادمتَين تعيشان معنا ... فجأة صار لديَّ كل هؤلاء الأشخاص لأدفع رواتبهم، ولم أكن متأكدًا تمامًا من أين أتوا.

كان الفيلم التالي بعنوان «حكاية ريكينبايكر»، من إخراج فيكتور فليمنج، وبطولة فريدريك مارش بدور بيرشينج، وجون أليسون التي لعبت دور الممرضة، كان من المفترَض أن أقع في حبها. كان ديوي مارتن، من بين جميع الأشخاص، يلعب دور ريشتهوفن. كان يفترض بي إطلاق الرصاص الأمريكي على صدره الجرماني، بغضِّ النظر عن أن ريشتهوفن الحقيقي قُتِل على يدِ شخصٍ آخَر.

كان من المقرَّر أن يتم تصوير الفيلم في أيرلندا. وقد تم إقرار موازَنة هائلة وتعيين المئات من الممثلين الثانويين. أصررت على تعلُّم الطيران حتى أتمكَّن من القيام ببعض الحركات الصعبة بنفسي. اتصلت بإيرل من المسافة البعيدة بخصوص ذلك.

«مرحبًا. لقد قررت تعلم قيادة الطائرات أخيرًا».

«يا لكَ من فتى مزرعة بحق، لقد استغرق منك الأمرُ بعضَ الوقت».

«سيحوِّلني فيكتور فليمنج لآيص».

«جاك. أنت آيص بالفعل». قال بسخرية.

استوقفني كلامه للحظة، ففي خِضَم كل ما كان يحدث، نسيتُ أن مترو غولدوين ماير ليسَت هي مَن صنعت مني

نجمًا. «أنت محق!» أجبته.

«عليك زيارة نيويورك بين الحين والآخر. لربما حينها ستطَّلِع على ما يجري في العالم الحقيقي».

«بالفعل».

مررت بنيويورك لمدة ثلاثة أيام في طريقي إلى أيرلندا. لم تكن كيم معي، فقد حصلَت على عمل بفضلي، وأُعِيرَت إلى شركة وارنر براذرز لتصوير فيلم. كانت جنوبية للغاية على أية حال، وعندما الْتَقَت إيرل فيها لم تكن مرتاحة للغاية؛ ولذا لم أكن أمانع أنها لم تكن هناك.

مكثت في أيرلندا لمدة سبعة أشهر. كان الطقس سيئًا لدرجةِ أن إطلاق النار استغرق وقتًا طويلًا. قابَلتُ كيم في لندن مرتَين، لمدة أسبوع في كل مرة، لكن بقية الوقت كنت بمفردي. كنت مخلِصًا، ولكن وفق مفهومي؛ يعني أنني لم أنَمْ مع أي فتاة أكثر من مرتَين على التوالي. لقد أصبحتُ طيارًا جيدًا لدرجةِ أن الطيَّارين البدلاء أشادوا بي عدةَ مرات.

قضيتُ أسبوعَين في بالم سبرينغز مع كيم عند عودتي إلى كاليفورنيا. كان فيلم جولدن بوي سيُعرض لأول مرة بعد شهرين. في آخر يوم لي في بالم سبرينغز، كنت قد خرجت للتو من حمام السباحة عندما اقترب مني أحد مساعدي

الكونغرس. كان يرتدي بدلة وربطة عنق مما جعله يتصبَّب عرقًا. سلَّمني رسالة وردية.

كانت أمر استدعاء. كان من المقرَّر أن أَمثُلَ أمام لجنة مجلس النواب للأنشطة غير الأمريكية باكرًا من يوم الثلاثاء؛ أيْ في اليوم التالي.

♣ ♦ ♠ ♥

سيطر الانزعاج على مشاعري أكثر من أي شعور آخَر. اعتقدتُ أنه من الواضح أن لديهم جاك براون الخاطئ. اتصلت بأستوديوهات مترو، وتحدَّثت إلى شخصٍ ما في القسم القانوني. لقد فاجأني بقوله: «أوه! لقد كنا نعلم أنك ستحصل على أمر الاستدعاء في وقتٍ ما قريبًا».

«لحظة! ماذا تعني بـ «كنتم تعلمون؟»»

حلَّ صمت مزعج للحظات.

«تقضي سياستنا بالتعاون مع مكتب التحقيقات الفيدرالي. لا تقلق، سيلاقيك أحد محامينا في واشنطن. فقط أخبر اللجنة بما تعرفه ويمكنك العودة إلى كاليفورنيا الأسبوع المقبل».

«مهلًا، ما دخل مكتب التحقيقات الفيدرالي؟ ولماذا لم

تخبروني بهذا الأمر مسبقًا؟ وماذا تعتقد اللجنة أنني أعلم بحق الجحيم على أية حال؟»

«شيئًا ما بخصوص الصين. أو على الأقل هذا ما كان المحققون يسألوننا عنه».

أغلقت الهاتف بغضب واتصلت بالسيد هولمز كان هو وإيرل وديفيد قد حصلوا على مذكرات الاستدعاء الخاصة بهم في وقتٍ سابق من اليوم، وكانوا يحاولون الوصول إليّ منذ ذلك الحين، لكنهم لم يتمكّنوا من الوصول إليّ في بالم سبرينغز.

«إنهم يحاولون تحطيم الآيائص يا فتى المزرعة. يستحسن بك أن تحجز على أول طائرة متوجِّهة إلى الشرق. يجب أن نتحدَّث بشكل ضروري».

قمت بالترتيبات اللازمة. ثم دخلَت كيم. كانت ترتدي ملابس التنس البيضاء، يبدو أنها كانت قد عادت للتو من تمرينها. بدت بعَرقها أفضل من أي امرأةٍ عرفتُها من قبلُ.

«ما الخطب؟» سألَتني فاكتفيتُ بالإشارة إلى الورقة الوردية.

كان رد فعل كيم سريعًا مما فاجأني. قالت بسرعة: «لا تفعل كما فعل العشرة، لقد تشاور بعضهم مع بعض واتخذوا دفاعًا متشددًا، ولكنْ لم يعمل أحدٌ منهم منذ ذلك الحين». حملت

الهاتف وأردفت: «دَعْني أتَّصِل بالأستوديو. يجب أن نوفر لك محاميًا».

شاهدتها وهي تحمل الهاتف وتتصل بالأستوديو. انتابني شعور بالقلق بعدها.

قلت حينها: «أتمنى لو أنني أعلم ما الذي يجري!»

ولكنني كنت أعرف. كنت أعرف منذ البداية، وكانت معرفتي دقيقةً وواضحة بشكل مرعب. تمنَّيت عندها لو أنني لا أرى الخيارات بوضوحٍ تام.

♣ ♦ ♠ ♥

كان الخوف آخِر المشاعر التي راوَدَتني. كانت هوك قد بدأت بملاحقة هوليوود في عام ١٩٤٧، بدءًا من أفراد هوليوود تن. بدا وكأن اللجنة تحقِّق في انخراط الشيوعية في مجال صناعة الأفلام. لعلها كانت فكرة سخيفة في ظاهرها؛ إذ لم يكن ليحصل أي شيوعي على أي دعاية في الأفلام دون عِلمٍ وخبرٍ من أشخاص مثل السيد ماير والأخوَين وارنر. كان العشرة جميعهم شيوعيين حاليين أو سابقين، واتفقوا هم ومحاموهم على دفاع يستند إلى التعديل الأول لحقوق حرية التعبير وتكوين الجمعيات.

لقد دمَّرتهم اللجنة. مُنِح أفراد هوليوود تن شهاداتِ ازدراء

الكونغرس لرفضهم التعاون، وبعد سنوات ومحاولات عدة من طلب الاستئناف، انتهى بهم الأمر في السجن.

اعتقد العشرة أن التعديل الأول من شأنه أن يحميهم، وأن شهادات الازدراء لن تعود ذات قيمةً في المحكمة بعد أسابيع قليلة على الأكثر. بدلًا من ذلك، استمرت الطعون لسنوات، وحصل العشرة على ضربة قاضية أفسدَت فُرصَهم خلال ذلك الوقت في العثور على أي وظيفة.

أبصرتُ القائمة السوداء الوجود. قام أصدقائي القدامى في الفيلق الأمريكي بنشر قائمة بالشيوعيين المعروفين أو المشتبه بهم حتى لا يكون لدى أي صاحب عمل أي عُذر لتوظيفِ أيٍّ شخصٍ في القائمة، فإذا حدث أنْ وظَّف أحدهم شخصًا ما في القائمة، أصبح هو نفْسُه مشتبهًا به، وأُضِيف اسمه إلى القائمة. وقد فعلوا ذلك بعد تعلُّمهم تكتيكات أكثر دقةً إلى حد ما منذ ملاحَقتهم لجمعية إضراب المزارع بالفؤوس.

لم يرتكب أي من الذين تم استدعاؤهم أمام هوك أي جريمة؛ على الأقل ليس بمعناها القانوني، ولم يتم اتهامهم بارتكاب جرائم. لم يتم التحقيق معهم بسبب نشاط إجرامي بل بسبب جمعيات. لم يكن لدى هوك أيٌّ تفويض دستوري للتحقيق مع هؤلاء الأشخاص، أيْ أن القائمة السوداء لم تكن

قانونية، والأدلة المقدمة في جلسات اللجنة كانت إلى حد كبير مجرد إشاعات وغير مقبولة في محكمة قانونية ... وبالرغم من كل هذا، لم يَأْبَه أحدٌ وحدَثَ ما حدث.

توقَّفت هوك عن أعمالها لفترة من الوقت. كان ذلك جزئيًّا بسبب دخول رئيسها بارنيل السجن بتهمة تضخيم رواتبه، وجزئيًّا بسبب استمرار طلب هوليوود تن الاستئناف من المحكمة. لكنَّ أعضاءَها كانوا قد اشتاقوا لكل تلك الدعاية العظيمة التي حصلوا عليها عندما بدؤوا بملاحَقة هوليوود، وأثاروا فضول العامة بمحاكمات روزنبرغ وقضية ألجير هيس، لذلك قرروا أن الوقت مناسب لتحقيقٍ فاخرٍ آخَر.

قرَّر رئيس مجلس إدارة هوك الجديد، جون ستيفان وود القادم من جورجيا، ملاحَقةَ حديثِ العالم الأعظم.

ملاحَقتنا.

♣ ♦ ♠ ♥

قابَلت المحامي الذي أرسلته أستوديوهات مترو غولدوين ماير في المطار بواشنطن. «أنصحك ألا تتواصل مع السيد هولمز أو السيد ساندرسن».

«لا تكن سخيفًا».

«سيحاولون إقناعك بقبول دفاع التعديل الأول أو الخامس. دفاع التعديل الأول لن ينجح، فقد رُفِض في كل استئناف. الخامس هو دفاع ضد تجريم الذات، وما دمت لم تُقدِم على أي فعل غير قانوني بالفعل، فلا يمكنك استخدامه إلا إذا كنت تريد أن تثبت أنك مذنب». قال محامي.

«يمكنك توديع مسيرتك الفنية بعدها يا جاك. لن تقبل أستوديوهات مترو بإطلاق أفلامك، وسيمنع الفيلق الأمريكي عرْضَها في جميع أنحاء البلاد». أردفَت كيم.

«كيف لي أن أعلم أنني سأعلم إذا تكلّمت؟ اللعنة، مجرد الاستدعاء سيحجز لي مكانًا على اللائحة السوداء بحق». أجبتُهما.

«لقد وكّلني السيد هولمز بإخبارك أنك لن تخسر وظيفتك إذا أبديتَ تعاونك مع اللجنة».

هززت رأسي. «سأتكلم الليلة مع السيد هولمز». ابتسمت ابتسامةً صفراء في وجههم وأضفت: «نحن الآيائص بحق السماء، إذا لم يكن بمقدورنا التغلب على عضو كونغرس أخرق، فلا فائدة لنا».

وهكذا، التقيت بالسيد هولمز وإيرل وديفيد بفندق ستاتلر. اتهمَتني كيم بعدم التصرف بعقلانية، وآثرت الابتعاد.

تضارَبت الآراء منذ اللحظة الأولى. فإيرل كان يرى أنْ لا حقَّ لِلَّجنة في الاتصال بنا في المقام الأول، وأنه يجب علينا ببساطة رفض التعاون. في المقابل، قال السيد هولمز إنه لا يمكننا التنازل عن القتال ببساطة وأن نرضخ لهم، وأنه يجب علينا الدفاع عن أنفسنا أمام اللجنة، فليس لدينا ما نخفيه. أخبره إيرل أن لا هدفَ ولا غاية لمحكمة غير رسمة بإجراء دفاع منطقي. وأراد ديفيد أن يبثَّ فيرومموناته الخاصة في وسط اللجنة. قلت آخِرًا: «اللعنة على هذا، سأقبل بالتعديل الأول، فحرية التعبير وتكوين الجمعيات أمر يفهمه كل أمريكي».

ولكنني لم أكن أعني ما قلت. شعرت وحسب أن من واجبي قول أي شيء يبث فيهم التفاؤل.

لم يتم استدعائي خلال اليوم الأول، فتسكَّعت مع إيرل وديفيد في الرَّدْهة. كنت أسير ذهابًا وإيابًا وأطقطق أصابعي. في المقابل، كان السيد هولمز ومحاميه يلعبان دور الملك كنوت في محاوَلة منهم لمنع المد الحمضي والشر من سلخ لحمهم عن عظامهم. ظل ديفيد يحاول إقناع الحراس بالسماح له بالدخول، لكن الحظ لم يكن حليفَه. كان الحراس بالخارج على استعداد للسماح له بالدخول، لكن الحراس داخل غرفة اللجنة لم يتعرَّضوا لفيرومموناته واستمروا في

منعه.

ولكن بالطبع سمح لوسائل الإعلام بالدخول. لطالما أحبَّت هوك استعراضَ بطولاتها أمام كاميرات الأخبار، لذلك كانت محطات الأخبار مطَّلعةً على كامل الأحداث. لم أكن أعرف ما الذي كان يجري في الداخل حتى خرج السيد هولمز. كان يمشي مثل رجلٍ أُصِيب بجلطة، يضع قدمه بحذر أمام الأخرى. كان كمَن سُحبت منه الروح. ارتجفت يداه واتكأ على ذراع محاميه. لقد كبر عشرين عامًا في غضون ساعات قليلة. ركض إيرل وديفيد نحوه، لكن كل ما استطعت فعله هو التحديق في رعبٍ بينما ساعده الآخرون في الممر. تملَّكني الخوف.

أسند إيرل وبليث السيدَ هولمز حتى السيارة. وانتظر إيرل سيارة الليموزين التي أرسلتها أستوديوهات مترو غولدوين ماير. ركب معنا بالمقعد الخلفي ولكن كيم بدَت منزعجة. حشرَت نفسها في أقصى زاوية المقعد كي لا يتلامسا. حتى إنها رفضت إلقاء التحية.

«كنت محقًّا بالنهاية. لم يكن يجدر بنا التعاون مع أولئك الملاعين منذ الأساس».

كنت لا أزال تحت تأثير هول ما رأيته في الممر. «لا يمكنني استيعابُ سببِ فعلتهم هذه».

نظر إليّ نظرةً ساخرة وقال: «يا لك من فتى مزرعة». كانت تلك جملته المعتادة كلما خاطَبَني. هز بعدها رأسه وأردف: «أعليّ ضرْبُك بالجاروف على رأسك كي تفهم؟»

وجَمَت كيم، ولكن إيرل لم يهتم.

«إنهم متعطشون للسلطة يا فتى المزرعة. لقد منعهم روزفلت وترومان من الحصول على السلطة لسنوات وسنوات. والآن هم يسعون خلفها من جديد، مهما كلّفهم الأمر. انظر إلى الآيائص الأربعة وأخبِرني ماذا ترى؟ ترى شيوعيًا ذا بشرة داكنة، وليبراليًا يهوديًا، وليبراليًا من أنصار الرئيس فرانكلين ديلانو روزفلت، وامرأةً تعيش في الخطيئة. أضِف إلينا تاكيون وستحصل على كائن فضائي لا يدمّر البلد فحسب، بل وكروموسوماتنا أيضًا. ربما يوجد آخَرون أقوياء لا يعرفهم أحد. ولديهم جميعًا قوى خارقة، فمَن يدري ما الذي سيفعلونه؟ كما أنهم لا يخضعون لسيطرة الحكومة ويتبعون نوعًا من الأجندة السياسية الليبرالية. لذلك فإن وجودهم يهدّد قاعدة السلطة لمعظم الأشخاص في اللجنة هناك.

«برأيي أن الحكومة قد جنّدت آيائص ماهرة بالفعل، ولكن بمنأى عن مسامع العامة. هذا يعني أنه يمكنهم الاستغناء عنا، فنحن مستقلون للغاية وغير سليمين سياسيًا. إنهم

يتحجَّجون بالصين وتشيكوسلوفاكيا وأسماء الآيائص الآخرين. النقطة المهمة هي أنه إذا تمكّنوا من كسرنا في الأماكن العامة، فسيثبتون أن بإمكانهم كسر أي شخص. سيبدأ بعدها عهدُ الرعب الطويل الأمد. لن يكون أي شخص في مأمن، ولا حتى الرئيس».

هززتُ رأسي. كانت الكلمات تدخل من أذنٍ وتخرج من أخرى دون أن تمر بدماغي. «ما العمل إذًا؟»

نظر إيرل في عينيَّ: «لا شيء أبدًا يا فتى المزرعة. لا شيء».

أشحت بنظري عنه بعدها.

♣ ♦ ♠ ♥

شغل لي محامي أستوديوهات مترو غولدوين ماير في تلك الليلة تسجيلًا من جلسة استماع هولمز. كان السيد هولمز ومحاميه؛ وهو صديق عائلة قديم من فرجينيا يُدعى كرانمر، معتادَين على أساليب واشنطن وطرق القانون. لقد توقَّعا إجراءً منظمًا حيث يطرح السادة أعضاء اللجنة أسئلةً مهذَّبة على السادة الشهود.

لكن الخيال لا يمُتُّ للواقع بصلةٍ بتاتًا. فبالكاد سمحت اللجنة للسيد هولمز بالتحدث. لا، بل صرخوا في وجهه

موجِّهين له كلامًا يحتوي تلميحات لئيمة وإشاعات. ولم يُسمح له مطلقًا بالرد.

زُوِّدتُ بنسخة من السجلات. وجرى بعضها كالتالي:

السيد رانكين: عندما أنظر إلى هذا الرجل المثير للاشمئزاز الذي يجلس أمام اللجنة، بأدبياته المتحذلقة وملابسه اللائقة ببوند ستريت وحامل السجائر الفاخر، فإن كل ما هو أمريكي ومتدين في داخلي يثور عند رؤيتي له. رجل الصفقة الجديدة! هذه الصفقة اللعينة تتغلغل فيه مثل السرطان، مما يدفعني لأن أصرخ في وجهه: «أنت كل ما هو خطأ في أمريكا. اخرج وعُد إلى الصين الحمراء حيث تنتمي، أنتَ اشتراكي الصفقة الجديدة! سترحِّب بك الصين وبغدرك».

رئيس الجلسة: انتهى وقت العضو المحترم.

السيد رانكين: شكرًا سيدي الرئيس.

رئيس الجلسة: دورك يا سيد نيكسون.

السيد نيكسون: هلا أطلعتني على أسماء الأشخاص الذين تشاوَرت معهم في وزارة الخارجية قُبَيل رحلتك إلى الصين؟

الشاهد: اسمح لي أن أذكِّر اللجنة بأن أولئك الذين تعامَلت معهم هم موظفون عموميون أمريكيون يتصرَّفون بحُسْن

نية ...

السيد نيكسون: اللجنة غير مَعْنية بسجلاتهم، بل بأساميهم فحسب.

يستمر السجل ويطول ليجمع بالنهاية ثمانين صفحة بالكامل. يبدو أن السيد هولمز قد طعن الجنرال في ظهره وخسر الصين أمام الحزب الشيوعي الصيني. لقد اتُّهم بالتساهُل مع الشيوعية، تمامًا كالاشتراكي الراديكالي المعتدل هنري والاس، والذي كان يدعمه هولمز للرئاسة. واتهم جون رانكين القادم من ميسيسيبي السيد هولمز بأنه جزء من مؤامرة يهودية صينية شيوعية جاءت لصلب مخلصنا، ولعله لذلك كان أغرب شخص في اللجنة. أما ريتشارد نيكسون القادم من كاليفورنيا، فظل يسأل عن الأسماء. لقد أراد أن يعرف الأشخاص الذين استشارهم السيد هولمز في وزارة الخارجية حتى يتمكَّن من فعل ما فعله مع ألجر هيس. لم يذكر السيد هولمز أي أسماء وطالَب بحقه بالتعديل الأول. عندها اعترى اللجنة سخط شديد، وتكاثر أفرادها على السيد هولمز، ثم وضعوه في اليوم التالي على لائحةِ اتهامٍ بازدراء الكونغرس. كان السيد هولمز في طريقه إلى السجن.

كان في طريقه للسجن دون أي ذنب يُذكر.

«يا إلهي! عليَّ التكلم مع إيرل وديفيد».

«لا، بل علينا رسم خطة عمل».

«استمع إليه يا عزيزي».

«اللعنة، لا». ثم ضربت زجاجة الشراب على الطاولة الزجاج.

«لا بد من وجود مَخْرج لهذا الأمر».

♣ ♦ ♠ ♥

عندما وصلت إلى جناح السيد هولمز، كان قد أُعطِي مهدئًا وخلد بعدها إلى النوم. أخبرني إيرل أن بليث وتاكيون قد استلما مذكرتَي استدعاء وسيصلان في اليوم التالي. لم نستطع فهم السبب؛ إذ لم يكن لبليث أي دور في القرارات السياسية، ولم يكن لتاكيون أي علاقة بالصين أو السياسة الأمريكية على الإطلاق.

استُدعِي ديفيد في صباح اليوم التالي. دخل وعلى وجهه ابتسامة عريضة، فقد كان سينتقم باسمنا جميعًا.

السيد رانكين: أود أن أؤكد للسيد اليهودي من نيويورك أنه لن يواجه أيَّ تحيُّز بسبب عِرقه. أي رجل يؤمن بالمبادئ

الأساسية للمسيحية ويلتزم بها، سواء كان كاثوليكيًا أو بروتستانتيًا، فسيحظى باحترامي وثقتي.

الشاهد: حضرة اللجنة، أنا أعترض على توصيف «السيد اليهودي».

السيد رانكين: هل تعترض على توصيف يهودي أم توصيف السيد؟ إلامَ تلمِّح؟

بعد تلك البداية الصعبة، بدأت فيرومونات ديفيد في الانتشار بالغرفة. وعلى الرغم من أنه لم يكن قد جعل اللجنة ترقص في دائرة وتغني «هافا ناجيلا»، فقد جعلهم يوافقون بلطفٍ على إلغاء مذكرات الاستدعاء، وإلغاء جلسات الاستماع، وإقرار مشروع يشيد بالآيائص كوطنيين، وإرسال رسالة اعتذار للسيد هولمز كاعتذار عن سلوكهم، وإلغاء مذكرات ازدراء الكونغرس بحق أفراد هوليوود تن، وبشكلٍ عام أن يجعلوا من أنفُسهم أضحوكة لعدة ساعات مباشِرة أمام كاميرات نشرات الأخبار. جون رانكين دعا ديفيد «صديق أمريكا اليهودي الصغير»، مما مثَّل مدْحًا كبيرًا منه. خرج ديفيد مختالًا والابتسامة تزين ثغره. ربَّتنا على ظهره وحييناه ثم عدنا لفندق ستاتلر للاحتفال.

كنا قد فتحنا زجاجة الشامبانيا الثالثة عندما فتح محقق الفندق الباب وسلَّمه مساعِدو الكونغرس حزمة جديدة من

مذكرات الاستدعاء. شغلنا الراديو واستمعنا إلى الرئيس جون وود وهو يُلقِي خطابًا مباشرًا حول كيفية استخدام ديفيد «التحكم بالعقل من النوع الذي يتم تدريسه في جامعة بافلوف الطبية في روسيا الشيوعية»، وأن هذا الشكل المميت من الهجوم سيتم التحقيق فيه بالكامل.

جلست على السرير وحدّقت في الفقاعات المتصاعدة في كأس الشامبانيا الخاص بي.

انتابني الخوف مرةً أخرى.

♥ ♠ ♦ ♣

جاء دور بليث في النهار التالي. كان التوتر جليًّا عليها. أما ديفيد فقد طُرِد من قِبَل الحرَّاس في القاعات الذين كانوا يرتدون أقنعة غاز.

كانت هناك شاحنات تحمل رموز حرب كيماوية في الأمام. اكتشفت لاحقًا أنها مخصّصة لإطلاق الفوسجين علينا إذا حاوَلْنا شقَّ طريقنا للخروج.

كانوا يبنون كشكًا زجاجيًّا في غرفة الاستماع، وذلك كي يُدلي ديفيد بشهادته في عزلة ومن خلال ميكروفون. وكان جون وود يتحكَّم في الميكروفون.

يبدو أن هوك كانت مرتابةً بقدرنا، وذلك لأن استجوابهم كان مفككًا بعض الشيء. سألوا بليث عن الصين، ولكنها لم يكن لديها أية إجابات لهم بشأن القرارات السياسية بما أنها ذهبت في منصب علمي. ثم سألوها عن طبيعة قوتها، وكيف عملت على استيعاب العقول بالضبط وماذا فعلَت بها. كان كل شيء مؤدَّب إلى حدٍّ ما، فهنري فان رينسلير كان لا يزال عضوًا في الكونغرس بالنهاية، وكانت المجامَلة المهنية تُملِي عليهم ألا يقترحوا أن زوجته تدير عقله.

خرجت بليث ودخل تاكيون. كان يرتدي معطفًا بلون الخوخ وحذاء هسه(4) بشراشيب. لقد كان يتجاهل نصيحة محاميه طوال الوقت، فقد دخل بموقف الأرستقراطي الذي كان واجِبه الممانِع هو تصحيح سوء فَهْم الغوغاء.

حاوَل التذاكي على نفسه، لكن اللجنة كانت أذكى. قاموا بمحاسَبته لكونه كائنًا فضائيًّا غير قانوني، ثم قاموا بمحاسَبته لكونه مسؤولًا عن إطلاق فيروس البطاقات الجامحة. كما طالَبوا بأسماء جميع الآيائص الذين عالَجهم، وذلك في حال كان بعضهم مندسِّين أشرارًا ينوون التأثير على عقول الأمريكيين بأمر من العم جو ستالين. رفض تاكيون الامتثال لأوامرهم.

فقاموا بترحيله.

التالي هو هارستين. رافَقته فرقة من البحرية يرتدي أفرادُها ملابسَ مخصَّصة للحرب الكيماوية. وما إن دخل الكشك الزجاجي حتى تكاثروا عليه كما فعلوا مع السيد هولمز. أمسك جون وود الزر الموجود على الميكروفون ولم يسمح له قَط بالتحدث، ولا حتى للإجابة عندما وصفه رانكين باليهودي القَذِر في وسط الجلسة وأمام الملأ. عندما حصل أخيرًا على فرصته للتحدث، شجب ديفيد اللجنة ووصفها بأنها مجموعة من النازيين. بدا ذلك للسيد وود مثل ازدراء الكونغرس.

بنهاية الجلسة، كان ديفيد في طريقه إلى السجن أيضًا.

قام الكونغرس بتأجيل الجلسات لما بعد عطلة نهاية الأسبوع. وكنت أنا وإيرل سنمثل أمام اللجنة يوم الإثنين المقبل.

جلسنا في جناح السيد هولمز ليلةَ الجمعة واستمعنا إلى الراديو. كان كل شيء من حولنا سيئًا. نظَّم الفيلق الأمريكي مظاهرات لدعم اللجنة في جميع أنحاء البلاد. صدرت مذكراتُ استدعاء بحق أشخاصٍ في جميع أنحاء

البلاد معروفين بقوى الآيص. لم يُستدعى أيٌّ من الجواكر المشوَّهين؛ لأنهم سيَبْدون سيئين أمام الكاميرا. ترك وكيل أعمالي رسالةً تخبرني أن شركة كرايسلر تريد استعادة سيارتها، وأن أفراد تشيسترفيلد قد اتصلوا وكانوا قَلِقين.

شربتُ زجاجة سكوتش كاملة. توارى بليث وتاكيون عن الأنظار، وديفيد والسيد هولمز صارا كالأموات الأحياء؛ لازَمَ كلاهما الزاوية بعينَين غائرتين وألم يكاد يُغرِقهما.

«سأقبل بالتعديل الأول واللعنة عليهم جميعًا. إذا ما أرادوا زجّي في السجن، فسأهرب إلى سويسرا». قال إيرل.

حدَّقت في مشروبي: «لا أستطيع الطيران يا إيرل».

«بل يمكنك يا فتى المزرعة. لقد أخبرتني ذلك بنفسك».

«اللعنة ... لا يمكنني. دَعْني وشأني».

لم يَعُد بمقدوري التحمُّل. اصطحبتُ زجاجة مشروب معي إلى السرير. أرادَت كيم التكلم معي، ولكنني أدرت ظهري وتظاهرت بالنوم.

♣ ♦ ♠ ♥

«تفضَّل يا سيد ماير».

«جاك! الوضع سيئ ... سيئ للغاية يا جاك».

«نعم بالفعل، هؤلاء الأوغاد سيدمروننا يا سيد ماير».

«التزِم بما يُملِيه عليك المحامي فحسب، وستنجو. إنه الخيار الأصوب».

«الأصوب؟!» ضحكت كثيرًا. «الأصوب؟!»

«نعم، إنه الخيار الأصوب يا جاك، أنت بطل. لا يمكنهم أذيتك. أخبِرهم فقط ما تعرف وستظل أمريكا ممنونة لك بعدها».

«هل تريدني أن أكون واشيًا حقيرًا؟»

«جاك، اسمعني يا جاك. لا تستعمِل كلماتٍ كهذه. إنه الخيار الوطني ... الخيار الأصوب. أريدك أن تكون بطلًا، وأن تعلم أن مكان الأبطال محفوظ دائمًا في مترو».

«كم من الأشخاص سيشترون تذاكر لمشاهَدة واشٍ حقير؟ أخبِرني يا سيد ماير، كم؟»

«أعْطِ الهاتفَ للمحامي يا جاك، أريد التحدث معه. كن مُطِيعًا فحسب والتزِم بما يُملِيه عليك فحسب».

«أبدًا».

«ما الذي سأفعله معك يا جاك. أعْطِني المحامي».

كان إيرل يطفو خارج نافذتي. وكانت قطرات المطر تتلألأ على النظارات الواقية المثبتة فوق خوذته الطائرة. حدَّقت كيم في وجهه وغادَرت الغرفة. نهضتُ من السرير وذهبت إلى النافذة وفتحتها. دخل وخلع حذاءَه على السجادة، ثم أشعل سيجارته.

«لا تبدو بخير يا جاك».

«كنت مخمورًا البارحة يا إيرل».

أخرج من جيبه جريدة واشنطن ستار مطوية. «معي ما قد يُوقِظك. هل رأيت هذه الجريدة؟»

«لا لم أَرَ شيئًا بعدُ».

فتح الجريدة. كان العنوان الرئيسي «ستالين يعلن دعمه للآيائص الأربعة». جلست على سريري وتناولت زجاجة المشروب. «اللعنة!»

رمى إيرل الجريدة جانبًا.

«إنه يعزم على تدميرنا أيضًا. لقد منعناه من دخول برلين بالنهاية. لم نُعْطِه سببًا واحدًا ليحبنا. كما أنه يجنِّد قوى آيص خاصة به هناك».

«اللعين ابن اللعين!» أغلقت عيني بشدة حتى بدأت برؤية الألوان. «هل معك سيجارة؟» ناولني واحدة وولاعة زيبو التي كان يستخدمها وقتَ الحرب. استندت إلى السرير وفركت الشعيرات على ذقني.

بدأ إيرل الحديث:

«برأيي تنتظرنا عشرةُ أيام سيئة. قد يتحتَّم علينا أيضًا مغادَرة البلد لنصبح أبطالًا من جديد. سيستغرق الأمر طويلًا».

«شكرًا لرفعك معنوياتي». أجبته بسخرية.

فضحك. كان طعم السيجارة سيئًا فأزلت الطعم برشفة من مشروب السكوتش. أردف إيرل وقد غادَرَت الابتسامة وجهه:

«إنني أقلق بشأن أولئك الذين سيستدعونهم من بَعدنا. سيتحوَّل البلد إلى رحلةِ بحثٍ عنهم لسنوات وسنوات». هز برأسه وأكمل: «لقد تكفَّلَت الجمعية الوطنية للنهوض بالملوَّنين بأتعاب محاميَّ. ربما يجدر بي رفض خدماته، فلا أريد أن يزج اسم الجمعية مع اسمي في ذات الخانة، فقد يلاحقونها في المستقبل».

«اتصل بي ماير».

«مايرا» أجاب بتجهُّم. «لو وقف هؤلاء الرجال الذين يديرون الأستوديوهات فقط بجانب هوليوود تن عندما مثلوا أمام اللجنة ... لو أظهروا بعض الشجاعة فقط، لَمَا حدث شيء من هذا على الإطلاق». نظر إلي. «من الأفضل أن تحصل على محامٍ جديد. إلا إذا كنتَ ستقر بالتعديل الخامس». عبس وقال: «الخامس أسرع. يسألونك فقط عن اسمك، وتقول إنك لن تجيب، ثم ينتهي الأمر».

«ما فائدة المحامي إذًا؟»

«معك حق». ابتسم ابتسامة خائبة. «بالفعل لن يغير المحامي مسار الأمور. مهما قلنا أو فعلنا، اللجنة مُصِرَّة على أمر واحد».

«نعم. لقد انتهى أمرنا».

نظر إليّ وقد انقلبت ابتسامته من خائبة إلى هادئة. للحظة، رأيت الوهج الذي أخبرَتني ليليان عنه. ها هو ذا، على وشك أن يفقد كل ما كان يعمل من أجله، على وشك أن يُستخدم كسلاح من شأنه أن يهز حركة الحقوق المدنية ومناهضة الفاشية ومعاداة الإمبريالية، وعمل كل ما يؤمن به. كان على وشك أن يصبح اسمه لعنة، وأي شخص مرتبط به سيواجه قريبًا نفس المعاملة ... وقد قبل كل شيء بطريقةٍ ما. غلب عليه الحزن بالطبع، ولكنه ظل صلبًا من داخله. لم يخالجه

الخوف، لم يقترب حتى من لمسه، فلم يكن خائفًا من اللجنة والعار وفقدان مركزه ومكانته. لم يندم على لحظة من حياته أو لتكريسه لحظة في سبيل معتقداته.

«هل انتهى أمرنا؟» سألني. ولكن ما لبثت أن لمعت عيناه، «اللعنة يا جاك، لن ينتهي الأمر قبل أن نقول كذا. إن جلسة استماع واحدة لا تعني الحرب. نحن الآيائص ولن يستطيعوا تغيير ذلك. أليس كذلك؟»

«نعم، على ما أظن».

«سأتركك لتصحو من خمورك». قال إيرل وتوجَّه نحو النافذة، «لقد حان موعد روتيني الصباحي الصحي على أية حال».

«أراك لاحقًا».

رفع إبهامَيه ورمى رجله فوق حافة الشباك.

«اعتنِ بنفسك يا فتى المزرعة».

«وأنت كذلك».

تركتُ سريري لأغلق الشباك بعد أن تحوَّلت الأمطار المتفرقة إلى غزيرة. نظرت من شبَّاكي فوجدتُ الناس في الشارع تركض لتحتمي من المطر.

«إيرل شيوعي بحق يا جاك. كان ينتمي إلى الحزب لسنوات، وذهب إلى موسكو للدراسة. اسمع يا حبيبي». قالت وقد صارت تناشِده الآن: «لا يمكنك مساعدته، سوف يُحاسَب بغض النظر عما تفعله».

«يمكنني الوقوف بجانبه».

«رائع، رائع للغاية. أنا متزوجة من فدائي. أقنِعني كيف لك أن تساعد أصدقاءك بإقرارك التعديل الخامس؟ لن يعود هولمز إلى الحياة العامة، وديفيد حجز تذكرتَه الخاصة للسجن، وسيتم ترحيل تاكيون، وبكل تأكيد سيُحكم على إيرل بالفناء. لا يمكنك حتى الوقوف بجانبهم جميعًا».

«هل تَسْخرين مني الآن؟»

قالت وهي تصرخ: «هلّا تركتَ الزجاجة من يدك واستمعتَ إليَّ؟ هذا ما يطلبه منك بلدك! إنه الصواب!»

لم يَعُد باستطاعتي تحمُّل أي شيء بعد ذلك، لذلك خرجت في نزهة في ظهيرة ذلك اليوم من شهر فبراير البارد. لم يدخل معدتي طوالَ اليوم سوى زجاجة ويسكي، وكانت حركة المرور خانقة يومَها، والمطر يتساقط على وجهي ويبلل سترة كاليفورنيا الخفيفة الخاصة بي. لكنني لم ألحظ

أيًّا من ذلك. لم أستطع التفكير إلا في تلك الوجوه، وقضية وود ورانكين وفرانسيس، والوجوه والأعين البغيضة واستعراض التلميحات المستمرة، ثم بدأت بالركض نحو مبنى الكابيتول. كنت سأعثر على اللجنة لأسحقهم وأضرب رؤوسَهم معًا وأجعلهم يَجْرون وهم يثرثرون في الخوف. لقد جلبتُ الديمقراطية إلى الأرجنتين بحق الآلهة، ويمكنني أن أحضرها إلى واشنطن بنفس الطريقة.

كانت نوافذ المبنى مظلِمة، والمطر البارد يلمع على الرخام. كان المبنى خاليًا. تجوّلت في الأنحاء بحثًا عن باب مفتوح، ثم أخيرًا اخترقت مدخلًا جانبيًّا وتوجّهت مباشَرةً إلى غرفة اللجنة. فتحتُ الباب ودخلت.

كانت فارغة بالطبع، لم أعرف لماذا اعترتني دهشة كبيرة. لم يكن هناك سوى عددٍ قليل من الأضواء الخافتة المسلّطة على حجرة ديفيد الزجاجية، مما جعلها تبدو كقطعةٍ من الكريستال الفاخر. وبقيت أجهزة الكاميرا والراديو في مكانها. كما وجدتُ مطرقة رئيس مجلس اللجنة المصقولة من النحاس اللامع. لسببٍ ما، غادَرني غضبي حين وقفتُ كالأبله في وسط الغرفة الفارغة والهادئة.

جلستُ على أحد الكراسي وحاولت أن أتذكر ما كنت أفعله هنا. كان جليًّا أن الآيائص الأربعة باتوا قاب قوسَين

أو أدنى من أن يتم القضاء عليهم. كنا ملتزمين بالقانون والأخلاق على عكس اللجنة؛ لذلك كانت الطريقة الوحيدة التي يمكننا من خلالها محارَبتهم هي خَرْق القانون، والوقوف أمام وجوههم المتعجرفة وتحطيم غرفة اللجنة إلى أجزاء صغيرة، والضحك عليهم بينما يبحثون عن مَخْبأ تحت مكاتبهم. ولكن إذا فعلنا ذلك فسنصبح ما حارَبْناه، قوة للإرهاب والعنف خارجة عن القانون. كنا سنثبت تهمةَ اللجنة علينا؛ وهذا من شأنه أن يزيد الأمور سوءًا.

كنا نغرق أكثر فأكثر ولا طوق نجاة لينقذنا.

استفقتُ من خموري مع كل درجة خطَوْتُها أثناء خروجي من مبنى الكابيتول. لم يكن بمقدور أي مشروب في العالَم إزاحتي عما أعلمه بوضوحٍ عن شيء مروع ومخيف.

كنت أعلم. كنت أعلم من اللحظة الأولى. ولم يكن بمقدوري التظاهر بعكس ذلك.

♣ ♦ ♠ ♥

دخلتُ الرَّدْهة صباحَ اليوم التالي. كانت كيم بجانبي من جهة، والمحامي من الجهة الأخرى. كان إيرل في الرَّدْهة، وكانت ليليان واقفة هناك وهي تُمسِك حقيبتها.

مررت بجانبهم ولكنني لم أستطِع النظرَ إليهم. وفتح عناصر

البحرية الذين كانوا يرتدون أقنعة الغاز الباب. ودخلت غرفة الاستماع وأعلنتُ عن نيتي للإدلاء بشهادتي أمام اللجنة كشاهدٍ وَدُود.

في وقت لاحق، طوَّرت اللجنة إجراءً خاصًّا للشهود الودودين. كانت الخطة عبارة عن جلسة مغلقة أولًا تضم فقط الشاهد واللجنة، وهي نوع من البروفة بحيث يعرف الجميع ما الذي سيتحدثون عنه، وما هي المعلومات التي سيتم تطويرها، كي تسير الأمور بسلاسة في الجلسة العامة. لم يتم تطوير هذا الإجراء عندما أدليتُ بشهادتي؛ لذلك سار كل شيء بشكل سيئ قليلًا.

عَرِقتُ تحت الأضواء. كنت خائفًا للغاية لدرجةِ أنني بالكاد استطعت التحدث. كل ما استطعت رؤيته هو تلك العيون الصغيرة الشريرة التي كانت تحدِّق في وجهي من جميع أنحاء الغرفة، وكل ما سمعته هو أصواتهم التي تدوي عاليًا في وجهي من مكبرات الصوت.

استهلَّ وود الجلسة وسألني أسئلة التعريف: مَن أنا؟ وأين أقطن؟ وماذا أعمل؟ ثم بدأ بالتطرق إلى معارفي، وأولهم إيرل. انتهى وقتَه وبدأ دور كيرني.

«هل تعلم أن السيد ساندرسن كان عضوًا في الحزب الشيوعي؟»

لم أسمع السؤال، فأعاد كيرني طرحه.

«ماذا؟ أوه! نعم لقد أخبرني».

«هل تعلم إن كان لا يزال عضوًا حتى الآن؟»

«على حد علمي أنه انفصل من الحزب بعد الشيء النازي الشيوعي».

«في عام ١٩٣٩؟»

«إذا كان الاتفاق قد حصل حينها، فنعم في ١٩٣٩ على ما أعتقد».

لقد نسيت كل قطعة مسرحية عرفتها من قبلُ. كنت أتحسَّس ربطة عنقي وأغمغم في الميكروفون وأعرق، محاولًا عدم النظر إلى أزواج العيون التسع تلك.

«هل أنت على علم بأي انتماءات شيوعية حافَظَ عليها السيد ساندرسن بعد الاتفاقية النازية السوفياتية؟»

«كلا».

ثم طُرِح السؤال الذي كنت أخشاه:

«ألم يذكر لك أيّ أسماء لأفراد ينتمون للحزب الشيوعي أو يؤيدونه؟»

قلت أول ما خطر على بالي حينها دون التفكير مرتَين.

«كان هناك فتاة، في إيطاليا على ما أعتقد. كان يعرفها خلال الحرب. أعتقد أن اسمها كان لينا جولدوني. لقد صارت ممثّلةً اليوم».

لم يُبْدِ أيٌّ من الحاضرين ردَّ فعل، ولكنني رأيت ابتسامة خفية ارتسمت على مُحَيّاهم. كما استطعت رؤية الصحفيين من طرف عيني وهم منهمكون في تدوين ما قلت.

«هل يمكنك تهجئة اسمها رجاءً؟»

♣ ♦ ♠ ♥

لقد غرفتُ حفنةَ التراب الأخيرة من حفر إيرل. أيًّا كان ما كان يُقال عن إيرل حتى ذلك الحين كان يظهر على الأقل أنه صادق مع مبادئه. ولكنني دمّرته ببضع كلمات. لقد أظهرتُ خيانته لليليان من ضمن خياناتٍ أخرى قد اقترفها، ربما إحداها لبلاده. فعلت كل ذلك دون أن أعِي ماذا كنت أفعل.

استمررت في الثرثرة في محاوَلةٍ مني لتجاوُز الأمر، وقلت أي شيء جاء في رأسي. لقد تحدَّثت عن حب أمريكا،

وكيف قلت للتو تلك الأشياء اللطيفة عن هنري والاس لإرضاء السيد هولمز، رغم معرفتي أنه من الغباء فعل ذلك. وكيف أنني لم أكن أرغب في تغيير أسلوب الحياة الجنوبي، وأن أسلوب الحياة الجنوبي أسلوب حياة رائع. وأخبرتهم أنني شاهدت «ذهب مع الريح» مرتَين، وأنه فيلم رائع، وأن السيدة بيثون مجرد صديقة لإيرل الْتُقِطت صورٌ لي معها. تولّى فيلدي الاستجواب.

«هل لك علم بأسماء أيٍّ من الآيائص المزعومين الذين قد يكونون يعيشون معنا؟»

«لا، أبدًا. أعني غير الذين تم استدعاؤهم من قِبَل اللجنة».

«هل تعلم إن كان إيرل ساندرسن يعرف أحدهم؟»

«لا».

«ألم يعترف لك بأي طريقة؟»

شربت رشفة من الماء. تساءلت مع نفسي عن عدد المرات التي سيُعِيدون فيها السؤال ذاته.

«لو كان يعلم أسماء آيائص أخرى، فبالتأكيد لم يذكرها أمامي».

«ماذا عن السيد هارستين؟»

واستمر على هذا المنوال. كان جوابي في كل مرة: «لا».

«ماذا عن دكتور تاكيون؟»

كانوا يعلمون إجابات جميع أسئلتهم، وكنتُ هناك لتأكيد ظنونهم فحسب.

«لقد عايَن الكثيرين ممَّن أُصِيبوا بالفيروس. لا بد أنه يعلم اسمًا أو اثنَين، ولكنه لم يذكر أيًّا منهم في حضوري».

«هل تعلم السيدة فان رينسلير بوجود أي آيائص أخرى؟»

هززت رأسي، ثم طرأت ببالي فكرة لأتمتِم بتلعثُم: «لا. ليس بنفسها، لا».

تابَعَ فيلدي. «هل السيد هولمز ...» بدأ كلامه قبل أن يقاطعه نيكسون، فقد أحسَّ بشيءٍ ما من طريقة إجابتي على السؤال. طلب إذنًا من فيلدي بالمقاطَعة. كان نيكسون هو الأذكى بلا شك. نظر وجهه الشاب المتلهف إليَّ باهتمام من ميكروفونه.

«هل لي أن أطلب من الشاهد أن يوضِّح ما يعنيه من إجابته؟»

ارتعبتُ عندها. شربتُ رشفة أخرى من الماء وحاوَلتُ التفكير في مَهْرب من الأمر. طلبتُ من نيكسون تكرار

السؤال، ففعل.

جاوَبته قبل أن يُنهِي سؤاله حتى.

«السيدة فان رينسلير امتصّت أفكارَ الدكتور تاكيون. لا بدّ أنها تعلم ما يعلم».

كان من الغريب أنهم لم يعرفوا بشأنِ علاقة بليث وتاكيون قبل أن أفضح الأمر.

وبصراحةٍ قتلي لها كان سيكون أهونَ من أن أفضح الأمر.

♣ ♦ ♠ ♥

شكرني الرئيس وود في نهاية شهادتي. بالمبدأ، عندما يشكرك رئيس لجنة هوك، فهذا يعني أنك بخير ويمكن لأشخاصٍ آخَرين التواصل معك دون خوف من وصفك بالمنبوذ. هذا يعني أنه يمكنك الحصول على وظيفة في الولايات المتحدة الأمريكية.

خرجتُ من غرفة الاستماع يرافقني محاميّ من جهة، وكيم من جهة أخرى. لم أستطِع النظرَ إلى عيون أصدقائي. وفي غضون ساعة كنت على متن طائرة عائدة إلى كاليفورنيا.

كان المنزل في ساميت درايف مليئًا بباقات التهنئة من

الأصدقاء الذين صنعتهم في مجال التصوير. كانت هناك رسائل هاتفية من جميع أنحاء البلاد حول مدى شجاعتي، وعن كم كنتُ وطنيًا. كان الفيلق الأمريكي ممثلًا بقوة.

أما في واشنطن، كان إيرل يقر بالتعديل الخامس.

لكنهم لم يكتفوا بالتعديل الخامس وأخلَوْا سبيله كما جرت العادة. سألوه ولمحوا واحدًا تلو الآخر، وجعلوه يقر بالتعديل الخامس لكل سؤال. هل أنت شيوعي؟ أجاب إيرل مع التعديل الخامس. هل أنت عميل للحكومة السوفياتية؟ الخامس. هل ترتبط بالجواسيس السوفيات؟ الخامس. هل تعرف لينا جولدوني؟ الخامس. هل كانت لينا جولدوني عشيقتك؟ الخامس. هل كانت لينا جولدوني عميلة سوفياتية؟ الخامس.

كانت ليليان تجلس في المقاعد خلفه، صامتة وتمسك حقيبتها بشدة. كانت تشد على حقيبتها أكثر كلما ذُكِر اسم لينا.

كان إيرل عندها قد بلغ ذروةَ صبره واكتفى. انحنى إلى الأمام ووجهُه مشدودٌ من شدة الغضب.

«وقتي أثمن من أن أقضيه بتجريم نفسي أمام مجموعة

من الفاشيين!» صاح بغضب. وحكموا عليه بعدها فورًا أنه تنازَلَ عن حقه بالتعديل الخامس من خلال التحدُّث علانيةً، وعادوا لمساءلته مرة أخرى. عندما أعلن، وهو يرتجف من الغضب، أنه ببساطة أعاد صياغة التعديل الخامس وسيستمر في رفضِ أي إجابة، استشهدوا بكلامه لاتهامه بتهمة الازدراء.

كان سينضم إلى السيد هولمز وديفيد في السجن.

التقى به تلك الليلة أفراد من الجمعية الوطنية للنهوض بالملوَّنين. أمروه بأن يبتعد عن تحركات الحقوق المدنية، فقد أعادهم خمسين سنة إلى الوراء. وأن يبتعد عنهم في المستقبل.

لقد سقط معبود الجماهير. فبعد أن خلق نفسَه في صورةِ رجلٍ خارق وبطلٍ بلا عيوب، أدرك العامة فجأةً أن إيرل ساندرسن بالنهاية كان ولا يزال إنسانًا، وذلك بمجرد أن فضحَت ذكرياته لينا. لقد ألقوا اللومَ عليه بتهمة سذاجتهم في الإيمان به وفقدانهم المفاجئ للإيمان. ربما لو كنا في الأزمنة القديمة لكانوا قد رجموه بالحجارة أو شنقوه على أقرب شجرة تفاح. لكن في النهاية، كان ما فعلوه أسوأ.

لقد سمحوا له بالعيش.

كان إيرل يعرف أن أمره قد انتهى. لم يَعُد يَفرق عن الميت في شيء سوى أنه يتحرك. كان يعلم أنه سلَّمهم ورقةَ إعدامه بيده. لقد فسدت صورة البطولة التي رسمها لنفسه. لقد خيَّب آمال جميع مُحِبِّيه. حمل عبْءَ كل ذلك على كاهله، فصار عاجزًا رغم شبابه. لقد قُصَّت جناحاته، فلم يَعُد يحلِّق عاليًا ... ولا بعيدًا.

استدعت لجنة هوك بليث اليوم التالي. لا أريد حتى أن أفكِّر فيما حدث.

♣ ♦ ♠ ♥

عُرِض فيلم «الفتى الذهبي» بعد شهرين من انتهاء جلسات الاستماع. جلست خلال العرض الأول بجانب كيم، ومن المشهد الأول، علمتُ أن الوضع مأساوي.

لم يَعُد لشخصية إيرل ساندرسن وجود، فقد حُذِفَت من الفيلم تمامًا. ولم يَعُد أرشيبالد هولمز عنصرًا في مكتب التحقيقات الفيدرالي، لكنه لم يكن شخصيةً مستقلة أيضًا. كان ينتمي إلى وكالة المخابرات المركزية الجديدة المنشأ. قام شخصٌ ما بتصوير الكثير من اللقطات الجديدة. غُيِّرَ النظام الفاشي في أمريكا الجنوبية إلى نظام شيوعي في أوروبا الشرقية، وكان بإدارةِ رجالٍ ذوي بشرة زيتونية ولكنات إسبانية. في كل مرة تقول فيها إحدى الشخصيات

«نازي»، تمت دبلجتها إلى «شيوعي». كانت الدبلجة عالية وسيئة وغير مقنعة.

تجوَّلت بعد ذلك في حالة ذهول في صالة الاستقبال. ظل الجميع يخبرونني كم كنتُ ممثلًا رائعًا، وكم أن الفيلم رائع. حتى إن ملصق الفيلم كان عليه جاك براون ... بطل أمريكا الموثوق فيه! شعرت بالقرف.

غادرت باكرًا وخلدت إلى سريري.

واصَلتْ جمْعَ عشرة آلاف في الأسبوع، وواصَل الفيلم تحقيقَ نجاحٍ تلو الآخر في شباك التذاكر. قيل لي إن فيلم ريكينبايكر سيحقِّق نجاحًا كبيرًا، لكنهم كانوا يواجِهون في الوقت الحالي مشاكلَ في النص في فيلمي التالي. استُدعِي أول كاتِبَيْ سيناريو أمام اللجنة وانتهى بهما الأمر في القائمة السوداء؛ لأنهما لم يفصحا عن أي أسماء. جعلني الأمر أرغب في البكاء.

بعد نفاد طلبات استئناف في هوليوود تن، استُدعِي الممثل لاري باركس. كان الممثل نفسه الذي كنت أشاهده عندما ضرب الفيروس نيويورك. قام بالإفصاح عن أسماء، لكنه لم يذكرها عن طِيب خاطر بما فيه الكفاية، وانتهت بذلك مسيرته الفنية.

بدا الأمر وكأنه يلاحقني. لم يتجرأ البعض على مخاطَبتي في الحفلات أحيانًا، وأحيانًا أخرى كنت أسمع أطرافَ أحاديثهم عني. صارت أسمائي وألقابي «يهوذا الآيص»، و«الواشي الذهبي»، و«الشاهد الودود».

اشتريت لنفسي سيارة جاغوار لعَلّي أشعر بالتحسن قليلًا.

في غضون ذلك الوقت، كان الكوريون الشماليون يتوغّلون عبر خط عرض ٣٨، وكانت القوات الأمريكية تتعرّض للهزيمة في دايجون. لم أكن أفعل أي شيء سوى أخْذِ دروس التمثيل عدةَ مرات كلَّ أسبوع.

اتصلتُ بواشنطن مباشَرة. مُنِحت رتبة مقدم وأرسلوا لي طائرة خاصة.

ظن العاملون في مترو أن الأمر حيلةٌ دعائية.

مُنِحت طائرة هليكوبتر خاصة، واحدة من أوائل طراز بيل، مع طيار من مستنقعات لويزيانا أظهر رغبةً حاسمة في الموت. كان هناك رسم كاريكاتوري لي على الألواح الجانبية، بركبةٍ واحدة للأعلى وذراعٍ واحدة مرفوعة، كما لو كنتُ سوبرمان أطير.

كان الأمر بسيطًا جدًّا، سيتم نقلي لخلف خطوط كوريا الشمالية لأهزمهم.

كنت أقوم بهدم أعمدة دبابات بأكملها، وأي مدفعية تُرصَد من جانبنا كانت تُحوَّل إلى قطع معجنات. أسرتُ أربعة جنرالات شمال كوريين، وأنقذت الجنرال دين من الكوريين الذين أسَروه. دفعت قوافل إمداد كاملة من فوق جوانب الجبال. كنت حزينًا ومصمِّمًا وغاضبًا، وكنت أنقذ حياة الأمريكيين، وكنت جيدًا جدًّا في ذلك.

نُشِرت صورة لي ظهرت على غلاف مجلة لايف. كنت أبتسم ابتسامة عريضة وأحمل T-34 فوق رأسي، وبالبرج أمامي كوري شمالي مندهش للغاية. كنت أتوهَّج كالنيزك. وكانت الصورة تحمل عنوان «بطل بوسان الخارق». كانت كلمة بطل خارق جديدة في ذلك الوقت.

كنت فخورًا جدًّا بما كنت أفعله.

أما في الولايات المتحدة، كان ريكينبايكر يحقِّق نجاحًا تلو الآخر. لم تكن النتائج بقدرِ ما توقَّع الجميع، لكنها كانت مذهلة وحقَّقت قدرًا كبيرًا من المال. بدا أن مشاعر الجماهير متناقِضة بعض الشيء في ردود أفعالهم تجاهَ النجم. حتى عندما ظهرتُ على غلاف مجلة لايف، لم يتمكَّن البعض من رؤيتي كبطل.

أعادَت مترو إصدار الفتى الذهبي، ولكنها حصدت فشلًا.

لم أكترث كثيرًا، فقد كنت أسيطر على حدود بوسان. كنت مع الجنود الأمريكيين نتشارك خيمة، ونأكل من العُلب، ونقضي أوقاتنا تحت الرصاص معظم الوقت. كنا كما لو أننا في فيلم كرتوني من إصدار بيل مولدين. أعتقد أنه كان سلوكًا فريدًا إلى حدٍّ ما لعقيدٍ برتبة. كره الضباط الآخَرون ذلك، لكن الجنرال دين سانَدني، فهو عن نفسه في وقتٍ ما كان يطلق النار على الدبابات باستخدام بازوكا؛ لذلك كوَّنت علاقة جيدة مع الجنود.

نقلوني بالطائرة إلى جزيرة ويك حتى يمنحني ترومان وسامَ الشرف، وطار ماك آرثر معي على نفس الطائرة. بدا مشغولًا طوال الوقت، ولم يضيِّع أي وقت في الحديث معي. بدا عجوزًا بشكل لا يُصدَّق، وكأنه قاب قوسَين أو أدنى من الموت. لا أعتقد أنه أحبني.

خرجنا بعد أسبوع من بوسان وأنزل ماك آرثر فرقة إكس في إنشيون. لاذ الكوريون بالفرار بعدها.

عدتُ إلى كاليفورنيا بعد خمسة أيام. أخبرني الجيش باقتضابٍ أن خدماتي لم تَعُد ضرورية. أنا على يقين أن لماك آرثر يدًا بالأمر. لقد أراد أن يكون نجمَ حربِ كوريا، ولم يرغب في أن يشاركه أحدٌ أيَّ تكريم. وربما كان قد صار هناك حينها آيائص آخرون لطيفون وهادئون ومجهولون يعملون

لصالح الولايات المتحدة.

لم أرغب في مُغادَرة الجيش. ظللت لفترةٍ من الوقت، أتَّصِلُ بواشنطن وأمدُّهم بأفكار جديدة حول كيف يمكنني أن أفيدهم، وخاصةً بعد أن هزم الصينيون ماك آرثر. كان بإمكاني مداهَمة القاعدات الجوية التي كانت تسبِّب لنا مثل هذه المشاكل في منشوريا، أو يمكن أن أكون الرجل المناسب لتحقيق اختراق. كانت السلطاتُ مهذَّبةً للغاية، لكن كان من الواضح أنها لا تريدني.

لكن وكالة المخابرات المركزية تواصَلت معي بعدها. بعد ديان بيان فو، أرادوا إرسالي إلى الهند الصينية للتخلُّص من باو داي. بدت الخطة نصف مدروسة، ففي الواقع لم يكن لديهم أدنى فكرة عمَّن أو ماذا يريدون وضعه في مكان باو داي. لقد توقَّعوا فقط أن تنهض «القوات الليبرالية المحلية المعادية للشيوعية» وتتولى القيادة. استمر الرجل المسؤول عن العملية في استخدام مصطلحات شارع ماديسون لإخفاء حقيقةِ أنه لا يعرف شيئًا عن فيتنام أو أي من الأشخاص الذين كان من المفترَض أن يتعامل معهم.

رفضتُ عرْضَهم. بعد ذلك، كانت اتصالي الوحيد مع الحكومة الفيدرالية عبر دفع ضرائبي كل أبريل.

أثناء خدمتي في كوريا، نفذت حقوق هوليوود تن بطلب الاسترحام. زُجَّ ديفيد والسيد هولمز في السجن. قضى ديفيد ثلاثَ سنوات والسيد هولمز ستة أشهر فقط ثم أُطلِق سراحه بسبب صحته. وكان الجميع يعلم ما حدث لبليث.

سافر إيرل إلى أوروبا واستقر في سويسرا؛ حيث تخلَّى عن جنسيته الأمريكية وأصبح مواطنًا عالميًّا. صار بعد شهر يعيش مع أورلينا جولدوني في شقتها في باريس. كانت قد أصبحت نجمة كبيرة بحلول ذلك الوقت. أفترض أنه قرَّر أنه لم يَعُد هناك جدوى من إخفاء علاقتهما، فقرَّر أن يتباهى بها.

بقيت ليليان في نيويورك. أعتقد أن إيرل كان يرسل لها المال. لست متأكدًا.

♣ ♦ ♠ ♥

عاد بيرون إلى الأرجنتين في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي مع عاهِرته الشقراء. وكان الخوف يتجه جنوبًا.

لقد مثَّلت في أفلام عديدة، لكن لسببٍ ما لم يحقِّق إياها النجاحَ المتوقَّع. استمرت مترو في قول إن المشكلة فيَّ أنا.

لم يصدِّق الناس أنني كنت بطلًا، وكذلك أنا. وقد أثَّر ذلك على تمثيلي. ففي ريكينبايكر كنتُ مقتنعًا بذلك، ولكن بعد

ذلك، لا شيء.

انطلقت حياة كيم المهنية، ولم أرَها كثيرًا. في النهاية، التقط محقِّقها الخاص صورةً لي في السرير مع طبيبة الأمراض الجلدية التي أتَت لتضع مكياجها كل صباح، وحصلت كيم على المنزل في ساميت درايف، مع الخادمات والبستاني والسائقين ومعظم أموالي. انتهى بي الأمر في منزل صغير على الشاطئ في ماليبو مع مرأب يحتوي سيارة جاكوار. كانت حفلاتي تدوم أحيانًا لأسابيع.

تزوَّجت مرتَين بعد ذلك، وقد دامت الزيجةُ الأطول حتى ثمانية أشهر. كلَّفتني الزيجتان ما تبقَّى من ثروتي. تخلَّت مترو عن خدماتي فانتقلتُ لوارنر. ازدادت الأفلام سوءًا، وكانت ستة منها بالطابع الجنوبي ذاته.

تلقَّيت الضربة القاضية أخيرًا، فقد انتهت مسيرتي الفنية وخسرتُ جميع أموالي. قصدت شركة إن بي سي للإنتاج ومعي فكرة لمسلسل تلفزيوني.

استمر عرض طرزان والقرود لأربع سنوات. خلف الشاشة كنتُ المنتجَ التنفيذي، أمّا أمامها فلعبتُ دورَ مساعِدٍ كوميدي. كنت الطرزان الأول والوحيد الأشقر. تلقَّيت كثيرًا من المديح وأمَّن لي المسلسلُ مستقبلي.

اتجهت بعدها لمسار أي ممثل سابق في هوليوود، امتهنت العقارات. لقد قمت ببيع منازل الممثّلين في كاليفورنيا لفترةٍ من الوقت، ثم أنشأت شركة، وبدأت في بناء شقق ومراكز تسوُّق. لطالما استخدمت أموال الآخرين ولم أكُن لأجازف بالإفلاس مرةً أخرى. أنشأت مراكز تسوق في نصف البلدات الصغيرة في الغرب الأوسط.

كوَّنت ثروة من ذلك. وحتى بعدما جنيتُ ثروة تكفيني، لم أتوقَّف. لم يكن على جدولي أي عملٍ آخَر.

شعرت بالغضب عندما انتُخِب نيكسون. لم أستطِع أن أفهم كيف يمكن للناس أن يصدِّقوا ذلك الرجل!

بعد خروج السيد هولمز من السجن، ذهب للعمل كمحرِّر في مجلة ذا نيو ريبابليك. تُوفِّي عام ١٩٥٥ بسرطان الرئة. وَرِثت ابنته مالَ الأسرة. وأفترض أن ملابسي كانت لا تزال في خزائنه.

بعد أسبوعَين من سفر إيرل إلى خارج البلاد، قام كلٌّ من بول روبسون وويليام إدوارد بورغاردت دو بوا بالانضمام إلى الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة، وتسلَّما بطاقات الحزب في حفلٍ عامٍّ أُقِيم في هيرالد سكوير. أعلنوا أنهم كانوا سيشاركون في الاحتجاج الذي نُظِّم على خلفيةِ سوءِ المعامَلة التي تلقَّاها إيرل من قِبَل هوك.

استدعت هوك الكثير من ذوي البشرة الداكنة إلى غرفةِ لجنتهم. حتى جاكي روبنسون استُدعِي وظهر كشاهد ودود. على عكس الشهود ذوي البشرة البيضاء، لم يُطلَب من ذوي البشرة الداكنة قَط الإفصاح عن الأسماء. لم ترغب هوك في خلْقِ المزيد من الفدائيين السُّود. وبدلًا من ذلك، طُلب من الشهود التنديد بآراء ساندرسن وروبسون ودو بوا. وافَق معظمهم مُرغَمين.

لم يستطِع أحدٌ معرفةَ ما كان يفعله إيرل خلال ١٩٥٠ حتى غالبية ١٩٦٠. اختار عيشَ حياةٍ هادئة مع لينا جولدوني في باريس وروما. وكانت لينا نجمة كبيرة وناشطة سياسية، أما إيرل فلم يظهر له أثرٌ عظيم.

لم يكن مختبئًا، بل آثَر التواري عن الأنظار. هذان أمران مختلِفان.

لم يَخْلُ الأمر مع ذلك من بعض الشائعات. قيل إنه شُوهِد في أفريقيا خلال الحروب المختلفة من أجل الاستقلال. وقيل إنه حارَب في الجزائر ضد الفرنسيين ومنظمة الجيش السري. ولكن عندما سُئِل، رفض إيرل تأكيدَ أيٍّ من أنشطته أو نفيها. استُدرِج من قِبل أفراد وأسباب يسارية، لكنه نادرًا ما كان يلزم نفسه علنًا. برأيي، لم يكن يريد أن يُستخدَم مرةً أخرى؛ مثلي. لكن برأيي أيضًا أنه كان خائفًا من أنه سيلحق

الضرر بالقضية من خلال ربطه بها.

في النهاية انتهى عهد الخوف، تمامًا كما قال إيرل. وبينما كنت أتأرجح في الغابة مثل طرزان، محا الأخوَانِ جون وروبرت كينيدي القائمةَ السوداء من الوجود. فقد عبرا من أمام خط اعتصام الفيلق الأمريكي لمشاهَدة فيلم سبارتاكوس، وهو فيلم كتبه أحدُ أفرادِ هوليوود تن.

بدأ الآيائص يظهرون ويختلطون بالحياة العامة، لكنهم كانوا يرتدون أقنعةً ويستخدمون أسماء مستعارة، تمامًا مثل الرسوم الهزلية التي قرأتها في الحرب واعتقدت أنها سخيفة جدًّا. ولكن الأمر لم يَعُد سخيفًا الآن. لم يريدوا أن يخاطروا، فقد يعود الخوف يومًا ما.

ألَّفوا كتبًا عديدة عنَّا. رفضتُ القيام بأي مُقابَلات. في بعض الأحيان كان يُباغِتني أحدهم بسؤال على الملأ، لذلك كنت أتصرَّف ببرود وأقول: «أرفض التحدث عن ذلك في هذا الوقت». كنت أطبِّق التعديل الخامس الخاص بي.

عندما بدأت حركة الحقوق المدنية في الانتشار في هذا البلد في الستينيات، جاء إيرل إلى تورنتو ووقف على الحدود. التقى بالقادة والصحفيين ذوي البشرة الداكنة وتحدَّث فقط عن الحقوق المدنية.

لكن إيرل، في ذلك الوقت، لم يكن ذا أهمية. استحضر الجيل الجديد من القادة ذوي البشرة الداكنة ذِكراه واقتبسوا خطاباته، وقلد حزبُ الفهد الأسود سترتَه الجلدية وحذاءَه وقلنسوته، لكنَّ حقيقةَ استمرارِ وجوده، بصفته إنسانًا وليس رمزًا، كانت مزعجةً بعض الشيء. كانت الحركة تفضِّل فدائيًّا ميتًا، وذلك بهدف استخدام صورته لأي غرض، بدلًا من رجلٍ حي وعاطفي يقول آراءَه بصوت عالٍ وواضح.

ربما شعر بذلك عندما طُلِب منه المجيء إلى الجنوب. وربما سمح مسؤولو الهجرة بذلك. لكنه تردَّد لفترة طويلة، إلى أن أصبح نيكسون رئيسًا. لن يدخل إيرل بلدًا يديره عضو سابق في هوك.

بحلول السبعينيات، استقر إيرل بشكل دائم في شقة لينا في باريس. حاوَل المنفيون من حزب الفهد الأسود مثل كليفر تكوينَ تحالُف معه، ولكنهم فشلوا.

تُوفِّيت لينا عام ١٩٧٥ في حادث قطار. وتركَت لإيرل مالها.

كان يُجري مقابَلات من وقتٍ لآخر. لقد تعقَّبتها وقرأتها. وفقًا لكلام أحد المحاوِرين، كان أحد شروط المقابَلة أنه لن يُسأل عني. ربما أراد أن تموت ذكرياتٌ معينة موتًا طبيعيًّا. أردتُ أن أشكره على ذلك.

انتشرت قصة، أقرب للأسطورة في الواقع، من قِبل أولئك الذين ساروا في شارع سلمي في عام ١٩٦٥ خلال الحملة الصليبية لحقوق التصويت ... أنه عندما اندفع رجال الشرطة بالغاز المسيل للدموع والعتيد والعتاد والكلاب، وبدأ المتظاهرون في السقوط أمام العناصر من ذوي البشرة البيضاء، أقسَمَ بعض المتظاهرين أنهم نظروا نحو السماء ورأوا رجلًا يطير هناك. كان عبارة عن شكل أسود مستقيم يرتدي سترة وخوذة. حلّق الرجل ثم اختفى، فلم يكن قادرًا على التصرف، لم يكن قادرًا على تقرير ما إذا كان استخدام سلطاته سيساعد قضيته أو يضرها. كان سِحره لم يَعُد بعدُ، ولا حتى في مثل هذه اللحظة المحورية. وبعد ذلك النهار، لم يَعُد على جدول أعماله سوى الجلوس في المقهى وتدخين الغليون وقراءة الصحف، وأخيرًا نزيف الدم الذي ختم مشوار حياته وأرسله إلى السماء.

♣ ♦ ♠ ♥

كنت أتساءل بين الفينة والأخرى عما إذا كان الأمر حقًّا قد انتهى، عما إذا كان الناس قد نسوا حقًّا. ولكن الآيائص باتوا جزءًا من الحياة اليومية وجزءًا من الخلفية. بات العالَم بأسره ينشأ على أساطير الآيائص، على قصة الآيائص الأربعة والخائن الذي باعهم. بات الجميع يعرف يهوذا الآيص قلبًا

وقالبًا.

توجَّهت خلال إحدى فترات تفاؤلي إلى نيويورك للعمل. ذهبت إلى علية الآيائص، المطعم في مبنى إمباير ستيت حيث يوجد الجيل الجديد من الآيائص. قابَلني هيرام عند الباب؛ ذاك الآيص الذي اعتاد أن يطلق على نفسه اسم «فاتمان» حتى انتشر الخبر عن هُوِيته الحقيقية. علمت على الفور أنه قد تعرَّف عليّ، وأنني قد ارتكبت خطأً كبيرًا بذهابي.

أعترف بأنه كان مهذَّبًا بما فيه الكفاية، لكن تهذيبه ذلك لم يكن نابعًا من قلبه. أجلَسَني في زاوية مظلمة حيث لا يمكن للآخرين رؤيتي. طلبت مشروبًا وشريحة لحم السلمون.

عندما جاء الطبق، كان اللحم محاطًا بدائرة مرتبة من الدايمات. أحصيتهم. ثلاثون قطعة من الفضة.

نهضت وغادرت. كان بإمكاني أن أشعر بعيون هيرام تراقبني طوال الوقت. لم أعُد بعدَها قَط.

ومع ذلك، لا أستطيع أن ألومه على الإطلاق.

♣ ♦ ♠ ♥

عندما كنت أنتج طرزان، كان الناس يشيدون بكم أنني

أعتني بنفسي. بعد ذلك، عندما بدأت ببيع العقارات وبناء المشاريع، أخبرني الجميع كم لاءَمَتني تلك الوظيفة. كنت أبدو يافعًا للغاية.

حتى الآن، كلما نظرت في المرآة، أرى نفس الشاب الذي كان يكنس شوارع نيويورك ذهابًا وإيابًا من الاختبارات. وكأنَّ الزمن كان وحده راضيًا عني، فلم أكبر مقدار ثانية حتى. فها أنا اليوم، ذاك الرجل الذي يبلغ من العمر خمسة وخمسين عامًا، ولكنه يبدو في الثانية والعشرين. ربما لن أتقدَّم في السن.

ما زلت أشعر وكأنني واشٍ، ولكنني واشٍ فعَلَ ما أملاه عليه واجبُه الوطني.

ربما كُتِب عليّ أن أبقى يهوذا الآيص عمرًا كاملًا.

أتساءل أحيانًا عن إمكانية أن أصبح آيصًا مرةً أخرى، فأرتدي قناعًا وزيًا حتى لا يتعرَّف عليّ أحد. يمكنني أن أدعو نفسي رجل العضلات أو فتى الشاطئ أو حتى العملاق الأشقر أو شيء من هذا القبيل. يمكنني أن أخرج من جديد وأنقذ العالَم، أو على الأقل قطعة صغيرة منه.

ولكنني سرعان ما أتراجع عن أفكاري تلك. لقد حظيث بوقتي وانتهى دوري. كيف لي أن أنقذ العالم في حين لم

أنقذ مصداقيتي الخاصة عندما كنتُ قادرًا، أو أنقذ إيرل أو أي شخصٍ آخَر.

ربما كان يجدر بي الاحتفاظ بالدايمات؛ فقد استحققتُها في النهاية.

♣ ♦ ♠ ♥

---

(4) نسبة إلى ولاية هسن الألمانية.

مراسم التدهور

بقلم ميليندا م. سنودغراس

ترجمة مروة الحلبوني

تطايرت ورقة إحدى الجرائد على العشب الجاف في منتزه «نويي» قبل أن تستريح إلى قاعدة تمثال «الأدميرال ديستان» البرونزية، حيث تمايلت مع نسمات الهواء بتعبٍ إلى أن حملها أثير ديسمبر البارد على جناحَيه لتُكمِل الطريق.

في منتصف المنتزه، جلس رجل على مقعدٍ حديديٍّ يراقب الورقة تقترب منه متأملًا، كما لو كان يتخذ أحد القرارات المصيرية.

وبينما انحنى لالتقاطها، سُكِب القليل من النبيذ على قدمَيه، فانطلق يشدو بأعذب الشتائم بمختلِف اللغات واللهجات الأوروبية. أغلق القارورة، وجفَّف البقعة المتزايدة بمنديل بنفسجي، ثم تناول الورقة، النسخة الفرنسية من صحيفة «هيرالد تريبيون»، وبدأ يطالع بعينَيه الليلكيتين سطورها وكلماتها.

اتُّهِم روبرت أوبنهايمر بالتعامل مع الشيوعيين والخيانة المحتملة، وتؤكد مصادر قريبة من لجنة الطاقة الذرية أنه يَجري اتخاذ خطوات لإلغاء تصريحه الأمني، وإبعاده عن

رئاسة اللجنة.

كوَّر الرجل الورقة بغضب، ثم اتكأ إلى المقعد وأغمض عينَيه.

«سحقًا لهم، سحقًا لهم جميعًا». همس باللغة الإنكليزية.

وما إن أنهى جملته حتى أجابته مَعِدته بإصدارِ صوتٍ عالٍ. عقد حاجبَيه وارتشف الكثير من النبيذ الأحمر البخس الذي ترك طعمًا لاذعًا في فمه واستقر في دِفْء مَعِدته الخاوية ليهدأ ضجيجُها.

كان يرتدي معطفًا كبيرًا بلون الدراق، ومزينًا بأزرار ذهبيةٍ ضخمةٍ بالإضافة إلى الكثير من عباءات الكتف. ولبس تحته سترةً بلون السماء، وسروالًا أزرقَ ضيِّقًا مدسوسًا في حذائه الجلدي العالي. أما الصُّدرَة فكان لونها الأزرق غامقًا، وزُينت بتصاميم راقيةٍ بخيوطٍ ذهبيةٍ وفضية. كانت ملابسه متسخةً ومتجعدةً حتى إن قميصه الأبيض الحريري غُطي بالبقع. يشاركه المقعدَ الكمانُ والقوس، بينما تستقر علبتهما مفتوحةً على الأرض. في أسفل المقعد، وضع حقيبةً قديمةً وشنطة كتف حريريةً حمراء نُقش عليها ورقةٌ ذهبيةٌ وقمران ونجمة، كما وضع مشرطًا رفيعًا، بانسجامٍ تامٍّ مع المنتصف، بالقرب منها.

عصفت الرياح مجددًا محرِّكةً غصون الأشجار، ومداعبة شعره الأحمر المتشابك الطويل، ولحيته التي غطت خدَّيه وذقنه، باللون الغريب نفسه. حاولَت الورقة أن تهرب من تحت يده، ففتح عينَيه ونظر إليها ليتغلب الفضول على الغضب ويعود إلى قراءتها.

وفاة «خزينة الأفكار».

تُوفِّيت «بليث فان رينسلير»، المعروفة بـ «خزينة الأفكار»، أمسِ في مصحة «ويتير». كانت أحد أعضاء فرقة «الآيائص الأربعة» السيئة السمعة قبل أن يُدخِلها زوجها، «هنري فان رينسلير»، إلى المصحة، إثرَ مثولها أمام لجنة مجلس النواب بخصوص النشاطات غير الأمريكية ...

عكَّرت الدموع في عينَيه وضوح الصفحات فلم يستطع إكمال القراءة. ترقرقت دمعةٌ واحدةٌ أسفل أنفه الطويل والمحدد لتقف عند طرفه؛ لم يَقُم بأي حركةٍ لمسحها إذ إنه كان في حالةِ ركودٍ ليس بسبب الألم الذي سيعيشه، بل بسبب الفراغ الذي تملَّك صدره.

كان يجب أن أعرف، فكَّر في قرارة نفسه، ثم وضع الورقة على ركبته وأخذ يداعب بسبابته المقال بلطف، كما يداعب المحب خد معشوقه. لاحَظ كثرة البيانات المتعلقة بالصين و«أركيبالد» و«الآيائص الأربعة» والفيروس.

تملَّكه الغضب، كل هذا خاطئ! شد بيده على الورقة، ثم أعاد فتحها وأكمل مداعبتها وهو يفكر إن كانت قد تُوفِّيت بسهولةٍ، أو إن كانوا قد أخرجوها من تلك الحجرة المظلمة وأخذوها إلى المستشفى ...

♣ ♦ ♠ ♥

كانت رائحة الغرفة مزيجًا من العَرق والخوف والفضلات والعفن والمطهِّرات؛ الناتجة بشكل كبير بسبب ثلاثة مقيمين احتشدوا في منتصف العنبر كالخِرَاف الضائعة. إلى الجنوب، غطاء يعزل أحد الأَسِرَّة عن باقي المرضى، ولكنه لا يحجب الأصوات اللاإنسانية الصادرة من ورائه.

بالقرب منه، امرأةٌ مُنكبَّةٌ على قراءة الدعاء وهي معلَّقةٌ من أصابعها، وتنزف بشكل دوري على الصفحات. في كل مرة يحدث ذلك، تتمتم بكلمات الصلاة وتمسح الأوساخ لتعود للقراءة. لو أن نزيفها حُدِّد بندبة معينة، لَصارت قديسة، ولكنها نزفت من كل الفتحات في جسدها، من أذنَيها موسِّخةً شعرها وكتفَيها وثيابها، ومن فمها وأنفها وعينَيها وشرجها ... من كل مكان. أطلق عليها أحد الأطباء اسم «القديسة ماري النازفة»، ولم تَعذر إهانتَه إلا بسبب إرهاقها الشديد. ظل كل متخصِّصي الرعاية الصحية في منطقة مانهاتن على اتصال دائم تقريبًا منذ يوم البطاقة الجامحة، في ١٥ سبتمبر

١٩٤٦، وبعد خمسة أشهر من العمل المتواصل بدأت التأثيرات السلبية بالظهور.

وهناك رجل من أصول أفريقية كان يتمتع بالجمال، يطفو في مغطس من المحلول الملحي، فمنذ يومَين، بدأ يسلخ جلده من جديد، واليوم لم يبْقَ سوى القليل منه، بينما لمعت عضلاته المجردة والملتهبة. طلب تاكيون معالَجتَه كما لو كان ضحيةَ حريق؛ وكان قد نجا سابقًا من عملية تقشرٍ مشابهة، ولكن هذا الأمر لم يكن كذلك مضمونًا.

تقدم تاكيون وبرفقته مجموعةٌ من الأطباء نحو العازل.

«هل ستنضمون إلينا أيها السادة؟» نادى بصوته العَذْب العميق ولهجته الموسيقية الرنانة المتأصلة من أوروبا الوسطى أو إسكندنافيا، فتقدَّم المقيمون بترددٍ نحو الأمام.

أزالت ممرضةٌ العازلَ بكل هدوء، للكشف عن رجلٍ كبيرٍ ونحيف. تأمَّل الأطباءَ بيأسٍ ثم أخذ يُصدِر أصواتًا رهيبةً وغير مفهومةٍ.

«مثيرٌ للاهتمام». قال مانديل رافعًا ملفه. «إن الفيروس يدفع كل تجويفٍ في جسم هذا الرجل إلى الانسداد، وفي خلال أيامٍ قليلةٍ لن تتمكّن رئتاه من الحصول على الهواء، وكذلك سيتوقف قلبه عن العمل بشكلٍ جيدٍ ...»

«فلماذا لا نُنهِي ذلك؟» أمسك تاكيون بيد الرجل وأحس به يشدُّها مؤيدًا.

«ماذا تقترح؟» همس مانديل.

أعاد تاكيون صياغة كلامه بوضوحٍ: «لا يوجد أي حل، أليس من الأفضل أن نريح هذا الرجل من آلام موته المرتقب؟»

«لا أدري أي طبٍّ تمارسون في عالمكم – أو ربما أدري، بالنظر لهذا الفيروس اللعين الذي صنعتموه – ولكن في هذا العالَم، نحن لا نقتل مرضانا».

أحسَّ تاك بالغضب يتأجَّج في داخله: «ستمنحون كلبًا أو قطةً موتًا رحيمًا، ولكنكم تحرمون مرضاكم منه وتتركونهم ليموتوا معذَّبين! سحقًا لكم!»

أزاح معطفه الأبيض، كاشفًا عن لباسه الذهبي الجميل، وجلس على طرف السرير قُربَ الرجل الذي مد يده جاهدًا للوصول إلى «تاكيون»، وبعد أن أمسكها بإحكام صار الوصول إلى أفكار الرجل سهلًا جدًّا.

«أريد أن أموت، دَعْني أموت». طلب الرجل بألمٍ وخوفٍ والكثير من الهدوء واليقين.

«لا يمكنني، لن يأذنوا لي بذلك، ولكن يمكنني أن أعطيك الأحلام». وبحركةٍ واحدةٍ، حجب الألم والوعي عن عقل الرجل كما لو أحاطها بسورٍ من الطاقة يمنعها من الخروج، واستعاض عنها بالمتعة ليسمح له بأن يطير في عالمٍ من أحلامه الخاصة. وعلى الرغم من أن ما قام به لن يدوم سوى بضعة أيام، فإنه سيكون كافيًا لتسهيل موت هذا الجوكر.

قام من مكانه، ونظر إلى وجه الرجل المسالِم.

«ماذا فعلتَ؟» سأل «مانديل».

رمق الطبيب الآخر بتعجرف وأجاب: «استخدمتُ القليل من السحر «التاكيوني» اللعين».

حيَّا المقيمين بكل جلالٍ وغادَر العنبر. في الممر، صادف رجلًا مسنًّا يشق طريقه بين الأَسِرَّة على كلا الجانبَين بحذرٍ. أشارت إليه «شيرلي داشيت» من محطة الممرضات. لقد قضيا الكثير من الليالي الممتعة معًا، يكتشفان الفروقات والتشابهات بين طقوس الحب لدى «التاكيونيين» والبشر، ولكن الليلة لم يستطِع سوى الرد بابتسامة، ما أقلقه. «نعم؟»

«د. بونيرز يود استشارتك. المريضة في حالة صدمة، وأحيانًا تتصرَّف بهستيريا على الرغم من صحتها الجسدية، فظنَّ أنه من الممكن ...»

«أن تكون ممّن أعالِجهم». «يا إلهي! أرجو ألّا تكون جوكرًا آخر، فأنا لا أعتقد أنني أستطيع تحمُّل المزيد من الوحشية»، فكّر في نفسه. «أين هي؟»

«في الغرفة ٢٢٣».

أحس بالإرهاق يَسري في عروقه وعضلاته وأعصابه، وتلاه اليأس والشفقة على الذات. ضرب المكتب بيده وتمتم بشتيمة، فرجعَت «شيرلي» إلى الوراء.

«تاك، هل أنت بخير؟» أحس بيدها الباردة على خده.

«أجل، بالتأكيد». أرغم نفسَه على الوقوف باستقامة، وأسرع في السير إلى آخِر الممر.

كان بونيرز مع طبيب آخَر عندما دخل تاكيون. عقد بونيرز حاجبَيه لكنه سرعان ما رحّب بتولّي تاكيون زمام الأمور عندما أطلقَت المريضة في السرير صرخةً حادةً وقوّست ظهرها لفك القيود. أسرع تاك إليها ووضع يده بلطف على رأسها ليشاركها في عقلها.

يا إلهي! الانتخابات، هل سينجح «رايلي؟» لقد دفع ما يكفي ليشتري انتصارًا، ولكن ماذا لو من شراء نصر ساحق ...

أمي، أنا خائفة ... لدغة صباح شتوي وصوت زلّاجةٍ

تعبر الجليد ... يدٌ تمسك بيدها ... لكنها اليد الخاطئة، أين «هنري؟» ليتركها الآن ... إلى متى ستنتظر؟ ... يجب أن يكون قد وصل ... انقباض آخر. لا. لم تسمع. أمي ... «هنري» ... الألم!

رجع إلى الوراء لاهثًا وارتطم بالخزانة.

«يا إلهي، د. «تاكيون»، هل أنت على ما يرام؟» أحس بيد بونيرز على ذراعه.

«لا ... أجل ... بالمبدأ».

وقف بحذرٍ وجسده يتألم تعاطفًا مع ذِكرى المخاض المؤلم الأول لهذه المرأة. ولكن من أين أتت الشخصية الثانية، ذاك الرجل الصلب والبارد؟

أزاح يد بونيرز عنه وجلس على طرف السرير، بحذرٍ أكبر هذه المرة، اقترب من المرأة وأخذ يقوم ببعض التمارين المهدِّئة والمقوِّية. تداعَت دفاعات عقلها الواهية أمامه، وقبل أن تتمكن من إدخاله إلى عاصفة أفكارها، سيطر عليها.

مثل الزهرة المخملية الحساسة، ترتعد في النسيم مع مجرد تلميح ...

أجبر نفسه على ترك هذا العالم الوردي ليعود إلى مهمته.

أخذ يَجُول في عقلها ليُفاجأ بما اكتشفه.

في الأيام الأولى من انتشار الفيروس، شهد الكثيرَ من حالات الوفاة، نحو عشرين ألفًا منهم في منطقة مانهاتن، عشرة آلاف بسبب آثار الفيروس، وعشرة آلاف آخَرون بسبب أعمال الشغب والنهب والحرس الوطني. ثم نشأ الجواكر: وحوش بَشِعة نتجوا عن توحُّد الفيروس وبنيتهم العقلية الخاصة. وأخيرًا هناك الآيائص – وقد رأى نحو ثلاثين منهم – أشخاص بقوى ساحرةٍ ودليل حي على نجاح التجربة؛ إذ صنعوا، على الرغم من الخسائر الفادحة، كائنات خارقة. والآن، أمامه، واحدة منهم بقوتها الفريدة.

انسحب تاركًا خيطًا واحدًا من الاتصال بها كما لو أنه محرك دمى ضليع في مهنته. «صحيح، لقد كنتَ على حق يا دكتور، إنها واحدة ممّن أعالجهم».

حرك بونيرز يدَيه باستغراب وحيرة، «ولكن كيف ... أعني، أليس عليك أن ... تجري بعض الاختبارات كما تفعل عادةً؟» أنهى سؤاله بلهجةٍ لا مباليةٍ.

هدأ تاك، وابتسم لحيرة زميله، «لقد أجريتُ الاختبار لتوي، وخلصت إلى أكثر النتائج إثارةً للاهتمام، فقد تمكّنَت هذه المرأة بطريقةٍ ما من الاستحواذ على معارف زوجها وذكرياته». ولكن ابتسامته اختفَت عندما خطرت بباله فكرة،

«أفترض أنه علينا أن نرسل أحدًا إلى منزلهم للاطمئنان على زوجها «هنري» خوفًا من أن يكون في حالةٍ من الضياع وعدم الإدراك. فنحن لا نعرف بعدُ إن كانت قد استحوذت على كل ما كان لديه أم لا. في عقله بالتأكيد».

ظهر على بونيرز الشعورُ بالغثيان قبل أن يرحل، يرافقه الطبيب الثاني.

أخرجهما تاكيون وقلقه على «هنري فان رينسلير» من أفكاره، وصبّ تركيزه على المرأة أمامه. كان عقلها وروحها بحالةٍ يُرثى لها؛ لذلك كان عليه القيام بترميمها سريعًا خوفًا من أن تتحطّم شخصيتها تحت الضغط، وتصبح مجنونةً كليًّا. سيعود لاحقًا للقيام ببعض الترميم المستدام ولكنه سيظل ترقيعًا بأفضل الحالات. كم هو مناسبٌ هذا العمل لوالده، إذ لديه قدرته الخاصة في ترميم العقول، ولكنه بعيدٌ جدًّا عن «تاكس»؛ لذا سيتوجّب على قدرات تاك المتواضِعة أن تَفِي بالغرض.

«حسنًا يا عزيزتي». همس بلطفٍ وهو يفك قيدها. «لنبدأ بجعلك مرتاحةً، ثم سأعلّمكِ بعض التقنيات التي ستساعدكِ على الحُؤُول دون الجنون».

أعاد الاتصال بها بالكامل، مما جعل عقلها يرفرف بِحيرة، غير قادر على استيعاب التغيير الهائل الذي حصل للتو.

أنا مجنونة ... لا يمكن أن يحصل ... أن أُصاب بالجنون.

لا، لستِ مجنونة، إنما هذه آثار الفيروس.

إنه هنا حقًّا ... لا أستطيع تحمُّل ذلك.

إذًا لا تفعلي. ابحثي عنه في كل الزوايا ثم ضَعِيه في أعماق عقلكِ.

لا! أخرِجْه، أبعِدْه عني!

لا أستطيع، استلامُكِ السيطرةَ هو الحل الوحيد.

اشتعل في داخلها نورٌ صغير، ورسم حدودًا لسجن «هنري».

تملَّكها شعورٌ بالطمأنينة والسلام، ولكنهما لم ينتهيا بعدُ؛ إذ إن السجن قائم بفضل قواه، لا بفضل فَهْمها لما يحصل، ولا بد من أن تتعلَّم كيف تبنيه وحدها إن أرادت الحفاظ على سلامتها النفسية. انسحب بالكامل. لم يَعُد جسمها متصلبًا، وصار تنفُّسها أكثر انتظامًا. عاد تاك إلى محاوَلة تحريرها وأخذ يصفِّر لحنًا مرِحًا. شعر للمرة الأولى منذ أن استُدعِي إلى الغرفة بالراحة للنظر إلى مريضته بتمعُّن. كان عقلها قد أبهره بالفعل، أما جسدها فجعل ضربات قلبه تتسارع. كان شعرها يصل إلى كتفَيها ممتدًّا على الوسادة وصولًا إلى صدرها، الذي يتماشى بمثاليةٍ مع لون ثوب نومها الحريري

البيجي، وجلدها المرمري. رفرفت رموشها الطويلة على خدَّيها قبل أن تطير لتكشف عن عينَين زرقاوَين بلون سماء الليل.

حدَّقت إليه لبرهة ثم قالت: «أنا أعرفك، أليس كذلك؟! لا أستطيع تمييزَ وجهك، ولكنني ... أشعر بك». أغمضَت عينَيها مجددًا كما لو أن الحيرة طغت عليها.

أبعد خصلات الشعر عن وجهها بلطفٍ وأجاب: «أنا الدكتور «تاكيون»، وأنتِ تعرفينني بالفعل، فقد تشارَكْنا العقول».

«العقول ... العقول. اتصلت بعقل «هنري» ولكن كان ذلك مريعًا للغاية!» جلست باستقامة وأخذت ترتجف كالحيوان الصغير الخائف. «لقد أقدمَ على الكثير من الأفعال الشنيعة وغير الشريفة، لم يكن لديَّ أدنى فكرة، كنت أظن أنه ...» امتنعت عن الإكمال وأمسكت بذراعه. «عليَّ أن أعيش معه الآن. لن أتحرَّر منه أبدًا. ينبغي على الناس أن يكونوا أكثر حذَرًا عندما يقومون بالاختيار ... ومن الأفضل، برأيي ألَّا يَطْمعوا في معرفةِ ما ليس واضحًا أمامهم».

أغلقت عينَيها قليلًا وقطَّبت حاجبَيها، ثم فجأةً، فتحتهما وأحكمت قبضتها على ذراعه، «يعجبني عقلك». أفادت.

«شكرًا لكِ. يمكنني القول بأنني أملك أحدَ أكثر العقول

تميزًا، والأفضل بين كل ما صادفتِه أو يمكن أن تصادفيه».

ضحكت، ضحكةً عميقةً وجشَّاء لا تتناسب مع شكلها الناعم. ضحك معها، مسرورًا لرؤية وجهها يعود إلى لونه من جديد.

«وهو الوحيد الذي سأصادفه، هل يراك الناس متكبرًا؟» تابَعت الحديث بهدوء واتَّكأت على الوسادة خلفها.

«لست متكبرًا، بل مغرور، وأحيانًا متعجرف، ولكن لست متكبرًا؛ فوجهي لا يتناسب مع ذلك».

«لا أدري». لامسَت خده وداعَبته بلطف، «أعتقد أن وجهك جميل». ابتعَدَ عنها بحذرٍ على الرغم من أنه لم يرغب بذلك. أحسَّت بالأذى وتقوقعت على نفسها.

«بليث، أرسلتُ أحدًا للاطمئنان على زوجكِ». أشاحَت بوجهها عنه وعانقَت وسادتها. «أعرف أنكِ حزينة لما عرفتِه عنه، ولكن علينا أن نتأكَّد من أنه بخير».

نهض عن السرير، فمدت له يدها. أمسكها بإحكام وشبَّك أصابعهما معًا.

«لا يمكنني العودة إليه، لا أستطيع».

«يمكنكِ اتخاذ هذه القرارات صباحًا، أما الآن فأريدكِ أن

تَحظَي ببعض الراحة». أجابها مطمئنًا.

«لقد أنقذتَني».

«هذا من دواعي سروري». وانحنى مقبِّلًا يدها؛ كان ذلك تصرفًا غير مقبول، ولكنه شعر بالفخر لسيطرته على نفسه.

«عُدْ غدًا، أرجوك».

«سأحضِّر لكِ الإفطار، وأُطعِمكِ المزيج المقرف الذي يسمونه حبوب الإفطار. ويمكنكِ عندها إخباري المزيدَ عن عقلي الرائع ووجهي الجميل».

«حسنًا، إن وعدتَ أن تردَّ بالمثل».

«يمكنكِ أن تضمني ذلك».

♥ ♠ ♦ ♣

حلَّقا في فضاء أبيض يُضِيئه اتصالهما الذهني. كان المحيط دافئًا وأموميًّا وحسَّاسًا في الوقت نفسه، ولاحَظَ كيفية تجاوُب جسده مع ما كان يحصل، ما لم يحس به لشهور، ولكنه وجَّه كلَّ تركيزه على الجلسة. تعلَّق السجن بينهما كيراعة صغيرة.

«مجددًا».

«لا أستطيع، هذا صعب جدًّا».

«عليكِ أن تحاولي، مجددًا».

تابَعَت اليراعة حركتَها العشوائية، في محاوَلةٍ لرسم خطوط السجن وانعطافاته. ثم عمَّ الظلام، كموجة من الوحل القَذِر، جرفت معها السجن. عاد تاكيون إلى جسده في الوقت المناسب ليُمسِك ببليث قبل أن يرتطم وجهُها بالأسمنت على سطح الشرفة.

شعر بالألم في رأسه من الجهد، «عليكِ أن تحتويه».

«لا أستطيع، إنه يكرهني ويريد أن يدمِّرني». وبدأت دموعها تتساقط.

«سنحاول مجددًا».

«لا!»

أمسك بها، واضعًا إحدى يدَيه على كتفها، والأخرى تمسك يديها. «سأكون برفقتكِ، لن أسمح له بإيذائكِ».

أخذت نفَسًا عميقًا، ثم أومأت برأسها، «حسنًا، أنا مستعِدة».

بدأ من جديد، ولكن هذه المرة بقي على اتصالٍ قريبٍ منها. فجأةً، شعر أنه في دوامة تمتصُّ عقله وهُوِيته وتشده إليها أكثر فأكثر. أحس بالاغتصاب وبالانتهاك وبفقدان شيءٍ ما،

فكسر الاتصال وأسرع بالابتعاد إلى السطح. عندما عاد إلى وعيه، وجد أنه يعانق شجرة صفصاف صغيرة منحنية بحزن خارج أصيصها، ورأى بليث تبكي بحُرقةٍ وحدها.

بدَت يافعةً وضعيفةً في معطفها من «ديور» بصوفه الأسود وياقته الفروية. زادت حِدة اللون من شحوب وجهها، وجعلتها الياقةُ تبدو كأميرةٍ روسيةٍ تائهة. تلاشت مشاعره السلبية لما رآها تشعر بالضِّيق.

«أنا آسفة، أنا آسفة جدًّا، لم أعنِ ذلك قَط، أردت أن أقترب منك لا أكثر».

«لا عليكِ». قبَّلَ خدَّيها ثم أكمل: «كلانا يشعر بالتعب، لنحاول مجددًا غدًا».

وكذا فعلا، محاوِلَين يومًا بعد يوم، حتى تمكَّنت في نهاية الأسبوع من السيطرة على ضيفها غير المرحَّب به. لم يأتِ هنري فان رينسلير إلى المستشفى بعدُ، بل إن عاملةً أحضرَت ثيابَ «بليث». أسعد ذلك «تاكيون»، فالرجل بخير ولم يتضرَّر، إضافة إلى أنه تعرَّف على ممثل عقل «فان رينسلير» ولم تكن تلك تجرِبةً سارةً، وفي الحقيقة كان يشعر بالغيرة من الرجل؛ إذ كان لديه الحق في بليث بعقلها وجسدها وروحها، أما تاكيون فلم يملك سوى الشوق لهذا الحق. كان سيجعلها مَلِكته بكل حب واحترام، كان سيُبقِيها سالمةً

ويدافع عنها، ولكن هذه الأحلام كانت هباءً إذ إنها مِلك رجلٍ آخَر.

في إحدى الليالي، حضر إلى غرفتها في وقت متأخر ليجدها تقرأ في سريرها. حمل بين يدَيه ثلاثين زهرة وردية اللون بسيقانٍ طويلة، بينما هي تضحك وتعترض غطاها بالبراعم الفوّاحة. وما إن انتهى حتى استلقى بالقُرب منها.

«أيها الشرير! ماذا لو آذَتْني الأشواك؟»

«لقد انتزعتها بالكامل».

«أنت مجنون. كم تطلّبَ ذلك من الوقت؟»

«ساعات».

«أوَلَمْ يكن لديك أي شيء أكثر إفادةً لتقوم به؟»

استدار واضعًا يده حولها، «لم أقصّر بحق مَرْضاي، أقسم لكِ. بل استيقظت باكرًا». واقترب من أذنها، وعندما لم تُبعِده عنها، انتقل إلى فمها وقبّلها مستلِذًّا بالعذوبة والأمل، وأحس بالحماس لما وضعَت يدَيها حول رقبته، فهمس لها: «هلّا قضيتِ الليلةَ معي؟»

«أهكذا تطلب من كلِّ الفتيات؟»

«لا». هتف وقد آذَتْه الضحكة البادية في صوتها. جلس

يزيل البتلات عن معطفه.

أخذَت تزيل البتلات عن عدد من الأزهار، «لديك سمعةٌ في هذا المكان. وفقًا للدكتور «بونيرز» لقد أمضيتَ لياليَ مع كل الممرِّضات في هذا الطابق».

««بونيرز» رجل عجوز وفضولي، بالإضافة إلى أن بعضهن لم يكن جميلات».

«إذًا فأنت تعترف بذلك». وأشارَت إليه بساقِ إحدى الزهور.

«أنا أعترف أنني أحب الفتيات، ولكنكِ مختلفة».

استلقت ويداها فوق عينَيها، «لا تُكمِل، سمعتُ هذه الكلمات من قبلُ».

«أين؟» سألها بفضولٍ إذ أحسَّ أنها لم تكن تقصد هنري.

«على ضفاف «الريفييرا»، عندما كنتُ أصغر سنًّا وأكثر سذاجةً».

اقترب منها، «حدِّثيني بذلك».

رمَته بزهرة على أنفه، «لا، حدِّثني أنت بالإغواء في «تاكس»».

«أنا أفضِّل المغازَلة أثناء الرقص».

«لماذا الرقص؟»

«لأنه رومانسي بشدة».

أبعدَت الغطاء عنها، ووقفت أمامه بردائها الفضفاض العنبري، فاتحةً ذراعَيها، «أرِني».

وضع يده حول وسطها وأمسك يدَها اليمنى بيده اليسرى، «سأعلِّمكِ الإغواء، إنها رقصة رائعة».

«هل هي اسم على مسمى؟»

«لنجرِّبها وستعرفين الإجابة بعدها».

أخذ يهمهم فيما أعطاها التعليمات المعقدة لاتباع هذه الرقصة.

«هل كل رقصاتكم صعبة كهذه؟»

«أجل، لتُظهِر كم أننا أذكياء ولَبِقون».

«لنحاول مجددًا، وهذه المرة قُم بالدندنة فقط، أعتقد أنني حفظتُ الخطوات الأساسية، ويمكنك أن تدفعني إن نسيت».

«بل سأقودكِ، كما يُعامِل الرجلُ سيدتَه».

كان يُدِيرها تحت ذراعه، تَأْسره عيناها الزرقاوان الضاحكتان، عندما قاطَعهما صوتٌ عالٍ. دهشت بليث

وأدركت الصورة السيئة التي تظهر بها؛ قدماها حافيتان، وشعرها منسدل على كتفَيها، ورداؤها الحريري يُظهِر أكثر بكثير مما ينبغي. أسرعت إلى السرير والتحفَت حتى ذقنها ثم نادت: «أرشيبالد».

«سيد هولمز». قال تاكيون مستعيدًا رباطةَ جأشه ومادًّا يده للمصافَحة.

تجاهَله «الفيرجيني» ورمقه مقطبًا حاجبَيه. كان الرئيس ترومان قد كلَّفه بتنسيق جهود الإغاثة في مانهاتن؛ لذلك كانا قد تشارَكا المنصة خلال العديد من المؤتمرات الصحفية المحمومة في الأسابيع التي تلت الكارثة مباشَرةً، لكنه بدا أقل ودًّا الآن.

اقترب من السرير وأعطى بليث قبلةً أبوية، «لقد كنتُ خارجَ المدينة وعُدْت لأكتشف أنكِ مريضة، أرجو ألَّا يكون الأمر خطيرًا».

«أبدًا». ضحكت بصوت عالٍ وتزمَّت كبير، «لقد أصبحتُ آيصًا، أليس هذا مثيرًا للاهتمام؟»

«آيص؟ ما هي قدراتكِ؟» توقَّف فجأةً ونظر إلى تاكيون قائلًا: «إذا سمحتَ أريد التحدث مع ابنتي الروحية على انفراد».

«بالتأكيد، سأراكِ غدًا يا بليث».

♣ ♦ ♠ ♥

عندما عاد بعد سبع ساعاتٍ لم يجدها.

أخبروه في المكتب أنها خرجت، جاء أحد أصدقاء العائلة القدامى «أرشيبالد هولمز»، وأخذها قبل ساعة. فكَّرَ للحظة أن يمر عبر شقة الطابق العلوي، ولكنه عدل عن ذلك لما قد يسبِّبه من مشاكل، فهي لا تزال زوجة «هنري فان رينسلير». حاوَلَ أن يُقنِع نفسَه بأن ما حصل لم يكن ذا أهمية، وعاد للبحث عن ممرضة يافعة من قسم الولادة.

حاوَل أن يتوقَّف عن التفكير في «بليث»، ولكنه وجد نفسه يتذكَّر في أغرب اللحظات مَلْمَسَ يدَيها على خده، ولونَ عينَيها الأزرق، ورائحة عطرها، وقبل كل شيء، عقلها. طارَدَته ذكرى الجمال والرقَّة؛ إذ كان يشعر بالوحدة بين مَن لا يشبهونه، فالشخص لا يتصل ويتواصل ببساطة مع أيٍّ كان، وقد كان ما حصل أولَ اتصال حقيقي له بأحدهم منذ أن جاء إلى هذا العالَم. تمنَّى لو أمكنه أن يراها مجددًا.

♣ ♦ ♠ ♥

كان قد استأجر شقةً سكنيةً بالقرب من «سنترال بارك». كان بعد ظهر يوم أحد حار في أغسطس من العام ١٩٧٤،

وكان يتجول في الغرفة بقميصه الحريري وسراويله القصيرة، وكل النوافذ مفتوحةٌ على أمل أن يحظى بنسيمٍ منعشٍ، وإبريق الشاي يغلي متزامنًا مع أغنية «لا ترافياتا» لفرقة «فيردي». أما الصوت الأعلى فكان من نصيب جاره المدمِن على أغاني «بينغ كروسبي»، والذي ما زال يعيد أغنية «مون لايت بيكومز يو» مرارًا وتكرارًا، وتمنى تاكيون لو أن «جيري» التقى بحبيبته الحالية تحت أشعة الشمس في جزيرة «كوني» نظرًا للتأثير الذي يحمله زمان ومكان لقاء محبوبته على ذوقه الموسيقي. كان الفضائي قد حمل لتوه زهرة غاردينيا ليجد لها المكان الأنسب بين الزهور عندما قرع الباب.

«حسنًا يا جيري». صاح أثناء توجُّهه نحو الباب، «سأخفض الصوت إن وافَقتَ على دفن «بينغ». لماذا لا نعقد هدنة ونستمع إلى أغانٍ أقل صخبًا؟ «غلين ميلير» على سبيل المثال، سأرضى بأي شيء عدا تلك الأغنية».

فتح الباب ودهش مما رأى، «أعتقد أن إخفاض الصوت فكرة جيدة». قالت «بليث فان رينسلير».

حدَّق إليها لبضع ثوانٍ، ثم قام بشد طرف قميصه، فابتسمت مُظهِرةً غمازاتها. كيف لم ينتبه لذلك من قبل؟ ظن أن وجهها محفورٌ في ذاكرته. لوَّحت بيدها أمامه.

«مرحبًا، هل تذكرني؟» حاولَت الحفاظ على هدوء نبرتها، ولكنها انطوت على القليل من الخوف والقلق.

«بـ ... بالتأكيد. تفضّلي بالدخول».

لم تتحرك. «لدي حقيبة».

«أرى ذلك».

«لقد طردوني».

«تفضلي بالدخول ... أنتِ وحقيبتكِ».

«لا أريدك أن تشعر بأنك ... محتجز».

وضع زهرة الغاردينيا خلف أذنها، وأخذ الحقيبة من يدها وجرها إلى الداخل. داعَبت أطرافُ ثوبها الحريري بلون الدراق ساقَيه مستفِزّةً إجابةً من جسده لسِحر اللمسة. لقد كانت أزياء النساء هواية «تاكيون»، فلاحظ أن ثوبها – من شركة «ديور» – الذي يصل إلى كاحليها، مؤلَّفٌ من عدة طبقات من الشيفون، وأدرك أن بإمكانه إمساكَ وسطها بيده، وكان القسم العلوي منه مدعومًا بشريطَين دقيقَين، مما جعل ظهرها مكشوفًا. أحبَّ حركةَ كتفَيها تحت جلدها الأبيض.

هرع بخجل إلى الخزانة، «دعيني ألبس بنطالي، الماء جاهز لصنع الشاي، وبإمكانكِ إخفاض صوت المسجل».

«هل تشرب الشاي مع الحليب أو الحامض؟»

«أشربه مع الثلج، سوف أموت». أجابها وهو يَجُول في الغرفة مُرتِّبًا بعض القمصان.

«إنه يومٌ جميل».

«إنه يومٌ جميلٌ وحار، إن كوكبي أكثرُ برودةً من كوكبكم».

نظرت بعيدًا، وأخذت خصلة من الشعر بيدها، «أعرف أنك فضائي، ولكن من الغريب الحديث عن ذلك».

«إذًا دعينا لا نفعل». حاوَل أن يشغل نفسه بإعداد الشاي وهو يراقبها بطرف عينه. «تبدين بحالٍ جيدة، مقارنةً بأنكِ طُرِدت للتو». أفاد أخيرًا.

«انهرتُ قبل قليلٍ في سيارة الأجرة». ابتسمت بحزنٍ، «الرجل المسكين، ظن أن برفقته مجنونةً حقيقيةً، خاصة منذ أن ...» توقَّفت عن الكلام فجأةً وأخذت فنجان الشاي لتتفادى نظراته إليها.

«أنا لا أعترض ولكن لماذا ...؟»

«لجأتُ إليك؟» مشَت حول الغرفة لتُخفِض صوت الموسيقى، «هذا المقطع حزين».

ركَّز في الموسيقى ثانيةً، وأدرك أنه مقطع الوداع بين

«فيوليتا» و«ألفريدو». «نعم ... إنه فعلًا حزين».

استدارت لمواجَهته وأجابت: «لجأتُ إليك لأن «إيرل» مشغولٌ بقضاياه ومَسِيرات الاعتصام والإضرابات والحركات المعارِضة، و«ديفيد» المسكين قد يهلع إن زارته امرأة هستيرية تكبره سنًّا، و«أرشيبالد» كان سيحثُّني على مُصالَحة «هنري» ... ولحُسْن الحظ لم يكن في المنزل، و«جاك» أرادني بشدة كبيرة».

هز رأسه بحيرة، ««بليث!» مَن كل هؤلاء؟!»

«كيف لك ألَّا تعرفنا؟» قالت ساخرةً، ثم اتخذت أكثر موقفٍ درامي قد يخطر ببال أحد، وتابعت باستهزاء: «نحن الآيائص الأربعة». وفجأةً بدأت ترتعش مما جعل الشاي ينسكب من أطراف الفنجان.

قفز تاك إليها وأخذ منها الفنجان، ثم ضمها إلى صدره وهي تبكي حتى شكَّلت بقعة من الدموع على قميصه. حاوَل الوصول إلى عقلها، لكنها أحسَّت بنواياه ودفعَته بعيدًا عنها.

«لا، ليس قبل أن أشرح لك ما حصل، وإلا فسوف تُصاب بصدمة». انتظر حتى تناولت منديلًا من حقيبتها ونظَّفت به أنفها ومسحت به عينَيها. عندما رفعت رأسها من جديدٍ كانت هادئة، فتأمَّل شموخها وتحكُّمها بنفسها. «لا بد أنكَ تعتقد

أنني امرأة عاجزة بعقلٍ مختل. لذلك لن أُطيل عليك وسأسرد لك ما حدث منذ البداية بمنطقيةٍ».

«رحلتِ من دون توديعي». تدخَّل قائلًا.

«ظن أرشيبالد أن ذلك في صالح الجميع، وعندما يتصرَّف بأبويةٍ وتصميمٍ لا أستطيع أن أرفض له طلبًا، في أي شأنٍ كان، عندما علم بأمر قواي، أخبرني بأني رُزِقت بهديةٍ عظيمةٍ وهي قدرتي على احتواءِ علومٍ لا حدَّ لها، وشجَّعني على الانضمام إلى مجموعته».

فرفع أصابعه وقال: ««إيرل سانديرون» و«جاك براون»».

«هذا صحيح».

وقف وأخذ يسير في الغرفة، «لقد كانوا متورطين في حادثةٍ ما في الأرجنتين، وفي القبض على «مينغيل» و«إيشمان»، ولكن ماذا عن الرابع؟»

««ديفيد هارستين»، المعروف بـ «المبعوث»».

«أعرفه، عالَجته قبل ... لا عليكِ، أكملي».

«وأنا». ابتسمت بخجلٍ «خزينة الأفكار».

جلس على الأريكة وحدَّق إليها، «ما الذي جعلكِ ... ماذا فعلتِ؟»

«استخدمتُ موهبتي بالطريقة التي طلبها «أرشيبالد». هل تريد أن تعرف أي شيء عن النسبية أو تكنولوجيا الصواريخ أو الفيزياء النووية أو الكيمياء الحيوية؟»

«أرسلكِ حول البلاد لتستحوذي على العقول». أفاد، ثم صرخ: «مَن لديكِ في عقلكِ؟»

جلست بقُربه على الأريكة: «أينشتاين وسالك وفون براون وأوبنهايمر وتيلير وهنري بالطبع، ولكن أود لو أنسى ذلك».

أجابت مبتسمةً: «وهنا ذروة المشكلة؛ إذ إن هنري لم يَرضَ بزوجةٍ تحمل عددًا من حاملي إجازات نوبل في عقلها، إضافةً إلى معرفتها بالأماكن التي دفن فيها الجثث؛ لذلك قام بطردي هذا الصباح. لم أكن لأمانع لولا وجود الأطفال، فأنا لا أدري بما سيخبرهم عن أمهم، و ... تبًّا». همست، ضاربةً ركبتَيها بقبضتَيها: «لن أبكي مجددًا».

«على أية حال، كنت أحاول التفكير فيما سأفعل بعد أن صارَعت للهرب من «جاك»، وكنت أبكي في سيارة الأجرة عندما فكّرت بك».

فجأةً، أدرك تاكيون أنها تتحدّث الألمانية، فعضّ لسانه ووضعه في سقف حلقه كي يتخلص من الشعور بالغثيان. «قد يكون ذلك ساذجًا، ولكنني أشعر بأنني أقربُ إليك من

أي أحد آخر في هذا العالم؛ وما يزيد الأمر غرابةً هو أنك من عالَمٍ آخر».

كانت ابتسامتها تشبه ابتسامة الموناليزا والحوريات، ولكن لم يتجاوب معها جسديًا ولا عاطفيًا، فقد أعماه عنها الغضب، «أحيانًا لا أفهمكم على الإطلاق! أليس لديكم أي فكرة عن مدى سوء تأثيرات هذا الفيروس؟»

«في الواقع لا، وكيف لي؟» قاطَعَته قائلةً: «فقد أخذَنا هنري خارج المدينة مباشَرةً بعد اندلاع الأزمة، ولم نَعُد حتى اطمأنَّ لزوال الخطر». أكملت باللغة الإنكليزية.

«ولكنه أخطأ في حساباته، أليس كذلك؟»

«بلى، ولكن ذلك لم يكن خطئي!»

«لم أقل ذلك قَطّ!»

«إذًا لِمَ أنت غاضبٌ؟»

«إنني غاضبٌ من (هولمز)». أجاب فورًا، «أعطيتِه صفةَ الأبوة، ولكن لو كان في قلبه ذرة من العطف تجاهَكِ، لما شجَّعَكِ على خوض هذا المسار الجنوني».

«وما الجنوني تحديدًا؟ إنني شابةٌ، والكثير من هؤلاء الرجال كبارٌ في السن، إنني أحافظ على علومهم».

«مقابل صحتكِ العقلية».

«لقد علّمتَني ...»

«أنتِ من البشر! لستِ مدرّبة على تحمُّل الضغط العالي الذي يجلبه ما تقومين به. إن التقنيات التي علّمتُكِ إياها في المستشفى هي لتحافظي على شخصيتكِ بمعزلٍ عن شخصية زوجكِ، وليست كافيةً أبدًا للحفاظ عليها مع ما تعرِّضينها له».

«إذًا علِّمني المزيد، أو اشفني».

أوقفه التحدي للحظة، «لا يمكنني، ليس الآن على الأقل. الفيروس معقدٌ كثيرًا، وسيتطلَّب الأمر سنين قبل أن أتمكّن من صنعِ مضادٍّ له أو التغلب عليه، خاصةً أنني أعمل وحدي».

«إذًا سأعود إلى منزل «جاك»». حملَت حقيبتها واتجهت نحو الباب بمزيج من العِز والخِزْي، بينما أفقَدَها ثقلُ الحقيبة توازُنَها. «وربما، عندما أُصاب بالجنون، سيجد لي «أرشيبالد» طبيبًا نفسيًّا لمعالَجتي، فأنا إحدى الآيائص الأربعة في نهاية المطاف».

«انتظري ... لا يمكنكِ الذهاب».

«إذًا ستعلِّمني؟»

حكَّ عينَيه وضغط على أنفه ثم أجاب: «سأحاول». رمت الحقيبة أرضًا، واقتربت منه ببطء، فأوقَفَها بيده وقال: «عليكِ أن تعرفي أني لست قديسًا ولا راهبًا». وأشار إلى الغرفة التي فيها سريره: «يومًا ما سأرغب بكِ».

«وما الخطب في الآن؟» أبعدَت اليد التي وضعها بينهما ولامَسَت جسده، لم يكن جسدها مثاليًّا بل كان هزيلًا، لكنه نسي كل عيوبه لما أمسكَت وجهَه بيديها وقبَّلت شفتَيه.

♣ ♦ ♠ ♥

«يا له من يومٍ جميلٍ!» قال تاكيون برضًى وغسل وجهه ثُم خلع جواربه وملابسه الداخلية.

لمع انعكاس ابتسامة بليث في مرآة الحمام حيث وقفت تفرك وجهها بالمرهم. «ما كان أي من رجال الأرض ليُوافِقك الرأي، بل كانوا سيتهمونك بالجنون إن سمعوا كلامك، فقضاء اليوم بصحبة أطفالٍ في الثامنة والخامسة والثالثة من العمر ليس بالأمر المشوِّق».

«رجال الأرض حمقى». سرح بنظره إذ تذكَّر شعوره بأيدي أقربائه الصغيرة تفتش في جيوبه عن الحلوى التي كان يحملها، ومَلمس خدودهم الناعمة والممتلئة وهم يودِّعونه بعد أن وعدهم بصدقٍ أن رحلته لن تطول، وأنه سيعود قريبًا

ليلعب معهم.

حاوَل أن ينسى الماضي والتفت ليراها تحدِّق به.

«أتشعر بالحنين إلى منزلك؟»

«إنني أفكر».

«إذًا هو الحنين إلى منزلك».

«إن الأطفال هم بهجة الحياة وفرحتها». أجاب مُسرِعًا قبل أن تتمكَّن من استكمال نقاشهما. حمل مشطًا وأخذ يسرِّح شعره الطويل. «في الواقع، لطالما تساءلت إن كان أطفالُكِ مختلفين، أم إن كنتِ قد خنتِ المسكين هنري منذ البداية».

عندما طُرِدت بليث من منزلها قبل ستة أشهر، أمر «فان رينسلير» جميع العمَّال بعدم السماح لها بالدخول، مانعًا إياها من رؤية أطفالها بفعله هذا. وجد تاك الحل لتلك المشكلة سريعًا، فكل أسبوع، عندما يغادر النائب البيت، يقصدان شقة الطابق العلوي حيث يتحكم تاكيون بعقول العمال؛ مما يتيح لهما إمضاء بعض الوقت مع الأطفال «هنري الابن» و«براندون» و«فلور»، ليحكم بعدها على الممرضة والمربية بنسيان الزيارة. كان الوقوف في وجه «هنري» الذي يكرهه يمنحه شعورًا بالرضى، على الرغم من عدم اكتمال الانتقام لعدم معرفته بتحديهما لسلطته.

رمى المشط جانبًا وتناول صحيفة المساء وجلس في السرير. في الصفحة الأمامية، صورة «إيرل» وهو يتلقى وسامًا إثر إنقاذه لـ «غاندي». ظهر «جاك» و«هولمز» في خلفية الصورة. بدا التعجرف واضحًا على ملامح الرجل المُسِن، أما «جاك» فكان مضطربًا. «هذه الصورة من مأدبة الليلة، ولكنني ما زلت لا أفهم سببَ هذه الجلبة إذ لم تكن سوى محاوَلة اغتيال».

«نحن لا نشاركك موقفك القاسي من القتل». أجابته وصوتها خافتٌ بسبب ارتدائها لملابس نومها القطنية التي غطت رأسها.

«أعرف، ولكن الأمر لا يزال غريبًا». استدار واتكأ على مرفقه قائلًا: «هل تعرفين أنه قبل مجيئي إلى الأرض، لم أَزُرْ أي مكانٍ قط من دون حرّاسٍ شخصيين؟»

أصدر السرير القديم صوتًا لما جلست عليه. «هذا مريع».

«نحن معتادون على ذلك، فالقتل نهجٌ متَّبع لدى أقراني، وبه تتنافس العائلات للحصول على منصبها. لقد اغتيل أربعة عشر فردًا من عائلتي المقرَّبة قبل أن أبلغ العشرين من العمر».

«مَن تعني بعائلتك المقرَّبة؟»

«أمي ... أعتقد ذلك. لقد كنت في الرابعة عندما وُجِدَت مقتولةً عند أسفل السلالم بالقرب من أجنحة النساء. لطالما شككتُ بعمتي صابينا، ولكنني لم أملك أي دليل».

«أيها الفتى المسكين». وضعت يدها على خده، «هل تذكرها؟»

«قليلًا، أذكر أنها كانت ترتدي الحرير، كما أذكر رائحة عطرها وشعرها الذهبي».

استدارت واقتربت منه أكثر معانِقةً إياه.

«بِمَ تختلف الأرض عن تاكِس؟» كانت محاوَلةً واضحةً منها لتغيير الموضوع، وشعر بالامتنان لقيامها بذلك، فالحديث عن العائلة التي تركها خلفه يجعله حزينًا ومشتاقًا إلى منزله.

«النساء مثلًا».

«أنحن أفضل أم أسوأ؟»

«أنتن مختلفات لا غير، إذ أنكن تتجوّلن بحرية بعد أن تبلغن سنّ الإنجاب، أما نحن فما كنا لنسمح بذلك أبدًا؛ خوفًا من نجاح عمليةِ هجومٍ ضد امرأةٍ حاملٍ، مما يلغي سنواتٍ من التخطيط الدقيق».

«هذا مريعٌ أيضًا».

«كما أننا لا نعتبر ممارَسة الجنس خطيئةً؛ فالخطيئة في التكاثر غير المنظم الذي قد يعيق الخطة، ولكن المتعة منفصلةٌ كليًّا. على سبيل المثال، يُدرَّب الرجال والنساء الجذَّابون من الطبقات السفلى - من غير البساي - لخدمة رجال العائلات النبيلة ونسائها».

«ألَا ترون النساءَ من طبقتكم نفسِها؟»

«بلى، إننا نكبر سويًّا حتى عمر الثلاثين، إذ نتدرَّب وندرس معًا. ولا تُعزل النساء إلا عندما يبلغن سنَّ الإنجاب، وذلك للحفاظ على سلامتهن. ولكننا نلتقي في المناسبات العائلية مثل: الحفلات الراقصة، ورحلات الصيد، والنزهات، ما دامت ضمن حدود أملاكنا».

«لكم من الزمن يبقى الفتيان مع أمهاتهن في أجنحة النساء؟»

«كل الأطفال يبقون هناك حتى يبلغوا الثالثة عشرة».

«وهل يرونهن بعدها مجددًا؟»

«بالتأكيد، فهن أمهاتنا!»

«لا تخاطِبني بنبرة دفاعية؛ فكل هذا غريبٌ بالنسبة لي».

«إذا جاز التعبير». أجابها ويده ترفع ملابسها وتداعب

قدمها.

استيقظ بسبب البرد ليجد أن بليث قد اختفت والأغطية مبعثَرة على الأرض. سمع أصواتًا تصدر من وراء الستارة المطرَّزة. كانت الرياح تعصف بالمبنى مُصدِرةً صوت صفير لدى عبورها بين الشقوق والفراغات في النوافذ. أحس بالقشعريرة لا بسبب البرد، بل لما سمعه من أصواتٍ عميقةٍ تأتي من خلف الستارة، والتي ذكَّرته بأساطير الأطفال المخيفة عندما تتملَّك أرواحُ القدماء الغاضبة أجسادَ أحفادهم. ارتجف وقفز عبر الستار ليرى بليث تقف في وسط الغرفة مخاطِبةً نفسها.

«اسمعني يا «أوبي»، علينا أن نطور ...»

«لا! تحدَّثنا بهذا الموضوع سابقًا، إن الأولوية لهذا الجهاز، لا يجب أن يتشتت انتباهنا بسبب القنبلة الهيدروجينية».

وقف تاكيون لفترة طويلة يراقبها بهلعٍ، كانت قد مرت بهذه الحالة من قبلُ عند شعورها بالتعب أو الضغط، ولكن لم تصل قَط إلى هذا الحد. عرف أن عليه إيجادها قبل أن تضيع إلى الأبد، وأرغم نفسه على أن يتحرك. مشى خطوتَين ووقف بقُربها، أمسكها جيدًا وحاول الوصول إلى عقلها. كان

على وشك الانسحاب من شدة الخوف، ففي عقلها دوَّامة من الشخصيات المتضارِبة التي تحارب للحصول على السيطرة، وبليث عاجزة بينها. أسرع نحوها ولكن «هنري» اعترض طريقه، فأزاحه تاكيون بغضب وأحاطها بحاجز حمائي من عقله. حاوَلَ الستة الآخرون أن يدمروا الحاجز، ولكن قوة بليث وبالتعاون مع قوته أعادت كلًّا من «تيلير» و«أوبنهايمر» إلى حيزه، فتراجَعَ «أينشتاين» متمتمًا، بينما وقف «سالك» مرتبكًا.

وقعت بليث بين يديه، فأرغم وزنُها جسدَه المُتعَب على الاستسلام ليجلس على الأرض الخشبية القاسية حيث ضمَّها إلى حجره. سمع صوت بائع الحليب في الشارع يقوم بتوصيل الطلبات، فعرف أن عملية إعادة التوازن لها استغرقت ساعات.

«تبًّا لك يا أرشيبالد». همس بعجزٍ يحاكي قدرتَه على تقديم المساعدة.

♣ ♦ ♠ ♥

«لا أنصحك بذلك». تمتم «ديفيد هارستين»، فتوقف تاك. «أعتقد أن الفارس سيشكِّل خيارًا أفضل». أومأ التاكيوني برأسه وحرَّك قطعة الشطرنج ليدهش عندما فهم ما حصل.

«أيها الغشاش! لماذا أيها الغشاش البائس؟»

رفع «هارستين» يدَيه ببراءة واسترضاء، «لقد كان مجرد اقتراح». أجاب الشاب بنبرة هادئة وضعيفة، ولكنَّ عينَيه البنيتين لمعتا فرحًا.

تنهَّد تاكيون ورجع إلى الخلف ليتمكَّن من الاتكاء على الكنبة. «أجد من المقلِق أن يلجأ شخص بمثل موقعك إلى الاعتماد على قدراته بشكل مشين، يجب أن تكون قدوة للآيائص الآخرين».

ابتسم «ديفيد» وتناول شرابه، «هذا الوجه العام، أما أمام مبتكري فيمكنني اللجوء إلى أساليبي الكسولة والبوهيمية».

«توقَّف».

حل الصمت بينهما للحظةٍ فيما استذكر تاك مَشاهِد كان يفضِّل أن تبقى مَنْسيةً، وحرَّك «ديفيد» بتركيز لوح الشطرنج إلى اليسار قليلًا.

«أنا آسف».

«لا عليك». ابتسم له وتابَع: «لنُكمِل اللعبة».

أومأ «ديفيد» برأسه وصبّ تركيزه على اللعبة. شرب تاك رشفةً من قهوته الأيرلندية متمتعًا بالدفء في فمه قبل أن

يبتلعها. شعر بالقليل من الخجل إزاء ردة فعله المبالَغ فيها لما قاله الفتى، فهو لم يقصد أي إساءة بل كان يمزح.

كان قد التقى بديفيد في المستشفى في بداية العام ١٩٤٧. في يوم البطاقة الجامحة، كان «هارستين» يلعب الشطرنج في أحد المقاهي. لم تظهر عليه أي عوارض عندها، ولكن بعد بضعة أشهر أُحضِر إلى المستشفى وهو يتلوى ويرتعش. خاف تاك مَن أن يصبح هذا الشاب القوي والوسيم مجردَ ضحيةٍ أخرى من ضحايا الفيروس، ولكنه، وخلافًا لكل التوقعات، شفي. قاموا بإجراء الفحوصات: كان جسد «ديفيد» يولِّد طاقةً يصعب مقاوَمتها بأي شكل أو وسيلة؛ لذا قام «أرشيبالد هولمز» باحتضانه، وأطلقت عليه الصحف اسم «المبعوث»، ليسخِّر جاذبيته الهائلة في سبيل تسوية الإضرابات والقيام بالمفاوَضات والتوسُّط بين قادة العالَم.

كان «ديفيد» الآيص المفضَّل لدى تاكيون من بين الرجال، وقد تعلَّم منه لعب الشطرنج، ولم يكن لجوؤه إلى استخدام قواه سوى دليلٍ على مدى تقدُّم تاكيون، وعلى الطريقة التي اتبعها في تعليمه. ابتسم الفضائي، وقرَّر أن يردَّ بالمثل على انتهاك «ديفيد» للقواعد.

تسلَّل بحذر إلى عقل «ديفيد» وأخذ يراقب حساباته الدقيقة لأي حركة محتمَلة، وعندما توصَّل «هارستين» إلى

قرار، محاه تاك قبل أن يتمكَّن من تنفيذه واستعاض عنه بآخَر.

«مات الملك».

حدَّق «ديفيد» في لوح الشطرنج الذي أمامه، ثم قلبه عن الطاولة، بينما أخذ تاك يضحك على الكنبة.

«وتتهمني أنا بالغش؟ لا يمكنني التحكم بقواي على عكسك! تسلَّلت إلى عقلي وقمت ...»

صدر صوتُ فتح القفل وتبعه صوت بليث منادية: «أيها الأطفال، أيها الأطفال، ما سبب كل هذا الضجيج؟»

«إنه يغش». صرخ الرجلان في الوقت نفسه، وكلاهما موجِّه إصبعه لاتهام الآخر.

احتضنها تاك بين ذراعيه، «أنت تتجمَّدين بردًا، دعيني أُعِد لكِ بعض الشاي. كيف كان المؤتمر؟»

«لم يكن سيئًا». أجابته وهي تزيل الثلج عن قبعتها الفروية، «مع غياب «ويرنير» بسبب المرض، كانوا فَرِحين لما قدَّمته من مُداخَلات». انحنت لتطبع قبلةً على خد «ديفيد» المعتم، «مرحبًا يا عزيزي، كيف كانت روسيا؟»

«موحشة». أجابها ملتقطًا قطع الشطرنج عن الأرض،

«أتعرفين؟! لا يبدو ذلك عادلًا».

«ماذا تعني؟» سألته وهي تضع معطفها على الأريكة وتخلع حذاءها الموحل قبل أن تجلس على السرير وتغطي قدمَيها بفراء الثعلب الفضي.

«إيرل يخرج بورمان من إيطاليا، وينقذ غاندي من الهنود المتعصبين، وأنتِ تجلسين في فندق رخيص لتحضري مؤتمرًا للصواريخ».

«كما يجب أن تعرف أنهم قدّموا لنا الطعام لنجلس ونتحدث. ثم أنك حصلت على نصيبك من المجد، أنسيتَ حادثة الأرجنتين؟»

«حصل ذلك منذ أكثر من سنة، وكل ما قمت به عندها كان التحدث إلى «البيرونيست» فيما أخاف «جاك» و«إيرل» الجنود في الشارع. مَن باعتقادك أثار اهتمام الصحف؟ نحن؟ لا أعتقد ذلك. عليك أن تملكي بعض البريق ليلاحظكِ أحدهم في مجال عملنا».

«وما هو مجال عملكم تحديدًا؟» قاطَعهما تاكيون واضعًا فنجانًا من الشاي الساخن بين يدي «بليث».

انحنى «ديفيد» إلى الأمام بتركيز وأجاب: «تفادي الكوارث، وتحسين مقومات الحياة البشرية بواسطة قوانا».

«هذه البداية فقط، ولكن ماذا بعدها؟ تجربتي مع الأعراق الخارقة – خاصة أنني أحدها – تدل على أننا نأخذ ما نريد ونهمل الآخر. عندما بدأت أقلية من التاكيونيين بتطوير القوى العقلية، صاروا يسعون للتكاثر سريعًا ليضمنوا ألَّا ينافسهم أحد على السلطة. لقد استلمنا حكمَ كوكبنا على الرغم من أننا نمثِّل ما لا يزيد عن ٨٪ من نسبة السكان».

«الوضع مختلف هنا». أجاب «هارستين» بنبرة فيها استهزاء لما قاله.

«أرجو ذلك. كما يُطمئِنني أن أعرف أن عدد الآيائص لا يزال قليلًا، وأن أرشيبالد لم يجنِّدكم جميعًا لخدمة خطته الديمقراطية». أنهى كلماته بانزعاج.

مدت «بليث» يدها لتزيح الشعر عن عينَيه، «ألديك رأي مخالف؟»

«أنا قَلِق».

«لماذا؟»

«أعتقد أنه يجب أن تشعرا، أنتِ وديفيد، بالامتنان لجهل الرأي العام بكما، فالغضب الناتج لدى مَن ليس لديه مثل قدراتكما تجاهَ مَن يملكها لا يُوصَف، خاصة أن العِرق البشري

يتصف بعدائه لكل ما هو غريبٌ عنه. والآيائص يتجاوزون حدودَ الغرابة. وكما يقول أحد كتبكم المقدسة: لا تَدَع ساحرةً تعيش. أليس كذلك؟»

«ولكننا مجرد بشر». اعترضت «بليث».

«لا، ليس بعد الآن، والآخرون لن ينسوا ذلك أبدًا. أعرف بوجود سبعة وثلاثين منكم، ولكن قد تفوقون هذا العدد؛ إذ لا يمكن تمييزكم عبر النظر إليكم، على عكس الجواكر. إن الذعر آفة فتَّاكة وسريعة الانتشار. إن الناس يهابون الشيوعيين في كل مكان، وربما لن يتطلَّب الأمر الكثير من الجهد لنقل عدم الثقة هذه وتوجيهها نحو أقلية مرعبة أخرى – مثل مجموعةٍ غير مرئيةٍ وسريةٍ وقويةٍ بشكلٍ مذهل».

«أعتقد أنك تبالغ في ردود أفعالك».

«هل أبالغ حقًّا؟ انظري إلى مرافَعات لجنة مجلس النواب للأنشطة غير الأمريكية». أجاب مشيرًا إلى مجموعة الصحف، «وقبل يومين اتهمت هيئة المحلفين الفيدرالية «آلجر هيس» بالحنث باليمين. هذه ليست أفعالَ شعبٍ سليم ومستقر، خاصة خلال شهر تحتفلون فيه بالسعادة والقيامة».

«أنت تتحدث عن عيد الفصح. أما هذه فالولادة الأولى».

تلاشت كلمات «ديفيد» في حضور الصمت الذي حكم الموقف ليكسره صوت الثلج الذي قادته الريح نحو النافذة.

تنهد «هارستين» وتمدد قائلًا: «يا لنا من مجموعة كئيبة. ما رأيكم في أن نتناول بعض الطعام، ونحضر حفلًا ما؟ سمعت أن فرقة «ساتشمو» ستقدم عرضًا في المدينة».

هز تاك رأسه رافضًا، «عليّ أن أعود إلى المستشفى».

«الآن؟» قالت بليث باعتراض.

«يجب عليّ ذلك يا حبيبتي».

«إذًا سأرافقك».

«لا، لا عليكِ، دَعِي ديفيد يصحبكِ لتناوُل العشاء».

«لا». أجابت بعندٍ، «إن لم تسمح لي بالمساعدة، يمكنني على الأقل أن أسلِّيك قليلًا».

وقف يراقبها غير راضٍ بينما انتعلت حذاءها.

«يا لكِ من سيدةٍ عنيدة». ناداها «ديفيد» وهو يحاول الوصول إلى قطع الشطرنج التي تدحرجت تحت الطاولة. «لقد اتفقنا جميعًا أن النقاش معها عقيم».

«حاوِل إذًا العيش معها».

الْتَوَت القبعة المستديرة الصغيرة لما شدتها بين أصابعها فجأة، «يمكننا حل هذه المشكلة».

«توقَّفي». طلب منها تاك محذِّرًا.

«لا تخاطبني بنبرة الأب! أنا لست طفلة ولا إحدى سيداتك التاكيونيات المعزولات».

«لو كنتِ إحداهن لَكنتُ تصرَّفت بشكل أفضل؛ أما عن كونكِ طفلة فأنتِ حتمًا تتصرفين كواحدة مدلَّلة. لقد تحدثنا بالأمر من قبل. لن أقوم بما تريدينه».

«لم نتحدث به، بل اتخذتَ أنت القرار وغيَّرت الموضوع ورفضتَ فتحَه مجددًا».

«سأتأخر عن الذهاب إلى المستشفى».

«أرأيت ذلك؟» خاطبت «هارستين» بانزعاج. «لقد قاطَعني ولم يسمح لي بأن أُكمِل، أليس كذلك؟»

رفع الشاب كتفَيه ووضع قطع الشطرنج في جيب معطفه القطني. ولأول مرة بدا حائرًا فيما يقول.

«ديفيد، هلَّا أخذتها لتناوُل العشاء؟ وحاوِل أن تُعِيدها إليَّ بهيئةٍ أكثر منطقيةً».

نظرت بليث إلى «هارستين» بتوسُّل، بينما حدَّق تاكيون

باستخفاف إلى الحائط.

«يا رفاق، أعتقد أن عليكما الذهاب في نزهةٍ رومانسيةٍ فوق الثلج، والتحدث بهدوء وشرب القهوة الساخنة، ثم ممارَسة الحب، وتوقَّفا عن الشجار. أيًّا كانت المشكلة لا يمكن أن تكون بهذا الحجم».

«أنت على حق». همست بليث وجسمها يسترخي تحت تأثير طاقته.

وضع «ديفيد» يده على ظهر تاك مُشِيرًا إليه للخروج، وواضعًا يد بليث بيده محرِّكًا يديه فوق رأسَيهما لمباركتهما قائلًا: «فَلْتذهبا يا طفليَّ، ولا تُخطِئا مرة أخرى». نزل وراءهما على السلالم وإلى الشارع حيث توجَّه نحو القطار مُسرِعًا قبل أن يزول مفعولُ قوته عنهما.

♣ ♦ ♠ ♥

«أفهمتِ الآن لِمَ لا أريدكِ أن تعملي معي؟»

أنار ضوء القمر دجى الليل وانعكس فوق الثلج، مما جعل المدينة تبدو نظيفة.

وقفا على أطراف «سنترال بارك» وأنفاسهما الدافئة تتحوَّل إلى دخان أبيض لدى ملامَستها الهواءَ البارد، ونظرت إليه

بجدية.

«أرى أنك تحاول أن تحميني ولكني لا أعتقد أن هذا ضروري، وبعد مراقَبتك الليلة ...» تردَّدت قليلًا محاوِلةً إيجاد الكلمات الملائمة، «أعتقد أن بإمكاني إنجاز العمل بطريقة أفضل مما تقوم به. أنت تهتم بمَرْضاك يا تاك، ولكن تشوهاتهم وجنونهم يُشعِرانك بالاشمئزاز».

جفل وقال: «يا للعار! أتعتقدين أنهم يعرفون ذلك؟ هل يشعرون به؟»

«لا يا حبيبي». مرَّرت يدها بين خصلات شعره لتهدئته كما تفعل مع أطفالها، «استطعتُ ملاحظة ذلك لأنني قريبةٌ منك، أما هم فلا يرون سوى تعاطُفك معهم».

«حاوَلتُ جاهدًا ألَّا أُظهِر ذلك، ولكنني لم أرَ مثل هذه المشاهد المرعبة في حياتي كلها». ابتعد عنها وأخذ يمشي على الرصيف جَيئةً وذهابًا. «إننا لا نتعايش مع المشوَّهين، فتلك المخلوقات تدمر لدى النبلاء». سمع صوتًا خافتًا فالتفت ليرى يدها على فمها وعيناها الواسعتان تعكسان نور مصباح الشارع القريب. «والآن تعرفين أنني وحش».

«لا، بل ثقافتك متوحشةٌ، فكل طفل ثمينٌ مهما كانت المشاكل التي يعاني منها».

«هذا ما اعتقدَته أختي كذلك، قبل أن تدمِّرها ثقافتنا المتوحشة».

«حدِّثني عنها».

بدأ يرسم أشكالًا عشوائيةً على مقعدٍ غطّاه الثلج.

«كانت أختي الأكبر سنًّا، وكان فارِقُ العمر بيننا ثلاثين عامًا، ولكننا كنا قريبَين أحدنا من الآخَر كثيرًا. كانت قد تزوَّجت بعيدًا نتيجةَ واحدةٍ من الصفقات العائلية النادرة. كان طفلها الأول مشوَّهًا؛ لذا قُتِل ولم تَتعافَ «جادلان» بعدها قَط. قتلَت نفسَها بعد بضعة أشهر من الحادثة». مسح يده على المقعد ماحيًا رسومه. أخذت بليث يده الباردة بين يديها المغطّاتَين بالقفازات. «دفعني موتها للتفكير في بِنية مجتمعنا ككل، ثم صدر قرار بتجربة الفيروس على كوكب الأرض، وكانت تلك فرصتي للمغادَرة؛ إذ لم أستطع البقاء هناك لفترة أطول».

«لا بد أن أختك كانت مميَّزة ومختلفة مثلك تمامًا».

«يزعم قريبي أن السبب هو الخط السيناري الذي نحمله، إنه تقهقرٌ – برأيه – ما كان يجب أن يستمر. ولكن كل هذا الحديث عن النسل لا يثير اهتمامكِ، كما أنكِ ترتجفين من البرد. لنَعُدْ إلى دفء منزلنا».

«لا، ليس قبل أن ننهي هذا الموضوع». لم يتظاهر بأنه لم يفهم، فتابَعت: «يمكنني أن أساعدك، وأُصِرُّ على أن تسمح لي بالمشارَكة، أعْطِني عقلك».

«لا، سيصبح لديك بذلك ثماني شخصيات، وهذا عددٌ كبير».

«دَعْني أتخذ القرار بنفسي، كما أنني أُحسِن إدارةَ السبعة الآخرين».

أصدر صوتًا فظًّا فتأهَّبت بغضب، «كما أدَرْتِها في فبراير الماضي عندما وجدتِ تيلير وأوبنهايمير يتجادلان حول القنبلة الهيدروجينية وأنتِ ضائعة بينهما؟»

«هذا مختلف، فأنا أحبك؛ ولذا فإن عقلك لن يؤذيني. والأمر يتخطى حدود العمل، فإن امتلكتُ ذكرياتك ومعارفك فلن تصبح وحيدًا بعد اليوم».

«لم أشعر بالوحدة منذ أن أتيتِ».

«كاذب. إنني أراقبك دائمًا تحدِّق في الفضاء، وأسمع موسيقى الكمان الحزينة التي تصغي إليها عندما تظن أنني لست منتبهة. دَعْني أزوِّدك بجزء صغير من موطنك». وضعت يدها على فمه، «لا تجادِلني».

أصغى إليها، وسمح لنفسه بأن يقتنع بدافع الحب لا بسبب موافَقته على ما قالته. وتلك الليلة، بينما اشتدت ساقاها حول خصره وخدشت أظافرها ظهره العاري، وصلت إلى عقله وأخذته.

أحسَّت بالانتهاك والسرقة والخسارة للحظةٍ مريعةٍ، ثم انتهى الأمر، ومن مرآة عقلها انعكست صورتان؛ صورة بليث المرأة الناعمة ذات اللمسة الرقيقة، وصورته المألوفة والمحبَّبة بالقدر نفسه.

«سحقًا لهم جميعًا!» قال تاكيون غاضبًا وهو يَجُول في غرفة الانتظار، ثم وجَّه إصبعه نحو «بريسكوت كوين» وأكمل: «من الشائن والمهين أن يستدعونا بهذه الطريقة. كيف - وبأي حق - يَجرُؤون على إخراجنا من بيوتنا وإرسالنا بهذه السرعة إلى واشنطن خلال ساعتَين من إشعارنا؟»

أخذ «كوين» رشفةً من غليونه، «بحق القانون والعادات. إنهم أعضاء الكونغرس الأمريكي، وهذه اللجنة تُعنى بدعوة ومراقَبة الشهود». كان رجلًا صخمًا كبيرًا في السن، بأطراف عملاقة أدت إلى تمدُّد سلسلة ساعته، تكملها مفاتيح «ألفا بيتا كابا» فوق حزامه الأسود.

«إذًا فَلْينادونا كي نشهد – ويعلم الله على ماذا سنشهد – وَلْيُنهوا الأمر». «حضرنا على عجلة إلى هنا بالأمس فقط ليخبرونا بأن موعد المرافَعة قد تأجَّل، والآن يجعلوننا ننتظر لثلاث ساعات».

شهق «كوين» وحك حاجبَيه البيضاوَين الكثيفَين، «إذا كنتَ تعتقد أنك انتظرت لوقتٍ طويلٍ أيها الشاب، فما زال لديك الكثير لتتعلَّمه عن الحكومة الفيدرالية».

«اجلس يا تاك، واشرب بعض القهوة». همست بليث بوجه شاحب ولكن مسيطر، مرتديةً فستانًا مطرَّزًا أسود وقبعةً مبطنةً وقفازات.

دخل «ديفيد هارستين» غرفة الانتظار فتأهَّب حارسا المارينز الواقفان بالباب وراقَباه بقلق. «الحمد لله. بعض العقلانية في وسط هذا الكابوس المجنون».

«ديفيد، عزيزي». وضعت بليث يديها على كتفيه، «هل أنت بخير؟ هل كان الأمر سيئًا البارحة؟»

«لا، كان رائعًا ... ما عدا أن رانكين النازي ظل يشير إليَّ «بالسيد اليهودي من نيويورك». سألوني عن الصين، فأخبرتهم أننا قدَّمنا ما بوسعنا للوصول إلى تسوية بين «ماو» و«تشيانغ». ووافقوا على كلامي بالتأكيد، ثم اقترحت

عليهم رفع الجلسة والاتفاق فيما بيننا بهدوء وسعادة، و ...»

«وغادَرت الغرفة». قاطَعه «تاك».

«أجل». أخفَض رأسه ونظر إلى يديه المشبوكتين، «إنهم يبنون غرفةً من زجاجٍ الآن، ثم سيستدعونني مجددًا. سحقًا لهم!»

دخل حاجب متعجرف ونادى على السيدة «بليث فان رينسلير». وقفت، فوقعت حقيبتها على الأرض. التقطها تاك ووضع خده على خدها.

«سلامًا يا حبيبتي، أنتِ وحدكِ تعادلينهم جميعًا، فكيف إن احتسبنا مَن تحملينهم برفقتكِ؟! ولا تنسي، أنا معكِ». ابتسمت قليلًا. أخذ «كوين» يدها ورافَقها إلى غرفة المرافَعة. استطاع تاكيون أن يرى الظهور والكاميرات ومجموعة الطاولات البيضاء بسبب ضوء شاشات التلفزة قبل أن يُغلَق الباب بصوتٍ خافتٍ.

«هل تريد أن تلعب؟» سأل «ديفيد».

«بالتأكيد، لِمَ لا؟!»

«أنا لا أفرض عليك، ألا تريد تحضير شهادتك؟»

«عن أي شهادة تتحدَّث؟ أنا لا أعرف شيئًا عن الصين».

«متى طلبوا حضوركم؟» سأل ويداه تجهِّزان لوح الشطرنج ببراعة.

«بعد ظهر البارحة، قرابة الساعة الواحدة».

«إن في الأمر ما لا يطمئن». قال المبعوث دون أي دبلوماسية بينما بدأ بتحريك حجارة اللعب.

كانا لا يزالان يلعبان عندما عادت «بليث» و«كوين». وقعت اللوحة أرضًا بسبب نهوض الفضائي بسرعة، ولكن «ديفيد» لم يحتجَّ إذ إن بليث كانت شاحبةَ اللون كما كانت ترتجف.

«ماذا فعلوا؟» سأل تاك بصرامةٍ.

لم تُجِبْه، بل ارتعدت بين يديه كالحيوان المجروح.

«دكتور تاكيون، لقد تجاوَزَ الموضوعُ حدودَ الصين، ولا بد من أن نتحدَّث».

«دقيقةً واحدة». انحنى ليقبِّل جبينها فأحسَّ بضربات قلبها هناك. تجاوَزَ بسرعة دفاعاتها وأرسل موجةً من السكينة داخل عقلها، مما جعلها تهدأ وتُرخِي قبضتها على معطفه. «اجلسي مع ديفيد يا حبيبتي، عليَّ أن أتحدث إلى السيد كوين». كان يعرف أنه يتحدَّث إليها كما لو كانت طفلة، ولكن القلق قد يؤثِّر على الحواجز الهشَّة التي بَنَتْها للفصل بين

الشخصيات المتعددة في عقلها، ولكن ما وجده بعد هذا التوغُّل القصير كان مبانيَ متينة.

أخذه المحامي جانبًا، «استعملوا الصين كذريعة ليعرفوا أكثر عن الفيروس. تعتقد اللجنة أن الآيائص هم قوة هادمة، وقد تعكس بذلك رأي البلاد ككل».

«دكتور تاكيون». ناداه الحاجب، فلوَّح له «كوين» بيده.

«هذا غير معقول!»

«على الرغم من ذلك، أستطيع الآن أن أفهم لما أنت هنا، وأنصحك بأن تلتزم الصمت».

«وماذا يعني ذلك؟»

«تمتنع عن الإجابة عن كل أسئلتهم، ويشمل ذلك السؤالَ عن اسمك؛ لأن الإجابة عليه تُعَد تنازلًا عن حقك بالتزام الصمت».

وقف تاك بثقة، «أنا لا أخاف هؤلاء الرجال يا سيد كوين، ولن أجلس وأحكم على نفسي بالصمت، بل سوف أُوقِف هذه المهزلة الآن!»

كانت الغرفة مليئة بالأضواء والكراسي والطاولات والأشخاص والكابلات. تعثَّر مرة، فقام مجددًا متمتمًا بكلمات

اللعن. للحظة، تلاشَت الغرفة وتخيَّل صالة رقص «إيلكازام» المزخرفة، وسمع ضحكات الأهل والأصدقاء بينما وقف ضائعًا في وسط تعقيدات رقصة «برينسز بافل» بعد أن توقَّف فجأة بسبب أخطائه الكثيرة، واستطاع أن يسمع صوت قريبه «زاب» فوق صوت الموسيقى وهو يشرح له بالتفصيل أي خطوة نسي. أحسَّ بالحر الشديد والإحراج وتعرَّق قليلًا، فأخذ منديلًا ومسح وجهه، ثم لاحَظ أن عدم ارتياحه لم ينتج عن ذكرياته وحسب؛ إذ كانت أضواءُ شاشات التلفزة تجعل الغرفة تلتهب.

بينما كان تاك يستقر في الكرسي الخشبي الصلب، رأى الإطار الخارجي لصندوق الزجاج الذي يبنونه لاحتواء «ديفيد». كان شكله يُنذِر بالشؤم، كمنصة إعدام في طَوْر البناء، ولكنه سرعان ما حوَّل تركيزه نحو الرجال التسعة الذين تجرَّؤوا على إصدار الأحكام بحقه وبحق حبيبته. كانوا مميزين بسبب تعابيرهم الشاحبة والجدية فقط، أما غير ذلك، فكانوا مجموعة من الرجال المتوسطي العمر والأكبر سنًّا، بستراتهم القاتمة غير المرتبة. اعتلت وجهَه نظرةُ تعالٍ وازدراء، ثم رجع إلى الوراء بكرسيه، ساخرًا باسترخائه من سلطتهم.

«أتمنى لو أنك أصغيتَ إليَّ فيما يتعلق بملابسك». همس

«كوين» وهو يفتح حقيبته.

«طلبت مني أن أرتدي ملابسَ مرتبةً، ففعلت ذلك».

نظر «كوين» إلى معطفه الطويل وبنطاله الذي بلون الدراق، ثم إلى السترة المطرَّزة بمختلف درجات الأخضر والذهبي، وحذائه الذهبي العالي. «أعتقد أن اللون الأسود أكثر ملاءمةً».

«أنا لست مجرد عاملٍ عاديٍّ».

«هلّا ذكرت اسمك أمام اللجنة». قال الرئيس «وود»، من دون أن يرفع ناظِرَيه عن الورقة التي أمامه.

اقترب من الميكروفون وأجاب: «أنا معروف لدى أهل الأرض باسم الدكتور تاكيون».

«ما اسمك الكامل؟»

«هل أنت متأكد أنك تريده؟»

«لو لم أُرِد لما سألت». رد «وود» بانزعاج.

«كما تريد». ابتسم الفضائي قليلًا وبدأ يتلو نسبه الكامل: «تيسيان برانت تسارا سيك هاليما سيك راغنار سيك أوميان. هذا من جانب والدتي، فأوميان إضافة جديدة نسبيًا إلى جماعة «إيلكازام» بعد زواجهم من «الزغلول». كان جدي من

أمي يُسمى تاج برانت بارادا سيك أموراث سيك ليدا سيك شهريار سيك ناكسينا. إنه نجل باكونور برانت سيناري ...»

«شكرًا لك». قال «وود» باستعجال ونظر إلى زملائه وقال: «ربما ولصالح هذه المرافَعة، نسميه باسم مستعار؟»

«تعني باسم حركي». علّق بلطفٍ واستمتع بانزعاج «وود» وإحراجه أمامهم.

تبع ذلك مجموعة من الأسئلة العقيمة حول مكان إقامته ومكان عمله؛ ثم تقدَّم «جون رانكين» من الميسيسيبي، «بحسب فَهْمي يا دكتور تاكيون، أنت لستَ أحد مواطني الولايات المتحدة الأمريكية، أليس كذلك؟»

نظر تاك إلى «كوين» بارتياب، «صحيح يا سيدي».

«إذًا أنت فضائي». ردَّ برضى.

«دون أدنى شك». أجاب ثم رجع إلى الوراء بلا مبالاة، وأخذ يلهو بطرف ربطة عنقه.

تدخلت كايس من داكوتا الجنوبية: «وهل دخلتَ إلى هذه البلاد بصورة قانونية أو غير قانونية؟»

«لم يكن هناك مركز للهجرة في وايت ساندز، ولكنني بدوري لم أسأل؛ إذ إنني حضرت على عجلة للاهتمام بمسائل

أكثر إلحاحًا».

«ولكن ألَم تقدِّم طلبًا للحصول على الجنسية الأمريكية في خلال فترة إقامتك كلها؟»

دُفع الكرسي إلى الوراء ووقف تاك على قدمَيه، «ليمنحني الأعلى بعض الصبر. هذا سخيف. لا أريد أن أصبح مواطنًا في بلدكم، ولكن عالمكم مثير للاهتمام، وحتى لو كانت سفينتي قادرةً على السفر في الفضاء المكاني، ما كنتُ لأرحل لأن مَرْضاي يحتاجون إليّ. ما ليس لديَّ هو الوقت أو الرغبة لتقديم عرضٍ لتسلية هذه المحكمة الجاهلة. أرجوكم، واصِلوا ألعابَكم الصغيرة، واتركوني لعملي».

شده «كوين» إلى كرسيه مجددًا وغطى الميكروفون بيده، «إن تابَعتَ على هذا النحو فسينتهي بك المطاف وراء قضبان سجن فيدرالي». قال محذرًا، «تقبَّل الأمر، هؤلاء الرجال يملكون سلطة عليك والسُّبل اللازمة لفرضها. الآن اعتذر، لنرى كيف سننقذ الموقف».

قام بذلك صوريًّا واستمرت الأسئلة، إلى أن طرح «نيكسون» من كاليفورنيا الموضوع الرئيسي.

«إذًا، فقد طوّرت عائلتك الفيروس الذي أودى بحياة الكثيرين، هل هذا صحيح؟»

«أجل».

«أستميحك عذرًا؟»

فأعاد مرةً أخرى بصوتٍ أكثر وضوحًا: «أجل».

«إذًا فقد أتيتَ ...»

«لأحاول منع انتشاره».

«وما دليلك على هذه الادِّعاءات يا تاكيون؟» سأله «رانكين».

«سجلات سفينتي التي توضِّح التبادل مع طاقم سفينة أخرى».

«هل يمكنك الحصول على تلك السجلات؟» سأل «نيكسون» مجددًا.

«إنها على سفينتي».

دخل مساعدٌ إلى المنصة وأجروا مُشاوَراتٍ سريعة. «تُظهِر التقارير أن سفينتك قاوَمت كل الجهود للدخول إليها».

«لقد أمرتُ بهذا».

«هل ستفتحها وتأذن للقوات الجوية بالحصول على السجلات؟»

«لا». حدَّق كلٌّ منهما إلى الآخر لوقت طويل، «هل ستعيدون سفينتي ثم أزوِّدكم بالسجلات؟»

«لا».

عاد إلى الوراء في كرسيه وقال: «لا أعتقد أنها ستفيدكم كثيرًا على أية حال، فنحن لم نكن نتحدث باللغة الإنكليزية».

«وماذا عن الفضائيين الآخرين، هل يمكننا استجوابهم؟» سأل «رانكين» بانزعاج.

«أخشى أنهم ماتوا جميعًا». أجاب بصوت منخفض وقد تملَّكه الشعور بالذنب للذكريات التي استحضرها، «أخطأت في فَهْم إصرارهم، فقد وقفوا في وجه أشعة المرساة وتناثروا في الفضاء».

«يا لها من قصة مقنعة! إنها مقنعة لدرجة أنني أتساءل إن كنت قد خططت لها مسبقًا».

«إن الخطأ الذي أدى إلى انتشار الفيروس يقع على عاتق الفتى النفَّاث».

«لا تحاول تشويهَ اسمِ بطلٍ أمريكي عظيم بأكاذيبك القَذِرة!» صرخ «رانكين» بأسلوب الواعظ الجنوبي. «أنا أقترح على هذه اللجنة وعلى الأمة التي بقيت على هذا

الكوكب لتدرس تأثيرات تجربتك الشريرة عليهم، أن الفضائيين الآخرين لم يكونوا سوى انتحاريين جاهِزين للموت على يديك كي تعيش بيننا بصفتك بطلًا وواحدًا منا، ولكنك في الحقيقة فضائي مدمّر تسعى للإضرار بهذه الأمة عبر استخدام هذه العناصر الخَطِرة والجامحة».

«لا!» وقف ويداه على الطاولة مقتربًا من مُسائِليه. «لا أحدَ نادمٌ على ما حصل في العام ١٩٤٦ أكثر مني. نعم لقد فشلت ... فشلت في إيقاف السفينة، فشلت في تحديد الكوكب، فشلت في إقناع السلطات بالخطر المحدق، فشلت في مساعدة الفتى النفّاث، وعليّ أن أعيش مع هذه الأخطاء لبقية حياتي. كل ما يمكنني فعله هو أن أسخِّر نفسي وأقدِّم مواهبي وخبرتي في العمل مع هذا الفيروس للحد مما صنعته. أنا آسف ... آسف». قطع حديثه فجأةً بسبب اختناقه وشرب الماء الذي قدّمه له «كوين».

كان الحر يؤثر عليه بشكلٍ واضح، يغلي في جسمه ويسرق الهواء من رئتَيه مما جعله يشعر بالضعف. حاوَل جاهدًا ألّا يفقد وعيَه، وتناول المنديل من جيبه ومسح عينيه. عرف أنه اقترف خطأً جديدًا، فالرجال في ثقافته مدرَّبون على إخفاء مشاعرهم. لقد انتهك لتوه أحد المحظورات. جلس بثقلٍ على الكرسي مجددًا.

«إن كنتَ حقًّا نادمًا يا دكتور تاكيون، إذًا أثبت ذلك لهذه اللجنة عبر تزويدنا بلائحة بأسماء كلِّ مَن يُسمون بالآيائص الذين عالَجتهم أو سمعت عنهم، نريد أسماءهم وعناوينهم إن استطعت و ...»

«لا».

«ستساعد بذلك بلادك».

«هذه ليست بلادي، وأنا لن أساعدكم في رحلةِ صيدكم للساحرات».

«أنت موجود في هذا البلد بصفةٍ غير قانونية، وقد يصبُّ ترحيلك في مصلحة هذه الأمة؛ لذا أنصحك أن تفكِّر في إجابتك مليًّا».

«لا داعي للتفكير ... أنا لن أخون مَرْضاي».

«لا مزيدَ من الأسئلة لهذا الشاهد».

♣ ♦ ♠ ♥

عند المدخل الأمامي لمبنى الكونغرس صادفوا رجلًا شاحبًا وحادًّا.

أصدرت بليث صوتًا ضعيفًا وتمسكت بيد «تاك».

«مرحبًا يا هنري». قال «كوين» بعبوس، فأدرك الفضائي أن هذا هو زوج المرأة التي شارَكها سريره وحياته لمدة سنتَين ونصف.

بدا مألوفًا، فقد كان تاك يشعر بحضوره كلما اتصل ببليث عقليًا أو جسديًا. كان هنري موجودًا في زاوية مهملةٍ في عقلها، كالغبار في العُلِّيَّة، ولكن على الرغم من ذلك فإن عقله الدنيء لا يزال موجودًا.

«بليث».

«هنري».

رمق تاكيون بنظرة قاسية، «بعد إذنك، أريد أن أتحدث إلى زوجتي».

«لا، أرجوك، لا تتركني». كانت أصابعها تشد معطفه بقوة، فأبعَدَها بحذرٍ قبل أن تمزِّقه وأمسك يدها بدفءٍ وإحكامٍ.

«لا أعتقد ذلك».

أمسك النائب بكتفَيه ودفعه. لقد أخطأ في اتخاذ القرار، فعلى الرغم من أن تاكيون لم يكن كبير الحجم، إلا أنه تعلَّم على يدَي أعظم معلمي الدفاع عن النفس في تاكِس؛ لذا كانت ردة فعله لا إرادية. لم يحاول القيام بأي مهارةٍ قتاليةٍ

محددةٍ، إنما رفع ركبته ليصيب «فان رينسلير» بين فخذيه، وبينما انحنى الرجل من شدة الألم، ضربه بقبضته على وجهه. وقع النائب على الأرض عاجزًا ومدّد تاك براجمه.

حدّقت عينا بليث الزرقاوَين بحيرة إلى زوجها الممدّد على الأرض وقطّب «كوين» حاجبين مثل زيوس أبيض الشعر، وركض مجموعةٌ من الناس لمساعَدة السياسي. تعافى «كوين» من الصدمة وأسرع بهما لنزول السلالم.

«كانت تلك ضربةً قَذِرةً». تمتم وهو ينادي سيارة الأجرة، «ليس من الروح الرياضية أن تضرب رجلًا بهذه الطريقة».

«أنا لست مهتمًّا بالروح الرياضية، فأنت تقاتل لتربح أو تموت إن خسرت».

«يا له من عالَمٍ غريب أتيتَ منه إن كانت هذه إحدى قواعدكم». عبس مجددًا، «وكما لو لم تكن مشاكلك كافيةً، فأنا متأكد من أن هنري سيرفع شكوى بتهمة الاعتداء والضرب».

«اعتبر أنك قد عُيِّنت لاستلام القضية يا بريسكوت». قالت بليث رافعةً رأسها عن كتف «تاك». كانت تجلس بين الرجلين في سيارة الأجرة، وكان تاك يستطيع الإحساس بأنها لا تزال ترتجف.

«ربما عليكِ التفكير في طلب الطلاق، ولا أعرف لِمَ لم تفعلي ذلك حتى الآن؟!»

«الأطفال. عرفت أنني لن أراهم مجددًا إن طلّقت هنري».

«حسنًا، فكّري في الأمر».

«إلى أين نحن ذاهبون؟»

«إلى فندق ماي فلاور، سيعجبكِ بالتأكيد».

«أريد أن أذهب إلى المحطة، سنعود إلى المنزل».

«لا أنصح بذلك، فلديَّ شعورٌ بأن الأمر لم ينتهِ بعدُ، وعادةً ما أصيب التوقُّع».

«لقد أدلَينا بشهاداتنا».

«ولكن جاك وإيرل لم يحضرا بعد، هارستين سيُدلِي بشهادته مجددًا وقد يذكرون شيئًا يدفعهم لإعادة طلب حضوركم. لنظل في الجوار حتى ينتهي الأمر بالكامل. سيوفر عليكم ذلك رحلةَ العودة إن كنتُ مصيبًا».

وافَق تاك على مَضضٍ وجلس يتأمل المدينة من نافذة السيارة.

بحلول مساء الأحد شعر أنه سئم من العاصمة واشنطن

ومن فندق «ماي فلاور» ومن نبوءات «كوين» الكئيبة. حاوَلَت بليث أن تتخيَّل أنهما في إجازة، فأجبرته على مرافَقتها للتجوال في المدينة ومشاهدة المباني الرخامية والتماثيل المُمِلة، ولكن حُلْمها الوردي تحطَّم يوم الجمعة عندما اعتُقِل «ديفيد» بتهمة انتهاك حرمة الكونغرس، وأُحِيلت القضية إلى هيئة المحلفين الكبرى.

كان الفتى قد أمضى وقتَه في جناحهما مترددًا بين الثقة الكبيرة بعدم إصدار أي حكم، والخوف من إدانته وحبسه. ويرجح حصول الخيار الثاني؛ إذ إنه أساء للجنة بشكل كبير أثناء إدلائه بشهادته الأخيرة، حتى إنه شبَّههم بضباط «هتلر»، والمناخ لم يكن متسامحًا. كان تاكيون مشتتًا بين إحباط خطط «ديفيد» للانتقام من اللجنة، وبين تهدئة بليث التي يبدو أنها نسيت أن الإنكليزية لغتها الأولى واستبدلتها بالألمانية.

وزاد الحاجز الوهمي الذي أحاط بالغرفة من سوء الموقف، فالمراسِلون الصحفيون في كل مكان، لا يَكلُّون ولا يَملُّون حتى بعد أن أفرغَت بليث إبريقَ قهوة على رأس أحدهم بعد أن حاوَلَ التسلُّل إلى الغرفة بصفته عاملًا في الفندق. لم يُؤذَن إلا لـ «كوين» بالدخول إلى حصنهم، ولكن مع ذلك أحسَّ تاك برغبة لرميه خارجًا بسبب تشاؤمه الدائم.

الآن، ومع بزوغ الفجر، استلقى تاك بسَكِينة يستمع لضربات قلب بليث المنتظمة وأنفاسها الهادئة وهي نائمة بالقرب منه بعد ليلةٍ طويلة من ممارَسة الحب بجنون، كما لو أنها خافت أن تفقد لمسته. كما أنه كان مضطربًا لما وجده من تداخُل بين الشخصيات. حاوَلَ أن يساعدها على التركيز لبناء حواجز جديدة، ولكنها كانت أضعفَ من أن تنجح في إبقائها، ولن يفيدها إلا الراحة من الضغط لتستعيد توازُنها؛ لذلك وعد تاك أن يغادرا المدينة ذاك اليوم بغض النظر عن اللجنة وكل ما يتعلق بها.

قفز بسرعةٍ خارج سريره عندما سمع طرقًا شديدًا على الباب عند الساعة الواحدة ظهرًا. لم يفكِّر حتى في أن يرتدي ملابسه، بل لف أغطية السرير حوله وأسرع لفتح الباب، ليجد «كوين» وعلى وجهه نظرةٌ مرعبة.

«ماذا هناك؟ ماذا حدث؟»

«أسوأ ما يمكن تصوُّره، لقد خرب براون كل شيء».

«ماذا تعني؟»

«لقد تعاوَنَ معهم ورمى بكم جميعًا إلى الذئاب لينقذ نفسه».

جلس تاك على الكرسي. «وهذا ليس كل شيء، سيستدعون

بليت مجددًا».

«متى؟ لماذا؟»

«غدًا، مباشَرةً بعد إيرل. أخبرهم جاك أنها بالإضافة إلى عقل فون براون وأينشتاين والبقية، فهي تملك أفكارك وذكرياتك. إنهم يريدون الحصول على أسماء الآيائص الآخرين، وإن لم تُعطِهم إياها أنت، فسيأخذونها منها».

«سترفض».

«يمكن أن يُزجَّ بها في السجن».

«لا ... لا يمكن ... إنها امرأة».

هز المحامي برأسه.

«افعل شيئًا. أنت المحامي. أنا رفضت في بادئ الأمر فَلْيُرسِلوني أنا إلى السجن».

«هناك حلٌّ آخَر».

«ما هو؟»

«أن تعطيهم ما يريدون».

«لا، هذا ليس حلًّا. يجب عليك أن تجد طريقةً لتبقيها خارج غرفة المرافَعة تلك».

تنهَّد الرجل العجوز، وحك رأسه بقوةٍ حتى وقف شعره.

«حسنًا، سأرى ما يمكنني فعله».

لم يكن ذلك كافيًا، ففي صباح يوم الثلاثاء عادوا إلى مبنى الكونغرس. دخل إيرل، ومارس حقه بالتزام الصمت، ثم خرج وعلى وجهه ملامح الاحتقار والازدراء. لم يتوقَّع أيَّ شيء من حكومة الرجل الأبيض، وبالفعل لم يخيبوا أمله. حان دور «بليث». عند الباب، وقف حارسان من المارينز ومنعاه من المرور. عرف أنه لم يكن عادلًا، وأنه يفرغ غضبه في المكان الخاطئ، ولكنَّ محاوَلتها لفصله عن بليث دمَّرت قدرته على التحكم بذاته. تسلَّل إلى عقلَيهما وأمرهما أن يناما، وبذلك علا صوت شخيرهما قبل أن يصلا إلى الأرض. أثَّرَ عرضُ القوى هذا على جمْعٍ من المشاهدين فوجدوا له مكانًا ليجلس في القاعة مع الصحفيين. حاوَل أن يحتجَّ ليكون بالقرب من بليث ولكن هذه المرة أوقفه «كوين».

«لا، إن جلست بقربها فسيكون ذلك مستفزًّا، سأهتم أنا بها».

نظر باتجاه «رانكين» وقال: «لا تدعهم يجتمعون ضدها».

«سأحاول».

«عزيزتي». شعر بكتفَيها الهزيلتَين تحت يديه، وعندما رفعت رأسها لتنظر إليه رأى أن عينيها شاحبتان في وجهها الأبيض. «تذكَّري أن حريتهم وسلامتهم تتوقَّف عليكِ، أرجوكِ لا تقولي شيئًا».

«لا تقلق، لن أفعل». أجابته بتصميم، «فهم مَرْضاي أنا كذلك».

راقَبها تبتعد وهي تمسك برفقٍ بمعصم «كوين»، فأحس بالذعر. أراد أن يلحق بها وأن يحتضنها مرةً واحدة بعد. وأخذ يفكِّر إن كان السببُ حَدْسَه الذي يُنبئه بأن مكروهًا سيحصل، أو عقلَه المشوش.

«السيدة فان رينسلير، دعينا نسلسل الأحداث منذ البداية وفق ترتيبها الزمني، ما رأيكِ؟» خاطبها «رانكين».

«حسنًا».

«متى اكتشفتِ أن لديكِ هذه القدرة؟»

«في فبراير من العام ١٩٤٧».

«ومتى غادرتِ زوجكِ، النائب هنري فان رينسلير؟» شدَّد في كلامه على كلمة النائب، وألقى نظرة سريعة حوله ليرى كيف ردود فعل زملائه.

«لم أغادر، بل هو طرَدَني».

«لماذا طردكِ؟ تُرَى هل لأنه وجدكِ تخونينه مع رجلٍ آخَر، رجلٍ ليس من البشر حتى؟»

«لا!» صرخت «بليث».

«اعتراض!» نادى «كوين» في الوقت نفسه، «هذه ليست محاكَمة طلاق».

«ليس لديك أي حق بالاعتراض، سيد كوين، وهل يجب عليَّ أن أذكِّرك أن هذه اللجنة تجد من الضروري أحيانًا البحث في خلفيات المحامين؛ إذ يتساءل المرء لِمَ تختارون تمثيلَ أعداء هذه البلاد؟»

«لأن مبدأ القانون العام يعطي الحقَّ للمتهم بتوكيل مَن يدافع عنه أمام الحكومة الفيدرالية ...»

«شكرًا لك، سيد كوين، لكننا لا نحتاج درسًا في القانون». قاطَعَه النائب وود، «أرجوك أكمل يا سيد رانكين».

«شكرًا لك سيدي، سنتجاوز الموضوع قليلًا، متى انضممتِ إلى مجموعة الآيائص الأربعة؟»

«في مارس على ما أذكر».

«من العام ١٩٤٧؟»

«نعم، علَّمني أرشيبالد كيف يمكنني أن أسخِّر قواي للحفاظ على علومٍ قيِّمةٍ، وتواصل مع مجموعةٍ من العلماء، فلما وافَقوا قمتُ ...»

«قمتِ بالاستحواذ على عقولهم».

«لا، ليس الأمر كذلك».

«ألَا تعتقدين أن هذا مقرف، كأنكِ مصاصة دماء، تتغذين على أفكار الناس وقدراتهم؟ كما أنه غش؛ إذ إنك لم تُولَدي بعقلٍ فذ، ولم تدرسي بجدٍّ أو تعملي للوصول إلى منصبكِ. إنما تسرقين إنجازات الآخرين».

«لقد أذنوا لي. ما كنتُ لأقوم بأي فعلٍ لو لم يوافقوا».

«ماذا عن النائب فان رينسلير؟ هل أعطاكِ موافَقته؟»

سمع تاكيون الحزن في صوتها، «إن ذلك مختلف. لم أكن أفهم ... لم أكن أستطيع التحكم بقدرتي». ووضعَت رأسها بين يديها المغطاتين بالقفازات.

«حسنًا، لنتابع، وصلنا إلى الفترة التي تخلَّيتِ فيها عن زوجكِ وعن أطفالكِ». أفاد بنبرة عادية للاستفادة من أعضاء اللجنة الآخرين، «أجد من المذهل أن تتخلى امرأة عن دورها الطبيعي لتتباهى بنفسها بهذه الطريقة، هذا ليس ...»

«أنا لم أتخلَّ عنهم». قاطَعَته «بليث».

لم يُعِرْها أي اهتمام، «لا فرق، متى حصل ذلك؟»

أرجَعَت ظهرها إلى الوراء، «في ٢٣ أغسطس من العام ١٩٤٧».

«وأين كنتِ تعيشين منذ ٢٣ أغسطس من العام ١٩٤٧؟» لم تُجِب، «سيدة فان رينسلير، لقد وافَقتِ على الإجابة على أسئلة اللجنة، لا يمكنكِ التوقف الآن».

«في ١:١٧ سنترال بارك الغربية».

«وشقة مَن هذه؟»

«الدكتور تاكيون». همست بصوت منخفض، أحدث الصحفيون ضجةً لسماع الخبر؛ إذ كانوا قد حافَظوا على سرية علاقتهما، ولم يعرف بها سوى الآيائص الثلاثة وأرشيبالد.

«إذًا، بعد أن اعتديتِ على زوجكِ، وسرقتِ عقله وغادرتِه، ذهبتِ لتعيشي في الخطيئة مع رجلٍ غير بشري من كوكب آخر صمَّم الفيروس الذي أعطاكِ هذه القوى. يا لها من صدفة!» انحنى نحو الأمام وخاطَبَها ببطء: «اسمعيني الآن يا سيدة، وأجيبيني بصدق لأنكِ في موقع خطر. هل أخذتِ

عقل تاكيون وذكرياته؟»

«نـ ... نعم».

«هل عملتِ معه؟»

«نعم». كانت إجاباتها بالكاد مسموعة.

«هل تعترفين بأن أرشيبالد هولمز أنشأ الآيائص الأربعة كقوة تخريبية هدفُها تهديدُ حلفاء الولايات المتحدة الأوفياء؟»

تأرجحت بليث في كرسيها وهي تمسك المقبض الأعلى بشدة، وعيناها تتنقَّلان بين الحضور. كانت مَعالِم وجهها تتغير كما لو أنها تحاول مزج عدد من الوجوه معًا، وارتفع صوتٌ ذهني عالٍ من عقلها وإلى تاكيون مما جعله يحصن نفسه.

«هل تسمعينني يا سيدة فان رينسلير؟ لقد بدأتُ أعتقد أنكِ وقدرتكِ على امتصاص الدماء تشكِّلون خطرًا على بلدنا. ربما من الأفضل أن يُزَج بكِ في السجن قبل أن تبيعي ما لديكِ من قدرات لأعداء الولايات المتحدة».

كانت بليث ترتجف بشدةٍ لدرجة أنها لم تَبْدُ قادرةً على الجلوس في كرسيها لوقتٍ أطول، كانت الدموع تنهمر على

خديها. نهض تاك وأخذ يشق طريقه بين الحشد للوصول إليها. «لا، لا، أرجوك ... اتركني وشأني». وضعت يدها حول جسدها لتحمي نفسها، وصارت تهتز إلى الأمام والخلف.

«إذًا أخبِريني بالأسماء!»

«حسنًا ... حسنًا». عاد رانكين إلى مقعده بعيدًا عن الميكروفون وأخذ ينقر بقلمه الدفتر الذي أمامه. «هناك كرويد ...»

أحس تاكيون بأن الوقت بينهما بلا نهاية، بأنه يتمدد ويتجمد. ما زالت صفوف من الناس تفصله عن بليث؛ لذلك وفي تلك الثانية الطويلة اتخذ قراره. أطلق العِنان لعقله الذي ثبَّتها كأنها فراشة. اختفى صوتها وأصدرت ضجيجًا خافتًا ومضحكًا. كان كمَن يحمل رقاقة ثلج أو يتعامل مع تمثالٍ زجاجيٍّ رقيقٍ وحسَّاس. أحسَّ ببِنْية عقلها تحت قبضته، كانت بليث تدور ضائعةً نحو الظلام المخيف، والسبعة الآخَرون يتجوَّلون بحرية لغيابها، كانوا يضحكون ويحاضرون ويتغامزون ويتحادثون؛ بدوا كأنهم في سباقٍ للسيطرة على نظامها العصبي الأساسي، مما جعل جسدَها يرتجف ويهتز كأنه دميةٌ متحركة. احتشدت الكلمات في عقلها من صِيَغ ومحاضرات باللغة الألمانية، ونقاشات مستمرة بين تيلير وأوبنهايمر، وصولًا إلى خُطَب الحملة

الانتخابية واللغة التاكيونية.

عندما أحسَّ بأن عقلها يستسلم، أطلق سراحها، ولكن فات الأوان. الطاولات والناس تكدَّست جانبًا، بينما شقَّ طريقه ليصل إلى جانبها ويحتضنها بين يدَيه. عمَّت الفوضى في الغرفة وعلا صوت مطرقة «وود» تطالب بالنظام، والمراسلون يصرخون ويتقافزون، وفوق هذا كله، خطاب بليث المجنون. حملها ثم وصل إلى عقلها مجددًا ليُدخِلها بالقوة في حالة من اللاوعي. ارتخت بين يديه وعمَّ الهدوء في الغرفة.

«أفترض أن اللجنة لم يَعُد لديها أي سؤال لهذه الشاهدة؟» كانت الكراهية واضحةً في كلماته كقوة ضاربة.

تحرَّك الرجال التسعة بانزعاج، ثم همس نيكسون بصوت منخفض:

«لا، لا مزيدَ من الأسئلة».

♣ ♦ ♠ ♥

بعد مرور ساعات قليلة، جلس في الشقة يهزها ويدندن لها بين يدَيه، كأنها إحدى أقاربه التاكيونيين الصغار. أحسَّ بالصداع نتيجة محاوَلاته المستمرة لإرجاعها، والتي باءت كلها بالفشل. مشاعر العجز جعلته يرغب في أن يضرب

الأرض بقدمَيه ويتذمر تمامًا كما يفعل الأطفال الصغار. أخذ يتذكر والده؛ كان رجلًا جبارًا وقويًّا، ويتمتع بالتدريب اللازم والمهارة الطبيعية للتعامل مع مثل هذه الحالة، ولكنه يبعد مئات السنوات الضوئية عنه الآن، دون أدنى فكرةٍ عن مكان ابنه ووريثه، وعن المشاكل التي يصادفها.

قرع الباب، فألقى بالحمل على جانبه الأيسر ليتفقَّد مَن الطارق، وفُوجِئ عندما وقعت عيناه الحمراوان على رجلَي شرطة وراءهما «هنري فان رينسلير» بوجهه المرضوض.

«لديَّ هنا طلبُ إحالةٍ بحق زوجتي، سلِّمها لي رجاء».

«لا ... لا، أنت لا تفهم ما يحصل، لن يتمكَّن أحد غيري من مساعدتها. لم أعرف بعدُ كيف، لكنني أعمل على ذلك. فقط أمْهِلني بعض الوقت».

تقدَّم الشرطيان وانتزعاها بهدوء وقسوة من بين ذراعَيه. تعثَّر خلفهما على السلالم وهو يراقب بليث تهتز بين يدَي أحدهما، و«فان رينسلير» يقف جانبًا دون أي رغبة في لمسها.

«أريد القليل من الوقت لا غير». صرخ باكيًا: «أمهلني بعض الوقت».

انحنى مستسلِمًا عند أسفل السلالم، بينما أُغلِقت البوابة الخارجية خلفهم.

لم يَرَها سوى مرةٍ واحدةٍ بعد إحالتها. استأنف أمر ترحيله عبر المحاكم، ولما أحسَّ أن النهاية قريبةٌ، توجَّه نحو مَصحٍّ عقليٍّ خاصٍّ شمال نيويورك.

لم يسمحوا له بدخول الغرفة. كان بإمكانه أن يغيِّر هذا القرار عبر التحكُّم بالعقول، ولكنه لم يستطع استخدام قواه منذ ذلك اليوم القبيح؛ لذلك حاوَل اختلاسَ النظر عبر نافذةٍ صغيرةٍ وسط الباب الثقيل، ليراقب امرأة غريبةً عنه. غطى شعرُها معظمَ وجهها بينما وقفت تحاضر أمام جمهورٍ خياليٍّ. كان صوتها منخفضًا وخشنًا، ولا بد أن أوتارها الصوتية تضرَّرت بسبب محاوَلتها الدائمة للحفاظ على صوتٍ ذكوريٍّ.

لم يقدر على أن يمنع نفسه من محاوَلة الاتصال معها فكريًّا، ولكن الفوضى في عقله أعادته مُسرِعًا، والأسوأ من ذلك، صوت بليث الضئيلة وهي تبكي طالِبةً المساعَدة من مكانٍ مجهولٍ وعميق. أحسَّ بذنبٍ كبيرٍ جعله يقضي بضعَ ساعاتٍ وهو يتقيأ في المرحاض، كما لو كان ذلك سبيله لتنظيف روحه.

بعد مرور خمسة أسابيع، وُضِع على سفينةٍ أخذَته نحو ليفربول.

«يا للمسكين!» وقفت امرأة وقورة مع طفلتَيها الصغيرتَين ليحدِّقن إلى الرجل النائم على المقعد. تناوَلت عملةً من حقيبتها، ورمتها في علبة الكمان. ما إن غادرت مع ابنتَيها حتى أخذ تاكيون النقود، لم تكن بالمبلغ الكبير، ولكنها تكفي لشراء قارورة من النبيذ وليلةٍ أخرى من النسيان.

وقف ووضَّب آلته الموسيقية، وحمل حقيبته الطبية، ووضع قصاصة الجريدة في جيب معطفه لتؤويه لاحقًا من البرد. مشى قليلًا، ثم توقَّف فجأة. حمل الحقيبتَين بيد، وبيده الأخرى تناوَل قصاصة الورق من جيبه. قرأ العنوان الرئيسي للمرة الأخيرة، ثم تركها لتطير مع رياح الشرق الباردة. تابَعَ سيره من دون أن يتوقَّف أو يلتفت ليراها تلوح له عالِقةً عند قدم المقعد الحديدية. مهما اشتدَّ البرد، فسيثق بأن الريح ستعزله.

الفاصل الأول

من «آيائص حمر، أعوام سود»

بقلم إليزيبث إتش

كروفتون (الجمهورية الحديثة، مايو ٧٧)

منذ اللحظة التي أعلن فيها خلال خطبته العصماء بويست فيرجينيا في عام ١٩٥٠: «أحمل هنا في يدي قائمة سبع وخمسين من البطاقات الجامحة، نعلم بأنهم يقطنون ويعملون بالخفاء اليوم، هنا في الولايات المتحدة»، كان هناك القليل من الشك بأن السيناتور جوزيف مكارثي قد حل محل الأعضاء المجهولين للجنة مجلس النواب للأنشطة غير الأمريكية (هوك(5)) بصفته قائد هستيريا مناهضة البطاقات الجامحة، والتي اجتاحت الأمة في بدايات الخمسينيات.

بالطبع، يمكن أن تدَّعي هوك بأنها هي من دمرت وشوهت سمعة جماعة «استثنائيون من أجل الديمقراطية» التي أسسها أرشيبالد هولمز، «الآيائص الأربعة» (كما يسمونهم العامة) من فترة السلم ما بعد الحرب، وأبرز الرموز الحية للخراب الذي حل على الأمة من جراء فيروس البطاقة الجامحة (بكل تأكيد، كان هناك عشر جواكر لكل آيص، ولكن

كما هو حال السود، المثليين، والشواذ، كان الجواكر رجالًا خفيين في تلك الحقبة، تم تهميشهم عمدًا من مجتمع كان يفضل لو أنهم لم يكونوا موجودين في الأصل). حين سقط الآيائص الأربعة، شعر كثيرون أن المهزلة قد انتهت. كانوا مخطئين. فقد كانت مجرد البداية، وجو مكارثي كان من يدير الهستيريا.

فالبحث عن «الآيائص الحمر» الذي حرض عليه وقدمه مكارثي لم يأتِ بنتيجة واحدة مذهلة لتضاهي ما فعلته هوك، ولكن في النهاية أثَّر عمل مكارثي على عدد أكبر من الناس، وأثبتت ديموميتها بينما كانت انتصارات هوك عابرة. لجنة مجلس الشيوخ لموارد ومساعي الآيائص (سكير(6)) ولدت عام ١٩٥٢ كمنصة لبحث مكارثي، ولكنها في النهاية أصبحت جزءًا دائمًا من تركيبة لجان مجلس الشيوخ.

مع الوقت، سكير، كما حدث مع هوك، أصبحت مجرد شبح من ماضيها، وبعد عدة عقود تحت رئاسة رجال مثل هيوبرت همفري، جوزيف مونتويا، وجريج هارتمان، تطورت لتصبح نوعًا مختلفًا تمامًا من اللجان التشريعية، ولكن سكير مكارثي كانت كل ما يوحي إليه اسمها المختصر، مرعبة. بين ١٩٥٢ و١٩٥٦، تم استدعاء أكثر من مائتي رجل وامرأة رسميًا للشهادة أمام سكير، وفي الأغلب لا تستند على أي دواعٍ

حقيقة أكثر من أقوال مخبرين سريين بأنهم في وقت ما قد أظهروا قوى بطاقة جامحة.

كانت مطاردة ساحرات معاصرة حقيقية، وكما كانت أسلافها الروحانية في سالم (ماساتشوستس)، فأولئك الذين سحبوا أمام القناص جو ظلمًا بسبب كونهم آيائص لم يكن من السهل أن يثبتوا براءتهم. كيف تثبت أنك لا تستطيع الطيران؟ لم يجب أي من ضحايا سكير على ذلك السؤال بطريقة مرضية. والقائمة السوداء كانت دائما تنتظر أولئك الذين عُدَّت شهاداتهم غير مرضية.

وقد كان أسوأ مصير لأولئك الذين كانوا بالفعل ضحايا البطاقة الجامحة، واعترفوا بقواهم الآيصة علنًا أمام اللجنة. من تلك الحالات، كانت حالة تيموثي ويجينز، الذي لقب «بالسيد أطياف» أثناء أدائه: «لو أنني آيص، فكيف تكون البطاقة المضروبة؟!». قال ويجينز لمكارثي حين استدعي في ١٩٥٣، ومن تلك اللحظة دخلت في اللغة كلمة «مضروب» لتُطلَق على آيص ذي قوى بطاقة جامحة تافهة أو غير مفيدة. ذلك ما كان عليه ويجينز، بدين، ضعيف النظر، فنان عمره ثمانية وأربعون عامًا وكانت قوة بطاقته الجامحة أنه يستطيع تغيير لون جلده، ما رفع سهمه للارتفاع الشاهق بأن يكون ثاني أغلى مؤدٍّ في منتجع كاتسكيل الأصغر، حيث

يتمثل أداؤه في العزف على قيثارة وغناء نسخ محرَّفة من أغانٍ مثل: «ريد، ريد روبين»، «وردة تكساس الحمراء»، و«أحزان البطاقة الجامحة»، ويصاحب كل أداء التغير اللوني المناسب. آيص أو مضروب، السيد أطياف لم يتلقَّ أي رحمة من مكارثي أو سكير. ضُمَّ إلى القائمة السوداء ولم يتمكن من الحصول على أي عمل، ويجينز شنق نفسه في شقة ابنته بالبرونكس بعد أقل من أربعة عشر شهرًا من شهادته.

شاهد ضحايا آخرين حياتهم تفسد وتُدمَّر بطرق أقل دراماتيكية: فقدوا أعمالًا ووظائف للقائمة السوداء، فقدوا أصدقاءً وأزواجًا، ولا محالة فقدوا حضانة أطفالهم في الطلاقات التي انتشرت بشكل كبير. تم كشف اثنين وعشرين آيصًا على الأقل خلال تحقيقات سكير السلمية (مكارثي نفسه ادَّعى أنه هو شخصيًّا «كشف» ضعف ذلك العدد، ولكن في المجموع، فلم تثبت قوى المتهمين في أغلب الحالات إلا بأقوال الشائعات والأدلة الظرفية، دون دليل موثق حقيقي واحد)، بما في ذلك مجرمون خطيرون مثل ربة منزل في كوينز طفت أثناء نومها، عامل ميناء يستطيع أن يغلي ماء حوض استحمام خلال سبع دقائق من غمس يده فيه، مدرسة برمائية من فيلاديلفيا (كانت تخفي خياشيمها تحت ملابسها، حتى اليوم الذي فضحت فيه نفسها بتهورها حين أنقذت طفلًا يغرق)، حتى بائع خضرة إيطالي مكرش أظهر

قدرته على إطالة شعره وقتما شاء.

بالطبع، مع تفنيطهم لذلك العدد الكبير من البطاقات الجامحة، فستجد سكير حتمًا بعض الآيائص ضمن المضاريب، مثل لورانس هيوه، سمسار بورصة لديه قوى تخاطرية، والذي أدت شهادته لحالة ذعر في وول ستريت، والملقبة بـ «المرأة النمر» من ويهاوكن التي أثار تحولها أمام كاميرات الأخبار الذعر لمرتادي السينمات من المحيط إلى المحيط. حتى ذلك يهون إذا ما قورن بحالة الرجل الغامض الذي اعتُقِل وهو يسرق مركز ألماس نيويورك. كانت جيوبه قد امتلأت بالأحجار الكريمة والأمفيتامينات. هذا الآيص المجهول كانت ردات أفعاله أسرع من الطبيعي بأربعة أضعاف، بالإضافة إلى قوة مذهلة وعلى ما يبدو مقاومًا للطلقات. بعد أن قذف سيارة شرطة عبر عدة مبانٍ مُدخِلًا دستةً من عساكر الشرطة إلى المستشفى، تم إعاقته بالنهاية باستخدام غاز مسيل للدموع. سكير أصدرت مباشرة استدعاءً له، ولكن المجهول انتكس في غيبوبة عميقة قبل أن يمثل أمامهم. وقد اشمأز مكارثي بسبب عدم قدرتهم على إيقاظ الرجل حتى ذلك اليوم، بعد ثمانية أشهر، حين وُجِدت زنزانته الخاصة شديدة الحراسة خالية. أقسم شاهد مرتاع بأنه رأى الرجل يعبر من خلال الجدار، ولكن الوصف الذي قدمه للمحققين لم يطابق أوصاف السجين المختفي.

أكثر إنجازات مكارثي صمودًا للوقت، إذا صح تسميتها بإنجاز، حصل مع تمرير ما يسمى بـ «قوانين البطاقة الجامحة». قانون التحكم بالقوى الاستثنائية، الذي صدر عام ١٩٥٤، كان أول تلك القوانين، والذي ألزم أي شخص ظهرت عليه قوى بطاقة جامحة، أن يسجل مباشرة لدى الحكومة الفيدرالية؛ وعدم الالتزام بذلك يُعاقَب عليه بالسجن حتى عشر سنوات. تبعه قانون التجنيد الخاص، مانحًا مكتب التجنيد الاختياري القوة لتجنيد الآيائص المسجَّلين لخدمة الحكومة لفترات غير محددة. وما تزال الشائعات تؤكد أن عددًا من الآيائص، مِمَّن التزموا بالقانون الجديد، قد جُنِّدوا بالفعل في قطاعات مختلفة من الجيش، الإف بي آي، والخدمة السرية في أواخر الخمسينيات، ولكن إذا صح ذلك، فقد أبقت المنظمات التي جندتهم أسماءهم وقواهم ووجودهم ذاته سرًّا محفوظًا.

في الواقع، لم يتم التجنيد علنًا بقانون التجنيد الخاص خلال العقدين اللذين استمر فيهما القانون سوى لرجلين: لورانس هيوه، والذي اختفى في خدمة الدولة بعد أن أُسقِطَت اتهامات تلاعبه بالأسهم، والآيص الأكثر شهرة منه والذي تصدرت قضيته عناوين الصحف حول أرجاء الدولة: ديفيد «المبعوث» هارستين، متفاوض الآيائص

الأربعة الكاريزمي. حيث سلَّم أمر التجنيد بعد إطلاقه من السجن بأقل من عام، حيث حبسته هاك لازدراء الكونغرس. هارستين لم يسلم نفسه للتجنيد. واختفى تمامًا من الحياة العامة في ١٩٥٥، حتى إن الإف بي آي بحثت عنه في جميع أرجاء الدولة وفشلت في العثور على أي أثر للرجل الذي عَدَّه مكارثي شخصيًا «أخطر آيص في أمريكا».

قوانين البطاقة الجامحة كانت انتصارات مكارثي، ولكن إيجادها - بكل سخرية - كان كذلك ما زرع بذور هلاكه. حين تم أخيرًا تحويل تلك المقترحات التي تم التسويق لها على نطاق واسع إلى قوانين. يبدو أن مزاج الأمة كان قد تغيَّر. كرر مكارثي كثيرًا للعامة أن القوانين كانت ضرورية للتعامل مع الآيائص المخفيين الذين يهدِّدون الأمة. حسنًا، كان رد الأمة، وضعت القوانين، حلت المشكلة، وقد فاض بنا الكيل من كل هذا.

في العام التالي، قدَّم مكارثي مقترح احتواء المرض الفضائي، والذي كان يقتضي التعقيم الإجباري لجميع ضحايا البطاقة الجامحة، جواكرهم وآيائصهم. وكان ذلك كثيرًا حتى على أقوى مؤيديه. هُزِم المقترح هزيمة نكراء في كل من مجلسي الشيوخ والنواب. وفي محاول لاسترداد واستعادة العناوين، قام مكارثي بإطلاق تحقيق غير حكيم من سكير

على الجيش، مصممًا أن يخرج «الآيائص من جحورهم» والذين أصرت الشائعات أنهم قد تم تجنيدهم سرًّا من قِبَل الجيش قبل قانون التجنيد الخاص بعدة أعوام. ولكن الرأي العام مال بشدة ضده خلال جلسات الجيش-ضد-مكارثي، والتي بلغت ذروتها حين قام مجلس الشيوخ بلومه.

في بدايات ١٩٥٥، ظن الكثير أن مكارثي قد يكون بالقوة الكافية ليحظى بترشيح الجمهوريين للرئاسة عوضًا عن أيزنهاور، ولكن بحلول وقت الانتخابات في ١٩٥٦، كان المناخ السياسي قد تغير بشكل ملحوظ لدرجة أنه لم يكن له أي قيمة.

في ٢٨ من أبريل ١٩٥٧، دخل مكارثي المركز الصحي للقوات البحرية في بيثيسدا، ماريلاند، رجل محطم يتحدَّث طوال الوقت عن أولئك الذين شعر أنهم قد خانوه، في آخر أيامه، أصر على أن سقوطه كان من صنيع هارستين، وأن المبعوث كان في مكان ما، يجوب أقطار البلاد، يسمِّم الناس ضد مكارثي بقوى الفضائيين الشريرة للتحكم بالعقول.

جو مكارثي مات في الثاني من مايو، ولم تكترث الأمة لذلك. وبالرغم من ذلك فقد بقي إرثه: سكير، قوانين البطاقة الجامحة، أجواء من الخوف. لو أن هارستين كان بالفعل موجودًا، فلِمَ لم يظهر نفسه للشماتة. كالعديد غيره من

آيائص زمانه، بقي مختبئًا.

♥ ♠ ♦ ♣

---

(5) هوك (HUAC: House Committee on UnAmerican Activities).

(6) سكير (SCARE: The Senate Committee on Ace Resources and Endeavors).

القائد كاثود والآيص السري

بقلم مايكل كاسوت

مشهد داخلي: طائرة ستراتوجت - حجرة القيادة - نهاري

محركات الطائرة ستراتوجت تصدر **أزيزًا** بعد أن انعطف بها ذا وولف جوكر منعطفًا حادًّا، كاثود موثق اليدين، نسمع **دوي** القصف على الكوة.

مارتي (صوت خارجي)

سيدي القائد! بدأ الهواء ينفد!

يقف وولف جوكر إلى جانب أجهزة التحكُّم، ويدير ظهره مستهزءًا.

وولف جوكر

الخَيار خَيارك أيها القائد، إما أن تُفصح عن الرموز، أو يلفظ أصدقاؤك الثلاثة أنفاسهم الأخيرة.

كاثود

أنت أيضًا لن تنجو يا جوكر!

وولف جوكر

سأتَّجِه بالطائرة نحو الجبل وسأقفز بالمظلة.

كاثود

كنت متيقنًا من ذلك، فالجواكر مجبولون على الجُبن.

وولف جوكر

لا تتكبَّد عناء الشتم يا كاثود، لا جدوى من ذلك ... فأنا لا أتأثر.

ينزع وولف جوكر قناعه فيبدو وجهٌ ذو شارب وسِحْنة متعجرِفة، إنه روان ميركادو، عدو كاثود اللدود، وهو كائن فضائي من السلالة التاكيونية.

كاثود

ميركادو! كان حَرِيًّا بي أن أعرف.

طوى كارل فون كامبين النص المكتوب ووضعه على مكتبه مقلوبًا.

وكان الوقت مبكرًا صبيحة يوم الإثنين من شهر أغسطس ١٩٥٦؛ إذ تقترب درجة الحرارة في الخارج في مبنى ريبابليك أستوديو، حيثما يُصوَّر مسلسل «القائد كاثود»، بالقرب من جبال سانتا مونيكا في وادي سان فرانسيسكو، من التسعين،

ولا يمنعها شيء من أن تتجاوز المائة، بينما ينشر مكيِّف الهواء مجلجل الصوت نسمات من هواء بارد لا تسمن ولا تغني.

ومع ذلك شعر كارل بقُشعَرِيرة تَسري في جسده، على الرغم من جلوسه في ركن محشور من الغرفة حيث يوجد مكتبه.

قد لا يرقى نص مسلسل «كاثود» في كتابته إلى مستوى رواية «ماكبِث»، وقد لا يبدو بذات القدر من الإبداع التصويري الذي كان لدى هـ. ج. ويلز، ولا من إثارة «هيل كاتس» أو «ذا نيفي».

لكنه يشبه قصة كمامة الشرير العجوز المُقنَّع. لكن فيمَ كانت تفكر ويلي لي يا ترى؟

نهض كارل من كرسيِّه وتمدَّد ليخفف من توتره المتزايد، وليعيد النظر في تنسيق غرفة مكتبه، فقد أراد لمكتبه أن يكون بسيطًا ومضبوطًا على غرار دهاليز عقله:

مكتب وكرسي متواضعان، وآلة كاتبة يكتب عليها المسوَّدة الأولى لمذكراته، وخزانة يحفظ بداخلها حصيلة ما كتب من نص «القائد كاثود» على مدار ستة أسابيع، لا أكثر من ذلك ولا أقل.

كان كارل رجلًا صغير البنية، شعره أشقر ضارب إلى البياض، ذا عينين زرقاوَيْن، آريًّا صِرفًا، باستثناء انحناءة كتِفه، ولم يكن رياضيًّا لا من قريب ولا من بعيد، بل كان أعرجَ بشكل لا تُخطئه عين، لجُرح ألَمَّ به في غارة بالقنابل استهدفت بينيموند أثناء الحرب.

شعر كارل بالارتياح حينما سمع رنين الهاتف، فقد كانت مساعدته أبيجيل؛ إذ قالت: «وردني اتصال من موقع التصوير»، وعرف كارل فحوى الرسالة قبل سماعها.

«تأخر برانت كعادته»، برانت بروير، القائد كاثود نفسه.

فتح الدرج وأخذ نظارته السوداء، وخرج من مكتبه صارخًا في وجه أبيجيل قبل أن تعيد سماعة الهاتف إلى حاملها، قائلًا: «أجري اتصالًا بسول جرين وأخبريه أن السيد فون كامبين يعرب لك عن استيائه». وجرين هذا وكيل بروير.

عرف كارل أن المكالمة ما هي إلا مَضيعة للوقت، وجودها كعدمها.

لكن بروير لن يفعل شيئًا إذا لم يتلقَّ تحذيرًا!

«سينزعج السيد فون كامبين لو علم أن هارولد دان، ممثل شركة «كيلوجز»، سيصل إلى موقع التصوير في تمام الساعة التاسعة»، ودان هو المشتري الرئيسي لشركة «كيلوجز»،

وهي شركة حبوب الإفطار التي كانت تحاول الحصول على الرعاية الكاملة لمسلسل «كاتود»، خطوة من شأنها مضاعفة ميزانية المسلسل ... وستضع «كارل» في مصافِّ الأثرياء.

قال كارل: «أخِّر قدومه»، وقد اسْتَبَدَّتْ بِهِ سَوْرَةُ الغَضَبِ لدرجة العنف، التقط جريدة «هيرالد» الصباحية من على مكتب أبيجيل، سرعان ما وقعت عيناه على المقالة الرئيسية عن جُثَّة قد تحجرت عُثر عليها بالقرب من مرصد «جريفيث بارك».

«آه، قاتل ميدوسا يعاود الكَرَّة». هذا يفسِّر سلسلة جرائم القتل المروِّعة التي عادت منذ ثلاثة أشهر. جميع الجواكر، وكأنما على رؤوسهم الطير. «وها هي الشمس مشرقة في كبد السماء أيضًا».

«كارل، أنت لا يؤمَن شَرُّك».

هذه «الكلمة كانت على سبيل «السخرية»». لقد راقَ له التظاهر بقدرته على التحدث بالإنكليزية أفضل من أبيجيل، وهي الحاصلة على شهادة جامعية من إحدى الجامعات شرق البلاد.

«قلت لا يؤَمن شره، وأنا مُصِر على ما قلت». كانت أبيجيل في الخامسة والعشرين من عمرها. فتاة ممشوقة القوام،

ذات شعر داكن، وأول ما يلاحظه المرء أنها الأنثى الوحيدة بين مراسلي صالة التحرير التي تعج برجال لا يكفون عن تبادل النكات اللاذعة. كان كارل يستعذب نبرة صوتها وكذلك ميلها للألفة ورفع الكلفة غير آبهة بالأعراف المتَّبَعة في علاقات العمل، كتلك التي تحظر على السكرتيرة مخاطبة مديرها باسمه دون لقبه. «الأمر الوحيد الذي يميز سلسلة جرائم القتل الجديدة هذه، التي يرتكبها الجوكر، عن مثيلاتها المعتادة أن ضحاياها ليسوا فتيات في مقتبل العمر، بل من الرجال».

قال كارل بنبرة يعتريها الاستياء: «الممثلون، أراهن أنهم لقوا حتفهم على يد المنتجين». نظر إلى أبيجيل وارتسمت على شفتيه ابتسامة وداع، ثم ارتدى نظارته السوداء. «كما قلت ... لا يُؤمَن شَرُّه!»

♣ ♦ ♠ ♥

لم يكن كارل منصفًا تجاه نفسه. على الرغم من أنه كان يتمتع بحس الدعابة الألماني القاسي الذي أذكته ساحة الوغى بتجارِبها الوحشية، إلا أنه يرق لحال كل نفس كليلة كسيرة.

وكان يشعر الشعور ذاته تجاه كل شخص مُثقَل ببطاقة جامحة، بل وصل الأمر بكارل إلى منح بطاقته اسمًا:

«فوكوس» (وهي كلمة ألمانية تعني بؤرة العدسة)، فضلًا عن كتابة الاسم بالأبجدية الألمانية. يرجع الفضل لـ «فوكوس» في الرؤية الثاقبة التي يتمتع بها كارل، فبإمكانه التقاط صورة مكبَّرة أو مجهرية لكل ما يقع في مجاله البصري. لم تكن مجرَّد قدرة جسدية فحسب؛ لقد كانت، في الواقع، حالة ذهنية، لحظة من التمدد الزمني.

حالة ما يزال يحاول جاهدًا ترويضها.

بينما هَمَّ كارل بعبور الأسفلت الذي كان ساخنًا من شدة حرارة الشمس، ألقى نظرة خاطفة باتجاه الجبال الواقعة في الطرف الشمالي من الوادي، وكانت هذه النظرة كافية لتحفيز «فوكوس». فجأة، يتراءى له جبل «ويلسون» على بعده، بمرصده إلى جانب مجموعة من أبراج البث الإذاعي والتلفزيوني، رأي العين.

طرف كارل بعينه، ورأى القبة البيضاء للتليسكوب العاكس ضخم الحجم الذي يبلغ قطره مائة بوصة ... وقد أكلت علامات الذبول طلاءه. ثم طرف بعينه مرة أخرى، ورأى البرج التابع لمحطة «كيه إن إكس» الإذاعية ... ومصابيح الأمان ذات الإضاءة الحمراء المثبَّتة على البرج وكان أحدها محترقًا.

كان استخدام قدرة «فوكوس» يمنح كارل شعورًا أشبه

بالنشوة الجسدية، وكان الأمر ينطوي على بعض الخصوصية بالطبع، كإذعانٍ عن طيب خاطر؛ نظرًا لأن «فوكوس» لا تعمل إلا في ظروفٍ خاصة، كهدفٍ مُغرٍ، قريبًا كان أم بعيدًا.

ليست البطاقة الجامحة هي السبب الكامن وراء تميُّز كارل، ولكنها كانت سببًا في إحدى مزاياه: فهي تجعل عينيه تتوهجان باللون الأحمر بدلًا من الأزرق؛ لذا كان لا بد له من ارتداء نظاراته السوداء أينما حل، حتى وإن فتح ذلك عليه باب المشاكسات على مصراعيه لظهوره بمظهر المتباهي.

كان كارل فون كامبين مميَّزًا بنظارته بقدر ما كان مميَّزًا بلكنته الألمانية، كان يتساءل أحيانًا أيُّ الأمرين مثَّل العائق الأكبر في هوليوود عام ١٩٥٦؛ كونه من الآيائص أم لعمله مع هتلر؟

♣ ♦ ♠ ♥

كان اعتلاء خشبة المسرح أشبه بالولوج إلى كهف مظلم يحثك على استكشاف غوره، ولبرهة من الوقت نسي كارل قلقه الدائم حيال وضعه المالي، وتضييق الخناق عليه من مديره في العمل، فريدريك زيف.

آنَ الأوان لينزع نظارته.

أول من لمح وقوف كارل على خشبة المسرح كان يوجين

أولكيويتس، وهو رجل مكتنِز الجسم قلّما يصحو من سكرته، وهو من مناصري التحرير الوطني ويمتهن مهنة التمثيل، وقد لعِب دور ضابط المشاة الجوكر الذي يُدعى «تورك»، الصديق الصدوق للقائد كاثود. «ها قد وصل القائد! كيف حالك؟» مخاطبًا كارل بالألمانية، واستقبله بصفعة على ظهره.

«هذا ما قادني الفضول لاكتشافه»، لم يكن كارل يستلطف أولكيويتس. بالمقارنة مع بروير، كان يوجين محترفًا مشهود له بالبراعة، منضبطًا دومًا في مواعيده، حاشاه أن يؤدِّي دورًا بفتور أو أن ينسى من نصه بضعة أسطر، حتى إنه أخذ دوره الثانوي على محمل من الجدية المفرطة، حتى إن مصممة الأزياء قد حكت أنه كان غالبًا ما يصطحب قناع الكلب المطاطي معه إلى منزله، فحسب زعمه يحب يوجين تقمُّص روح الشخصية أثناء البروفات.

لكن ...

قال أولكيويتس: «لقد استعنَّا ببرانت لأداء المشهد الأول ولكن كبديل مؤقت».

«لنبدأ في تصوير مشاهدنا، أليس كذلك، حبيبتي؟»

كانت نورا هي المقصودة بلفظة «حبيبتي»، الشخصية التي

تؤديها الممثلة دوتي دويل، أيقونة الجمال بطولها الشامخ، وعينتيها الزرقاويْن، دائمًا ما تتكشَّف ساقاها الممشوقتان عندما ترتدي زي الطائرة في مسلسل «كاثود»، خطر لكارل أنه ينبغي أن يُثني على مصمِّم الأزياء، الذي فطن إلى أن أحدًا لن ينتقد ارتداء الممثلة لمثل هذه التنورة القصيرة في مسلسل موجَّه للأطفال، بينما كان سيُعَدُّ أمرًا مشينًا إذا كان المسلسل موجَّهًا للكبار.

«توقف عن مناداتي بـ «حبيبتي» يا جين». قالتها دوتي مُشِيحَة بوجهها عنه، ووقفت بإزاء كارل مباشرة. «لن نتمكن من العمل سويًّا إذا بقي الأمر على هذه الحال».

دوتي – كعهدها – امرأة مثقَّفة، وحازمة، وعملية وكأنها أميرة إسكندنافية سيرغب والِدا كارل لو كانت زوجة لابنيهما.

تجوَّل كارل في الكواليس بالقرب من واجهة موقع التصوير، أُطفِئَت الأضواء بينما كان عمال الديكور منهمكين في إزالة لوحة التحكُّم في طائرة كاثود.

قال مارشال كورشاك، المخرج، مستشعرًا المأزق: «إنها محقَّة يا كارل، سنقضي ما تبقَّى من اليوم في تصوير المسلسل».

كان كورشاك متوتّرًا حتى عندما سارت الأمور على خير ما يرام، لقد استوحى شخصية «كاثود» من شخصية البطل الخيالي «هوبالونج كاسيدي». أبدى كارل ابتسامة مصطنعة، «كان من الممكن أن تسوء الأمور يا مارشال، ماذا لو كنا نمثل بالخيول؟!»

«الخيول جاهزة دائمًا متى احتجتَها، أو بإمكانك جلب خيل جديدة ولن يتساءل أحد عن الفارق».

في تلك اللحظة قَدِم أحد مساعدي الإنتاج مسرعًا نحوهم، وقال: «لقد وصل!» وظل يكرِّرها؛ تفاديًا للخسائر التي ستحدث على أثر المصادمات التي بدت تلوح في الأفق، ذلك الشعور بالتحرُّز هو نفسه الذي دفع كورشاك للتذرُّع بذهابه لقضاء حاجته.

كان كارل يشحَذ مخالبه من أجل هذه المواجهة، ولكن فور أن استعادت عيناه ثبات الرؤية التي كانت قد تشوَّشت نظرًا لتغيُّر الإضاءة المفاجئ، أدرك أن ذلك الشخص لم يكن برانت بروير الذي يؤدي شخصية القائد كاثود. إنه هارولد دان ممثل شركة «كيلوجز».

كان دان على مشارف الأربعين من عمره، داكن البشرة، قوي البنية، أصلع الرأس، يكشف مبسمه عن أسنانه الناصعة البياض، التي لم يسبق لكارل أن رأى شخصًا، خارج فئة

الممثلين، أسنانه في بياض أسنان دان. في الواقع، كان «دان» لا يتوقف عن الابتسام طوال حديثه ... كما لو كان يتقاضى أجرًا عن كل ابتسامة مبهرة.

تعرف دان على أولكيويتس ودوتي، وجحَظت عيناه عند رؤيته لرفيقة كاثود لأول مرة، «أعتقد أنه علينا أن نضعكِ داخل عبوة حبوب الإفطار».

«لا بأس، إن كانت السيقان والنهود ستزيد من مبيعاتها.»

قبل أن تنجرِف بهم الملاطفات بعيدًا، سمع كارل أحدهم يقول: «ما خطبكم يا سادة؟ ألا ترون أننا بصدد صناعة عمل تلفزيوني خالد؟»

كان برانت بروير، ويعرفه ملايين الشباب الأمريكي من خلال شخصية القائد كاثود، البطل الذي ابتُلِي به التاكيونيون وحلفاؤهم المارقون من الجواكر، يهرول تحت الظلال وقد أقحم نفسه في موقع التصوير حتى صار في وسطه، واضعًا يديه على خاصرته، النموذج الذي يجسِّد مبادئ القوة والعدالة والقيم الأمريكية. كان يرتدي بدلة الطيران الضيقة ذات اللون الأزرق الداكن مزخرَفة بأول حرف من اسمه وبرسمة الشعاع من برق. في كل مرة يشاهد فيها كارل قائده، بغض النظر عن الغضب الذي يعتمل داخله، تمنَّى لو ترك له خيار البث الملون.

وإن لم يكن كذلك، يا حبذا لو كان بإمكانه أن يرميه بشعاع ناسف من عينيه المشحونة بقوة فوكوس.

«برانت، لقد تأخرت ساعتين عن موعدك».

«لم تأذن الماكييرة لي بمغادرة المقطورة»، كانت ابتسامة بروير مبهرة بقدر ابتسامة دان، بل تَفوقُها إبهارًا فهي ابتسامة طبيعية تمامًا، كان كارل يعلم يقينًا بما تكنه الماكييرة من إعجاب تجاه هذا النجم، حالها كحال معظم النساء في طاقم العمل، بل وبعض الرجال أيضًا.

«تلتزم يومًا وتتأخر يومًا وبالساعات، وهذا يستنزفنا».

«سنبدأ في تصوير المشاهد يا كارل».

«نحاول إيجاد بديل لك لنستكمل تصوير المشاهد! ولكنه لا يرقى للمستوى المطلوب على الإطلاق».

أمسك بروير بأوراق السيناريو ملوِّحًا بها، «لنرى كيف يمكن أداء المشاهد بإقناع؟ رجل عادي يرتدي بدلة يحاول الإيقاع بثُلَّة من الحمقى المتنكِّرين، ليس لي أن أطلق النار عليهم، ولا أن أرميَهم خارج الكُوَّة، وأقصى ما يمكنني فعله هو محادثتهم بلهجة شديدة وبالنصح؛ عَلَّهُم يحسنون التصرف»، في خضم جدالهم، كان بروير يرطن بلهجته الأصلية وهي

لغة أهل كاجون، شأنه في ذلك شأن كارل الذي غلبت عليه التوتونية مع مُضِيِّ الوقت، وإنه لمن العجيب أن يفهم كل منهم منطق الآخر.

«إننا نخاطب جمهورًا من الأطفال الصغار، يكفي ما يشهدونه من مظاهر العنف في الحياة الواقعية».

«لا يلتفت الأطفال للمحتوى الساذج. هل قرأت النص المكتوب فعلًا يا كارل؟» تبدَّلت نبرة برانت من التحدي للإنصات بعناية: «دعك من هذه الأبجديات ... الدرامية. هل يستمتع الأطفال الأمريكيون بحكايات الآيائص والجواكر؟ وهل تنكُّر جين أولكيويتس في قناع الكلب أفضل من الاستعانة بجوكر حقيقي».

«انسَ الأمر!» لاحظ كارل أن بروير، كعهده دومًا، يغير مسار الحوار ليتفادى الحديث عن أخطائه، بدلًا من ذلك يتَّهم هوليوود بالجُبْن لتكتُّمها على أمر البطاقة الجامحة، «أنت تعلم أننا لسنا في حِلٍّ من الاستعانة بجواكر حقيقيين. ألم تَمَل من تكرار الحديث عن الأمر؟ المسلسل مكتوب بحرفية، لك أن تشارك أو ألَّا تشارك، أما إذا أصررت على التأخر عن موعد التصوير فلا تلومن إلا نفسك إن آثَرُوا الاستغناء عن خدماتك».

«هل تريد أن تُخلَّد في التاريخ باعتبارك الرجل الذي تسبَّب

في فقدان القائد كاثود عمله؟»

نفض كارل بطرف إصبعه ياقة زي كاثود، «لا تنسَ أن القائد كاثود ما زال محتفظًا ببدلته!»

تغيَّرت ملامح بروير مرة أخرى، يُشِعُّ منها دفء وعرفان بصداقة العمر، «أنت المدير»، نظر حوله، كما لو كان يبحث عمَّن يصدُقه القول، ولمح كورشاك. «هل كنتم تصورون مشهدًا تمثيليًّا هنا أم ماذا؟»

كان كارل ما يزال متأثرًا للغاية بتلك المواجهة، حتى إنه استغرق لحظة ليدرك أن شخصًا ما كان يقف خلفه مصفقًا؛ إنه دان، «إنك جالس على منجم من ذهب يا سيد فون كامبين».

«لاقَى المسلسل أصداء واسعة».

«ويا حبذا لو استمر على ما هو عليه، لكن الدولارات ذات الفئات الكبيرة لا تأتي من المراهقين الذي ينتظرون عرض المسلسل ظهيرة كل يوم، بل مما يدفع هؤلاء المراهقون والدِيهم دفعًا لشرائه؛ كتب مصوَّرة تسرد حكاية القائد كاثود، وألعاب أطفال، و ... وبيجامات، وخوذات، ونماذج مصغرة للطائرة ستراتوجت، ودمى على شكل أبطال القصة».

«وحبوب الإفطار».

«أولى لك أن تفرض سيطرتك على طاقم الممثلين»، كانت ملامحه جامدة.

♣ ♦ ♠ ♥

قبل أن يهم كارل باتخاذ أي خطوات، كان لا بد وأن يتكبد عناء حضور جلسة تسجيل الموسيقى التصويرية لأحداث الحلقات الخمس التي ستُذاع خلال الأسبوع المقبل من مسلسل «كاثود».

بالطبع يصعب القول إنها كانت جلسة تسجيل، فكل المقاطع الموسيقية سبق وأن أُذِيعت في أعمال أخرى؛ مما يعني أنها كانت مسجَّلة بالفعل. كان تنسيق المشاهد مع الموسيقى تلقائيًّا ... جميع المشاهد التي تتمحور حول إحدى الشخصيات شريرة أو تتضمَّن ذروة أحداث وهمية لازمتها نفس «اللدغة» الميلودرامية. من وجهة نظر كارل، تشبه المسارات الصوتية المتكرِّرة لدغات الحشرات؛ لا تستغرق إلا لحظات، ولكنها متكرِّرة ومزعجة.

عندما كان في طريقه لمغادرة المسرح، عثر على الرجل الذي وجد فيه ضالته، ألا وهو «جاك!»

جاك براون، الشهير بيهوذا الآيص، ومؤخَّرًا نجم أحد أعمال زيف «طرزان أوف ذي إيبس» (طرزان الرجل القرد).

بدَتْ بشرته وكأنها اكتسبت درجة شديدة من السُّمرة، وظهر في طَلَّة غريبة وغير مألوفة كشاب يرتدي بنطالًا باللون الكاكي وقميصًا أبيض اللون. لا شك أن هذا من تأثير بطاقته الجامحة. «مرحبًا كارل، كيف حال قائدك؟» بدا براون وقد انفرجت أسارير وجهه بابتسامة صفراء فعرف كارل أن براون يعلم بتغيُّب برانت عن موقع التصوير. حسنًا، ما زال يحظى براون بعلاقاته التي تجلب له الأخبار من كل مكان.

«هذا بالضبط مربط الفرس وأردت محادثتك بشأنه يا جاك».

أغمض براون عينيه قليلًا، «حتمًا قد جُنِنْتَ إن كنت قد فكرت في منحي الدور إذن يا كارل، هذا الآيص أشبه بوصمة العار، أقصد على سبيل المجاز».

«وأنا أعلم ذلك، إن تغيير طاقم التمثيل في الوقت الحالي أمر مكلِّف للغاية ومحفوف بالمخاطر، أريد أن أعرف السبب وراء تأخُّر برانت بروير عن الحضور إلى موقع التصوير في الموعد المحدد».

«كنت منهمكًا للغاية في العمل على شخصية «طرزان» حتى إنني لم أتقصَّ آخر أخباره».

«أنت مطَّلِع على دقائق الأمور هنا».

«لأنها الطريقة الوحيدة للاستمرار في هذا المجال! خذها من رجل عرَكته التجرِبة القاسية».

«لذا، كُن أنت معلِّمي».

«أنت تُبلي بلاءً حسنًا دون عون من أحد».

ما كان من كارل إلا أن عقد ذراعيه، فقد اكتسب خبرة كافية بحكم طبيعة عمله مع الممثلين تُمكِّنه من تمييز إذا ما كانت ردود أفعالهم تمثيلية أم حقيقية، سيشهد اليوم أن «جاك براون محتال هوليوود في حيرة من أمره».

لم يدُم الأمر طويلًا، أخرج براون إحدى بطاقاته، «حسنًا، الرجل الذي تبحث عنه هو إديسون هيل، يتردد على هذا المكان يوميًا بعد الظهيرة عقب الساعة الثانية».

قرأ كارل الاسم المكتوب على ظهر البطاقة: «معرض الحيوانات الغريبة «ميناجري»، رصيف سانتا مونيكا، هل هيل هذا سكير أم شاذ؟» فقد اكتسب الرصيف سمعة سيئة كممشى لمثليي الجنس، ومزارًا يتردد عليه جماعة الجوكر المقيمين في المدينة.

«لا هذا ولا ذاك، على حد علمي. لن يبادرك بلكمة في أنفك إذا دعوته لتناول مشروب الكوكتيل، هو على كل حال رجل عادي لديه بعض المعلومات أو يعرف كيفية الحصول عليها،

«ميناجري» ليس إلا مقرًّا لمكتبه».

لم يحدث في مرة من المرات أن الْتقى كارل ببراون دون أن يُنوِّه كارل أنه زميل في رابطة الآيائص، ولم تسعفه بديهته ليدرك عبث تنويهه، «كما تعلم يا جاك، يومًا ما، كل هذه الأجواء الجنونية ... ستنتهي. لذا، يجب أن نعمل سويًّا».

ابتسم براون ابتسامة نابعة من ودٍّ صادق ولكنها تشكِّك في اقتراحه، «فكرة رائعة، أليس كذلك؟»

♣ ♦ ♠ ♥

كاد أن يضيِّع الطريق إلى ميناجري. ويقع «ميناجري» على بعد مسافة ما من نهاية الرصيف، مطوَّقًا بلعبة الأحصنة الدوارة، تلك اللعبة المشبوهة في رصيف سانتا مونيكا، وتلتف من حوله الألعاب الكرنفالية وأكشاك الطعام وعروض المسوخ، كلها تقريبًا مملوكة للجواكر وتحت إدارتهم. بدا الملهى من الداخل معتمًا وضيقًا، تفوح منه رائحة البيرة المعتَّقة ونشارة الخشب القديمة.

كانت إحدى الجوكرات منغمسة في رقصتها الجامحة على خشبة المسرح الصغير بالملهى، ترقص بالجدائل المتدلِّية من حمالة صدرها البراقة وتتمايل بمؤخرتها على أنغام الموسيقى.

قال هيل: «أتردَّد على هذا الملهى منذ سنوات»، «لا أقوى على مقاومة الجمال الطبيعي». كان هيل نحيلًا، وطويلًا، يشبه في وسامته شخصيات فيلم «سكند بنانا»، وهو فيلم تجاري من الدرجة الثانية، ولديه شارب كشارب الممثل «ديك باول»، بدا كما لو أنه نشأ في منطقة نائية شرق لوس أنجلوس.

قال كارل: «أرى تردد الكثير من ... الأشخاص الرائعين على هذا الملهى».

أجابه هيل: «ربما يتشاركون ذوقًا مكتسبًا». كان اليوم قد دخل في فترة ما بعد الظهر، وليس هذا بالوقت الذي يكتظ فيه ملهى على الإطلاق، وكان الـ «ميناجري» شبه خالٍ من الزوار.

مع ذلك، كان جمال الراقصة الواقفة على خشبة المسرح يفتن القلوب.

سأل هيل: «ماذا تفعل في الأوقات التي لا تتردد فيها على هذا الملهى؟» كان مبعث سؤاله الاهتمام بالتفاصيل أكثر من الفضول المهذَّب.

قال هيل: «يمكنك مناداتي بالشبح» ثم أضاف: «كاتب شبح، كما أكتب أعمالًا وخطبًا مبنية على المشافهة، إلى

جانب أعمال أخرى، فضلًا عن تأليف القصص البوليسية لنشرها في المجلات الرخيصة».

«هل تجني دخلًا مناسبًا من كتاباتك؟»

«بعض هذه المجلات يدفع ما يكفي. وبالمناسبة، كنت ملتحقًا بالبحرية قبل الحرب، غير أنني قد ظهرت لديّ عُقَيْدات رئوية وعدتُ أدراجي إلى اليابسة».

«لم تعُد إلى الخدمة الفعلية أثناء الحرب؟»

«حاولت مرارًا، ولكن لم يوافقوا على عودتي». وضع هيل كأسه جانبًا وشبك أصابعه: «الآن، أخبرني كيف لي أن أساعدك؟»

حكى كارل في عجالة مشاكله مع برانت بروير: «أتعتقد أنه شيوعي؟»

«أشك في ذلك». سبق وأن تعرف كارل على شيوعيين خالصين في هوليوود. برانت بروير لا يمت لهم بصلة.

«أهو شاذ؟»

بسط كارل يديه، «حسنًا، إنه ممثل. بمعنى أن الشذوذ الجنسي احتمال واردٌ دومًا».

«حسنًا، لننحِّ هذه المسألة جانبًا». تلفَّت هيل يمنة ويسرة

بعفوية، ولما استأنف حديثه، تكلّم هامسًا حتى إن كارل بالكاد استطاع سماعه: «هذا يقودنا إلى التفكير في احتمال البطاقة الجامحة».

«لم تظهر أي علامات، لكن ...»

«سأتقاضى عشرين دولارًا في اليوم، وزد عليها مصاريف نفقاتي الشخصية، وستدفع لي أربعين دولار مقدمًا. في العادة أطلب نصف ذلك المبلغ، ولكن بما أن المسألة تنطوي على بطاقات جامحة ...» أومَأَ هيل بيده نحو ساكني الميناجري.

«لا بأس». أحصى كارل أربع ورقات نقدية من فئة العشرة دولارات ورقة ورقة.

«سأوافيك بتقرير مفصل، أين يسكن بروير، وفيمَ يقضي يومه، ماذا الذي هو بصدده، ومع من، وإن لم يعجبك المحتوى، فستُعجَب بالأسلوب».

اتفقا أن يلتقيَا في المقهى الواقع في فرانكلين آند ويسترن في صباح اليوم التالي في تمام الساعة الثامنة، وفي حال أن هيل أراد التحدث إلى كارل من أجل مسألة عاجلة، فسيتصل بالمكتب ويعرِّف عن نفسه باسم «السيد إدواردز»، أما إذا أراد كارل التحدُّث إلى هيل، فعليه الاتصال بخدمة استقبال

المكالمات.

مد هيل ذراعه مجتذبًا قبعته ونزل من على مقعده، ثم عدل مظهر سوار أكمامه وياقته، وقبعته الفيدورا بريم. رفع إصبعيه لامسًا طرف قبعته ملقيًا التحية على كارل أثناء مغادرته.

♣ ♦ ♠ ♥

انتهت أعمال الإنتاج في تمام الساعة السابعة مساءً، أي بعد الموعد المحدد بساعة واحدة؛ مما يعني مضاعفة أجر طاقم العمل مقابل الساعة الإضافية، وذلك بفضل تأخر بروير، ولكن في ظل احتمال حضور السيد دان - ممثل شركة «كيلوجز» - في أي لحظة، آثر كارل أن ينأى بنفسه عن أي مواجهات أخرى، وأخذ هاتف أبيجيل لطلب سيارة أجرة.

كان يسكن في شقة من طابقين تقع في منطقة التلال المطلة على هوليوود، كانت صاحبة الشقة ممثلة سينمائية في الأفلام الصامتة تدعى إستيل بلير، لكنها اعتزلت على غير رغبتها بعد ظهور السينما الناطقة، لتظل هكذا مركونة على الرف إلى الأبد بفضل البطاقة الجامحة، التي جعلتها امرأة غير مرئية، وكأنها طيف خيال له نبرة أنثوية، لا يمكن الاستدلال على وجوده إلا من معطف طويل ونعلين لا يسكنهما جسد.

كان كارل قد رأى صورة لإستيل في زمن السينما الصامتة. كانت شقراء، ممشوقة الساقين، ممتلئة الشفتين، شابة متحرِّرة وفاتنة. تساءل كيف تبدو الآن، وهي في الخمسينيات من عمرها؟

هل كانت تعلم أصلًا كم هي جميلة؟

عُرِف عنها أنها صلبة المراس ... لكنها تُلين الجانب عندما يتعلق الأمر بكارل. كانت حريصة على استقبال كارل لمَّا وصل. قالت: «أنت غارق في عملك». «هل تناولت عشاءك؟» «نعم، في الأستوديو». أراد للكلمة أن تبلغ مسمعها، حتى وإن لم تطأ قدمه موقع الأستوديو في ذلك اليوم.

لم يكن يرغب في قبول دعوة العشاء رغمًا عنه، ولا في العثور على إجابة لتساؤل يراوده عن تحول الطعام من مرئي إلى غير مرئي وهو في طريقه إلى جوف إستيل.

استلم بريده، دون أن يراجعه، وعاد إلى الداخل.

كان أثاث الشقة في غاية البساطة على قدر ضروريات الحياة كما هو الحال في أستوديو مكتب كارل. أريكة، وطاولة تقترب من الأرض، وبضعة كراسي. كانت غرفة النوم في الجهة المقابلة بذات القدر من الرداءة، وكذلك كان المطبخ.

بخلاف أنه يستقل سيارة الأجرة مرتين يوميًا، كانت الميزة الوحيدة التي حازها كارل بحكم منزلته كمنتج هي إصدار أكبر تلفاز في السوق، جهاز من طراز Zenith X2552 مقاس ١٧ بوصة، مزوَّد بوحدة تحكم. وقد حرص على مشاهدة المشاهد النهائية لمسلسل كاثود من خلال شاشة بالحجم نفسه أو حتى أصغر، فالجمهور سيتابع المسلسل على شاشة مماثلة.

اعتاد كارل أن يشغِّل التلفاز فور دخوله منزله ... لم يكن مجرد جهاز يقتات من وراءه فحسب، بل أصبح الآن رفيقه معظم لياليه.

ولكن قبل أن يتسنى لكارل تشغيله، رأى في بريده رسالة واردة من هيرب كرانستون، المدير السابق للعمليات في «وايت ساندز» – أول شخص يحظى بلقاء الدكتور تاكيون وجهًا لوجه – كان متواجدًا في المدينة هذه الليلة، يدعوه فيها لتناول العشاء في مطعم موسوس في الثامنة مساء.

نظر كارل إلى ساعته متحريًا الوقت، كانت الساعة الثامنة والنصف مساءً، وكان المطعم يقع على مقربة من سكنه.

طلب سيارة أجرة.

♣ ♦ ♠ ❤

«آخ، لولا السيد كامبين».

كان كارل قد دخل المطعم من مدخله الخلفي. تجول بعينيه سريعًا في أرجاء صالة الطعام بحثًا عن هيرب كرانستون. تبدو مهمة معقَّدة؛ بالنظر إلى طاولات الطعام المنزوية داخل المقصورات. كان خبير الصواريخ جالسًا على المنضدة، وأمامه بقايا ما بدا أنه عشاء دسِم؛ قالب من اللحم المفروم وكأس أو ثلاثة من عصير الكوكتيل. «لم أتنبه إلى رسالتك في بريدي إلا منذ لحظات».

«هل تناولت عشاءك؟»

«أجل».

«حسنًا، ما زالت الأجواء هنا تروقني، على الرغم من كثرة ما ورد على مسامعي من أقاويل عن جواكر سانتا مونيكا».

«يجدر بهم أن يضعوا لافتة ويكتبوا عليها «جوكرلاند»». استغرق الأمر من كارل بضع توانٍ حتى أدرك أن كرانستون كان جادًّا في أمر استكشاف الجانب المظلم من حياة الجواكر، ذلك الجانب الذي لا يُرجى خيره. عادة ما يُحجِم كارل لعلة جهله بالأمور أو الوقوع في المحظور. لقد زار الرصيف بضع زيارات، تستنكف نفسه عن تكرارها، فهناك بائعات الهوى الجوكرات اللاتي يركبن لعبة الأحصنة الدوارة،

يطلبن الرجال المارّين بالرصيف، ووجوه مرعبة تقف خلف الأكشاك، تبيع هدايا تذكارية رخيصة وأطعمة مقلية، وشجارات تقع بين أعضاء عصابة الجوكر تصل إلى حد إشهار السكاكين.

تختلط البشاعة وقلة الحيلة والمخدِّرات بروائح مياه مالحة وشحوم زنخة وأسماك نافقة.

أسفرت هذه الليلة عن تغيُّر في عاملين اثنين: أن كارل كان يتوق لمقابلة كرانستون، وأنه يعرف أحد ملاهي الجواكر.

♣ ♦ ♠ ♥

إنه لمن المُستغرَب زيارة مكان مثل الـ «ميناجري» مرتين في العمر، ناهيك من يوم تقضيه فيه.

بدا رصيف سانتا مونيكا فاتنًا أكثر في الليل، بأنواره الملوَّنة البرَّاقة والموسيقى المنبعثة من لعبة الأحصنة الدوَّارة. اختلطت جموع مناصري التحرير الوطني مع الجواكر، يأكلون شطائر الآيس كريم والنقانق بينما يتجوَّلون بين الألعاب والملاهي وعروض المسوخ.

بداخل الملهى، كانت الجوكرات الراقصات أكثر جاذبيةً بشكلٍ ما، أو ربما فقط أكثر تنوعًا وعددًا. قال كرانستون مازحًا: «هذا يضفي معنًى جديدًا على مصطلح «الراقصات

الاستثنائيات»». كان يحب التلاعب بالكلمات. أثناء الفترة التي قضاها مع كارل في «وايت ساندز»، كانت إنكليزية كارل بدائية جدًّا، وكان من الصعب عليه فهم معظم نكات كرانستون، ولم يعد ذاك العذر مستساغًا الآن.

كان الحشد في الملهى كبيرًا، بالنسبة لليلة في منتصف الأسبوع، أو هكذا ظنّ كارل؛ إذ لم يكن الرصيف وحياة الليل التي يشهدها من بين خبراته.

اعتلت المسرح ثلاث راقصات يطلقن على أنفسهن «الفتيات الأمريكيات»، ملوّنات بالأحمر والأبيض والأزرق على الترتيب، ومتّشحات بأزياء العَلَم الأمريكي، بينما اقتربت من طاولة كارل وكرانستون فتاة قطة مثيرة، ترتدي فراءً مرقّطًا وذيلًا مهتزًّا. قالت لهما: «أتوَدّان بعض الرفقة؟»

فأشار لها كرانستون بالابتعاد، وبدأ بالحديث عن عمله: «بدأت الأمور تنشط أخيرًا في قاعدة توملين».

ردّ كارل: «أما تزالون تحاولون فهم أسرار تاكيون؟ هل يُعقل إجراء هندسة عكسية لمركبة تاكيونية؟»

أجابه كرانستون: «قطعًا لا! ليس لدى رايت فيلد أمور أفضل يفعلونها ... دعهم يضيّعون وقتهم!» رفع كرانستون صوته حتى صار أقرب إلى الصياح، مدفوعًا بحماس السكرة،

وبالحاجة إلى أن يُسمَع وسط الصخيب، ثم قال محرَجًا بصوت أهدأ: «كارل، لقد عدنا للعمل على تصاميمنا الخاصة ... وتقطيع المعادن. راقب السماء، فقريبًا جدًّا سترى في عَنانها مركبات صُنعت في الأرض». وأخذ رشفة أخرى من شرابه ثم ابتسم، «مثل مركبتك ستراتوجت الصغيرة تمامًا».

ردَّ كارل: «تهانيَّ».

واستطرد كرانستون: «يعمل لدينا بعض أصدقائنا من وايت ساندز، من بينهم ويلي لي حتى».

كان لي قد رحل عن ألمانيا قبل الحرب، واشتهرت كتاباته في الصحف عن الصواريخ، ولهذا سعى كارل لضمِّه للعمل لدى كاثود.

«لكنك أنت من نحتاجه حقًّا، لقد كنتَ أفضَل فردٍ واحدٍ من بين المجموعة».

ردَّ كارل: «أنت مخطئ بقدر ثمالتك يا صديقي، هذه «المجموعة» شملت فون براون ورودولف ودورنبيرجر، وغيرهم الكثيرين ...»

قاطعه كرانستون: «لم أعنِ أفضلهم من حيث الإنجازات، نحن نعرف أنك انتقلت إلى بينيموند بعد تخرجك من الكلية مباشرةً، في حين لم يستطع أحدنا الخروج من عتبات وايت

ساندز، خاصةً بعد مجيء بيبي».

كان كرانستون وفون براون وبعض المهندسين النازيين سابقًا قد تلقَّوْا أوامر بمقابلة تاكيون ومركبتهم التاكيونية الشبيهة بالقوقعة عندما حطَّت في وايت ساندز، أما كارل والبقية، فقد أبقَوْهم بعيدًا، منشغلين بالتمارين الرياضية، ودروس الإنكليزية، والتقارير التي لا تنتهي.

سأل كارل: «هل كلَّفك ويلي بهذا؟»

فهزَّ كرانستون كتفيه، قائلًا: «قال إن علينا أن نطلب منك هذا فقط».

ردَّ كارل: «لم يكن ينبغي أن يفعل هذا دون إخباري».

فتكلَّف كرانستون ابتسامة وأجاب: «كان سيحرمني عندها فرصة مفاجأتك!»

كان ثملًا جدًّا لدرجة أنه بدأ يصبح عاطفيًا، وتذكَّر كارل أنه يُفرِط في شرب الكحول. «أنا وأنت، محظوظان للغاية ... لم نُصَب أبدًا بفيروس البطاقات الجامحة».

ردَّ كارل: «أجل».

في واقع الأمر، كان الفيروس قد أصاب كارل فون كامبين. في عام ١٩٤٧، كان كارل قد تبع والتر دورنبيرجر إلى

قاعدة بيل الجوية في بافالو، وكان غارقًا في أعمال إعداد التصاميم المُمِلَّة لقاذفة قنابل لم تكُن على الأرجح ستُصنَّع يومًا، وعندها أُصِيب بما ظنَّه الإنفلونزا، أو هكذا كان يأمل، ثم تعافى بعد أيام من الحُمَّى والهذيان، ليكتشف أن قدرته على الرؤية تغيَّرت.

كان مصابًا من قبلُ بقصر النظر إلى حدِّ العمى تقريبًا، أما الآن فقد أصبح قادرًا على النظر للأشياء عن قرب حتى المستوى المجهري، أو عن بُعد بمستوى يماثل أفضل التليسكوبات. فقد أصبح يمتلك فوكوس.

إلَّا أن قدرته تلك كان لها عَرَضٌ جانبي، فبعد استخدامها، كانت عينا كارل تشتعلان بلون أحمر شيطاني لعدة دقائق. ظنَّ في البداية أنه عَرَضٌ مؤقت ... لكن بعد بضعة أسابيع، وبينما كان يعاني لإتقان «موهبته» الجديدة، أدرك أنه أثر دائم على الأرجح، علامة على مكانته كآيص، وبدأ منذ ذلك الحين في ارتداء النظارات السوداء.

كره كارل العمل في قاعدة بيل، وكره بافالو أكثر؛ ولهذا قرر أن يسعى إلى تحقيق أحد أحلام حياته، فكتب رسالة إلى مخرج الأفلام الشهير فريتز لانج، صانع أول فيلم عن الصواريخ في العالم، فيلم السيدة على القمر.

كان لانج صديقًا لدورنبيرجر، وكان ليِّنًا تجاه علماء

الصواريخ الألمان المنبوذين مثل كارل فون كامبين، وعرض المخرج أن يمنح كارل توصية في حال انتقل يومًا إلى لوس أنجلوس ...

حزم كارل ممتلكاته جميعها، وانتقل إلى هوليوود الأسبوع التالي، وهناك، جعلته فوكوس عنصرًا نفيسًا لأي فريق تصوير، وترقّى في المناصب من مساعد إلى متعهِّد تشغيل فمصوِّر سينمائي فمنتج، ثم عمل على كاثود.

قبل أن يتمكن كارل من تحديد تأثير كذبته على كرانسون، عادت الفتاة القطة، وسألت كرانستون وهي تجلس في حضنه: «هل ستتعاملان بودٍّ أكثر الآن بعد ما أُزيل التوتُّر فيما بيننا؟»

بدا كرانستون أكثر تقبُّلًا لها، وقال: «أنتِ مثابرة في العمل، ألستِ كذلك؟»

فأجابته: «ما تحمله هذه الكلمة من معنى محل تساؤل لديَّ، نعم أنا مثابرة». ثم عضَّت أذن كرانستون، وعلامات الاستمتاع بادية عليه، وأكملت حديثها قائلةً: «وأنا أحب الأشياء الكبيرة».

وجد كارل نفسه مستمتعًا كذلك بألاعيب الفتاة القطة، وقد لاحظت اهتمامه.

نظرت الفتاة إليه قائلةً: «أنت أظرف من أن تبقى وحدك أيها الوسيم، أترى حولك شخصًا تَوَدُّ مقابلته؟»

فأجابها: «ليس حاليًا، شكرًا لكِ».

هرهرت الجوكرة ضاحكةً، وقالت: «آه، أنت خجول. ماذا تفعلان على أية حال؟»

أجابها كارل: «إنه عالم صواريخ»، كان يحاول صرف انتباه الفتاة القطة عن نفسه إلى كرانستون.

ولم يُرِدْ كرانستون أن يتفوق عليه كارل، فقال: «أمامكِ هنا كارل، منتج القائد كاثود».

رغب كارل في قتله. كان المزاح في ملهى للجواكر أمرًا هيِّنًا بالمقارنة مع أن يتعرَّف أحد عليه في هذا المكان.

على الجانب الآخر، بدت الفتاة القطة مسرورة، وقالت: «إذن أنت تعرف برانت وجين!»

فأجابها كارل محاولًا إخفاء دهشته: «أعرفهما جيدًا، أتعرفينهما أنتِ؟»

أجابته: «بالطبع! قال جين إنه سيحاول إشراكي في العمل على المسلسل! تورك بحاجة لفتاة، ألا تراني مناسبة؟ الأطفال يحبُّون القطط والكلاب، وتخيَّل مقدار ما سيوفِّرونه من

تكاليف المكياج!» وضحكت بصوت أجش، ثم استطردت: «أنا أعمل هنا لأدفع الإيجار فقط، أنا ممثِّلة في الواقع».

بالطبع هي كذلك، وعرف كارل أيضًا أي نوعٍ من الممثلات كانت، فقد سمع أن سوق أفلام الجواكر البذيئة تكتسب المزيد من الشعبية. قال كارل: «لم أعرف أنهما زبونان دائمان هنا، كم مرَّة يأتيان؟» ركَّز كارل على وجهها السنوريِّ الجميل ... ولاحظ قطرات العرق المتلألئة على شواربها ... وارتفاع حاجبها ... وفمها المفتوح قليلًا. علاماتٌ كهذه على أحد مناصري التحرير الوطني تشير بوضوح إلى التردُّد، أو الخوف.

أدركت الفتاة القطة فجأةً أنها تفوَّهت بأكثر ممَّا ينبغي، فأجابته: «لا أظنهما «زبونين دائمين»، إنهما فقط ... رجلان قابلتهما، أستميحكما عذرًا». ثم انزلقت عن حضن كرانستون.

لم يبدُ عالم الصواريخ منزعجًا من رحيلها، وقال: «ستكون رحلة العودة إلى موهافي طويلة».

«في هذه الحالة، ستغدو محظوظًا أن تصل إلى لانكيرشيم».

ساعد كارل كرانستون في النزول إلى نهاية مرفأ السفن حيث كان هناك صف من سيارات الأجرة في الانتظار، ترك

زميله السابق في فندق روزفلت، وطلب من سائق السيارة الأجرة بعد ذلك أن يتجه إلى شارع هوليوود إلى جوير، ومن هناك بدأ في السير. فقد كانت المسافة أقل من ميل، مباشرةً من جوير إلى سينيك، ثم بضع مباني شرق بيتشوود، وهو بحاجة إلى وقت ليفيق. وقت ليفكر.

بإمكانه مواصلة عمله في إنتاج حلقات مسلسلات الأطفال حتى وفاته.

أو أن يصبح طي النسيان، وبإمكانه أيضًا بيع حصته في مسلسل كاتود إلى شركة «كيلوجز» واستخدام ثمنها في تدبير أمور معيشته، وأن يُكفى شر قصص الآيائص السخيفة الخبيثة التي خُدع بها البلهاء.

أو يقبل بعرض كرانستون ويعود إلى أعماله الحياتية، ولكنه قد يعجز عن فعل ذلك حتى يحل مشكلة برانت برويرز، وكان نجمه يتسكَّع في حانة جوكر، وهو ما قد يفسِّر تزايد مرات السهر حتى أوقات متأخرة من الصباح، لكن ما الذي يفعله جين أولكيويتس معه؟ وإلى حدٍّ علم كارل، فلم يكن الاثنان سوى مجرد زملاء، ومن المؤكد أن أولكيويتس لم يكن يصل متأخرًا ...

وفي زاوية جوير وفرانكلين، توقَّف لاستعمال هاتف عمومي، فقد ترك رسالة عاجلة لإديسون هيل.

وفي الثامنة والنصف من صباح اليوم التالي، كان كارل ما يزال جالسًا في المقهى في فرانكلين وويسترن، وفي نفسه نشوة نزهة الليلة الماضية مستمتعًا بشروق الشمس والتمرينات التي يؤدِّيها للتخفيف من حدة صداع الخمر في رأسه، وسار كارل مشتاقًا إلى سماع ما عرفه إديسون هيل، لكن إديسون لم يظهر.

وكل ما استطاع فعله هو الانتظار وقراءة أخبار متابعة هيرالد عن قاتل ميدوسا، وقد كان هناك سبعة قتلى على مدار الأشهر العشرين الماضية، وكل الضحايا من الذكور، وتتراوح أعمار كل الجواكر بين الخامسة والعشرين والخمسين، ولم توجد صفة معينة تميز الضحايا: فلا يوجد بينهم أحد من المنبوذين ومعاقري الخمر والشواذ، فقد كانوا مواطنين أهلًا للثقة كأي جوكر تتوق نفسه لذلك، فمنهم المحاربون القدامى والمحامون والمحاسبون وكتَبة السجلات والميكانيكيون ورجل يدير محطة وقود في جلينديل ورجل إطفاء سابق وزوجان من المعلمين السابقين اللذين فقدَا وظائفهما عندما تحوَّلت بطاقاتهما (يرفض أولياء الأمور اقتراب الجواكر من أطفالهم).

ولم يُلقِ كارل بالًا لأيٍ من ذلك، فكل ما أرادته نفسه أن

تأتيه معلومات عن برانت بروير ذلك الوسيم الجذَّاب الساحر، الذي يحمل مفاتيح مستقبل كارل.

في تمام التاسعة، ضاق ذرعًا بالانتظار فأسقط دولارًا في العداد واستدعى سيارة أجرة، ولقد أعطى الرجل الذي الْتقى به في حانة جوكر أربعين دولارًا! فقد كان يجب أن يتحدث إلى جاك براون في المرة التالية.

أبغض ما يكون إلى قلب كارل فون كامبين الشعور بالحمق.

♣ ♦ ♠ ♥

أنزلته سيارة الأجرة، كالعادة، عند البوابة الأمامية، وما أثار دهشته مقابلة أبيجيل له في ساحة انتظار السيارات، ونظر إليها عبر نظارته قائلًا: «لِمَ فارقتِ المكتب؟»

فأجابت: «لأن سول جرين ينتظرك».

«دعيني أخمن ...»

«برانت متأخر كعادته».

بدأ كارل يشعر بألم في رأسه، وهذه المرة لا لوم عليه من تناول الخمر الليلة الماضية، «هلَّا سُقتِ إليَّ أخبارًا سعيدة!»

«لقد عثروا على فتى ميت في بحيرة سيلفر الليلة الماضية، حُوِّل إلى حجر يا كارل».

«فلو غاظني سول جرين، سيجد نفسه متحجِّرًا في بحيرة سيلفر، اطلبي منه أن يقابلني في موقع التصوير».

لم ينتظر كارل ليواجه الوكيل العملاق في مكتبه، وكان لزامًا عليه أن يؤكد على كورشاك متقلب المزاج أنه لن يُلام على التأخير، وكانت منطقة انتظار سيارة برانت بروير، بكل تأكيد، ما تزال فارغة، لكن إلى جانبها كانت سيارة الهدسون هوليوود ذات البابين اللامعين، وهي نوع من السيارات يرغب كارل في شرائه، فإذا ما اشتراها، فإنها تخص سول جرين، الذي استطاع بطريقة ما أن يصل إلى المسرح الصوتي في الوقت الذي وصل فيه كارل، فقال جرين: «سيكون الأمر داعيًا إلى الإثارة مرةً أخرى اليوم».

تحلَّى كارل بقليل من الصبر على أفعال جرين وحديثه، «لمَ أنت هنا وعميلك لا؟»

«يعاني برانت من مشكلات شخصية، أقصد طبية».

«ولذلك ذهب إلى المستشفى».

«فحياته الشخصية ليست في خطر بعد».

«بل حياته المهنية».

أخذ جرين بذراع كارل وحرَّكه قليلًا عدَّة خطوات.

«كارل، لم نكن أنا وأنت أبدًا على علاقة صداقة جيدة».

«في الحقيقة تجاوزنا بالكاد مرحلة العدو اللدود».

«لكن ذلك عمل يقوم على الصداقات، وبعضها غير محتمل مطلقًا».

«فهل تود أن تكون صديقًا يا سول؟ أذلك كل ما في الأمر؟»

«ليس شخصيًّا، لكن ما مدى فهمك للممثلين يا كارل؟»

«أدفع لهم أموالًا طائلة ليظهروا ويقولوا جملهم، ماذا أيضًا يلزمني معرفته؟»

هزَّ الرجل الضخم رأسه، كما لو كان أمامه صبي يقوِّم سلوكه، وقال: «أفضل هؤلاء حالًا تجده شخصًا تافهًا، وفريسة سهلة يقتنصها لهث وراء مشاعر أو موضة، فيكون التحول إلى شخصيات أخرى هو ما يجعل حالهم أفضل».

«لذلك فقد أثَّر برانت بعض الشيء في شخص دائم التأخُّر».

«لا، أنا أقول إنه يحتاج إلى الفهم والمرونة».

«إننا بالفعل نعيد ترتيب كل يوم آخر من أيام التصوير يا سول، فهل جرَّبت من قبل هذه النظرية على هارولد دان؟

فلا أعتقد، بطريقة ما، بأن راعينا الجديد سيكون على علم بالعروض المتأخِّرة أو غير الموجودة!»

«فأنت لا تريد أن تُقحم «كيلوجز» في ذلك، فهي الوحيدة المهتمة بالأموال».

«وأنت ماذا؟ تؤثِر على نفسك مرضاةً لغيرك؟»

«أنا صديق برانت بروير، وأطلب منك بوصفي شخصًا تود إقامة علاقة صداقة معه، أن تتوقف عن ذلك النقد الذي تنفثه، ثم قال له بأسلوب بشع: «توقّف عن متابعته».

«انتهينا من ذلك يا سول»، وصل كارل إلى باب المسرح الصوتي، ولم يمنعه من فتحه سوى الضوء الأحمر الذي يحذِّر بأن الكاميرات كانت تدور.

«كيف تفضل ذلك يا كارل، ألا توافق على أن ذلك ما يزال وقتًا غير مناسب أن تجعل حياتك الخاصة معلنة؟ ما تأثير ذلك على حياتك المهنية؟»

حدَّق كارل في العميل قائلًا: «لا تهددني».

ابتسم جرين ومدَّد يديه وقال: «كل ما أرغب فيه هو تقديم بعض النصائح الودية»، وبدأ يدور حول كتفه قائلًا: «وبالمناسبة، نظارتك تضفي لمسة رائعة على أناقتك».

توارى كارل في الملاذ المظلم لموقع تصويره ويداه ترتجفان ومعدته تؤلمه.

فقد عرف سول جرين سرَّه.

♣ ♦ ♠ ♥

عندما ظهر بروير قبل الغداء مباشرةً، ارتدَّ كارل إلى مكتبه بعد أن أصدر أوامر بألَّا يزعجه أحد، وكان الهواء به دخان واضح من بعض ألسنة النيران المشتعلة في التلال، ويصدر صوت صفارات إنذار بعيدة، لكن كل ذلك لم يحرِّك من أعصاب كارل ساكنًا.

لكنه كان يشعر بلطف أكثر تجاه إديسون هيل في هذا الوقت، فعلى الأقل تراجع عن نعته بأنه رجل مخادع، وما كان لجاك براون أن يوصي بأحد كهذا.

وفي لحظة اندفاع، أمر أبيجيل أن تعثر على عنوان منزل هيل ورقم هاتفه، فقد كان لا يطيق الانتظار.

حاول، بعد ذلك، أن يغمس عقله في نصوص كاتود التالية، لكن اجتمع عليه قلقه من بروير وجرين و«كيلوجز» مع الابتذال الصِّرف لآخر أحداث القصة، إلى جانب الصوت المجلجِل المخدِّر لمكيف الهواء، وحوَّلوا شعوره إلى الإحباط وقلة السعادة.

فكَّر في علاقته مع برانت بروير، فلقد رأى ببساطة ممثلًا وجهه برّاق ٨ بوصة × ١٠ بوصة إلى جانب قائمة قصيرة من مقدمات الأفلام التي تراوحت من الأفلام الثانوية في برودواي إلى البرامج التلفزيونية المباشرة وقليل من الظهور ضيفًا في غيرها من المسلسلات التلفزيونية لزيف، وبدا بروير ذو الشعر الأسمر والعينين الزرقاوَين في مظهر البطل، وفي جولة تجارب الأداء، أظهر أنه يمكن أن يظهر بمظهر البطل أيضًا.

أُبرم اتفاق من خلال سول جرين قبل أن يجري كارل وبروير حديثًا، وأفضى تزمُّت إنتاج الحلقات منخفضة الميزانية التي مدتها تزيد على مائة وخمسين دقيقة في كل موسم من الموسمين التلفزيونيَّيْن إلى استحالة التقدم إلى ما هو أبعد من ذلك، فلم يكونا أبدًا صديقين ولم يقتسما لقمة أو شربة ماء، ولم تكن اللقاءات الاجتماعية إلا في حفلات العطلات من حينٍ إلى آخر.

ولم يعرف إلا القليل عن أحوال طاقمه، وكان أولكيويتس عميلًا آخر لجرين، كما تذكر كارل، الذي أدّى تجربة أداء الشخصية، وكان يرتدي قناع الكلب.

لم يكن لدى كارل مانع في التعرف إلى دوتي دويل على نحو أفضل، لكن الآيص الخاص به عقَّد حياته العاطفية،

وحوّلت الفوكوس الدوافع الجنسية الطبيعية إلى شكل غريب من أشكال التلذُّذ باسترقاق النظر، وإلى جانب ذلك تراجع كارل عن دور المنتج المستغِل للممثلات.

بعد أن أدرك أن الساعة تقترب الآن من الخامسة مساءً ومعدته خاوية، تجوّل في المكتب الخارجي ووجده فارغًا إلا من ورقة عليها عنوان منزل إديسون ورقم هاتفه، وعبارة «جربت الاتصال بهذا الرقم لكنه خارج نطاق الخدمة».

كان كارل مغتاظًا من تغيب أبيجيل حتى تذكَّر شيئين: أنه أعطاها إذنًا بالمغادرة لحضور موعد طبي، وأن ذلك كان موقف إديسون هيل الذي لم يثر أعصابه.

في أفضل التقاليد الألمانية، قرر أن يتخذ قرارًا.

كان عنوان ٨٧٧٧ لوك أوت ماونتين، مصادفة مذهلة: فقد كان فريتس لانج يعيش في لوك أوت ماونتين حينما زاره كارل منذ قرن، وكان الموقع يبعد أقل من خمسة أميال عن أستوديوهات القائد كاتود، لكن استغرق الأمر ساعة للوصول إلى هناك، فالطريق جنوب لوريل كانيون كان مسدودًا بسيارات الإطفاء في مولهولاند درايف.

اقترح سائق السيارة الأجرة التي كان يستقلها كارل أن

يسلك طريقًا بديلًا، يدورون فيه حول ثلاثة جوانب من ميدان وينزلون إلى وودرو ويلسون ثم يمرون عبر طريق ضيق جانبي ثم يرجعون صاعدين إلى لوريل من الشمال.

سَدَّت العديد من سيارات الإطفاء تقاطع لوريل كانيون ولوك أوت ماونتين ولكن كان من الممكن السير بجانبها مباشرة على الطريق الضيق.

على الرغم من ذلك، بعد تجاوز العديد من المنعطفات، وصل سائق السيارة إلى حاجز الطريق الأخير الذي تقف فيه ثلاث من وحدات شرطة لوس أنجلوس، وتوجَّه الضابط إلى كارل قائلًا: «هذا آخر ما يمكنك الوصول إليه».

«أنا مقيم»، فأبغض شيء إلى قلبه الكذب، لكنه أراد أن يصل إلى منزل هيل، «صديقي، إذا كنت تعيش هنا، فيجب أن تتصل بوكيلك التأميني، فقد اندلعت النيران في أربعة منازل ولم نسيطر على الحريق بالكامل».

نزع كارل نظارته وأمعن النظر في الطرق، ووجد أن العديد من مساكن الوادي فيها شيء من الغرابة، فالمباني العمودية المبنية على الأشجار، قد تحطَّمت أو التُهمت التهامًا، وكانت الأشجار في الوديان أجذالًا تتصاعد منها الأدخنة، حتى علامات الشوارع كانت يعلوها السواد «لكن سيارات الإطفاء كانت بالأسفل عند لوريل».

حدَّق الضابط في كارل وقال: «يجب أن تحوِّل وجهتك سيدي فالدخان ضار بعينيك».

حاول كارل أن يصعِّد الموقف لكن سائقه رفض ذلك، وبعد الانعطاف بالسيارة انعطافًا قاسيًا أمام أعين العديد من أفراد الشرطة، اتجه السائق عائدًا لأسفل الطريق، فقال كارل: «هنا»، بمجرد أن تواريا عن الأنظار.

أعطى السائق أجرته، ثم بدأ في المشي متجهًا صوب منزل إديسون هيل، كما يُعرف.

أتاحت إحدى الطرق الجانبية الشبيهة بالشبكة لكارل أن يُجانب الحاجز والتسلُّق بمحاذاة لوك أوت ماونتين، ووجد نفسه يبرز من أوراق غير محترقة مطلًّا على المكان.

يقع على المنحدر الذي تحول لونه إلى الأسود أعلى ما يُسمَّى ٨٧٧٧ لوك أوت ماونتين شيء غريب، فقد كانت كتلة حجرية بدت، من خلال فوكوس كارل، أنها تمثال لرجل يرتعد خوفًا، شاربه رفيع.

♣ ♦ ♠ ♥

كان سيرًا طويلًا وخانقًا في لوريل كانيون بعبور شارع هوليوود (الذي لم يوجد به سوى منازل في أقصى الغرب)

حتى الغروب، وقصد هناك شوابس لطلب سيارة أجرة.

بمجرد أن وصلت السيارة واتجهت به شرقًا تجاه المنزل، فكَّر في إخبار السائق أن يستدير إلى الشمال تجاه قاعدة توملين الجوية.

ضاق كارل فون كامبين ذرعًا بهوليوود، وبينما يصعد الدرج إلى منزله ذي الطابقين، شَمَّ رائحة عطر الياسمين المنعش، وذلك تحسن كبير مقارنة برائحة دخان لوريل كانون ورمادها، وأنعشته نسمات الهواء الباردة، فتوقف ونظر خلفه، ومثلما فعل، ركَّز مرة أخرى، باختياره دون إكراه، وكوفئ بسلسلة من الصور من القريب والبعيد؛ طائر يقف على سلك الهاتف، وكرة يركلها طفل الجيران في فناء صغير تتوقف قبل أن تصل، ونفخة من دخان تنبعث من سيجارة تهبط إلى بيتشوود، ومجموعة من البعوض حول ضوء الشوارع، وعلى جانب التل يوجد ذئب براري محدَّب، وكل ذلك موصول بأربطة الخرسانة المشققة والخضرة والمجاري وسيارات متحركة غير واضحة المعالم.

حتى لو تبيَّن أن جرين أو برانت بروير هو قاتل ميدوسا، فلقد واجه كارل صِعابًا أشد وطأة، فلقد بنى الصواريخ، ونجا من قصف بريطاني، وشهد البطاقة الجامحة، وحوَّل نفسه إلى منتج في هوليوود!

يمكنه بكل تأكيد أن يجد سبيلًا إلى كبح جماح برانت بروير.

وهو في وسط الطريق إلى بابه الأمامي، أمسك به أحدهم، يد أمسكت بمرفقه، يد غير ظاهرة، وقالت إيستل بلير: «غد».

لقد كان من الصعب أن يستدير عن غير قصد وهو يحاول أن يجد مكان المهاجم المحتمَل، ولم يكن كارل متأكدًا من النجاة حتى نزل إلى الرصيف دون أن يشعر بنصل سكين أو طلقة في ظهره.

وقال: «إيستل ...»

«وراءك مباشرة».

«ماذا يجري؟»

«رجلان قبيحا المنظر يرتديان ملابس كثيرة في الجو الحار، وبدأ الاثنان يتسللان منذ نحو ساعة، وسمعتهما وانسللْتُ من المكان، إذا كنت تعرف ما أقصد».

كان كارل ما يزال قاطعًا طريقه عائدًا إلى بيتشوود تجاه محل البقالة في الزاوية وقال: «لقد فهمت المقصد».

«أعتقد أنهما كانا سيتبعانني إلى الداخل، فأحدهما كان يحمل سلاحًا ناريًا».

دارت السيارة، وبعد لحظات، نزل هودسون هوليوود إلى شارع كارل وانعطف بسرعة جنوبًا صوب بيتشوود.

كان يقبع رجلان يرتديان قبعتين ومعطفين في الداخل، أحدهما يشبه في ضخامته سول جرين.

«هل تواجه نوعًا ما من المتاعب يا كارل؟»

«على ما يبدو»، وقد شعر بغثيان وخوف عند الأنقاض المحروقة لمنزل إديسون هيل، وفي هذه اللحظة انتابته حالة من الخوف الحقيقي، فمن قتل هيل، أيًّا كان شخصه، قد ارتبط بهم بطريقة ما.

«ربما لا يمكنك الرؤية جيدًا بنظارتك».

«ربما»، فمن المحتمل أن إيستل عرَفت سره أيضًا، فلربما كانت تتجسس عليه في السنوات الثلاث الأخيرة، فمن السخافة اختيار صاحبة ملك كانت الوحيدة المحصَّنة من الفوكوس.

«حسنًا، فوالدي، رحمه الله، الذي عاد من آيوا كان لديه أسلوب للتعامل مع المزعجين، أن تجعل ضربتك هي السابقة».

قال كارل: «أتفق معكِ تمامًا يا إيستل».

♣ ♦ ♠ ♥

عاش برانت بروير في بريكسل أفينيو، لا يبعد كثيرًا عن سوق فارمر وجيلمور فيلد شمال ويلشير ميريكل ميل.

توقفت سيارة الأجرة في جيلمور فيلد حيث كان يلعب نجوم هوليوود لعبة البيسبول دوري الفئة البسيطة، واستطاع كارل أن يمشي مسافة أربع بنايات إلى أن وصل إلى محل سكن بروير، وسيمنحه ذلك وقتًا للتفكير مرة أخرى في خيارات سكنه.

كانت الشمس تميل نحو الغروب، مبشِّرةً بالتخفيف من وطأة الحر الشديد، على الرغم من استمرار الضباب في الهواء لعدة أيام، وكان كارل ممتنًا لعدم ظهور القمر، فقد ظهر القمر مكتملًا في هذه الليلة الفظيعة في بينيموند، فأمطرهم البريطانيون بوابل من القنابل.

على الرغم من طول القصتين، كان منزل بروير متواضعًا في مساحته؛ إذ يقع على أرضٍ رائعة المنظر أسفل سياج، متوارٍ إلى حدٍّ كبير عن الشارع.

انزلق كارل بالقرب من السياج، مسلِّطًا الفوكوس عبر القضبان والشجيرات التي تتجاوز ذلك، واستطاع أن يرى سيارة هوليوود الخاصة بجرين متوقفة في ممر نصف

كروي إلى جانب سيارات أخرى، وسلَّط الفوكوس على الطلاء المقشَّر المطلية به جدران المنزل، فثمَّة صرصور يبذل قصارى جهده ليمر عبر شرخ بالرصيف.

فلا حواجز واضحة المرأى ولا أسلحة كذلك.

فلقد كان لدى كارل خطته، وكانت جديرة بالقائد كاثود، وحدا بكارل الأمل أن يعيش ليشارك مخططه مع ويلي لي.

وبعد أن ألقى نظرة سريعة على الحي الهادئ حوله، فتح البوابة ومشى إلى الباب الأمامي، وبمجرد أن الْتقطت أُذُناه ما ينبعث من الداخل من ضحك وموسيقى تراجعت قدماه، فما يزال بإمكانه إلغاء المهمة بأكملها.

سيكون هؤلاء الأشخاص في خطر محدق، بحسب ما إذا كانت النصف ساعة التالية تسير وفقًا للنص من عدمه.

وهناك ميل واضح إلى ترك الأمور تجري كما تشاء، وأن يوقع على الاتفاق مع شركة «كيلوجز» وأن يكفي نفسه مغبَّة ذلك.

لا، فلم ينشر بروير الفوضى في حياة كارل فحسب، بل كان وسول جرين من قتَلة إديسون هيل على نحو شبه يقيني، وهم من يعرفون عدد من سُلبت حياتهم، فقد كانوا وحوشًا ضارية، نماذج حقيقية من أشرار مسلسل الجواكر الكرتوني

القائد كاثود، إنهم بلا رحمة.

طرق كارل على الباب، وبعد لحظة، فتح جين ولكفيتس الباب وهو في غاية الاندهاش، أو بالأحرى بدا ذلك على تورك، وقد كان ولكفيتس يرتدي قناع وجه الكلب.

وقد كان كارل يتوقع ذلك نوعًا ما، لكن الدهشة لم تفارقه ليدرك أن الصديق الجيد للقائد لم يكن يؤدي الدور أمام الكاميرا فحسب، فقال كارل: «أيكون ذلك في الجزئية التي أقول فيها «مساء الخير؟» أم في الجزئية التي يجب فيها أن أصدر نباحًا؟ ماذا تفعل هنا؟ لِمَ ترتدي هذا القناع؟»

فقال ولكفيتس: «الجوكر الهُريرة»، وهو يبتسم ابتسامة عريضة، وأضاف: «فتيات الجوكر جامحات، أيها القائد، وشاكرين جدًّا للجميل». والتفت الممثل كما لو كان يستجدي المساعدة، وشق سول جرين، الظاهر على وجهه ثورات الغضب، طريقه بين الجمع قائلًا: «هل اختلَّ عقلك؟»

«هل تريد أن تراني يا سول، وأنت من أتى إلى منزلي؟» فتبسَّم كارل ليريه أنه يعرف المزحة القديمة، شأنه شأن أي شخص في هوليوود منذ أيام ما قبل الصمت.

ولم يفعل جرين شيئًا سوى صراخه باسم «برانت!»

كان بروير ينسل من بين مجموعة من الضيوف، كلهم من

الجواكر، ويا لها من مجموعة! فتاة سحلية، وشيء قشري ذو أقدام، ورجل من بني البشر إلا أنه له زوج من أسلاك الهوائي تخرج من رأسه، فهو يتجسس على المرأة القطة من الـ «ميناجري» أيضًا، ويتلوى في حجر رجل سمين وجهه وكأنه نُحت من خشب البلوط.

ثمَّة نصف دستة أخرى، أمَّا الجمع منهم فلم يكن كجمع سفينة نوح، فلم يكن لأي جوكر قرين مثله كما كان للمخلوقات في سفينة نوح أقران من بني جنسهم، وشعر كارل كما لو كان في الميناجري، وأنهم لم يفتقدوا سوى رائحة البطاطس المقلية، والموسيقى البسيطة المنبعثة من الباب المتأرجح التالي، وبدلًا من ذلك كانت السجاجيد المزكرشة والأرائك المزخرفة وزركشة وصور فنية على الجدران، وجهاز الفيكترولا، فقال كارل: «لا أرى جهاز تلفزيون»، حينما وصل إليه بروير، فقال له: «ألا تشاهد نفسك؟»

«هل تعتقد أنني لم أرَ حلقة؟»

من بين العديد من الأشياء الصادمة التي سمع عنها كارل مؤخرًا، كان ذلك الأدهى والأمَرّ، فأي نوع من الممثلين يفوِّت فرصة مشاهدة نفسه؟

فقال بروير متعجبًا: «حسنًا، فلماذا تشاهد التلفاز الأبيض

والأسود وعندك هذا الجمع متعدِّد الألوان كل ليلة؟»، وحدث ذلك عندما لاحظ كارل الدمية نورا الحقيقية أخَّاذة المنظر في ثوب غمدي وردي، وشعرها يحوم في عش ذهبي، وشفتاها بلون الدم، وعيناها زرقاء كالبحر المداري.

لم يرها أبدًا هكذا باديةً في مظهر تتوق له الأعين، ولا حتى في تخيلاته الشائنة.

أومأت نورا إلى كارل، ثم أمالت رأسها تجاه زاوية غرفة المعيشة، حيث يبادلهم هارولد دان الابتسامة، وهو يُميل الشراب باتجاه كارل تحيةً له، فلم يرَ كارل رجل شركة «كيلوجز» لعدة أيام. كانت معه راقصتان من الميناجري؛ الفتاتان الأمريكيتان، الزرقاء في يده اليسرى، والحمراء في يديه اليمنى.

التفت كارل إلى بروير وجرين وقال: «خطرت لديَّ فكرة أنكما تحتفلان بشيء ما»، هل أخطأ في اتفاق نموذجي خفي لهوليوود، وخدعه الوكيل والممثل لسرقة كاثود منه، ابتغاء القتل؟

قبل أن يتمكن بروير من الإجابة، أمسك جرين وأولكيويتس كل واحد منهما من ذراع وقالا: «لِمَ لا نتحدث في مكان آخر؟»

بينما كان يشق طريقه بين الجمع، لفت كارل نظر دوتي وقال لها: «اخرجي من هنا، وأخرجي الجميع، وأخبريهم أن الشرطة في طريقها لشن مداهمة»، فأبدت اندهاشها.

♣ ♦ ♠ ♥

ولم يتوقفوا إلا في المغارة، وأُغلق الباب عليهم، فوقف أولكيويتس حارسًا في الخارج.

قال جرين: «إمّا أن عقلك أصابه الجنون أو أنك أشجع رجل في العالم».

«أيوجد ما يمنع أن أكون الاثنين؟»

التفت بروير إلى عميله وقال: «سول».

واجه جرين كارل وقال له: «اصمت يا برانت! أنت رجل غبي بالتأكيد، إنه عالم الصواريخ».

«لم أدرك أن غباءك كان يعني حكم الإعدام في هوليوود، فلماذا الشوارع ستكون فارغة؟»

لكم جرين كارل بظهر يده، وهي حركة خبيثة فاجأت كارل بقدر ألمها.

«أتعتقد أن ذلك خيارنا؟ أنت رجل محظوظ، فالآيص الخاص بك سيقدم لك يد العون».

«يكفي ذلك يا سول!»

بدا على برانت الإحباط الشديد، فوضع يده على جرين وأزاح برفق العميل قوي البنية.

سأل كارل: «من أنتما؟» ومذاق الدم في فمه، متحسسًا بلسانه سنَّته المتلخلخة، «فريق من الفرق؟»

لم يُجِدْ برويد إخفاء رد فعله، «نحن بحاجة إلى مؤازرة بعضنا بعضًا، يرعبهم سول، وبينما يقوم بذلك، أُذكي أنا ذلك الخوف»، والتفت إلى شريكه المتجهم وقال: «إنه لأمر جيد أننا وجدنا بعضنا بعضًا».

«برانت ...» تصبَّب وجه جرين عرقًا.

«يجب أن يعرف يا سول!» بدت نفس برويد مطمئنة بأن واتتها فرصة المصارحة، «لقد أكسبنا الكثير من الأموال!»

«ماذا، نجم تلفزيون أطفال وعميل درجة رابعة؟» لم تتحمل نفس كارل ذلك، فتحوَّل إلى جرين وقال: «هل تحصَّلت فقط على عشرة بالمائة من أي مما تمتصه من ضحاياك؟»

رفع جرين يده ليضربه ضربة ثانية بظهر يده لكن برويد أوقفه، وقال: «لا تفعل ذلك يا سول»، ووقف حائلًا بين

العميل وكارل، وأردف قائلًا: «هل سمعت عن المدمنين الحاملين لقرود على ظهورهم؟ سأبادل هذه العادة بهيروين في ثانية»، ومسح عرقه المتصبِّب على جبهته بإصبعه وقال: «ويسوء ذلك في ظل هذا الجو الحار».

«لكن ما الذي تحصل عليه؟ دماء وعظام ...»

ضحك جرين، بعد أن سمع ذلك، ضحكًا شديدًا، وقال: «حسنًا، استمر، أخبره!»

بدت علامات الخجل على برانت، على نحو مثير للدهشة، وهو غير قادر على صياغة ألفاظه، وقال: «سول يحوِّل أجسامهم، وأنا أقبض أرواحهم، وشخصياتهم، فلا يمكن لي أن أكون بطلًا حقيقيًّا، ولا يمكنني تأدية دور إنسان حقيقي حتى أقوم بذلك».

وما منع مارك أن يُطلق ضحكاته إلا جسده النصف مشلول.

وكان برانت بروير ممثل الآيص الأخير، وهو كوعاء فارغ حقيقي، وللحظة شعر كارل بشفقة تجاه الرجل، حتى تجاه جرين.

يزعم كل شخص في العالم أنه يعرف السعر المادي للبطاقة الجامحة، لكن ماذا عن التغييرات العقلية؟

ما التقلبات والآلام التي أحدثها فيروس تاكسيان بالعقول البشرية؟

بعد ذلك عانق سول جرين كارل من الخلف، وكان عناقًا شديدًا عرف كارل أنه لن يفلت منه أبدًا، وقال: «تبيَّن أن صديقك هيل بطل، وأنك قررت أن تكون مثله أيضًا»، وشعر كارل بتزايد ثقله وسمكه، فهل يتحول إلى حجر؟ «إن كارل شخص غبي كما قلت».

حشر كارل يدًا في جيبه وقال: «شم هذا»، وقال وهو يلفظ الكلمات بصعوبة: «إنه غاز وقد ملأ المنزل، وكل ما يتطلَّبه الأمر لنفخ ذلك إلى القمر وجود ضوء»، واستطاع أن يخرج ولَّاعة من جيبه.

ظهر على برانت القلق وقال: «انظر إليه يا سول ...!»

لكن سول جرين تبسَّم وصرخ قائلًا: «جين!»

انفتح الباب ودخل أولكيويتس، ومعه شخص متلوٍّ في ملاءة تحت ذراعه، وأسقط الصرة على الأرض وجلس عليها.

الأمور لم تفارق قبضة جرين إطلاقًا «قد لا يمكننا رؤية صديقتك المخفية يا كارل لكن جين لديه حاسة شم قوية أتت بها».

الصرَّة التي كانت على الأرض بدأت تتلوَّى وبرانت بروير يزيل برفق الولَّاعة من يد كارل المتيبِّسة، وقال كارل: «لا بأس إيستل»، لقد انتهى الأمر ...

بدا برانت مندهشًا «هل كانت تلك خطتك؟ تسير إلى هنا وتنفخها؟»

قال كارل وهو يتلوَّى في قبضة جرين: «خطتي ... كانت أن تسير هنا وأحاول أن أقنعك بطريقة منطقية! يمكنك أن تقتلني بالطريقة التي قتلت بها كل من قتلتَ، لكن إذا متُّ، فلن تكون مجرد موت آخر لجوكر، فأنا ألماني! أنا منتجك! أنا آيص.

من يحل محلي؟ شخص أشد بأسًا وقوة، وعندما يحدث ذلك، فلن يطول بقاؤكما، أليس من الأفضل أن تنعما ببعض السلام؟»

أحسَّ وكأنه يتحدث إلى نفسه، أحس بتجذُّره وثقله وتيبس جلده، وحاول أن يستخدم الفوكوس الخاص به ولكن خاب مسعاه.

كل ما يستطيع عمله الآن أن يغلق عينيه ويموت.

فُتح الباب فجأة، فانبعث صوت هرج ومرج، وصرخ جرين: «برانت!»

فتح كارل عينيه ورأى أنه وإيستل تُرِكا وحدهما، وأُلقيت البطانية جانبًا، «هل يمكنك التحرك؟»

قال كارل: «نعم» رغم ذلك لم يكن الأمر يسيرًا، فقد كان شعوره كشعور رجل يجلس في وضع واحد لساعات، كما لو كانت قدماه ورجلاه وحتى فخذاه تخدَّرت.

«أعتقد أنه يجب علينا أن نخرج من هنا!»

دخل الرواق ويصاحبه الألم سعيًا منه إلى الحصول على دعم إيستل غير المرئي. وطلب دعم دولي ودان والمحتفلون من الجواكر، ولم يحضر سوى برانت بروير ويوجين أولكيويتس.

كان بروير يقف على الدَّرَج، ممسكًا بولَّاعة رافعها إلى الأعلى وجرين يحاول أن يصل إليه، واتخذ وضعية يمكن رؤيتها ليلًا، في القائد كاثود، وقال: «نحِّ ذلك جانبًا يا برانت!»

كان أولكيويتس بينهم، وما يزال مرتديًا قناع الكلب، «تراجع يا سول!»

هرع كارل تجاه الباب الأمامي، وهبَّت عليه ليلة أغسطس الحارة، وانتابه اليأس أن يباعد بين نفسه وإيستل وبين المنزل قدر استطاعته، وبينما وصل إلى البوابة، سمع صوتًا

كصوت طقطقة قطع خشب عَطِنة.

أضاء المنزل بوميض من الضوء، وصفعت يد عملاقة كارل، فطرحته على سيارة مركونة.

أصابت الصفعة كارل بالصمم وتسلَّخ جلد يديه وركبتيه وتقرَّح من الصدمة، وتكوَّم على جانب السيارة كما تفرش كرة النار نارها في السماء.

وتحامل واقفًا محاولًا النظر على الرغم من أن الهواء نفسه بدا لافحًا، فنادى متعجبًا: «إيستل!»

فأتاه الصوت من خلفه قائلًا: «هنا يا عزيزي!»، «لا أشعر بذلك ...»

سمع كارل ارتطامًا خفيف الصوت بالعشب، وصمم على محاولة حمل امرأة غير مرئية.

كان منزل برانت بروير خلفه مغمورًا تمامًا، واهتزَّ هزة عنيفة جعلت الطابق الثاني يقع على الأول، وتعذر على فرق الإطفاء عمل شيء، وبحلول وقت وصولهم لم يجدوا سوى الرماد.

♣ ♦ ♠ ♥

بعد أسبوعين، وهو في طريقه إلى قاعدة توملين الجوية،

توقَّفت الحافلة التي تُقل كارل فان كامبين عند الجانب الشمالي لبالمديل لتتزود بالوقود.

طالع كارل العنوان الرئيس للصحيفة التي كان يقرأها المضيف، وهو مادٌّ رجليه، وما يزال منقبضًا من لمسة ميدوسا التي فعلها سول جرين، ووجده:

تلفزيون زيف يقدم «كاثود» الجديد.

جورج ريفس يحدِّق في «ذهب مع الريح» و«من هنا إلى الخلود»

دُفن عرض «كيلوجز» مع برانت بروير. حسنًا، لقد غادر هارولد دان لوس أنجلوس في أول طائرة عائدة إلى ميتشجن، حرصًا على الهروب قبل أن يطرح أي شخص أسئلة غير مناسبة عمَّا كان يفعله في هذه الحفلة. لم يلقِ كارل إلى ذلك بالًا، فما أراد إلا ترك هوليوود، حتى إنه قد تخلى عن زينيث الجديدة، لإيستل، فقد كان مدينًا لها أكثر بكثير، ليس فقط من أجل إنقاذها حياته، بل لمساعدته على فهم سبب قتل برانت بروير نفسه.

أخبرته قائلةً: «ما أسوأ أن تكون جوكرًا، فمعدلات الانتحار مخيفة، كما تعلم، لكن الممثلين فلا أمن منهم ولا أمان، فسبب شهرتهم ونجاحهم لا يعرفونه إطلاقًا، فلا بد أن برانت

بروير قد أدرك أن القائد كاثود كان أفضل مما يستطيع أن يصل، وحينما اكتشف الحقيقة المرَّة، انتهى كل شيء».

استبدل كارل فون كامبن نظارته السوداء ونظر إلى المستقبل.

قوى

بقلم ديفيد آر ليفين

ترجمة باسم أمون

في الساعة ٩:٣٥ صباح يوم الإثنين في الثاني من مايو عام ١٩٦٠، طُرِقَ باب مكتب فرانشيشيك مايبيفسكي على نحو غير متوقَّع. كان مكتب فرانك هو الأقرب إلى الباب؛ أطفأ سيجارته وتحضَّر لفتح الباب. قال: «انتظر للحظة».

كانت معظم وثائق فرانك مرتَّبة بشكل جيد في مجلَّدات ملوَّنة حسب تصنيفاتها، وكانت جميعها موضوعةً بموازاة حواف المكتب تمامًا. وضع المجموعة التي يعمل عليها حاليًّا في مجلَّدها، ثم نظر إلى زميليه في المكتب ليتأكد من أنهما فَعَلا الشيء ذاته. بالرغم من أن الوقت كان باكرًا في يوم ربيعي، إلا أن المكتب الخالي من النوافذ كان يعبق بحرارة واشنطن. كانت الأضواء الساطعة تئِزُّ فوق خزائن الفائض الحربي البالية المخصصة للملفات، والمشمَّع الأخضر والأبيض المخدوش، والمكاتب ذات لون السفن الحربية الرمادي المائل إلى الزرقة، وعلى محيطها آثار حرائق سجائر تعود لعقود من الزمن. على الخزانات الأربع الموجودة بمحاذاة الجدار الخلفي كانت توجد إشارات خضراء تقول:

«مفتوحة»، وكانت أبوابها مغلقة لكنها لا تُقفل خلال يوم العمل.

كان فرانك يعدُّ تقديرًا استخباراتيًا للقدرة السوفياتية على إنتاج الطائرات القاذفة. احتوت مجلّداته وثائق باللغة الروسية والألمانية والبولندية والإنكليزية؛ مقالات صحفية وبرقيات مُعترَضة وتقارير ضبّاط ميدانيين تلخِّص النتائج التي وصل إليها عملاؤهم. كانت الأخيرة، وبالرغم من أنها الأحدث والأكثر تشويقًا، فإنها الأكثر إثارةً للشبهة ... حتى وإن كانت الوثائق المقدَّمة ليست عبارةً عن معلومات مضلِّلة بشكلٍ متعمَّد، لكنها قد تكون خاطئة أو معلومات أُسيءَ تفسيرها، أو مجرَّد فبركة من قِبَل عملاء بحاجة ماسَّة إلى النقود أو باحثين عن الإثارة. لم يكن هناك شيءٌ مؤكدٌ في هذا العمل - لهذا كانت تُدعى «تقديرات» - لكن عبر ربط المعلومات المتاحة بعناية، يستطيع المحلِّل الذكي أن يستخلص تخمينًا قريبًا من الحقيقة إلى حدٍّ بعيد.

كان الرجل عند الباب هو روبرت آيمري الابن، رجلٌ طويلٌ ونحيلٌ، وعلى عكس فرانك ما زال يحتفظ بكامل شعره. «يا لها من مفاجأة سارّة!» قالها فرانك وهو يصافح يده. روبرت هو الرجل الذي جنَّد فرانك للعمل مع وكالة الاستخبارات المركزية، وكان مديره المباشر قبل أن تتم ترقيته لمنصب

نائب مدير الاستخبارات. كان يحمل مجلّدًا بيده، مجلّدًا أحمر اللون وعليه إشارة «سرّي للغاية».

«أنا بحاجة للتحدث معك يا فرانك»، ثم أضاف: «وحدنا، تعالَ معي».

ابتلع فرانك ريقه بقوة. خلع نظاراته ذات الإطار المعدني الرفيع ومسحها بمنديله ليخفي ارتباكه.

وبينما كانا يعبران البهو وصوت خطواتهما يتردد على أرضية الحجر الجيري، شعر فرانك بالعرق يتصبَّبُ من جانبيه بشكل أكبر مما تتسبب به رطوبة ذلك اليوم الحار. كان أي إخلال بالروتين مُقلقًا، وكان تركيز مديريه عليه يزيد من قلقه أيضًا. هل سيكون هذا هو اليوم الذي كان يخافه لسنواتٍ طويلة؟

قاد روبرت فرانك إلى سرداب لم يمر حتى أمامه قط، ثم أغلق الباب الثقيل الكاتم للصوت وأقفله خلفهما. بعد أن جلس الاثنان على طاولة صغيرة شغلت معظم مساحة مدخل السرداب، عرض روبرت سيجارة عليه، كان يدخن سجائر المارلبورو التي يجدها فرانك ثقيلة جدًّا، لكنه أخذ واحدة بامتنان ليهدئ أعصابه.

نفض روبرت سيجارته في منفضة سجائر زجاجية ثقيلة

عليها ختم وكالة الاستخبارات المركزية، ثم أخرج ورقة من المجلَّد. «وقِّع هذه».

«م ... ما هذه؟» نَبَضَ عِرقُ فرانك خلف زر ياقته.

«أريد أن أدخلك إلى ملف جديد».

كان «الإدخال» هو عملية التصريح لضابط بالوصول إلى ملف يحوي معلومات سريَّة. كانت الورقة تحوي توصيفًا موجزًا للملف – كان مشروع تصوير استطلاعي يتضمَّن طلعات جوية عالية الارتفاع فوق الاتحاد السوفياتي – والتصريح المعتاد بأن فرانك مُدرك أن الكشف غير المصرَّح عنه لأي معلومات في الملف سيعرِّضه لعقوبات تصل إلى السجن مدى الحياة. كان روبرت قد كتب اسم فرانك وتاريخ ميلاده ورقم ضمانه الاجتماعي في الأسفل، ووقَّعها فرانك وهو يشعر بالراحة.

لم يكن فرانك يعلم بعدُ لماذا رُفع مستوى تصريحه الأمني، لكن أيًا كان السبب، كان هذا يوحي أن سره ما زال بأمان.

بعد أن وقَّع روبرت بدوره على الاستمارة وأعادها إلى الملف، سحب مجلَّدًا آخر من أحد أدراج السرداب وقال: «أهلًا بك في أكواتون». كان كل ملف يُعرَّف باسم مشفر أو اسم حركي يبدأ ببادئة من حرفين تُدعى حرفًا مزدوجًا

يحدد مجاله الجغرافي أو الوظيفي. كانت بادئة «أك» في أكواتون تشير إلى أنه ملف تقني من نوع ما.

سحب روبرت صورة لامعة بقياس ٨ × ١٠ من المجلَّد ومرَّرها على الطاولة الصغيرة. «يجب ألا تغادر هذه المعلومات الغرفة تحت أي ظرف. أكواتون من أكثر مشاريعنا سريَّة». كانت عبارة «سرِّي للغاية أكواتون» مطبوعة على صورة طائرة ... طائرة غير اعتيادية على الإطلاق. جناحاها طويلان بشكل غريب ورقيقان، وكان جسم الطائرة نحيلًا كالسيجار؛ ربما كانت طائرة انزلاقية لولا وجود عادم نفاث في المؤخرة. كانت مطليَّة كليًّا باللون الأسود، ولا يوجد عليها أيُّ علامات مميِّزة أو شارات. قال روبرت: «هذه طائرة لوكهيد يو-٢. ارتفاعها الأقصى هو سبعون ألف قدم، وسرعتها القصوى هي خمسمائة عقدة، وتستطيع البقاء في الجو مدة تبلغ ثماني ساعات دون إعادة التزوُّد بالوقود. نحن نرسل هذه الطائرة فوق روسيا منذ قرابة الخمس سنوات».

أدرك فرانك أن الرماد كان على وشك الوقوع من سيجارته فنفضها في المنفضة. «أيُّ صورٍ هذه التي ستحصل عليها من هذا الارتفاع؟» كان سبعون ألف قدم عمليًّا هو من الفضاء الخارجي.

ابتسم روبرت ابتسامة كَدِرةً صغيرة. «صور رائعة، ولا

يوجد لدى السوفيات ما يستطيع إيقافها». نظر في عينيّ فرانك. «على الأقل، هذا ما كنا نعتقده. لكن في يوم الأحد، لم تَعُد إحدى طائرات اليو-٢». ثم أعطى فرانك المجلّد.

وضع فرانك سيجارته جانبًا وقرأ الأوراق في داخل الملف، كانت عبارة «سرِّي للغاية أكواتون» مطبوعة عليها جميعًا. أقلعت الطائرة من بيشاور في باكستان، وكان يُفترض أن تحلِّق فوق ستالينغراد وآرخانغليسك ومورمانسك باحثةً عن أدلة على بناء منشأة إطلاق صواريخ بالستية عابرة للقارات وهي تلتزم الصمت اللاسلكي. لكن وبعد أن تأخرت أكثر بكثير من أربع وعشرين ساعة على هبوطها في بودو في النرويج، وجب اعتبارها مفقودة. «ماذا حصل؟»

«لا نعلم. إنها طائرة مزاجية جدًّا؛ ربما يكون السبب هو عطل في المعدات أو خطأ من الطيار». كانت آخر ورقة في الملف عليها صورة أخرى، صورة لرجلٍ يبدو مزهوًّا بنفسه في بذلة طيران ذات أربطة تشبه أربطة مشدٍّ قديم الطراز. «هذا هو الطيار، فرانسيس غاري باورز. إنه واحد منا، جميع الطيارين وأفراد طاقم الدعم هم من موظفي الوكالة».

كان للطيار فك قاسٍ وعينان داكنتان. كان يبدو أكبر سنًّا بقليل من ابن فرانك، ربما في الثلاثين.

«نعلم أن الطائرة سقطت في مكانٍ ما من الاتحاد

السوفياتي. أريدك أن تكتشف ما الذي يعرفه السوفيات. هل أسقطوها؟ هل يعلمون أنها سقطت أصلًا؟ هل وجدوا حطامها؟ وإن فعلوا، ما الذي عرفوه منه؟ هذه الطائرة مجهَّزة بوحدة تدمير بالطبع، لكن ربما تكون قد تعطَّلت».

«والطيار؟»

بنظرة قاسية وثابتة قال: «إنه مجهَّزٌ بإبرة سم الكوراري». عبَّ من سيجارته وهو يفكر، ثم نفث الدخان من أنفه. «لكن لجعل طائرة تطير بهذا الارتفاع ... ستكون عمليًّا مصنوعة مما يشبه ورق الحمام يا فرانك. إذا سقطت، فُرص النجاة هي واحد بالمليون».

رفع فرانك سيجارته عن المنفضة. احترقت السيجارة حتى الفلتر بعد أن تجاهلها. عبَّ بمرارة منها لآخر مرة وأطفأها. «لماذا أنا؟» بالرغم من أن دقات قلب فرانك تباطأت بعد أن أدرك أن أسراره الشخصية لم تكن سبب هذه الزيارة، إلا أنه لم يستمتع بالاهتمام الذي ستركِّزه هذه المهمة عليه.

«أنا أعرفك يا فرانك. الروسية هي لغتك الأم، ولديك نظرة ثاقبة، وأنا أثق بحكمك. وإذا أحسنت العمل في هذه المهمة، فستكون دفعة كبيرة لحياتك المهنية»، ثم غمز فرانك بتآمر.

«أشكرك». حاول أن يبتسم.

وصل فرانك إلى المنزل في الساعة ١١:١٠ ليلًا ذلك المساء. أدخل مفتاحه في القفل وفتح الباب بأكبر هدوء ممكن. لكن زوجته كانت مستيقظة، كانت ترتدي رداءً وخفًّا وتقضم أظافرها وهي تحدِّقُ خارج نافذة غرفة المعيشة. استدارت إليه وهو يدخل، تحوَّل وجهها المدوَّر الأشبه بوجوه العجائز الروسيات الذي أضاءته الراحة إلى الغضب فورًا. قالت له بصوت مرتجف: «أين كنت؟»

«أنا آسف لتأخري إلى هذا الوقت يا صغيرتي». قال ذلك ثم انحنى ليقبِّل وجنتها. «كُلِّفت بمهمة جديدة اليوم. كنت مشغولًا بها كثيرًا حتى إنني نسيت أن أتصل». في الحقيقة، كان قد قضى معظم يومه في سرداب أكواتون الذي لا يصله أي خط هاتفيٍّ.

عانقته بقوة وهمست فوق كتفه: «كنت قلقة جدًّا عليك يا قلبي. كنت خائفة من أن تكون لجنة سكير قد وجدتك».

«ليس اليوم يا صغيرتي»، ومسَّد على شعرها. «ليس اليوم. ما زال سرنا بأمان ... حتى الآن».

تذكر فرانك كل تفصيل من يوم كُشف السر له. كان يومًا ربيعيًّا جميلًا من عام ١٩٥٢. كان فرانك يعبر شارع سي

مطيعًا إشارة العبور عندما نظر إلى اليسار ورأى سيارة باكارد ١٩٥٠ خضراء مسرعةً باتجاهه. كان فرانك على بُعد ثوانٍ من أن يتحوَّل إلى فطيرة مدمَّاة على الشارع. سمع فجأةً صوتًا قويًا في رأسه وبدا أن السيارة تباطأت بشكل كبير.

كان فرانك قد دفع نفسه إلى الخلف وشعر أنه يخوض في الصمغ وأنه عاجز عن التنفُّس. بعد لحظة أسرعت السيارة متجاوزةً إياه. وقف فرانك وهو يرتجف في الشارع متسائلًا عمَّا حصل، ثم مرر يده فوق رأسه المتعرِّق. أعاد يده وكان هناك شعر عالق عليها. كان يعلم دومًا أنه سيُصاب بالصلع مثل أبيه، لكنه لم يتوقع أن يحصل ذلك بهذه السرعة.

وقعت حادثة أخرى مشابهة بعد عدة أشهر عندما سقط إناء زوجته المفضَّل عن طاولة، وبعد شهر من ذلك عندما هدَّد إحدى بنات أخته كلب شرس. لم يصبح فرانك محلِّلًا ناجحًا عبر تجاهله البيانات مهما كانت غير متوقَّعة أو غير معقولة، وسرعان ما اقتنع بأن تجاربه لم تكن ذاتيَّة. كانت قد تطوَّرت لديه قدرة خارقة.

إنه آيص.

لكن المُدافع جو مكارثي كان قد بدأ جلسات الاستجواب للتوِّ، مدعيًا تفشي أعداد متزايدة من الآيائص السرية في الحكومة، وكانت المشاعر السلبية بدأت بالتراكم. كان فَهمُ

وتوقُّع التوجهات السياسية في البلدان الأخرى هو جزء من عمل فرانك، لقد عرف أن حياة آيص في الحكومة ستصبح تعيسة للغاية سريعًا. وبالرغم من أنه كان في الثامنة فقط عندما سيطر البلشفيون على روسيا؛ ما أجبر والديه الثريين المولودين في بولندا على الهرب إلى الولايات المتحدة، لكنه كان يعلم أن الاختلاف عن القطيع في الأوقات العصيبة يمكن أن يكون قاتلًا.

في البدء لم يخبر حتى زوجته بقدراته. لكنها كانت ذكية ودقيقة الملاحظة، وبعد أن لاحظت كيف كان «يضطرب» في لحظات التوتر، أُجبر على الاعتراف بسره إليها. المثير للسخرية هو أنها بالرغم من ذلك لم تكن تعلم أنه يعمل لدى وكالة الاستخبارات المركزية.

انتهت جلسات استجواب مكارثي الآن، لكن الخوف وقلة الثقة بالآيائص بقِيَا. كان على أي شخص يكتشف وجود قدرات غير اعتيادية لديه بموجب القانون أن يذهب إلى لجنة سكير التي كانت تعيِّنهم في وظائف حيث يمكن استخدام قدراتهم لصالح الأمة. لكن لجنة سكير لم تعترف إلا بحالتين من هذا النوع: لورانس هايغ سمسار البورصة الذي يستطيع قراءة الأفكار، وديفيد هارستاين، المعروف بالمرسال. لم يُشاهَد كلا الرجلان في العلن بعدها.

تنشقت صوفيا ومسحت عينيها بكمِّ ردائها. قالت له: «أنا آسفة لأنني غضبت منك. في كل مرة تتأخر أخشى أن تكون قد ذهبت إلى ... أنت تعلم، نيفادا». كانت إحدى النظريات الأكثر شناعةً لما أصاب الآيائص بعد اختفائهم لدى لجنة سكير هو أنهم نُقلوا إلى منشأة سرية للغاية في صحراء نيفادا، حيث لا يُسمح لهم بالمغادرة أبدًا إلا عندما يتطلب أداء مهامهم ذلك.

قال لها: «أنتِ تعلمين أن هذه مجرَّد إشاعة».

لكنه كان يعلم أن معسكرات العمل القسري في روسيا كانت حقيقية، بالرغم من محاولة الحكومة السوفياتية إخفاءها عن شعبها. لن تفعل الولايات المتحدة شيئًا كهذا ... أليس كذلك؟

♣ ♦ ♠ ♥

مرت سيارة أخرى، ورسمت أضواؤها الأمامية عبر الستائر المعدنية قوسًا مخططًا من النور على سقف غرفة النوم، وتنهد فرانك واستوى جالسًا. بالرغم من إنهاكه وتأخر الوقت، لكن النوم لم يراوده.

بينما كانت صوفيا تغطُّ بنعومة في السرير الآخر، ارتدى فرانك رداءه وخُفَّيْه وذهب إلى عرينه. هذه الغرفة بجدرانها

الخشبية الدافئة كانت غرفة أولاده، وكان غطاء المصباح الذي أشعله الآن ما تزال مرسومة عليه طائرات كرتونية. لكن ابنته الكبرى جينا كانت قد تزوجت وانتقلت من المنزل قبل ثلاث سنوات.

جلس عند رقعة الشطرنج وفتح كتاب مائة لعبة مختارة لبوتفينيك عند مؤشرة الكتاب: اللعبة رقم تسعٍ وثمانين، تولوش ضد بوتفينيك، ١٩٤٥. وضع الرقعة بسرعة وبراعة، ثم بدأ بلعب اللعبة من الكتاب وتوقف عند حركة الحجارة البيضاء العاشرة ليفكر بالبدائل التي ناقشها بوتفينيك. حاول سابقًا أن يقرأ ويلعب الألعاب في رأسه فقط، لكن الإمساك بالقطع وتحريكها جعل إستراتيجيات اللاعبين وهجماتهم مفهومةً أكثر بالنسبة إليه.

كان الشطرنج منطقيًا. بالرغم من أن إستراتيجيات وخطط اللاعبين كانت مخفية، إلا أن القواعد كانت معروفة للكل، وكانت الحركات تتم على مرأى الجميع، وكان يجب إعلان الكش حتى. لكن الحياة الواقعية كانت مليئة بالمخاطر الخفية. إذا كانت لجنة سكير تراقب فرانك، ربما لن يعرف ذلك حتى فوات الأوان.

بعد أن أنهى اللعبة، تثاءب فرانك وأعاد وضع القطع في علبتها والكتاب على الرف، ثم اتجه إلى غرفة النوم. بينما

كان يمر أمام مرآة البهو، أنارت الأضواء الأمامية لسيارة أخرى بشكل خاطف أطرافه الهزيلة وكرشه الآخذ في التضخم ثم توقف.

في وقت مضى، وليس بعد فترة طويلة من ظهور قدرته، فكر بتسليم نفسه إلى لجنة سكير. تسلى بتخيلات طفولية عن حياة عميل سري آيص جريء، ومهمات مشوقة، واسم حركي. لكن وحتى في ذلك الحين كان قد كبر واستقر أكثر من أن يستطيع المغامرة، وكان الرجل في المرآة الآن عمره واحد وخمسون عامًا وبدا بعمر الستين.

هزَّ فرانك رأسه أمام تلك الصورة وهو يغلق باب غرفة النوم خلفه.

♣ ♦ ♠ ♥

كان فرانك يحلق ذقنه بشفرة مستقيمة مستخدمًا قطعة من صابون الحلاقة وكأسًا وفرشاة عريضة، تمامًا كما كان يفعل والده. حتى حلاق فرانك كان يستخدم شفرة جيليت ومعجون حلاقة من علبة بخاخ – قال إن ذلك أسهل وأنظف وأكثر أمانًا – لكن فرانك كان يحب الحلاقة الدقيقة وشعور التحكم الذي كان يمنحه إياه استخدام الشفرة المستقيمة. كانت الأساليب القديمة هي الأفضل، والأرخص ثمنًا بالطبع.

لكن في الساعة ٨:١٥ صباح يوم الخميس في الخامس من مايو، ندم فرانك على تلك العادة عندما انفجر صوت نيكيتا خروتشوف من مذياع الحمام وهو يقول إن «طائرة المجرمين» تم «إسقاطها». ما لبثت أن غطت ترجمة إنكليزية صوت الرئيس، لكن فرانك كان قد سمع ما يكفي ... بل أكثر مما يكفي في الحقيقة.

بينما كان يضغط الجرح الذي على رقبته بقلمٍ قابض، شتم فرانك هامسًا باللغة الروسية والبولندية والإنكليزية. لقد عمل لأكثر من أربع عشرة ساعة يوم الأربعاء، ومع ذلك لم يرَ شيئًا واحدًا في كلِّ المصادر التي درسها يقوده إلى استنتاج أن السوفيات كانوا يعلمون حتى بوجود طائرة اليو-٢ التي سقطت، وكان قد سلَّم تقريرًا بهذا الخصوص قبل مغادرته المكتب في التاسعة في الليلة السابقة.

لقد فشل.

اجتاحت الظنون والاتهامات مجددًا دماغ فرانك وهو يشدُّ ربطة عنقه على رقبته التي ما زالت غير محلوقة ومبللةً برغوة الصابون. ماذا فاته؟ كان هنالك نقطة مبهمة في البيانات –شيء ما عن زيادة في عدد قوات الأمن في مدينة فلاديمير– لكن وبالرغم من أنها كانت تلح عليه، فإنه لم يستطع ربطها بأي شيء آخر؛ لذا حذفها من التقرير. ربما كان

يجب أن يحقق فيها أكثر.

استمر خروتشوف بتقريع الأمريكيين على المذياع بسبب «عدوانهم الغاشم» واتهمهم بـ «اللعب بالنار» والسعي إلى «إحباط» لقاء قمة باريس المقبلة. أدار فرانك مقبض المذياع إلى محطة أخرى.

كان إلفيس بريسلي رجل الكهوف يهدد بأن «يضمك بشدة تفوق ضمة دب رمادي».

لم يكن فرانك متأكدًا من الذي كان يشكل التهديد الأكبر على أمريكا، بريسلي أم خروتشوف. أطفأ المذياع وهو يشعر بالقرف.

♣ ♦ ♠ ♥

وقبل حتى أن يعلق فرانك قبعته، أخبره زميله غايلين في المكتب أن روبرت آيمري كان يريد رؤيته فور وصوله. أرشده سكرتير روبرت إلى غرفة مؤتمرات مكتظة. كان الهواء في الغرفة كئيبًا بسبب الدخان ولم يعرف فرانك نصف الرجال الموجودين فيها.

كان أحد الحاضرين رجلًا يستحيل ألا يميزه وهو آلان دبليو دالاس، مدير الاستخبارات المركزية. بشعره وشاربه الأبيضين، ونظاراته التي لا إطار لها، وياقته ذات الطراز

القديم، كان مظهره أقرب لرجل بنك منه إلى جاسوس. كانت تعابير وجهه متجهِّمة حينها، وفكه مغلقًا بإحكام على طرف غليونه.

«أنا مسرور لوجودك هنا يا فرانك». قال روبرت ذلك بعد أن عرَّفه على الموجودين. «سنقدم تقريرًا للرئيس بعد ...» رتب أطراف أكمامه ونظر إلى ساعته وتابع: «بعد خمسٍ وعشرين دقيقة، أود منك أن تحضر».

جف حلق فرانك. «أنا آسف لأنني لم ...»

قاطعه روبرت بإشارة من يده: «سنتحدث لاحقًا عن الخطأ الذي حصل. نحن بحاجة لاستعادة توازننا الآن».

♣ ♦ ♠ ♥

غرفة مؤتمرات الجناح الشرقي التي استُخدمت للاجتماع بورق جدرانها من الطراز الكولونيالي ولوحاتها الزيتية التي تصوِّر جنرالات الحرب الثورية كانت لا تذكر فرانك إلا بغرفة انتظار في عيادة طبيب أسنان. لكن عندما دخل الرئيس آيزينهاور شعر فرانك بصدمة كهربائية. كان ذلك حقيقيًّا، كان ذلك تاريخيًّا.

لم يسبق لفرانك أن كان في نفس الغرفة مع رئيسٍ من قبل. كان الوجه المألوف تحت رأس آيزينهاور الأصلع يبدو

متعبًا، مشى بعرجة طفيفة، لكن العينين خلف النظارات ذات الإطار البلاستيكي السميك والشفاف بدتا باحثتين وذكيتين. «حسنًا أيها السادة». وجّه كلامه إلى الغرفة بالعموم، «يبدو أن لدينا وضعًا حرجًا بعض الشيء هنا».

كان السؤال المطروح على الطاولة هو إذا ما كان عليهم «الاعتراف» على حد وصف الرئيس – الاعتراف بأن الطائرة المفقودة كانت في مهمة تجسس – أم الالتزام بقصة التغطية المحضَّرة مسبقًا والتي كان مفادها أن طائرة اليو-٢ هي طائرة بحثية تابعة لوكالة ناسا ضلت طريقها ودخلت المجال الجوي الروسي عن طريق الخطأ. ناقش جميع رجال وكالة الاستخبارات المركزية بقوة دعمًا لقصة التغطية؛ وقال دالاس: «بالرغم من أن جميع الأمم تتجسَّس، فإنه لا أحد يعترف بذلك». لكن وزير الدفاع توماس غايتس كان قلقًا من أنه إذا كان لدى خروتشوف أي دليل ملموس على التجسُّس، سيثبُت كذب الولايات المتحدة، فقال: «لا نريد الذهاب إلى باريس ونحن محرجون».

بدا وكأن الرئيس لم يكن يستمع حقًّا. «ما أريد معرفته هو ماذا أصاب الطيار؟ هل يُحتمل أن يكون قد نجا؟» كان فرانك مذهولًا لسماع أن جنرالًا يأمر عشرات الآلاف من الرجال قلق على رجل واحد.

تحدث كيلي جونسون من شركة لوكهيد الذي كان رجلًا شاحبًا ذا بشرة وردية: «حسنًا يا سيدي». قال المهندس وهو يجفف جبينه بمنديل: «الطائرة مجهزة بكرسي قذف وعدة نجاة ... لكن بصراحة يا سيدي، الهدف الأكبر منها هو طمأنة الطيار». تهدَّل وجه آيزينهاور عند اكتشاف ذلك. «لأسباب أمنية، تدعو بروتوكولات التشغيل الطائرة لقضاء كل وقتها فوق روسيا على ارتفاعها الأقصى أو بالقرب منه، وهو سبعون ألف قدم كما تعرف. ولم يحصل أن قفز أي شخص من هذا الارتفاع وعاش».

أغمض الرئيس عينيه بقوة وطأطأ رأسه للحظة. عندما رفع رأسه، كان يبدو أكبر بعشر سنوات. «حسنًا». قالها وعيناه تتحركان بسرعة جيئة وذهابًا لاحتواء كل من في الغرفة: «في هذه الحال، سنلتزم بقصة التغطية. شكرًا على وقتكم أيها السادة».

بينما كان جميع من في الغرفة ينهض وكراسيهم تخدش سطح مشمَّع الأرضية، هز آيزينهاور رأسه وهمس: «ليرحمنا الله جميعًا». لو كان فرانك أبعد بخمسة أقدام لما سمعه، ولامسته إنسانية الرجل.

♣ ♦ ♠ ♥

مع حلول يوم الجمعة، بدا أن مديري فرانك غفروا له فشله

بالرغم من أنه لم يسامح نفسه؛ لذا عمل طوال اليوم على الإجابة عن ما يعرفه السوفيات عن طائرة اليو-٢. نُشرت صور الحُطام في صحيفة برافدا، وألقى النائب الأول لوزير الدفاع الروسي غريتشكو خطابًا أمام المجلس السوفياتي الأعلى مدعيًا أن «القرصان الجوي الأمريكي أُسقط»، لكن لم تكن هناك أي دلالة على معرفة الروس بمهمة طائرة اليو-٢ أو بقدراتها.

لكن كان هناك معلومة تلحُّ عليه، أو بالأحرى نقص في المعلومات يقلقه. كان هناك ضابط صاعد في المخابرات الروسية، رجل طموح يُعرف بلقب الجاسوس النائم، كان يبدو أنه اختفى من على وجه الأرض في الأول من مايو، وهو ذات يوم اختفاء طائرة اليو-٢. بالرغم من أنه في ذلك الحين لم يكن لدى فرانك ما يربط هذا الرجل بطائرة اليو-٢ سوى حدس ضبابي، فإنه قرر وهو يقفل على أوراقه في الخزانة لعطلة نهاية الأسبوع أن يبحث أكثر في الأمر يوم الإثنين.

♥ ♠ ♦ ♣

في يوم السبت السابع من مايو كان فرانك يغسل سيارته من طراز رامبلر ٥٦ المحفوظة بعناية في الزقاق خلف بناء الشقق حين فتحت صوفيا نافذة غرفة النوم ونادت: «إنه

رجل يُدعى روبرت يا فرانك. يقول إنه بحاجة للتحدث إليك فورًا».

أسقط فرانك الإسفنجة في الدلو وركض صاعدًا الدرَج كل درجتين بخطوة. كان ما يزال يلهث ويداه تقطران ماء الصابون عندما تلقى الاتصال في القبو. «يجب أن تأتي إلى المكتب الآن يا فرانك». لم يبدُ روبرت مسرورًا.

«حاضر يا سيدي». لم يكن هناك جدوى من طلب المزيد من التفاصيل على خط غير مؤمَّن.

♣ ♦ ♠ ♥

عندما وصل فرانك إلى مكتب روبرت، أعطاه نائب المدير حُزمة رقيقة من أوراق الفاكس الصفراء. كان تفريغًا لخطاب ألقاه خروتشوف قبل ساعات أمام المجلس السوفياتي الأعلى.

بدأ القائد خطابه: «أيها الرفاق، يجب أن أطلعكم على سر. عندما ألقيت تقريري، امتنعت قاصدًا عن ذكر أن الطيَّار حيٌّ وبصحة جيدة، وأن بقايا الطائرة كانت لدينا». نظر فرانك إلى الأعلى مذعورًا.

قال له روبرت: «تابع القراءة».

تابع خروتشوف كلامه: «فعلنا ذلك قاصدين؛ لأننا لو كشفنا القصة كاملة، كان الأمريكيون سيفكرون بنسخة أخرى لروايتهم. الطيار بأمان وسلام، إنه في موسكو الآن. اسمه فرانسيس جي باورز. حسب أقواله، إنه ملازم أول في سلاح الجو الأمريكي حيث كان يخدم حتى عام ١٩٥٦، عندما انضم إلى وكالة الاستخبارات المركزية ...»

كان هناك ما هو أكثر، أكثر بكثير. أسماء، تواريخ، خطط طيران، جميعها دقيقة. صور من كاميرا الطائرة وصفها خروتشوف بأنها «ليست سيئة». حتى الإبرة التي يوجد على رأسها سم الكوراري التي كان يُفترض بباورز أن يستخدمها ليقتل نفسه. انفجرت كليًّا قصة التغطية حول طائرة بحث مناخي خرجت عن مسارها بالخطأ.

سيحاكم باورز كجاسوس. إذا تمت إدانته - ولم تكن المحاكم السوفياتية معروفة برأفتها - سيواجه إعدامًا رميًا بالرصاص.

أسقط فرانك الخطاب على المكتب أمامه ودلَّك صدغيه. شعر بحاجة ماسة إلى سيجارة، لكن وبسبب عجلته، نسي أن يجلب أية سجائر معه من المنزل. في تلك اللحظة، فُتح الباب بقوة ودخل آلان دالاس الغرفة، وغليونه بين أسنانه. بدا وكأنه على وشك التحدث إلى روبرت، لكنه لاحظ وجود

فرانك. «ماذا يفعل هنا؟»

جلس فرانك مشلولًا، أوقفته نظرة المدير. احتجَّ روبرت قائلًا: «فرانك أحد أفضل محللي السوفيات لدينا».

قاطعه دالاس وهو ينتزع الغليون من فمه مشيرًا إلى فرانك بطرفه: «لقد فشل كليًا في الانتباه لحقيقة أن خروتشوف كانت لديه طائرة اليو-٢، وكان لديه باورز أيضًا! أريده خارج هذه المهمة. اجلب لي شخصًا يستطيع أن يخبرني ما الذي يحصل هناك حقًّا!» نظر إلى فرانك نظرة صاعقة أخيرة، ثم استدار وانطلق خارجًا.

بعد لحظة من الصمت المشدوه، هبط روبرت في كرسيه وقال: «لم أره بهذا الغضب من قبل ... على الإطلاق».

أمسك فرانك بطرف المكتب. «بذلت قصارى جهدي بالمعلومات المتاحة يا سيدي». قالها وذُهل من أن صوته لم يرتجف.

سحب روبرت علبة سجائر مارلبورو من درج مكتبه. قبل فرانك سيجارةً بامتنان. نفث روبرت الدخان وهو يشعل سيجارته. «لست وحدك يا فرانك، هناك شيء آخر يحصل هنا، وأيًّا كان هذا الشيء، فأنا لا أعرف به». نفث غيمة من الدخان. «أنا متأسف يا فرانك، لقد بذلت قصارى جهدك حقًّا.

صادف فقط أنك كنت أمام آلان في الوقت الخطأ».

عبَّ فرانك السيجارة بعمق لكن ذلك لم يساعده كثيرًا. بالرغم من أن قلبه كان يتباطأ، كان يعلم أنه آذى حياته المهنية بشكل كبير للتو، وربما حياة روبرت المهنية أيضًا. «أنا آسف أيضًا».

قال لنفسه إنه لن يكون تحت بقعة الضوء على الأقل.

♣ ♦ ♠ ♥

على مدار الأيام التالية، تعمقت الأزمة. أطلق البيت الأبيض بيانًا يلوم فيه الروس على «سريَّتهم المفرطة» التي جعلت رحلات اليو-٢ الجوية ضرورية وقرَّعوهم على مهاجمة «طائرة مدنية غير مسلحة». رد خروتشوف بأن آيزينهاور هو ألعوبة «عسكر البنتاغون» و«شركائهم في الاحتكار» الذين كانوا يديرون البلاد في الحقيقة.

في هذه الأثناء في واشنطن، استغلَّ الديمقراطيون الفرصة لإزعاج رئيس جمهوري ضعيف عبر قولهم إنه كان من «الغباء غير المعقول» إرسال طائرة تجسس فوق الاتحاد السوفياتي تمامًا قبل قمة باريس. حتى إنَّ سيناتورًا اتَّهم باورز بكونه عميلًا مزدوجًا؛ ما اضطر آيزينهاور لإعلان نفي شخصي فوريًا.

خلال كل هذا الوقت كانت وزارة الخارجية تفاوض السوفيات محاولةً تحرير باورز. لكن كان من الواضح أن السوفيات يعلمون أنهم يتحكَّمون بمركز الرقعة، ورفضوا التفاوض، واستمروا مسرعين بخططهم لمحاكمة باورز كجاسوس.

هدد وزير الدفاع السوفياتي مالينوفسكي بأن القواعد الجوية التي قدَّمها «شركاء الولايات المتحدة في الجريمة» لرحلات طائرات اليو-٢ يمكن «محوها» بسهولة. ركز وزير الدفاع غايتس في تصريح صيغ بحذر على أن الولايات المتحدة سوف «تدافع عن كل حلفائها في حال حصول هجوم».

أخيرًا، وهو يرمش بسبب الضوء الباهر لبكرات الأخبار وكاميرات التلفزيون، قدَّم آيزينهاور تصريحًا قال فيه: «بقلب ثقيل، يجب أن أعلن أن الولايات المتحدة تنسحب من محادثات القوى الأربع المخطط لها في باريس. في ظل الظروف الحالية، تبدو فرص السلام ضئيلة».

بينما كان يتحدث، رفعت القيادة الجوية الإستراتيجية بهدوء جهوزيتها إلى مرحلة «ديفكون ٣».

♥ ♠ ♦ ♣

ليل الخميس في العاشر من مايو، أو ربما في الصباح الباكر من يوم الأربعاء. حدَّق فرانك في رقعة الشطرنج خاصته، كان الدخان يلتف من سيجارته بين أصابعه وهو يفكر بالحركة النهائية للعبة بوتفينيك رقم ٩٠؛ رومانوفسكي ضد بوتفينيك، ١٩٤٥. تعاطف فرانك مع رومانوفسكي، الذي كان قد ارتكب خطأً واضحًا في الحركة العاشرة وتراكمت الأخطاء فوقه وأصبح يواجه مفاجأة بعد مفاجأة من المعلِّم بوتفينيك. لو أنه استطاع الحفاظ على أعصابه ... لكنه لم يفعل. خسر رومانوفسكي كل تركيزه واللعبة أيضًا، وأصبح بوتفينيك بطل الاتحاد السوفياتي ثم بطل العالم بعد ثلاث سنوات.

أيقظ صرير باب القبو فرانك من حلم اليقظة هذا. كانت صوفيا، وهي ترمش في ضوء المصباح المزيَّن على شكل طائرة. قالت: «تعالَ إلى النوم يا قلبي، تأخر الوقت».

تنهد فرانك وأطفأ سيجارته، ثم بدأ بإعادة وضع قطع الشطرنج في صندوقها. «أنا آسف يا عزيزتي. لا أستطيع التوقف عن القلق على طيار اليو-٢». بالرغم من أنه أُعفي من مشروع اليو-٢، لم يستطع فرانك نسيان أمر باورز. أين كان السوفيات يسجنونه؟ ماذا عرفوا منه؟ هل كانوا سيعدمونه حقًّا بتهمة التجسس؟ رجل المخابرات الروسية

المفقود، الجاسوس النائم، ألح على فرانك كسن مقلوع؛ لم يكن لديه أي حقائق حول الرجل، لكن حدسه أصر على أن الجاسوس النائم وباورز مرتبطان بطريقة ما.

«ربما يجب أن تأخذ حبة مهدِّئ».

هز فرانك رأسه. «الفتى المسكين أكبر من ابننا بقليل فقط».

«لا يمكنك فعل أي شيء للمساعدة».

«حسنًا». أمسك فرانك البيدق الأبيض الأخير بيده. «كنت أفكر في ...»

«فرانك!» جعلت صدمة صوتها رأسه يستدير. كان وجهها قاسيًا يملأه الخوف والغضب. «بالتأكيد لا يمكنك أن تفكر بتسليم نفسك إلى لجنة سكيرا!»

«لديَّ قدرة فريدة يا صغيرتي. ربما حان الوقت لأستخدمها. من أجل صالح البلاد». اقترب منها ليواسيها.

«جنون!» تفادت ذراعيه ومشت في الغرفة، كانت ذراعاها مطويتين بضيق على صدرها. «لستَ الفتى الذهبي يا فرانك، أنت جَدٌّ! موظف أصلع في منتصف العمر! أنت لا تضع الفلفل على البيض حتى!» استدارت ورأى الدموع تنهمر خطوطًا

على وجهها. «وفكِّر بالأولاد! ماذا سيكون رأي الناس لو علموا أن والدهم ... واحد من أولئك؟»

نظر فرانك إلى الأسفل محدقًا بالبيدق الأخير الذي ما زال في يده وبالحجرة المخطَّطة بالمخمل الملائمة له. لكل قطعة مكان تنتمي إليه، ولا يمكن أن يملأ بيدق المساحة المخصصة لملكة. تنهد. «أنتِ محقة، بالطبع».

زحف خفًّا صوفيا على الأرض وهي تضغط دفأها الناعم على ظهره، معانقةً إياه من الخلف. وضع البيدق جانبًا واستدار ليحيطها بذراعيه. وقفا بهذا الشكل لمدة وهما يميلان بنعومة من طرف إلى الآخر وهما يمسكان بعضهما ببعض.

قالت صوفيا أخيرًا: «والآن تعالَ إلى السرير».

أطفأ فرانك الضوء، تاركًا البيدق يقف في الظلام إلى جانب رقعة الشطرنج الفارغة.

يوم الجمعة الثالث عشر من مايو. جلس فرانك وحيدًا في مكتبه، وعلى زاوية مكتبه كان هناك قطعة نقانق باردة كثيرة الدهن نصف مأكولة اشتراها من بائع في الشارع. كان لم يتناول غداءً جيدًا منذ أسبوعين، وبدلًا من ذلك قضى كل

لحظة لديه في موضوع باورز.

في الأيام الأخيرة، تفاقم سوء الوضع العالمي بانتظام وهو الذي كان متوترًا في الأصل، مع سبر القاذفات السوفياتية حدود ألاسكا وكندا والنشاط المتزايد لمواقع الصواريخ متوسطة المدى التي تهدِّد تركيا وباكستان. لكن فرانك كان يركز جُلَّ اهتمامه على الجاسوس النائم المضلل والمفقود. لم يعد رجل المخابرات الروسية الوحيد الذي قد اختفى؛ اختفى آخرون أيضًا من المسرحية. عبر مقاطعة هذه المعلومة مع آخر الإشارات المُعترضة حول ميزانيات النقل والأمن، استنتج فرانك ما هو مركز هذا النشاط الغامض: سجن فلاديميرسكي المركزي، سجن ذو حراسة مشددة في مدينة فلاديمير الروسية.

لا بدَّ من أن باورز هناك.

كان فرانك شبه مستعد لتقديم ما وجده لمديريه؛ كان بحاجة لبضع حقائق أخرى لدعم حدسه. سينزعج دالاس من أنه استمر في العمل على قضية باورز، لكن إذا استطاع فرانك تقديم تقرير قوي كفاية فلن يكون لديه خيار سوى قبول استنتاجاته. أما إذا ما كان سوف يتصرف بناءً على هذه الاستنتاجات، فهذا سؤال آخر، لكن ذلك كان خارج سيطرة فرانك.

قلَّب الأوراق الرقيقة، الوردية منها والسوداء والصفراء الملطخة بالأحمر التي تعني السرية وأختام «سري للغاية» باحثًا عن دليل حاسم. كانت هذه آخر معلومات استخباراتية لديه ... ألحَّ فرانك على ضباط إدارة الملفات حتى إنهم أصبحوا يرمون كل ما لديهم عنده ليتخلصوا منه فقط. كان يمكن أن يكون أول من رأى هذه البيانات.

لذا عندما قرأ تقريرًا من عميل في ضاحية نوغينسك النائمة في موسكو يدعي أن النائب العام للاتحاد السوفياتي رومان آندرييفيتش رودينكو شوهد مع الجنرالات بوريسوغليبسكي وفوروبييف وزاخاروف في مقطورة خاصة في قطارٍ متَّجهٍ شرقًا، جفَّ حلقه.

كان رودينكو السوفياتي نظير النائب العام الأمريكي. كان يشكِّل بوريسوغليبسكي وفوروبييف وزاخاروف القسم العسكري من المحكمة السوفياتية العليا. وكانت نوغينسك تقع على الطريق من موسكو إلى فلاديمير.

كانت تُقام محاكمات الجواسيس في الاتحاد السوفياتي بسرية. إذا كان الأربعة موجودين في فلاديمير، ربما هم يحاكمون باورز الآن، وربما يكون فرانك هو الوحيد الذي يعلم بذلك.

لكن العميل في نوغينسك لم يقدم إلا تقارير قليلة سابقًا؛ لم

يستطع فرانك تحديد مدى موثوقية هذا العميل. كان بحاجة إلى المزيد من البيانات ليتأكد. كان يقلِّب رِزمًا ورِزمًا من الأوراق، يفحص ويترك كل واحدة بأقصى سرعة، بعد قليل كان قد راكم كومة من الأوراق المنفردة على الأرض عند قدميه.

ثم لفت شيء مما قرأه عقله تمامًا عندما كانت أصابعه تفلت الورقة. أسرع ليجدها مرة أخرى، وهو يجعِّد ويمزق أوراقًا أخرى في سرعته، ثم حملها أمام الضوء مرة أخرى. كانت برقية مُعترضة من مكتب السجون إلى قائد أوركسترا وجوقة الجيش الأحمر.

«للأسف، يجب أن تلغي حفلك في السابع عشر من مايو عام ١٩٦٠ في سجن فلاديمير». هكذا كان مكتوبًا بالأحرف السيريلية الكبيرة. «فناء التدريب غير متاح في ذلك اليوم».

سجن فلاديمير. المحكمة العليا. النائب العام. محاكمة سرية. فناء التدريب.

الإعدام رميًا بالرصاص.

كان خيطًا رفيعًا وملتفًّا من الأدلة بالتأكيد. لكن فرانك تجاهل حدسه سابقًا ولم تكن نتيجة ذلك سوى الخزي والعار. كان اختصاصه الاحترافي طوال حياته هو جمع التقديرات

من حقائق يبدو أنها غير مترابطة، ونادرًا ما أن شعر بتأكُّد كهذا حول استنتاج.

كان الموعد المحدد بعد أربعة أيام من الآن. بل ثلاثة أيام، بعد احتساب فارق التوقيت بين واشنطن وموسكو. ليكون لديهم فرصة في إنقاذ باورز، يجب على مديريه أن يعلموا بذلك فورًا.

جمع فرانك الأوراق التي كان يحتاجها لدعم استنتاجاته وخرج مسرعًا من الباب. لم يتوقف ليأخذ قبعته حتى.

♣ ♦ ♠ ♥

كان روبرت على طائرة متجهة إلى جينيفا من أجل اجتماع لحلف الناتو؛ لذا ابتلع فرانك ريقه وذهب إلى دالاس.

قال السكرتير: «المدير في اجتماع في البيت الأبيض، لن يعود إلى هنا قبل الغد».

لكن الحارس في مكتب أمن الجناح الغربي أوقف تقدم فرانك. «المعذرة يا سيدي، المدير دالاس في اجتماع مع الرئيس. أرجوك انتظر هنا».

«كم سأنتظر؟» تشبَّث فرانك بالمجلَّد المليء بالأوراق وكأنه كان مِقوَد قدره.

«لا أستطيع أن أخبرك يا سيدي».

جلس فرانك على الكرسي المُشار إليه، لكن ما لبث أن قفز عنه وبدأ بالمشي جيئةً وذهابًا.

نظر إلى الساعة. ٤:١٥ مساءً، ١١:١٥ مساءً حسب توقيت موسكو. بعد ٤٥ دقيقة سيكون يوم الجمعة هناك. إذا كان فرانك محقًّا، موعد إعدام باورز هو الثلاثاء، عند الفجر على الأرجح. بعد ثمانين ساعة من الآن تقريبًا.

لو أنه كان يستطيع إرجاع الساعة فقط ...

توقف فرانك في مكانه. قال للحارس: «أنا آسف، لا أستطيع الانتظار. سيتوجّب عليّ أن أجد طريقة أخرى».

التفَّ عند الزاوية. كان هناك حارس آخر، لكن اهتمامه كان مركّزًا على الخارج وكان فرانك خلفه.

كان ذلك جنونًا. إذا فعل فرانك حقًّا ما كان يفكر به، فستتغير حياته إلى الأبد. ربما لن يرى زوجته أو أولاده مرة أخرى. وباورز رجل واحد فقط، رجل كان يعرف حتى وهو يصعد طائرة اليو-٢ أنه ربما لن يعود من مهمته.

لكن فرانك أقسم على الدفاع عن الولايات المتحدة من جميع الأعداء الخارجيين والداخليين. لم يكن باورز رجلًا

واحدًا فقط ... كانت حياته ترمز لما هو أكثر من ذلك بكثير، وربما يمنع إنقاذه نشوب مواجهة أكبر بكثير. ربما لن تتفهَّم زوجة فرانك ذلك. لكن ما فعله من أجل الوطن، كان قد فعله من أجلها ومن أجل الأولاد أيضًا.

تشبَّث بمجلَّده وحصر تركيزه.

طغى صوت قوي في رأس فرانك يشبه صوت الرياح العاتية على دقات الساعة وجميع الأصوات الأخرى. خارج النافذة، تجمَّد العلم في منتصف تموُّجه.

اندفع فرانك خلال الهواء السميك الأشبه بالجيلو مارًّا بحارس الجناح الشرقي الذي كان جالسًا خلف مكتبه وهو لا يرمش. شعر أن الباب خلفه كان ثقيلًا كالرصاص، لكن يوجد خلفه بهو مستقيم طويل، لا يوجد فيه إلا جنديان من مشاة البحرية في تركيزٍ صارمٍ إلى جانب الباب الثالث إلى اليسار.

استنتج فرانك أنه يوجد خلف ذلك الباب غرفة مؤتمرات مظلمة وصغيرة حيث كان يجلس ثلاثة رجال بثبات على طاولة محدِّقينَ بشاشة جهاز إسقاط وهم متجهِّمون. استطاع فرانك عبر ضوء جهاز الإسقاط أن يميِّز دالاس وآيزينهاور؛ لكن الثالث بدا مألوفًا بشكل ضبابي، إلا أن فرانك لم يتذكر اسمه.

حدَّق فرانك بالرئيس الذي كان جالسًا وهو مجمَّد حيث كان ينعكس المربَّع المضيء في الشاشة على نظارته. خلال لحظة، سيكشف فرانك نفسه له، وستنتهي حياته المدنية.

أو أنه يستطيع التراجع الآن، ولن يعرف أحد شيئًا.

لا أحد إلا فرانك نفسه.

شهق فرانك، وسمع بدلًا من الصوت الصاخب في أذنيه صوت مروحة جهاز الإسقاط الأكثر نعومة. سُمع صوت شهقةٍ أخرى بعد لحظة، لكن هذه كانت من دالاس عندما لاحظ ظهور فرانك المفاجئ. «يا للهول!» قفز فورًا ليغطي عدسة جهاز الإسقاط بيده.

لفت التصرُّف غير المُتوقَّع انتباه فرانك إلى الشاشة. قبل أن يحجب دالاس الضوء استطاع أن يقرأ كلمات «أكواتون» و«اعتُقل» و«رامبارت» و«طيَّار».

كان أكواتون هو الاسم المشفَّر لطائرة اليو-٢ الذي كان يعرفه فرانك. وكان «را» هو الحرف المزدوج للاسم المشفَّر المرتبط بفيروس البطاقة الجامحة. إذا كان رامبارت هو الاسم المشفَّر لطيَّار اليو-٢ الذي اعتُقل، كان ذلك يعني أن ...

«لدينا مشكلة». قال ذلك الرجل الثالث وهو يشغل أضواء الغرفة. «هذا الرجل يعرف من هو وما هو رامبارت».

أدرك فرانك فجأة هوية الرجل الثالث. لورانس هايغ، سمسار البورصة الذي كان أول رجل يُدخل إلى لجنة سكير، قارئ أفكار. كان أكبر بخمس سنوات من الصورة التي رآها فرانك في الأخبار له، لكن كان يستحيل أن يخطئ المرء تلك العينين الثاقبتين والجبهة العالية. كان من الجيد أنَّ فرانك دخل إلى الغرفة بنية أن يكشف نفسه.

قال: «أجل، استنتجت للتوِّ من المعلومات على الشاشة أن فرانسيس غاري باورز هو آيص». كان صوته ثابتًا مما فاجأه. «جئت إلى هنا لأخبركم بأنه حُوكم وحُكم عليه بالموت».

كانت تعابير وجه آيزينهاور عابسة. «كيف دخلت إلى هنا؟»

«أنا آيص أيضًا». لقد قالها. لا مجال للتراجع الآن.

«آيص في الفشل ربما ...» صاح دالاس.

وقف آيزينهاور مقاطعًا دالاس. «ماذا قلت عن الحكم على باورز؟»

شرح فرانك بسرعة كل المعلومات الاستخبارية وتفسيره لها.

كان دالاس متشككًا بشكل صريح. صرخ قائلًا: «هذا الرجل لا يستطيع إيجاد مؤخرته بخريطة ومصباح كاشف».

«أعلم أنه توجد روابط إشكالية في هذا التحليل» رد فرانك. «لكنني فشلت سابقًا لأنني لم أحترم حدسي». استدار ووجّه كلامه إلى آيزينهاور بشكل مباشر. «سيدي الرئيس، أنا وُلدت في روسيا قبل الثورة. لقد شاهدت البلشفيين منذ أيامهم الأولى. أعرف كيف يعملون، وأعرف كيف يفكرون، ولقد درست سياساتهم وحكوماتهم طوال حياتي. يجب أن تصدّق أنني أعلم أن باورز إما أُدين بالتجسس أو سيُدان سريعًا وسيُعدم رميًا بالرصاص في فناء التمرين في سجن فلاديميرسكي المركزي يوم الثلاثاء في السابع عشر من مايو».

«هذه قدرة الآيص الخاصة بك؟» سأل آيزينهاور. «استنباط خارق ... من نوع ما؟»

«لا يا سيدي الرئيس. التحليل هو مهنتي. قدرتي هي إيقاف الزمن. كل شيء يتوقف إلا أنا؛ من منظورك يبدو أنني أنتقل بشكل فوري». كان ذلك خطابًا تدرّب عليه في رأسه ألف مرة. «هل تسمح لي بأن أعرض ذلك لك؟»

قلّب دالاس عينيه، لكن آيزينهاور نظر إلى هايغ الذي هزّ رأسه موافقًا.

حصر فرانك تركيزه في عقله. بدأ العالم بالصخب وتجمّد الرجال الثلاثة في أمكنتهم. وهو يدفع الهواء المُقاوم الثقيل،

مشى إلى كل واحد منهم وأخذ محفظته من داخل جيب سترته. مشى إلى الزاوية البعيدة من الغرفة قبل أن يحرر الزمن ليعود لمجراه الطبيعي.

قال: «هنا». دُهش الرجال الثلاثة واستداروا لمواجهته ثم ربَّتوا على جيوبهم بقلق متزايد. رفع المَحَافظ. هزَّ هايغ رأسه ببطء مثنيًا عليه.

كانت هذه لحظة انتظرها لخمس سنوات. كان يريد أن يتلذذ بانتصاره ... لكنه شعر بالتعب، شعر بالإنهاك يصل عظامه حتى، شعر أنه أكبر بعشر سنوات. كان كل ما يستطيع فعله هو البقاء واقفًا. «سيدي الرئيس». قالها وصوته متهدِّج، «لقد رأيتُ كم يعني باورز بالنسبة إليك. أرجوك، أرجوك صدِّقني ... عبر ما أعرفه، ما تعلمته، ما أستطيع فعله. دعني أساعدك بأي طريقة أستطيع المساعدة فيها».

كان دالاس أول من تعافى من الصدمة. انفجر قائلًا لآيزينهاور: «هذه إساءة يا سيدي».

لكن الرئيس تجاهل دالاس، واستدار إلى هايغ بدلًا منه. «هل يقول هذا الرجل الحقيقة؟»

«كما يفهمها، أجل».

«هل توجد أيَّة علامات سوداء في سجلِّه؟» وجَّه هذه

الجملة إلى دالاس.

«لقد فشل في التأكد من أن باورز كان لدى السوفيات».

«لم يكن الوحيد في ذلك. هل من شيء آخر؟»

رمق دالاس فرانك بنظرة غاضبة قبل أن يجيب: «ليس على حد علمي».

نظر آيزينهاور في عينَيْ فرانك لفترة طويلة وهو يحسب الأمور، وأدرك فرانك بالرغم من إنهاكه أن هذا الرجل كان حقًّا يحمل وزن العالم على كتفيه، وهو يفعل ذلك منذ ثماني سنوات. قال أخيرًا: «حسنًا، سيد ... مازورسكي؟ هذا هو اسمك؟»

«ماييفسكي يا سيدي».

استقام آيزينهاور. «سيد ماييفسكي، بسلطة قانون التحكم بالقوى الغريبة وقانون التجنيد الخاص، أضعك تحت قيادة لجنة مجلس الشيوخ لموارد ومساعي الآيائص من الآن. هل تفهم حقوقك ومسؤولياتك تحت هذا القانون؟»

«أجل يا سيدي».

«السيد هايغ هنا هو مدير لجنة سكير، ومن الآن ستعمل تحت إمرته. أرجوك أدخل السيد ماييفسكي إلى ملف

رامبارت يا لاري».

سحب هايغ ورقةً من حقيبته وطلب من فرانك أن يتهجَّى اسمه وأن يخبره بتاريخ ميلاده ورقم ضمانه الاجتماعي. كانت هذه الورقة تحمل شعار لجنة سكير على رأسها وكانت تشبه استمارة التصريح الأمني لدى وكالة الاستخبارات المركزية، إلا أن توصيف الملف كان عبارة عن خربشة قصيرة مكتوبة بخط اليد - «فرانسيس غاري باورز، القدرات والتاريخ»، كان الحبر لم يجفَّ بعد - والتصريح حول كشف المعلومات غير المصرَّح به تضمَّن الكلمات: «يُعدُّ أيُّ كشفٍ من أي نوع خيانة»، و«يعاقب بالإعدام دون محاكمة». ابتلع فرانك ريقه ووقَّع الاستمارة التي وقَّعها هايغ ودالاس وآيزينهاور بدورهم.

شرح هايغ بعدها أن غاري باورز الذي كان رمز ندائه «عين النسر» هو حقًّا آيص، وكان أهم أدوات أمريكا في المراقبة. قال هايغ: «قدرة الآيص لديه هي الرؤية من مسافات هائلة، رؤية أفضل من أقوى كاميراتنا التليسكوبية، ولقد تدرَّب لسنوات على فهم ما يراه. لا يمكن تعويض باورز، ويجب أن يُستعاد دون أن يتعرَّض للأذى».

شكر آيزينهاور هايغ على شرحه وتابع قائلًا: «عُقد هذا الاجتماع للتفكير ببدائل لعين النسر وللحد من الأضرار

بعد خسارته. لكن وبما أنك هنا الآن، أعتقد أنه لدينا فرصة لإنقاذه. معرفتك بروسيا وتدريبك لدى وكالة الاستخبارات المركزية وقدرة الآيص، لديك خليط يبدو وكأنه هبةٌ من السماء في هذه الحال. هل أنا مصيب بأن لغتك الأم هي الروسية على حد ما أذكر؟»

أجاب فرانك: «أجل». كان قلبه يدق بسرعة عندما أدرك ما كان سيقترحه آيزينهاور.

لكن دالاس الذي كان يغلي بهدوء انفجر الآن، «سيدي الرئيس! من غير المعقول أن تفكر بإرسال هذا الرجل إلى روسيا! إنه ليس عميلًا، بل هو محلل! ليس مدرَّبًا البتَّة على الحيل وتفادي العدو ومقاومة الاستجواب ...»

قال آيزينهاور: «اصمت يا آلان». أوقفت نبرة آمرة لا يمكن تحديدها في صوته دالاس نهائيًا. «عين النسر ضروري جدًّا لأمن هذه الأمة، حتى إنني مستعد بهدف استرجاعه إلى المخاطرة لخسارة أحدث أدواتنا ...»، شعر فرانك ببرودة في جوف معدته عندما عرف أن الرئيس كان يقصده، «بالإضافة إلى أي أضرار جانبية أخرى. على أية حال، لم يعد السيد مايبفسكي تحت إمرتك». أشاح بوجهه عن دالاس فيما فسَّره فرانك ازدراءً واضحًا.

«سيد مايبفسكي»، تابع آيزينهاور وكان يصبُّ الآن جلَّ

تركيزه على فرانك: «أنا آسف لتحميلك عبئًا كهذا ولوضعك في خطر كبير، لكنني متأكد من أنك واعٍ لأن بلدك يحتاجك ويحتاج قدراتك الفريدة. سيقدِّم لك السيد هايغ قصارى ما يستطيعه في مجال التدريب والدعم قبل أن تغادر من أجل مهمتك».

فتح فرانك فمه إلا أنه لم يخرج شيء منه. بعد محاولتين، اكتفى بهزِّ رأسه ببساطة.

قال لنفسه إن البيدق الذي يصل إلى آخر رتبة صفٍّ في الرقعة يصبح ملكة.

♣ ♦ ♠ ♥

أخذه هايغ إلى بناء مليء بالمكاتب في شارع إف يُفترض أنه مكتب محاماة عقاري، لكنه كان في الحقيقة مقرَّ لجنة سكير. أُجريت عليه هناك مجموعة كبيرة من الفحوص الطبية قام بها الطاقم بأدب ولكن بفعالية حازمة وتضمَّن الطاقم الدكتور تاتشر، رجل طوله أربعة أقدام وأصلع، بشرته دهنية وبيضاء وعيناه صفراوان وضيِّقتان وله أنياب، قام بسحب إبرة من دم فرانك وتذوَّقها قبل كتابة ملاحظات شاملة بشكل مختصر. لم يسبق لفرانك أن كان في نفس الغرفة مع جوكر، لكنه حاول الحفاظ على هدوئه.

أجريت له بعدها على الفور مجموعة تمارين مصممة لبيان حدود قدرة الآيص لديه. أمسك ساعة مؤقت – كان يحمل أي شيء يلمسه جلده معه خارج الزمن – وأوقف الزمن لأطول فترة استطاعها، وتبيّن أنها إحدى عشرة دقيقة، بالرغم من أنها بدت أطول بكثير. خلال توقف الزمن ركض في جولات ورفع أوزانًا تبلغ الثلاثين باوندًا. وفعل شيئًا لم يفكر به من قبل؛ أخذ إنسانًا آخر معه إلى خارج الزمن، متطوّع مشى ببطءٍ وفرانك يقوده ممسكًا بيده. قال المتطوّع إن التجربة كانت غريبة ومخيفة، فورة محمومة شبه واعية دون إرادة، أشبه بقيادة السيارة بالسرعة القصوى في حلم يقظة، لكن بعد انتهائها تبيَّن أنه لا أضرار سلبية لها. عندما أُضيف متطوّع ثانٍ شعر فرانك أنه من الصعب عليه أن يخطو خطوة واحدة حتى.

أعاد الفحص الطبي بعد هذه التمارين. لم يخبره أحد بشيء مما اكتشفوه، إذا كانوا قد اكتشفوا شيئًا. سُمح له بعدها بالاتصال بزوجته لكن تحت المراقبة الدقيقة وكان الاتصال ليخبرها فقط بأنه لديه مهمة خاصة ولن يستطيع العودة إلى المنزل لبضعة أيام.

كانت الساعة قد أصبحت الثانية صباحًا الآن. كان هناك بضع غرف نوم في مكاتب سكير، كانت خالية من النوافذ

وواسعة لكنها مريحة؛ لم يكن بالإمكان إقفال الباب، لا من الداخل ولا من الخارج. خلع فرانك ربطة عنقه وحذاءه وتمدد على السرير ليستريح قليلًا وكان متأكدًا من أن عقله كان مليئًا بالأسئلة والتجارب الجديدة إلى درجة لن تسمح له بالنوم.

أيقظه فجأة سكرتير مؤدب وأخبره أن الساعة هي السادسة. أعطى فرانك أيضًا حقيبة كبيرة مهترئة عليها الأحرف السيريلية «يا جي». كان فيها عدة بَدَلات من الملابس، ملابس ثقيلة وسيئة الصنع ولا تلائم مقاسه وعليها شارات بالروسية، أحذية ومناديل وأغراض أخرى؛ وما بدا في عيني فرانك أنه جواز روسي حقيقي عليه صورته والاسم ياشيك غرابوفسكي.

بينما كان فرانك يحلق بشفرة أمان مثلَّمة ومرقَّطة روسية الصنع وبصابون متكتِّل، فكر بأن من الجيد أنه لم يكن معتادًا على معجون الحلاقة الرطب من البخاخ الذي أصرَّ حلَّاقه على أنه يجب أن يجربه.

لحظة خروجه من الحمام أخذوه سريعًا إلى اجتماع بهايغ وعدة رجال آخرين صارمين قدموا له مجلدًا سميكًا من الأوراق: خطة مفصَّلة لإنقاذ باورز. ليلتزم التوقيت المطلوب، كان عليه مغادرة قاعدة آندروز الجوية خلال ساعة. هل كان

لديه أيَّة أسئلة؟

قرأ فرانك الخطة وهو يشرب قهوة مريعة وقطعة دونات قديمة. بدا أنها أخذت بالحسبان كل ما عرفه هو وسكير عن قدراته في اليوم السابق ... عبر دفعها إلى حدودها القصوى. فكر بأن الخطة ستنجح شرط ألا يحصل أيُّ شيءٍ غير مُتوقَّع وأن يحافظ فرانك على نفس مستوى الأداء.

لكن كان هناك جزء من الخطة لم يستطع فرانك تصوُّرَه. سيرافقه ضابط ميداني خبير لمساعدته في الدخول والخروج، لكن الخطة تطلَّبت من الضابط أن يرافقه إلى السجن، ثم كان على فرانك أن يأخذ باورز باستخدام موهبة البطاقة الجامحة خاصّته شاقًّا طريقه لوحده.

«سأذهب إلى روسيا لأحرر رجلًا من سجن لا يمكن الهرب منه». قالها فرانك وهو يضغط بقوة على الخريطة بإبهامه. «لن أترك رجلًا آخر في مكانه».

أمسكت يدا هايغ بعضهما ببعض على الطاولة. «هذه وظيفته يا فرانك، ووظيفتك هي اتِّباع أوامري».

قابل فرانك نظرة هايغ القاسية بواحدة منه. «لن أفعلها».

حدّقا كل منهما بالآخر للحظة طويلة بينما تصبب العرق من جانبي فرانك تحت المعطف السوفياتي الثقيل. لكن هايغ

هو من رمش أولًا. قال: «حسنًا». استدار إلى مخططي سكير الآخرين. «سنستخدم الخطة البديلة حيث يدخل فرانك ويخرج من السجن لوحده».

دُهش فرانك بأن هايغ انهار بشكل مفاجئ وكامل.

«لا تتفاجأ». قالها هايغ بالرغم من أن فرانك لم يتحدث. «أستطيع أن أحدد تمامًا ما لن تتنازل عنه». وقف ومد يده. «أعتقد أنك أحمق عاطفي، لكنني أتمنى لك رعاية الله». وقف المخططون أيضًا.

كانت ركبتا فرانك ترتجفان بشدة حتى إنه بالكاد استطاع الوقوف باستقامة، لكنه فعل ذلك بصعوبة. «أشكرك يا سيدي. سأبذل قصارى جهدي».

♣ ♦ ♠ ♥

الطائرة التي استقلّها فرانك في قاعدة آندروز هي طائرة سي–١٣٠ هيركيليز كبيرة، وكان فرانك هو الراكب الوحيد. «كل هذا لي فقط؟»، سأل الطيار الذي كان رجل بحرية نحيلًا قاسي الملامح وعيناه زرقاوان باهتتان، وكان مكتوب على لصاقة اسمه أي ديربورن.

هز كتفيه. «أطير إلى حيث يُطلب مني».

كان الإقلاع قاسيًا، كان الصوت صاخبًا في الحجرة الفارغة المخصصة للحمولة وكانت المحرِّكات الأربعة تدوي كالأعاصير، لكن الطائرة استقرت كالمعتاد سريعًا. «أمامنا خمس عشرة ساعة إلى هيلسينكي». قال ديربورن، «بما فيه توقف للتزوُّد بالوقود في كيفلافيك».

نام فرانك قليلًا، لكن بالرغم من إرهاقه وسدادات الأذن وبذلته القطنية السوفياتية، أيقظه الضجيج والبرد بعد بضع ساعات. قرأ خطة الإنقاذ حتى تأكد من أنه حفظ كل تفصيل فيها. قام بجرد لمحتويات الحقيبة وعدَّ كلَّ زرٍّ على كلِّ قميص. عندما سلَّم ديربورن أجهزة التحكُّم إلى الطيَّار المساعد ليأخذ استراحة وذهب إلى الخلف ليعرض على فرانك شطيرة، كان فرانك قد انتقل من الذُعر إلى الملل ومن ثَمَّ إلى الجانب الآخر وصولًا إلى اليأس. «لا أعتقد أنه توجد عدة شطرنج على الطائرة، أليس كذلك؟»

«أنت محظوظ». أخرج ديربورن واحدة من حقيبته، عدة شطرنج صغيرة مخصصة للسفر وكانت قطعها الخشبية توصل بالرقعة عبر ثقوب فيها. «أُسَرُّ دومًا بأن يكون معنا لاعب آخر في هذه الرحلات الطويلة». قال ديربورن ذلك وهو يرتِّب الرقعة. «ما تقييمك؟»

«أنا ... لا أعلم. أنا لا ألعب ضد الآخرين عادةً».

«تلعب بالبريد إذن؟» كان ديربورن يلعب بالحجارة البيضاء وتقدَّم ببيدق ملكته.

«لا، أنا ... أنا فقط ... أدرس ألعاب البطولات. ألعبها على الرقعة وأحلِّلها». كان الاعتراف بهوايته مؤلمًا بشكلٍ مفاجئ. كان يعلم أن الشطرنج لم يكن نشاطًا ثقافيًّا لقضاء الوقت؛ لكنها كانت لعبة أيضًا، لعبة يجب أن تُلعب مع آخرين كشكل من أشكال التفاعل الاجتماعي. لكن ذلك الجانب لم يكن يجذبه. «لم ألعب لعبة شطرنج حقيقية منذ ... عشر سنوات». تقدَّم ببيدق ملكته لمواجهة بيدق ديربورن.

«ربما هذا هو الوقت الأنسب لذلك». حرَّك ديربورن بيدق الفيل من جانب الملكة كما في افتتاحية مناورة الملكة التقليدية.

كان باستطاعة فرانك حينها أن يوقف مناورة الملكة عبر التقدُّم ببيدق ملكه محافظًا على سيطرته على المركز، أو أن يقبلها عبر أخذ البيدق الذي تقدَّم به ديربورن للتوِّ؛ ما يعطيه حرية أكبر للتحرك لاحقًا.

وجد أنه غير قادر على التوصُّل إلى قرار.

مد يده ... ثم سحبها. ومرة أخرى، ارتجف ترددًا.

بعد سنوات عديدة من الدراسة المفصَّلة وتحليل بعض

أعظم ألعاب الشطرنج في التاريخ ... لم يستطع أمام خصم بشري أن يواجه افتتاحية تقليدية في لعبة عادية لا معنى لها.

كان دالاس محقًّا. كان محللًا وليس عميلًا ميدانيًا. ما الذي يفعله بحق الله هناك؟

قال له ديربورن: «هل أنت بخير؟»

«أنا بخير»، كذب فرانك. نظَّف أنفه ليخبِّئ دموعه. كان المنديل الروسي صُلبًا وقاسيًا. طواه وأعاده إلى جيبه والتقط نفسًا ثم أخذ بيدق ديربورن.

كان قد تخلَّى عن السيطرة على الكثير من حياته. لماذا لا يتخلَّى عن السيطرة على المركز؟ ربما يساعده ذلك في نهاية اللعبة.

استمرَّ اللعب. كان ديربورن لاعبًا ثقيلًا ومحافظًا، ومن الواضح أنه لم يستطع أن يرى أبعد من بضع حركات إلى الأمام، لكن كان يبدو بطريقة ما أنه في المكان المناسب ليواجه جميع هجمات فرانك. «أعتقد أنني محظوظ فقط». قال ذلك وأخذ فارس فرانك.

«لا يوجد حظ في الشطرنج». تقدَّم فرانك بفارسه المتبقي. «كش».

«ربما، لكن لطالما كنت محظوظًا بطريقةٍ ما. كان يمكن أن أكون هناك مكان فرانسيس غاري باورز». أخذ فارس فرانك بفيله.

«حقًّا؟» حرَّك فرانك ملكته مربَّعًا واحدًا ليهدد ذلك الفيل.

«أجل. تواصل معي برنامج اليو–٢، تجاوزت كل الاختبارات والمقابلات وحصلت على التصاريح الأمنية وكل شيء. لكنني أُصِبت بمرض النكاف بعدها، النكاف، هل تصدِّق ذلك؟ وفاتتني فرصة دخول التدريب. عندما سُمح لي بالطيران مرة أخرى لم يكن قد تبقى أيّة شواغر». حرَّك الفيل المهدَّد إلى الطرف الآخر من الرقعة، لكن عندما أفلته تجهَّم وجهه. «لم أقصد وضعه هناك، تبًّا». عبس ثم تفحَّص الرقعة وجلس باستقامة فجأةً. «كش ملك!»

كان فرانك يأمل ألا يكون ذلك فألًا سيئًا.

♣ ♦ ♠ ♥

قابل فرانك في هيلسنكي رجلًا ضخمًا ذا وجهٍ عريض لا يبتسم، قدَّم نفسه بالروسية على أنه بيوتر آندرييفيتش مالينوف. أخذ حقيبة فرانك إلى سيارة ركَّاب من طراز فولفو ثقيلة ورمادية، واعتقد فرانك أنه السائق فقط حتى أُغلق باب السيارة وأعطى فرانك شيفرة التأكيد. كان الضابط

الميداني الخاص بفرانك، عميلٌ في وكالة الاستخبارات المركزية منذ زمن طويل وجدير بالثقة وكان يعمل عادةً مع أعضاء سكير. سأله فرانك: «ما اسمك المستعار؟ بمَ أناديك؟»

«ستناديني بيوتر أندرييفيتش مالينوف. إذا كنت لا تعرف اسمي الحقيقي فلن تخطئ وتناديني به. وأنت، بالنسبة إليّ لست سوى ياشيك غرابوفسكي، قريب زوجتي البسيط بعض الشيء والذي سأرافقه إلى موسكو من أجل المعرض الزراعي كخدمة لها. إذا واجهتك أيّة أسئلة غريبة، تظاهر بالغباء فقط». كان من الواضح أنه لم يعتقد أن الأمر سيشكّل تحديًا كبيرًا.

بدأ احتجاج بالتشكل خلف شفتي فرانك – كان محللًا في وكالة الاستخبارات المركزية، كان لديه شهادات متقدّمة في الاقتصاد والعلاقات الخارجية – لكنه حافظ على صمته. كان سيعتمد على هذا الرجل حفاظًا على حياته، وهو يعرف عمله. لم يكن من المنطقي أن يستعديه.

بالكاد تحدّث «مالينوف» إلى فرانك وهما يقودان السيارة إلى محطة قطارات هيلسنكي، وفور أن استقرّا في كرسيي الدرجة الثانية غطّى عينيه بقبّعته وأخلد إلى النوم. اشتعل فرانك غضبًا في معطفه الثقيل الرطب. كان هذا هو الرجل الذي يُفترض أن يحميه؟ لكن فرانك كان منهكًا بدوره،

وبالرغم من الكراسي غير المريحة ومخاوفه العديدة، وجد عينيه تغمضان أيضًا.

وهو يخلد إلى النوم، ظن فرانك أنه سمع مالينوف يتمنى له ليلة سعيدة. ربما لم يكن الرجل الآخر نائمًا على الإطلاق.

أيقظت فرانك نكزة قوية على أضلاعه. كان هناك أربعة من حرس الحدود الروس بخوذ فولاذية وبنادق رشاشة على ظهورهم التي تغطيها معاطف خضراء طويلة، وكانوا آتين من نهاية العربة إلى أولها. همس مالينوف: «جواز السفر».

لكن جواز سفر فرانك لم يكن في جيب معطفه. بحث بسرعة في جيوب معطفه الأخرى وجيوب سرواله وفي الكرسي تحته. «أنا ... أنا آسف». كان صوت نبضه كالمطارق في أذنيه.

«اعثر عليه»، همس مالينوف.

اقترب اثنان من الحرس. قال أحدهما بسرعة: «جوازات السفر».

أعطاه مالينوف جوازه. قال: «أنا متأسف جدًّا، لكني يبدو أن قريبي أضاع جوازه». نقر على صدغه بحركة موحية وابتسم. «إنه بولندي».

لم يعتقد فرانك أنه يمكن لأي مشاعر أن تخترق ذُعره، لكنه وجد نفسه يستطيع الشعور بالغضب بسبب الإهانة العرقية حتى مع استمراره بالتربيت على جيوبه. قهقه مالينوف والحرس على حساب فرانك، ما تحول إلى ضحك عندما تبيّن أن الوثيقة الضائعة كانت في جيب قميصه.

فتح الحارس جواز فرانك المزوّر. «أكِّد لي تاريخ ميلادك رجاءً».

أوشك قلب فرانك على التوقف. لم يستطع تذكر تاريخ الميلاد على الجواز المزوّر. هل كان تاريخ ميلاده؟ وإذا لم يكن ذلك، فماذا كان؟ مرت الثواني المعذِّبة ... هذه المرة، كان هو المجمَّد وتحرَّك باقي العالم.

«بولندي». قالها مالينوف مرة أخرى وهزَّ كتفيه. حتى الرجل في المقعد على الجانب الآخر ضحك معهم هذه المرة. أعاد الحارس الجواز إلى فرانك وهو ما يزال يضحك وأكمل طريقه إلى نهاية العربة.

«لم يكن عليك أن تهينني هكذا». قالها فرانك بعد أن انتقل الحرس إلى العربة التالية. انخفض مستوى نبض قلبه إلى ضعف المستوى الطبيعي.

أجاب مالينوف: «الضحك يخفف من الريبة، ولقد أخرجك

ذلك من المشكلة». هزَّ كتفيه. «ماذا كنت تريدني أن أفعل؟»

أدرك لاحقًا أنه كان يستطيع استخدام قدرته للبحث عن جواز سفره، أو لتفحُّصه بينما كان يحمله الحارس في يده. لكنه لم يفكر بذلك عندما كان يمكن أن يفيده. ثماني سنوات من إخفاء قواه، من التظاهر بأنه لا يختلف عن أي شخص آخر، منعته هذه السنوات من أن يتذكر ما يستطيع فعله في اللحظات المهمة.

ماذا كان يظنُّ أنه يفعل هنا بحق السماء؟

ربما كان دالاس محقًّا في نهاية المطاف.

صباح يوم الثلاثاء في السابع عشر من مايو عند الثالثة حسب توقيت موسكو وقف فرانك مرتجفًا في المطر خارج بوابة سجن فلاديميرسكي المركزي وهو يشعر أنه صغير جدًّا.

كانت جدران السجن منتصبةً عاليًا؛ المطر الذي كان يرش وجه فرانك شكّل هالات من النور حول الأضواء الكاشفة المركّبة عند الفواصل أعلى الجدران. كان الحراس المسلّحون

يمشون في دوريات مع كلابهم حول محيط المكان؛ كان الداخل عبارةً عن متاهة من الأبواب التي يتم التحكُّم فيها عن بعد، والمصممة لجعل الهرب من المستحيل. كان أكثر سجن مؤمَّنٍ في روسيا.

كان فرانك سيدخل وسيخرج مجددًا مع باورز.

حتى مع قدرة البطاقة الجامحة الخاصة بفرانك، ما كانت عملية الإنقاذ لتكون ممكنة لولا وجود عميل من داخل السجن. الخريطة المفصَّلة التي قدّمها العميل أعطت فرانك عدَّة أماكن ليستريح بعيدًا عن الأنظار عندما تُنهك قواه؛ قائمة نقاط الزمن التي تشبَّث فرانك بها في يده الموضوعة عميقًا داخل معطفه هي التي كانت ستجعله يمر عبر الأبواب المُقفلة.

كان أول هذه الأوقات هو ٣:٠٥ صباحًا. ما زالت هناك خمس دقائق أخرى. تفقَّد فرانك ساعته، لكن حتى قواه لم تستطع أن تجعل عقرب الدقائق فيها يمشي بسرعة أكبر.

كان طعم مطر موسكو يشبه طعم الأسمنت والكبريت.

أصبحت الساعة ٣:٠٤ أخيرًا. أخذ فرانك نفسًا عميقًا وحصر تركيزه.

هاجم صخب الوقت المتوقِّف أذنيه المتعبتَين. أوقفت

قطرات المطر هطولها نحو الأسفل، كشفت كل قطرة شكلها الذي يشبه القرص المسطَّح غير المنتظم، لم تكن تشبه قطرات المطر على الإطلاق. دفع فرانك نفسه عبر الهواء الأشبه بالصمغ والقطرات المعلَّقة في الهواء تمر على وجهه أو يمتصها معطفه.

عبر وهو يمشي ببساطة البوابة الخارجية وذراع الحاجز المخططة بشكل مائل التي وقف حارساها المسلَّحان متجمِّدان وهما يرتديان معاطف مطرية في المطر الذي لا يتحرَّك. كان باب بناء السجن نفسه غير مقفل، ولم يكن البابان التاليان مغلقين أيضًا، ولم يشكِّل الحرَّاس عند كل باب عائقًا. لكن دفع الأبواب وإغلاقها من جديد تطلَّب جهدًا هائلًا. كانت أثقل وأكثر إحكامًا من الأبواب المنزلية، وجعل كل واحد فرانك يشعر أن وزنه مائة باوند. كان يعمل ضد الزمن حرفيًا.

مسح فرانك جبينه واستمر بالتقدُّم إلى داخل السجن.

وصل الآن إلى أولى العقبات الحقيقية؛ قفل هوائي بأبواب فولاذية وزجاجية على الجانبين، كل واحد منها مغلق بقفل مركَّب لا يُمكن أن يُفتح إلا بضغطة زر عند محطة الحراس بين الأبواب. لكن العميل كان قد وعد أنه يستطيع فتح البابين لدقيقة واحدة بين الساعة ٣:٠٥ و٣:٠٦ ولن ينتبه أحدٌ

إلى ذلك.

ألقى فرانك نظرة على ساعته بشكل غريزي وهو يقترب من الباب الأول، شعر للحظة بالذعر، كانت الساعة ٣:١٣. لكن ذلك كان وقته الشخصي بالطبع. كانت الساعة على الجدار مجمَّدة عند ٣:٠٥ وبضع ثوانٍ. دفع الباب بوزنه وفُتح الباب بعد مقاومة كبيرة. كان الباب الثاني غير مقفلٍ أيضًا – حمدًا لله – لكن تطلَّب جهدًا أكبر لفتحه.

بعد أن دفع الباب الثاني ليغلقه، استند فرانك إلى الجدار الأسمنتي البارد لوقت يسمح له بالتقاط بضعة أنفاس. لكن لم يكن هناك راحة خارج الزمن؛ حتى التنفس كان مجهِدًا. كان عليه أن يصل إلى مكان الاختباء الأول هذا قبل أن يمنعه تعبه من المتابعة.

كانت الأضواء القوية داخل المنطقة الأمنية تضرب عيني فرانك وهو يخوض في الهواء السميك المُقاوم باتجاه خزانة صيانة آمنة. عندما وصلها، كانت رؤيته قد بدأت بالتشوش، وكل ما استطاع فعله هو فتح المزلاج وسحب الباب ليفتحه. فور إغلاقه وبعد أن دخل في الظلمة المباركة، أطلق قدرته. سمح لنفسه بالانزلاق على الباب حتى جلس على الأرض وهو يرتجف ويلهث بأقلّ صوتٍ ممكن. كانت الخزانة المظلمة والقذرة باردةً وتفوح منها رائحة الكلور، لكن وبالرغم

من ذلك كانت أفضل من الصخب المريع وثبات العالم خارج الزمن.

كانت نقطة الزمن التالية التي حددها العميل هي في تمام الساعة ٣:١٥. لم تكن عشر دقائق كافية للاستراحة. عشر دقائق من الانتظار اليائس في خزانة مظلمة وهو يرتجف خوفًا في كل مرَّةٍ عبر أحدهم متثاقلًا وهو يصدر أصوات القرقعة في الخارج إلى جانب الباب، كان ذلك كثيرًا.

تخيل الباب وهو يُفتح فجأةً مالئًا المساحة الصغيرة المكتظَّة بالنور وأصوات الدهشة. إذا حصل ذلك، يستطيع إيقاف الزمن مجددًا والهرب من هناك، لكن الخطة ستختل وربما يُعلَن الإنذار. وأين يستطيع الاختباء حتى نقطة الزمن التالية؟

أخيرًا، أخيرًا، أشارت العقارب المضيئة إلى الساعة ٣:١٥. في غمرة امتنانه الشديد لمغادرة هذه الخزانة القذرة وخوفه الهائل من مواجهة صخب الزمن المتوقف، حصر تركيزه واستدعى قواه.

تطلَّب دفع الباب المجمَّد كل قوته.

لم يسبق لفرانك أن قضى زمنًا طويلًا خارج الزمن. كانت كل خطوة أشبه بتسلُّق جبلٍ؛ كان كل باب يفتحه ويغلقه

أشبه بصخرة سيزيف.

«منطقة الحراسة المشدَّدة»، كان ذلك مطبوعًا بحروفٍ سيريلية على الباب الخاص بنقطة الزمن التالية. كان هذا باب منزلقًا كهربائيًا، وبالرغم من أنه كان غير مقفَلٍ كما وعد العميل، لم تكن كل طاقة فرانك المتبقية كافيةً لفتحه بالقوّة. وجد هراوة فولاذية مستندةً في زاوية واستخدمها ليفتح الباب بما يكفي ليمرر جسده منه فقط. ثم كان عليه أن يعيد الهراوة بحذر إلى مكانها الذي تذكره. تبًّا، على أيِّ طرف كانت؟ كان التفكير بشكل سويٍّ يزداد صعوبة أكثر فأكثر.

على الجانب الآخر، استدار ... وواجه فورًا وجهًا مظلمًا وعابسًا. ارتدَّ مذعورًا وارتطم رأسه بالباب المعدني خلفه قبل أن يتغلَّب منطقه على ردِّ فعله الأولي. كان الرجل عريض المنكبين ذو العضلات المفتولة الذي يرتدي زي كولونيل في الجيش السوفياتي – كانت لصاقة اسمه مكتوبًا عليها «بولياكوف» – مجمَّدًا مثل كل شيء آخر في السجن، مسمَّرًا في مكانه وهو مسرعٌ بغضب باتجاه الباب الذي خرج فرانك منه. استند فرانك الى الباب للحظة وهو يفرك رأسه ويوبِّخ نفسه على غبائه.

انتظر، بولياكوف؟ كان ذلك الاسم مألوفًا.

كان أحد الأسماء المُحتملة المذكورة لضابط المخابرات

الروسية الملقَّب بالجاسوس النائم من قبل وكالة الاستخبارات المركزية. وها هو، في سجن فلاديميرسكي المركزي، في جناح الحراسة المشدَّدة حيث يقبع باورز سجينًا. كان فرانك محقًّا منذ البدء، حتى إن لديه اسم هذا الرجل الآن.

سمح فرانك لنفسه بلحظة من الانتصار المتعجرف، وفرقع أصابعه تحت أنف رجل المخابرات الروسية الذي لا يتحرك قبل أن ينحني متجاوزًا إياه ومسرعًا عبر البهو. زنزانة باورز، رقمها ثلاثة وسبعون، كانت الأولى من الطرف الأيمن وعليها اسم «باورز» مكتوبًا بالطبشور بالأحرف السيريلية.

لم يتبق ما يحول بين فرانك والنجاح الآن.

لكنه لم يستطع فتح الباب.

حاول فرانك مرة أخرى وضغط المقبض الفولاذي المرقَّط بالصدأ بكلِّ قوته. لم يتحرَّك.

كان يُفترض أن يكون العميل قد رتَّب للباب أن يكون غير مقفلٍ بين الساعة ٣:١٠ و٣:٤٠. سار كل شيء آخر وفق الخطة.

حرك فرانك المقبض مرة أخيرة. لا شيء.

بحث عن طريقة أخرى ليفتح بها. لكنه كان ثقيلًا، فولاذ

قاسٍ، وكانت آلية القفل والمفاصل محمية ومدعَّمةً جيدًا، ولم يكن هناك أي شيء في هذا البهو الأسمنتي الفارغ يستطيع استخدامه ضد الباب. أن يصل إلى هنا ويتغلَّب على كل هذا ثم يغلبه قفل بسيط!

لا، انتظر. المفتاح. لا بدَّ أن المفتاح لدى بولياكوف المجمَّد في لحظة ابتعاده عن زنزانة باورز.

خاض فرانك وصولًا إلى رجل المخابرات الروسية عبر الهواء الذي كان يبدو أسمك حتى من ذي قبل. لم يستغرق الأمر طويلًا ليميِّز كتلة المفاتيح الصلبة في جيب سروال بولياكوف، لكن وضعية قدمه المجمَّدة وذراعه جعلت من المستحيل على فرانك أن يستخرجه. كان يمكنه تحريك ذراع بولياكوف بالقوة، هكذا فكر، أو ربما يفتح الجيب بسكين صغيرة، لكن كلا التصرفين سينبِّهان بولياكوف وسيجعلانه يعلن الإنذار. وكان لدى فرانك نقطة زمنية بعشر دقائق ليكون في طريق الخروج مع باورز.

تحرك إلى خلف بولياكوف متأكدًا من ألا تستطيع أي أعين مجمَّدة أخرى رؤيته حيث يقف. كان الباب المنزلق مفتوحًا بتسع إنشات. لكن عينا بولياكوف كانتا إلى الأسفل ... كان عليه أن يجازف.

أطلق الزمن ليعود إلى مجراه الطبيعي.

«أحرقوا الأحمق الذي تركه مفتوحًا» صاح بولياكوف وهو يتقدَّم خطوةً.

كان إيقاف الزمن من جديد أشبه بمحاولة إيقاف تدفق تبوُّلٍ قوي وطويل في منتصفه، لكن فرانك استطاع ذلك بطريقة ما. أخذ نفَسًا طويلًا من الهواء الصاخب والأشبه بالصمغ ثم اندفع نحو جانب بولياكوف.

بات الوصول إلى الجيب ممكنًا. حمدًا لله! التقط المفاتيح منه وهو يأمل ألا يلاحظ بولياكوف هذا التدخل في منتصف مشيته ثم انسحب إلى زنزانة باورز. كان المفتاح المطبوع عليه رقم ٣٧ يلائم القفل، إلا أنه شعر أن فك القفل وفتح الباب أشبه بدفع عربة قطار أعلى تلة.

كان باورز مستلقيًا على جانبه على السرير. كان يبدو بحال مزرية، عيناه غائرتان وفمه مثبَّت في تعبير عابس ويائس، لكنه كان هو بالتأكيد.

تسرَّع خفقان قلب فرانك وبدأت رؤيته بالتشوش، تضخَّم الصخب في أذنيه ليصبح أشبه بصوت محرِّك قطار يعمل بأقصى طاقته. كان بحاجة ماسَّةٍ للراحة.

لكن بوجود بابين مفتوحين والمفاتيح في يده، لم يجرؤ على ذلك. كان عليه المتابعة بطريقة ما.

دفع فرانك باورز ليقف بالقوة. كان ذلك سيترك كدمات عليه بالتأكيد، لكن لم يكن هناك أيَّة بدائل. عاد أدراجه وهو يقتاد الطيَّار الفاقد الحس بكلتا يديه، قاد باورز خارج الباب ومرورًا ببولياكوف المجمَّد وعبر الباب المنزلق. ثم عاد وأغلق باب الزنزانة وأعاد المفاتيح إلى جيب بولياكوف وأغلق باب مجمَّع الزنزانات. «أتمنى لو أستطيع رؤية وجهك»، همس لبوليناكوف وهو يضغط بكلِّ وزنه على مقبض الباب المنزلق، «عندما تكتشف أن باورز اختفى بشكل غامض من زنزانة مقفلة».

كان يُفترض أن يعيد باورز إلى خزانة الصيانة حيث استراح في طريق دخوله، لكنه يستحيل أن يقطع تلك المسافة. كان شبه مستندٍ على باورز حتى وهو يقتاده عبر البهو، كانت رؤيته تضعف وكانت خطواته متأرجحة.

كان هناك حمام، عليه أن يفي بالغرض.

اقتاد باورز إلى الداخل وبالكاد تذكر أن يضبط ساعته حسب الساعة في البهو قبل إغلاق وإقفال الباب خلفهما.

كان متعبًا جدًّا ...

لا، لم يكن بإمكانه الاسترخاء بعد.

ألقى باورز على الأرض كدمية صُلبة بحجم رجل. استند بقوة على صدر باورز وغطى فم وأنف باورز بإحكام بيده.

ثم أفلت الزمن.

تشنَّج باورز وحاول الهروب من قبضة فرانك. من وجهة نظره، لقد أُخرج من زنزانته بشكل لحظي وهناك رجل غريب يثبته ويخنقه. لكن حتى بعد أن أضعفته أيامه السبعة عشر في قبضة السوفيات، كان أقوى من فرانك.

«اثبت!»، همس فرانك في أذنَي باورز بالإنكليزية. «أنا هنا لإنقاذك».

توقف باورز عن المقاومة، إلا أن كل عضلة في جسده كانت ترتجف من التوتر.

همس له: «أنا من سكير، أرسلني لورانس هايغ. لديّ تصريح بدخول مشروعي أكواتون ورامبارت. ما زلنا في داخل السجن وإذا كُشف أمرنا هنا سيموت كلانا. هل تفهم؟»

أومأ باورز برأسه ببطء، كانت عيناه مفتوحتين بالكامل فوق يد فرانك المرتجفة.

أفلت فرانك باورز واستند إلى الجدار تاركًا عينيه تغمضان. شعر أن عمره مليون سنة.

همس باورز: «أنت آيص؟» كان يتحدث بلهجة فيرجينيا البطيئة.

«أجل، أستطيع إيقاف الزمن. لكن لفترة قصيرة فقط ...»

«هذا مفيد أكثر من أن تكون السيد المتلصص». كانت المرارة تملأ صوت باورز. ثم أخذ نفَسًا عميقًا وزفره. «ما اسمك؟»

«فرانشيشيك مايفسكي. إنه فرانسيس باللغة البولندية في الحقيقة. مثلك تمامًا».

قلَّب باورز عينيه. «أرجوك، نادني غاري. لا أحد يدعوني فرانسيس سوى أمي وأبي».

«أنا فرانك».

ثم تصافحا.

♣ ♦ ♠ ♥

في يوم الجمعة العشرين من مايو في الساعة ١١:٠٠ صباحًا، دخل فرانك إلى المكتب البيضاوي ونهض الرئيس من خلف المكتب ليحييه. كان دالاس وهايغ حاضرَيْن أيضًا وبقيا واقفين في مكانهما. بالرغم من أن بادرته كانت مشرِّفة، لم يستطع فرانك ألا يلاحظ أن آيزينهاور لم يصافحه. قال: «لا

بأس يا سيدي الرئيس، لست معديًا».

كان فرانك يعلم أن مظهره يبدو مزريًا. بالرغم من أنه نام في معظم طريق العودة، بما فيه معظم الرحلة في سيارة الليموزين من قاعدة آندروز الجوية. كان ما زال يشعر بالضعف؛ كان قد خسر معظم شعره المتبقي، كان يشعر بآلام غير واضحة في مفاصله، وكانت مشيته قد أصبحت مشية رجل هرم.

كان يأمل أن تعود حيويته إليه بعد بضعة أيام أو أسابيع من الراحة، لكنه كان خائفًا من ألا تعود. جعله استخدام قواه يشيخ بشكل غير طبيعي بما يتجاوز بكثير الدقائق أو الساعات التي قضاها خارج الزمن، والجهد غير المسبوق الذي بذله في مهمة إنقاذ باورز كلفته غاليًا بالتأكيد. ربما خسر خمس سنوات من عمره في تلك الليلة الجحيمية.

«أهلًا بعودتك إلى أمريكا يا فرانك». قال آيزينهاور ذلك ورافقه إلى أحد كراسي الجناح إلى جانب المدفأة. «جميعنا فخورون بالعمل الذي قمت به من أجل وطنك». نظر آيزينهاور إلى دالاس وهايغ. ابتسم هايغ وأومأ برأسه إيماءة تعني الرضا. عبس وهو يحدِّق بحذائه الرسمي الأسود.

تنحنح آيزينهاور. «آلان؟»

احتاج دالاس لحظة طويلة حتى نظر في عيني فرانك. «أحسنت العمل». اعترف أخيرًا.

«أشكرك». قالها فرانك وهو يأخذ فنجان قهوة من يد الرئيس نفسه. «هل كان هناك أيّة ... أيّة ... آثار جانبية لهروب باورز؟» كان السؤال الوحيد الذي ألحَّ عليه طوال طريقه إلى الوطن. هل خروتشوف الغاضب أساسًا من دخول طائرة تجسس إلى أراضيه سيُستفز أكثر باختفاء باورز الغامض من أكثر سجونه تحصينًا؟ هل كان نجاح مهمة فرانك الوحيد هو أنها قربت ساعة يوم القيامة إلى منتصف الليل؟

هز آيزنهاور رأسه. «لقد اعترفوا بأنهم فقدوا باورز، لم يكن بإمكانهم نكران ذلك بعد مؤتمره الصحفي في هيلسنكي، لكنهم لم يقولوا على العلن أي شيء عن كيفية هروبه، وحتى في جلساتهم المغلقة كانوا أقل عدائية بقليل».

جلس هايغ في كرسي الجناح مقابل فرانك. قال: «إنهم يعلمون أنه لا بدّ وأن آيصًا هو من ساعد باورز على الهروب، لكن سياسيًا، لا يستطيعون الاعتراف بأن آيائصنا أفضل من آيائصهم. سيكون عليهم كبح غرورهم والتزام الصمت».

لكن دالاس كان أقل تفاؤلًا. «لقد سكتوا على خمس سنوات من طلعات طائرات اليو-٢ أيضًا».

رمق آيزينهاور دالاس بنظرة. «لا أريد سماع أيٍّ من تشاؤمك يا آلان. هذه مناسبة احتفالية». ثم سحب من جيبه ورقة مطويَّة وسلَّمها إلى فرانك، كان ثناءً رسميًا على ورقة لسكير موقَّعة من الرئيس ومغلقة بشريطة حمراء. «ستوضع هذه في ملفك يا فرانك. كنت سأود أن أُقيم لك موكبًا صاخبًا، لكن ...» وهز كتفيه. «أنت تعرف الحال». ومدَّ يده.

بعد لحظة، فهم فرانك ماذا كانت تعني اليد المفتوحة، وأعاد الورقة. بالتأكيد لم يكن بإمكانه الاحتفاظ بنسخة. كعميل لسكير، لم يعد موجودًا.

ابتلع فرانك ريقه وقال: «أعلم أنه لا يمكنكم الاعتراف بعملي لكن ...» بدأ صوته بالارتجاف وكان عليه أن يتوقف ليتمالك نفسه، انتظر آيزينهاور بصبر، بدأ مجددًا بالكلام: «كل ما أطلبه منكم، هو أن تخبروا زوجتي بأنني متُّ ببطولة في خدمة وطني». كان يأمل أن يوجد في المنشأة السرية في نيفادا تكييف هوائي على الأقل.

رمش هايغ. «تعتقد أننا سنرسلك إلى مطار ووترتاون؟» ابتسم وهز رأسه، وتذكر فرانك أن هايغ يعرف ما الذي يفكر فيه. «لا يا فرانك، إنها مجرَّد خرافة». تبادل النظرات مع دالاس. «أقصد الجزء المتعلِّق بسجن الآيائص هناك. لن تختفي هكذا. في الحقيقة، ستعود إلى منزلك فورًا بعد أن

نأخذ منك المعلومات».

«ستتابع العمل لدى وكالة الاستخبارات المركزية». قالها دالاس بالرغم من أن عدم إعجابه بالفكرة كان واضحًا. «كغطاء، لتنفِّذ مهام سكير عند الضرورة فقط. ستقضي الكثير من الليالي في المنزل كالسابق على الأرجح، بل ربما أكثر».

تابع هايغ كلامه: «سيكون الأمر وكأنك جاسوسٌ في بلدك، وفي حالتك، نحن نعلم أصلًا أنك تستطيع الاحتفاظ بالسر».

البيدق الذي يصل الصفَّ الأخير في الرقعة يصبح ملكة. فكر فرانك بذلك. بالرغم من أنه يمكن أن تُهزم الملكة ... أو يمكن أن تموت بسبب الشيخوخة بعد خمس سنوات. كان الأمر كله يعتمد على كيفية تحريك القطعة. لكن في الوقت الراهن، كان بإمكانه العودة إلى منزله، مغادرًا الرقعة وموضوعًا بأمان في المساحة التي تلائمه. قال: «أشكرك يا سيدي».

«لا، الشكر لك». قالها آيزنهاور ومد يده، هذه المرة ليصافح فرانك. «أهلًا بك في سكير أيها العميل الخاص الساعة المؤقّتة».

مراوغات الصدفة

بقلم جورج آر. آر. مارتن

ترجمة ياسر بهجت

حين انتقل إلى السكن الطلابي في سبتمبر، كان أول ما فعله توماس تودبيري هو تعليق صورة الرئيس كينيدي الموقَّعة وغلاف تايم ١٩٤٤ والذي يُظهِر الفتى النقّاث كرجل العام.

بحلول نوفمبر، كانت صورة كينيدي ممتلئة بالخروق من رمي رودني لسهامه عليها. رود قد زيَّن جهته من الغرفة بعلم الكونفيدرالية ودستة من صور عارضات بلاي بوي. كان يكره اليهود، الزنوج، الجواكر، كينيدي، كما أنه لم يُطِق توم كثيرًا. فخلال فصل الخريف الدراسي، مرح كثيرًا؛ بتغطية سرير توم بكريم الحلاقة، وإعادة ترتيب شراشف سريره، وإخفاء نظاراته، وتعبئة درج مكتبه برَوَث الكلاب.

في يوم اغتيال كينيدي بدالاس، عاد توم إلى غرفته وهو يصارع لكَبْح عَبَراته. ترك له رود هدية. استخدم قلمًا أحمر. قمة رأس كينيدي كان يقطر دمًا الآن، وعلى عينيه رسم رود علامتي × صغيرتين. ولسانه بارز من طرف فمه.

حدق توماس تودبيري إلى تلك الصورة لفترة طويلة جدًّا.

لم يبكِ؛ لم يكن ليسمح لنفسه بالبكاء. بدأ بجمع أغراضه في حقيبته.

كان موقف سيارات الطلاب الجُدُد في الطرف الآخر من الحرم الجامعي. كان قفل صندوق سيارته الميركوري طراز ٥٤ مكسورًا؛ لذا فقد قذف الحقيبة في المقعد الخلفي. احتاجت السيارة لفترة طويلة لإحمائها في صقيع نوفمبر. لا بد وأنه بدا مضحكًا؛ شخص قصير وبدين ذو قصة شعر غريبة ونظارات أغرب، يجلس في سيارته ورأسه متكئ على أعلى المقود كأنه على وشك التقيؤ.

وبينما هو يقود سيارته إلى خارج الموقف، لمح لمعان سيارة رودني أولدزموبيل كتلاس الجديدة. نظر حوله. لم يكن أحد بالأفق؛ كان الجميع بالداخل يتابعون الأخبار. لعق شفتيه بعصبية، ثم نظر إلى الأولدزموبيل. ابيضَّت مفاصله حول المقبض. حملق بقوة، قطَّب حاجبيه، ودعس.

أول ما استسلم كانت الأبواب، انبعجت ببطء مع الضغط إلى الداخل. انفجرت المصابيح الأمامية بفرقعات صغيرة، واحدة تلو الأخرى. تكومت الزخارف الكرومية على الأرض، وتحطم الزجاج الخلفي فجأة، وتطاير الزجاج في كل مكان. انهارت المصدات، صرصرت المعادن باعتراض. انفجرت الإطارات الأمامية والخلفية في نفس الوقت، استسلمت

الألواح الجانبية، وتبعها غطاء المحرك؛ تفكّك الزجاج الأمامي تمامًا. انهارت علبة المرافق، ثم جدران خزان الوقود؛ انسكب الزيت والوقود وباقي السواء أسفل السيارة. حينها كان توم توديبيري أكثر ثقةً بالنفس، وهذا ما جعل الأمر أكثر سهولة. لقد تخيل أنه يُمسك بالأولدز بقبضة عملاقة خفية، قبضة قوية، وعصر عليها بقوة. انسحاق الزجاج وصراخ المعدن المعذَّب ملأ المواقف، لكن لم يكن هناك من يسمعها. وبطريقة منهجية هرس الأولدزموبيل لتصبح كرة من المعدن المسحوق.

عند انتهائه، شبك ترس سيارته وغادر الجامعة، ورودني وطفولته وراءه للأبد.

♣ ♦ ♠ ♥

في مكان ما، كان عملاق يبكي.

استيقظ تاكيون مرتبكًا ومتوعكًا، صداع الإفاقة من المسكِر ينبض متوافقًا مع شهقات الماموثي. الأشكال في الغرفة المظلمة كانت غريبة وغير مألوفة. هل أتاهم الحشاشون بالليل مجددًا؟ هل كانت العائلة تتعرض للهجوم؟ كان عليه أن يجد والده. ترنَّح دائخًا على قدميه، وعقله يسبح، وارتكز بيده على الجدار ليثبت نفسه.

كان الجدار قريبًا جدًا. لم تكن هذه غرفته، هذا كله خطأ، الرائحة ... ثم عادت إليه ذاكرته. كان يفضِّل الحشاشين.

لقد حلم بتاكِس مجددًا، هذا ما تنَبَّه له. رأسه يؤلمه، وحلقه جافٌّ. متخبطًا في الظلمة، وجد سلسلة الإضاءة العلوية. تأرجَح المصباح بشدة حين سحب عليه، جاعلًا الظلال تتراقص. أقفل عينيه ليوقف ترنُّح معدته. كان هناك طعم كريه في حلقه. كان شعره متلبدًا ونجسًا، وملابسه مجعدة. وأسوأ ما في الأمر، كانت القنينة فارغة. نظر تاكيون حوله يائسًا. غرفة متران في ثلاثة في الطابق الثاني من مسكن يُدعى روومز، على شارع يُدعى بويري - هذا ما قالته له إينجل فيس. ولكن هذا كان من قبل؛ للمنطقة اسم آخر الآن. تقدم نحو النافذة، ورفع الستائر. ملأ ضوء الطرقات الأصفر الغرفة. في الجهة المقابلة من الطريق، كان العملاق يحاول إمساك القمر، ويبكي لعدم تمكنه من ذلك.

تايني، ذلك ما كانوا يطلقونه عليه. افترض تاكيون أن ذلك فطنة بشرية. فطول تايني - إذا تمكن من الوقوف - أربعة عشر قدمًا. كان وجهه غير مبطن وبريئًا، متوج بشعر أسود ناعم ومعقد. رجلاه كانتا نحيلتين ومتناسقتين تمامًا. وذلك هو المضحك؛ فساقان نحيلتان متناسقتان تمامًا لن تتمكنَّا أبدًا من حمل وزن رجل بطول أربعة عشر قدمًا. جلس تايني

في كرسي خشبي ومتحرك، آلة ميكانيكية عظيمة تتدحرج في أرجاء بؤرة الجواكر على أربعة إطارات ملساء أُخِذت من شاحنة محطمة. حين رأى تاك في النافذة، صرخ صرخة غير مفهومة، وكأنه تعرف عليه. أشاح تاكيون عن النافذة وهو يرتجف. كانت ليلة جديدة في بؤرة الجواكر. إنه يحتاج إلى شراب.

امتلأت غرفته بعبق العفن والقيء، وكانت باردة جدًّا. روومز لم تكن مدفئة جيدًا كالفنادق التي ارتادها في الأيام الخوالي. بلا وعي، تذكَّر مايفلاور في واشنطن، حيث كانت معه بليث ... ولكن لا، من الأفضل عدم التفكير في ذلك. ما الوقت الآن؟ متأخر بما يكفي. كانت الشمس قد غابت، وبؤرة الجواكر كانت تصخب بالحياة في الليل.

نزع معطفه من الأرض وانزلق بداخله. بالرغم من تلطُّخه، ما يزال معطفًا رائعًا، لون زهري جميل، بمهادب ذهبية على الأكتاف وحلقات جلد ذهبية لربط صف الأزرار الطويل. معطف موسيقار، هذا ما قاله له أحد المارة. جلس على طرف مرتبته المترهلة ليلبس حذاءه.

كانت المغسلة في نهاية الرواق. تصاعدت الأبخرة من بَوْله وهي ترتطم بحافَة المرحاض؛ كانت يداه ترتجفان بشدة لدرجة أنه لم يكن يستطيع التصويب. صفع ماءً باردًا بلون

الصدأ على وجهه، وجفَّف يديه بفوطة قذرة.

في الخارج، وقف تاك للحظة أسفل لوحة رووامز المهترئة، يحدِّق في تايني. شعر بمرارة وخجل. ووعي أكثر من اللازم. لم يكن هناك ما يمكن فعله لتايني، ولكنه يستطيع التعامل مع وعيه. أدار ظهره للعملاق الناحب، ودس يديه عميقًا في جيبي معطفه، ومشى بخفة على طريق بويري.

في الأزقة، تناقل الجواكر والثمالى أكياسًا ورقية بنية اللون من يدٍ إلى يدٍ، وحدَّقوا بعيون ذابلة إلى المارة. الحانات، ومحلات الرهن، ومعارض الأقنعة كلها كانت منتعشة. متحف بويري البطاقات الجامحة أبو قرش (لا يزالون يسمونه ذلك، ولكنه أصبح بربع) كان على وشك إنهاء أعماله لليوم. زاره تاكيون مرة من قبل، منذ عامين، في يوم كان يشعر فيه بذنب مفرط؛ ومعه كان نصف دستة من الجواكر، عشرون إناءً مُلِؤوا أطفالًا «جواكر متوحشة» تطفو في الفورمالدهيد، وفيلم إخباري مبالغ في الإثارة عن يوم البطاقة الجامحة. كان في المتحف أعمال شمعية معروضة أبرزت شخصيات مثل: الفتى النفّاث، الآيائص الأربعة، وحفل صاخب ببؤرة الجواكر ... وله شخصيًا.

مرت حافلة سياحية، والتصقت وجوه زهرية بالزجاج. أسفل إضاءات النيون لمطعم بيتزا شعبي، راقب تاكيون

أربعة يافعين يرتدون سترات جلدية سوداء وأقنعة مطاطية بعداء بَيِّن. أشعروه بعدم الارتياح. أشاح بنظره وغاص في عقل أقربهم: انظر إلى هذا الجرو الأنيق بشعره المصبوغ، لا بد أنه يظن أنه في فرقة موسيقية مسيَّرة، أود أن أضرب على طبوله، الـ ... انتظر، هناك طريقة أفضل لنستمتع الليلة، نعم سنجعل هذا ينزف حين نضربه. قطع تاك الاتصال به باشمئزاز وأسرع في خطواته. كان هذا خبرًا قديمًا، وتسلية جديدة: تعالوا إلى بويري، اشتروا بعضًا من الأقنعة، أبرحوا جوكرًا ضربًا. لا يبدو أن الشرطة تهتم للأمر.

نادي كيوس ومسرحيته الشهيرة بطاقمها بالكامل من الجواكر جمعت حشدًا كبيرًا كالمعتاد. بينما اقترب تاكيون، توقفت ليموزين طويلة رمادية على ناصية الطريق. الحاجب، مرتديًا تكسيدو سوداء فوق فرائه المترف الأبيض، فتح الباب بذيله وساعد رجلًا بدينًا في حلة سهر. كانت رفيقته مراهقة ممتلئة في ثوب مسائي وبعنقها عقد من لؤلؤ، تكوم شعرها الأشقر عاليًا في قصة شعر منتفخة.

بعد بضعة مبانٍ، قدمت امرأة-أفعى عرضًا من فوق منحدر قريب. حراشيفها كانت تتلألأ بألوان الطيف. «لا تخف، يا أحمر». قالت، «ما يزال الوضع رطبًا بالداخل». هز رأسه.

بيت المرح كان بداخل مبنى طويل له نوافذ عملاقة

بواجهة الطريق ولكن الزجاج قد استُبدِل بمرايا ذات اتجاه أحادي. وقف راندال في الخارج مرتجفًا. يبدو طبيعيًا تمامًا - حتى تنتبه إلى أنه لا يُخرج يده اليمنى من جيبه أبدًا. «أهلًا تاكي» نادى. «ما رأيك في روبي؟»

«عذرًا، لا أعرفها»، رد تاكيون.

تجهم راندال. «لا، ذلك الرجل الذي قتل أوزوالد».

«أوزوالد؟» قال تاك بحيرة. «مَن أوزوالد؟»

«لي أوزوالد، الرجل الذي قتل كينيدي. قُتِل على التلفاز ظهيرة اليوم».

«قُتِلَ كينيدي؟» قال تاكيون. لقد كان كينيدي من سمح له بالعودة إلى الولايات المتحدة، وتاك معجب بالكينيديين؛ لقد بدوا وكأنهم تاكيونيون. ولكن الاغتيال جزء من القيادة. «سينتقم له إخوته» رد تاك. ثم استوعب بأنهم لا يتصرفون بهذه الطريقة على الأرض، وفي جميع الأحوال، فقد انتقم له بالفعل المدعو روبي، على ما يبدو. كم هو غريب أنه قد حلم بحشاشين.

«لقد أودعوا روبي في السجن». قال راندال. «لو أن الأمر عائد إليّ لمنحت الحقير وسامًا». توقف للحظة. «لقد صافحني مرة»، أضاف. «حين كان مترشحًا ضد نيكسون،

جاء إلى نادي كيوس لإلقاء كلمة. بعدها، وهو على وشك المغادرة، كان يصافح الجميع». أخرج البواب يده اليمنى من جيبه. كان لها هيكل خارجي صُلب كالحشرات وفي منتصفها مجموعة منتفخة من الأعين العمياء. «لم يجفل حتى للحظة». قال راندال. «ابتسم وقال إنه يتمنى أن أنذر أن أدلي بصوتي».

يعرف تاكيون راندال منذ قرابة العام الآن، ولكنه لم يرَ يده من قبل. أراد أن يقوم بما قام به كينيدي، أن يقبض على ذلك المخلب الملتوي، يطوِّقه، ويصافحه. حاول أن يخرج يده من جيب معطفه، ولكن الغثيان ارتفع في حلقه، ولسبب ما لم يستطع سوى الإشاحة بعيدًا، وقول: «لقد كان رجلًا صالحًا».

أخفى راندال يده من جديد. «تفضل إلى الداخل، تاكي». قالها بدون أي حساسية. «اضُطرَّت إينجل فيس للخروج للقاء رجل، ولكنها أبلغت دِس ليحجز لك طاولتك».

أومأ تاكيون وترك راندال يفتح له الباب. في الداخل، سلَّم معطفه وحذاءه للبنت التي تعمل بخزانة الثياب، جوكرة بجسد ضئيل منحوت أخفت ما فعلته بطاقتها الجامحة بوجهها بقناع بومة ريشي. ثم دفع نفسه خلال الباب الداخلي، لتزلق أرجله بجواربه فوق مرآة الأرض بألفة سلسلة. حين نظر إلى الأسفل، رأى تاكيون آخر ينظر إليه،

مؤطر بقدميه؛ تاكيون أكثر بدانة بشكل مقزز ورأس كأنها كرة الشاطئ.

كان السقف مرآة كذلك، وتدلت منه نجفة كريستالية، تلألأت بمئات من الأضواء الدقيقة، تلألأت انعكاساتها على الأرضية والجدران وتجاويف المرايا، وعلى الكؤوس والأكواب الفضية، وكذلك على صواني النوادل. بعض المرايا عكست الحقيقة؛ بينما كان البعض الآخر منها يشوِّهها، مرايا بيت المرح. حين تنظر من فوق كتفك في بيت المرح، لن تتوقع أبدًا ما ستجده يعيد النظر إليك. كانت المؤسسة الوحيدة في بؤرة الجواكر التي تستقطب الجواكر والطبيعيين على حدٍّ سواء. في بيت المرح يستطيع الطبيعيون رؤية أنفسهم ملتوين ومشوَّهين، فيقهقهوا ويتلاعبوا كأنهم جواكر؛ بينما الجواكر، في حال كانوا سعداء الحظ جدًّا، فقد ينظرون إلى المرآة الصحيحة ويرون أنفسهم كما كانوا في السابق.

«مائدتك بانتظارك، دكتور تاكيون» قال ديسموند، رئيس النوادل. ديس كان رجلًا عملاقًا مبهرجًا؛ أنفه طويل سميك مثل خرطوم الفيل، زهري ومجعّد، التفَّ بأصابعه حول قائمة النبيذ. رفعها، وأشار إلى تاكيون بأحد أصابعه أن يتبعه. «هل ستأخذ الكونياك المعتاد الليلة؟»

«نعم». قال تاك، متمنيًا لو أن لديه مالًا ليعطيه بقشيشًا.

في تلك الليلة كانت كأسه الأولى لأجل بليث، كالعادة، ولكن الثانية كانت لأجل جون فيتزجيرالد كينيدي.

أما الباقي فكان لنفسه.

♣ ♦ ♠ ♥

في نهاية طريق هoوك، بعد المصفاة المهجورة ومستودعات الاستيراد والتصدير، بعد أن تتجاوز عربات القطار الحمراء البائسة المجنبة، أسفل ممر الخط السريع، وبعد المواقف الفارغة المليئة بالحشائش والنفايات، متجاوزًا خزانات زيت فول الصويا العملاقة، وجد توم ملاذَه. كان الظلام قد كاد أن يكتمل حين وصل، وكان محرك الميرك يهدر بصوت مشؤوم. ولكن جوي يعلم كيف يتعامل مع ذلك.

ساحة الخردوات كانت على حافَة مياه خليج نيويورك الملوَّثة بالزيوت. خلف سور شبكي بارتفاع عشرة أقدام، تعلوه ثلاثة أسلاك شائكة، مشت مجموعة من كلاب ساحة الخردوات بجانب سيارته، ينبحون بصخب كان لِيُرعب أي شخص لا يعرف تلك الكلاب. سُبِكَ الغروب بلون برونزي على جبال العربات المهشمة الملتوية الصدئة، وعلى الفدادين خردة المعادن، تلال وأودية الخردة والقمامة. وصل توم

أخيرًا إلى بوابة واسعة مزدوجة. على أحد جانبيها لوحة معدنية تحذر المتسلّلين بالبقاء خارجًا؛ وعلى الجانب الآخر تحذرهم من الكلاب. كانت البوابة مسلسَلة ومقفلة.

توقف توم وأطلق بوقه.

من وراء السور يمكنه رؤية كوخ جوي المكوَّن من أربع غرف الذي يعتبره منزله. ثبت على سقفها القصديري المتموِّج لوحة عملاقة، وقد وجهّ عليها أربعة كشافات صفراء لإضاءة حروفها. كتب عليها «دي أنجوليس لقطع الغيار ومعادن الخردة». بهت الطلاء وتقرَّح من تعرضه عقدين لأشعة الشمس والأمطار؛ الخشب ذاته تشقَّق، وأحد الكشافات قد احترق. وبجوار المنزل صُفَّت شاحنة نفايات صفراء عتيقة، شاحنة سحب، وفخر وسعادة جوي، كاديلاك ١٩٥٩ ثنائية الأبواب حمراء بلون الدم، تذيلها زعنفتان كأنها قرش ولها محرك متوحش ملغم قد أقحم رأسه من قَطْع في غطاء المحرك.

وأطلق توم بوقه مجددًا. هذه المرة بلحنهم السري، على لحن أغنية ها-هو-ذا-قادم-لينقذ-اليوم! أغنية مقدمة كرتون مايتي ماوس الذي طالما شاهدوه سوية وهم أطفال.

سكب مربع ضوء أصفر عبر ساحة الخردة بينما خرج جوي حاملًا علبة جعة في كلتا يديه.

♣ ♦ ♠ ♥

لم يكن بينهما أي وجه شبه، هو وجوي. فأصولهما مختلفة، عاشا في عالمين مختلفين، ولكنهما أعز أصدقاء منذ عَرض الحيوانات الأليفة في السنة الثالثة الدراسية. كان ذلك اليوم الذي اكتشف فيه أن السلاحف لا تطير؛ اليوم الذي اكتشف فيه ماهيته، وما يمكنه القيام به.

ستيف برودر وجوش جونز أمسكا به بساحة المدرسة الخارجية. تقاذفا سلاحفه بينما ركض تومي بينهما، احمرَّ وجهه وبكى. حين ملّا، قذفاها نحو الجدار. كلب ستيف من فصيلة الراعي الألماني التهم أحدها. حين حاول تومي الإمساك بالكلب، أبرحه ستيف ضربًا وتركه ملقى على الأرض بنظارات مكسورة وشفة مشقوقة.

كانوا ليصيبوه بأكثر من ذلك، لولا أن جوي من ساحة الخردوات، صبي هزيل بشعر أسود أشعث، أكبر بعامين من زملائه بالصف؛ ذلك لأنه قد رسب في صفه مرتين، يكاد يستطيع القراءة، وكانوا دائمًا يقولون إن رائحته كريهة بسبب والده، دوم، مالك ساحة الخردة. جوي لم يكن بحجم ستيف برودر، ولكنه لم يأبَهْ لذلك، سواء ذلك اليوم أو أي يوم آخر. فقط أمسك بقميص ستيف من الخلف ونزعه ثم ركله في خصيتيه. ثم ركل الكلب كذلك، وكان ليركل جوش جونز،

إلا أن جوش لاذ بالفرار. وفي أثناء هروبه، طفت سلحفاة ميتة من الأرض وطارت عبر ساحة المدرسة لتصفعه على قفاه الأحمر العريض.

شاهد جوي حدوث ذلك. «كيف فعلت ذلك؟» سأل مندهشًا. حتى تلك اللحظة، حتى تومي لم يكن قد تنبَّه إلى أنه هو السبب في قدرة السلاحف على الطيران.

أصبح ذلك سرهما المشترك، الغراء الذي أبقى صداقتهما الغريبة متماسكة. ساعد تومي جوي في فروضه المنزلية وساعده للتجهُّز للاختبارات. وأصبح جوي حامي تومي من الوحشية العشوائية في ساحة اللعب بالمدرسة. قرأ تومي القصص المصورة لجوي، حتى تطورت قراءة جوي كثيرًا لدرجة أنه لم يعد يحتاج تومي. دوم، شايب بشعر من الملح والفلفل، ذو كرش مصنوعة من الجعة، وقلب طيب، كان فخورًا بذلك؛ فلم يكن هو يقرأ، ولا حتى الإيطالية. استمرت صداقتهما حتى الثانوية، وترك جوي الدراسة. وقد نجحت صداقتهما حتى بعد اكتشاف الصبايا، وتجاوزت موت دوم دي أنجوليس وانتقال عائلة توم إلى بيرث أمبوي، نيوجيرسي. جوي دي أنجوليس بقي الشخص الوحيد الذي علم بحقيقة توم.

فتح جوي قنينة جعة ثانية بمفتاح الكنيسة الذي تدلى

حول عنقه. تحت فانلته البيضاء بدأ كرش من جعة يتكون مثل أبيه. «أنت أذكى بكثير من أن تقوم بعمل وضيع في محل صيانة تلفزيونات»، كان يقول.

«إنها وظيفة». قال توم. «عملت بها في الصيف الماضي، يمكنني القيام بها الآن. ليس مهمًّا نوع الوظيفة. المهم هو ما أفعله، آه، مهاراتي».

«مهارات؟» تهكم جوي.

«تعلم ما أعنيه، أيها الإيطالي الأبله». وضع توم قنينته الفارغة فوق القفص البرتقالي بجانب كرسيه. معظم أثاث جوي ليس ما قد تسمونه مترفًا؛ كان يستخرجه من ساحة الخردوات. «كنت أفكر فيما قاله الفتى النفّاث في النهاية، محاولًا استنتاج معناه. أعتقد أنه كان يقول إن هناك أمورًا لم يفعلها بعد. اللعينة، أنا لم أقم بأي شيء. لطالما سألت ما أستطيع فعله للبلاد، أتعلم؟ سحقًا، فكلانا يعلم الإجابة على ذلك».

هز جوي نفسه في كرسيه وهو يرتشف جعته ويهز رأسه. خلفه، بُطِّنَ الجدار بالمكتبة التي بناها دوم للصبية قبل قرابة العشر سنوات. كان الرف السفلي بأكمله مجلات للبالغين. أما الباقي فقد كانت قصصًا مصورة. قصصهم المصورة. سوبرمان وبات مان، قصص مغامرات ومحقِّقين، قصص

رعب وجريمة، وقصص معارك في السماء، وأفضلها، كنزهم، مجموعة شبه كاملة من قصص الفتى النفّاث المصورة.

فهم جوي ما يفكر فيه تومي. «إياك حتى أن تفكر في ذلك». قال تومي. «لست الفتى النفّاث اللعين يا تدز».

«فعلًا». قال توم، «أنا أكثر مما كان. أنا ...».

«أخرق»، اقترح جوي.

«آيص» قالها بنبرة خطيرة. «مثل الآيائص الأربعة».

«كانوا فرقة ملوّنة بلهاء، أليس كذلك؟»

توهج توم. «أيها الأبله الأحمق، لم يكونوا مغنين. لقد كانوا ...»

قاطعه جوي بحركة حادة: «أعلم من يكونوا يا تدز. لقد كانوا حمقى مثلك. جميعهم في السجن أو قُتِل أو شيء من هذا القبيل أليس كذلك؟ باستثناء ذلك الواشي الحقير، ما كان اسمه؟» فرقع بأصابعه. «قل لي، ذلك الرجل طرزان».

«جاك براون»، أجاب توم. لقد كتب بحثًا عن الآيائص الأربعة من قبل. «وأتحداك أن هناك العديد من الآخرين المختبئين. مثلي. كنت مختبئًا. ولكن ليس بعد».

«فارتأيت أن تذهب إلى بايون تايمز وتعطيهم عرضًا مبهرًا؟

إنك أخرق. لماذا لا تخبرهم بأنك شيوعي كذلك؟ سيجبرونك على الانتقال إلى بؤرة الجواكر، وسيكسرون جميع نوافذ بيت والدك. وقد يقومون بتجنيدك. أخرق».

«لا». رد تومي. «لقد خططت للأمر. الآيائص الأربعة كانوا أهدافًا سهلة. لن أدعهم يعرفون من أكون أو أين أقطن». استخدم قنينة الجعة بيده للإشارة نحو المكتبة. «سأبقي اسمي سرًّا. كما في القصص المصورة».

ضحك جوي بصوت عالٍ: «مرحى! ستقوم بلبس الملابس الضيقة كذلك أيها الأحمق؟»

«اللعنة». قال توم. بدأ يغتاظ. «فلتصمت!» جلس جوي هناك، يهز في كرسيه ويضحك. «تعال أيها الثرثار». قالها توم بانفعال. «حرك مؤخرتك الكسولة وتعالَ إلى الخارج، وسوف أريك كم أنا أحمق. هيا، بما أنك خبير لهذه الدرجة».

وقف جوي دي أنجوليس. «عليّ رؤية ذلك».

في الخارج، انتظر توم بفارغ الصبر، ناقلًا وزنه من قدم إلى الأخرى، تصاعدت الأبخرة مع نفَسه في برودة نوفمبر، بينما ذهب جوي إلى الصندوق المعدني الكبير بجانب المنزل ورفع وأطلق التيار. عاليًا فوق أعمدتها، اشتعلت إضاءات ساحة الخردة. تجمعت الكلاب، وتبعتهم حين بدءوا بالسير،

كان جوي يحمل زجاجة جعة بارزة من جيب معطفه الجلدي الأسود.

كانت مجرد ساحة خردة، مليئة بالقمامة وخردة معادن وسيارات محطّمة، ولكنها الليلة بدت ساحرة كما كانت حين كان تومي في العاشرة. على تلة مطلة على مياه خليج نيويورك السوداء، لاحت سيارة باكارد بيضاء عتيقة كحصن أشباح. ذلك بالضبط ما كانت، عندما كان هو وجوي أطفالًا؛ ملجؤهما، معقلهما، قاعدة فرسانهما، محطتهما الفضائية وقلعتهما كلها مدمجة في بعضها. لمعت تحت ضوء القمر، والمياه في الأفق كانت مليئة بالوعود وهي تطوف بالساحل. الظلمة والظلال غطت الساحة بثقلها، محوِّلة أكوام القمامة والمعدن إلى تلال سوداء غامضة، تتخلّلها متاهة من الوديان الرمادية. قاد توم إلى داخل المتاهة، متجاوزًا ركام القمامة الكبير حيث لعبا ملك الجبل وتبارزا بسيوف من خردة الحديد، متجاوزَيْن الكنز المدفون حيث وجدا العديد من الألعاب المحطمة وكتلًا من الزجاج الملون والقوارير، وحتى ذات مرة صندوقًا كاملًا مليئًا بالقصص المصورة.

مشيا بين صفوف من السيارات الصدئة الملتوية المتراصة بعضها فوق بعض؛ فورد وشيفي، هدسون وديسوتو، كورفيت بغطاء محرك محطم، مجموعة من الخنافس

الميتة، عربة موتى مبجّلة، مَيِّتة كميتة الركاب الذين نقلتهم. نظر توم بتمعُّن نحوهم جميعًا. ثم توقف فجأة وقال «تلك»، مشيرًا إلى بقايا سيارة ستوديبيكر هاوك قد فرغت أحشاؤها. اختفى محرّكها وكذلك إطاراتها؛ زجاجها الأمامي كان مهشَّمًا مثل بيت العنكبوت، ويمكنهم رؤية ما نهشه الصدأ من المصدات والألواح الجانبية حتى في تلك الظلمة. «لا قيمة لها، أليس كذلك؟»

فتح جوي جعته. «تفضل، هي لك».

أخذ توم نفَسًا عميقًا وواجه السيارة. تحولت يداه إلى قبضتين بجانبه. حدق بشدة، مركّزًا. اهتزت السيارة قليلًا. ارتفع مصدُّها الأمامي بضع سنتيمترات عن الأرض.

«يا للهول!» قال جوي بسخرية، لاكمًا تومي بخفة على كتفه. سقطت السيارة بقعقعة، وسقط منها مصدُّها الأمامي. «سحقًا! لقد أبهرتني». قال جوي.

«عليك اللعنة، فلتصمت ودعني وشأني». قال توم. «أستطيع فعلها، سوف أريك، فقط أطبِق فمك للحظة. لقد تدربتُ. فأنت لا تعلم ما أستطيع فعله».

«لن أنطق بكلمة». وعَد جوي مبتسمًا وهو يشرب جعته.

التفت توم إلى السيارة مجددًا. حاول نسيان كل شيء،

نسيان جوي، الكلاب، وساحة الخردة بأكملها؛ وملأ عقله بالسيارة. تحجَّر بطنه. حاول جعلها تسترخي، أخذ عدة أنفاس عميقة، وترك قبضته ترتخي. هيا، هيا، تمهل، لا تنفعل، افعلها، لقد قمت بأكثر من هذا، هذا بسيط، بسيط.

ارتفعت السيارة ببطء، منزلقة إلى الأعلى تحت شلال من الصدأ. أدارها توم حول نفسها، أسرع وأسرع. ثم، وبابتسامة المنتصر، قذفها تومي خمسون قدمًا عبر الساحة. اصطدمت بكومة من سيارات الشيفي القديمة لتنهار على بعضها.

أنهى جوي جعته. «مبهرا قبل بضعة سنوات كنت بالكاد تستطيع دفعي من فوق سور».

«إنني أزداد قوة طوال الوقت». قال توم.

أومأ جوي دي أنجوليس، وألقى قنينته الفارغة جانبًا. «جيد، إذن لن تجد أي صعوبة في التعامل معي، أليس كذلك؟» ودفع توم بكلتا يديه بقوة.

عبس توم وترنَّح خطوة للوراء. «توقف عن هذا، جوي».

«أجبرني»، رد جوي. دفعه مرة ثانية أكثر قوة من سابقتها. هذه المرة كاد توم أن يسقط.

«اللعنة، توقف». قال توم. «جوي، هذا ليس مضحكًا».

«ليس كذلك؟» قال جوي مبتسمًا. «إنني أجده مضحكًا جدًا. ولكنك تستطيع إيقافي، أليس كذلك؟ استخدم قواك اللعينة». تحرك ليواجه توم مباشرة وصفعه بخفة. «أوقفني أيها الآيص». صفعه مجددًا بقوة أكبر. «هيا أيها الفتى النقّات، أوقفني». كانت الصفعة الثالثة أشد. «هيا بنا، ماذا بك، ماذا تنتظر؟» كان لضربته الرابعة لدغة حادة؛ أما الخامسة فقد أدارت رأس توم. توقف جوي عن الابتسام؛ وشم توم رائحة الجعة في أنفاسه.

حاول توم الإمساك بيده، ولكن جوي كان قويًا جدًا، وسريعًا جدًا؛ تفادى يد توم وصفعه مجددًا. «هل تريد التصارع أيها الآيص؟ سأجعلك لحمًا للكلاب أيها الأخرق. حقير». كادت الصفعة أن تفصل رأس توم من جسده، واستحضرت دموع الألم في عينيه. «أوقفني أيها الأبله». صرخ جوي. أقفل يده، وزرع قبضته في بطن توم بشدة، لدرجة أنها أسقطته أرضًا وقطعت أنفاسه.

حاول توم أن يستحضر تركيزه، ليمسك به ويدفعه، ولكنها كانت باحة المدرسة من جديد، كان جوي في كل مكان، قبضاته تمطره، وكلُّ ما تمكن من فعله هو رفع يديه في محاول بائسة لصد ضرباته، ولم تفلح، فقد كان جوي أقوى منه بكثير، فقد انهال عليه، ودفعه، وهو يصرخ طوال الوقت،

وتوم عاجز عن التفكير، عاجز عن التركيز، وبدأ بالانسحاب، مترنحًا للخلف، ولكن جوي طارده، بقبضاته المتكوِّرة، ثم ألقى عليه ضربة علوية سقطت على فمه صاحبَها صوت طرقعة آلمت أسنانه. وفجأة كان توم ملقًى على ظهره بفم مليء بالدم.

وقف جوي فوقه مكشرًا. «اللعنة، لم أقصد أن أجرح شفتك». مد يده لتوم، أخذه من يده، وسحبه بقوة ليقف على قدميه.

مسح توم الدم من شفته براحة يده. كان الدم قد لطخ قميصه كذلك. «انظر إليّ، لقد شوهتني». قالها باشمئزاز حدق في جوي. «لم يكن ذلك عادلًا. لا يمكنك أن تتوقع مني أن أفعل شيئًا وأنت تدكني، اللعنة».

«هه». قال جوي. «بينما أنت تركز وتعصر عينيك، أتتوقع أن الأشرار الملاعين سيتركونك، أليس كذلك؟» وربَّت على ظهره. «سيُهشِّمون طقم أسنانك. إن كنت محظوظًا، هذا إن لم يطلقوا عليك النار. أنت لست الفتى النفّاث يا تدز». ارتجف. «هيا بنا. فالجو بارد هنا بالخارج».

♣ ♦ ♠ ♥

حين استيقظ في ظلمة دافئة، لم يتذكر تاك سوى القليل،

وكان ذلك يرضيه. جلس بصعوبة. كانت المفارش التي استلقى عليها من ساتان ناعم، ما يزال يشم رائحة عطر زهرية خافتة تحت عبق القيء.

غير متوازن، ألقى عنه مفرش السرير وأرغم نفسه على الجلوس على حافَة السرير. كان هناك بساط على الأرضية تحت قدميه الحافيتين. كان عاريًا، والهواء دافئًا بشكل غير مريح لجلده المكشوف. مد يده باحثًا عن مقبس الإضاءة، وأنّ قليلا من سطعته. كانت الغرفة زهرية وبيضاء، نثرت فيها قطع من الأثاث الفيكتوري، وجدرانها سميكة عازلة للصوت. ابتسمت له لوحة زيتية لجون كينيدي من فوق الموقد، ووقف في أحد الزوايا تمثالا من الجص بطول ثلاث أقدام لمريم العذراء.

جلست إينجل فيس في مقعد زهري بجوار المُدفِئة الباردة، ترمش تجاهه بنعاس بينما تخفي تثاؤبها بظهر كفها. شعر تاك بالغثيان والخجل. «لقد أخرجتكِ من سريركِ مجددًا، أليس كذلك؟» قال تاك.

«لا بأس»، ردت عليه. كانت قدماها ترتكزان على مسند قدم صغير. تكدَّم باطن قدميها ببشاعة، سوداوان ومنتفخان بالرغم من أحذيتها المبطنة تبطينًا خاصًا. عدا ذاك، كانت جميلة. سقط شعرها المنسدل حتى خصرها، وبشرتها كانت

متوهِّجة ومشعة، تشع بدفء الحياة. عيناها سائل داكن، ولكن أكثر ما أدهش تاكيون كان دِفؤهما، المودة التي شعر بأنه لا يستحقها. بعد كل ما فعله بها، وبالباقين كلهم، بطريقة ما صفحت عنه هذه المرأة المدعوة إينجل فيس، واهتمت به.

رفع تاك يده إلى جبهته. كأن أحدًا يحاول استئصال مؤخَّر جمجمته بمنشار كهربائي. «رأسي»، تأوَّهَ. «بالأسعار التي تبيعين بها الشراب، أقل ما يمكنكِ فعله هو استخلاص السموم من المشروبات التي تبيعينها. على تاكس قمنا ...»

«أعلم». قالت إينجل فيس. «على تاكس قمتم بتطوير النبيذ كي لا يصيبكم هذا الأثر البغيض عند الإفاقة من السُّكر. لقد حكيت لي ذلك من قبل».

تبسَّم تاكيون بابتسامة مرهقة. بدت نضِرة بشكل مستحيل، ليس عليها سوى سترة من الساتان تاركة ساقيها مكشوفتين حتى فخِذيها. كان لونه أحمر قانيًا، أضفى جمالًا إلى بشَرَتها. حين نهضت، لمح جانب وجهها، حيث ركزت خدها على الكرسي حين نامت. كانت الكدمات قد بدأت تتخذ لونًا داكنًا، أرجواني مزهر على خدها. «إينجل، بدأ ...»

«هذا لا شيء»، قاطعته. دفعت بشعرها للأمام لتخفي التشوُّه. «كانت ملابسك قذرة. أرسلت بها مال للمغسلة. أنت

سجيني إلى أن يعود».

«كم أمضيت نائمًا؟» سأل تاكيون.

«اليوم بأكمله»، أجابت إينجل فيس. «لا تقلق. لقد سكر يومًا هنا عميل فنام لخمسة أشهر كاملة». جلست إلى طاولة ملابسها، رفعت هاتفًا، وطلبت إفطارًا: توست وشاي لنفسها، بيض ولحم مقدَّد وقهوة ثقيلة مع البراندي لتاكيون. مع بعض من الأسبرين.

«لا». قال باعتراض. «كل هذا الطعام سيصيبني بالغثيان».

«يجب أن تأكل. حتى رجال الفضاء لا يستطيعون الحياة فقط على الكونياك».

«أرجوكِ ...»

«إذا أردت أن تشرب، فعليك أن تأكل». قالت بفظاظة. «كان هذا اتفاقنا، أتذكر؟»

نعم، الاتفاق. تذكر. لقد وفرت له إينجل فيس ما يكفي لتغطية إيجاره، وطعامه، وشراب غير محدود، كل ما يحتاجه ليغسل بها ذاكرته. في المقابل، كل ما كان عليه فعله هو الأكل وسرد القصص. أحبت الاستماع إليه وهو يتحدث. حدَّثها عن نوادر عائلته، حاضرها عن العادات التاكيونية،

ملأها بتاريخ وأساطير ورومانسيات، حكايات عن الحفلات والمؤامرات والجمال، بعيدًا عن قذارة بؤرة الجواكر.

أحيانًا، بعد الإغلاق، قد يرقص لها، مقتفيًا خطوات رقصات تاكس المعقَّدة العريقة عبر مرآة أرضية الملهى بينما تتابعه وتشجعه. حتى إنه في مرة، بعد أن شرب كلاهما الكثير من النبيذ، أقنعته بأن يريها رقصة الزواج، رقصة باليه مثيرة لا يرقصها أغلب التاكيين سوى مرة واحدة، في ليلة زفافهم. كانت تلك هي المرة الوحيدة التي رقصت فيها معه، مقلدة خطواته، بتردد في البداية، ولكن وتيرتها زادت مع الوقت، متأرجِحة وملتفَّة حول الملهى إلى أن تقرَّحت قدماها الحافيتان وتركت لطخات رطبة حمراء على لوحات المرايا. في رقصة الزواج، يلتقي الزوجان الراقصان في النهاية، لينهارا في عناق انتصار طويل. ولكن ذلك كان على تاكس؛ هنا، حين حانت اللحظة، توقفت عن الرقص وخجلت منه، ليتذكر مجددًا أن تاكس كانت بعيدة جدًّا.

قبل عامين، وجده ديسموند عاريًا وفاقدًا لوعيه في زقاق ببؤرة الجواكر. سرق أحدهم ملابسه وهو نائم، وقد أنهكته الحمى وكان يهذي. أرسل ديس في طلب المساعدة لحمله إلى بيت المرح. حين أفاق، وجد نفسه ملقًى على نقالة في غرفة خلفية، محاطًا ببراميل الجعة ورفوف النبيذ. «أتعرف

ماهية ما شربت؟» سألته إينجل فيس حين أحضروه إلى مكتبها. لم يكن يعرف؛ كل ما يعرفه أنه كان يحتاج إلى شراب بشدة، وأن العجوز الأسود في الزقاق قد شاركه شرابه بكرم. «اسمه ستيرنو»، أخبرته إينجل فيس. أمرت ديس بأن يُحضَر لها قنينة من أفضل براندي لديها. «إذا أراد رجل أن يشرب، فذلك أمره، ولكن على الأقل اقتل نفسك بشيء من الرقي». نشر البراندي نسيجًا من الدفء في صدره وأوقف يديه من الارتجاف. حين أفرغ قدحه، شكرها بشكل مفرط، ولكنها ابتعدت حين حاول لمسها. سألها عن السبب. «سأريك». قالت له باسطة له يدها. «بخفة». قالت. كانت قبلته مجرد لمسة من شفتيه على راحة يدها، ليستشعر نبضها، تدفُّق الحياة بداخلها؛ لأنها كانت جميلة جدًا، وطيبة، ولأنه أرادها.

وبعد لحظة، شاهد بفزع ممرِضٍ بشرتها وهي تتحول إلى زهري قاتم ثم اسودَّت. ضحية أخرى من ضحاياي، هذا ما جال بخاطره.

ولكن، بطريقة ما، أصبحا صديقين. ليسا عشيقين، بالطبع، سوى في أحلامه أحيانًا؛ فشعيراتها الدموية تتفتَّق من أقل ضغط، وبالنسبة لنظامه العصبي مفرِط الحساسية، فقد كانت أخف اللمسات مؤلمة. فعناق لطيف يحولها إلى أسود

وكحلي؛ المضاجعة ستقتلها على الأرجح. ولكن أصدقاء، نعم. لم تسأله أبدًا شيئًا لا يستطيع إعطاؤه، وبذلك لن يخذلها أبدًا.

قدمت الإفطار امرأة سوداء حدباء تُدعى روث، لها ريش أزرق خافت عوضًا عن الشعر. «لقد أحضر الرجل هذا لكِ هذا الصباح». قالت لإينجل فيس بعد أن رتَّبت الطاولة، مناولة إياها طردًا مربعًا سميكًا لُفَّ في ورق بني. تسلَّمته إينجل فيس دون تعليق، بينما شرب تاكيون قهوته المطعَّمة بالبراندي ورفع السكينة والشوكة ليبدأ بغثيان التهام البيض واللحم المقدد.

«لماذا تبدو كالمنكوب؟»، سألت إينجل فيس.

«لا أظن أنني قد أخبرتكِ عن ذلك الوقت حين وصلت سفينة غريبة إلى تاكس، وما قالته جدة جدتي أمورات لمبعوث ليئباهر»، بدأ تاكي.

«لا، أكمل. فأنا أحب جدة جدتك».

«أحدنا على الأقل يحبها. أنا شخصيًا ترعبني». قال تاكيون، وانطلق في سرد القصة.

♣ ♦ ♠ ♥

استيقظ توم قبل الشروق بفترة، بينما كان جوي يشخر في

الغرفة الخلفية. جهز لنفسه إبريقًا من القهوة وألقى بقطعة مافن في التوستر لتتحمَّص. بينما تجهز القهوة، أعاد طيَّ السرير إلى أريكة. غطة المافن بالزبدة ومربى الفراولة، ونظر حوله باحثًا عن شيء ليقرأه. ولمعت له القصص المصورة.

تذكر اليوم الذي وجدوها فيه. معظمها كانت له في الأصل، بما فيها نسخ جت بوي التي حصل عليها من أبيه. لقد أحب تلك القصص. وفي ذات يوم في ١٩٥٤ عاد إلى المنزل من المدرسة ليكتشف بأنها قد اختفت، مكتبة كاملة وصندوقان برتقاليان من القصص المصورة اختفت. أخبرته أمه بأن بعض نساء من رابطة الآباء والمعلمين أخبرنها كم هي قميئة تلك القصص المصورة. لقد أرينها نسخة من كتاب الدكتور ويرثام عن كيف تحول تلك القصص الأطفال إلى أحداث جانحين ومثليين، وكيف يقدسون الآيائص والجواكر؛ ولذلك فقد سلمتهم أمه كامل مجموعة توم. صرخ وبدأ بنوبة غضب، ولكنها لم تفده في شيء.

فقد جمعت رابطة الآباء والمعلمين القصص المصورة من كل طفل في المدرسة. كانوا سيحرقونها يوم السبت، في باحة المدرسة. تكرر ذلك في جميع أنحاء البلاد؛ كان هناك حتى حديث عن حظر القصص المصورة، أو على الأقل التي تتمحور حول الرعب والجريمة وأصحاب القوى الغريبة.

ويرثام ورابطة الآباء والمعلمين كانوا على صواب، ففي ليلة الخميس تلك، وبسبب القصص المصورة، أصبح تومي تودبيري وجوي دي أنجوليس مجرمَيْن.

كان توم في التاسعة؛ وجوي في الحادية عشرة، ولكنه كان يقود شاحنة أبيه منذ السابعة. في منتصف الليل، أخذ الشاحنة، وتسلل توم ليلقاه. حين وصلا إلى المدرسة، فتح جوي إحدى النوافذ عنوة، وتسلق توم على كتفيه لينظر بداخل الفصل المظلم، ثم خطف الصندوق الذي يحتوي قصصه وطار به حتى صندوق الشاحنة. ثم خطف أربعة أو خمسة صناديق أخرى احتياطًا. لم تتنبه رابطة الآباء والمعلمين؛ فقد كانت لديهم العديد من الصناديق للحرق. لو أن دوم دي إنجوليس قد تساءل عن مصدر القصص المصورة، فلم ينطق أبدًا بذلك التساؤل؛ فقد بنى الأرفف لرصها، مفتخرا بابنه الذي يقرأ. ومنذ ذلك اليوم، كانت مجموعتهما بالتشارك.

وضع قهوته والمافن على الصندوق البرتقالي، وذهب إلى المكتبة وأخذ منها بضعة أعداد من قصص الفتى النفّاث المصورة. أعاد قراءتها بينما تناول طعامه، الفتى النفّاث على جزيرة الديناصورات، الفتى النفّاث الرايخ الرابع، ومفضلته، العدد الأخير، العدد الحقيقي، الفتى النفّاث والفضائيون.

على الغلاف الداخلي، كان العنوان «ثلاثون دقيقة فوق برودواي». قرأها توم مرتين بينما يرتشف قهوته. تباطأ عند بعض الصور. على صفحته الأخيرة كانت صورة للفضائي، تاكيون، يبكي. لم يكن توم يعلم ما إذا حدث ذلك بالفعل أم لم يحدث. أغلق القصة وأنهى تناول المافن. وجلس لفترة طويلة يفكر.

الفتى النقّاث كان بطلًا. وماذا يكون هو إذن؟ لا شيء. جبان، أحقر من القذارة. لم تقدم قوة بطاقته الجامحة أيَّ فائدة لأحد. كانت عديمة الفائدة، مثله تمامًا.

بخيبة أملٍ، ارتدى معطفه وخرج. بدت ساحة الخردة قبيحة عند الشروق، وكانت الرياح الباردة تهب. بضع مئات من الأمتار باتجاه الشرق، كان الخليج أخضر متقطعًا. تسلق توم إلى إحدى السيارات القديمة على قمة تلتها الصغيرة. أصدر بابها صريرًا حين جذبه لينفتح. بالداخل، تشققت مقاعدها وعبقت برائحة العفن، ولكنها على الأقل حمته من الرياح. تقرفص توم وارتكزت ركبته على طابلو السيارة، متأملًا الشروق بالخارج. جلس دون حراك لفترة طويلة؛ عبر الساحة، تطايرت أغطية وإطارات وتسارعت صارخة لتسقط في مياه خليج نيويورك. يمكنه رؤية تمثال الحرية على جزيرتها، وحدود برج مانهاتن الضبابية في الشمال الشرقي.

كانت قرابة السابعة والنصف، تصلَّبت أطرافه، ولم يعد يذكر عدد الإطارات التي ألقاها، حين وقف توم توديبيري وعلى وجهه تعبير غريب. سقط صندوق الثلج الذي كان يتلاعب به على ارتفاع أربعون قدم سقط سقط متحطمًا. مرَّر أصابعه في شعره ورفع صندوق الثلج مجدَّدًا، حرَّكه نحو العشرين مترًا، وأسقطه فوق سقف جوي المتعرِّج. ثم أعاد ذلك مع إطار، ودراجة مشوَّهة، وستة أغطية إطارات، وعربة حمراء صغيرة.

فتح جوي باب المنزل بعصبية، وخرج مسرعًا في الهواء البارد وليس عليه شيء سوى سروال قصير وفانلة حمالات. بدا غاضبًا جدًّا. سحبه توم من قدميه الحافيتين، وأسقطه على مؤخرته بشدة. أطلق جوي اللعنات.

أمسك به توم وانتزعه إلى السماء، رأسًا على عقب. «أين أنت بحق الجحيم يا توديبيري؟» صرخ جوي. «توقف أيها الأحمق. أنزلني».

تخيل توم يدين عملاقتين، وتقاذف جوي من إحداهما للأخرى. «حين أنزل من هنا، سوف ألكمك بشدة لدرجة أنك ستأكل بشفاط لبقية حياتك». تَوعَّدَه تومي.

كان المقبض صدئًا من سنوات الإهمال، ولكن توم تمكن أخيرًا من فتح نافذة السيارة. أخرج رأسه. «هيا يا شباب،

هيا، هيا، هيا» نعق وقهقه.

معلقًا على ارتفاع اثنتا عشرة قدمًا من الأرض، تدلى جوي وهدَّد بقبضته. «سأنتزع أطرافك السحرية اللعينة، يا حقير». صرخ. انتزع توم سرواله وعلَّقه على خطوط الهاتف. «سأقتلك، توديبيري». قال جوي.

أخذ توم نفَسًا عميقًا وأنزل جوي إلى الأرض، بلُطف. لحظة الحقيقة. انطلق جوي نحوه ملقيًا بالبذاءات. أغلق توم عينيه، وضع يديه على المِقوَد، ورفع. تحركت السيارة تحته. تقاطر العرق على جبينه. تجاهل العالم، وركَّز، عَدَّ إلى عَشْرٍ، ببطء، تناقصيًّا.

حين فتح عينيه أخيرًا، متوقعًا أن يرى قبضة جوي تُهشِّم أنفه، لم يكن هناك ما يراه سوى النوارس تطفو على غطاء محرك السيارة، كان طافيًا، إنه يطير.

أخرج توم رأسه من النافذة. بينما وقف جوي أسفله بعشرون قدم، غاضبًا، ويداه على خصره وتعلو وجهه نظرة ازدراء. «الآن». صرخ توم مبتسمًا: «ماذا كنت تقول البارحة؟»

«أتمنى أن تستطيع البقاء معلَّقًا طوال اليوم، أيها الملعون». قال جوي ملوِّحًا بقبضته في الهواء. «هه، ما الذي يثبته هذا؟

لو أن معي مسدسًا، فستموت».

«لو أن معك مسدسًا لما أخرجت رأسي من النافذة». قال توم. «في الواقع، من الأفضل ألَّا تكون هناك نافذة». تأمل تلك الفكرة للحظة، ولكن التفكير كان صعبًا وهو معلق هنا. فالسيارة كانت ثقيلة. «سوف أهبط». قال جوي. «أنت، آه، هل هدَأت؟»

زمجر جوي: «تعالَ واكتشف، تدز».

«ابتعد عن الطريق. لا أريد أن أسحقك بهذا الشيء اللعين».

قفز جوي مسرعًا إلى الجنب، عاريًا ومُقْشَعِرًّا، بينما أنزَلَ توم السيارة برفق كورقة خريف في يوم هادئ. كان قد بدأ بفتح الباب حين أدخل جوي ذراعه ممسكًا به ليقتلعه ويقذف به على جانب السيارة وقبضته الأخرى متكوِّرة. «عليّ أن ...» بدأ. ثم هز رأسه، ثم أطلق شخرة، ولكم توم بخفة على كتفه. «أعطني سروالي اللعين أيها الآيص».

حينما عدَوَا إلى داخل المنزل، تناول توم القهوة المتبقية. «أحتاجك أن تقوم بالعمل». قال بينما خفق لنفسه بعضًا من البيض مع اللحم وبضع مافنات إضافية. فلطالما أصابه الجوع بعد استخدام قواه. «لقد حضرت دروس الورش والتلحيم وباقي تلك الأمور. سأقوم أنا بأعمال الكهرباء».

«كهرباء؟» سأل جوي، مدفئًا يده على كأسه. «ولِمَ بحق الجحيم؟»

«الأضواء والكاميرات. لا أريد أي نوافذ تمكِّن الناس من إطلاق النار من خلالها. أعرف أين يمكننا الحصول على كاميرات رخيصة، ولديك العديد من أجهزة التلفاز القديمة هنا، سأصلحها». جلس وانقض كذئب على البيض. «سأحتاج إلى مكبرات صوت ضخمة. مولد كهرباء. هل تتوقع أن يبقى مكان لثلاجة بالداخل؟»

«تلك السيارة كبهو فندق». قال جوي. «لو أخرجنا المقاعد، فسيكفي المكان لثلاث ثلاجات».

«لا، تلك السيارة ثقيلة». قال تومي. «يجب أن أجد واحدة أقل وزنًا. يمكننا تغطية النوافذ بألواح سيارات قديمة أو شيء من هذا القبيل».

دفع جوي الشعر من عينيه. «فلتذهب الألواح القديمة إلى الجحيم. لديَّ ألواح مدرعة. من الحرب. فقد قطَّعوا مجموعة من السفن في القاعدة البحرية في ٤٦ و٤٧، وقد اشترى دوم عشرين طنًّا لعينة منها. يا له من هدر للمال! أيُّ عاقل يرغب في شراء ألوح مدرَّعة لسفن حربية؟ ما زالت كلها هنا، قابعة في آخر الساحة يأكلها الصدأ. تحتاج إلى مدفعية ست عشر بوصة لتثقبها يا تدز. ستكون بمأمن كـ ... اللعنة! لا أعرف.

ولكن بمأمن على أية حال».

عرف توم مباشرة. «بمأمن». قال بصوت عالٍ: «بمأمن كسلحفاة في صدفتها!»

♣ ♦ ♠ ♥

بقي عشرة أيام تسوُّق قبل الكريسماس. جلس تاك في إحدى المنصات يداعب قهوته الأيرلندية في برد ديسمبر، مراقبًا شارع بويري من خلال زجاج لا يسمح لمن بالمسرح برؤيته. لن يفتح بيت المرح أبوابه لساعة أخرى، ولكن الباب الخلفي كان دومًا مفتوحًا لأصدقاء إينجل فيس. على المسرح، كان زوج من الجواكر أطلقا على نفسيهما اسمي كوزموس وكيوس، كانا يتقاذفان كرات بولنج. طفا كوزموس على ارتفاع ثلاث أقدام من المسرح جالسًا القرفصاء، ووجهه الخالي من العيون هادئ. كان أعمى تمامًا، ولكنه لم يُسقِط كرة قَطُّ. شريكه، كيوس ذو الست أذرع، تقافز كالمعتوه، متضاحكًا بينما ألقى بالنكات السمجة، ويبقي شلالًا من المضارب المشتعلة خلف ظهره بذراعين بينما يقذف كرات البولنج على كوزموس. لم يعطهم تاك سوى لمحة خاطفة. بالرغم من موهبتهما، فإن تشوُّههما كان يؤلمه.

انزلق مال إلى مجلسه. «كم شربت من هذه؟» أمر الحارس، مشيرًا إلى قهوته الأيرلندية. تدلَّت من شفته السفلية دوالٍ

تتحرك وكأنها ديدان عمياء نابضة، وفكه الضخمة المشوهة المتلونة باللونين الأسود والأزرق أعطى وجهه شكل محارب مزدرٍ.

«لا أعتقد أن هذا من شأنك».

«أنت عديم الفائدة تمامًا، أليست كذلك؟»

«لم أدَّعِ يومًا غير ذلك».

شخر مال. «قيمتك تكاد تكون كقيمة سطل من الفضلات. لا أعلم ما حاجة إينجل فيس لرجل فضائي ناعم مثلك يتسكع هنا ويشرب نبيذها».

«لا حاجة لها. لقد أخبرتها بذلك».

«لا يمكنك إخبار تلك المرأة بأي شيء»، وافق مال. كوَّر قبضته. قبضة ضخمة جدًّا. قبل يوم البطاقة الجامحة، كان مصنفًا كثامن أفضل ملاكم في الوزن الثقيل. بعدها، ارتقى حتى وصل إلى المركز الثالث ... حتى منعوا البطاقات الجامحة من الرياضات الاحترافية، ومسحوا بذلك حُلمه في لحظة. كان النظام موجَّهًا على الآيائص، هذا ما قالوه، ليُبقوا الرياضات تنافسية، ولكن لم يكن هناك أي استثناء للجواكر. شاخ مال الآن، شعر متناثر تحول لونه المعدني، ولكنه ما يزال قويًّا بما يكفي ليكسر فلويد باترسون على

ركبته، وعنيفًا بما يكفي ليوقف سوني ليستون بنظراته فقط. «فلتنظر لهذا». قالها شاخرًا باشمئزاز، محدقًا إلى خارج النافذة. كان تايني في مقعده بالخارج. «ماذا يفعل هنا بحق الجحيم؟ لقد أخبرته ألا يعود إلى هنا مجددًا». قالها مال متوجهًا نحو الباب. «ألا يمكنك فقط تركه وشأنه؟» نادى من خلفه تاكيون. «إنه غير مؤذٍ».

«غير مؤذٍ؟» استدار نحوه مال. «صراخه يرعب جميع السياح الملاعين، ومَن حينَها سيتكفَّل بثمن مشاريبك المجانية؟»

دفع أحدهم الباب، وكان ديسموند واقفًا خلفه، معطفه مطويٌّ على إحدى ذراعيه، وخرطومه نصف مرتفع. «دعه وشأنه يا مال». قال رئيس النوادل بضجر. «هيا» تمتم، بينما انصرف مال بتردُّد. جلس ديسموند على طاولة تاكيون. «صباح الخير، دكتور».

أومأ تاكيون وأنهى شرابه. تنبه لنفسه وهو ينظر إلى الوجه المنعكس على سطح الطاولة المرآة: وجه متهالك، خشن، عيون حمراء ومنتفخة، شعر أحمر دهني طويل متشابك، سكير منتفخ مشوّه الملامح. لم يكن هو، لا يمكن أن يكون هو، فهو وسيم، نظيف المعالم، مميز، ووجه كان–

تسلل خرطوم ديسموند، قبضت أصابعه على معصمه

بغلظة، وسحبته للأمام. «لم تسمع كلمة مما قلت، أليس كذلك؟» سأل ديس، بصوت منخفض عجول غاضب. تنبَّه تاك بشكل ضبابي أن ديسموند كان يتحدث معه. بدأ يغمغم بعض الاعتذارات.

«دعك من ذلك». قال ديس، مفلتًا قبضته عنه. «أنصِت إليَّ. كنت أسألك مساعدتك، دكتور. قد أكون جوكرًا، ولكنني لست جاهلًا. لقد قرأت عنك. لديك ... فلنقل قدرات معينة».

«لا» قاطعه تاك. «ليس بالطريقة التي تظنها».

«قواك موثَّقة بشكل جيد». قال ديس.

«أنا لا ...» بدأ تاك بشكل محرج. فرد ذراعيه. «كان ذلك حينها. لقد فقدت ... أعني، لا أستطيع، لم أعُد أستطيع». ونظر لأسفل إلى ملامحه المهدرة، راغبًا في النظر في عيني ديس، ليجعله يفهم، ولكنه لم يُطِقْ تحمُّل منظر تشوهات الجوكر.

«تقصد أنك لن تفعل». قال ديس. «ظننت أنني لو تحدثت إليك قبل الافتتاح، أنني قد أجدك مستفيقًا. أرى الآن كم كنت مخطئًا. فلتَنْسَ كل ما قلته».

«سأساعد إن استطعت» بدأ تاك بالقول.

«لم أكن أسأل لأجلي». قال ديس بحدة.

حين غادر، ذهب تاكيون إلى البار الفضي الكرومي الطويل وشرب قنينة كونياك كاملة. أشعرته الكأس الأولى بتحسن؛ بينما أوقفت الكأس الثانية رجفته. حين وصل إلى الثالثة، كان قد بدأ في النحيب. تقدم مال نحوه ونظر إليه من علٍ باشمئزاز. «لم أعرف قَطُّ رجلًا يبكي بقدر ما تفعل». قال، دافعًا بقسوة منديلًا متسخًا نحو تاكيون قبل أن يتركه ليساعد الباقين في الافتتاح.

♥ ♠ ♦ ♣

لقد أمضى قرابة الأربع ساعات ونصف طافيًا حين طقطق خبر الحريق عبر جهاز الراديو الخاص بالشرطة عند قدمه اليمنى. لم يكن طافيًا على ارتفاع كبير في الحقيقة، مجرد ست أقدام من الأرض، ولكن ذلك كان كافيًا، ست أو ستون، لم يكن هناك فرق كما اكتشف توم. أربع ساعات ونصف، ولم يشعر ولو بالقليل من التعب بعدُ. بل على العكس، لقد كان شعورًا عظيمًا.

كان مربوطًا بإحكام في مقعد مريح استأصله جوي من سيارة فارهة قديمة وثبّته على ارتفاع منخفض في منتصف الفولكس ڤاجن. كانت الإضاءة الوحيدة وهجًا فسفوريًا صادرًا من شاشات التلفاز غير المتناسقة التي أحاطته من

جميع الجهات. ما بين الكاميرات، وأجهزة توجيهها، المولد، نظام التهوية، معدات الصوت، لوحات التحكم، صندوق الأنابيب المفرَغة الإضافية، والثلاجة الصغيرة، كانت المساحة المتبقية تكفيه بالكاد أن يدير كرسيَّه. ولكن ذلك كان كافيًا. فقد كان توم يحب الأماكن الضيقة أكثر من رهبته لها؛ فالمكان هنا يروق له. على محيط البيتل من الخارج، ثبت جوي طبقتين من دروع السفن الحربية إحداهما فوق الأخرى. كانت آمَنَ من دبابة لعينة. طرقها جوي ببضع طلقات من مسدس لوجر انتزعه دوم في الحرب من جندي ألماني. قد تتمكن طلقة محظوظة من تدمير إحدى كاميراته أو وحدات إضاءته، ولكن يستحيل الوصول إلى توم ذاته بالداخل. كان أفضل حالًا من آمِن، كان منيعًا، وحين شعر توم بهذا القدر من الأمان والثقة بالنفس، فلا حدود لما يمكنه فعله.

كانت صدفته هذه حين انتهَيا من تجهيزها أثقل من أثقل سيارة في ساحة الخردة، ولكن لا يبدو أن ذلك كان يسبِّب فارقًا. أربع ساعات ونصف، دون لمس الأرض، منزلقًا بهدوء تام وتقريبًا بلا عناء حول ساحة الخردة، حتى إنه لم يعرق.

حين سمع التقرير على الراديو، صعقته موجة من الحماس. هذا هو! قال في نفسه. عليه أن ينتظر جوي، ولكن جوي

ذهب إلى بيتزا بومبي لجلب العشاء (ببيروني، بصل، والكثير من الجبن) ولم يكن هناك وقت ليضيعه، فهذه فرصته.

ألقت حلقة الأضواء أسفل الصدفة ظلالًا متباينة على تلال المعادن الملتوية والخردة، بينما دفع توم الصدفة للأعلى، ثمان أقدام، عشر، اثني عشر. تنقَّلت عيناه بعصبية من شاشة لأخرى، يراقب الأرض وهي تبتعد. إحدى الشاشات القديمة بدأت بتدوير صورتها أفقيًا. عبث توم بمقبضها وأوقفها. بدأت راحتاه بالتعرُّق. على ارتفاع خمسة عشر قدمًا، بدأ بالزحف للأمام، حتى وصلت الصدفة إلى حد الساحل. امتد الظلام أمامه؛ كان الجو ضبابيا كثيفًا يمنع رؤية نيويورك، ولكنه كان يعلم بوجودها، لو استطاع الوصول إليها. على شاشاتها الصغيرة ذات اللونين الأبيض والأسود، بدت مياه خليج نيويورك معتمة أكثر من المعتاد، بحر لا نهائي من الحبر المتقطع لوّح في أفقه. عليه أن يتحسَّس طريقه إلى أن بدت أضواء المدينة. ولو فقد السيطرة على قواه هنا، فوق المياه، فسيجتمع بالفتى النفّاث وجي. إف. كي. أسرع مما كان يخطّط له؛ حتى وإن تمكن من فك براغي الباب بسرعة كافية ليتفادى الغرق، فهو لا يجيد السباحة.

ولكنه لن يفقد السيطرة، حدَّث توم نفسه فجأة. لماذا يتردد بحق الجحيم؟ لن يفقد السيطرة مجددًا أبدًا، أليس كذلك؟

عليه أن يصدق ذلك.

ضمَّ شفتيه، ودفع بعقله، وانزلقت الصَّدَفة بنعومة فوق المياه. ارتفعت الأمواج المالحة أسفله وانخفضت. لم يُضطَرَّ أن يدفع فوق الماء من قبلُ؛ كان لها شعور مختلف. أصابت توم لحظة من الهلع؛ اهتزت الصدفة وسقطت ثلاثة أقدام قبل أن يتمالك نفسه. هدَّأ نفسه بصعوبة، ودفع للأعلى، وارتفع. عاليًا، حدَّث نفسه، سيأتيهم من علٍ، سيطير إليهم، كالفتى النقّاث ، كالنسر الأسود، كآيص لعين. تحركت الصدفة، أسرع وأسرع، منزلقة عبر الخليج بصفاء سريع، بينما استعاد توم ثقته. لم يشعر من قبل بالقوة كما يشعر بها الآن، شعور عظيم، شعور بالرضى العميق.

كانت البوصلة تعمل جيدًا؛ وفي أقل من عشر دقائق، لوَّحت في الأفق أنوارُ وول ستريت. دفع توم نفسه إلى الأعلى مجددًا، وطفا إلى أطراف المدينة، محتضنًا ساحل نهر هدسون. ظهر ضريح الفتى النقّاث ومضى أسفل صدفته. لقد وقف أمامه عشرات المرات، ناظرًا إلى وجه التمثال الحديدي الكبير بالأعلى. تساءل ما الذي قد يظنه به ذلك التمثال لو أنه تمكن من النظر إلى أعلى الليلة.

كان يحمل خارطة لطرقات نيويورك، ولكنه لم يحتج إليها الليلة؛ فاللهب يمكن رؤيته من بعيد. حتى بداخل

مرتعه استشعر توم موجات الحرارة تمسحه حين عبَر من فوقها. بدأ بالهبوط بحذر. طنَّت مراوحه الداخلية، وتحركت كاميراته بأمره؛ وأسفله كانت فوضى متنافرة، صافرات إنذار وصياح، الجماهير، رجال الإطفاء العجِلون، حواجز الشرطة وسيارات الإسعاف، شاحنات عملاقة بسُلَّم وخطاف ترش الماء على الجحيم. لم يلحظْه أحد في البداية، طافيًا على ارتفاع خمسون قدمًا من رصيف المشاة، حتى نزل لدرجة أن أضواءه تراقصت على جدران المباني. ثم رآهم يشيرون إلى الأعلى؛ شعر بالدوار من شدة الإثارة.

ولكنه لم يحظَ سوى بلحظة ليستمتع بذلك الشعور. ثم، في طرفة عين، رآها على إحدى شاشاته. ظهرت فجأة في نافذة في الطابق الخامس، منحنية وتسعُل، وفستانها قد بدأ في الاشتعال. قبل أن يتحرك، مسحها لهب؛ صرخت وقفزت.

أمسك بها في الهواء، دون تفكير، دون تردُّد، دون أن يتساءل ما إذا كان يستطيع. فقط فعلها، أمسك بها وحملها حتى أنزلها بلطف على الأرض. أحاط بها رجال الإطفاء، أخمدوا نيران فستانها، وأسرعوا بها إلى الإسعاف. والآن، لاحظ توم، أن الجميع كانوا ينظرون إليه في الأعلى، إلى الشكل المعتم الغريب الطافي عاليًا في ظلمة الليل، بحلقات ضوئه الساطعة. كان راديو الشرطة يطقطق؛ كانوا يشيرون

إليه بأنه صحن طائر، هذا ما سمعه. ابتسم.

تسلق شرطي إلى سقف سيارته، حاملًا مكبر صوت، وبدأ بمناداته. أغلق توم الراديو ليسمعه بشكل أفضل مع إزعاج زئير النيران. كان يخبر توم بأن يهبط ويكشف عن هويته، وسأله عمَّن يكون، أم ماذا يكون.

كان ذلك سهلًا. شغل توم الميكروفون. «أنا السلحفاة». لم تكن للفولكس فاجن أي إطارات؛ فثبَّت تومي في فراغهم أكبر سماعات وجدها، وغذَّاها بأكبر مضخِّم في السوق. وسُمِع صوت السلحفاة لأول مرة في البلاد، صدًى متفجر: «أنا السلحفاة» تردَّد في الطرقات والزقاق، رعد مُدَوٍّ مشوَّش. إلا أن ما قاله لم يبدُ سليمًا. رفع توم الصوت لدرجة أعلى، زاد من عمق صوته. «أنا السلحفاة العظيم القوي»، أعلن لهم جميعًا.

ثم طار إلى الغرب، عائدًا إلى مياه نهر هدسون الملوَّثة المعتمة، وتخيل كفَّين خفيتين بعَرض اثنتين وأربعين قدمًا. أنزلهما في النهر، غرف فيهما الماء، ورفع. تساقطت أنهار من الماء على الطرقات. حين أسقط أول شلال على النيران، تصاعدت أصوات الهتاف من الجماهير بالأسفل.

♣ ♦ ♠ ♥

«عيد ميلاد مجيد»، أعلن تاك ساكرًا حين أعلنت الساعة دخول منتصف الليل، وصرخت حشود عشية عيد الميلاد لأعدادهم القياسية ودقوا الطاولات. على المسرح، ألقى همفري بوجارت نكتة سمجة بصوت غير مألوف. خفتت جميع الإضاءات في بيت المتعة لبرهة؛ حين عادت لسطوعها، كان بوجارت قد تبدل إلى رجل سمين دائري الوجه محمرَّ الأنف. «من هو الآن؟» سأل تاك التوأم على يساره.

«دبليو. سي. فيلدز»، همست. زالقة لسانها حول أذنه الداخلية. أما التوأم التي على يمينه فقد كانت تقوم بشيء أكثر إثارة تحت الطاولة. كانتا هدية إينجل فيس له بمناسبة عيد الميلاد. «يمكنك أن تتظاهر بأنهما أنا». قالت له، بالرغم من أنهما بكل تأكيد لم تكونا تشبهانها البتة. كانتا طيبتين، ممتلئتين قليلًا ومرِحتين وغير مقيدتين إطلاقًا، ولو أنهما كانتا مغفَّلتين بعض الشيء؛ ذكرتاه بألعاب تاكس. التي على يمينه قد أصابتها بطاقة جامحة، ولكنها لبست قناع وجه قِطٍّ طوال الوقت، ولم يكن هناك أي تشوُّه واضح يقطع عنه متعته.

دبليو. سي. فيلدز، أيًّا كان، طرح ملاحظات ساخرة عن عيد الميلاد والأطفال الصغار. صاحت الحشود حتى أنزلوه

من المسرح. كان للعارض تشكيلة مبهرة من الوجوه، لكنه لا يعرف كيف يلقي النكات. لم يمانع تاك؛ فقد كان معه ما يكفيه من إلهاءات.

«صحيفة يا دكتور؟» دفع البائع نسخة من صحيفة الهيرالد تريبيون على سطح الطاولة بيده السميكة ثلاثية الأصابع. كانت بشرته زرقاء غامقة وتبدو زيتية. «كل أخبار عيد الميلاد». قال بينما عدل كومة الصحف تحت إبطه. جحظ زوج من الأنياب المنحنية من أركان فمه الواسع المبتسم. تحت قبعته المسطحة، غطى معظم رأسه المنتفخ خصلات شعر أحمر خشن. كانوا ينادونه ويلريس(7).

«لا، شكرًا جوبي». قال تاك بكرامة مخمورة. «لا أرغب في التخبُّط في حماقات البشرية الليلة».

«آه، انظر». قالت التوأم التي على يمينه. «السلحفاة!»

نظر تاكيون حوله، مرتبكًا للحظة، مستغربًا، كيف يمكن لتلك الصَّدَفة المدرَّعة أن تمرُق إلى داخل بيت المرح؟ ولكنها بالطبع كانت تعني الصحيفة.

«عليك أن تشتريها لها، تاكي». قالت التوأم على يساره مقهقة. «إذا لم تفعل، فستتوقف».

تنهد تاكيون. «سآخذ واحدة. ولكن بشرط ألَّا تُسمِعني أيًّا

من نكاتك، جوبي».

«لا، قد سمعت نكتة جديدة عن جوكر، بولندي، وأيرلندي حُبِسا على جزيرة نائية، ولكني لن أقولها لك». قال الويلريس بابتسامة مطاطية.

بحث تاكيون عن بعض القروش، ولكنه لم يجد في جيبه سوى يدٍ أنثوية صغيرة. غمز جوبي. «سآخذها من ديس». فرد تاكيون الصحيفة على الطاولة، بينما ثار الملهى بالتصفيق مع ظهور كوزموس وكيوس.

فردت صورة مشوهة للسلحفاة عبر عمودين. اعتقد تاكيون أنها أشبه بخيارة طائرة، خيارة مدردمة كبيرة مغطاة بنتوءات صغيرة. لقد اعتقل السلحفاةَ سائقًا صدم طفلًا في التاسعة من عمره في هارلم وهرب، اعترض هروبه ورفع سيارته عشرون قدمًا في الهواء، حيث طفت ومحركها ما يزال يعمل وإطاراتها تدور بجنون حتى وصلت الشرطة وأمسكت به. وفي عمود صغير آخر، أنكر المتحدث الرسمي باسم القوات الجوية إشاعة أن الصدَفة كانت دبابة تجريبية آلية طائرة.

«كنت لتظن أنهم سيجدون شيئًا أكثر أهمية ليكتبوا عنه الآن». قال تاكيون. كان هذا ثالث خبر كبير عن السلحفاة هذا الأسبوع. أعمدة المراسلات، الصفحات الرئيسية، كل شيء

كان سلحفاة، سلحفاة، سلحفاة. حتى التلفاز كان مسعورًا بتكهنات السلحفاة. من يكون؟ ماذا يكون؟ كيف فعلها؟

حتى إن صحفيًا كان قد تواصل مع تاك ليسأل ذلك السؤال. «التحريك الذهني»، أخبره تاكيون. «ليس شيئًا جديدًا. بل هو شائع، في الواقع». فالتحريك الذهني كان أكثر قدرة ظهرت على ضحايا الفيروس في ٤٦. فلقد رأى العشرات من المرضى الذين يستطيعون تحريك مشابك الورق والأقلام، حتى إن امرأة كانت تستطيع رفع وزنها لمدة عشر دقائق متواصلة. حتى إن طيران إيرل ساندرسون كان في أصله تحريكًا ذهنيًا. ما لم يخبرهم به هو أن التحريك الذهني على هذا المستوى لم يكن مسبوقًا. وبالطبع، حين نُشِرت القصة، كانت نصف المعلومات فيها خاطئة.

«إنه جوكر، كما تعلم»، همست التوأم التي على يمينه، التي تلبس قناع الهرة الفضي الرمادي. كانت متكئة على كتفه، تقرأ عن السلحفاة.

«جوكر؟» قال تاك.

«إنه يختبئ داخل صدفته، أليس كذلك؟ لماذا يفعل ذلك إلا إن كان بغيض الشكل؟» قالت وهي تمسح على قناعها: «هل يمكنني الاحتفاظ بالصحيفة؟»

دفعها تاك نحوها. «إنهم يشجعونه الآن». قال بحدة. «لقد شجعوا الآيائص الأربعة كذلك».

«كانت تلك جماعة ملوَّنة، أليس كذلك؟». قالت. صارفة انتباهها إلى العناوين.

«إنها تعمل على كتيب قصاصات». قالت أختها. «جميع الجواكر يظنون أنه منهم. غباء، هه؟ أتحداك أنها آلة، نوع من الصحون الطائرة التابعة للقوات الجوية».

«إنه ليس كذلك». قالت توأمها. «هذا ما كُتِب هنا». وأشارت إلى الخبر بظفر أحمر طويل.

«دعك منها». قالت التوأم على يساره. اقتربت من تاكيون. «هاي، ماذا بك؟»

«المعذرة» قال تاكيون بكآبة. كوزموس وكيوس كانا يتقاذفان السواطير والسيوف عبر المسرح، ضُوعِف الشلال المتلألئ بالمرايا التي تحيط بهم. كان بيده قنينة كونياك فاخرة، وامرأتان جميلتان راغبتان على جانبيه، ولكنه فجأة، ولسبب لا يمكنه تسميته، لم يشعر بأنها ليلة جيدة. ملأ كأسه لآخرها تقريبًا واستنشق عبق الكحول المسكر. «عيد ميلاد مجيد». تمتم.

استعاد وعيه على صوت مال الغاضب. رفع تاك رأسه بترنح من على مرآة الطاولة، رامشًا لانعكاسه الأحمر المنتفخ. المؤدون، التوأمتان، والجماهير، قد غادروا كلهم منذ زمن. كان خده دبقًا من نومه في بركة من الخمر. حاولت التوأمتان المرح معه، دون فائدة. حتى جاءت إينجل فيس إلى الطاولة وصرفتهما. «اذهب ونم يا تاكي». جاءها مال ليسأل ما إذا كان عليه سحبه إلى سريره. «ليس الليلة». قالت، «أنت تعلم أي يوم هذا. دعه ينم هنا». لم يستطع تذكُّر متى غفا.

كان رأسه على وشك الانفجار، وصريخ مال لم يساعد. «لا يهمني أي وعد قدَّم لك أيها الحقير، لن تقابلها». قال الحارس. رد صوت خافت بشيء ما. «ستحصل على مالك، ولكن هذا كل ما ستحصل عليه»، انفجر مال.

رفع تاك عينيه. رأى انعكاسهما الداكن في المرآة: أشكال مشوهة غريبة محددة في ضوء ما قبل الشروق، انعكاسات، انعكاسات، المئات من الانعكاسات، جميلة، متوحشة، غير معدودة، أبناؤه، ورثته، نسل فشله، بحر متلاطم من الجواكر. قال الصوت الناعم شيئًا آخر. «آه، قبِّل مؤخرتي الجوكرية». قال مال. كان جسده كعصاة ملتوية ورأسه كاليقطينة؛ جعلته يبتسم. وكز مال أحدهم ودفع يده خلف ظهره، ممسكًا بمسدسِه.

الانعكاسات وانعكاسات الانعكاسات، الظلال الهزيلة والمنتفخة، ذات الوجوه الدائرية والنحيلة، السوداء والبيضاء، كلها تحركت سويًا، مالئة الملهى بالأضواء؛ صرخة فظة من مال، طرقة إطلاق نار. قفز تاك غريزيًا، شج جبهته بشدة على حافة الطاولة بينما انزلق أسفلها. تساقطت دموع الألم بينما تكوَّر على الأرض، ناظرًا إلى انعكاسات أقدام بينما تفكك العالم إلى شكل نشاز. تحطم الزجاج وسقط، وتكسرت المرايا في كل اتجاه، تطايرت سكاكين فضية في الهواء، أكثر مما يمكن حتى لكوزموس وكيوس أن يمسكا بها، انغرست شظايا داكنة في الانعكاسات، قادمة من جميع أشكال الظلال الملتوية، تناثرت الدماء على المرايا المحطمة.

انتهى كل شيء فجأة كما بدأ. قال الصوت الناعم شيئًا تلاه صوت خطوات، سحق زجاج تحت الأقدام. وبعدها بلحظة صوت صرخة مكتومة آتٍ من مكان ما خلفه. بقي تاك ملقًى تحت الطاولة، سكرانًا ومرتعبًا. كان أصبعه يؤلمه، داميًا، كما رآه، أصابت شظية مرآة فضية فشقتها. كل ما استطاع أن يفكر فيه هو خرافات البشر الغبية حول المرايا المحطَّمة وسوء الحظ. ضم رأسه بين ذراعيه ليوقف الكوابيس المرعبة.

حين استيقظ مجددًا، كان شرطي يهزه بعنف.

♣ ♦ ♠ ♥

كان مال ميتًا، أخبره أحد المحققين؛ أروه صورة من المشرحة للحارس ملقًى في بركة من الدماء زجاج مهشَّم متناثر. كذلك كانت روث ميتة، وأحد النوادل، غبي ذو عين واحدة لم يؤذِ أحدًا قط. أروه صحيفة. مجزرة بابا نويل، هذا ما أطلقوه عليها، وكان الخبر عن ثلاثة جواكر وجدوا الموت ينتظرهم تحت الشجرة صباح عيد الميلاد.

الآنسة فاسيتي اختفت، أخبره المخبر الآخر، هل يعلم أي شيء عن الأمر؟ هل يظن أن لها علاقة بما حدث؟ هل كانت مجرمة أم ضحية؟ أخبرهم بأنه لا يعرف شخصًا بذلك الاسم، حتى شرحوا له أنهم يسألونه عن أنجيلا فاسيتي والتي قد يعرفها باسم إينجل فيس. كانت قد اختفت وقُتِل مال بطلقة رصاص، وأكثر ما أرعب تاك أنه لم يكن يعرف من أين سيحصل على شرابه التالي.

احتجزوه لأربعة أيام، محقِّقين معه بلا هوادة، يعيدون نفس الأسئلة مرارًا وتكرارًا، حتى أصبح تاكيون يصارخهم، يرجوهم، يطالبهم بحقوقه، يطلب محاميًا، يطلب شرابًا. لم يعطوه سوى المحامي. أخبره المحامي أنهم لا يستطيعون احتجازه دون توجيه الاتهام له، فاتهموه بكونه شاهدهم الرئيسي، بالتشرد، بمقاومة الاعتقال، وأعادوا التحقيق معه.

في اليوم الثالث، كانت يداه ترتجفان، وكان يهلوس في يقظته. وعَدَه أحد المحققين، الطيب، وعده بقنينة مقابل تعاونه، ولكن إجاباته لم تكن أبدًا مُرضِيَة، والقنينة لم تكن آتية. أما العصبي، فقد هدّد بأن يحتجزه للأبد إن لم يخبرهم بالحقيقة. ظننت أنه كابوس، قال تاك لنفسه باكيًا. كنت سكرانًا، كنت نائمًا. لا، لم أستطع رؤيتهم، فقط الانعكاسات، مشوَّهة، مكرَّرة. لا أعرف كم كان عددهم. لا أعرف السبب. لا، لم يكن لديها أعداء، الجميع أحب إينجل فيس. لا، لم تَقتُل مال، فهذا غير منطقي، فقد أحبها مال. كان لأحدهم صوت ناعم. لا، لا أعرف أيهم. لا، لا أذكر ما قالوه. لا، لا أعرف ما إذا كانوا جواكر أو لا، بدوا كجواكر، ولكن المرايا تشوِّه، بعضهم، ليس جميعهم، ألا ترون؟ لا، لا يمكنني التعرف عليهم، فلم أرهم حقيقة. اضطررت للاختباء تحت الطاولة، ألا ترون، كان القتلة قد أتوا، هذا ما كان والدي يقوله لي دومًا، لم يكن بيدي فعل شيء.

حين تنبهوا إلى أنه كان يخبرهم بكل ما يعرف، أسقطوا الاتهامات وأفرجوا عنه. إلى شوارع بؤرة الجواكر المظلمة وبرد الليالي.

♣ ♦ ♠ ♥

مشى وحده مرتجفًا بمحاذاة شارع بويري. كان الويلريس

يبيع صحيفة المساء على كشكه على ناصية هستلر. «اقرؤوا الخبر»، نادى. «رعب السلحفاة في بؤرة الجواكر». توقف تاكيون لينظر بهدوء إلى العنوان. الشرطة تبحث عن السلحفاة، قالت صحيفة البوست. السلحفاة متهم بالاعتداء، أعلنت صحيفة ورلد تيليجرام. إذن فقد توقف التشجيع. نظر إلى النص. كان السلحفاة يطوف ببؤرة الجواكر في الليلتين الماضيتين، رافعًا الأشخاص مائة قدم في الهواء ليستجوبهم، مهددًا بإسقاطهم لو لم تعجبه أجوبتهم. وحين حاولت الشرطة اعتقاله البارحة، أودع السلحفاة سيارتين من سياراتهم على سطح فريكرز بساحة تشاتام. أوقفوا السلحفاة عند حده. قال المقال في ورلد تيليجرام.

«هل أنت بخير يا دكتور؟» سأله الويلريس.

«لا». قال تاكيون، وهو ينزل الصحيفة. فلم يكن يستطيع دفع ثمنها.

أغلقت حواجز الشرطة مداخل بيت المرح، وأوصدت الأقفال الأبواب. مغلق لأجل غير مسمى. قالت اللوحة. كان بحاجة إلى شراب، ولكن جيوب معطفه كانت خاوية. تذكر ديس وراندال، وتنبّه إلى أنه لا يعرف أين يقطنان، ولا يعرف أسماء عائلاتهم.

مشى عائدًا إلى روومز، تاك تسلق الدَّرَج منهكًا. حين خطا

في الظلمة، تنبه إلى أن الغرفة كانت باردة جدًّا؛ وكانت النافذة مفتوحة ومرارة الرياح كانت تنشر رائحة البول، والعفن، والشراب. هل فعلًا هو ذلك؟ محتارًا، تقدم نحوها، وخرج شخص ما من خلف الباب وأمسك به.

حدث ذلك بسرعة لم يكن عنده متسع من الوقت ليتصرف. كانت الذراع التي امتدت عبر رقبته حديدية، تخنق صرخاته، بينما ثبتت يدٌ ذراعَه اليمنى خلف ظهره بقوة. كان يختنق، وذراعه قاربت على الانكسار، ثم دُفِع نحو النافذة المفتوحة بسرعة، بينما ضرب تاكيون بهُزال مكبَّلًا بقبضة أقوى من قبضته بكثير. ارتطم بحافَة النافذة في بطنه، مخرجًا نفَسه الأخير من صدره، وفجأة بدأ بالسقوط رأسًا على عقب، مكبلًا بضمة مهاجمه الحديدية، كلاهما متجه إلى حافة الرصيف بالأسفل.

توقفا فجأة على ارتفاع خمسة أقدام من الأسمنت، بشدة أجبرت الرجل خلفه على النخير.

كان تاك قد أغلق عينيه قبل لحظة الارتطام. فتحهما بينما بدآ بالطفو للأعلى. فوق الهالة الصفراء لمصباح الطريق كانت حلقة من أضواء أشد وهجًا، معلقًا في ظلمة مخفية نجوم الشتاء.

خفت قبضة الذراع عبر رقبته لدرجة سمحت لتاكيون

بالتأوُّه. «أنت». قال بصوت أجش، بينما التفَّا حول الصَّدَفة وهبطا بلطف أعلاها. كان المعدن باردًا كالثلج، صقيعها يقضم تاكيون من خلال نسيج بنطاله. بينما صعد السلحفاة في ظلمة الليل، تركه مختطفه. سحب نفَسًا مرتجفًا من الهواء البارد، واستدار ليواجه رجلًا في معطف جلدي بسحاب، بنطال أسود، وقناع ضفدع مطاطي أخضر. «من؟» قال شاهقًا.

«أنا المساعد اللئيم للسلحفاة العظيم القوي». قال الرجل في قناع الضفدع بمرح عجيب.

«الدكتور تاكيون، على ما أعتقد»، تفجر الصوت من سماعات الصَّدَفة، عاليًا فوق أزِقَّة بؤرة الجواكر. «لطالما رغبت في لقياك. لقد قرأت عنك حين كنت طفلًا».

«أخفض الصوت»، نعق تاك بضعف.

«آه، بالطبع. هل هذا أفضل؟» انخفضت درجة الصوت جدًّا. «الضوضاء عالية بالداخل، وخلف كل هذه الدروع لا أستطيع تمييز مدى ارتفاع الصوت. أعتذر لو أننا قد أخفناك، ولكننا لم نستطع المجازفة برفضك. فنحن بحاجة إليك».

بقي تاك في مكانه، يرتجف ويهتز. «ماذا تريد؟» سأل بضجر.

«المساعدة»، أعلن السلحفاة. كانوا ما يزالون يرتفعون؛ انتشرت أضواء مانهاتن من حولهم، وبرجا مبنيي الإمباير ستيت وكرايزلر ظهرا في الأفق. كانوا أعلى من كليهما. كانت الرياح باردة وعاصفة؛ تشبَّث تاك بالصَّدَفة خوفًا على حياته.

«دعني وشأني». قال تاكيون. «لا أملك مساعدتك. لا أملك مساعدة أحد».

«اللعنة، إنه يبكي». قال الرجل في قناع الضفدع.

«أنت لا تفهم». قال السلحفاة. بدأت الصَّدَفة بالانجراف نحو الغرب، حركتُها صامتة وثابتة. كان طيرانها رائعًا وغريبًا. «عليك مساعدتي. حاولت لوحدي، ولكنني لم أصل لشيء. ولكنك أنت، بقواك، يمكنك أن تُحدِثَ فرقًا».

كان تاكيون ضائعًا في شفقته على نفسه، باردًا وتعبًا ويائسًا. «أحتاج إلى شراب».

«اللعنة» قال قناع الضفدع. «دمبو(8) كان محقًّا بشأن هذا الرجل، فهو مجرد متذمِّر لعين».

«إنه لا يفهم». قال السلحفاة. «حين نشرح، سيغير رأيه. دكتور تاكيون، نحن نتحدث عن صديقتك إينجل فيس».

كان يحتاج إلى شراب بشدة لدجة الألم. «كانت تعاملني

بشكل جيد». قال، متذكرًا حلاوة عبق عطر شراشفها الساتان، وطبعات أقدامها الدامية على ألواح المرايا. «ولكن ليس بيدي ما أفعله. قلت للشرطة كل ما أعرفه».

«جبان حقير». قال قناع الضفدع.

«حين كنت طفلًا، قرأت عنك في قصة الفتى النفّاث المصورة». قال السلحفاة. ««ثلاثون دقيقة فوق بوردواي»، أتذكر؟ كان من المفترض أنك بذكاء أينشتاين. قد أستطيع إنقاذ صديقتك إينجل فيس، ولكنني لا أستطيع ذلك دون قواك».

«أنا لم أقم بذلك. لا أستطيع. لقد آلمت أحدهم، شخصًا أهتم به، ولكنني سيطرت على عقلها، لمجرد لحظة، ولسبب نبيل، أو على الأقل ظننته كذلك، ولكن ذلك ... دمرها. لا أستطيع فعل ذلك مجددًا».

«بو هوو». قال قناع الضفدع باستهزاء. «دعنا نلقِ به يا سلحفاة، فهو لا يعدل بول دودة». أخرج شيئًا ما من أحد جيوب معطفه الجلدي؛ تفاجأ تاك بأنها كانت قنينة جعة.

«أرجوك». قال تاكيون، بينما فتح الرجل الغطاء بفتاحة معلَّقة حول رقبته. «رشفة». قال تاك. «فقط رشفة». لقد كان يكره طعم الجعة، ولكنه يحتاج إلى شربة، أي شربة. فقد

مضت أيام.

«أرجوك».

«فلتذهب إلى الجحيم». قال قناع الضفدع.

«تاكيون». قال السلحفاة. «يمكنك إجباره».

«لا، لا أستطيع». قال تاك. رفع الرجل القنينة إلى شفاهه المطاطية الخضراء. «لا أستطيع». أعاد تاك. استمر قناع الضفدع بالشرب. «لا». يمكنه سماع قرقرتها. «أرجوك، القليل فقط».

خفض الرجل قنينة الجعة، خضَّها بتمعن. «بقيت جرعة». قال.

«أرجوك». مد يده المرتجفة.

«لا». قال قناع الضفدع. وبدأ يقلب القنينة. «بالطبع، لو كنت عطِشًا بالفعل، يمكنك فقط التحكم بعقلي، أليس كذلك؟ أجبرني على إعطائك القنينة اللعينة». أمال القنينة أكثر. «هيا، أتحداك، حاول».

شاهد تاك آخر جرعة من الجعة تقطر على صدَفة السلحفاة وتنزلق إلى فراغ الهواء.

«اللعنة». قال قناع الضفدع. «أنت معدوم تمامًا، أليس

كذلك؟» أخرج قنينة أخرى من جيبه، وفتحها، وناوله إياها. تلقَّفها تاك بكلتا يديه. كانت الجعة باردة وحامضة، ولكنه لم يَذُقْ شيء بنصف حلاوتها. شربها كلها في جَرعة واحدة طويلة. «هل لديك أي أفكار أخرى؟» سأل قناع الضفدع السلحفاة.

من أمامهم كانت ظلمة نهر هدسون، أضواء جيرزي في الغرب. كانوا يهبطون. وأسفلهم، مطلًّا على الهدسون، صرح مترامي الأطراف من الصلب والزجاج والرخام، تعرف عليه تاكيون فجأة، بالرغم من أنه لم يزره قط: ضريح الفتى النفّاث. «إلى أين نحن ذاهبون؟» سأل.

«للقاء رجل بخصوص عملية إنقاذ». قال السلحفاة.

♣ ♦ ♠ ♥

يحتل ضريح الفتى النفّاث مساحة مربع بأكمله، في الموقع الذي أُمطِر بقطع طائرته المتساقطة. ملأ شاشات توم كذلك، بينما جلس في ظلمة صَدَفته الدافئة، مغطًّى بوهج فسفوري. طنت المحركات بينما تحركت الكاميرات في مساراتها. انحنت أجنحة الضريح العملاقة إلى الأعلى، كأن المبنى نفسه كان على وشك الطيران. من خلال نوافذ نحيفة وطويلة، يمكنه مشاهدة لمحات من نسخة بالحجم الطبيعي من طائرة جي. بي. ١ المعلَّقة من السقف، توهَّجت

أجنحتها القرمزية من إضاءات مخفية. نقشت فوق البوابات كلمات البطل الأخيرة، كل حرف حُفِر في الرخام الإيطالي الأسود ومُلِئ بالفولاذ المقاوم للصدأ. برق المعدن بينما مرقت مصابيح الصدفة البيضاء المتوهِّجة عبر الأسطورة:

لا يمكن أن أموت الآن

فلم أرَ قصة جولسون

أنزل توم الصدَفة أمام الضريح لتبقى معلَّقة على ارتفاع خمسة أقدام من الساحة الرخامية الواسعة بنهاية السلالم. بقربهم، وقف مجسم حديدي بارتفاع عشرون قدم مطلًّا على الطريق السريع والهدسون، بقبضتين متكوِّرتين. المعدن المستخدم للمجسم استُخلِص من حطام الطائرات، على حدِّ علم توم. كان يعرف وجه ذلك التمثال أفضل مما عرف وجه أبيه.

ظهر الرجل الذي أتوا للقائه من الظلال عند قاعدة التمثال، ظل قاتم مكتنز ملتف في معطف سميك، يداه مغروستان في عمق جيوبه. سلط توم ضوءًا عليه؛ وتحرَّكت كاميرا لتعطيه رؤية أوضح. كان الجوكر رجلًا سمينًا، كتفاه منحنيتان، وأنيقًا. كان لمعطفه ياقة من فرو وقبعته الفيدورا سحبت للأسفل. عوضًا عن أنف، كان لديه خرطوم فيل في منتصف وجهه. وفي نهايته أصابع، دُفِّئت في قفاز جلدي

صغير.

انزلق الدكتور تاكيون من على الصَّدَفة، وفقد توازنه ليسقط على قفاه. سمع توم جوي يضحك. ثم قفز جوي وساعد تاكيون على الوقوف.

نظر الجوكر إلى الفضائي. «إذن فقد أقنعتماه بالمجيء. أنا متعجب».

«لقد كنا مقنعين جدًّا». قال جوي.

«ديس». قال تاكيون، بدا محتارًا. «ما الذي تفعله هنا؟ أتعرف هؤلاء؟»

نفض وجه الفيل خرطومه. «منذ ما قبل البارحة، نعم، نوعًا ما. لقد أتيا هم إليّ. كانت ساعة متأخرة، ولكنَّ اتصالًا من السلحفاة العظيم القوي يثير اهتمام أي شخص. لقد عرض مساعدتي، وأنا قبلت. حتى إنني أخبرتهم بمحل إقامتك».

مرر تاكيون يده خلال شعره المعقد القذر. «آسف لما حصل لمال. أتعرف أي شيء عن إينجل فيس؟ أنت تعرف كم تعني لي».

«بالدولار والسنت، أعرف وبدقة». قال ديس.

فغر تاك فاه. بدا متألمًا. شعر توم بالأسف عليه. «أردت أن

آتيك». قال. «ولكنني لم أكن أعرف أين أجدك».

ضحك جوي. «أنه مدرج في دليل الهاتف اللعين، أحمق. لا يوجد العديد من الناس باسم إكزيفيار ديسموند». نظر إلى الصدفة. «كيف بحق الجحيم سيجد المرأة إذا لم يستطع حتى إيجاد صديقه هذا؟»

أومأ ديسموند. «وجهة نظر سديدة. لن يفلح هذا الأمر. انظر إليه!» أشار خرطومه. «ما فائدته؟ نحن نضيع وقتًا ثمينًا».

«لقد قمنا بطريقتك»، أجاب توم. «ولم نصل إلى شيء. لا أحد يتحدث. يستطيع الحصول على ما نحتاجه من معلومات».

«لا أفهم أي شيء مما تتحدثون عنه». قاطعهم تاكيون.

أصدر جوي صوت اشمئزاز. وجد جعة في مكان ما وفتح غطاءها.

«ما الذي يحدث؟» سأل تاك.

«لو أنك كنت مهتمًا بأقل قدر بأي شيء سوى الكونياك والرخيصات، لكنت علمت». قال ديس ببرود.

«قل لهم ما قلته لنا». أمر تومي. حين يعرف، سيساعدنا

تاكيون حتمًا، ظن تومي. لا بد وأن يفعل.

تنهَّد ديس. «كانت إينجل فيس مدمنة على الهيروين. كانت تتألم كما تعلم. لعلك لحظت ذلك بين الحين والآخر، دكتور. كان المخدر الشيء الوحيد الذي ساعدها على خوض يومها. بدونه، لقادها الألم للجنون. ولم تكن عادة مدمنة تقليدية. كانت تستخدم الهيروين النقي بكميات كانت لتقتل أي مستخدم عادي. لقد رأيت بنفسك كيف كان تأثيره عليها طفيفًا. فأيضُ الجواكر عجيب فعلًا، هل تعلم كم هو باهظ الهيروين؟ لا عليك، أرى أنك لا تعلم. كانت إينجل فيس تدر دخلًا لا بأس به من بيت المرح، ولكنه لم يكن كافيًا أبدًا. لقد قدم لها مورِّدها بالدَّين، حتى وصلت إلى أكثر مما تستطيع دفعه، ثم طلب ... فلنسمها كمبيالة. أو هدية عيد ميلاد. لم يكن لديها خيار. إما ذلك أو يقطع عنها الهيروين. كانت تتمنى أن تتحصل على المال، كونها متفائلة أبدية. لكنها فشلت. وفي صباح عيد الميلاد جاء مورِّدها للتحصيل. مال لم يكن ليدعهم يأخذونها. ولكنهم أصروا».

كان تاكيون يقاوم عينيه في سطوع الأضواء. «لِمَ لَمْ تخبرني؟»

«أتوقع أنها لم تكن ترغب في الإثقال عليك يا دكتور. فلربما أضاعت المرح من شريك المستمر».

«هل أخبرتم الشرطة؟»

«الشرطة؟ آه، نعم. خيرة نيويورك. أولئك الذين يبدون غير مهتمين لدرجة مثيرة للفضول حين يُضرَب جوكر أو يُقتَل، ولكنهم مجتهدون جدًّا إذا ما سَرِق سائح. أولئك الذين يضايقون ويعتقلون ويضربون أي جوكر يتجرأ على العيش خارج بؤرة الجواكر. ربما نستشير الجندي الذي علق بأن اغتصاب جوكرة يُعتبر أقرب إلى انتكاسة في الذوق من كونه جريمة». شخر ديس. «دكتور تاكيون، من أين تظن حصلت إينجل فيس على المخدرات؟ أتعتقد أن أي مروِّج في الشارع عنده مصادر للهيروين الخالص بالكميات التي كانت تحتاجها؟ الشرطة كانت مصدرها. رئيس شعبة المخدرات في بؤرة الجواكر، إذا أردت الدقة. آه، أُقِرُّ بأنه من غير المرجَّح بأن القسم بأكمله متورط. قد يكون قسم الجرائم يجري تحقيقًا شرعيًا. ما الذي تتوقع أن يقولوه لنا لو أننا أخبرناهم بأن بانستر هو القاتل؟ أتتوقع أن يعتقلوا أحد رجالاتهم بناءً على شهادتي، أو شهادة أي جوكر؟»

«سنلتزم بالكمبيالة». انفجر تاكيون. «سنعطي هذا الرجل ماله أو بيت المرح أو أيًا كان ما يريد».

«الكمبيالة». قال ديسموند منهكًا، «لم تكن لبيت المرح».

«أيًا كانت، فلنعطها له!»

«لقد وعدته بالشيء الوحيد الذي ما زالت تملكه ويريده هو». قال ديسموند. «نفسها، جمالها، وألمها. لقد انتشر الخبر في الشوارع، إذا كنت تعرف كيف تستمع. سيكون هناك حفل عيد ميلاد خاص جدًّا في مكان ما في المدينة. للمدعوين فقط. باهظًا. تشويق من نوع خاص. سيتمكن منها بانستر أولًا. لقد رغب في ذلك منذ فترة طويلة. ولكن باقي الضيوف سيحصلون على دورهم. ضيافة بؤرة الجواكر».

تحرك فم تاكيون دون صوت للحظة: «الشرطة؟» تمكّن أخير من النطق. بدا مذهولًا كذهول توم حين أخبره ديسموند.

«أتظن بأنهم يحبوننا يا دكتور؟ نحن مسوخ. نحن مريضون. بؤرة الجواكر جحيم، طريق مغلق، وشرطة بؤرة الجواكر هم أعنف، وأفسد وأقل شرطة المدينة كفاءة. لا أعتقد أن أحدًا قد خطّط لما حدث في بيت المرح، ولكنه حدث، وإينجل فيس تعرف الكثير. لا يستطيعون تركها لتحيا؛ لذا فسيتمتعون قليلًا بالجوكرة».

مال توم نحو ميكروفونه: «أستطيع إنقاذها». «فلم يرَ أولئك الملاعين شيئًا كالسلحفاة العظيم القوي. ولكنني لا أستطيع إيجادها».

قال ديس: «لديها العديد من الأصدقاء. ولكننا لا نستطيع قراءة الأفكار، أو إرغام رجل على فعل ما لا يريد».

«لا أستطيع». اعترض تاكيون. بدا وكأنه يتقلَّص على نفسه، ليبتعد عنهم ببطء، وللحظة ظن توم بأنه سيهرب. «أنتم لا تفهمون».

«أي طفل ملعون أنت؟» قال جوي بصوت عالٍ.

مشاهدًا تاكيون ينهار على شاشاته، فقد توم تودبيري صبره أخيرًا. «إذا فشلت، فشلت. وإذا لم تحاول، فستفشل كذلك، فما الفرق إذن؟ الفتى النفّاث فشل، ولكنه على الأقل حاول. لم يكن آيصًا، لم يكن تاكيًا لعينًا، كان مجرد رجل بنفاثة، ولكنه فعل ما يستطيع».

«أريد أن أفعل. أنا ... فقط ... لا أستطيع».

صفَّر ديس باشمئزاز. وهزَّ جوي كتفيه.

داخل صدفته، جلس توم مصعوقًا غير مصدِّق. لن يساعدهم. لم يكن يصدق ذلك. جوي قد حذره، وكذلك ديسموند، ولكن توم أصر، كان متأكدًا، كان هذا الدكتور تاكيون، بالطبع سيساعدهم، ربما كان يواجه بعض المشاكل، ولكن بمجرد ما شرحوا له الموقف، بمجرد ما يتضح له ما كان على المَحَكِّ وكم يحتاجونه؛ فسيساعدهم لا محالة.

ولكنه الآن يرفض. كانت آخر قشة ملعونة.

رفع مقبض درجة الصوت إلى أعلى درجة. «أيها الملعون». انفجر، وتَردَّد الصوت عبر الساحة. جفل تاكيون. «أيها الفضائي الجبان اللعين عديم الفائدة!» سقط تاكيون إلى الخلف على الدَّرَج، ولكن السلحفاة انزلق خلفه، بمكبرات صوته الصارعة. «كلها كانت كذبًا، أليس كذلك؟ كل ما في القصص المصورة، كل ما في الصحف، كلها كذب غبي. طيلة حياتي ضربوني وسمَّوْني جبانًا ورعيدًا ولكنك أنت الجبان، أيها الحقير، أيها المتذمر السافل، لن تقوم حتى بالمحاولة، أنت لا تهتم بأحد، لا تهمك صديقتك إينجل فيس أو كينيدي أو الفتى النفّاث أو أي شخص آخر، لديك كل هذه القوى اللعينة وأنت لا شيء، لن تفعل شيئًا، أنت أسوأ من أوزوالد أو براون أو أي منهم». ترنح تاكيون على الدَّرَج، يداه على أذنيه، صارخًا بشيء غير مسموع، ولكن توم قد تجاوز الاستماع. فقد أصبح لغضبه حياته الخاصة. أفلت غضبه، فالتفَّ رأس الفضائي واحمر من قوة الصفعة. «حقيرا» صاح توم. «أنت المختبئ في الصدفة». أمطرت ضربات غاضبة خفية على تاكيون. التفَّ وسقط وتدحرج ثلث الدرجات نزولًا، حاول النهوض على قدميه، ولكنه رُمِي مجددًا وتقافز حتى وصل إلى الشارع بالأسفل رأسًا على عقب. «حقيرا» رعد السلحفاة. «اهرب يا سافل. ابتعد من هنا وإلا رميتك في النهرا اهرب،

أيها الرعديد الصغير، قبل أن يغضب السلحفاة العظيم القوي حقًّا! اهرب، عليك اللعنة! أنت المختبئ في الصدَفة! أنت المختبئ في الصدفة!»

وهرب، مندفعًا دون هدى من عمود إنارة إلى التالي، حتى ضاع في الظلال. توم تودبيري راقبه وهو يختفي على صفوف شاشات التلفاز في الصدَفة. شعر بالغثيان والهزيمة. كان رأسه ينبض. يحتاج إلى جعة، أو أسبيرين، أو كليهما. حين سمع صافرات الإنذار قادمة، حمل جوي وديسموند ووضعهما على ظهر صدفته، أطفأ الإضاءات، وارتفع عموديًّا في ظلمة الليل، عاليًا، إلى الظلمة والبرد.

♣ ♦ ♠ ♥

تلك الليلة نام تاك نومة الملاعين، متفززًا كرجل يهذي من الحمى، يبكي بصوتٍ عالٍ، يصحو من الكوابيس، فقط لينجرف إليها مجددًا. حلم بأنه قد عاد إلى تاكس، ابن عمه الكريه زآب كان يفاخر بلعبته الجديدة، وحين أظهرها اتضح أنها بليث، واغتصبها هناك أمامه. راقب تاك الأمر برُمَّته، غير قادر على التدخُّل؛ تلوى جسدها تحت جسده وسرى الدم من كل مخرج في جسدها. بدأت بالتحوُّل، إلى ألف شكل جوكر كل منهم أبشع من سابقه، وزآب استمر، مغتصبهم جميعًا بينما يصرخون ويقاومون. ولكن حين اعتدل زآب من

فوق الجثة المغطاة بالدماء، لم يكن وجه ابن عمه إطلاقًا، كان وجهه هو، متهالكًا ومتبددًا، وجه غليظ، عينان حمراوان منتفختان، شعر أحمر طويل معقد ومدهن، ملامح مشوهة من الكحول أو ربما بمرآة من مرايا بيت المرح.

استيقظ نحو الظهيرة، على صوت تايني الفظيع وهو يبكي خارج نافذته. كان أكثر مما يطيق. كان كل شيء أكثر مما يطيق. تعثر حتى وصل إلى النافذة وفتحها بعنف صارخًا على العملاق بأن يصمت، أن يتوقف، أن يتركه وشأنه، أن يريحه، رجاءً، ولكن تايني أكمل، الكثير من الألم، الكثير من الذنب، الكثير من العار، لِمَ لا يتركونه وشأنه، لم يعد يحتمل، لا، اصمت، اصمت، وصرخ تاك فجأة ومد بعقله ممسكًا بعقل تايني وأسكته.

كان الصمت صارخًا.

♣ ♦ ♠ ♥

أقرب هاتف كان في الشارع التالي بداخل محل للحلوى. مزق المخربون دليل الهاتف إلى أشلاء. اتصل بالاستعلامات وحصل على معلومات إكزيفيار ديسموند في شارع كريستي، مسافة مشي قصيرة. كانت الشقة بالطابق الرابع فوق محل لبيع الأقنعة. تقطعت أنفاس تاكيون بعد أن صعد إلى القمة.

فتح ديس الباب مع الطرقة الخامسة. «أنت؟» قال ديس.

«السلحفاة». قال تاك. حلقه جاف. «هل حصل شيء البارحة؟»

«لا». رد ديسموند. ارتعش خرطومه. «نفس القصة السابقة. لقد فهموه الآن، يعلمون أنه لن يلقيهم إلى حتفهم. يتحدون كذبته. باستثناء قتل أحدهم حقيقة، ليس بيدنا ما نفعله».

«أخبرني، من أسأل؟» قال تاك.

«أنت؟» رد ديس.

لم يستطع تاك النظر في عيني الجوكر. أومأ له.

«دعني آتِ بمعطفي». قال ديس. دخل إلى الشقة والتف ليقي نفسه البرد، حاملًا قبعة من فرو معطف مطر مهترئ. «ارفع شعرك داخل القبعة»، أخبر تاكيون، «واترك ذلك المعطف السخيف هنا. لا ترغب في أن يتعرفوا عليك». فعل تاك ما أمره به. وفي طريقهم للخارج، دخل ديس إلى محل الأقنعة للَّمسة الأخيرة.

«دجاجة؟» قال تاك حين ناوله ديس القناع. كان له ريش أصفر فاقع، ومنقار برتقالي بارز، وعُرف أحمر مترهِّل أعلاه. «رأيته وعلمت مباشرة بأنه أنت». قال ديس. «البسه».

تحركت رافعة عملاقة إلى موقعها في ساحة تشاتام، لتنزل سيارات الشرطة من سطح فريكرز. كان الملهى مفتوحًا. كان البواب جوكر أملط بطول سبعة أقدام بأنياب. جذب ديس من ذراعه بينما حاولَا العبور من أسفل أضواء النيون التي رسمت السرطان ذب الست ديوس المتلوي فوق السرداب. «غير مسموح للجواكر». قال بفظاظة. «فلتذهب إلى الجحيم، تسكر». تواصل بعقلك وتحكم به، حدث تاكيون نفسه. سابقًا، قبل بليث، كان ليفعلها دون تفكير. ولكنه الآن متردد جدًّا، لقد كان ضائعًا.

مد ديس يده في جيبه الخلفي، أخرج محفظته، ساحبًا ورقة بخمسين دولار. «كنت تراقبهم وهم ينزلون سيارات الشرطة». قال ديس. «لم ترني أمرق».

«بالفعل». قال البواب. اختفت العملة في يده المخلبية. «مشوقة جدًّا هي تلك الرافعات».

«أحيانًا يكون المال هو أشد القوى فاعلية». قال ديس وهم يعبرون إلى ظلمة المغارة. حشد الظهيرة المتناثر جلس يتناول الطعام المجاني، يراقبون الراقصة على ممر طويل خلف سور من الأسلاك الشائكة. كانت مغطاة بشعر رمادي حريري/عدا صدرها الذي حُلِق. بحث ديسموند في الطاولات عن الجدار الخلفي، جذب تاك من كوعه وقاده إلى

ركن مظلم، حيث جلس رجل بمعطفٍ أخضر مع كأس جعة. «أيسمحون بالجواكر هنا الآن؟» سأل الرجل بفظاظة وهما يقتربان. كان كئيبًا.

دخل تاك في عقله. اللعنة ما هذا الآن، الرجل الفيل من بيت المرح، مَن الجوكر الثاني بأية حال يا لها من جراءة. «أين يحتفظ بانيستر بإينجل فيس؟» سأل ديس.

«إينجل فيس من بيت المرح، أليس كذلك؟ لا أعرف شخصًا يدعى بانيستر. أهذه لعبة؟ إليك عني أيها الجوكر، فأنا لا أرغب في اللعب». في مخيلته، تواترت الصور: رأى تاك مرايا تتحطم، سكاكين فضية تتطاير في الهواء، شعر بدفعة مال وراه يحاول الوصول إلى مسدسه، رآه يرتج ويلتف حين ارتطمت به الرصاصات، سمع همسة صوت بانيستر حين أمرهم بقتل روث، رأى المستودع على نهر هدسون حيث يحتفظون بها، شحوب الكدمات على ذراعها من حيث أمسكوا بها، تذوق طعم خوف الرجل، خوفه من الجواكر، خوفه من أن يُكشف، خوفه من بانيستر، خوفه منهما. مد تاك يده وضغط على ذراع ديسموند.

استدار ديس للرحيل. «إيه، توقّفا». قال الرجل. أظهر شارة بينما قام من طاولته. «شرطي مخدرات متخفٍّ، وأنت تتعاطى يا صديقي، بسؤالك مثل هذه الأسئلة الواهمة».

وقف ديس دون حراك بينما قام الرجل بتفتيشه. «فلتنظر إلى هذا» قال الرجل مخرجًا كيس مسحوق أبيض من أحد جيوب ديسموند. «ما هذا يا ترى؟ أنت رهن الاعتقال، يا وجه الشؤم».

«هذا ليس لي». قال ديسموند بهدوء.

«بل هو كذلك». قال الرجل، وفي عقله تتابعت الأفكار، حادثة صغيرة، مقاومة الاعتقال، ما الذي يمكنني فعله؟ سيصرخ الجواكر، ولكن من يستمع لجوكر لعين، ولكن ماذا سأفعل بهذا الثاني؟ نظر إلى تاكيون. يا للهول! انظر إلى قناع الدجاجة ينتفض، لعله بالفعل يتعاطى، سيكون ذلك رائعًا.

مرتجفًا، تنبه تاكيون بأن اللحظة الحاسمة قد حانت.

لم يكن متأكدًا من قدرته على ذلك. فقد كان مختلفًا مع تايني؛ كان ذلك غريزة عمياء، ولكنه الآن فائقًا، كان يعي ما يفعله. كان ذلك بسيطًا جدًّا في الماضي، ببساطة استخدام يديه. ولكن يديه الآن ترتجفان، وكانتا ملطختين بالدماء، وكذلك كان عقله ... فكر في بليث وكيف أن عقلها قد تحطم تحت لمسته، كمرايا بيت المرح، ولثانية طويلة رهيبة لم يحدث شيء، حتى وصل الخوف إلى حلقه، ملأ طعم الفشل المألوف فمه.

ثم ابتسم الرجل ابتسامة بلهاء، جلس مجددًا إلى طاولته، ووضع يده عليها، ونام كطفل وديع. استوعب ديس بسرعة. «فعلك أنت؟»

أومأ تاك.

«أنت ترتجف؟» سأل ديس. «هل أنت بخير يا دكتور؟»

«أعتقد ذلك». قال تاكيون. بدأ الشرطي بالشخير عاليًا. «أتوقع أنني قد أكون بخير، ديس. لأول مرة منذ سنوات». نظر إلى وجه الجوكر، متجاوزًا تشوُّهه إلى الرجل داخله. «أعلم أين هي». توجَّهَا إلى المخرج. «علينا التحرك سريعًا».

«أستطيع جمع عشرين رجلًا في ساعة».

«لا». قال تاكيون. «إنهم يحتجزونها خارج بؤرة الجواكر».

توقف ديس ويده على الباب. «مفهوم. وخارج بؤرة الجواكر، المقنعون والجواكر يُكشَفون بسهولة، أليس كذلك؟»

«تمامًا». قال تاك. لم يظهر خوفه الآخر، عن العقاب الذي سيوقع بكل تأكيد لو تجرأ الجواكر على مواجهة الشرطة، حتى شرطة بفساد بانيستر وصحبه. سيخاطر بنفسه، فلم يعد لديه ما يخسره، ولكنه لن يسمح لهم بالمخاطرة. «هل تستطيع الوصول إلى السلحفاة؟»

«أستطيع إيصالك له». أجاب ديس. «متى؟»

«الآن». قال تاك. خلال ساعة أو ساعتين سيستيقظ الشرطي النائم ويذهب مباشرة إلى بانيستر. ويقول ماذا؟ إن ديس ورجلًا في قناع دجاجة كانا يلقيان الأسئلة، إنه كان على وشك إلقاء القبض عليهما ولكنه شعر فجأة بنعاس شديد؟ هل سيجرؤ على الاعتراف بذلك؟ لو فعل، ما الذي سيستنتجه بانيستر من ذلك؟ هل سينقل إينجل فيس؟ هل سيقتلها؟ لا يمكنهم المجازفة.

حين ظهرَا من ظلمة فريكرز، كانت الرافعة قد أنزلت سيارة الشرطة الثانية إلى الرصيف. هبة رياح باردة، إلا أن خلف قناع الدجاجة، بدأ الدكتور تاكيون بالتعرُّق.

♣ ♦ ♠ ♥

استيقظ توم تودبيري على صوت مكتوم خافت، أحدهم يدق على صدَفته. دفع جانبًا شرشفه، وضرب رأسه بينما جلس معتدلًا. «اللعنة»، متحسسًا في الظلمة حتى وجد المصباح. استمر الدق، صوت طرقعة مجوَّفة على مدرعته. شعر توم بلحظة هلع. الشرطة، حدَّث نفسه، لقد وجدوني، لقد جاؤوا ليسحبوني ويوجهوا لي الاتهامات. آلمه رأسه. كان الجو باردًا ومكتومًا بالداخل. شغل المُدفِئة، المراوح، الكاميرات. اشتعلت الشاشات.

في الخارج كان يوم ديسمبر باردًا ساطعًا، ضوء الشمس أظهر تفاصيل كل حصوة. لقد أعاد جوي القطار إلى بايون، ولكن توم بقي؛ فليس لديهم الكثير من الوقت، لم يكن لديه خيار آخر. وجد ديس له مكانًا آمنًا، ساحة داخلية في عمق بؤرة الجواكر، محاطة بمبانٍ متهالكة، حصاها تفوح منه رائحة الصرف الصحي، مخفية تمامًا عن الطريق. حين هبط قبل الفجر، غمزت بعض الإضاءات في بعض من النوافذ المظلمة، وخرجت بعض الوجوه بحذر؛ متهالكة، خائفة، لم تكن وجوهًا بشرية، لم يكد يراهم حتى اختفوا مجددًا، حين قرروا أن ذلك الشيء بالخارج لم يكن من شأنهم.

متثائبًا، جلس توم في كرسيه وأدار كاميراته حتى وجد مصدر الجلبة. كان ديس واقفًا ضامًا ذراعيه أمامه، بينما دق الدكتور تاكيون على صدفته بعصا مكنسة.

مندهشًا، شغل توم ميكروفونه. «أنت!»

جفل تاكيون. «أرجوك».

خفض درجة الصوت. «أعتذر. فقد فاجأتني. لم أتوقع أن أراك مجددًا. أعني، بعد ما حدث البارحة. لم أصبك بأذى، أليس كذلك؟ لم أقصد أن أوذيك، فقط أردت ...»

«أتفهّم». قال تاكيون. «ولكن ليس لدينا الكثير من الوقت

للاتهامات أو الاعتذارات الآن».

«نعلم أين يحتجزونها». قال ديسموند بينما تقلبت صورته. «هذا إذا كان الدكتور تاكيون يستطيع بالفعل قراءة الأفكار كما هو معلن».

«أين؟» سأل توم. استمرت صورة ديس في التقلُّب.

«مستودع على الهدسون»، رد تاكيون. «بالقرب من سفح رصيف. لا أستطيع إعطاءك عنوانًا، ولكنني رأيته بوضوح في أفكاره. سأتعرف عليه».

«عظيم!» قال توم بحماس. فقد الأمل في محاولاته بإيقاف التقلُّب في الشاشة فضربها. استقرت الصورة. «إذن فقد أمسكنا بهم. هيا بنا». النظرة على وجه تاكيون فاجأته. «أنت آت أليس كذلك؟»

بلع تاكيون ريقه. «نعم». لبس قناعه الذي كان بيده.

كان ذلك مريحًا لتوم؛ للحظة، ظن أنه سيضطر للذهاب وحده. «فلتصعد إذن».

بتنهيدة استسلام عميقة، أسرع الفضائي إلى أعلى الصدَفة، حذاؤه يخربش المدرعة. أمسك توم بذراعيه بقوة ورفعه. ارتفعت الصدَفة بسهولة كفقاعة صابون. شعر بالابتهاج. كان

هذا ما خُلِق من أجله، حدَّث توم نفسه؛ لا بد أن الفتى النفّاث قد شعر بهذا الشعور.

لقد ثبَّت جوي بوقًا عظيمًا على الصدَفة. أطلقه توم بينما حلَّقَا بعيدًا عن أسطح المباني، مخيفًا سربًا من الحمام وتاكيون، بلحن ها-هو-ذا-قادم-لينقذ-اليوم واضح.

«قد يكون من الحكمة أن نكون أقل ظهورًا من هذا». قال تاكيون بدبلوماسية.

ضحك توم. «لا أصدق هذا، معي رجل من الفضاء لبسه في العادة كـ«پينكى لي» راكبًا على ظهري، ويخبرني بأنه ينبغي لي أن أكون أقل ظهورًا». ضحك مجددًا بينما انتشرت طرقات بؤرة الجواكر من حولهم.

♣ ♦ ♠ ♥

حين اقتربوا، أكملوا طريقهم عبر متاهة من الزقاق مطلة على الشاطئ. كان آخرها مغلقًا، منتهيًا بجدار شخبطة عليه أسامي عصابات وأحباب طائشين. ارتفع السلحفاة من فوقه، وظهرَا في منطقة التحميل خلف المستودع. جلس رجل في معطف جلدي قصير على حافة رصيف التحميل. قفز على قدميه حين انزلقا إلى مجال رؤيته. لقد رفعته قفزته أعلى بكثير مما كان يتوقع، قرابة العشر أقدام. فتح فمه، ولكن

قبل أن يتمكن من الصراخ كان تاك قد تمكّن منه؛ نام معلقًا بالهواء. أخفاه السلحفاة فوق سطح أحد المباني القريبة.

فُتحت أربع منصات تحميل عريضة على الرصيف، جميعها مُسلسَلة بأقفال، بواباتها المعدنية المموجة علمت بخصوص بنية عريضة من الصدأ. **ستتم محاسبة المتسللين** قالت الأحرف على الباب الجانبي الضيق.

نزل تاك من على الصدَفة، هابطًا بسهولة على قدميه، أعصابه منملة. «سأدخل». قال للسلحفاة. «أمهلني دقيقة، ثم اتبعني».

«دقيقة». قالت السماعات. «لك ذلك».

خلع تاك حذاءه، فرج الباب قليلًا، وانزلق إلى داخل المستودع على قدميه بجوربين بنفسجيين، مستحضرًا كل ما علموه هو يومًا في تاكس من الخفة والانسيابية. بالداخل، بالات من الورق الممزَّق، رُبطت سوية بأسلاك رفيعة، كُوِّمت بعضها فوق بعض على ارتفاع عشرون وثلاثون قدم. زحف تاكيون خلال ممر متعرِّج تجاه صوت أحدهم. أغلقت رافعة شوكية صفراء عملاقة طريقه. نام منبسطًا وتلوَّى من تحتها، لينظر من حول إطار هائل.

عدَّ خمسة رجال. كان اثنان منهم يلعبان الورق، جالسَيْن

على كراسي مطوية، مستخدمين عددًا من الكتب كطاولة. كان رجل بدين بشكل مقزز يعدل آلة عملاقة لتمزيق الورق عند الجدار الخلفي. أما الرجلان الباقيان فقد وقفا بجوار طاولة طويلة، عليها أكياس من مسحوق أبيض رُصَّت بصفوف منتظمة أمامهما. كان الطويل ذو القميص القطني يزن شيئًا على مجموعة صغيرة من الموازين. بجواره، مشرفًا عليه، كان رجل نحيل أصلع في معطف مطر باهظ الثمن. كان بيده سيجارة، وصوته كان ناعمًا. لم يستطع تاكيون فهم ما يقوله. لم يكن هناك أي أثر لإينجل فيس.

انغمس في القذارة التي هي عقل بانيستر، ورآها. بين آلة التمزيق وآلة الجمع. لم يستطع رؤيتها من تحت الرافعة الشوكية، فقد غطت الآلات مجال رؤيته، ولكنها كانت هناك. مَرتبة قذرة قُذفت في ركن الأرضية، وقد أُلقِيَت فوقها، كاحلاها منتفخان حيث احتكت الأصفاد بجلدها.

♣ ♦ ♠ ♥

«ثمانية وخمسون، تسعة وخمسون، ستون»، عد توم.

كانت منصات التحميل كبيرة بما فيه الكفاية. عصر، فتفتَّت القفل إلى شظايا من الصدأ والمعدن الملتوي. سقطت السلاسل بقعقعة، واهتز الباب للأعلى، صرخت الممرات الصدئة معترضة. أشعل توم جميع إضاءاته بينما انزلقت

الصدَفة للأمام. بالداخل، سدت أكوام الورق الهائلة طريقه. لم يكن هناك مساحة للتحرك بينها. دفعهما بشدة، ولكن تنبَّه حين بدأت بالانهيار بأنه يستطيع التحرك من فوقها. دفع نفسه إلى السقف.

♣ ♦ ♠ ♥

«ما هذا بحق الجحيم؟!» قال أحد لاعبي الورق، حين سمعوا صراخ بوابة التحميل وهي تُفتح.

بعد نبضة قلب واحدة، كانوا جميعًا يتحركون. وقف كل لاعبي الورق على قدميهما، وأظهر أحدهما مسدسًا. رفع ذو القميص القطني رأسه من موازينه. التفت البدين بعيدًا عن آلة التمزيق صائحًا بشيء ما، ولكن من المستحيل فهم ما كان يقول. في الجدار الخلفي، تساقطت كرات من الورق، مصطدمة بالأكوام المجاورة لتسقطهم كذلك، في تسلسل انتشر عبر المستودع.

دون لحظة تردد، تحرك بانيستر تجاه إينجل فيس. أمسك تاك بعقله وأوقفه في منتصف طريقه، ومسدسه في يده. ثم اصطدمت دستة من كرات الورق الممزَّق بالرافعة الشوكية. تحركت المركبة قليلًا، ساحقة يد تاكيون اليسرى تحت إطار أسود ضخم. صرخ بفجعة وألم، وفقد سيطرته على بانيستر.

بالأسفل، كان رجلان صغيران يطلقان النار عليه. أخافت الطلقة الأولى توم بشدة لدرجة أنه فقد تركيزه لجزء من الثانية، وسقطت الصدفة أربعة أقدام قبل أن يتمكن منها مجددًا. ثم ارتدت الطلقات دون أي أذى عن صدَفته وتطايرت في أرجاء المستودع. ابتسم توم. «أنا السلحفاة العظيم القوي»، أعلن بأعلى صوت، بينما تساقطت أكوام الورق من حوله. «أنتم في وحل من القاذورات. استسلموا الآن».

لم يستسلم أقرب الحقراء إليه. أطلق النار مجددًا، واسودَّت إحدى شاشات توم. «اللعنة». قال توم، ناسيًا إغلاق ميكروفونه. قبض على ذراع الرجل وسحب منه المسدس، ومن صراخ الرجل، فقد خلع كتفه على الأرجح، اللعنة. عليه أن ينتبه لذلك. بدأ الرجل الآخر بالركض، قافزًا من فوق كومة ورق. أمسك به توم في منتصف قفزته، ورفعه حتى السقف، وعلّقه على إحدى الدعامات. تنقلت عيناه من شاشة لأخرى، ولكن إحدى الشاشات قد أظلمت الآن، وبدأت الأخرى في الدوران مجددًا، فلم يستطع معرفة أي شيء في الخارج من تلك الجهة. لم يكن لديه الوقت ليصلحها. كان رجل في قميص قطني يعبئ أكياسًا في حقيبة، على الشاشة الكبيرة،

ومن طرف عينه لمح رجلًا بدينًا يتسلق إلى داخل رافعة شوكية ...

♣♦♠❤

بيد محطمة تحت الإطار، تلوى تاكيون بألم فظيع وحاول الصراخ. بانيستر ... عليه إيقاف بانيستر قبل أن يصل إلى إينجل فيس. ضغط أسنانه بعضها ببعض وحاول أن يوقف الألم، ليكوِّر ألمه ويرميه جانبًا كما علّموه، ولكنه كان صعبًا، لقد فقد انضباطه، لم يعد يشعر بعظامه المهشَّمة في يده، كانت عيناه ضبابية من الدموع، ثم سمع محركات الرافعة الشوكية تعمل، فجأة اندفعت إلى الأمام، متدحرجة بطول ذراعه، متجهة نحو رأسه مباشرة، جدار موت إطار أسود ضخم متسارع نحوه ... وتجاوز رأسه ببوصة فوق جمجمته، بينما طارت في الهواء.

♣♦♠❤

طارة الرافعة الشوكية بسهولة عبر المستودع لتلتصق بالجدار الخلفي، بدفعة بسيطة من السلحفاة العظيم القوي. قفز البدين منها ليسقط على كومة من الكتب. حينها فقط لاحظ توم تاكيون منطرحًا على الأرض حيث كانت الرافعة الشوكية. كان يمسك يده بشكل غريب، وكان قناعه مهشمًا وملطّخًا، وبينما صارع للوقوف على قدميه كان يصرخ

بشيء ما. وانطلق عبر الأرضية، مترنحًا وغير متزن. إلى أين هو ذاهب بهذه العجلة؟

عابسًا، ضرب توم الشاشة الخربة بظهر كفه، وتوقف دورانها فجأة. للحظة، كانت الصورة على التلفاز واضحة ونقية. كان رجل في معطف مطر يقف فوق امرأة على مرتبة. كانت جميلة جدًا، وكان على وجهها ضحكة غريبة، حزينة ولكنها أيضًا متقبِّلة، بينما ضغط فوهة مسدسه على جبهتها.

♥ ♠ ♦ ♣

ظهر تاك مترنحًا من حول آلة التمزيق، ساقاه تحملانه بالكاد، العالم أحمر ضبابي، عظامه المهشَّمة ترتطم بعضها ببعض مع كل خطوة، وجدهما هناك، بانيستر يلمُسها بمسدسه، جلدها قد بدأ يدكن حيث ستدخل الطلقة، ومن خلال دموعه وخوفه وضبابية الألم، أمسك بعقل بانيستر في اللحظة الأخيرة ليشعر به وهو يضغط الزناد، ويجفل بينما ارتد المسدس. سمع الانفجار من زوجين من الآذان.

«لااااااا!» صرخ. أغمض عينيه، غاص على ركبتيه. لقد جعل بانيستر يشيح بالمسدس بعيدًا، ولكن ما الفائدة، لا فائدة إطلاقًا، لقد تأخر كثيرًا، لقد تأخر كثيرًا مجددًا، فشل، فشل، مجددًا، إينجل فيس، بليث، أخته، كل من أحب، كلهم

ذهبوا. انهار إلى الأرض، وعقله مليء بصور المرايا المتكسِّرة، برقصة الزواج التي رقصت بالدم والألم، وكان ذلك آخر ما فكر فيه قبل أن تأخذه الظلمة.

♥ ♠ ♦ ♣

استيقظ على الرائحة المميزة لغرف المستشفيات، وشعر بوسادة تحت رأسه. فتح عينيه. «ديس». قال بضعف. حاول أن يجلس، ولكنه كان مكبلًا بشيء ما. كان العالم ضبابيًا وغير واضح.

«أنت في جهاز جر يا دكتور». قال ديس. «ذراعك مكسورة في موضعين، ويدك بحال أسوأ من ذلك».

«أنا آسف». قال تاك. كان ليبكي، ولكن دموعه قد نفدت. «أنا آسف. لقد حاولنا، أنا ... أنا آسف، أنا ...»

«تاكي». قالتها بصوتها الهادئ الأجش.

كانت هنا، تقف بجواره، في ثياب المستشفى، شعرها الأسود مؤطر بابتسامة ظريفة. لقد صفَّفته للأمام لتُخفي جبهتها؛ فتحت خصلاتها كانت كدمة بنفسجية مُخضَرَّة بشِعة، وبشَرَتُها حول عينيها كانت حمراء متقرِّحة. للحظة ظن أنه قد مات، أو جُنَّ، أو أنه يحلم. «كل شيء على ما يرام، تاكي. أنا بخير. أنا هنا».

حدَّق بها. «أنت ميتة». قال بخمول. «لقد تأخرتُ. سمعت الطلقة، حين كانت قبضته قد تأخرت، شعرت بارتداد المسدس في يده».

«هل شعرت به ينحرف؟» سألته.

«ينحرف؟»

«بضعة سنتيمترات، لا أكثر. لحظة إطلاقه. كافية بالكاد. أُصِبْتُ ببعض الحروق، ولكن الرصاصة غرست في المرتبة على بعد قدم من رأسي».

«السلحفاة». قال تاك بصوت أجش.

أومأت. «لقد دفع المسدس بينما ضغط بانيستر الزناد. وأنت جعلت الملعون يلقي بمسدسه قبل أن يتمكَّن من إطلاقه مرة ثانية».

«لقد أمسكت بهم». قال ديس. «هرب رجلان، ولكن السلحفاة سلم ثلاثة منهم، بما فيهم بانيستر. بالإضافة إلى حقيبة مليئة بعشرين رطلًا من الهيروين الصافي. واتضح أن ذلك المستودع مملوك للمافيا».

«المافيا؟» سأل تاكيون.

«المافيا». شرح ديس. «مجرمون يا دكتور تاكيون».

«لقد سلم أحد الرجال المقبوض عليهم في المستودع أدلة». قالت إينجل فيس. «سيشهد بكل شيء ... الرشاوي، عمليات المخدرات، عمليات القتل في بيت المرح».

«قد نحصل حتى على بعض رجال الشرطة المحترمين في بؤرة الجواكر». أضاف ديس.

تسارع شعور في تاكيون تجاوز الشعور بالارتياح. أراد أن يشكرهم، أراد أن يبكي لهم، ولكن لم تأتِ الدموع ولا الكلمات. كان ضعيفًا وسعيدًا. «لم أفشل»، تمكن أخيرًا من النطق.

«لا». قالت إينجل فيس. نظرت إلى داس. «هلّا انتظرتنا بالخارج؟»

حين خلا لهما المكان، جلست على حافَة سريره. «أريد أن أريك شيئًا. شيء تمنيت أن أُريك إياه منذ زمن بعيد». رفعته أمامه. كانت قلادة مجوفة. «افتحها».

كان صعبًا عليه فتحها بيد واحدة، ولكنه تمكّن من ذلك. بداخلها كانت صورة دائرية صغيرة لامرأة عجوز في سرير. كانت أطرافها هيكلية وذابلة، عصي ملفوفة بلحم مترهل، وكان وجهها ملتويًا ببشاعة. «ما بها؟» سأل تاك، خائفًا من الإجابة. جوكرة أخرى، ظن، ضحية أخرى من ضحايا فشله.

نظرت إينجل فيس إلى العجوز الملتوية، تنهدت، وأغلقت القلادة. «حين كانت في الرابعة في الحي الإيطالي، دُهِسَت وهي تلعب في الشارع. دعس حصان على وجهها، وإطار العربة هشَّم عمودها الفقري. كان ذلك في ... آه ... ١٨٨٦. كانت مشلولة تمامًا، ولكنها عاشت. إذا كان يمكن تسمية ذلك بالمعيشة. أمضت تلك الطفلة الستين عامًا التالية في السرير، يقومون بإطعامها، غسلها، والقراءة لها، دون أي أنيس سوى الراهبات. أحيانًا كان ما تمنَّته هو الموت. حلمت بما يمكن أن تكون عليه الحياة كجميلة، بأن تُحَب وتُرغَب، بأن تتمكن من الرقص، بأن تشعر. آه، كم أرادت أن تشعر». ابتسمت. «كان عليّ أن أشكرك منذ زمن بعيد، تاكي، ولكن من الصعب عليّ أن أُظهِر تلك الصورة لأحد. ولكنني ممتنة، والآن أدين لك بالضعف. لن تدفع ثمن شراب في بيت المرح».

حملق بها. «لا أريد شرابًا، ليس بعد اليوم. لقد انتهيت من ذلك». إذا تمكنت هي من الحياة بألمها، فأيُّ عذر له هو ليضيع عمره ومهارته؟ «إينجل فيس». قال فجأة، «يمكنني صنع شيء أفضل من الهيروين لكِ. فقد كنت ... أنا عالم كيمياء حيوية، توجد عقاقير على تاكس، أعرف كيف أصنعها، مسكِّنات ألم. إذا سمحتِ لي بإجراء بعض الاختبارات عليكِ، قد أتمكن من تفصيل شيء خاص بأيضكِ. سأحتاج إلى

معمل، بالطبع. إعداده سيكون مكلفًا، ولكن العقار يمكن تصنيعه بقروش».

«سيكون لديَّ بعض من المال». قالت. «سأبيع بيت المرح لديس. لكن ما تتحدث عنه غير قانوني».

«فلتذهب قوانينهم إلى الجحيم». انفجر تاك. «لن أخبر أحدًا إذا لم تخبريهم أنتِ». ثم تساقطت الكلمات واحدة تلو الأخرى، سيل: خطط، أحلام، آمال، كل ما فقده أو أغرقه في الكونياك، بينما نظرت إليه إينجل فيس مندهشة، مبتسمة، وحين بدأ مفعول العقاقير التي أعطوه إياها بالاضمحلال، وبدأت ذراعه بالنبض من جديد، تذكر الدكتور تاكيون انضباطه القديم وأرسل الألم بعيدًا، وبطريقة ما بدا أن جزءًا من شعوره بالذنب والحزن قد ذهب معه، وكان مكتملًا من جديد، وحيًّا.

♣ ♦ ♠ ♥

قالت العناوين: السلحفاة وتاكيون يحطّمان شبكة مخدرات. توم كان يغرّي المقال في ألبومه المصور حين عاد جوي بالجعة. «لقد تركوا جزئية العظيم القوي»، لاحظ جوي، واضعًا قنينة بجوار مرفق توم.

«على الأقل ذكرو اسمي أولًا». قال توم. مسح المعجون

الكثيف الأبيض من على إصبعه بمنديل، ودفع الألبوم المصور جانبًا، ليظهر بعض الرسومات البسيطة التي رسمها للصَّدَفة. «الآن، أين بحق الجحيم سنضع مشغِّل الموسيقى، هه؟»

---

(7) ويلريس (Walrus) هو حيوان تديي بحري شبيه بالفقمة.

(8) دمبو اسم فيلم شهير لديزني عن فيل له نفس الاسم يتعلم الطيران بأذنيه.

الفاصل الثاني

من النيويورك تايمز

1 سبتمبر، 1966

سيُفتتح مشفى بؤرة الجواكر في يوم البطاقة الجامحة

أعلن البارحة د. تاكيون، العالم الفضائي الذي ساعد في تطوير الفيروس، عن افتتاح مركز أبحاث ممول من القطاع الخاص متخصص في علاج فيروس البطاقة الجامحة التاكيوني. د. تاكيون سيتقلد منصب نائب رئيس المنظمة، والتي تقع على ساوث ستريت، مطلة على إيست ريفر.

ستُعرف المنظمة باسم مشفى بليث فان رينسلير التذكاري؛ تكريمًا للراحلة السيدة بليث ستانهوب فان رينسلير، عضوة «استثنائيون من أجل الديمقراطية» بين ١٩٤٧ حتى ١٩٥٠، وتوفيت ١٩٥٣ في مصحة وتير. كانت مشهورة باسم «خزينة الأفكار». مشفى فان رينسلير سيفتح أبوابه للعامة في ١٥ من سبتمبر، الذكرى العشرين لإطلاق فيروس البطاقة الجامحة فوق مانهاتن. ستتوفر خدمات الطوارئ، العيادات الخارجية النفسية ستُقدَّم من خلال المستشفى بطاقة استيعابية ١٩٦ سريرًا. «نحن هنا لنخدم الحي والمدينة». قال تاكيون في مؤتمر بعد الظهيرة على درجات ضريح الفتى النفّاث، «ولكن

أولويتنا ستكون علاج أولئك الذين أمضوا زمنًا طويلًا دون علاج، الجواكر ذوي الاحتياجات الطبية الفريدة وغالبًا حرجة قد أُهمِلوا من قِبَل المستشفيات القائمة. لُعبت البطاقة الجامحة قبل عشرين عامًا، وهذا الإهمال المتعمد تجاه الفيروس إجرامي وغير معذور». قال د. تاكيون إنه يأمل أن يصبح مشفى فان رينسلير المركز الأول لأبحاث البطاقة الجامحة، وأن يتصدر الجهود لإيجاد علاج لهذا الفيروس.

المشفى سيكون داخل مبنى أثري مطلٍّ على المياه بُنِي عام ١٨٧٤. كان المبنى نزلًا، عرف باسم جنة البحارة، من ١٨٨٨ حتى ١٩١٣. من ١٩١٣ إلى ١٩٤٢ كان بيت القلب المقدس للبنات المشردات، بعد ذلك خدم كنزل باهظ التكلفة.

أعلن د. تاكيون أن شراء المبنى وكامل مصاريف تجديده من الداخل قد تكفلت بها منظمة ستانهوب من بوسطن، التي يترأسها السيد جورج سي. ستانهوب. السيد ستانهوب هو ولد السيدة فان رينسلير. «لو أن بليث ما زالت على قيد الحياة اليوم، أعلم أنها لم تكن لترغب بشيء أكثر من أن تعمل بجانب د. تاكيون». قال السيد ستانهوب.

بداية سيمول العمل في المشفى من خلال الرسوم والمتبرعين، ولكن د. تاكيون يقر بأنه عاد مؤخرًا من واشنطن، حيث التقى بنائب الرئيس هيوبرت إتش همفري.

حيث تشير مصادر قريبة من نائب الرئيس إلى أن الإدارة تفكر في تمويل مشفى بؤرة الجواكر ولو جزئيًّا من خلال مكتب لجنة مجلس الشيوخ لموارد ومساعي الآيائص (سكير).

رحب حشد من قرابة خمسمائة شخص، معظمهم كما هو واضح ضحايا لفيروس البطاقة الجامحة، بإعلان د. تاكيون بتصفيق حماسي.

♣ ♦ ♠ ♥

ليلة فورتشناتو المظلمة الطويلة

بقلم لويس شاينر

كلُّ ما أمكنه أن يُفكِّر فيه، كان كم كانت جميلةً عندما كانت على قيد الحياة!

سأل الطبيب الشرعي: «هل يُمكنُك التعرُّف على الجثة؟»

قال فورتشناتو: «إنها هي!»

«الاسم؟»

«إيريكا نايلور. إيريكا بحرف الـ K».

«عنوان السكن؟»

«١٦ بارك أفينيو».

أطلق الرجل صفَّارة عالية قائلًا: «منطقة فاخِرة. أقرب الأقارب؟»

«أنا لا أعرف؛ كانت من مينيابوليس».

«أجل، هذا هو المكان الذي يأتين منه جميعًا. وكأنهنَّ قادمات من أكاديمية بائعات الهوى هناك أو شيء من هذا القبيل».

رفَع فورتشناتو نظره عن الجرح المروِّع في حلقِ الفتاة، وجعل الطبيب الشرعي يَنظُر في عينَيه. قال: «لم تكن بائعةَ هوًى!»

قال الرجل: «بالتأكيد». إلا أنه تراجَع خُطوة ونظر إلى دفتر ملاحظاته قائلًا: «سأكتُب في التقرير أنها عارضة أزياء».

«غيشا»، فكَّر فورتشناتو، كانت واحدة من الغيشا، ذكية، مُضحِكة، جميلة، طاهية، مُدلكة، طبيبة نفسية غير مُرخَّصة، مُبدعة ونشيطة في الفراش.

كانت البنت الثالثة بين اللواتي عرفهنَّ في العام الماضي واللاتي تمَّ تقطيعهنَّ بدقة إلى أشلاء.

♣ ♦ ♠ ♥

نزل إلى الشارع، وهو على علمٍ كم كان يبدو سيئًا. كان طوله ستة أقدام وأربعة أنشات، كان نَحيفًا كالذين يتعاطَون الميثيدرين، وعندما سقَط على صَدرِه بدا كخِرقة على الأرض.

كانت لينور تَنتظِره، مُتخفية في سترتها السوداء المَصنوعة من الفَرو المقلَّد، على الرغم من أن الشمس كانت مُتوسِّطةً كبد السماء. وعندما رأته طلبَت له سيارة أُجرة وأعطت السائق عنوانها في ويست ١٩.

أخذ فورتشناتو يُحدِّق من النافذة في وجوهِ الفَتيات ذوات الشَّعر الطويل اللواتي يَرتدين الجينز المُطرز، وفي المُلصَقات السوداء على نوافذ المتجر، وفي الطبشور الفاتح على جميع الأرصفة. كان عيد الفصح قريبًا، بعد فصلَي شتاء من صيف الحب، لكن فكرة اقتراب الربيع أشعرتْه بالبرد الشديد.

أخذت لينور يدَه وضغطت عليها، وانحنى فورتشناتو إلى المقعَد الخلفي وأغلق عينَيه.

كانت جديدة، أنقذتها إحدى بناته من قوَّاد في بروكلين يُدعى بلبين ولي، ودفع فورتشناتو خمسة آلاف دولار مقابل «عقدها». كان معروفًا في الشارع أنه إذا اعترض ويلي، فإن فورتشناتو قد ينفق خمسة آلاف لقتله، وهي تسعيرة السوق الحالية لحياة الإنسان.

عملَ ويلي لدى عصابة جامبيوني، وكان فورتشناتو قد اصطدمَ بهم أكثر من مرة بسبب لون بشرتِه السوداء - نصف السوداء في الواقع - وشخصيته المستقلّة التي أعطته دورًا مُميزًا في تخيُّلات دون كارلو المذعورة. لم يَفُق كره دون كارلو للسود إلا كُرهَهُ للجواكر.

لم يكن فورتشناتو سيَقتُل الرجل العجوز إلا لشيء واحد: لقد كان يطمع في أعمال فورتشناتو لدرجة أنه لا يستطيع

العبث بالنساء أنفسهنَّ.

جاءت لينور من بلدة قروية رثة في جبال فيرجينيا، حيث كان كبار السن لا يزالون يتحدثون الإليزابيثية. كان ويلي على علاقة بها منذ شهر تقريبًا، ولم تكن هذه العلاقة طويلة كفاية لقضاء وقتٍ مُمتع معها. كان لون شَعرها أحمر داكنًا متدليًا على خصرها، وعيناها خَضراوان مُتألِّقتان، وفمها صغيرًا لطيفًا. لم تكن ترتدي أي شيء سوى الأسوَد؛ إذ تَعتقِد أنها ساحرة.

بعد أن اختبرها فورتشوناتو تأثَّر بهجرها؛ إذ إن استغراقها الكامل في الجسد، يتعارَض كثيرًا مع مَظهرها الرائع والراقي.

لقد استطاعت خلال ثلاثة أسابيع من التدريب الانتقال بالحيلة من فتاة هوًى موهوبة إلى غيشا متدرِّبة تحتاج فيها أيَّ فتاة إلى عامَين على الأقل لتُصبح كذلك. قادتْه إلى شقَّتها لتَنتهي الأمور بمِفتاح وقفل.

«آه، آمُلُ ألا يكون الأمر غريبًا جدًّا بالنسبة إليك».

وقف في المدخل بينما كانت تمشي في الغرفة، تضيء الشموع. كانت النوافذ مغطاة بستائر ثقيلة ولم يرَ أي أجهزة باستثناء الهاتف، لا تلفزيون ولا ساعات ولا حتى محمَصة خبز. في وسط الغرفة كانت قد رسمَت نجمة خماسية

ضَخمة مُحاطة بدائرة على الأرضية الخشبية. وخلف روائح البخور والمسك كان هناك رائحة كبريتية لمُختبَر كيميائي.

أغلق الباب الأمامي وتبعها إلى غرفة النوم. كان أثاث الشقَّة حافلًا بالإيحاء الجنسي. كان بالكاد يستطيع تحريك قدمَيه من خلال السجادة الثقيلة ذات اللون النَّبيذي. كان السرير مغطًّى بستائر مخملية حمراء، ومرتفعًا جدًّا عن الأرض بسلالم تؤدِّي إليه.

وجدَت سيجارة حشيش على منضدة، أشعلتْها وسلَّمتها إلى فورتشناتو وقالت: «سأعُود في غضون ثوانٍ».

خلع ملابسه واستلقى ويداه خلف رأسه، والسيجارة تتدلَّى من فمه. أخذ نفَسًا عميقًا من الدخان، وراقب أصابع قدمِه وهي تتحرَّك. كان السقف أزرق اللون، مع الأبراج المكسوَّة بالأصفر المائل إلى الاخضِرار. إشارات الأبراج، على حدِّ عِلمه. علامة السحر وعلم التنجيم وشيوخ الطرق الهندوسية، كانت أشياء رائجة هذه الأيام. كان الناس في الحفلات الراقية في البلدة يسألُ بعضُهم بعضًا دائمًا عن أبراجهم ويتحدَّثون عن الكارما. بالنسبة إليه، كان يعتقد أن عصر الدَّلو مجرَّد دلالة على التمنِّي. كان نيكسون في البيت الأبيض والمجنَّدون من عيالِ الفلَّاحين (hicks) يتعرَّضون لهزائم مذلَّة في جنوب شرق آسيا، وكان يَسمع كلمة «زنجي» كل يوم. لكنه حظيَ

بزبائن مُخلِصين، إذا لم يُخرجه المختلُّ ذو السكين من دائرة المنافسة.

ركعت لينور بجانبه على السرير متجرِّدة. «لديكَ بشرة جميلة». مررت أطراف أصابعها على صدره. «لم أر لونًا مثل هذا من قبل». وعندما لم يرد عليها قالت له: «قالوا لي إن والدتك يابانية».

«وكان والِدي قوّاد هارلم».

«أأنت حقًّا مُستاء من هذا؟»

«أحببت أولئك الفتيات. أحبكنَّ جميعكنَّ. أنتنَّ أكثر أهمية بالنسبة لي من المال أو العائلة أو ... أو أي شيء».

«و؟»

لم يكن يعتقد أن لديه أيَّ شيء آخر ليقوله حتى بدأت الكلمات تخرج من فمه: «أشعر بأنني ... بأنني ملعونٌ جدًّا لا حول لي ولا قوة. بعض الملاعين يقتلون فتياتي ولا يمكنني فعل شيء حيال ذلك».

قالت: «ربما». «ربما لا». «الجنس قوة، فورتشناتو. إنه القُوى العُظمى في الكون. لا ننسى ذلك أبدًا».

بدأت بمداعبته وشعَرَ فورتشناتو بالعرق على جبهته. أخرج

السيجارة بطرف إصبع مبلَّل وأسقطَها على حافة السرير. انزلق كعباه على الأغطية الجِلدية وأنفه مليء بعطرِ لينور. لقد فكر في إيريكا، الميتة، ما جعله يبعد عنه لينور بقوة ولفترة طويلة. قالت وهي ترفع يده: «لا». «لقد أخرجتَني من الشوارع، وأنت علمتني ما تعرفه. حان دوري الآن».

دفعته إلى أسفل على ظهره، وذراعاه فوق رأسه، ومرَّرت أظافرها المطلية باللون الأسود على الجلد الرقيق فوق ضلوعه. ثم بدأت تتحرَّك على جسده، تلمسه بشفتيها وأطراف شعرها، حتى أصبحت بشرتُه بالحرارة الكافية لتتوهَّج في الظلام. ثم أخيرًا أخذتْه إليها.

كان يشعر باندفاعٍ مثل المدمن. شدَّ جسدها إليه، وضعت وزنَها على ذراعَيها، وشعرها يتساقط حول رأسها. ثم، ببطء، رفعت عينيها وحدقت فيه.

قالت: «أنا شاكتي». «أنا الآلهة. أنا القوة». ابتسمت عندما قالتها، وبدلًا من أن يبدو ذلك جنونًا، اجتذبته أكثر. ثم تحوَّل صوتها إلى أنفاس قصيرة خَشِنة عندما بلغت نشوتَها، مُرتجفة، رامية رأسها للخلف وتهزه بقوة. حاول فورتشناتو قلبها وإنهاء الأمر، لكنها كانت أقوى مما كان يعتقد، وحفرت أصابعها في كتفيه حتى استرخى، ثم داعبته مرة أخرى ببطء مُؤلم.

لقد كرَّرَت ذلك مرتين قبل أن يتحوَّل كل شيء إلى اللون الأحمر، وكان يعلم أنه لن يستطيع الصمود أكثر من ذلك. لكنها شعرت بذلك أيضًا، وقبل أن يَعرف ما يحدث، ابتعدت، وضغطت بإصبع واحد بقوة. لقد فات الأوان للتوقُّف وأخذتها النشوة الجنسية بشدة لدرجة أنها رفعت أردافه تمامًا عن السرير. دفعت صدره بيدها اليُسرى وأمسكته بيُمناها.

لقد قتلتني، ظنَّ أنه شعر بنيران سائلة تَندفع عائدة إليه، تحترق طوال الطريق حتى النخاع الشوكي ثم تشتعل مثل الفتيل.

«كونداليني»، همست، ووجهُها يتصبب عرقًا وعزمًا على ذلك: «أشعر بالقوة».

أصابت الشرارة عمودَه الفقري كأنه انفجار في داخل دماغه.

♣ ♦ ♠ ♥

في النهاية فتح عينَيه مرة أخرى. لقد بان الوقت من عجلة جهاز العرض، رأى كلَّ شيء وكأنها أحداث غير مرتبطة. كانت ذراعا لينور مُلتفَّةً حوله. سالت الدموع من عينيها وإلى صدره.

قال: «كنت أعوم»، عندما فكر أخيرًا في استخدام صوته.

«حول السقف».

قالت لينور: «اعتقدتُ أنكَ ميت».

«كل شيء بدا وكأنه مصنوع من الضوء. كانت الغرفة بيضاء. كانت هناك خطوط وتموجات في كل مكان». شعر قليلًا وكأنه أخذ جرعة زائدة من الكوكايين، قليلًا كما لو كانت أصابعه في مكبس كهربائي. «ماذا فعلتِ بي؟»

«يوجا التانترا. من المفترض أن ... أنا لا أعرف. أعطيك شحنة. لم أسمع أبدًا أنها فعلت هذا بمثل هذه القوة من قبل». وجهّت وجهها إليه. «هل خرجت حقًّا؟ هل خرجت من جسدك؟»

«أعتقد ذلك». كان يستطيع أن يشمّ رائحة شامبو النعناع الذي استخدمته على شَعرها. أمسك وجهَها بكلتا يديه وقبلها. وبدأ يَرتجِف من شدة رغبته بها.

تدحرج عليها حيث يُمكن أن يشعر أنها تَحترق من أجلِه. همست، «فورتشناتو»، شفَتاها ما زالتا مُتقاربتَين لدرجة أنهما تُمشِّطان شفتيه عندما تتحرَّكان، «إذا انتهيت، ستَفقدُها. ستكون ضعيفًا لدرجة أنك بالكاد تستطيع التحرُّك».

«حبيبتي، أنا لا أبالي. لم أرغب في أيِّ شخصٍ بهذا القدر. رفع نفسَه مُتكئًا على ذراعَيه حتى يتمكّن من رؤيتها، كان كلُّ

عصبٍ في جسده على قيد الحياة، ويُمكنه أن يشعر بالقوة تتدفَّق من خلالها، ثم تتراجَع ببطء، وتتجمَّع في مكان ما في وسط جسده، جاهزة للخروج منه، لتضخَّه حتى يجف، وتتركه ضعيفًا وعاجزًا، مُستنزفًا ...»

ابتعدَ عنها، وتدحرج إلى نهاية السرير، وانحنى ممسكًا بركبتيه. «يا إلهي!» صرَخ: «ماذا يَحدُث لي بحقِّ الجَحيم؟»

♣ ♦ ♠ ♥

أرادَت البقاء معه، لكنَّه أرسلها إلى فصل الغيشا كالعادة. ووعدها أنه سيكون هنا عندما تعود إلى المنزل.

بدت الشقَّة واسعة وخالية بدونها، وكانت المفاجأة حيث اقشعرَّ جسده حين تخيل لينور وحدها في الشارع، مع قاتل إيريكا الذي لا يزال طليقًا.

لا، قال لنفسه، لن يحدث هذا مرة أخرى، ليس الآن.

وجد رداءً شرقيًا مُبهرجًا في خزانة ملابسها وارتداه، ثم سار ذهابًا وإيابًا عبر الشقَّة، مُحاوِلًا تهدئة أعصابه ليتوقَّف أخيرًا أمام خزانة الكتُب في غرفة المعيشة.

قالت كونداليني. لقد سمع الاسم من قبل! رأى كتابًا بعنوان الثعبان الصاعد، ربط الأمور ببعضها فأخذه وبدأ بالقراءة.

قرأ عن أخوية البيض الكبرى في ألتيما ثول، الواقعة في مكان ما في تارتاري. كتاب دايزن المفقود والفاما كارا، الطريق الأيسر. كالي يوجا، آخر العصور وأكثرها فسادًا. «افعل ما تشاء؛ لأنك بهذه الطريقة تُرضي الإلهة». شاكتي. عصير القوة: اليود. اللواط الذي أحيا الموتى. مبدلات الشكل، أجسام نجمية، هواجس مزروعة تؤدي إلى الانتحار. باراسيلسوس، أليستر كراولي، محمد كاراجوز، آل رون هوبارد.

كان تركيز فورتشناتو مُطلقًا. لقد استوعب كل كلمة، كل رسم بياني، قلب الصفحات بسرعة لإجراء مقارنات، لدراسة الرسوم التوضيحية. عندما انتهى كانت ثلاث وعشرون دقيقة قد مرَّت منذ أن خرجت لينور من الباب.

كانت الرجفة في صدره هي الخوف.

♣ ♦ ♠ ♥

في منتصف الليل، مد يده ليلمس خدَّ لينور وتبلَّلت أصابعه. «هل أنتِ مُستيقظة؟» سألها.

التفتت والتصقَت به بقوة. كان دفء بشرتها يبعث على التوتُّر ويُهدئه في نفس الوقت، كطعم الويسكي الغالي. ومرَّر أصابعه على شعرها، وقبَّل رقبتَها العَطِرة وسأل: «على ماذا

تَبكين؟»

قالت: «أمر غبي».

«ماذا؟»

«أنا أؤمن حقًّا بهذه الأشياء. السحر. العمل العظيم كما يُسمِّيه كراولي». لقد نطقت كلمت السحر مع سين مطوَّلة وكراولي مع راء مطوَّلة. «مارست اليوجا وتعلمت القبالة والتاروت ونظام إينوشيان. لقد كنتُ أصوم عن الطعام وأؤدِّي طقوس بورنلس ودرست أبراملين. لكن لم يَحدث شيء على الإطلاق».

«ما الذي كنتِ تُحاولين فعله؟»

«لا أعرف. رؤية سمادهي. أردت أن أرى شيئًا ما إلى جانب موقف غراي هاوند الملعون في فرجينيا حيث يُحاولون قتلَ الفِتية لأنهم أطالوا شعورهم. أردت الخروج من نفسي. أردت ما حدث لك بعد ظهر هذا اليوم. وقد حدث لك ذلك وأنت لا تُريده».

قال: «لقد قرأتُ بعض كتبك الليلة». في الواقع، قرأت عشرين منها، ما يقارب نصف مجموعتها. «لا أعرف ما الذي يحدث، لكنَّني لا أعتقد أنه سحر. ليس مثل سحر ذلك الرجل كرولي. ما فعلتِه بي أشعلني، لكنَّني أعتقد أن شيئًا ما كان في

داخلي من الأصل».

«أنت تَقصِد تلك الأبواغ، فيروس البطاقة الجامحة؟» توتَّرتُ بشكل لا إرادي، فقط عند ذكر ذلك.

«لا يُمكنني التفكير في أن يكون أي شيء آخر».

«هناك ذلك الطبيب لا أدري ما اسمه، يُمكن أن يَفحصك. ربما يُمكنه حتى إعادتك إلى طبيعتك، إذن كان هذا هو ما تُريده».

قال: «لا». «أنتِ لا تَفهمين. عندما قرأت تلك الكتب شعرتُ بكلِّ تلك القوى التي تحدَّثوا عنها. كما لو كنتِ غوّاصة ماهِرة وقرأتِ عن بعض الغوص المُعقَّد الذي لم تَفعليه من قبل، لكنَّك تَعلمين أنه يُمكنك القيام بذلك إذا تدرَّبت. قلتُ إنني لا أريد هذا، وربما لم أفعل حقًّا، في البداية. لكنَّني الآن أفعل».كانت هناك صورة واحدة، بين الأعضاء التناسُلية العملاقة والْتواءات مستحيلة لكتاب الوسائد اليابانية: ساحر التانترا، جبينه مُنتفِخ بقوة الحيوانات المنوية المُحتجَزة، وأصابعه مُلتوية في مودرا القوة. كان يُحدِّق بها حتى احترقت عيناه. قال: «الآن أريدها».

♣ ♦ ♠ ♥

قال الرجل الصغير: «لقد التقطتُ بطاقةً جامِحة بالتأكيد».

«أعتقد أنه آيص».

لم يكن لدى فورتشناتو أيُّ شيء على وجه الخصوص ضدَّ ذوي البشرة البيضاء، لكنَّه لم يَستطع تحمُّل لغتَهم العامية. «هل يُمكنك قول ذلك بلُغة إنكليزية بسيطة؟»

«لقد تمَّت إعادة برمجة جيناتك بواسطة فيروس تاكيجيني. من الواضح أنه كان نائمًا في جهازك العصَبي، ربما في العمود الفقري. يبدو أن تلك المُمارسة الجنسية أعطتْك صدمة كبيرة كافية لتنشيط الفيروس».

«إذن، ماذا يحدث الآن؟»

«بالطريقة التي أراها، لديك خياران». قفَز الرجل الصغير على طاولة الفحص على الجانب الآخر من فورتشناتو وسرَح الشعر الأحمر الطويل وراء أذنَيه. بدا وكأنه عضوٌ في فِرقة موسيقى الروك أو عامل في متجَر أُسطوانات. لم يكن طبيبًا مُقنِعًا. «يُمكنني محاولة عكس آثار الفيروس. لا توجد ضمانات، لقد حصلت على نسبة نجاح تبلغ حوالي ثلاثين بالمائة».

«بين الحين والآخر ينتهي الأمر بالناس أسوأ من ذي قبل».

«أو؟»

«أو يُمكنك أن تتعلم كيف تعيش بتلك القوة التي تَمتلكُها. لن تكون وحيدًا. يُمكنني أن أصلك بأشخاص آخرين مثل وضعك».

«نعم؟ مثل «السلحفاة العظيمة والقوية؟» حيث يُمكنني التحليق وإخراج الناس من حطام السيارات؟ لا أعتقِد ذلك».

«ما فعلته بقُدراتك يعود إليك».

«ما نوع القدرات التي نتحدَّث عنها؟»

«لا أَجزِم، ولكن يبدو أنهم ما زالوا يُظهرون. يُظهر التخطيط الكهربائي للدماغ قدرة قوية على تحريك الأشياء عن بُعد. يُظهر الكروماتوغراف الكيريلي جسمًا نجميًّا قويًّا للغاية أتوقع أنه يمكنك التلاعب به».

«السحر، هو ما تقوله».

«لا ليس كذلك. لكن هذا شيء عجيب بشأن البطاقة الجامحة. في بعض الأحيان يتطلب الأمر آلية محدَّدة للغاية لوضعها تحت السيطرة الواعية. لن أتفاجأ إذا كنت بحاجة إلى طقوس التانترا تلك لجعلها تَعمَل عندك».

وقف فورتشناتو وأخذ مائة من لفَّة في جيبِه الأمامي، وقال: «هذه للعيادة».

نظَر الرجل الصغير إلى الأموال لفترة طويلة، ثم وضَعها في سترة الرقيب بيبر التي كان يَرتديها وقال: «شكرًا»، كما لو أنَّ إخراج الكلمات يُؤلمه. «تذكَّر ما قلته. بإمكانك الاتصال بي في أي وقت».

هزَّ فورتشناتو رأسه وخرج ليَنظر إلى غريبي الأطوار في بؤرة الجواكر.

♣ ♦ ♠ ♥

كان يبلغ من العمر ستَّ سنوات عندما انفجر الفَتى النفاث فوق مانهاتن، وقد نشأ معه الخوف من الفيروس، ذكرى عشرة آلاف ماتوا في اليوم الأول من العالم الجديد. كان والده أحدهم، مُستلقيًا في السرير بينما يتشقَّق جلده ويَشفي نفسه مرارًا وتكرارًا، ولم تستغرق الدورة هذه بأكملها أكثر من دقيقة أو دقيقتَين. إلى أن انفتحَت إحدى الشقوق في قلبِه قاذفة الدم في جميع أنحاء شقَّتهم في هارلم. وحتى بينما كان الرجل العجوز يَرقُد في نعشه، مُنتظِرًا دوره في الجنازة ليدفن في قبر جماعي، استمرَّ في الانشقاق والشفاء، والانشقاق والشفاء.

لم تتلاشَ الذِّكرى أبدًا، ولكن مع مرور الوقت تمَّ إهمالها بسبب ذكريات أخرى حصلت. وقد توصل فورتشناتو تدريجيًّا للاعتقاد بأنه لن يحدث له شيء. بالنسبة لأولئك

الذين لم يمسهم الفيروس، استمرت الحياة كما كانت دائمًا.

لقد أدرك في وقتٍ مبكّر أنه سيتعين عليه أن يشق طريقه بنفسه. من خلال الاستماع إلى والدته تشكو من النساء الأمريكيات، توصل إلى فكرة بائعة الهوى كغيشا. وفي سنّ الرابعة عشرة، أحضر إلى المنزل فتاة بورتوريكية مذهلة من مدرسته الثانوية لأمه لتتدرب، وقد كانت تلك هي البداية.

نظر إلى الأعلى ورأى أنّ الليل قد حلّ بينما كان يسير بلا هدف في بؤرة الجواكر. تحوّلت الألوان الرمادية والباستيل إلى النيون، وتوحّلت ملابس المارّة. أمامه بقليل أغلق المُتظاهِرُون الشارع بشاحنة مسطّحة. كانت هناك براميل ومُضخِّمات صوت وقيثارات وبعض من أسلاك التمديد المتينة التي تمرُّ عبر الباب المَفتوح لنادي فوضوي.

في هذه اللحظة كان المسرح فارغًا باستِثناء امرأة ذات شَعر أحمر طويل مجعّد وجيتار صوتي. كان هناك لافتة خلفها كتب عليها «إس إن سي سي». لم يكن لدى فورتشناتو أيّة فكرة عما تُمثّله هذه الحروف. جعلت هذه المرأة الجمهور يغني بعض الأغاني الشعبية وغيرها. لقد غنّت الجوقة عدة مرات بدون الغيتار، ثم انحنت للجمهور الذي صفّق لها ونزلت من الجزء الخلفي من الشاحنة.

لم تكن جميلة كما كانت لينور. كان أنفُها كبيرًا قليلًا، ولم

يكن جلدُها ناعمًا كثيرًا. كانت تَرتدي الجينز الأزرق وقميص العمل، لكنها كانت تتمتَّع بهالة من الطاقة تُمكِّنها من أن يراقبها دون أن يرغب فيها.

كانت النساء نقطة ضعف فورتشناتو. كان كالمشلول في مرمى النيران عند رؤيتهن. حتى مع شعوره بالإحباط لم يسعْه إلا التوقُّف والنظر إليها، وقبل أن يَعيَ ذلك كانت تقفُ بجانبِه، تهزُّ علبةَ قَهوة مع بضع عملات معدنية في الأسفل.

«مرحبًا يا رجل، ما رأيك في التبرُّع؟»

قال فورتشناتو: «ليس اليوم». «لا أتدخَّل كثيرًا في أمور السياسة».

«أنتِ أسود، الرئيس هو نيكسون، ولا تتدخَّل كثيرًا في الأمور السياسية؟ يا رجل، لديَّ أخبار جديدة لك».

«هل كل هذا لأجل كونك أسود؟» لم يرَ فورتشناتو وجهًا أسود آخر في الحشد.

«لا، يا رجل، الأمر يتعلق بالجواكر. مهلًا، هل قمتَ بالضرب على وترٍ حساس؟»

عندما لم يجب فورتشناتو واصلت حديثها. «أنت تَعرف كم يبلغ متوسِّط العمر المتوقَّع للجوكر في فيتنام؟ أقل

من شهرين. إذا أخذت نسبة للجواكر في سكان الولايات المتحدة وقسمتها على نِسبة الجواكر في فيتنام، فهل تَعلم ما ستحصُل عليه؟ ستَحصُل على ما يُقارب مائة ضعف عدد الجَواكر هناك. مائة مرة يا رجل!»

«نعم، حسنًا، فماذا تُريدني أن أفعل حيال ذلك؟»

«تبرُّع. سوف نَحصُل على محامين بشأن هذا الأمر ونُوقفُه. إنه مكتب التحقيقات الفيدرالي، يا رجل. مكتب التحقيقات الفيدرالي والذُّعر. إنه زمن مكارثي من جديد يا رجل. لديهم قوائم بجميع الجواكر وهم يقومُون بتجنيدهم عن قصد. إذا تمكّنوا من المشي وحمل مسدَّس، فسيُشحَنون إلى سايغون بدون فحصٍ طبِّي حتى. إنها إبادة جماعية، مَحضة وبسيطة».

«نعم حسنًا» أخرج عشرين وألقى بها في العلبة.

«هل تَعرف ماذا أتمنَّى؟» لم تكن قد لاحظت حتى قيمة الفاتورة. «أتمنَّى أن يفعل هؤلاء الآيائص اللُّعَناء شيئًا لمن يخصُّهم، هل تَعلم ما أقصده؟ ما الذي سيتطلَّبه سايكلون، أو أحد هؤلاء المتسكِّعين الآخرين، لمسحِ تلك الملفات؟ لا شيء، يا رجل، لا شيءَ على الإطلاق، لكنَّهم مشغولون للغاية في الظهور في عناوين الأخبار».

بدأت في الابتعاد ثم نظرت في العلبة. «شُكرًا يا رجل. لا بأسَ بك. اسمع، ها هي النشرة الإعلانية. إذا كنت تُريد أن تُقدِّم المزيد، فاتَّصل بنا».

قال فورتشناتو: «بالتأكيد». «ما هو اسمُك؟»

قالت: «يُسمُّونني سي. سي». «سي سي رايدر».

«هل هي نفس سي سي المعلَّقة في الأعلى هناك؟» وأشار إلى لافتة «إس إن سي سي».

سي سي هزَّت رأسها. قالت: «أنت مُضحِك يا رجل»، وابتسمت مرة واختفَت وسط الحشد.

طوى المنشور الإعلاني ووضعه في جيبه وأغلق البويري. كل الحديث عن الجواكر جعله يشعر بالتشتُّت. في أسفل الشارع، كان هناك نادٍ جدرانه عبارة عن مرايا يُدعى فان هاوس، يملكه رجل يُدعى ديزموند لديه خرطوم بدلًا من الأنف. لقد كان أحد زبائن فورتشناتو، وكان دائمًا يُريد غيشا ذات بشرة أدق أو شعر أغمق أو وجه أجمل مما يُمكن أن يجد فورتشناتو له. لم يستطع فورتشناتو تحمل فكرة رؤيته في ذلك الوقت.

في الشوارع الجانبية، لم يَعد أحد يَرتدي الأقنعة، وكانت العيون تحدق فيه بالخلف بتحدٍّ من الوجوه المقلوبة رأسًا

على عقب أو من رؤوسٍ بحجم الشمَّام. قال لنفسه: إخوانك وأخواتك الجدد. مقابل كل آيص، كان هناك عشرة من هؤلاء، يتربَّصون في الأزقة بينما يرتدي المحظوظون الرؤوس ويتحدَّثون بلغتهم الرديئة ويقفزون في المكان يقاتل بعضهم بعضًا. احتلَّت الآيصات العناوين الرئيسية والبرامج الحوارية، وكان لغريبي الأطوار والمقعدين بؤرة الجواكر. بؤرة الجواكر وغابات فيتنام، إذا كانت قصة سي سي صحيحة.

لكن المكان الوحيد الذي أراد فورتشناتو أن يكون فيه هو شقة لينور؛ لممارسة الحب معها. وهذه المرة سيستَسلم، وإذا جعله ذلك ضعيفًا فلن يكون ذلك مهمًّا، وستعود الأمور إلى ما كانت عليه دائمًا.

إلا أنه عاجلًا أم آجلًا سينتقل القاتل مرة أخرى. كانت فيتنام على الطرف الآخر من العالم، لكن القاتل كان هنا، ربما في هذا الحي بالذات.

توقف عن المشْي، ونظَر إلى الأعلى، فشعر أن عقله الباطن قد أوصله مُباشَرة إلى الزقاق حيث أخبروه أنهم عثَرُوا على إيريكا.

فكر في ما قالته سي سي. استخدام القوة للعناية بقوتك.

عندما أخرجته لينور من جسده، رأى أشياء لم يَسبق لها

مثيل من قبل، ودوامات وأنماط من الطاقة لم يكن لديه اسم لها. وإذا تمكَّن من الخروج مرةً أخرى فقد يرى شيئًا قد فاتَ رجال الشرطة.

حدَّق فيه شخص ثملٌ يرتدي معطفًا طويلًا باليًا. استغرق الأمر ثانية ليدرك فورتشناتو أنَّ الرجل لديه آذان طويلة مُتدلية وأنف أسود. تجاهله فورتشناتو وأغمض عينَيه وحاول أن يَسترجع شعوره الدفين.

ربما كان يُحاول أيضًا أن يفكر في نقل نفسه للقمر. كان بحاجة إلى لينور لكنه كان يخشى إحضارها إلى هنا. هل يُمكنه فعل ذلك في مكانها، ثم الطيران خارج جسده إلى هنا؟ ماذا سيحدث لجسده إن فعل ذلك؟

أسئلة كثيرة. اتصل بها من هاتف عمومي وأخبرها أين ستُقابله.

«هل لديكِ مسدَّس؟» سألها.

«نعم. منذ ... أنت تعرف».

«أحضريه».

«فورتشناتو؟ هل أنت مُتورِّط في مُشكلة؟»

قال: «ليس بعد».

بحلول الوقت الذي عادَ فيه إلى الزقاق مع لينور كان قد جذَب حشدًا من الناس. كانوا جميعًا يرتدون بقايا جيش الخلاص: سَراويل فضفاضة، وقمصان ممزَّقة وملطَّخة، وسترات بلون الشحوم الجافة. بدَت امرأة عجوز قصيرة مثل تمثال الشمع الذي بدأ يذوب. إلى يَمينها كان هناك صبي مُراهق يقف بجانب سلة المهمَلات ويَهتز. عندما تصل الاهتزازات إلى نغمة مُعيَّنة، كانت العلب تَضرب بعضها وتقوم المرأة إليها في حالة من الغضب وتركلُها. كان الآخرون أقل تشوُّهًا بشكل واضح: رجل ذو مصاصات على أطراف أصابعه، وفتاة كانت ملامحها مربعة بحوافّ من الجلد المتصلِّب.

مسكت لينور بذراع فورتشناتو. «ماذا الآن؟» همسَت.

قبَّلها فورتشناتو. حاولت الابتعاد عندما بدأ جمهور غريبو الأطوار في الضَّحك، لكن فورتشناتو كان مصرًّا، وحرَّك يدَيه على أسفل ظهرها، وأخيرًا بدأت تتنفَّس بشدة وشعرت بالقوة التي تُحرِّكها قاعدة عمودِه الفقري. حرَّك شفتَيه إلى أسفل كتفِ لينور، وحفرت أظفارها الطويلة في رقبته، ثم رفَع عينَيه حتى نظر إلى الرجل الكلب. شعر بالقوة تتدفَّق في عينَيه وصوته وقال بهدوء: «انصرف».

استدار الرجل الكلب وخرج من الزقاق. أمر الآخرين بالابتعاد واحدًا تلوَ الآخر، ثم قال: «الآن، افعَلي بي ما فعلتِه من قبل». أغلقت يدها اليمنى فوقه ودارت يدها اليسرى حول خصره، مُطمئنة إياه بوزن المسدَّس ٣٢ إس دبليو في جيبه. أغمض عينَيه عندما بدأت الحرارة تَتراكم، تاركًا الجدار المبني من خلفه يسند وزنه. في ثوانٍ، كان جاهزًا، وكان جسمه النجمي يَتمايل أمامها.

وبعد ذلك، كما لو كان يَخطُو جانبًا من سيارة متحرِّكة، انزلَقَ بحرية.

♥ ♠ ♦ ♣

كان كل قالب طوب، وكل مُغلف حلوى في الشارع يلمع بوضوح. أثناء تركيزه، تباطأ دويُّ حركة المرور وتعمَّق حتى أصبح بالكاد مَسموعًا.

لقد وجدُوا إيريكا في عُمق مدخلٍ في الزقاق، أذرعُها وأرجلُها مقطوعة ومُكدَّسة مثل الحطب في حضنها، ورأسها متصل بنصف رقبتها. تمكَّن فورتشناتو من رؤية بُقَع دمِها في جزيئات الخرسانة، وكانت لا تزال تتوهَّج بعُصارة حياتها. لا يزال خشب إطار الباب يَحمل أثرًا لعِطرها وخيطًا واحدًا من شَعرها الأشقر المائل للرمادي.

انخفضَت همهمة الشارع ليُصبح اهتزازًا مُنخفضًا جدًّا لدرجة أن فورتشناتو شعر بأن قِمَم الموجة الفردية تمرُّ من خلاله. الآن يُمكنه رؤية المسافة التي أحدثها جسدُ إيريكا في المُنحدَر المصنوع من الخرسانة، الأثر المُتناهي الصغر الذي ضغَطه حذاؤها على الأسفلت. وبجانبهم آثار أقدام قاتلها.

قادت الخطوات من الشارع إلى جسد إيريكا وعادت مرة أخرى، وعند الرصيف كان بأثر سيارة. لم يكن لديه أي فكرة عن نوع السيارة التي كانت عليها، لكنه كان يرى المسارات التي تركتها، سميكة وسوداء، كما لو كانت تَحرق المطاط طوال الطريق.

توقف للحظة ونظر إلى جسده مجمدًا بين ذراعَي لينور. ثم ترك آثار السيارة تسحبُه إلى الشارع، عبر الجادة الثانية، ثم جنوبًا إلى ديلانسي. شعر أنه يَضعُف تدريجيًّا، وأصبحت رؤيته تتلاشى وبدأت الأصوات الخلفية للمدينة تَخترق سطح سمعه. ركز أكثر، مُستهلكًا آخر قوة من جسده.

اتجهت السيارة شمالًا نحو بويري وتوقفت أمام منزل قديم رمادي. انحنى فورتشناتو على الرصيف، ورأى آثار الأقدام التي خلَّفُوها أثناء عبورهم من السيارة إلى الباب الأمامي للمبنى.

تبعها في الطابق العلوي. شعر كما لو أنه تمَّ ربطه بشريط مطاطي عملاق وركض مُسرعًا. أخيرًا اختفت آثار الأقدام عند مدخلِ دورٍ عُلوي، وعرف أن قواه قد خارت.

زادت سرعة أصوات ضجيجِ حركة المرور من حوله، واندفع للخلف بالطريقة التي جاء بها، مُنجذبًا إلى جسده بشكلٍ لا يُقاوَم. سعيد، مُرهَق، كما لو كان قد استنزف نفسَه في الجنس، وقع فيه مثل غطاس في بركة. ترنحت لينور تحت ثقله المفاجئ ثم فقد وعيه.

قالت: «لا»، وابتعدَت عنه. «لا أستطيع».

كانت قد ارتسمت دوائر أرجوانية تحت عينَيها وكان جسدها يترنح من الإرهاق. تساءل فورتشناتو كيف تمكنت من نقله إلى سيارة أجرة ومساعدته في صعود الدرج إلى شقتها.

قال: «أنا لا أفهم».

«إنك تُراكِم الشحنة، ثم الجنس يضاعف هذه الشحنة. هل ترى؟ القوة، الشاكتي. باستثناء سحر التانترا، فإنك تمتص الطاقة مرة أخرى إلى داخلك. ليس فقط طاقتك، بل الطاقة التي أعطيها لك».

«لذا عندما تَصِلين إلى ذروتك معي، تُعطينني هذه الشاكتي؟».

«صحيح».

«وقد أعطيتَني كل ما لديكِ؟».

«هذا صحيح، أيها الرجل الضخم. لقد نفَدت طاقتي».

همَّ فورتشناتو بالتقاط سماعة هاتفه.

«ماذا تفعل؟»

قال وهو يتصل: «أعرف مكان القاتل». «إذا لم تتمكَّني من إعطائي القوة لقتله، فسأستعين في الحصول عليها بشخص آخر». لم تعجبه الطريقة التي خرج بها الأمر لكنه كان متعبًا جدًّا في ذلك الوقت بحيث لا يهتم. متعب وشيء آخر. كان دماغه مشغولًا بالتعرف على قوته، وشعر أنها تُغيِّره، وتسيطر على زمام الأمور.

رن الهاتف في الطرف الآخر ثم سمع ميراندا ترد عليه.

غطى صوان الهاتف بيده والتفت إلى لينور. «هل بإمكانكِ المساعدة؟»

أغمضت عينيها وفعلت شيئًا بفمها شبيهًا بابتسامة تقريبًا.

«أعتقد أن العاهرة يجب أن تعرف أفضل من أن تغار».

قال فورتشناتو «الغيشا».

قالت لينور: «حسنًا، سأريها ما يجب أن تفعله».

♣ ♦ ♠ ♥

أخذا جرعة من الكوكايين وبعض الحشيش الفيتنامي القوي. أقسمَت لينور أن ذلك سيساعد فقط في شعورها بالراحة.

ميراندا، طويلة القامة، ذات شعر أسود، خصب، أكثر نسائه مهارة جسديًّا، بدأت تتجرَّد من ملابسها ببطء حتى أصبحت ترتدي رباط جوارب فقط، وحمالة صدر سوداء خفيفة جدًّا.

بعد أربعين دقيقة، كانت لينور قد أُغميَ عليها على حافة السرير السُّفلية. ميراندا، رأسها متدلٍّ على الحافة، وذراعاها منتشرتان في صليب زائف، أغمضت عينيها. همست: «انتهى الأمر. لا يُمكنني أن أبلغ الذروة بعد الآن. ولا مرة أخرى».

دفع فورتشناتو نفسه على ركبتَيه. كان العرق يتصبب منه، وكان يعتقد أنه يمكن أن يرى ضوءًا ذهبيًّا يشعُّ من تحت جلده. لقد رأى نفسه في المرآة فوق خزانة ملابس لينور، ولم يَشعُر بالقلق أو حتى الاندهاش عندما بدأ يشعر بالحرارة

تسري في جسده.

كان جاهزًا.

أنزلته سيارة الأجرة في دالنسي. كان معه مسدَّس لينور ٣٢ في الجزء الخلفي من سرواله لضمان الأمان، خبَّأه بواسطة سُترته السوداء المصنوعة من الكتان. ولكن إذا استطاع، فسوف يقوم بالمُهمَّة بيديه. في كلتا الحالتين، لن يَحصل رجال الشرطة على فُرصة لإعادة القاتل إلى الشوارع.

لم تكن عيناه تُركِّزان تمامًا وكان عليه أن يُبقيَ يدَيه في جيبيه لأنه لم يكن يَثِق بهما. لسببٍ ما لم يكن خائفًا على الإطلاق. لقد شعر وكأنه في الخامسة عشرة عامًا، كما شعر تمامًا عندما بدأ العمل مع فتيات الهوى اللواتي درَّبتهنَّ والدته لعدة أشهر، وقد كان يخشى مُحاوَلة إقامة علاقة معهن بسبب ما قد تقولُه أو تفعله والدته. بمجرَّد أنه استسلَم للفتيات، لم يكن ليهتمَّ بعدها.

كان الشعور نفسه الآن. كان متهورًا، مشحونًا بالرائحة الداكنة والضغط الرطب الحار للجنس، بالكاد يستطيع أن يُركز ويعمل. قال لنفسه، سأُواجه قاتلًا، لكنَّها كانت مجرد كلمات. كان يؤمن أنه سيَحمي نساءه، وكان هذا كل ما يهم.

صعد الدَّرَج إلى الدور العُلوي. كان ذلك بعد مُنتصَف الليل، لكنه كان يستطيع سماع صوت المذياع وهو يُفجر «رجل قتال الشوارع» لِفرقة رولينج ستونز من خلال الباب الفولاذي. ضرب الباب بقبضتِه.

ابتلع ريقه بصعوبة في حنجرة باردة. وفُتح الباب.

في الجانب الآخر كان هناك صبيٌّ يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا، شاحبًا، نحيفًا، بجسم عضلي، لديه شعر أشقر طويل، ووجه ربما كان جميلًا باستثناء تلك البثور حول الذقن، مخبأ بشكل غريب بالمكياج. كان يرتدي قميصًا أصفر مع نقاط بولكا سوداء وبنطال جينز باهت.

«أتريد شيئًا؟» سأل أخيرًا.

قال فورتشناتو: «أريد أن أتحدَّث معك». كان فمه جافًّا ومِحجرا عينيه غير ثابتَين.

«عن ماذا؟»

«إيريكا نايلور».

لم يُحدِّث الصبيُّ أيَّ ردة فعل، بل قال: «لم أَسمع باسمها أبدًا».

«أعتقد أنك سمعت».

«أأنت شُّرطي؟» لم يُجِب فورتشناتو.

«إذن اغرُب عن وَجهي».

أراد إغلاق الباب. تذكَّر فورتشناتو الزقاق، وأمره الجواكر بالانصِراف. قال وهو يُحدِّق بقوة في عيني الصبي عديمي اللون: «لا، دعني أدخل».

تردَّد الصبي، بدا مذهولًا، لكنه لم يستسلم. ضرب فورتشناتو الباب بكتفه دافعًا الصبي على الأرض.

كانت الغرفة مُظلمة والموسيقى تصمُّ الآذان. وجد فورتشناتو مِفتاحًا للمِصباح العلويِّ وفتحه، ثم عاد خطوة لا إرادية إلى الوراء بينما دماغه يستوعب ما تراه عيناه.

كانت شقَّة لينور رمزًا للانحراف، والأسلوب العصري المُثير للتَّنجيم حول إلى التَّعذيب والقتل والاغتصاب. كما هو الحال في شقة لينور، كان هناك نجمة خُماسية على الأرض مرسومة على عجل، غير مُتساوية، مَحفورة في الألواح بآلة حادَّة ومَطلية بالدماء. بدلًا من المخمل والشموع والخشب النادِر، كان هناك مرتبة رمادية مخططة في أحد الأركان، وكومة من الملابس المتسخة، وعشرات من صور بولارويد الفورية أو أكثر مُثبتة على الحائط بواسطة مسدَّس الدبابيس.

كان يعرف ما سيجده، لكنه سار إلى الحائط. تعرف على ثلاث من بين الأربع عشرة امرأة عارية مقطوعة الأوصال. آخرها، في الزاوية اليُمنى السفلية، كانت إيريكا.

لم يتمكن من التفكير فيما الموسيقى تَدوي من حوله. التفت باحثًا عن المسجِّل وشاهد الفتى الأشقر يَقف على رجلَين مُرتجفتَين ويتعثّر مُتمسكًا بالباب.

«قف» صاح فورتشناتو. لكن بدون تواصُل بصري، لم يَعنِ أمرُه شيئًا.

ثائرًا ومذعورًا، انقضّ عليه فورتشناتو. احتضنَ الفتى من خصره ودفع به ناحية الجدار. لكنه كان كمَن يُحاول الإمساك بحيوان هائج، ركبتاه وأظافره وأسنانه في حالة تأهُّب، ابتعد فورتشناتو فورًا وشاهد طرفًا لوميض هائل، لنصلِ شفرة حلاقة، يشقُّ سترته وقميصه وجلده، ويُظهر الخطوط العريضة بالأحمر.

«سأموت». فكّر فورتشناتو. كان المسدَّس عالقًا في مؤخِّرة سرواله، بعيدًا جدًّا عنه قبل أن تعود الشفرة مرة أخرى، وتقطع أعمق، منزلقة إلى داخله، تقتلُه.

نظر إلى الشفرة، وقبل أن يعرف ما عليه فعله، كان يُحدِّق بها بشدة، يركز بالطريقة التي كان عليها عندما قرأ الكتب في

شقة لينور، وبالطريقة نفسها في زقاق بؤرة الجواكر.

وتباطأ الوقت.

لم يكن يرى دمه على السكين فحسب، بل كان يرى دماء الآخرين، إيريكا وجميع النساء الأخريات في الصور، قد غسلت، لكنها ما زالت مُحتجَزة في الذاكرة المعدنية.

ابتعد عن الصبي الأشقر المجنون، مُتحرِّكًا ببطء كالأحلام في اليقظة، لكنه ما زال يتحرَّك أسرع من الصبي. مدَّ يده من ورائه، وشعر بمقبض المسدَّس تحت أصابعه. تباطأت موسيقى رولينج ستونز إلى حدٍّ كبير عندما تناول المسدَّس، ووجهه نحو الصبي، ورأى العيون الشاحبة تتَّسع.

فكر فجأة، لا تقتله. ليس حتى تَعرف لماذا فعل ذلك. قام بتحريك المسدَّس حتى أشار إلى كتف الصبيِّ الأيمن، وضغط الزناد.

بدأ الضجيج على شكل اهتزاز في يدِ فورتشناتو، تسارع مثل الصاروخ، وتحول إلى هدير، ثم عاد الوقت يمرُّ مرة أخرى، والفتى يتأرجح مع تأثير الرصاصة دون أن يَظهر ذلك في عينيه، وهو يخرج السكين من يده اليُمنى المصابة بواسطة يساره ويتأرجَح للأمام مرة أخرى.

إنه ممسوس ... فكَّر فورتشناتو برعب، وأطلق النار على

قلبه.

ترنَّح فورتشناتو إلى الخلف، فتَح قميصه ورأى أن الجرح عبر صدرِه قد توقَّف بالفعل عن النزيف، ولن يَحتاج حتى إلى تقطيب. أغلق باب الرواق وسار عبر الغرفة ليُخرج قابس الفونوغراف. وبعد ذلك، وسط الصمت الخانق، استدار لمواجهة الصبي الميت.

تموجت القوة واندفعت داخله. كان بإمكانه رؤية دماء النساء على يدَي الصبي الميت، ورؤية أثر الدم الذي ظهر من النجم الخماسي الخشن على الأرض، والآثار حيث وقف الصبي، والظلال حيث ماتت النساء، وهناك بشكلٍ خافِت، كما لو تمَّ محوها بطريقة ما، علامات تُركَت من قبل شيء آخر.

لا تزال خطوط القوة باقية داخل النجم الخماسي، مثل موجات الحرارة المتلألئة من طريق سريع في الصحراء. وضع فورتشناتو يدَيه على شكل قبضة، وشعر بعرقٍ بارِد يتساقَط على صدره. ما الذي حدث بالفعل هنا؟ هل استحضر الصبيُّ شيطانًا بطريقة ما؟ أم إنَّ جنون الصبي كان مجرَّد أداة في شيء أكبر بكثير، شيء أسوأ بكثير من القتل العشوائي؟

كان يُمكن للصبيِّ أن يُخبرَه، لكنَّ الصبي مات.

اتجه فورتشناتو إلى الباب، ووضع يده على المقبض. أغمض عينيه وأراح جبهته على المعدن البارِد. قال لنفسِه: «فكِّر».

مسح بصمات أصابعه عن المسدس وألقاه بجانب جسدِ الصبي ليدع رجال الشرطة يتوصلون إلى استنتاجاتهم الخاصة. يجب أن تَمنحهم صور البولارويد الكثير ليُفكِّروا فيه.

استدار ليذهب مرةً أخرى، ولكنه لم يستطع مغادرة الغرفة.

قال لنفسه: نعم لديك القوة. هل يُمكنك الابتعاد عن هنا، مع العلم أن لديك القوة وترفض استخدامها؟

تصبَّب العرق على وجهه وذراعيه.

كانت القوة في اليود، الراسا، المني، قوة لا تُصدَّق، أكثر مما كان يعرف كيف يُسيطِر عليها حتى الآن. يكفي لإعادة الموتى إلى الحياة.

لا، فكَّر في قرارة نفسه. لا أستطيع أن أفعل ذلك. ليس فقط لأنَّ الفكرة قززته، ولكن لأنه كان يعلم أنها ستغيره. ستكون نقطة اللاعودة، النقطة التي سيتخلى فيها عن كونه إنسانًا

تمامًا.

لكن القوة غيرته بالفعل. لقد رأى بالفعل أشياء لن يفهمها من لا يَمتلكُونها. قيل له إن السلطة مفسدة، لكنَّه الآن رأى مدى سذاجة ذلك، الطاقة نور، الطاقة تحوُّل.

قام بفك حزام الصبي الميت، وخلع سحاب بنطاله الجينز. كان الصبي قد تغوَّط وتبوَّل في البنطال عندما مات، جفل فورتشناتو من الرائحة المريعة. ألقى الجينز في إحدى الزوايا ودحرج الصبي الميت على بطنه.

اعتقد فورتشناتو أنه لا يُمكنه القيام بذلك. لكنه كان مُنتصبًا بالفعل، وانهمرَت الدموع على وجهه وهو يركع بين ساقَي الصبي الميت.

♣ ♦ ♠ ♥

بلغ نشوته على الفور. لقد تركتْه ضعيفًا، أضعف مما يظن. زحَف بعيدًا، ورفع سرواله وهو يشعر بالقرف والاستياء والإرهاق.

بدأ الصبي الميت يرتعش.

استند فورتشناتو إلى الحائط، وسحب نفسه على قدميه. كان يشعر بالدوار وخفقان رأسه من شدة الألم. رأى شيئًا

ما على الأرض، شيئًا سقط من سروال الصبي الميت. كانت قطعة نقود، قرش من القرن الثامن عشر، طازجة جدًّا لدرجة أنها بدَت مائلةً إلى الحمرة في ضوء الدَّور العُلوي. وضع العملة في جيبه تحسُّبًا لشيء ما لاحِقًا.

قال للصبيِّ الميت: «انظر إليَّ».

خُدشت يدا الصبي الميت على الأرض، وقطعته الشظايا الملطَّخة بالدماء. شدَّ نفسه ببطء على يديه وركبتيه، ثم انحنى برفقٍ على قدمَيه. استدار ونظر إلى فورتشناتو بعينَين فارغتَين.

كانت العينيان مُريعتَين. قالوا إن الموت هو الذهاب الى اللاشيء، حتى إن بضع ثوانٍ منه كانت كثيرة.

قال فورتشناتو: «تحدَّث معي». لم يَعُد غاضبًا، ولكن ذكرى غضبه هي ما جعله يستمر. «اللعنة عليك، تحدَّث إليَّ. قل لي ماذا يعني هذا. قل لي لماذا».

حدَّق الفتى الميت في فورتشناتو. للحظة ومَض شيءٌ هناك، فقال الصبي الميت: «تايمات». همس هذه الكلمة، لكنَّها خرجت منه بوضوح. ثم ابتَسم الصبيُّ الميت. وبكِلتا يديه، وصَل إلى حلقه ومزقه بشكلٍ دموي من خلال رقبته، وبينما كان فورتشناتو يُشاهده، مزَّقَه إلى نصفَين.

♣ ♦ ♠ ♥

كانت لينور نائمة. ألقى فورتشناتو ملابسَه في القمامة ووقف تحت صنبور الاستحمام لثلاثين دقيقة، حتى نفد المياه الساخن. ثم جلس على ضوء الشموع في غُرفة المعيشة وبدأ يقرأ.

وجد اسم تايمات في نَصٍّ من الرموز السومرية في سحر كراولي. الثعبان، لفيثان، كوتولو. وحشية، شر.

كان يعلم بلا شك أنه لم يجد سوى طرف خيط لشيء يتحدى فهمه.

وفي النهاية نام.

♣ ♦ ♠ ♥

استيقظ على صوت لينور وهي تُغلق حقيبتها.

«ألا ترى؟» حاولَتْ أن تشرح. «أنا فقط مثل ... مقبس الحائط الذي تعُودُ إلى المنزل لتوصيله لإعادة الشحن. كيف يُمكنني أن أعيش هكذا؟ لقد حصلتَ على ما كنتُ أرغب فيه دائمًا، القوة الحقيقية لعمل السحر الحقيقي. وقد حالفك الحظ في ذلك، حتى دون الرغبة في ذلك. وكل الدراسة والممارسة والعمل الذي قمتُ به طوال حياتي لا يعني شيئًا

لأنّني لم أُصَب ببعض الفيروسات الغريبة اللعينة».

قال فورتشناتو: «أنا أُحبكِ ... لا تذهبي».

أخبرتْه أنه يُمكنه أن يحتفظ بالكتب، وأن يحتفظ بالشقة أيضًا إذا أراد. أخبرتْه أنها ستُراسله، لكنه لم يكن بحاجة إلى السحر ليعرف أنها تكذب.

ثم انصرفت.

♣ ♦ ♠ ♥

نام لمدة يومين، وفي اليوم الثالث وجدتْه ميراندا حيث قاما بممارسة الحب حتى أصبح قويًّا بما يَكفي لإخبارها بما حدث.

قالت ميراندا: «طالما مات، الباقي لا يُهمني».

تركته في تلك الليلة من أجل زبون آخر، جلس في غرفة المعيشة لأكثر من ساعة، غير قادر على الحركة. وسرعان ما كان يعلم أنه سيتعيَّن عليه البدء في البحث عن الكائن الآخر الذي شاهد آثاره في دور علوي للصبي الميت. حتى التفكير في الأمر جعله يشعر بالشلل والاشمئزاز.

أخيرًا، وصل إلى كتاب سحر كراولي وفتح الفصل الخامس. «عاجلًا أم آجلًا». قال كراولي: «النمو الطبيعي

اللطيف يليه الاكتئاب؛ ليلة الروح المظلمة، وهي تعبٌ غير محدود وكرهٌ للعمل». ولكن في النهاية ستبدأ «حالة جديدة ومتفوقة، حالة لا تصبح ممكنة إلا من خلال عملية الموت».

أغلق فورتشناتو الكتاب. كان كراولي يعرف، لكن كراولي كان ميتًا. شعر وكأنه آخر إنسان على كوكب قاحل.

لكنه لم يكن آخر إنسان. لقد كان من أوائل الأشخاص الذين قدموا شيئًا جديدًا، وكان من الممكن أن يكون أفضل من الناس.

تلك المرأة في المظاهرة، سي سي. لقد قالت إنه يَجب أن تعتني بمن يخصك. ما الذي سيكلفه لإنقاذ المئات من الجواكر من الموت في حرارة فيتنام والرطوبة المتعفِّنة؟ ليس كثيرًا. ليس كثيرًا على الإطلاق.

وجد المنشور في جيب سترته. ببطء، وبقناعة متزايدة، اتصل بالرقم ...

♣ ♦ ♠ ♥

التغيُّر الروحي

بقلم فيكتور ميلان

ترجمة مؤيد أبو علي

هفت رياح ليالي نوفمبر فهزَّت بنطاله واخزةً ساقَيْه النحيلتين اللتين بدتا مثل نبتة التريفيد السامة. دفع خطواته باتجاه النادي الليلي الصغير الذي يقع بالقرب من الجامعة. ومثل الجرح المفتوح، نبض الظلام حوله بصوت الحزن والخطر. مرتديًا معطفه المنقوش بالأخضر والبرتقالي الذي غلفته به أمه عندما التحق بمعهد ماساتشوستس للتقنية قبل ثلاث سنين، والذي انسدل على كتفَيه النحيلتَين وقد بدا مثل القزم الميت، حدث نفسه: «لا تكن جبانًا، يا مارك ... افعلها من أجل العلم».

ارتفع صوت الفرقة الموسيقية داخل النادي صادحًا بأغنية «كراون أوف كريبيشن». بدا الجميع صاخبًا باندفاع، في حين دخل هو متجهًا نحو ركن مظلم اختاره دون تفكير، حاملًا كوبًا من الشاي في يده متجنبًا الاستغراب التي سيُثار إذا ما اكتفى بطلب المشروبات الغازية أو القهوة.

وبالرغم من الأسابيع الطويلة التي قضاها في البحث، فإنه لم يتعلم أيًا من الرقصات التي رآها في النادي. بدا مثيرًا

للشك ببنطاله القديم المنكمش الحاشية، وقميص البوليستر الفاتح اللون، المنتفخ مثل أشرعة السفن في الريح. قد يظنه البعض عميلًا سريًّا لمكافحة المخدرات، بسبب أنها فترة الخريف الذي تلا مهرجان وودستوك الصيفي، الذي كان في نفس السنة التي طوّر فيها جوردن ليدي نظامَ مكافَحة المخدرات لكي يعطي نيكسون أسبابًا تشتِّت الانتباه عن الحرب. ولكن بيركلي وسان فرانسيسكو مدينتان متطورتان، معروفتان بكثرة الجامعات، يستطيع الجميع تمييز طالب العلم من غيره.

لم يكن هناك مكان مخصَّص للرقص في «الجلاس أونين»، فكانت أجساد الحاضرين تتمايل بين الطاولات أو تتكدس أمام المسرح، تحت أضواء أشبه بتدرُّجات الغسق تنقَّلَت بين الأحمر القرمزي والأزرق النيلي. ارتدى البعض الخرز، والبعض الآخر اختار الجاكيت المزركش والقليل من المجوهرات الهندية اللامعة.

كونه مارك بطبيعته الخاصة، وبالرغم من حرصه على أن يبقى مبتعدًا عن مصدر الأحداث بقدر الإمكان، فإنه وبغير قصد، اصطدم بكل شخص مرَّ بجانبه. «المعذرة!» كرَّرها بإحراج تاركًا نظراتهم الساخطة خلفه وقد احمرَّت أُذناه البارزتان خجلًا. كان هدفه الوصول إلى الطاولة ذات الخشب

المتهالِك، والتي وُضِعت فوقها شمعةٌ مطفأة داخل كأس زجاجية فارغة بدت وكأنها كأس زبدة فول سوداني أُعِيدَ استخدامها. ولكنه قبل أن يصل اصطدم بشخصٍ أخير. وقعت نظَّارته العريضة إثر الاصطدام واختفت في عتمة الظلام، تمسَّكت يداه بالشخص المقابل محاوِلًا استعادة توازنه، كما وقع كوب الشاي مرتطمًا بالأرض مُصدِرًا صوتًا قويًّا. «يا إلهي، أرجو المعذرة، أنا آسف».

خرجت الكلمات متقطِّعة من فمه مثل الآلة المكسورة. متشبثًا بها بيدَيه النحيلتَين، لاحظ نعومة بشرتها، وقد فاحت منها رائحةُ المسك والباتشولي المختلفة عن رائحة الدخان السام المنتشرة في المكان. لعن نفسه وبغضها لاصطدامه بفتاةٍ جميلة، ولكن رائحتها زكية على الاقل. ربَّتَت على يده متمتِمةً باعتذار، وانحنَت معه فورًا لمساعَدته في إيجاد نظارته وكوب الشاي، بينما كان الحضور يتخطَّون جسدَيهما دون اهتمام. نفر رأساهما في اتجاهات معاكسة بعد اصطدامهما أثناء عملية البحث.

تمتم كلٌّ منهما معتذِرًا للآخَر. وبأعجوبة وجد مارك نظارتَه سليمة دون أي كسر.

عندما وضع نظارته أخيرًا، وجد نفسه ينظر إلى كيمبرلي آن كورداين، وقد ابتعد وجهها عنه بضع بوصات.

كيمبرلي آن كورداين، الفتاة اللطيفة التي عرفها منذ طفولته؛ فتاة أحلامه. كانت في الخامسة من العمر عندما رآها لأول مرة، مرتديةً فستانًا من دون أكمام، وتقود دراجة ثلاثية العجلات في شارع سوكال المتواضِع حيث كانا يعيشان. كان حبًّا من طرف واحد. كان مفتونًا بمثاليتها حتى إنه لم يلحظ سقوطَ آيس كريم التوت من يده وذوبانه على الأرض. أكملت جولتها على الدراجة داهِسةً أصابعَ قدمه الحافية دون اهتمام، متجاهِلةً وجوده تمامًا. تلك كانت اللحظة التي سُرق فيها قلبُه. تدفَّق بداخله الأمل واليأس كالأمواج المتضاربة.

«مارك! مارك ميدوز! يا إلهي! من اللطيف رؤيتك من جديد!»

صرخت بحماس وذهبت لمعانَقته. عُقِد لسانه ولم يستطِع التحدث. وقف مذهولًا كالأبله دون حَرَاك. إنها المرة الأولى التي يعانق فيها امرأةً غريبة ليست من أقاربه. وأخيرًا وبعد مرور وقت ربّتت على أسفل ظهرها بخفة. ابتعدت عنه قليلًا مع بقائها مُمسِكةً بذراعيه وقالت:

«دَعْني أنظر إليك يا صديقي، لماذا لم تتغير على الإطلاق؟» تضايَقَ من كلامها، وبدا له أنها ستبدأ في التنمُّر عليه بخصوص تصرُّفاته الخرقاء وقَصة شعره القصيرة جدًّا،

فما زالت الحبوب منتشرة على وجهه النحيل الذي يوحي بأنه فتًى مراهِق، أمّا أسوأ عيب فيه فهو عجْزُه التام عن مواكَبة صيحات عصره. في مرحلة الثانوية، كان اهتمام كيمبرلي آن المفاجئ بالفتيان أمرًا صعبًا عليه. كان تعدُّد علاقاتها مع فتيان المدرسة الرياضيين وإعجابها بعضلاتهم المبالَغ في حجمها وتشجيعها لهم أمورًا مزعجةً له. ولكن ها هي الآن متشبثة بيده هو ومتوجِّهة نحو الطاولة الموجودة في ركن النادي.

«هيا دعنا نتحدَّث عن الأيام القديمة السيئة». إنها الفرصة التي تمنَّاها معظمَ حياته. فرصة أن يحظى بمحادَثة فردية وجهًا لوجه مع جميلته المثالية. كانت الفرقة الموسيقية تغني أغنية «بلاك بيرد» المعروفة لفرقة ذا بيتلز، ولكن بصوت بَشِع؛ لذا لم يجد شيئًا مناسبًا ليشاركه معها على الإطلاق. لحسن الحظ كانت كيمبرلي آن مسيطرةً على محور الحديث. تحدَّثت عن التغيرات التي مرت بها منذ المدرسة الثانوية. عن الناس المختلفين والغريبين الذين قابَلتهم في الجامعة، ومدى تأثيرهم على شخصيتها وطريقة تفكيرها. أخبرته عن انسحابها من الجامعة في منتصف سنتها الدراسية الأخيرة وقدومها هنا إلى منطقة «الباي إيريا(9)» مرةً أخرى، التي تُعَد مركزَ بداية الحركة وكونها أفضلَ خطوة

والأكثرَ أهميةً بالنسبة لها. وشعورها بالرضا تجاه نفسها بعد اتخاذها هذا القرار.

ربما لم تتغير كثيرًا، ولكنها بالتأكيد تغيَّرت. شعرها الأملس الداكن اللون الذي اعتادت على ربطه مثل ذيل الحصان، قد طال وأصبحت تُسدِله حتى كتفَيها مثل شعر يوكو أونو الأشعث. لم تَعُد ترتدي التنانير القصيرة أو تضع أحمر الشفاه وطلاء الأظافر الفاتح اللون. كانت مرتدية قميصًا أبيضَ مكشكشًا وواسعًا مزيَّنًا بتطريزٍ على شكل كواكب صغيرة، وتنورة فضفاضة مصبوغة بألوان كثيرة معروفة بفن «التاي داي»، ذكّرت مارك بشكل الألعاب النارية في ديزني لاند.

ولأنه دهس على إحدى قدمَيها من دون قصد، لاحَظ أنها حافيةُ القدمَين. كانت تبدو أجمل ممّا كان يتصوّر، بعينَيها الباهتتَين الزرقاوَي اللون مثل سماء الشتاء، واللتين كانتا في الماضي تجمِّدانه في مكانه. إنهما الآن متوهجتان وتنظران إليه بدِفْءٍ جعله بالكاد يتحمّل النظر إليهما. كانت كالنعيم، ولكنه لم يكن مرتاحًا. كونه مارك كان عليه أن يسأل.

ابتدأ كلامَه بمناداته:

«كيمبرلي ...» أشارت بيدها مقاطِعةً إياه: «توقَّف لحظة، تركتُ ذلك الاسم في الماضي مع شخصيتي البرجوازية القديمة. أنا أُدعى صن فلاور الآن». بلع ريقه بشدة وهز رأسه.

«حسنًا، صن فلاور».

«ما الذي أتى بكَ إلى هنا؟»

«إنني أقوم بتجربة».

نظرت إليه بتمعُّن وحَذَر حاملةً كأسًا من النبيذ.

قال: «انتهيث مؤخرًا من دراستي في معهد ماساتشوستس للتقنية، أمَّا الآن فأريد أن أحصل على شهادة الدكتوراه في الكيمياء الحيوية من جامعة كاليفورنيا».

«حسنًا، ولكن ما دخْلُ كل هذا بوجودك هنا؟»

«مجال عملي هو اكتشافُ كيفيةِ ترجمة/ترميز الحمض النووي للمعلومات الجينية. وقد نشرت مقالاتٍ تخصُّ هذا الموضوع من قبلُ».

كانوا يشبِّهونه بآنيشتاين في الجامعة، ولكنه كان أكثر تواضُعًا من أن يعترف بذلك.

«ولكن هذا الصيف وجدتُ شيئًا أثار اهتمامي أكثر من هذا الموضوع؛ كيمياء الدماغ».

نظرَت إليه بعينَيها الزرقاوَين دون أي تعبير.

«العقاقير المسبِّبة للهلوسة، والأدوية المؤثِّرة على الدماغ.

لقد قرأت جميع الكتب، مثل كتب ليري، ألبرت، وأنثولوجية سليمان. إنها حقًّا ... ما الكلمةُ التي أبحث عنها؟ إنها حقًّا مثيرةٌ بالنسبة لي».

انحنى إلى الأمام محرِّكًا القلم الموضوع في جيب صدره بين أصابعه ودون تفكير. في أوج حماسه لم يلحظ أنه دون قصد منه قد رشَّ سطح الطاولة برذاذٍ من اللعاب.

«إنه مجال جوهري ومهم للبحث. أنا شخصيًّا أظن أنه سيجيب على الكثير من الأسئلة المهمة، مثل: مَن نحن؟ ولماذا؟ وكيف؟»

نظرَت إليه وابتسامةٌ خفيفة ممزوجة بالاستغراب تعلو وجهها.

قالت: «ما زلتُ لا أفهم».

«إنني أقوم بعمل ميداني للحصول على محتوًى لبحثي بخصوص عالَم المخدرات ... الثقافة المضادة. أحاول الوصول إلى كيفية تأثير استخدام العقاقير المهلوسة على نظرة مستخدميها». بلَّل شفتَيه بلسانه وتابَعَ:

«أنا متحمس حقًّا لاكتشاف هذا العالَم الجديد الذي لم أكن أعلم بوجوده. ومع ذلك لم أصل إلى ما أريده، وبالرغم من أنني اقتنيت كل تسجيلات «ذا قريتفول ديد»، فإنني ما زلت

أشعر بأنني لا أنتمي إلى هذا العالَم. أريد حقًّا أن أكون جزءًا من حركة الهيبيز».

«الهيبي؟»

قالت بضحكة متعالية.

«هل تعيش حقًّا في زمننا هذا، يا مارك؟ إنها سنة ١٩٦٩. ثورة الهيبيز انتهت منذ عامَين الآن».

هزت رأسها وسألته:

«هل جرَّبتَ أي نوع من المخدرات التي تدرسها؟»

احمرَّ وجهه وقال:

«لا. أنا ... أنا لست مستعدًّا للقيام بهذه الخطوة بعدُ».

«يا لك من مسكين يا مارك! أنت دائمًا مشدود الأعصاب. على ما يبدو ستكون مهمتي سهلة، سأرِيك ما يفعله الناس في هذه الأماكن يا سيد جونز».

أزعجه تعليقها، لكن سرعان ما تبدَّلَت ملامحه وابتهج وجهه وشعر بالسعادة، اعتلَت وجهَه ابتسامةٌ كبيرة مظهرًا فيها أسنانه الكبيرة. «هل ستساعدينني؟»

أمسك يدها وسرعان ما أفلتها وكأنها لسعته.

«هل حقًّا ستساعدينني؟»

أومأت برأسها.

«رائع!»

ارتطم كوب الشاي بأسنانه عندما رفعه ليشرب، متذكرًا أنه فارغ من أثر سقوطه سابقًا. وضعه بهدوء على الطاولة مرةً أخرى.

«كنت أتساءل ... لماذا لم نحْظَ بمحادَثةٍ مثل هذه من قبلُ؟»

شعر بأن قلبه سيتوقَّف عندما أخذَت بيده ووضعَتها بين يديها.

«أوه، ماركـ!» قالت بصوتٍ حَنُون.

«ما زلتَ تحلِّل كل شيء. عندما تغيَّرت نظرتي إلى العالم أصبحت أرى الجميع بشكلٍ متساوٍ وجميل، ما عدا الخنازير الذين يقمعون الآخَرين. لكن أنتَ، أنتَ لم تتغير. أستطيع رؤية ذلك، أستطيع الإحساس بالهالة حولَك، أستطيع من خلالها معرفة ذلك. أنت مارك نفسه؛ الإنسان الطبيعي الذي عرفتُه منذ زمن».

دار رأسه في دوَّامة مثل أرجوحة فقَدَ السيطرة عليها.

بدأ الفصُّ الأيسر من مخه، وبتشاؤم، بالتفكير في احتمالية شعورها بالحنين إلى الماضي الذي تركته، وأنه جزء من حياتها القديمة وطفولتها. ولكنه حاوَل تجاهُلَ هذه الأفكار. إنها كيمبرلي آن، القوية والصعبة المنال. فكَّر أنها وفي أي لحظة ستلاحظ أنه دخيلٌ وأنه لا ينتمي إلى عالمها. ولكنها لم تلاحظ. فقد تحدَّثا طول الليل أو بالأحرى هي تحدَّثت وهو اكتفى بالاستماع، في محاوَلةٍ لتصديقِ ما يحدث. لكنه لم يستطِع.

أخيرًا، وعندما أخذت الفرقة الموسيقية استراحةً مستحقة، وقام أحدهم بتجهيز الجانب الأول من ألبوم ديستني الجديد في جهاز تشغيل الأغاني، أخذ الشكل الكلي للمكان يُطبَع في ذهنه؛ الظلام، الأنوار المنعكسة على شَعر أجمل امرأة في حياته، وصوت الفنان توم ماريون دوقلاس الخشن يُسمع في الخلفية. تلك الليلة غيَّرت فيه الكثير، ولكنه لم يلحظ ذلك بعد. كان مذهولًا وغارقًا في أفكاره لدرجةِ أنه لم يتفاجأ أو يُبدِي سعادة عندما وقفت كيمبرلي مُمسِكةً بيده وتقول:

«بدأت أشعر بالملل، هؤلاء الناس لا يعرفون الاستمتاع بوقتهم. ما رأيك أن تأتي معي إلى منزلي لنشرب ونتتشي سويًّا؟»

نظرَت إليه بتحدٍّ وشيء من السخرية التي اعتاد عليها عندما كانوا في المدرسة. إنه أسلوبها القديم. ارتدَت حذاءً بني اللون أحمر الحبال. وتابعَت:

«أو أنك أجبان من أن تفعل كل هذا؟»

جف فمه، أحسَّ وكأن هنالك كرة من القطن في لسانه.

«آه ... لا. يسرني الذهاب معكِ».

«لم أتوقَّع ذلك. ما زال هناك أمل في أن تتغير».

كان مارك مشوَّشًا عندما تبعها إلى مخرج النادي الليلي، وإلى متجر شراب كانت نوافذه مُحاطة بشِبَاك حديدية مثل قضبان سجن سان كوينتن، باع لهم صاحب المحل ذو الوجه الشاحب والرأس الأصلع زجاجةَ نبيذ بنفور وانزعاج. كان مارك بَتُولًا. كانت لديه خيالاته الخاصة، ولكن لم يتجرَّأ قَط على تخيُّل نفسه مع كيمبرلي آن الفاتنة. انجرف مارك معها في الشارع وكأنه ريشة، بالكاد يلاحظها وهي تتبادل التحية مع غريبي الأطوار والمشرَّدين في الشارع. لم يلاحظ مارك الدَّرَج الخلفي المتهالِك عندما تحدَّثت صن فلاور قائلةً:

«... ستحب مُقابَلة حبيبي؛ إنه حقًّا ضخم».

سحقَت هذه الكلماتُ رأسَه مثل الرصاصة وأفقدته توازنه.

أمسكت كيمبرلي بيده مُعِيدةً توازُنه ضاحكة.

«يا لك من مسكين يا مارك! لطالما كنت متوترًا. هيا أسرِع لقد اقتربنا».

وصلا إلى شقتها الصغيرة التي تحتوي على فرن كهربائي ومغسلة مسربة للماء في الحمام. بجانب واحد من الجدران يوجد مَرْتبة موضوعة على طوب بناء ومغطاة بشرشف مزركش مسندة على الباب. كان فيليب ذو العينين الداكنتين متربعًا تحت ملصَق جداري معظم لتشي جيفارا مقابل التلفاز المتنقل المتهالك، مُشاهِدًا مقاطعَ من المظاهرات الحاصلة. كان يرتدي قميصًا أسود مشدودًا حول صدره المفتول، وقد رُسِمت عليه صورة قبضة يد دامية مكتوب تحتها كلمة: «إضراب».

«ذلك المخلوق مَلِك السحالي يبدو مستعدًّا وشديد التركيز. هؤلاء المغفلون الآيائص لا يعلمون مع مَن يتعاملون. إنهم يواجهون أمريكا الفاشية ... مَن أنت بحق الجحيم؟»

أخذته صن فلاور إلى إحدى أركان الغرفة ... وبعد أن شرحت له - بصوتٍ هادئ ولكن حاد - أن مارك هو صديق قديم وليس جاسوسًا عسكريًّا، وأخبرته ألَّا يحرجها أمامه، وافق أن يصافح يده. رفع مارك رأسه ونظر إلى التلفاز؛ الذي عرض مقابَلةً لرجل مُلتحٍ ظن مارك أنه مألوف جدًّا.

سأل مارك: «مَن هذا؟»

ابتسم فيليب ابتسامة جانبية وقال: «إنه توم دوقلاس. المغني الرئيسي في فرقة ديستني. ملك السحالي». نظر فيليب إلى مارك وفحصه بتمعُّن من شعره الى أخمص قدمَيه.

«لا أظنك تعرفه».

بالطبع كان مارك يعرف دوقلاس وديستني إذ قام بشراء ألبومه، بلاك صنداي، من أجل بحثه، والذي كان غلافه أحمرَ قاتمًا وعليه شمس سوداء. ولكنه كان مُحرَجًا من قوْلِ كل هذا. قالت صن فلاور وبعينَين شاردتَين:

«كان يجب أن تراه اليومَ في العرض ناظرًا إلى هؤلاء الخنازير بتكبُّر لأنه مَلِك السحالي».

بعد انتهائهم من الحديث بدآ في تعاطي المخدرات؛ حيث أخرج كلٌّ منهما أنبوبَ تدخين مملوءًا بالمخدرات وبدأ بالتدخين. كان مارك ليقبل التدخين معهما لو عرضَت عليه صن فلاور، لكنها لم تفعل، فجلس في ركن الغرفة شاعرًا بأنه دخيل ولا ينتمي إلى هذا العالم. شعر وكأن جلده لا يتسع لجسده.

جلس منحنيًا بجانب كومة من الجرائد اليومية، في حين كان صاحِبا المنزل يدخنان على المرتبة. توقَّف فيليب عن إعطاء مارك محاضرات عن أهمية اقتناء الأسلحة، عندما شعر بأن رأسه سيسقط من التدخين، كما أنه شرب زجاجة كاملة من النبيذ الشديد الحلاوة وحده - مارك لم يسكر أيضًا - بدأت كيمبرلي بالاقتراب من حبيبها ومُداعَبته بطريقة جعلت مارك يشعر بعدم الارتياح، اختلق مارك عذرًا وخرج من الشقة، وبأعجوبة وصل إلى شقته. صبَّ محتوى زجاجة النبيذ التي اشتراها في المرحاض الذي اضطرَّ بعدها إلى شطفه خمسَ عشرةَ مرةً ليعود إلى لونه الطبيعي. وهكذا بدأ هوس مارك بصن فلاور؛ الآنسة كيمبرلي آن كوردراين.

♣ ♦ ♠ ♥

«أريدكِ ...» انتقلت الكلمات عبر الأثير لكل مستمعي الراديو الياباني بأسلوبٍ مثير وقَذِر، كان صوت المعلق عَذْبًا مع القليل من الحدة في آذان كل المستمعين ليلةَ رأس السنة. شد وجتك جرابوسكي معطفه المضاد للماء حول صدره محاولًا عدم الاستماع إلى الراديو. تحركت الرافعة حاملةً عوارضَ مثل الديناصور الميت تجاهَه بحركة متأرجحة. أشار إلى العامل المتحكم بالرافعة بحركاتٍ مبالَغ فيها.

«أريدكِ ...» شعر بنوبة غضب عندما أعاد مذيع الراديو

نفس الجملة. «أغنية من الماضي ... ١٩٦٦، وأشهر أغاني فرقة ديستني». قال المذيع بصوته المحترف اليافع. هؤلاء الأمريكيون يظنون أن عام ١٩٦٦ جزءٌ من العصور القديمة.

«أطفِئوا هذا الهراء البالي». قال أحدهم.

«تبًّا لك!» قال صاحب الراديو. كان في العشرين من عمره، يصل طوله إلى مترين، كان جنديًّا في البحرية، ومن الناجين من حرب فيتنام التي عاد منها منذ ستة أشهر.

انتهت المشاجَرة بينهما. لم يُرِد جرابوسكي أن يتدخل، ولكن تمنى من الولد أن يطفئ الراديو. كان متسامحًا، ذا جسد قوي، يستطيع أن يهزم أي رجل في نزالِ شرب. ولكنه يفضِّل أن يُبقِي كلَّ هذا لنفسه.

عندما نزلت العارضة وتجمع العمال لتثبيتها، أحسَّ بالهواء البارد الذي تخلَّل عظامَه، وشعر بالاستغراب لوجوده هنا. إنه الولد الأوسط النحيل المجهد لعائلة بولندية ناجحة. كان من الممكن أن يكون طبيبًا أو أستاذًا. كان يحسد أخاه كليمنت لكونه ضخمًا وشجاعًا وجذابًا بذلك الشارب الأسود الكثيف. انضم شقيقه إلى الشرطة؛ فقد أراد أن يصبح بطلًا. ولكن عندما أتى الألمان، قُتِل كليمنت برصاصة في مؤخرة رأسه من قِبَل الجيش السوفياتي في غابات كاتن، ودخلت أخته عالَمَ الإغواء لرجال الجيش الألماني ولم تَعُد قَط.

أمَّا أمه فتُوفِّيت إثر التفجيرات في مدينة وارسو، التي احتلتها القوات السوفياتية وجعلت النازيين يتولون أمورَ القتل والتفجير. كان أبوه مسؤولًا حكوميًا بسيطًا عايَش فترةَ التطهير التي حدثت في مدينة لوبلن.

بالنسبة لوجتك الأصغر، فقد تحطَّمت جميع أحلامه بالانضمام إلى الجامعة. قضى ست سنين ونصف بصفته عضوًا في حزب المقاوَمة البولندية في الغابات، وانتهى به المطاف هاربًا، منفيًا إلى بلاد غريبة، آخِر آماله أن يبقى حيًا.

«أريدكِ». أثارت الأغنية غضبَه، فلقد نشأ على موسيقى موزارت ومينديلسون. في رأيه هذه الأغنية ليست عن الحب أبدًا، إنها عن الشهوة ... إنها دعوة لممارَسة الرذيلة.

الحب عنى له الكثير؛ مثل النسمة الرطبة، تطوف أمام عينَيه، تتلاقى بلطفٍ نسمة الهواء الباردة.

تذكَّرَ زواجَه من آنا، التي تزوَّجها فيما تبقَّى من حطام الكنيسة التي دُمِّرت من قِبَل الألمان. وبعدما أتم القَسُّ مراسمَ الزواج، رفع ثوبه الأسود البالي وبدأ بعزف معزوفة للموسيقي المعروف باخ على آلة الأرغن، التي بمعجزةٍ ما خرجَت سليمةً من الانفجار. وبالرغم من أنه نُصِب لهم كمين من قِبَل النازيين في اليوم التالي، فإن تلك الليلة كانت ...

كانت ...

شاهَدَ الرافعةَ تحمل عارضة أخرى. تمكَّنت آنا من الهرب قبله إلى أمريكا مع عميل سري بريطاني في شهر جون سنة ١٩٤٥، حامِلةً ابنهما في بطنها. حارَب الأعداء أطول فترة ممكنة ثم تبعهما. وها هو الآن يعيش في أرضٍ أحبَّها مثل حب عاشقٍ لعشيقته، عاش ثلاثًا وعشرين سنة في هذه البلاد ولكنه لم يجد أثرًا للمرأة التي أحبَّها أو ابنه. لم يتبقَّ له شيء على الإطلاق. ولكن يعلم الله أنه بحث عنهما في كل مكان.

«أريييييدكِ ...»

لم يَعُد يتحمَّل سماع تلك الكلمات الفارغة مرة أخرى.

«... أن تموتي معي».

دوى صوت الموسيقى بشكل مخيف، ولِلَحظةٍ وقف ثابتًا تمامًا، وكأنما الريح جمدت العرق داخل قميصه. الكلمات التي ظنَّ أنها فارغة وبالية تحوَّلت إلى شيء مظلم، شيء شيطاني. هذا الشاب اليافع المتحدث باسم الشباب كتب هذه الأغنية التي ربما يَظهر أنها عن الحب والشهوة، وهي في الحقيقة مثل معزوفة توتينتاز، شعائر الموت.

استقامت العارضة وأطلقت صوتًا عاليًا جعل جرابوسكي

يفيق من تفكيره. كان مشدود الأعصاب ومتوترًا عندما أشار بيده إلى العامل أن يتوقَّف، وأخيرًا توقَّفت الأغنية، وأعلن المذيع اسم المغني توم دوقلاس. توم دوقلاس، الاسم الذي لن ينساه أبدًا.

♣ ♦ ♠ ♥

بعد مرور يومَين وبعد انتهائه من اجتماعه مع شركائه، قابَلَ مارك صن فلاور وذهبا معًا إلى الحديقة. كان لا يزال لديه أمل في بدء علاقة رومانسية معها. أخذَته معها إلى الحفلات الموسيقية، الحانات التي يوجد فيها الكثير من مغني فن الراب. انضمَّا إلى حشد كبير من المتظاهرين في الشارع. فعلَا كلَّ هذا معًا ولكن كأصدقاء، كأخٍ صغير وأقل خبرة، كصديقِ طفولتها، ووعدت نفسها أن تحرِّره من حياته المملة، ولم تُعامِله معامَلةَ حبيبةٍ لحبيبها. لم تعامله مثل فيليب.

لم يفقد الأمل في علاقته معها، والسبب هو عدم رؤيته لفيليب مرةً أخرى. لم يَرَ أيًّا من أحبائها القدامى أكثر من مرة. ذوقها في الرجال لم يتغير منذ أن عرفها، فهم دائمًا يتَّسِمون بنفس الصفات؛ شديدي المظهر، شهوانيين، رائعين وبقدرٍ ما يؤلمه الاعتراف بذلك فهم مفتولو العضلات، وجادُّون في علاقتهم معها.

كان يؤلمه كونه لا يتسم بهذه الصفات المذكورة، ولكن في أعماق قلبه كان يؤمن بأنها في يومٍ من الأيام ستتغير وستبحث عن علاقةٍ متَّزنة وجدية، وسيكون هو الاختيار المناسب لها. ولكن حتى الآن لم يقترب إلى هدفه؛ العالَم الذي تنتمي إليه صن فلاور وتجسِّده.

ساعَدَه هذا الأمل الضئيل على تخطِّي مدة فصل الشتاء، الأمل وكوكيز الشوكولاتة الذي أرسلته إليه أمه. كانت الموسيقى جزءًا مهمًّا في حياته؛ حيث نشأ في عائلة تحب الموسيقى والغناء، كانوا يستمعون إلى ميتش ولورانس ويلك حيث وصلت شُهرتهما أوجها في فترةِ رئاسة كينيدي. لم يحب والداه موسيقى الروك آند رول، ولم يسمحا بتشغيلها في منزلهم قَط. لم يكن لديه علم بهذا النوع من الموسيقى، لم يكن على دراية بأي شيء خارج دراسته وأحلامه الخاصة. لم يدرك مدى شهرة فرقه البيتلز وانتشارها عالميًّا، اعتقال ميك جاغر في جزيرة وايت في إنجلترا بسبب اللاكتيريا السريرية؛ وهي اعتقادٌ وهمي للبعض بأنهم مستذئبون، انتشار أغاني فرقة سمر أوف لوف، ونوعية أغاني الأسيد روك. أمَّا الآن فقد عادت إليه الذكريات؛ فرقة ذا ستونز، والبيتلز، وذا إير بلاين، وذا قريتفول ديد، وسبيريت آند كريم آند ذي أنيمالز، والثلاثي المشهور: جانيس، وجيمي، وتوماس دوقلاس.

توم دوقلاس بالتحديد، كانت أغانيه مُقلِقة وغامضة مثل الآثار القديمة، تخفي نذرًا مظلمًا. رغم ميوله للأغاني اللطيفة ذات الرسائل السعيدة، فإنه كان منجذبًا لأسلوب توم دوقلاس المظلم، الكوميديا السوداء، الأحداث الغامضة.

حتى الغضب المطلَق في أغانيه أثار اشمئزازه. ربما لأن توم دوقلاس يتَّصف بكل الصفات التي يريدها مارك، كان مشهورًا، مفعمًا بالحيوية، وشجاعًا، متماشيًا مع الموضة، ومحبوبًا من النساء، وآيضًا.

الآيائص والحركة: غزا الآيائصُ عامةَ الناس مثل الطائرة الحربية التي قاد والده مثلها فوق شمال فيتنام. كان وجود فنَّاني الروك آند رول الناجحين أكثر من أي مجموعة في العالم. قوتهم لم تكن سهلة؛ فبعضهم كانت لديهم القوة لتشكيلِ عرضٍ ساحر مضيء، وبعضهم يستطيع أداء عروض منفردة دون آلات موسيقية. ولكن أكثرهم يستخدمون الألعاب العقلية مع جمهورهم حيث يُوهِمونهم ويتلاعبون بمشاعرهم. توم دوقلاس – ملك السحالي – كان أكثرهم دهاءً.

♣ ♦ ♠ ♥

حل الربيع. كان مستشار عضو هيئة التدريس يضغط على

مارك ليعطيه نتائج بحثه. أحس مارك باليأس لعدم إيجاده حلولًا، أو أكان العيب في رجولته التي منعته من تعاطي المخدرات؟ لم يستطع إكمال بحثه دون التعاطي. أحسَّ وكأنه الذبابة المحنطة في الزجاج العضوي التي احتفظ بها والداه دون تفسيرٍ عندما كان صغيرًا.

بدأ شهر أبريل وانعزل مارك عن العالم الخارجي مثل الكائنات الدقيقة بين جدران بيته. ألح عليه مرشد هيئة التدريس وضغط عليه من أجل إصدار نتائج بحثه. كره نفسه لعدم إيجاده النتائجَ المرغوب فيها. كان لديه جميع تسجيلات فرقة ديستني، ولكنه لم يجرؤ على تشغيلها، ولا أي فرقة أخرى، ذا ديد، ذا ستونز، أو مارترد جيمي. فهذا تَحدٍّ لم يكن مستعِدًّا لتخطِّيه. خرج من غرفته بعدما تناول كويكز بالشوكولاتة وشرب مشروبًا غازيًّا، وعندها لمح نقطة ضعفه التي جعلته يحن للماضي؛ حبه للقصص المصوَّرة. ليس فقط الكلاسيكيات مثل الحكايات الأسطورية وسوبرمان وباتمان من عصر البراءة قبل أن يقرِّر البشر استخدام البطاقات الجامحة، ولكن أيضًا توابعها الجديدة التي ضمت واستوحت شخصيات آيصية قوية وحقيقية، مثل بيني دريدفول من الغرب القديم. قرأها جميعها بحماس. أشبعته بشغفٍ افتقده منذ زمن.

كان تلهُّفه ليس للقوى العظمى، ولا لشيء غريب. لا للاندماج في العالم الغريب وتلك الحضارة المتناقضة، ولا لشهوته لجسد كيمبرلي آن كورداين المَرِن والعاري، والذي أبقاه مستيقظًا ليلةً بعد ليلة. ما أراده مارك حقًّا وأكثر من أي شيء أن يكون شخصًا فعَّالًا وناجحًا؛ أن يكون شخصًا قادرًا على أن يترك بصمته في العالم، سواء أكانت بصمة جيدة أم سيئة.

في ليلة في نهاية أبريل، قُطعت خلوة مارك بصوت نقر على الباب. كان جالسًا على مرتبته النحيفة المغطّاة بشرشف لم يغيِّره منذ زمن، دافنًا أنفه بين صفحات قصة مصوَّرة بعنوان السلحفاة مجلد رقم ٩٢. ساوره شعور بالخوف وتحوَّل إلى غضب بسبب تلك المقاطعة. فقد قرر أن العالم صعب جدًّا ولم يُرِد أن يفهمه، يريد تركه وشأنه. لِمَ لا يعامله العالم بالمثل؟

عاد النقر مجددًا بإلحاح على الباب. أطلق تنهيدة:

«ماذا تريد؟» قال بتذمُّر.

«هل ستفتح لي الباب أم إنني مضطرة لكسره؟»

للحظة لم يتحرك. وأخيرًا وضع القصص المصوَّرة على الأرضية الخشبية بجانب السرير، وذهب إلى الباب مرتديًا

جوارب قديمة متهالكة. وقفت صن فلاور واضعةً يديها على خصرها. كانت ترتدي تنورة مزركشة بألوانِ عَلمِ أمريكا، وقميصًا ورديًّا فاتحًا ومعطفًا من خامة الجينز من ماركة ليفايز طُبِع على ظهره شعارُ النسر (شعار اتحاد عمَّال المزارع)، كما طُبِعت علامة السلام جهةَ صدْرِها الأيسر. دخلت إلى الغرفة وأغلقت الباب خلفها.

«انظر إلى هذا القرف».

قالت باشمئزاز: «كيف لأي شخص أن يعيش في مكانٍ مثل هذا؟ هل كل ما تأكل هو السكر المعالج؟»

أشارت برأسها تجاه صحن الكويكز وكأس المشروب الغازي الذي شربه.

«هل تحشو رأسك بهذه الأفكار الاستبدادية المتسلطة؟» – ألقَت نظرة ثاقبة أخرى على القصة الملقاة على الأرض «السلحفاة». هزت رأسها:

«مارك إنك تقتل نفسك ببطء، لقد عزلتَ نفسك عن العالم وعن أصدقائك وكل مَن يحبك. يجب أن تتوقَّف». وقف مارك ناظرًا إليها، كانت تبدو جميلة في عينَيه رغم توبيخها له وهي تتحدث بنبرة شبيهة بنبرة أمه أو بالأصح نبرة أبيه. فجأة، بدأت الرجفة تَسْري في جسده الذي غدا مثل الشوكة

الرنَّانة، فقد اعترفَت له بحبها، كان مدركًا أنها لم تقصد الحب الرومانسي الذي أراده، ولكنه لم يستطِع التحكم بمشاعره.

«يجب أن تخرج من قوقعتك وخارج أسوار غرفتك قبل أن تتحوَّل لأحد كائنات «نايت أوف ذا ليفينق ديد»(10)».

«لديَّ الكثير من العمل لأقوم به». رفعت حاجبها ووكزت مجلد السلحفاة ٩٢ بطرف قدمها.

«ستأتي معنا».

«إلى أين؟» قال.

«ومع مَن؟»

«ألم تسمع؟»

هزت رأسها بخيبة

«على الأرجح أنك لم تسمع، فأنت حبيس غرفتك مثل الراهب. لقد عادت فرقة ديستني لإقامة حفلة الليلة في فيلمور. أعطاني أبي بعض المال وابتعت التذاكر، لي أنا وأنت وبيتر. فَلْتبدأ بتغيير ملابسك وَلْنُسرِع حتى لا ننتظر في الصف لفترة طويلة. وأرجوك، هل من الممكن ألَّا تظهر بمظهر الرجل الممل؟»

بدا بيتر وكأنه راكب أمواج، بل بدا له وكأنه كارل ماركس. تذكَّر مارك أحدَ أحباء كيمبرلي السابقين كابتن فريق كرة القدم، والذي كسر أنفه لأنه أطال في النظر تجاه كيمبرلي. وقف بيتر خارجًا مرتديًا معطفًا متسخًا من التويد مع جينز يبدو أنه الوحيد الذي يملكه، مستنشقًا الهواء الرطب والدخان، استمع إلى المحاضرة التي ألقاها عليه بيتر، ذات المحاضرة التي سمعها من جميع أحباء صن فلاور السابقين. عندما لم يتفاعل مارك معه بحماس – ولم يفهم معنى مصطلحاته ليبدي رأيه – نظر إليه بيتر بنظرة ثاقبة وقال:

«سأدمرك».

لاحقًا ... اكتشف مارك أن هذه الجملة هي مقولة شهيرة مأخوذة من الرجل الكبير ذي اللحية. أراد مارك أن تنشقَّ الأرض وتبلعه خارج المبنى. ابتسامة صن فلاور لهما وكأنهما فازا بجائزة، لم تساعد الموقف. لحسن الحظ مُشاجَرة بيتر مع الشرطة لتفتيشهم بحثًا عن الشراب عند البوابة أدت إلى صبِّه جامَ غضبه عليهم بدلًا من مارك. أراد مارك مع شعوره بالذنب أن يضرب الشرطي بيتر على رأسه بالعصا، وأن يزجَّ به في السجن.

ولكن كانت الليلة خاتمة لأصخب جولة فنية لفرقة ديستني. قدرة توم دوقلاس على شرب الخمر وتعاطيه

العقاقير الكيميائية المنبهة للعقل تساوي عظمة قواه الآيصية، فقد كان يسكر بشدة قبل جميع حفلاته. كان ملك السحالي في حالة من الهيجان؛ فحفلة الأسبوع الماضي في نيو هايفن انتهت بشغب أدى إلى تدمير نصف مدينة يال وحَرَمها الجامعي؛ لذلك كانت الشرطة تتفادى إثارة غضبهم اليوم.

لم يكن تفتيشهم بالقرار الصائب، ولكن أرادت الشرطة وإدارة فيلمور التقليلَ من جموح الحشود قدرَ الاستطاعة واضِعين في الاعتبار أن توم دوقلاس سيثير من ذلك الجموح على أية حال؛ لذا فقد أقرَّت الشرطة قرارَ التفتيش بحذر. لهذا السبب لم يضرب الشرطي رأس بيتر الأشقر كما أراد مارك.

أول حفلة لمارك كانت بالضبط كما توقَّع، في المستوى العاشر. تأخَّر دوقلاس ساعتَين عن موعد العرض، وعندما أتى كان شديد الثمالة، حتى إنه بالكاد استطاع الوقوف، ومن ثَم لم يستطِع إثارة جمهوره الذي يحبه. أما بقية أعضاء الفرقة فقد كانوا من أفضل الفنانين في عالَم الروك، خبرتهم كفَّرت عن خطايا دوقلاس. بالتدريج ووسط أدائهم حول الهيكل العظمي، ووسط مرمرة دوقلاس وحركاته غير المفهومة، تحوَّل إلى شيء سحري. تحوَّل صوت الموسيقى

إلى انفجار من حمض الليسرجيك مذيبًا الزجاج الحاجز أمام مارك، مخترقًا جلده، ولاسعًا جسده.

في نهاية العرض، انطفأت الأضواء. وبدأ صوت الطبول يضرب ببطء. صوت الجيتار صاخبٌ وكأنه بكاءُ شخصٍ يتعذب. تسلَّط ضوء المسرح على دوقلاس وحده مع الميكروفون في ركن المسرح، ببنطاله المصنوع من الجلد اللامع مثل جلد الثعبان. بدا بغناء آهات بطيئة وبصوت منخفض، ارتفع صوته وازداد غناءه في السرعة، هكذا كانت افتتاحية أغنيته، التحفة الفنية، وقت الأفعى «سربنت تايم». ارتفع صوته وصرخ فجأة، أُضِيئت الأنوار وبدأت الفرقة بالعزف حوله مندفعين فجأة مثل الأمواج الهائجة حول الصخور، متجهين في رحلة إلى آخر الليل. وفي النهاية فعل ما هو معروف به. انبعثَت حوله هالة سوداء شديدة الحرارة منتشرة بين الحاضرين. كان تأثيره يصعب على الوصف وهمي، وكأنه نوع جديد من المخدرات؛ كان شعوره لبعض المشاهدين مساويًا لذروة نشوة الأكستاسي (منشِّط مشتق من الأمفيتامين)، تحوَّل شعور البعض نحو مخاوفهم الدفينة؛ فقد رأوا أكثر مما يتمنَّونه، وأمَّا البعض الآخر فقد رأوا الجحيم.

وفي وسط تلألُؤ منتصف الليل، بدا توم دوقلاس وكأنه

يتضخَّم إلى أن يصبح كبيرًا جدًّا، ومن حين إلى آخَر يبرق وجهه الوسيم ويتحوَّل إلى ثعبان الكوبرا، أسود وخَطِر، وهو يتمايل صادحًا بالغناء. وصلت الأغنية إلى أوجها وسط صياح المغني وصوت الأرغن وعزف الجيتار، وجد مارك نفسه واقفًا والدموع تنزل من عينَيْه وعلى وجهه النحيف، مُمسِكًا صن فلاور بيد، وممسكًا شخصًا آخَر بيده الأخرى، أمَّا بيتر فكان جالسًا على الأرض بحزن، ووجهه بين يدَيه مهمهمًا عن الانحلال.

♣ ♦ ♠ ♥

اليوم التالي كان نهاية أبريل. غزا نيكسون كمبوديا وانتشر الخبر حول المدينة مثل متفجرات النابالم. وجد مارك صن فلاور واقفةً مع حشد كبير من الناس مستمعة إلى خطاباتهم الغاضبة في حديقة جولدن جيت.

«لا أستطيع فعلها».

صرخ لتسمعه بين ضجيج الناس: «لا يمكنني الانتقال ... لا يمكنني».

«أوه مارك!» ردت صن فلاور بغضب ووجهها مليء بالدموع.

«كم أنت أناني، برجوازي».

غيَّرت اتجاهها واختفت داخل الحشد بعيدًا عنه. كانت هذه آخِر مرة رآها منذ ثلاثة أيام. فقد بحث عنها في كل مكان بين الأجساد الغاضبة، بين أكبر اللوحات المعارضة لنيكسون والحرب، خلال الدخان الصادر من تدخين الماريجوانا التي فاحت رائحتها مثلما تفوح رائحة زهور العسل. شكله العادي جذَبَ نظراتٍ عدائيةً، تمكّن من تفادي الكثير من المواجَهات البَشِعة في أول يوم، كارهًا نفسه لعدم مَقْدرته على الاندماج مع الحشود المندفعة حوله. كان الوضع مشحونًا بالثورة. لم يكن الوحيد الذي يشعر بأن رغبة الناس في الثورة تتزايد مثل الشحنات الكهربائية لدرجةٍ يمكن شمها في الهواء. وأخيرًا وجدها بعد ثلاثة أيام في الثالث من مايو في مظاهَرة استمرت طوال الليل.

كانت جالسةً على العشب الذي نجا من أقدام المتظاهرين، عازفةً على الجيتار دون هدف، مستمعة إلى حديث الناس عبر المكبرات.

«أين كنتِ؟» سألها مارك. غطسَت قدمُه في بركة من الوحل بسبب المطر. نظرت إليه دون رد وهزت رأسها. وبذعر جلس بجانبها على الوحل:

«صن فلاور، أين كنتِ؟ لقد بحثتُ عنكِ في كل مكان».

نظرت إليه وهزت رأسها بحزن.

«لقد كنتُ مع الناس الذين أنتمي إليهم».

اقتربت منه وأمسكت بذراعَيه بقوةٍ فاجأَتْه.

«حيث تنتمي أنتَ أيضًا يا مارك. لكنك أناني. وكأنك تحتمي بأنانيتك. فلديك الكثير لتقدِّمه ونحن نحتاج كلَّ المساعدة الممكنة لمحارَبة الظلم قبل أن يفوت الأوان. انطلِق يا مارك، حرِّر نفسك».

تفاجأ مارك عندما رأى دموعًا متجمعة في ركن عينَيها.

«إنني أحاول».

قال بصدق.

«لكنني ... لكنني لم أستطع فعلها».

هبَّت نسمة من الريح، باردة ورطبة، مشوشةً الخطابَ الصادر من المكبرات. ارتجف مارك.

«يا لكَ من مسكين يا مارك! لقد قيَّدك أهلك ومدرستك في سترةِ مجانين. يجب أن تحرِّر نفسك مارك».

بلَّلت شفتَيْها. «أظن أنني أستطيع مساعدتك».

اقترب منها بحماس: «كيف؟»

«يجب أن تكسر الحواجز، كما ذُكِر في الأغنية. يجب أن تفكر بتفتُّح». أدخلت يدها في جيب معطفها الجينز المطرَّز، وأخرجت قبضةَ يدها موجِّهةً إياها إليه. «أشرقت» قالت وفتحت يدها لتظهر عقاقير بيضاء مجهولة ودون اسم. «أسيد».

نظر إلى الأقراص بتمعُّن. ها هو موضوع دراسته. هدفه الذي يريد الوصول إليه. صعوبة الحصول على عقاقير الهلوسة، الـ «إل إس دي»، قانونيًّا - وتردُّده المتجذر والعميق للحصول عليه من السوق السوداء، مع إحساسه الحَدْسي بأن تجربته الأولى في السوق السوداء ستؤدي به إلى سجن سان كوينتن - ساعَده في تأجيل يوم الحساب. قد عُرِض عليه أخذ الأسيد من قِبل أصدقاء من قبلُ؛ لكنه لطالما رفض أخذه، متعذرًا بأنه لا يمكنه الوثوق بمخدرات الشارع وما يوجد فيها، ولكنه في الحقيقة كان متخوفًا من تعدِّي حدوده مع أصدقائه. ولكن العالم الذي لطالما حاوَلَ الدخول إليه اندفع إليه مثل أمواج البحر، المرأة التي يحبها مقدِّمةً له تحدِّيًا وإغراء، بدأت العقاقير تذوب في المطر. أخذها منها بسرعة وخفة، وكأنها ستحرق جلده. وضعها في جيب بنطاله، متشبِّعة بالطين كمحاكاة فاشلة في فن صبغ «التاي داي».

«يجب أن أفكر في الموضوع صن فلاور، لا يمكنني الاستعجال في أمور كهذه».

لم يعلم ماذا يقول أو يفعل، قام من مكانه ذاهبًا.

أمسكته من ذراعه: «لا، ابْقَ معي هنا. فإنك إن ذهبت الآن فسوف ترمي بها في المرحاض».

سحبته ليجلس بجانبها بمسافة أقرب مما توقَّع، عندها لاحَظ عدم وجود صديقها ذي الشعر الأشقر.

«ابْقَ هنا مع الناس. بجانبي». تمنى لو أنها أخبرته بأن يبقى معها فقط، وأنها لم تشمل الناس، ولكنه جلس بجانبها على أية حال على الطين. جلسا معًا طوال الليل البارد، تقرفص الاثنان محتميان داخل معطفها، متلاصِقَي الكتفين، بينما الخطيب يكمل كلامه مهدِّدًا بالثورة – المواجَهة الأخيرة مع أمريكا. وفي الصباح الباكر بدأ المتظاهرون بالإحساس بالجوع؛ فذهبوا في مجموعات حول حَرَم الجامعة متوجِّهين إلى مقهًى صغير، لم يتمكَّن مارك من تذوُّق الإفطار العضوي الذي طلبوه، بينما تحدَّثت صن فلاور عن أهمية تحرير نفسه من القيود. مدت يدها لتمسك يده النحيلة الشاحبة ووضعتها بين يدَيها السمراوين الصغيرتين.

«عندما رأيتك في النادي الليلي الخريفَ السابق، كنتُ

فَرِحة جدًّا لمقابَلتك؛ لأنني كنت أحنُّ للماضي وطفولتي بالرغم من سوئهما، ولكنك كنت ذكرى جميلة».

أنزل عينَيه إلى الأرض، ورفرفت عيناه مرارًا من جرَّاء صدمته من اعترافها الصريح ... لقد اقتربَت منه ليس لشخصه، بل لما يمثِّله بالنسبة إليها.

«ولكن نظرتي تجاهَك تغيَّرَت يا مارك». رفع عينَيه اليها مجددًا، وبتردُّد مثل غزال في الصباح الباكر، مستعِدًّا للفرار في أي لحظة لوجود الخطر. «أصبحتُ أقدِّرك أكثر لشخصك، الشخص الذي تريد الوصول إليه. شخصيتك الحقيقية موجودة داخلك، مختبئة خلف تسريحة شعرك القصيرة، نظَّارتك العريضة، وطريقة هندامك. هناك شخص داخلك يبكي طالبًا الخروج». وضعت يدها فوق يده وربَّتَت برقة.

«أتمنى أن تطلق سراحه يا مارك، إنني حقًّا أريد التعرف إليه. لقد حان الوقت لتقرِّر. لا أستطيع الانتظار أكثر. حان الوقت ... اختَر الآن، مارك».

«أتقصدين ...؟» تعثَّر لسانه. كان عقله مشوشًا، لقد أوحت إليه كلماتُها بأنها تريد نقل علاقتهما من صداقةٍ إلى شيء أكثر، ولكنها كانت في نفس الوقت تهدِّده بالخروج من حياته إن لم يتحرك وفْقَ رغباتها. رافَقَها إلى منزلها، وعندما وصلا التفتت إليه مُمسِكةً برقبته، قبَّلَته بشراسة. ومن ثَم اختفت

داخل الشقة، تاركةً إياه مصدومًا.

«أخيرًا لقَّنوا أولئك الشيوعيين درسًا في الصميم».

واقفًا بجانب مبنى تحت الإنشاء ليصبح يومًا ما ناطحةَ سحاب، يرتشف الشاي الدافئ من الترمس؛ استمع وجتك جرابوسكي إلى نقاشات زملائه عن الأخبار الجديدة المنتشرة في كل راديو. أطلق الحرس الوطني النار على حشدٍ من الناس في حَرَم جامعة كينت في ولاية أوهايو، وأعلن عن موت بعض الطلاب. لم يبالِ أحدٌ بالأمر، وظنَّ الجميع أنه أمر كان يجب فعله منذ زمن. اتفق معهم، ولكن الأخبار أدخلَت إلى قلبه الحزنَ وليس السعادة.

لاحقًا، مشى ناظرًا إلى الأشعة في السماء، تفكَّر في تفاصيل المأساة الحاصلة. حارَبَ الجيش الأمريكي للدفاع عن القيم الأمريكية وإنقاذ الأمة الدكتاتورية من غضب الشيوعيين – بعض الإخوة الأمريكيين الذين انتقدوهم وبشدة. كان «هو تشي منه» مصورًا كبطل، ليبرالي.

كان جرابوسكي يعلم أنها كذبة؛ فقد عانى الكثير وتعلم ما يعنيه الشيوعيون بكلمة «حرية». عندما سمع الشيوعيين يحيونهم كالأبطال، ظهرت في مخيلته صورة أصدقائه

وأقاربه المقتولين، يبكون باستنكار. كان يعلم أن هذا ليس ما يمثِّله المتظاهرون، إنها حقيقتهم. أطفال بامتيازات، من الطبقات المخملية، محارِبو النظام الذين دلَّلهم ووفر لهم راحة وأمانًا لا مثيلَ لهما في تاريخ الإنسانية. كانوا يصرخون بجملة «أمريكا تقمع شبابها». ولكنه يرى الموضوع من وجهة نظر أخرى: أمريكا في خطر بسبب شبابها.

لقد تم تضليلهم من قِبَل رجل فاسد، توم دوقلاس قادهم إلى طريق الضلال. فقد قرأ الكثيرَ عن هذا المغني عندما صدمته أغنيته الشتاء الماضي. كان يعلم أن دوقلاس رجلٌ ملوَّث بسموم غير مألوفة/فضائية، بعثت في عصر يوم من شهر سبتمبر سنة ١٩٤٦، إنه ابن الشيطان، الذي شهد جرابوسكي ولادتَه على متن سفينةٍ رسَت على ميناء جزيرة جوفرنرز. لا عجبَ في تحول الأطفال إلى ثعابين لكي يلدغوا أهاليهم، فهم تحت إمْرة رجل يعتبره الشيطان ابنًا له.

«هاي!» صرخ جندي سابق في البحرية ضخم البِنية حاملًا الراديو. «هؤلاء الهيبيز الأوغاد يتظاهرون في شارع مجلس البلدية، محطِّمين النوافذَ وحارِقين علم أمريكا!»

«أولئك الملاعين!»

«يجب أن نفعل شيئًا تجاه ذلك! نحن في وسط ثورة الآن». قام أحد المحاربين السابقين بلبس جاكيته المصنوع من

الجينز، ووضع قبعة حديدية على رأسه ذي الشعر القصير. «إنهم لا يبعدون الكثير عنا. لا أعلم بشأنكم ولكنني أريد فعل شيء تجاهَ هذا». ثم خرج مسرعًا. أراد جرابوسكي الاعتراض طالبًا منه التوقف والذهاب إلى السلطات؛ لأن في رأيه عندما يبدأ الناس في محاربة بعضهم، سيفوز الشغب. ولكنه لم يتمكَّن من قول شيء؛ فقد كان غاضبًا مثل الآخرين، وخائفًا، كونه الوحيد منهم الذي شهِدَ عواقب الثورات من قبلُ. ووسط ضياعه بين مشاعر الخوف والغضب أمسك بالعارضة بكل قوته. انغمست أصابعه في الحديد وكأنها تُمسِك معجونًا يسميه الأمريكيون الآيس كريم. في هذه اللحظة تحوَّل إلى وحش.

♣ ♦ ♠ ♥

قضى مارك بقية يومه في حالةٍ مُلِئت بالشهوة والأمل والخوف. بينما الكل تفاعَلَ إما بالخوف وإما بالحماس. قضى يومه في شقته مع صحن من الكوكيز، منغمسًا بين أوراق وكتب عن الـ إل إس دي (عقاقير الهلوسة)، مخرجًا شريط الأسيد (حمض الليسرجيك) الذي أعطته إياه، متفحصًا ومقلِّبًا فيه بيده من جميع الجوانب وكأنه طلسم. ومع شروق الشمس في الصباح الباكر، مرت بداخله موجةُ عزمٍ دفعته إلى وضع الأقراص في فمه. ابتلعها بمساعدة مشروب

غازي بنكهة البرتقال، وبسرعة حتى لا يسيطر عليه التوتر ويمنعه مرة أخرى.

كان يعلم من أبحاثه وقراءاته أن الأسيد سيأخذ من ساعة إلى ساعة ونصف ليبدأ مفعوله. حاوَل إضاعة الوقت متنقلًا من صفحات أنثولوجية سليمان إلى قصص مارفل إلى قصص زاب المصوَّرة التي جمعها بهدف فهم هذا العالم. بعد مرور ساعة، زاد توتره ولم يقدر على انتظار مفعول الأسيد وحده، فخرج من شقته وذهب إلى صن فلاور ليخبرها بأنه وجد شجاعته واتخذ خطوةً مصيرية وأنه خائف من بقائه وحده عندما يبدأ تأثير العقاقير.

يصعب عادةً إيجادُ صن فلاور؛ فهي مثل بتلات الورد المتناثرة في الهواء، ولكنه كان على عِلم بأنها دائمًا ما تكون في أماكن قريبة من جامعة كاليفورنيا في بيركلي، والتي أصبحت مركز التجمع الثقافي الشبابي في منطقة خليج سان فران سيسكو عوضًا عن شارع هيت، فهي تعمل في محل بجانب حديقة بيبولز. وهكذا، في حوالي الساعة التاسعة والنصف في صباح الخامس من مايو ١٩٧٠، دخل الحديقة متوجهًا نحو أعظم مواجَهة بين الآيائص وحقبة فيتنام كلها.

للحظة خاطفة، كان الجميع – القوى العسكرية والأعداء – يعلمون بأنه حان الوقت للمقاتَلة في الشارع. إن الثورة قادمة الآن، ستبدأ بغضب وتنتهي مثل مجزرة كينت. حكّام «الباي إيريا» المتطرفون قد استعانوا بحشودٍ ضخمة في حديقة بيبولز، ليس فقط القوات العسكرية بل فرقة القوات المسلحة لرونالد ريجان قد انضمت لمساعدتهم.

في الساعة العاشرة إلا ربعًا انسحبت الشرطة من المنتزه، مشيدين حصارًا حول حَرَم الجامعة لمنع حركة الناس وانتشار الحرائق. فقد كانوا مجموعة من الصِّبية وبعض الشاحنات المملوءة برجال القوات المسلحة مرتدين ملابس الجيش وكمامات الغاز على بُعد أربعون مترا. تحرَّكت شاحناتهم ببطء وباستمرار مُصدِرةً صوت قرقعة وصرير، وصلت ناقلةُ جنود مجنزرة وضخمة محمَّلة بجنودٍ مسلَّحين لتتوقَّف خلف حد الحِراب، داهسةً على العشب. وقف رجل من رجال الجيش مرتديًا زي الكابتن بصرامة وحزم على قبة سيارة عسكرية، حاملًا رشاش عيار ٥٠ أوتوماتيكيًا، ومرتديًا ما يبدو كخوذة لاعب كرة القدم نوت روكني على رأسه. انحسر الطلاب مثل انحسار عطارد في الإصبع الصغيرة في علم قراءة الكف. كانوا يصرخون راغبين في نقل الحرب إلى موطنهم؛ مثل بقية إخوتهم في أوهايو، ويبدو أنهم نجحوا في ذلك؛ فقد كان الحراس يستدعون بين كل فترة

وأخرى لكي يُنهوا بعض المظاهرات، ولكن شكل ناقلة الجنود المدرعة المربعة والبَشِعة أصبحت تمثّل شيئًا آخَر وجديدًا، فقد أصبحت علامة تدل على الخطر، خطر لن يفلت منه حتى الأكثر حذرًا؛ الأمر الذي أضعف الحشدَ وجعل الفزع يعم. ظهر بين الحدود شخصٌ نحيل مرتديًا الجلد الأسود.

«نحن هنا لكي تُسمَع أصواتنا». قال توماس ماريون دوقلاس بصوت مرتفع وحاد، «وستُسمع أصواتنا حتمًا بحق الجحيم».

بعد سماع كلماته بدأ الحشد باستجماع قوته؛ فقد كان واقفًا كالنجم اللامع - آيص - متخذًا صفهم. في الجهة المقابِلة من الحراب المطوقة وقف جنود الحرس الوطني والخوفُ والقلق يملآن أعينهم خلف أقنعتهم الزجاجية المتينة. فقد كانوا جنودًا في بداية شبابهم، انضموا إلى الجيش ليتفادوا الذهاب إلى حرب فيتنام؛ ولكنهم على عِلم مع مَن يتعاملون. فالكثير منهم كان يملك تسجيلات فرقة ديستني، وكانت ملامح دوقلاس المتغطرسة تحدِّق إليهم من الملصقات المعلقة على جدران غُرَف نومهم. فقد كان من الصعب استخدام الأسلحة والرشاشات ضد شخص تعرفه حتى ولو كانت معرفةً سطحية مثل معرفتهم له من خلال تسجيلاته وصوره في المجلات المشهورة. أما قائدهم فقد

كان أشد حِدة؛ فكان يُصدِر الأوامر بصرامة وصراخ واقفًا على قبة مركبة عسكرية. إنه يأمرهم بإطلاق غازات مسيلة للدموع، أطلقوها عليهم كالمذنبات وشاهدوها تسقط على دوقلاس وأتباعه المتجمعين حوله. تدفَّق دخان أبيض كثيف وغاز مسيل الدموع حاجِبًا المغني عن الرؤية.

أخذ مارك الطريقَ المختصرة عبر الممر الضيِّق وتمكَّن من تفادي حدود الشرطة. وصل إلى منطقة جانبية مكَّنته من رؤية قدوته واقفًا محاطًا بالدخان من حوله مستسلمًا للموت مثل المستشهدين في العصور الوسطى. وقف وشاهَد المواجَهة بين الطرفَين تأخذ مجراها. ثم بدأ الأسيد يأخذ مفعوله. بدأ بفقدانه الإحساس بكولاجين جسمه، ولكن المنظر الذي أمامه كان عظيمًا لدرجةٍ منعَته من الهلوسة. ومع قوة رياح الصباح التي أبعدت الغازات والدخان المحيط بالمكان، ظهر رجلٌ واقفًا على قدمَيه وقبضتا يدَيه مرفوعتان للأعلى، انسدل شعره الكستنائي حول وجهه العريض الذي كان يومض، متحولًا إلى رأس كوبرا كبيرة، جلدها أسود لامع، وظهرها منفرد كبير. تراجَعَ جنود الحرس الوطني؛ فمَلِك السحالي كان بينهم. تقدَّم المَلِك بحركات ملتوية انسيابية. ابتعد الكل عن طريقه. أطلق أحدهم عليه حربة، ربما لأنه لم يبتعد بسرعة كافية، لأنه وبحركة خفيفة بيده بدت وكأنها حركة كسولة ومترفعة ولكنها

حصلت بسرعة تَفُوق سرعة البشر، أطار الرشاش في الهواء كما فقد صاحبُه توازنه وسقط على الأرض مطلقًا صرخة مليئة بالخوف. صرخ الكابتن من داخل مركبته الحديدية بصوتٍ عال، محاوِلًا تشجيع وإعادة الحماس في قلوب رجاله الخائفين. ولكن كما توقَّع، قام مَلِك السحالي بسحرهم وتشتيت تركيزهم بألعابه العقلية؛ أصبحت أعينهم تنظر في الأرجاء بضياع، ساعين وراء الجمال الخلّاب أو الرعب الطاغي المخدِّر للعقل، كل منهم تأثّر بطريقةٍ مختلفة بهالة مَلِك السحالي السوداء. تقدَّم الحشد إلى الأمام، مردِّدين الترانيم، صارخين، مهدِّدين. لم يكن لدى الكابتن خيارٌ آخر سوى فعل الشيء الوحيد الذي يمكنه فعله؛ ضغط على زناد مدفع رشاش آلي من عيار ٥٠. أطلق الرشاش رصاصاتٍ متتالية وبصوتٍ عالٍ محطمة الزجاج ومفجِّرة سيارة من نوع ڤولكس ڤاجن. استمر بإطلاق طلقات متتالية على رؤوس المحتجين المكشوفة مبتسمًا بانتصار، وشاهد الحشد يتفرَّق صارخًا بخوف. أرعب صوت طلقات النار مارك، شعر معه وكأنه ضُرِب بوسادة كبيرة أفقدته توازنه وتراجع إلى الممرات الملتوية واللانهائية. ومع ذلك فقد كان المنظر لا يزال أمامه، مثل الضوء في نهاية الممر، كان مريعًا ومستمرًّا. لم يُصَب أحدٌ من الطلقات، ولكن الكثير من المتظاهرين، مثل مارك، وقفوا ضد الواقع الذي حاوَل رسولهم ماو إخبارهم

عنه: من أين تأتي القوة؟

كان توم دوقلاس واقفًا بالقرب من ومض المتفجرات لدرجةِ أنها أحرقت عينَيْه قليلًا. ولكنه لم يتحرَّك بالرغم من أن صوت المتفجرات كان مرتفعًا جدًّا ولا يُقارَن بصوت أقوى المكبرات الصوتية، وفي المقابل أطلق زئيرًا عاليًا؛ مما جعل الجنود يتعثرون خائفين كالجرار الصغيرة.

وبوَثْبة هائلة، وقف فوق المركبة. انحنى وأمسك بالرشاش الآلي، وسحبه. اقتلع الرشاش، الذي كان من طراز براونينق، من حامله مثل شتلة منزوعة من جذورها. رفع السلاح فوق رأسه بيدَيه الاثنتَين وبقبضةٍ من عضلات أكتافه ويدَيه قام بكسر الرشاش إلى قطعتَين. فقد عبَّر عن كرهه لهذه الآلات التي تستعين بها هذه المؤسسة في الحروب، ألقى بالرشاش المتلَف خلف الجنود الهاربين المهزومين هزيمةً ساحقة، انحنى ليرفع الكابتن المرعوب من المركبة من قميصه. رفعه أمامَه مباشَرةً وساقاه ترفس في الهواء بضَعْف.

وفجأةً تلقَّى ضربةً قوية من الخلف من آيص غير معروف.

وتحوَّل مارك. بصرخة تبخَّرت روحه إلى بخار أسود. تحوَّل جسمه على غير هدًى.

♣ ♦ ♠ ♥

رأى جرابوسكي جسم الأفعى الخبيثة يصعد على المركبة مقتلعًا الرشاش من مكانه، وكان يعلم أن هذا هو التصرف الصحيح للنجاة.

إخلاصه وتفانيه للمذهب الكاثوليكي منعه من الانتحار، فقد أسرع إلى الهروب من موقع الحرب – هاجِرًا بقية العمال الذين ذهبوا لمهاجَمة المتظاهرين – وذهب إلى شقته الصغيرة ساهرًا طوال الليل في ازدراء، مردِّدًا صلوات صامتة. بزغ الفجر وأشرقت الشمس؛ كان يعلم – بإحساس قوي – أن معاناته الآيصية أُرسِلت من الإله، فقد كانت هِبةً وليست لعنة.

الثورة هدَّدت بيته الصغير من قِبل أولئك الذين كرَّسوا ولاءَهم للقوى المظلِمة. استعدَّ للخروج، اغتسل وارتدى لباسه وذهب للمنتزه والسلام يملأ قلبه.

هذه المرة كان في مواجَهته وحشٌ له أكثر من رأس واحد. كان على معرفة بأنه واقف وجهًا لوجه أمام عدوِّه توم دوقلاس. تملَّكه الغضب. تحوُّله لآيص خرج عن سيطرته. فرَدَ عضلاته الكبيرة التي ملأت ملابسه الواسعة إلى حد الانفجار. كان مرتديًا خوذةَ عمله الحديدية على رأسه، حاملًا في يده مفتاحَ براغ طويلًا. تلاشى تردُّده في استخدام قوته ضد بشر عاديين؛ فقد كان أمامه عدو خائن بنفس قوته، آيص –

خادم الشيطان.

انطلق إلى الأمام بسرعةٍ وقفز على المركبة في نفس اللحظة التي كان الوحش ذو رأس الأفعى والرداءِ الأسود ينتزع قائدَ الفرقة من مَرْكبته. صرخ الطلاب صرخاتٍ تحذيرية لم يسمعها دوقلاس. هاردهات (الخوذة الحديدية) رفع يده وضرب بسلاحه رأسَ الأفعى، الذي أخذ يتغير ما بين رأس أفعى مرعب ورأس رجلٍ ذي شعر أشعث، ضربه بهذه القوة التي قد تؤدي إلى فصل رأس أحدهم عن جسده أو تهشِّم جمجمته. ولكن تحوُّل دوقلاس المستمر من رجلٍ إلى أفعى شتَّت تسديدةَ جرابوسكي؛ فلم تؤثِّر فيه الضربة بشكلٍ كبير. سقط القائد من يدَي دوقلاس الذي كان يتلوى من الألم وكأنه كتلة من لحمٍ دون عظم، إثرَ قوةِ ضربة المفك، أدى وقوعه إلى انبعاجِ سقف المركبة وكأنها مصنوعةٌ من القصدير. ظنَّ أنه قتله، أحسَّ جرابوسكي بقوته تتناقص؛ فهو يحتاج إلى الغضب لكي يبقى في حالته القوية، ولكن كل ما كان يشعر به هو الخِزْي. وبيأسٍ أدار وجهه للحشد وراءه وقال:

«عودوا إلى بيوتكم». صرخ بلهجته الإنكليزية الخشنة. «اذهبوا إلى منازلكم الآن. انتهى كل شيء. يجب أن تتوقَّفوا عن المحاربة بعد الآن. أطيعوا قادتَكم واحْيَوا بسلام».

حدَّق إليه الجميع دون تعابير. امتصَّ ندى الصباح دخانَ الغازات المسيلة للدموع وسقط على الأرض مسمِّمًا العشب. التوى القليل من الدخان بشكل لولبي بالقرب من الأرض مثل الثعابين الميتة. تساقَطت الدموع من عينَي جرابوسكي بحزن. لماذا لا ينصتون إليَّ؟ صرخ شخص في آخِر صفوف الحشد بأعلى صوته:

«تبًّا لك! تبًّا لك أيها الفاشي الملعون». عندما ناداه هذا الرجل بهذا اللقب، ولكونه رجلًا ما زال يحمل آثار طلقات رصاص فاشي في جلده من قِبل رجال مدلَّلين، جاهلين، وَقِحين، اعتراه الغضب مرةً أخرى وبشدة ازدادت معها قوته فوق الطبيعية.

في نفس اللحظة، ولحُسْن حظه قام دوقلاس واستجمع قواه مرةً أخرى ووقف على قدمَيه، أخذ بساق هاردهات، وسحب حذاءه من تحته. ارتطمت خوذة جرابوسكي الحديدية بسطح المركبة مُصدِرةً صوتًا مثل شريحة صنج. بنفس مقدار الغضب الذي يعتري الرجل الذي أطاح به، أمسك به دوقلاس عندما سقط، ورماه على باب السيارة الجانبي، ثم بدأ بتسديد ضربات متتالية بقوته الآيصية. ولكن جرابوسكي كان يمتلك متانةً وقدرة تحمُّل خارقة أيضًا. جر سلاحه بين جسدَيهما ودفع دوقلاس عنه بعنف.

انزلق دوقلاس بسبب لزوجة العشب، ولكنه تمالَكَ نفسه بسرعةٍ بقدرة الأفاعي واندفع عليه بهجمة. تراجَعَ بسرعة على أطراف أصابعه مثل راقصات الباليه، مما جعله بالكاد يتفادى هجمة جرابوسكي الشرسة بمفكِّه، والتي كانت تبعد بوصةً واحدةً من صدره. اندفع دوقلاس من خلال قوس المفك القاتل. وصارع خصمه موجِّهًا لكمات لأضلاعه. أخذ جرابوسكي خطوةً إلى الوراء، ووضع يده على صدر دوقلاس ودفعه إلى الوراء. تعثر دوقلاس إلى الوراء. ضرب جرابوسكي بالمفك بقوة.

أنقذَت ردةُ فعل دوقلاس العكسية السريعة والخارقة إصابتَه المحققة في نصف رأسه. خدش طرفُ الأداة الحديدية الحاد جبهتَه وسال الدم منه. تراجَعَ بغضب ماسحًا عينه بيد ومستخدِمًا الأخرى في تسديد الضربات حتى يتفادى تلقي الضربات. لوَّح هاردهات بمفكه مثل مضرب البيسبول وضرب دوقلاس بقوة مصدرًا صوتًا مرتفعًا كصوت انفجار قنبلة. سقط دوقلاس أرضًا. وقف هاردهات فوقه بساقَين منفرجتَين، رافعًا المفك عاليًا فوق رأسه وكأنه جلّاد مستعِد لتسديد الصفعات. سال الدم من طرف فمه. كان هائجًا بشدة ومن دون ندم، من دون تعاطُف، مجرَّدًا من جميع الأحاسيس، ما عدا رغبته الجامحة في تحطيم جمجمة خصمه. وفي ذات اللحظة التي كان على وشك أن

يضرب فيها بالمفك اللامع الملطّخ بالدم، الْتَفَّت حوله سلسلةٌ ذهبية من الخلف وأوقفَته قبل أن يتحرك. كانت ردةُ فعلِ هاردهات سريعةً وذات تكتيك حربي، فقد أراح عضلات يده لكي يتجه المفك تجاه القوة الشديدة التي سحبَته. ثم سحب السلاح إلى الأمام وإلى الأسفل، ملتفًّا حوله ومركِّزًا وزن جسده كله على السلسلة ليُضعِف ويخفِّف من قوة جرها. لكنه عندما تحرَّك، تفاجأ بانحلال السلسلة مما أدى إلى طيران المفك بصوت موسيقي. كانت حركة جامحة وغير متوقَّعة، دار هاردهات تمامًا، مندفعًا إلى الأمام، وأكمَلَ دورته ليأتي وجهًا لوجه أمام خصمه الذي يبعد عنه خمسة أمتار واقفًا على أرضية مدمرة ومليئة بالطين.

وقف أمامه شابٌّ في بداية حياته، نحيل وطويل، ذو شعر أشقر يصل إلى كتفَيه، حاملًا سلسلةً ذهبية طويلة في نهايتها صحن دائري. وبالرغم من الهواء البارد، كان يرتدي بنطال الجينز فقط. مقارَنةً بطول جرابوسكي القصير وبشرته الداكنة، بدا وكأنه جندي نازي.

«مَن أنت؟»

قال بصوت غليظ. ثم تذكَّر أنه تكلَّم بلغته الأم، أعاد نفس سؤاله بالإنكليزية هذه المرة. قطَّبَ الشاب حاجبَيه بارتباك.

«نادِني بـ راديكال». ثم قال بابتسامة. «أنا هنا لحماية

الشعب».

«خائن!»

قال هاردهات وهاجمه بعنف ملوِّحًا بمفكه. تفادى راديكال الهجمة. لم يهم عدد هجمات هاردهات أو قوتها، أو عدد المرات التي حاوَلَ خداعه فيها. ففي كل مرة يتفادى خصمه الهجمات بسلاسة وسهولة. توقَّف هاردهات بإحباط لعدم قدرته على تسديد ضربة واحدة إلى الفتى الذهبي، ونقل اهتمامه إلى دوقلاس الذي كان يتأوَّه بألم على الأرض. ولكن راديكال لم يتوقَّف، فقد أطلق هجومه الذي بدا كالشرار المنسوج بالذهب على شكل علامة السلام في الهواء، مانعًا هاردهات من تسديد ضربته القاضية بشرارات مبعثرة، بينما وقف الطلاب والجنود مذهولين من المنظر.

وبالرغم من أن هاردهات لم يستطع الهجوم بسبب هذه التعويذة، لم يُرِد أن يَردَّ راديكال الضربة له. عندما لاحظ أن هاردهات بدأ بالتراجع عن الهجوم وتحريك سلاحه بتهديد، بدأ راديكال باتباعه. تحرَّك بتدفُّق كالبخار. تحرَّك هاردهات في دائرة بعكس عقارب الساعة. استمر راديكال في التقدم محافظًا على سرعته نفسها. وتدريجيًا أبعد القطب خصمه ذا الشعر الطويل عن دوقلاس المرتمي على الأرض.

وبسرعة البرق انعطف يسارًا ورمى نفسه على الناس

المتجمهرة. وبالرغم من أن سرعته لا تصل لسرعة راديكال، لكنه كان سريعًا جدًّا في كل الأحوال، وكان بين حشد المتظاهرين قبل أن يتمكنوا من الحَرَاك، رافعًا سلاحه مستعدًّا للتدمير.

تفاجأ راديكال ولم يتمكَّن من التحرك في الوقت المناسب. بقي مفك هاردهات ثابتًا في السماء، متجمدًا مثل ذبابة محنطة. انطلق راديكال بسرعة فائقة إلى الأمام بهجومٍ كان دافعُه اليأس، ملوِّحًا بميداليته الكبيرة ومسددًا ضربةً موجَّهة خلف رقبة خصمه التي تشبه جذع الشجرة. ضرب سلاحه رقبته مثل فأس وجذع شجرة. لم تكن ضربته بنفس عظمة وقوة مَلِك السحالي، ولا تُقارن بقوة مفك جرابوسكي، ولكنها كانت قوية بشكلٍ كافٍ لتُفقِد هاردهات تركيزه بحيث أخلَّت توازنه ليقع بوجهه على العشب والطين. وقف راديكال فوقه بتأهُّب، ملوِّحًا بميداليته الكبيرة بجانبه بشكل دائري. وبعد لحظات قصيرة انضم إليه دوقلاس. نظر إلى خصمه على الأرض بعبوس وقال:

«أعتقد أن بعضًا من أضلعه قد كُسِرت». قال بصوتٍ عالٍ خشن. «ما هذا بحق الجحيم؟»

وقف الاثنان يشاهدان هاردهات يتقلَّص ويتحوَّل من حالته القوية إلى شخص متين ذي شعرٍ منحسر المقدمة،

يرتدي ملابس واسعة، استلقى على الأرض ووجهه مدفون في الطين، يبكي وكأنه مفطور الفؤاد.

هز دوقلاس رأسَه ذا الشعر الأشعث والتفت إلى الشخص الذي أنقذه:

«أنا توم دوقلاس. شكرًا لإنقاذ حياتي».

«هذا من دواعي سروري».

هتف الجمهور بصوتٍ عالٍ وفرح عندما تقدَّم دوقلاس وعانَقَ الرجلَ الطويل ذا الشعر الأشقر. تراجع جنود الحرس الوطني وتركوا مركبتهم الحربية وراءهم. ربما لم تنجح الثورة هذه المرة. ربما لن تنجح أبدًا، ولكن على الأقل تم إنقاذ الأطفال. صرَّح توم دوقلاس في التلفاز بأن راديكال هو رفيقه، وأعلن عن إجراء احتفالية كبيرة لم تَشهدها المدينة من قبلُ. بينما كان جنود الحرس غارقين في دمائهم، لم تُظهِر الشرطةُ قلقَها من الأوضاع، وانطلق الآلاف من الشباب إلى المنتزه لدعم أبطالهم المنتصرين وتعظيمهم. اتخذوا الدبابة المجنزرة المتروكة من قِبل الجنود مسرحًا مرتجلًا. خيَّمَ الجمهور في المنتزه وشكَّلت خِيَمهم الملوَّنة منظرًا مثل الفِطر الملوَّن. انتشر صوت الموسيقى العالي مع المخدرات والخمر بين الناس بسهولة طوال اليوم والليل، وبحرية تامة. في منتصف المنتزه، وقف توم دوقلاس وصديقه

الغامض متوهجَين، محاطَين بنساء حسناوات مُطِيعات – من ضمنهن الحسناءُ ذات الشعر البني الذي انسدل مثل جذع شجرة الصفصاف، والعينين الزرقاوين مثل الثلج المجمد، التي تُدعى صن فلاور، والتي لم تفارق راديكال. كانت ملتصقةً به وكأنها تبرعمت ونبتَت من جسمه مثل التوائم السيامية. لم يشارك هذا الرجل الغامض أي معلومة عن نفسه عدا أن اسمه راديكال، وتفادى كل الأسئلة الشخصية عن هُوِيته وكيفية وجوده في المكان المناسب في الوقت المناسب، فقد رد وبابتسامة خجولة:

«لقد جئت للمساعدة فقط». وفي الفجر، انسحب بهدوء من الاحتفالات التي أوشكت على نهايتها، واختفى.

ولم يَرَه أحدٌ بعد ذلك.

في ربيع عام ١٩٧١، أُسقِطت جميع الاتهامات الموجَّهة إلى توم دوقلاس، التي نشأت من المواجَهة التي حصلت في منتزه بيبولز، والتي صدرت من د. تاكيون الذي تلقَّى مكالمة من «سكير» ليساعدهم في التحقيق في الحادثة، في نفس الوقت الذي أصدر فيه ألبوم ديستني بمسمى سيتي أوف ذا نايت. وبعد ذلك أطلق صاعقةً هزت عالم موسيقى الروك، عندما أفصح عن أنه سيعتزل – ليس فقط عالَم الفن بل كونه آيصًا. فقد أخذ علاج الدكتور تاكيون الناجح، وكان من

الثلاثين في المائة المحظوظين الذين نجح علاجهم. لقد ترك مَلِك السحالي وراءه وأصبح توماس ماريون دوقلاس، الرجل العادي. تُوفِّي بعدها بستة أشهر إثرَ جرعات زائدة من المخدرات والخمور، فقد كان يستهلكها بجرعات كبيرة عندما كان آيصًا وهي التي مكَّنَته قدراتُه الخارقة حينها من تحمُّلِها. أما بعد أن غدا إنسانًا عاديًا، فقد تدهورت حالته الصحية بشدة. مات بسبب التهاب رئوي في فندق قَذِر في باريس في خريف عام ١٩٧١.

أما بالنسبة لهاردهات، فقد أجرى معه الدكتور تاكيون مُقابَلة في اليوم التالي بعد المواجَهة. كان منوَّمًا في المستشفى تحت الملاحظة الطبية بسبب إصابته بارتجاج دماغي بسيط. أصرَّ وجتك جرابوسكي على أن عدوَّه لم يهزمه. «كل ما تحتاجه هو الحب».

هذه كانت حكمته – فالحب كان ما هزمه. أو هذا على الأقل ما قاله؛ ذلك لأنه عندما هجم على الحشد في ذلك اليوم وجد نفسه واقفًا وجهًا لوجه أمام آنا، زوجته، التي فقدها قبل عقدَيْن ونصف من الزمن. ولكنها لم تكن آنا. قال وعيناه تملؤهما الدموع.

فقد لاحظ بعض الاختلافات في لون الشعر وشكل الأنف. وبالطبع، آنا لم تَعُد شابة في بداية العشرينيات، ولكن ابنتهما

حتمًا ستكون في أوائل عشرينياتها. كان جرابوسكي مقتنعًا بأنه أخيرًا قابَلَ ابنته التي لم يَرَها قط. لم يستطع تحمُّلَ فكرةِ إيذاء أعز أشخاص إلى قلبه في لحظة غضب عابرة. كانت تلك هي اللحظة التي اصطدم فيها سلاح راديكال برأسه. اللحظة التي حوَّلَته من آيص قوي إلى شخص عادي.

متأثِّرًا بما قاله جرابوسكي، ساعده الدكتور تاكيون في البحث عن ابنته في جميع أنحاء المنطقة. لم يتوقَّع الطبيب إيجادها ولكنه لم يخبره بذلك؛ لأنه وفي تلك اللحظة التي رآها فيها، كان مَلِك السحالي يسترجع قوته، وتأثير هالته السوداء ما زال مستمرًّا. وتلك الهالة السوداء تجعلك ترى ما تتمنى. هذا كان توقُّع الطبيب.

لم يتفاجأ الطبيب عندما انتهى البحث دون نتائج. ففي كل مناسبة، كرَّس الدكتور وقتًا ليساعده في إيجادها والسؤال عنها. عاد إلى المنطقة الشرقية بعدما انتهى من مساعدة جرابوسكي ومحققي «سكير».

بعد مرور شهرَين، وصله خبر باختفاء جرابوسكي، حتمًا للبحث عن عائلته المفقودة. ومنذ ذلك الحين لم يسمع أحدٌ به أو بهاردهات.

وبالطبع براديكال ...

في أول ساعات الصباح في اليوم السادس من شهر مايو سنة ١٩٧٠، خرج مارك مترنحًا من الممر المؤدي إلى منتزه بيبولز ورأسه ممتلئ بالضجيج الأبيض، مرتديًا بنطالًا من الجينز لا شيء غيره. لم يتذكّر أيًّا من الأحداث التي حصلت له، وبالكاد تمكّن من استيعاب المكان الذي كان فيه. وجد نفسه بين آثار احتفالات اليوم السابق، عيناه متعبتان بسبب الخمول ولكنها تتحرَّك بسرعة هائلة بسبب أحداث اليوم السابق الفظيعة.

«كان يجب أن ترى ما حصل». قال الجميع. وعندما وصفوا أحداثَ صباح اليوم السابق، بدأ بتذكُّر أحداثٍ متقطعة غير مترابطة بدت وكأنها غير حقيقية جعلته يتساءل هل كان معهم فعلًا؟!

هل كان يتذكر تجربته الشخصية؟ هل كان تأثير الأسيد قويًّا لدرجةٍ تمكِّنه من تخيُّل الأحداث بشكلٍ واضح وكأنه عاشها شخصيًّا؟ لم يعلم الإجابة. كل ما يعلمه هو أن راديكال يمثِّل حلمه؛ إذا أصبح مارك ميدوز بطلًا، فسيكون مثل راديكال.

عندما رأى صن فلاور واقفةً بقُربه، بشعرٍ أشعث وعينَين حالمتَين تقول:

«أوه مارك! لقد قابلتُ أروع رجل». تلاشت كل أحلامه في

إمكانية أن يصبح أكثرَ من صديقٍ لصن فلاور، إلا في حال كان هو فعلًا راديكال. كان يعلم ماذا يفعل. فقد تعلَّمَ أكثر مما كان يَعِي خلال ذهابه مع صن فلاور في رحلات التدريب في الشارع؛ ففي الليل عندما جلس متربعًا على مرتبته مع قصصه المصوَّرة وبعضٍ من الكوكيز، أمسك بقبضته كيسًا مملوءًا بعقاقير الليسرجيك المهلوسة. بدأ بالإحساس بالهلوسة والثمالة في ذات اللحظة التي أخذ فيها أول حبة. لم يحدث شيء. لم يتحوَّل إلى راديكال؛ فقد كان تحت التخدير والهلوسة فقط.

لم يخرج من شقته لمدة أسبوع، كان يتغذى على الفتات المتعفِّن، مستهلكًا جرعات كبيرة من الأسيد بمجرد تلاشي مفعول الجرعة السابقة. لم يحدث شيء.

وعندما انتهى من أخذ جميع الحبوب خرج مترنحًا للبحث عن المزيد منها. ثم بدأت رحلة البحث.

♣ ♦ ♠ ♥

---

(9) باي إيريا (Bay Area): يقصد بها المدن المحيطة بخليج سان فرانسيسكو.

(10) فلم «ليلة الموتى الأحياء» (Night of the Living Dead).

الفاصل الثالث

من «بطاقة جامحة جميلة»

بقلم توم ولفي

نيويورك، يونيو ١٩٧١

مممممم. هذه جيدة. إيج رول صغيرة، مُلِئت بلحم الكابوريا والجمبري. لذيذة جدًّا. ولكنها مدهنة بعض الشيء. أتساءل ما الذي يفعله الآيائص لإزالة بقع الدهن من على أصابع قفازاتهم؟ ربما كانوا يفضِّلون الفطر المحشو، أو فتات جبنة روكفور صغيرة لُفَّت مع مكسرات مطحونة، كل ذلك يُقدَّم لهم في هذه اللحظة على صحون فضية يحملها نوادل طِوال القامة مبتسمون بلباس عِلِّيَّة الآيائص ... هذه هي الأسئلة التي يتفكَّر بها المرء في أمسيات البطاقة الجامحة.

على سبيل المثال، ذلك الرجل الأسود هناك بقرب النافذة، الذي يصافح هيرام ورتشيستر شخصيًّا، ذلك الذي يلبَس القميص الأسود الحرير المعطف الجلدي الأسود وتلك الجبهة المنتفخة تمامًا، ذلك الرجل الأسود خطير الشكل وبشَرته بلون الكوكا وله عينان لوزيتان، الذي نزل من المصعد بصحبة ثلاث من النساء أكثر سحرًا من أية امرأة رآها أيٌّ منهم على الإطلاق، حتى هنا في هذه الغرفة الممتلئة بالجميلات

... هل هو، آيص، آيص متوقَّع، سيأخذ إيج رول صغيرة محشوة بالجمبري ولحم الكابوريا حين يمر بجانبه النادل، وفقط يلقمها ويُنزلها في حنجرته دون أن يفقد حرفًا من عبقرية هيرام المثقفة، أو أنه رجل الفطر المحشو ... هيرام رائع. رجل ضخم، رجل صعب، بطول ستة أقدام وبوصتين وعريض المنكبين، في ضوء خافت قد تعتقد أنه أورسن ويلز. ذقنه السوداء منسقة بشكل مثالي، وحين يبتسم تظهر أسنانه ببياضها الناصع. وهو يبتسم كثيرًا. إنه رجل دافئ، رجل كريم، ويرحب بالآيائص بنفس المصافحة السريعة الحازمة، بنفس تربيتة الكتف، وبنفس الرتم الذي يحيي به ليليان، وفيليشا وليني، العمدة هارتمان، وجيسون، وجون، ودي. دي. كم تظنون وزني؟ يسألهم مرحًا، ويصر على أن يجيبوا، مائة وعشرون كيلو جرامًا، مائة وأربعون، مائة وستون، مائة وثمانون. يقهقه من إجاباتهم، قهقهة عميقة، قهقهة رنانة؛ لأن ذلك الرجل الضخم كان يزن أقل من خمس عشرة كيلو جرامًا، وقد وضع ميزانًا هنا في منتصف علية الآيائص، مطعمه الفاخر على قمة برج الإمباير ستيت، محاط بالكريستالات والفضة ومفارش المائدة البيضاء الناصعة، ميزان كالذي تجده في صالة الألعاب الرياضية، فقط ليثبت وزنه. يقفز إليه ومنه برشاقة كلما تحدَّاه أحدهم. خمسة عشر كيلوجرامًا، ويستمتع هيرام كثيرًا بطرفته تلك. ولكن إياك

أن تلقِّبه بالسمين. فهذا الآيص قد خرج من رِزمة البطاقات، إنه نوع جديد من الآيائص، الذي يعرف الأناس المناسبين وجميع أنواع النبيذ المناسب، والذي يبدو صحيحًا تمامًا في التكسيدو، ويملك أرقى وأفخم مطعم في المدينة.

يا لها من ليلة! رُصّت الطاولات من حولهم، الفضة لامعة، وأَلْهِبه الشموع الصغيرة منعكسة على النوافذ المحيطة، سواد بلا قاع به ألف نجمة، وتلك هي اللحظة التي يعشقها هيرام. يبدو أن هناك ألف نجمة بالداخل ومثلها بالخارج، برج في مانهاتن مليء بالنجوم، أعلى وأعظم برج على الإطلاق، مُلِئ بأناس رائعين منجرفين في السماء، جيسون روباردز، جون ودي. دي. رايان، مايك نيكولاس، ويللي جو نامات، جون ليندزي، ريتشارد أفيدون، ليونارد برينستين، أوتتو بريمينجير، جولي بيلفونت، باربرا والتيرز، آل بن، آل أونيل ... والآن، في هذا الموسم من أمسيات البطاقة الجامحة، الآيائص.

ذلك الجمع من الناس، تلك المجموعة الآسرة، معشوقون وحماسيون، بأكواب الشامبانيا الزجاجية النحيلة الطويلة في أيديهم وتعابير الطرب على وجوههم، في خضمهم، مركز اهتمامهم جميعًا، كان رجل ضئيل في تكسيدو مخملية، تكسيدو برتقالية مخملية، بذيول، وقميص أصفر ليموني

بكشكشات، وشعر أحمر لامع قصير. تيسياني برانت تسأرا سيك حاليما سيك راجنار سيك أوميان محبي الحفل مجددًا، كما ولا بد أنه كان يفعل حين كان على تاكس، وبعض الأناس الرائعين من حوله ينادونه حتى «الأمير» و«الأمير تيسياني»، رغم أنهم عادة لا ينطقونه بنطقه الصحيح، ولأغلبهم، الآن وللأبد، سيبقى د. تاكيون. إنه حقيقي، هذا الأمير من كوكب آخر، ومجرد فكرة وجوده؛ منفي، بطل، سجنه الجيش وحاكمته هوك، رجل عاش حياة ضعف حياة أي بشر، ورأى أمورًا لا يستطيع أحدهم أن يتخيلها، والذي يعمل بإيثار بين بائسي بؤرة الجواكر، فالحماس ينتشر في علية الآيائص كهرمون مارق، وتاكيون يبدو متحمسًا كذلك، يمكنك معرفة ذلك من الطريقة التي تنزلق بها عيناه الملونتان كثيرًا لتتسكّع على المرأة الشرقية النحيلة التي وصلت مع ذلك الآيص الآخر، الخطير المدعو فورتشناتو.

«لم أقابل آيصًا من قبل»، بدأت الأغنية. «هذه أول مرة». تردد الحماس في أجواء عِلِّيَّة الآيائص، حتى أصبح الطابق السادس والثمانون بأكمل يطن مع الأغنية، أول مرة، لم أعرف أحدًا مثلك من قبل، أول مرة، لطالما أردت لقياك، أول مرة، وفي مكان ما في تربة ويسكونسين الرطبة، يتلوى جوزيف مكارثي في تابوته بصوت طنين حادٍّ، وكل ديدانه جاءت لتبيض الآن. هؤلاء ليسوا مدَّعي هوليوود، ولا

ساسة كئيبين، ولا زهور أدبية متلاشية، ولا جواكر بائسين يستجدون المساعدة، هؤلاء نبلاء حقيقيون، هؤلاء الآيائص، هؤلاء الآيائص المكهربون الساحرون.

جميلة جدًّا. أرورا، جالسة إلى بار هيرام، مظهِرة ساقها الطويلة جدًّا التي جعلتها نخب برودواي، تجمهر الرجال حولها، ضاحكين على كل فكاهاتها. مبهر، شعرها الأحمر المذهَّب، متجعِّد ومعطر، متساقط على كتفيها العاريين، وتلك الشفاه المتورِّمة ذات البراطم، وحين تضحك، يتلألأ الشفق القطبي من حولها وينفجر الرجال بالتصفيق. لقد وقَّعَت لتمثِّل فيلمها الأول العام المقبل، ممثلة قبال ريدفورد وإخراج مايك نيكولز. أول ممثلة آيصة تمثل في فيلم مهم منذ ... لا، لا نود ذكر اسمه، أليس كذلك؟ ليس ونحن نمرح.

مذهلة جدًّا. الأشياء التي يستطيعون فعلها، هؤلاء الآيائص. رجل صغير أنيق يلبس لباسًا أخضر بالكامل يظهر بذرة بلوط وحَفنة من التراب، يتسلَّف كأس براندي من عامل البار، ويُنْمي شجرة بلوط صغيرة هناك في منتصف علية الآيائص. امرأة سمراء بملامح حادة منحوتة تصل في جينز وقميص من القماش السميك، ولكن حين يهددها هيرام بأن يصرفها، تصفِّق يدها وفجأة تغطيها الدروع من رأسها حتى أخمص قدميها في معدن أسود يلمع كشجر الآبنوس. صَفقة

أخرى، وأصبحت ترتدي ثوب سهرة، مخمل أخضر، منسدل من على أكتافها، يناسبها تمامًا، حتى إن فورتشيناتو نظر إليها مرتين. حين نفد الثلج، تقدم رجل أسود صُلب قوي البنية، أمسك بزجاجة النبيذ، وتبسم بصبيانية بينما يغطي الصقيع خارج الزجاجة. «الحرارة المثالية». قال وهو يناول هيرام الزجاجة. «أكثر من ذلك ستصبح ثلجًا صُلبًا». يضحك هيرام مهنئًا، ولو أنه لم يتشرَّف. يبتسم الرجل الأسود بغموض. «كرويد»، هذا كل ما قاله.

رومانسية جدًّا، مأساوية جدًّا. بالأسفل عند نهاية البار، في الجلد الرمادي، أليس هذا هو توم دوقلاس؟ إنه هو، إنه هو، ملك السحالي شخصيًا، سمعت أنهم قد أسقطوا لتوِّهم التُّهَم، ولكن أي شجاعة تلك، أي التزام، أتساءل، ما الذي حدث لذلك المدعو راديكال الذي ساعده؟ يبدو دوقلاس فظيعًا. ضائعًا، مشغول البال. تجمهروا بالقرب منه، وانقلبت عيناه للأعلى ولبرهة تلوح فوقه شبح كوبرا عظيمة سوداء، ظلمة تقابل ألوان أرورا المتلألئة، وانتشر الهدوء في علية الآيائص حتى تركوا ملك السحالي وشأنه مجددًا.

متوهج جدًّا، مفعم جدًّا بالحياة. يعرف سايكلون كيف يظهر لحفل، أليس كذلك؟ ولكن هذا سبب إصرار هيرام على شرفة الغروب، ليست فقط للشرب تحت نجوم الصيف

ومنظر غروب الشمس المهيب عبر هدسون، ولكن ليوفر لآيائصه مكانًا للهبوط، ولكن من الطبيعي أن يكون سايكلون أولهم. لِمَ تركب المصعد بينما يمكنك ركوب الرياح؟ وطريقته في الهندام، مغطّى بالأبيض والأزرق، بذلته تجعله يبدو رشيقًا وفاخرًا جدًّا، وتلك الحرملة، كيف عُلِّقت من على معصميه وكاحليه، لتنتفخ عند الطيران حين يجعل الرياح تهب. حين دخل، مصافحًا هيرام، خلع خوذة الطيارين. إنه قائد الموضة، سايكلون أول آيص يلبس بذلة حقيقية، وقد بدأ منذ ١٩٦٥، قبل ظهور الآيائص الآخرين مؤخرًا، لبس بذلته حتى خلال هذين العامين الكئيبين في فيتنام، ولكن فقط لأن رجلًا لبس قناعًا لا يعني بأن عليه بَدء عادة إخفاء هويته، أليس كذلك؟ لقد مضت تلك الأيام، فسايكلون هو فيرنون هنري كارلايل من سان فرانسيسكو، يعلم ذلك العالم بأسره، لقد مات الخوف، هذا عصر ليالي البطاقة الجامحة حيث يرغب الجميع بأن يكونوا آيائص. قطع سايكلون مسافة طويلة من أجل هذا الحفل، ولكن التجمع ما كان ليكتمل دون آيص الساحل الغربي، أليس كذلك؟

بالرغم من اعتقاد الغالبية بأنه كذلك، بالنجوم الآيائص يتلألؤون في كل الأرجاء بليلة صافية تستطيع رؤية ثمانين كيلومترًا بكل اتجاه، ولكن حقيقةً لم يكن الجمع مكتملًا بحق، أليس كذلك؟ إيرل سانديرسون ما يزال في فرنسا،

بالرغم من أنه قد أرسل اعتذارًا صادقًا مقتضَبًا، رسالة اعتذار ردًّا على دعوة هيرام. رجل عظيم، ظلم بشدة. وديفيد هارستين، المبعوث الضائع، حتى إن هاريم نشر إعلانًا في التايمز، رجاء هلّا عدت يا ديفيد لديارك؟ ولكنه أيضًا لم يكن هنا. والسلحفاة، أين السلحفاة القوي العظيم؟ كانت هناك شائعات بأنه في هذه الليلة الساحرة المميزة، في هذا الزمن الذهبي لأمسيات البطاقة الجامحة، سيخرج السلحفاة من صدفته ويصافح يد هيرام ويعلن للعالم اسمه، ولكن لا، لا يبدو أنه قد حضر، هل تعتقدون ... لا يا إلهي ... هل تعتقدون أن تلك القصص القديمة حقيقية وأن السلحفاة بالفعل جوكر؟

سايكلون يخبر هيرام بأنه يظن أن طفلته ذات الثلاثة أعوام قد ورثت قوى الرياح منه، يشرق وجه هيرام ويصافح يده مباركًا للأب الشغوف ويلقي نخبًا. حتى صوته القوي المثقف لا يستطيع قطع جلبة اللحظة، فيقفل هيرام قبضته ويفعل ذلك الشيء الذي يفعله بموجات الجاذبية جاعلًا نفسه أقل حتى من خمسة عشر كيلو جرامًا، حتى انزلق لأعلى إلى السقف. علية الآيائص تعم بالهدوء بينما طفا هيرام بجوار نجفة فنية، رافعا كأسه، وملقيًا نخبه. ليني بيرنستين وجون ليندزي شربا نخب مسترال هيلين كارلايل الصغيرة، الجيل الثاني من آيائص المستقبل. آل أونيل وآل رايان رفعا

كأسيهما للنسر الأسود، المبعوث، وذكرى بليت ستانهوب فان رينسلير. ليليان هيلمان، جيسون روباردز وبرودواي جو شربوا نخب السلحفاة وتاكيون، وشرب الجميع للفتى النفّاث، أبيهم جميعًا.

وبعد النخوب والقضايا. ما زال قانون البطاقة الجامحة مطبّقًا على الكتب، في هذا الزمن يعد هذا عارًا، يجب القيام بعمل ما. د. تاكيون يحتاج إلى المساعدة، المساعدة لأجل مشفى بؤرة الجواكر، مساعدة في قضيته، كم مضى من الزمن في تعطيل تلك القضية حتى الآن، قضيته لاستعادة مركبته من الدولة التي احتجزوها بغير وجه حق في ١٩٤٦؟ الخزي، أن يحتجزوا سفينته بعد أن أتى كل هذه المسافة للمساعدة، هذا ما جعلهم غاضبين، جميعهم، وبالطبع فقد تعهدوا بمساعدته، بأموالهم، بمحاميهم، بتأثيرهم. تحدث تاكيون عن مركبته. إنها حية، يخبرهم، ولا بد وأنها الآن وحيدة، دمعت عيناه وهو يتحدث، وأخبرهم بأن اسم السفينة بيبي، غمرت الدموع العديد من العدسات اللاصقة، مهددة المسكرة المرسومة بفنية. وبالطبع، يجب فعل شيء بخصوص فيلق الجواكر، يكاد يكون هذا تطهيرًا عرقيًا، و ...

العشاء جاهز الآن. بدأ الضيوف التحرك نحو مقاعدهم المحددة، جدول هيرام لتوزيع الضيوف كان تحفة فنية،

قِيست ووُزِّعت بنفس دقة طعامه الفاخر، فقد وزَّعهم بالتوازن المناسب بين الثروة والحكمة والذكاء والجمال والشجاعة والشهرة، بوجود آيص على كل طاولة بالطبع، بالطبع، وإلا لغادر أحدهم شاعرًا بالغبن، في هذا العام والشهر والساعة من أمسيات البطاقة الجامحة.

في الأعماق

بقلم إدوارد برواينت وليان سي هاربر

أثناء محاولة تجنبها سيارات الأجرة المارّة والسير نحو غرب سنترال بارك من أجل أن تدخل المتنزَّه، أيقنت روزماري مولدون أن فترة ما بعد الظهر لن تكون سهلة عليها. كانت تعبر خفيةً بين حشد ممن اختاروا تنزيه كلابهم عصرًا وقد تجمعوا على الرصيف، وبدأت البحث عن باجابوند.

حصلت روزماري على جميع الحالات المثيرة للاهتمام كمتدربة في قسم الخدمات الاجتماعية في نيويورك، تلك التي لم يكن لِيتعامل معها أي شخص آخر. كان من ضمن تلك الحالات، باجابوند، تلك المرأة العابرة الغامضة، التي اختارت روزماري حالتها للدراسة بعد ظهر ذاك اليوم، والتي كادت أن تكون الأسوأ. بدت باجابوند وكأنها تبلغ على الأقل ستين عامًا من العمر، أما رائحتها فكانت كما لو أنها لم تستحم منذ وقت طويل. لم تكن روزماري معتادةً على هذا الأمر أبدًا، فهي وإن كانت من عائلة غير لطيفة، إلا أنها أفرادها كانوا مهتمين بنظافتهم الشخصية، خاصة تحت إمرة الوالد الذي لم يكن أحد يعصي له كلمة، فكان أفراد العائلة يستحمون يوميًا.

لقد انجذبت روزماري على وجه التحديد إلى تلك الشريحة المحطمة من المجتمع بسبب عزل المجتمع لهم. قلة منهم كانوا لا يزالون على صلة بماضيهم أو عائلاتهم. أدركت روزماري ذلك، لكنها أخبرت نفسها أن السبب لا يهم، الأهم هي النتيجة. فهي يمكنها أن تساعدهم.

كانت باجابوند تقف تحت أغصان شجر البلوط. عندما اقتربت روزماري منها، اعتقدت أنها تتحدث إلى شجرة. هزت روزماري رأسها وسحبت ملف باجابوند. كان ملفًا رفيعًا لا يحتوي على أي معلومات، فالاسم الحقيقي مجهول، والعمر غير معروف، ومكان المنشأ غير معروف، والماضي غير معروف. وبحسب المعلومات القليلة فيه، كانت المرأة تعيش في الشوارع. وكان العامل الاجتماعي المسؤول سابقًا عن حالة باجابوند قد تكهن أنه تم طردها من مأوىً حكومي. كانت المرأة المتشردة مذعورة ولكن غير خطرة. ولأن باجابوند رفضت إعطاء أية معلومة، فلم تكن هناك طريقة لمساعدتها. وضعت روزماري الأوراق جانبًا ومشت نحو المرأة الطاعنة في السن ذات الملابس الرثة.

«مرحبًا، باجابوند. اسمي روزماري وأنا هنا لمساعدتكِ». إلّا أنَّ محاولتها باءت بالفشل. إذ أدارت باجابوند رأسها وأصبحت تحدِّق في طفلين يلقيان صحنًا طائرًا.

«ألا تريدين مكانًا جميلًا، آمنًا ودافئًا لتنامي فيه؟ ووجبات ساخنة وأشخاص تتحدثين إليهم؟» كان الصمت سيد الكلام، ما خلا القط الذي رأته منذ قليل خارج حديقة الحيوانات. كان قد مشى نحو باجابوند والآن ينظر إلى روزماري.

«يمكنكِ أن تستحمي». كان شعر المرأة المتشردة متسخًا. «ولكنني أريد أن أعرف اسمكِ». نظر القط الأسود الضخم إلى باجابوند وبعدها حدق في وجه روزماري.

«لماذا لا تأتين معي لنتحدث؟» بدأ القط يزمجر. «هيا بنا ...»، وبينما كانت روزماري تمد يدها نحو باجابوند، قفز القط فوقعت روزماري للوراء من الخوف، وتعثرت بحقيبة يدها التي وضعتها على الأرض. لقد وقعت مستلقية على ظهرها، فأصبحت في مواجهة القط الغاضب.

«أيها القط اللطيف. ابق حيث أنت». وبينما كانت تهم بالنهوض، إذ بقط آخر يقف إلى جانب القط الأسود، كانت قطة كاليكو أصغر حجمًا منه.

«حسنًا. سأراكِ في وقت لاحق». أخذت روزماري حقيبتها والملف ثم انسحبت.

لم يفهم والدها أبدًا لِمَ تريد ابنته التعامل مع فقراء المدينة «القذرين» بحسب وصفه. كان عليها الليلة أن ترافق والديها

وخطيبها رغمًا عنها، خطيبها الذي كان في الواقع زواجًا مدبّرا رغم عمرها والزمن الذي يعايشونه. لقد تمنت لو كان بإمكانها أن تقف في وجه أبيها وأن تقول لا. عائلتها كانت تقليدية، على عكسها.

كان لروزماري شقة خاصة بها، والتي كانت تشاركتها مع سي سي رايدر حتى زمن ليس ببعيد. أما عن سي سي، فكانت «هيبية» ذات رأي جريء، لذلك حاولت روزماري ألَّا يكون هناك لقاء بين أبيها وشريكتها، فالنتائج ستكون فظيعة جدًّا. لذا، كان من الضروري الفصل ما بين كلا حياتيها.

كان حبل الأفكار يقودها إلى منبع ألمها. فسي سي قد رحلت واختفت في المدينة، مما جعل روزماري خائفة عليها وعلى نفسها، إذ كانت تعلم ما تخبئه المدينة.

نظرت روزماري إلى الأعلى من على مقعد المتنزَّه حيث جلست من فرط تعبها. لقد حان الوقت لإعادة الملف إلى المكتب ثم التوجه إلى جامعة كولومبيا وإلى صفها من جديد.

«يا لها من ليلة رائعة». كان لومباردو لوكيز، الملقب بـ «لومي المحظوظ» يجتاحه شعور رائع جدًّا. بعد عامين

كاملين من العمل في الأرقام والحماية، وصل أخيرًا إلى أبرز خمس عائلات تعرفوا على موهبته الفذة. كان يمشي في شارع واحد وثمانين باتجاه المتنزَّه مع رفاقه الثلاثة، وكان سعيدًا للغاية.

كان عليه أن يزور خطيبته ماريا. وكم كانت خجولة! ولكن تلك الخجولة كانت الابنة الوحيدة للدون كارلو جامبيون، مما سيعود عليه بالفائدة بالأعوام القادمة. كان من المقرر أن يخرج مع أصدقائه للاحتفال لاحقًا، ولكن توجب عليه قبل ذلك فقط أن يحصل على المال لكي يشتري لماريا المملة بعض الورود الجميلة، على الأغلب ورد القرنفل، من أجل أن يظهر حبه الشديد لها.

«سأذهب إلى محطة الأنفاق وأحضر بعض المال». قال لومي.

«أتريد من يرافقك؟» سأل جوي «البلا أنف» مانزون.

«لا. هل تمزح؟ الأسبوع القادم، سوف أمتلك أموالًا طائلة. أريد فقط أن أقوم بعمل آخر لخاطر الأيام السابقة. أراك لاحقًا».

قفز لومي على بقعة من الزيت قزحي اللون وهو يصفر ويتراقص متجهًا إلى شارع مترو الأنفاق الحادي والثمانين.

لا يمكن لأي أمر إحباطه الليلة.

♣ ♦ ♠ ♥

يا لها من أمسية مروِّعة، فكرت سارة جارفيس بينها وبين نفسها. لم تتوقع المرأة ذات السادسة والثمانين عامًا في حياتها أنها ستكون مدعوَّة لحفل أمواي. لم تفكر بالأمر مرة حتى. لقد استغرقها وصديقتها الأمر ساعاتٍ كي تتمكنا من المغادرة. كانت تمطر بحلول ذلك الوقت، وبالطبع لم تكن أية سيارة أجرة متاحة في الخدمة. كانت صديقتها تعيش في المبنى المجاور. وكان على سارة أن تذهب إلى واشنطن.

كانت سارة تكره مترو الأنفاق. تلك الرائحة البغيضة تثير اشمئزازها. كما كانت لا تحب الأماكن الصاخبة في المدينة، ومترو الأنفاق من أكثر الأماكن صخبًا. ولكن على غير العادة، كانت الليلة هادئةً. ارتعشت سارة تحت سترتها الصوفية السميكة أثناء وقوفها وحيدة على رصيف القطار.

أخذت تنظر من على حافَة الرصيف على طول النفق، ظنت أنها رأت مصابيح القطار المحلي. كان يوجد شيء هناك، وكأنه يتحرك ببطء شديد. أشاحت سارة بنظرها، وأخذت تنظر إلى اللافتات الإعلانية. فحصت الملصق الإعلاني المروِّج إلى إعادة انتخاب السيد نيكسون، ذلك الرجل اللطيف. في الصحيفة المجاورة، كتبت العناوين الرئيسية

عن لصوص اقتحموا فندق واشنطن وشقة مجاورة.

ووترجيت؟ يا له من اسم مضحك لمبنى، قالت في نفسها. تصدرت عناوين مقالات «ديلي نيوز» مقالة عن ما يشبه انتقام مترو الأنفاق. كانت الشرطة قد نسبت جرائم القتل الخمس التي حدثت خلال الأسبوع الفائت للقاتل الغامض. كان الضحايا جميعهم تجار مخدرات ومجرمين. لقد حصلت الجرائم جميعها في مترو الأنفاق. ارتعشت سارة خوفًا، فالمدينة كانت مختلفة جدًّا عما كانت عليه في طفولتها.

أولًا، سمعت صوت وقع أقدام تنزل السلالم متجاوزة كشك التذاكر الخالي. ومن ثَمَّ صفير، صوت غريب منخفض بلا نغم، بينما كان الشخص يدخل إلى المحطة. كان شعورها يتقلَّب ما بين الخوف والراحة رغمًا عنها. خجلت من ردة فعلها، فقرَّرت عندها أنها لا تمانع بعض الرفقة الإنسية.

حالما رأته، لم تكن واثقة به. لم تكن سارة من المعجبين بالسترات الجلدية السوداء، خصوصًا أولئك الشبان الذين يرتدونها وهم يختالون بأنفسهم.

أدارت ظهرها ونظرت مليًّا إلى الحائط المقابل لمسارات القطار.

عندما أدارت المرأة العجوز ظهرها، ابتسم لومي المحظوظ

ابتسامة عريضة ولمس شفته العليا برأس لسانه.

«مرحبًا أيتها السيدة، ألديكِ ولاعة؟»

«لا».

ارتعشت إحدى شفتي لومي بينما كان يتجه خلفها.

«أيتها السيدة، كوني لطيفةً».

لم ينتبه لومي لتشنج أكتاف سارة عند تذكرها صف الفنون القتالية الذي تعلمت به «الدفاع عن النفس» في فصل الشتاء الفائت.

«فقط أعطيني الحقيبة أيتها السيييي-دة!» قال كلمته الأخيرة وهو يصرخ، وذلك لأن سارة التفتت وسحقت مشط قدمه بحذائها البيج الضخم والأنيق في ذات الوقت. قفز لومي إلى الوراء ووجه ضربة إلى وجهها. تجنبته سارة ورجعت للوراء ثم انزلقت على بقعة لزجة. ابتسم لومي ابتسامة عريضة وتوجه نحوها.

اندفع الهواء أمامهما في النفق بينما اقترب القطار من المحطة.

لم ينتبه أي منهما إلى حشد الناس الذين تمكنوا من الوصول إلى مدخل قطار الأنفاق. كان معظمهم قد حضر

عرضًا متأخرًا من فيلم «العراب»، وكانوا يكملون حديثهم بحماسة عن إذا ما كان كابولا قد بالغ في تجسيد دور المافيا في عالم الجريمة المعاصرة.

من ضمن الأشخاص الذين لم يحضروا العرض كان عامل الترانزيت الذي كان يومه طويلًا ومتعبًا. جل ما أراده هو العودة إلى المنزل ليأخذ قسطًا من الراحة ويتناول عشاءه، أو يتناول عشاءه ويأخذ قسطًا من الراحة ...!

كانت الصحف تتمادى في أبحاثها من جديد، فحتى جميع الأخبار المتعلقة بحقوق الجواكر لم تتمكن من إبقاء الصحفيين مشغولين كل الوقت. وكان قد تم إزاحة عامل الترانزيت عن مهامه المعتادة في فحص المسار ليقضي ثماني عشرة ساعة في البحث عن تماسيح في المجاري وأنفاق القطار، مهاوي القناة، وثقوب المجاري دون فائدة. شتم مديريه في قرارة نفسه لإذعانهم لمروجي الأخبار، وشتم بشكل خاص صحفيي الأخبار الذين كانوا يلاحقونه كخياله، وقد استطاع بالنهاية التخلص منهم.

تريث عامل الترانزيت قليلًا، محاولًا البقاء بعيدًا عن الفوضى التي أحدثتها الحشود في أثناء بحثها عن التذاكر وتوجهها من بعدها نحو البوابات. استمر روَّاد السينما بتجاذب أطراف الحديث خلال سيرهم.

خرج القطار المحلي من النفق يصاحبه هدير المحرك العالي وصليل المعادن على بعضها.

تجمهر الناس بكل أنواعهم وأطيافهم على الرصيف. ترك لومي ضحيته وهو يشتم بالإيطالية، ثم عمد ينظر حوله باحثًا عن مفر.

دخل الزوجان الأولان وكانا ينظران إلى المشهد أمامهما. توجه أحد الرجال نحو لومي المحظوظ، بينما أمسك الرجل الآخر بشريكته وحاول الانسحاب.

انفتحت أبواب القطار المحلي مصدِرة صوت صرير قوي. في هذا الوقت من الليل، كان هناك ركاب قليلون على القطار دون أن يغادره أحد.

«لا تجد عامل شرطة الترانزيت عندما تحتاجه». قال المنقذ المحتمل. أراد لومي في تلك اللحظة ضرب ذلك المغفل حتى يفقده وعيه، ولكن عوضًا عن ذلك أعدَّ حيلة لخداع الرجل، فأخذ يعرج على قدمه ثم ركض سريعًا إلى داخل العربة الأخيرة. أغلقت أبواب القطار وبدأ بالتحرك. لا بد أنه تأثير الضوء، ولكن الكتابات والرسومات الزاهية على الجدران في كلا الجانبين بدت وكأنَّها تتغير.

داخل العربة، ضحك لومي المحظوظ وأشار بفظاظة إلى

سارة، التي كانت تتحسَّس باحثة عن الكدمات وتحاول ترتيب ملابسها المتسخة. وجَّه إشارة بيده إلى منقذي العجوز الغافلين، بينما اقتربت مجموعة من الناس نحو سارة.

فجأة بدا على وجه لومي الخوف والرعب الواضحين، حيث شرع يضرب الأبواب. ألقى الرجل الذي حاول إيقاف لومي نظرة أخيرة عليه ليجده يحاول فتح الأبواب الخلفية من عربة القطار الذي كان متجهًا بسرعة نحو الظلام.

«يا له من غريب الأطوار!» قالت شريكة المنقذ: «هل هو واحدٌ من أولئك الجواكر؟»

«لا»، قال صديقه. «إنه مجرد وغد عادي».

تجمد الجميع في أماكنهم حين سمعوا صرخات آتية من نفق المدينة. فعلى الرغم من صوت هدير القطار المرتفع، استطاعوا سماع صوت صرخات لومي اليائسة والنابعة عن الألم. اختفى القطار ولكن الصرخات استمرت على الأقل حتى الشارع الثالث والثمانين.

توجه عامل الترانزيت نحو النفق المؤدي إلى وسط المدينة. في هذه الأثناء، كان البطل تتم تهنئته من قبل سارة التي لم تصب بأذى، إلى جانب بقية المتفرجين. نزل عامل

ترانزيت آخر من الجهة الخلفية للرصيف.

«مرحبًا!» صرخ. «جاك المجاري! جاك روبيشو. ألا تنام أبدًا؟»

تجاهله الرجل المتعب ودخل الباب المعدني، بدأ بنزع ملابسه خلال مسيره في النفق. ظنت إحدى الموجودات أنها رأت رجلًا يجلس القرفصاء في الداخل ويزحف على الأرض المبلَّلة في النفق، رجل ذو أنف طويل وحاد وأسنان مشوهة وبنية عضلية قادرة على سحق تلك المرأة دون أن يبقى منها أثرًا. ولكن أحدًا لم ير الحراشف الرمادية المخضرة اللامعة التي ظهرت مع اتجاه عامل الترانزيت السابق نحو الظلام واختفائه.

على رصيف الشارع رقم واحد وثمانين، كان الجمهور ما يزال مذهولًا من صدى صرخات لومي الذي ينازع الروح، حيث إن القليل منهم لاحظ صوت القرقعة العميقة الآتية من الجهة الأخرى.

♥ ♠ ♦ ♣

بعد انتهاء فصلها الأخير، مشت روزماري متعبة نحو الشارع المائة والستة والستين باتجاه مدخل مترو الأنفاق. لقد أكملت مهمة أخرى لهذا اليوم، وها هي الآن في طريقها

إلى شقة والدها لترى خطيبها. لم تكن متحمسة أبدًا لذلك، ولكنها أيضًا لم تملك شغفًا لأي أمر آخر أيضًا. عاشت روزماري خلال هذه الأيام على أمل أن يصلح شيءٌ في حياتها.

حملت الكتب في يدها اليمنى، وبحثت في حقيبة اليد عن تذكرتها باليد الأخرى. وبينما كانت تسير نحو البوابة، توقفت للجهة الأخرى بعيدة عن طريق التلاميذ. لاحظت روزماري بعض الأطفال حاملين لافتات مكتوب عليها شعر فيلق الجواكرغير الرسمي: «آخر من يذهب - أول من يموت».

كانت سي سي من المهتمين بتلك القضية، حتى إنها قد غنَّت لبعض التجمعات الهادئة. أتت برفيق ناشط إلى المنزل، شاب اسمه فورتشناتو. ورغم أن مناصرته لحركة حقوق الجواكر لاقت استحسان روزماري، لم ترغب بتواجد القوادين والغيشا وغير الغيشا في شقتها. سبب الأمر بعض المشاجرات بينها وبين سي سي، لكن سي سي. وافقت بالنهاية على أخذ موافقة روزماري قبل دعوة أي ضيف للشقة.

حاولت سي سي رايدر جاهدةً أن تقنع روزماري لتصبح ناشطة، ولكن روزماري آمنت أن مساعدة بعض الناس شخصيًا له ذات التأثير كالتجمع وهتف شعارات مندِدة

بالحكومة وسياساتها؛ وربما ما تفعله كان أفضل بأشواط.

عرفت روزماري أنها جاءت من عائلة محافظة. كانت شريكتها في السكن تذكرها دومًا.

أخذت روزماري نفَسًا عميقًا واتجهت نحو حشد الناس. على ما يبدو، فقد خرجت كل الصفوف المتأخرة في الوقت نفسه.

بينما كانت روزماري تسير على الرصيف، سارت نحو الجهة الخلفية للحشد فانتهى بها المطاف في مكان بعيد من منطقة الانتظار. لم تكن ترغب بأن تكون قريبة إلى هذا الحد من الناس. بعد لحظات شعرت بموجة من هواء النفق البارد وارتعشت داخل سترتها الرطبة.

مر القطار المحلي من قربها مصدرًا صوته المسبب للصمم والاكتئاب. كل العربات كانت مشوَّهة، ولكن العربة الأخيرة كانت مزينة بشكل غريب غير مألوف. تذكرت روزماري المرأة صاحبة الوشم التي ظهرت في عرض الإخوة «رينغلينغ» الذي شاهدته في الحديقة القديمة، كانت تفكر بالحالة النفسية للأطفال الذين كتبوا على جانبي القطار؛ لم تكن تعجبها كلماتهم.

لم تكن نيويورك دائمًا مكانًا لطيفًا للعيش فيه.

قالت روزماري في قرارة نفسها: «لن أفكر في الأمر. لقد فكرت فيه سابقًا». لمعت بذهنها صورة سي سي المستلقية في غيبوبة داخل وحدة العناية المركزة في سانت جود. لقد رأت أجهزة الإنعاش. كانت روزماري بجانبها عندما كانت الممرضات يغيرن ثيابها، إذ لم يكن لسي سي أقرباء لإخبارهم بحالتها، لم يغب عن ذهنها منظر الكدمات، تلك البقع السوداء والزرقاء المائلة للبنفسجي التي كانت تغطي معظم جسم سي سي. لم يكن الأطباء متأكدين بالضبط من عدد المرات التي تعرضت فيها الشابة للاغتصاب. كادت روزماري أن تتعاطف معها لكنها لم تتمكن. لم تكن متأكدة كيف تبدأ. كل ما كان بوسعها فعله هو الانتظار والأمل.

بعدها، اختفت سي سي من المستشفى!

بدت العربة الأخيرة وكأنها فارغة. توجهت روزماري إليها، نظرت إلى الكتابة على الجدران. توقفت في مكانها، وعيناها تتتبع الكلمات المكتوبة على الجهة المظلمة من العربة.

بقدونس، مرمرية، إكليل الجبل؟

وقت ...

الوقت للآخرين، ولكن ليس لي.

«سي سي! ماذا؟» شقت طريقها نحو الأبواب غير آبهة

للآخرين الذين رأوا العربة الشاغرة. لقد تم إقفالها. أوقعت روزماري كتبها وحاولت جاهدة أن تفتح الأبواب بيديها. أحست بظفر قد انكسر. بعد أن فشلت محاولتها، باتت تضرب على الأبواب حتى بدأ القطار يتحرك ببطء خارج المحطة.

«لا!»

امتلأت عينا روزماري بالدموع عند قراءة اسمها وجزء من كلمات سي. سي: «لا يمكنك مجابهة القدر، لكن يمكنك الأخذ بالثأر».

لم تقل روزماري شيئًا آخر، بل وقفت تحدق بالقطار فقط. نظرت بعدها إلى قبضتيها. لم يكن الباب الحديدي قويًا كما يبدو. تساءلت: «هل قام أحد بإعطائها نوعًا من المخدر؟ هل كانت صدفة؟ هل كانت سي سي تعيش تحت الأرض؟ هل سي سي حية من الأصل؟»

مضى وقت طويل قبل أن يصل القطار التالي.

♣ ♦ ♠ ♥

لقد كان في الظلمة يصطاد. تملّكه الجوع؛ الجوع لا ينفك يقطع أحشاءه.

تذكر عندما كان كل شيء مختلفًا. لقد كان شخصًا – أما

الآن؟ – لقد صار مخلوقًا آخر.

لقد أمعن النظر ولكنه لم يستطع أن يرى بوضوح في هذه الظلمة وخاصة في المياه الكريهة المليئة بالحطام، لم تسعفه عيناه كثيرًا. الأهم من ذلك هو المذاق والروائح، تلك الجسيمات الدقيقة التي كانت تنبهه عما يكمن في المسافة، تلك الوجبات التي يبحث عنها بصبر، والرضا الفوري الذي كان ينتابه فور رؤيته لطرائده غير المنتبهين والبعيدين مسافة خطوات عنه.

لقد استطاع أن يشعر بالارتجاجات القوية، الحركات البطيئة من كلا الجانبين بينما ذيله يتحرك في المياه؛ الأمواج البعيدة الساحقة تعلو وترتفع في المدينة، والحركات البسيطة لوجباته التي تتحرك في الظلام.

دخل الماء الكريه إلى أنفه الكبير المسطح، وتدفَّق التيار على جانبي مناخيره المرتفعة. أحيانًا كانت الأغشية الشفافة تنزلق عبر العيون الجاحظة؛ ومن ثَمَّ ترجع للأعلى.

رغم حجمه الكبير الذي كان بالكاد يجعله يتسع داخل بعض الأنفاق الذي اجتازها خلال وقت صيده، لم يكن يصدر ضوضاء كثيرة. الليلة، معظم الأصوات التي رافقته آتية من الفريسة؛ صراخها الناتج عن التهامه لها.

اشتم بمناخيره رائحة وليمته التالية، ثم سمع صوتها. وبالرغم من أنه كان يكره الملاذ الآمن الذي يغطي معظم جسمه، كان يعرف أنه يجب عليه الذهاب إلى مكان تواجد الطعام. ظهرت فوهة نفق آخر من جهة أخرى. كان هناك بالكاد مساحة في الممر حتى لجسمه المرن كي يلتفت ويدخل مجرى المياه. أصبحت المياه ضحلة أكثر وانتهت تمامًا على مسافة قصيرة من المدخل.

لم يكن الأمر مهمًّا. مشى على قدميه، وكان بإمكانه التحرك تقريبًا بصمت كما كان من قبل. كان ما يزال بمقدوره شم الفريسة التي تنتظره في مكان ما في الامام. أقرب، قريب. قريب جدًّا. يمكنه سماع أصوات: صرير وصراخ وأقدام متسارعة وحفيف أجسام من الفراء على الحجر.

لن يتمكنوا من توقُّع وجوده؛ فالمخلوقات الضارية قليلة في هذه الأنفاق العميقة. انقض عليهم في لحظة، انسحق الأول بين فكيه وأصدر صرخة موت نبهت الآخرين. تبعثرت الفرائس في ذعر. ففر من فر، خصوصًا تلك التي لم تجد مأوى تلتجئ إليه وآثرت الدفاع عن نفسها.

حاولت الأغلبية التي بقيت على قيد الحياة الهرب بعيدًا من الوحش، ولكن سرعان ما تفاجأت بنهاية النفق المغلقة. حاول بعضهم الهرب من حوله – حيث تجرأ واحد منهم على

القفز فوق حراشف ظهره – لكن الوحش سحقهم بذيله على الجدار. وأصبح آخرون داخل فمه، يرتعدون خوفًا قبل أن تنطبق أسنانه ويغلق فمه.

ارتفعت صرخات الألم ثم هدأت. تناثرت الدماء من فمه، وأرضت اللحوم والشعر والعظام معدته. هربت الأعداد القليلة من الفرائس التي صمدت بعيدًا عن المذبحة. بدأ الصياد بملاحقتهم، ولكن وجبته كانت ثقيلة. لقد كان متخمًا جدًّا بحيث لم يستطيع اللحاق بهم. وصل إلى حافَة المياه ومن ثَمَّ توقف. لقد أراد فجأةً أن ينام.

كان سيكسر الصمت أولًا. كان ذلك مسموحًا فهذه منطقته. فتح فكيه الضخمين وقام بإصدار صوت زئير عالٍ ارتد صداه لثوانٍ عديدةٍ داخل الدهاليز اللانهائية للأنفاق والقنوات والممرات والأروقة الصخرية.

عندما توقفت الأصداء أخيرًا، نام الوحش. كان وحيدًا.

♣ ♦ ♠ ❤

رحبت روزماري بألفريدو، الذي كان الحارس هذه الليلة. ابتسم لها بينما وقَّعت لدخولها، وهز رأسه عند رؤيته لكومة الكتب التي تحملها.

«يمكنني أن أساعدكِ في ذلك سيدة ماريا».

«لا، شكرًا ألفريدو. يمكنني تدبر أمري».

«أتذكر عندما كنت أحمل كتبكِ حين كنتِ طفلة صغيرة سيدة ماريا. اعتدتِ أن تقولي دائمًا إنك تريدين الزواج بي عندما تكبرين. يبدو أنك غيرتِ رأيكِ، أليس كذلك؟»

«آسفة ألفريدو، أنا متقلبة المزاج». ابتسمت روزماري ورمشت عيناها. لم يكن تشعر برغبة بالمزاح أو التصرف بلطف. أرادت لهذا المساء، بل لهذا اليوم أن ينتهي.

كانت وحيدة في المصعد، حاولت أن تريح رأسها على جهة من العربة للحظة. وبالفعل تذكرت عندما كان ألفريدو يحمل كتبها للمدرسة. كان ذلك أثناء الحروب في طفولتها. يا لها من عائلة غريبة!

عندما فتحت أبواب المصعد، استنفر الرجلان اللذان كانا يقفان أمام مدخل شقة البنتهاوس، لكنهما ارتاحا عندما اقتربت. كان كلاهما يبدوان أنيقين على غير عادة.

«ماكس، ماذا حصل؟» نظرت روزماري مستفهمة من الرجل الطويل. لقد كانا يلبسان بدلة سوداء.

هز ماكس رأسه وفتح الباب من أجلها.

مشت روزماري بين الجدران المغطاة بألواح من خشب

البلوط الداكن متوجّهة نحو المكتبة. لم تخفف اللوحات الزيتية القديمة من كآبة المكان.

أرادت طرق باب المكتبة، ولكن الأبواب الثقيلة المنحوتة فُتحت من الداخل قبل أن تطرق عليها. وقف والدها عند مدخل الباب، يصاحبه ظله الذي تجلى بفعل المصباح الموجود فوق مكتبه.

أخذ كلتا يديها وأمسكهما بقوة. «ماريا، إنه لومباردو. لم يعد بيننا».

«ماذا حدث؟» نظرت إلى وجه أبيها. ارتسمت هالتان سوداوان تحت عينيه وصار فكه أضعف مما كانت تتذكر.

أشار والدها بيديه. «هؤلاء الشباب جاؤوا بالخبر».

كان فرانكي وجوي ورينالدو الصغير ملتصقين ببعضهم البعض. وكان جوي حرفيًا يحمل قبعته بين يديه.

«لقد أخبرنا الدون كارلوس، ماريا. لومي المحظ ...، أعني لومباردو، لقد كان آتيًا إلى هنا ولكنه توقف لدقيقة في محطة مترو الأنفاق».

«كان يريد أن يشتري بعض اللبان، حسبما أظن». قال فرانكي متطوعًا بتقديم المعلومات في سبيل الفائدة.

«حسنًا، على أية حال. لم يخرج. لقد كنا ننتظره في الخارج». قال جوي، «لذا قررنا أن نعرف ما حصل بعد أن سمعنا عن وجود ... بعض الاضطرابات في المحطة. عندما وصلنا إلى هناك، عرفنا ما حصل».

«نعم، لقد وجدوه في حوالي اثنا ...».

«فرانكي!»

«نعم، يا دون كارلو».

«هذا كل شيء لليلة، يا شباب. سوف أراكم في الصباح».

هز الشبان الثلاثة رؤوسهم، وألقوا التحية على روزماري بينما كانوا ينصرفون.

«أنا آسف، ماريا». قال والدها.

«لا أفهم. من يمكن أن يفعل ذلك؟»

«ماريا، أنت تعرفين أن لومباردو عمل مع شركتنا العائلية. عرف الآخرون ذلك. وعرفوا أنه ابني. نظن أن أحدًا يحاول أن يؤذيني». بدا صوت الدون كارلو حزينًا. «حدثت بعض الأمور مؤخرًا. هناك من يريد أن يستولي على ما حققناه طوال حياتنا». اشتد صوته مجددًا. «لن نسمح لهم بالإفلات بفعلتهم هذه. أعدك، ماريا!»

«ماريا، لقد أعددت بعض اللازانيا اللذيذة، تلك المفضَّلة لديكِ. أرجوكِ، حاولي أن تأكلي». قالت أم روزماري، ثم نهضت لتأخذ روزماري إلى المطبخ، ورافقتها واضعةً يدها حول كتفيها.

«ماما، لم يكن عليك إعداد العشاء لي».

«لم أفعل. عرفت أنكِ ستتأخرين؛ لذا احتفظت ببعضه لك».

أخبرت روزماري أمها: «ماما، لا أحبه».

«ششه! أعرف ذلك». واضعة يدها على شفاه ابنتها. «ولكن لا بد أنكِ اهتممتِ لأمره. كنت أرى كم كنتما منسجمين مع بعضكما».

«ماما، أنتِ لا ...» قاطعها صوت أبيها الآتي من المكتبة.

«لا بد أنهم الميلانزون، أولئك السود! من غيرهم يمكن أن يهاجمنا الآن؟ لا بد أنهم يتدفقون من هارلم عبر الأنفاق. لقد أرادوا احتلال منطقتنا لسنوات. خاصةً أنهم يريدون وظائف محترمة كما في بؤرة الجواكر. لا، لن يجرؤ الجواكر على فعل ذلك بأنفسهم، ولكن السود يمكن أن يستعملوا طريقة خادعة».

سيطر صمت على الهاتف وتبعه صوت صرخات ضعيفة

سمعته روزماري. شدت والدتها على يدها.

قال الدون كارلو: «يجب توقيفهم الآن وإلا سوف يهددون حياة الناس. إنهم وحوش».

وقفة أخرى.

«أنا لا أبالغ».

«ماريا ...». قالت والدتها.

«غدًا صباحًا». قال الدون كارلو. «باكرًا، حسنًا».

«هل رأيتِ، ماريا؟ سوف يهتم والدكِ بالأمر». قادتها والدتها إلى المطبخ الفاخر بأدواته البراقة، حيث الجدران علّقت عليها إطارات من مواعظ البلاد القديمة. فكرت في أن تخبر والدتها عن سي سي ومترو الأنفاق، ولكن الأمر بات غير منطقيًّا عندها، لا بد أن مخيلتها كانت تخدعها. كانت تريد أن تنام. لم تشتهِ الأكل ولم تكن قادرة على عمل أي شيء آخر الليلة.

♣ ♦ ♠ ♥

تحركت المرأة المتشردة في نومها وابتعدت إحدى القطتين الجالستين بجانبها عنها. رفع القط رأسه وبدأ يشم مرافقته. ترك القطان المرأة مع حيوان الأبوسوم نائم على

معدتها، ومشيا بصمت نحو الظلام في نفق مترو الأنفاق. قادهم الطريق المختصر عبر الشارع الثالث والستون المهمل نحو ... الطعام.

كان كلا القطين جائعين، ولكن الآن هما تصطادان من أجل وجبة إفطار المرأة. خرجا عبر نفق المجاري إلى المتنزه ثم عبرا تحت أشجار القيقب متجهين نحو الشارع. عندما توقفت شاحنة توصيل «نيويورك تايمز» عند الإشارة، نظر القط الأسود إلى قطة كاليكو وأشار بأنفه إلى الشاحنة. بينما مشت الشاحنة، قفزا على متنها، وجلسا في خلفيتها. رسم القط الأسود صورة كومة أسماك وشاركها مع كاليكو، ثم جلسا ينتظران رائحة السمك وهما يشاهدان مباني المدينة تمر من أمامهما. أخيرًا، وعندما أبطأت الشاحنة مسارها، اشتمت القطة كاليكو رائحة السمك، ومن غير صبر قفزت من على الشاحنة. لحقها القط الاسود وهو يستشيط غضبًا. توقف كلاهما عندما اشتما رائحة البشر الغرباء التي طغت على رائحة الطعام.

كان هناك مجموعة من الجواكر في أسفل الزقاق. يرتدون ملابس رثّة، يبحثون عن طعام في القمامة.

انعكس شعاع من الضوء على الزقاق عندما فُتِح باب. اشتمت القطط رائحة الطعام الطازج التي اختلطت برائحة

الرجل الأنيق ذو البنية الضخمة والذي كان يحمل صناديق إلى الزقاق.

«أرجوكم». تكلم الرجل البدين إلى الجواكر العاجزين بصوت ضعيف ملؤه الألم. «لديَّ طعام لكم هنا».

انتهى المشهد حين أسرع الجواكر معًا إلى الصناديق وبدأوا بفتحها. لقد تزاحموا وتشاجروا للوصول إلى الطعام.

«توقفوا!» صرخ أطول جوكر في منتصف الفوضى. «ألسنا رجالًا؟»

توقف الجواكر وتراجعوا عن الصناديق، مُفسِحين المجال للرجل البدين لتوزيع الطعام عليهم. كان الجوكر الأطول آخر من أُعطي طعامه. وعندما قدم المضيف له الطعام، قال: «سيدي، أود أن أشكر مطعم علية الآيائص».

في تلك الأثناء، كان القطان يراقبان وجبة الجواكر من وسط الظلام. التفت القط الأسود إلى قطة الكاليكو، ورسم صورة حسك السمك، ثم توجَّها عائدين نحو الشارع. عند الشارع السادس، أرسل القط الأسود إلى كاليكو صورة باجابوند. تنزه القطان في الناحية العليا للمدينة إلى أن عثرا على شاحنة توفر لهم العودة. بعد عدة مبانٍ، اقتربت الشاحنة من محل صيني وعرف القط الأسود الرائحة المألوفة. بينما

همّت الشاحنة بالتوقف، قفز كلا القطين. تواريا في الظلام بعيدًا عن أضواء الشارع حتى بلغا متجرًا خارجيًا.

كان لا يزال هناك وقت قبل حلول الفجر وكان سائقو الشاحنات يفرغون منتجات اليوم الطازجة. اشتم القط الأسود رائحة دجاج طازج مذبوح؛ أخرج لسانه ليلمس شفته العليا. ثم، أصدر صوتًا من حنجرته لرفيقته. قفزت القطة كاليكو إلى صندوق الطماطم وبدأت بتقطيعها.

صرخ المالك بالصينية ورمى دفتره على القط السارق. ولكنه أخطأ الهدف. كان الرجال الذين يفرغون الشاحنة قد توقفوا وبدأوا يتفرجون على القطة المختلة.

«إنها أسوأ في بؤرة الجواكر». تمتم أحدهم.

«تلك قطة كبيرة حقيرة». قال الآخر.

بينما كان جل انتباههم على القطة كاليكو وهي تفسد الطماطم، ركض القط الأسود المترقب إلى خلف الشاحنة وأمسك دجاجة بين أسنانه. كان القط الأسود قطًّا كبيرًا جدًّا، يزن أربعين باوندًا على الأقل، وقد حمل الدجاجة بسهولة. قافزًا من الباب الخلفي، ركض مسرعًا إلى ظلمة الزقاق. في الوقت ذاته، أفلتت قطة كاليكو من ضربة عصا مكنسة وركضت خلفه.

انتظر القط الأسود قطة الكاليكو في منتصف الحي التالي. عندما وصلت إليه، بدأ القطان معًا بالمواء تعبيرًا عن الفرح. كان صيدًا جيدًا. عادا بعدها مسرعَيْن إلى المتنزه والمرأة المتشردة، وكانت قطة الكاليكو تساعد القط الأسود بين الفينة والأخرى في حمل الدجاج.

يعود الفضل في اسم باجابوند إلى لقب أطلقه عليها ذات مرة أحد أصدقائها المتشردين في أحد لحظاته صحوته القليلة، وقد لازمها الاسم منذ ذلك الحين. في المقابل، كان أتباعها من مخلوقات المدينة البريين ينادونها حسبما كانوا يرونها، وكان ذلك كافيًا بالنسبة لها، إذ أنها نفسها لم تكن تتذكر اسمها إلا مرة كل فترة.

لفت باجابوند نفسها بمعطف أخضر ناعم كانت قد وجدته في حاوية نفايات تابعةٍ لشقق سكنية. استقامت في جلستها، حذرة ألا توقظ الأبوسوم. رحّبت بالقط الأسود الفخور وقطة الكاليكو وفي حجرها الأبوسوم والسنجاب ممددٌ على كلا كتفيها ... تحركت بسهولة تدهش بعض المقيمين في الشارع الذين لا علاقة لهم بها، ومدت المرأة يدها وربّتت على رأس كل من القطتين البريين. بينما كانت تفعل ذلك، رسمت صورة في رأسها لدجاجة هزيلة، نصف مأكولة، تم سحبها من حاوية قمامة المطعم بواسطة القطتين.

رفع القط الأسود أنفه عاليًا في الهواء وشخر بهدوء بينما كان يمحو الصورة من رأسه ورأس باجابوند. قامت قطة كاليكو بالمواء مع زمجرة تحمل نوبات غضب ساخر ومدت رأسها نحو المرأة. أعادت قطة الكاليكو تجسيد المطاردة من وجهة نظرها: كان حجم كاليكو على الأقل كحجم الأسد، وقد أحاطت بها أرجل البشر كجذوع شجر متحركة. رصدت الكاليكو الشجاعة الفريسة؛ دجاجة بحجم منزل، مالت لتقفز بعدها نحو حنجرة رجل، مكشرة عن أنيابها ...

اختفى المشهد فجأةً عندما ركزت باجابوند فجأة في مكان آخر. اعترضت كاليكو حتى فاجأها مخلب أسود ثقيل ودحرجها على ظهرها وثبتها في مكانها أرضًا. أوقفت كاليكو اعتراضها، وأدارت رأسها لترى وجه المرأة. كان القط الأسود يترقب بنظرات حادة.

تشكلت الصورة في رأس الثلاثة: جرذان ميتة. محت باجابوند الصورة بغضب. وقفت، وهي تنفض عنها السناجب ووضعت الأبوسوم على جنب. من دون تردد، التفتت وبدأت تسير نحو أحد الأنفاق السفلية. انقضى سكوت القط الأسود وأسرع ليمشي أمامها ليكون بمثابة المستكشف. مشت الكاليكو مع المرأة.

«شيء ما يأكل جرذاني».

الأنفاق كانت مظلمة ما خلا الضوء الخافت الوحيد. لم تكن باجابوند تبصر جيدًا مثل القطط، ولكن أعين القطط كانت بمثابة أعين لها.

اشتمَّ القط الأسود رائحة غريبة عندما كان الثلاثة في الأعماق تحت المتنزَّه. لقد استطاع معرفة أنها تابعة لمخلوق متحول نصف أفعى ونصف سحلية.

بعد مائة ياردة أخرى، وصلوا إلى وكر جرذان مدمَّر. لم تكن أي من الجرذان على قيد الحياة. كان معظمهم نصف مأكولٍ، وجميع الأجسام كانت مشوَّهة.

تعثرت باجابوند ومرافقاها في نفق مبلَّل. تزحلقت المرأة من عن الحافة ووجدت نفسها مغطاة في مياه كريهة حتى وركيها. اصطدمت ساقاها بقطع لم تحدد ماهيتها. لكن غضبها لم يهدأ.

انتصب القط الأسود وقام برسم الصورة التي رسمها قبل بضع دقائق، ولكن المخلوق الآن كان أكبر. اقترح القط أن يخرج الثلاثة جميعهم من هذا الممر الآن. بسرعة وبهدوء.

تجاهلت باجابوند الاقتراح ومشت بجانب حائط لزج نحو وكر مدمر آخر. بعض هذه الجرذان كانت على قيد الحياة. لقد جسدوا لها صورةً بسيطة وغير واضحة للأفعى الكبيرة

والقبيحة بشكل غير طبيعي التي دمرت وكرهم.

كان يوجد بعد خمس ياردات إلى أسفل الممر كوة لتصريف المجاري للجزء العلوي للمتنزَّه. كان المدخل على بعد ثلاثة أقدام فوق أرضية النفق. انبطح القط الأسود على الأرض بعضلات مشدودة وأذنان إلى الوراء. كان يموء بشكل خفيف. كان خائفًا. بدأت كاليكو بالسير باستياء نحو الفتحة، ولكن القط الأسود رماها للجانب. نظر القط الأكبر وراءه إلى باجابوند وأرسل كل الصور السلبية التي كان بإمكانه إرسالها.

مشحونةً بغضبها، قررت باجابوند أنها ستدخل أولًا. أخذت نفَسًا عميقًا وزحفت إلى داخل الكوة.

كانت الكوة مضيئة بحاجز مشبك في السقف على ارتفاع حوالي العشرين قدمًا. سقط الضوء الرمادي على جسد رجل عارٍ. بدا لباجابوند أنه في الثلاثين من عمره ذو بنية متوسطة. لاحظت باجابوند أنه لم يكن سكّيرًا كمعظم المتشردين الذين عرفتهم. للحظة، فكرت أنه ميت، ضحية أخرى للقاتل الغامض. ولكن عندما ركزت على الرجل، أدركت أنه نائم.

تبعها القطان إلى الحجرة. زمجر القط الأسود بارتباك. أخبرته حواسه أن أثر الأفعى - السحلية - تنتهي هنا، أو بالأحرى انتهت حيث ينام الرجل. شعرت باجابوند بأمر

غريب حول الرجل. لم تكن من عادتها أن تقرأ البشر، فقد كان شيئًا صعبًا، فعقولهم معقَّدة، ودائمًا ما يخططون ويتآمرون. ركعت بهدوء إلى جانبه ومدت يدها نحوه.

أفاق الرجل، ورأى شخصًا متشردًا قذرًا كان على وشك أن يلمسه، فابتعد عنها.

«ماذا تريدين؟»

نظرت باجابوند إليه.

أدرك الرجل أنه عارٍ، فأسرع نحو مدخل ممر الكهف. سمع زمجرة عميقة، فتراجع إلى الوراء متفاديًا بالكاد ضربةً من مخالب أكبر قط رآه في حياته. للحظة، شعر بأن الظلام يسيطر على عقله ... ذهب باتجاه النفق الأساسي واختفى.

كان القطان يموءان في محاولةٍ لفهم ما يحدث، ولكن باجابوند لم يكن لديها أجوبة. فكرت في نفسها، لقد كانت على وشك أن تشعر داخل عقله بـ ... ماذا؟ لا شيء.

بحث كل من باجابوند والكاليكو والقط الأسود لساعة، ولكن لم يجدوا أي أثر للرائحة الغريبة. لم يكن هناك وحش في النفق.

♥ ♠ ♦ ♣

بدأ العابرون والمشردون والمتشردات والمارَّة في الشارع يومهم باكرًا، كي يعثروا على أفضل المنتجات والبضائع. خرجت روزماري متخفية من شقة البنتهاوس باكرًا كذلك. بالكاد نالت قسطًا من النوم، وفي ذلك الصباح، أدركت بشكل شبه مؤكد ما كان يحصل خلف أبواب المكتبة المغلقة، كانت تريد الخروج بسرعة. لقد أعلن الدونات الحرب.

كان السنترال بارك بأشجاره وشجيراته ومقاعده جنة لجزء معين من الناس. في هذا الصباح المشمس، كانت روزماري تبحث عن أشخاص قد باشرت بمساعدتهم. عندما وصلت إلى مقعد المتنزَّه الثاني، وراء الجسر الحجري، خبأ رجل بثياب ممزقة زجاجة في شجيرة بجانب المقعد ونهض على قدميه. كان يرتدي سترة زيتية باهتة ورثَّة. ولكنها كانت أخف بهتانًا على الكتف حيث كانت شارة «ملّقن المدفع» التابعة لفيلق الجواكر منسوجةً في السابق.

كانت روزماري قد اقترحت عليه أنه ليس من الحكمة ارتداء هذه الشارة في هذا الجزء من المدينة.

«مرحبا كراولر». قالت العاملة الاجتماعية. كان كراولر في العشرينيات من عمره، لكن لم تتمكن روزماري من معرفة عمر الجندي القديم الدقيق بسبب وجهه المحترق من أشعة الشمس. كان قد حصل على لقبه «زاحف الأنفاق» من عمله

في الجيش في فيتنام. كان قد تم تجنيده مرتين وقد قاسى الأمرين خلال هذه المدة.

«مرحبًا روزماري. هل جلبتِ لي نظّارتي الواقية الجديدة بعد؟» ارتدى كراولر زوجًا رخيصًا من النظارات الشمسية اشتراه من الشارع الرابع عشر، كانت العدسات ملصقة بلاصق أبيض متّسخ. خلف النظارات، عرفت روزماري أن عينيه داكنتان وكبيرتان وحساستان بشكل غير عادي.

«لقد طلبت تمويلًا. والأمر يحتاج بعض الوقت قبل أن نحصل عليه. أنت تعرف أنه خط أحمر، كما في الخدمة».

«تبًا». قال المتشرد مبتسمًا وهو يقترب منها.

ترددت روزماري، ثم قالت: «كما تعرف، يمكنك دومًا مراجعة مشفى قدامى المحاربين وسيعالجونك».

«مستحيل». قال كراولر وهو منزعج: «عندما يدخل الأشخاص الذين هم مثلي مشفى قدامى المحاربين، لا يخرجون بعدها أبدًا».

أرادت روزماري القول: «هذا هراء»، ولكنها تراجعت.

«كراولر، هل تعرف شيئًا عن المكان تحت الأرض؟ يعني كمترو الأنفاق وما شابه؟»

«قليلًا. أنا أحتاج إلى مأوى. أنا فقط لا أحب أن أكون هناك. هناك أشياء مخيفة تحصل في الأسفل. أسمع أشياء عن وجود تماسيح وأشياء كهذه. قد يكون الأمر من تأليف مدمني الكحول الرخيصة والذين يعانون من الهذيان الارتعاشي، ولكن لا أريد معرفة ما الأمر».

«أنا أبحث عن شخص». قالت روزماري.

لم يكن كراولر يستمع. تمتم لنفسه: «وحدهم غريبو الأطوار من يعيشون هناك». «... حتى أغرب من بعض الناس الذين يعيشون في الجانب الشرقي، أو البلدة كما يسمونها. حتى هي تعيش في الأعماق». أشار كراولر إلى العجوز الجالسة على الأرض تحت شجرة القيقب. كانت بعيدة مائة ياردة، ولكن كادت روزماري تقسم أن هناك حمامات جالسات على رأس المرأة وسنجاب جاثم على كتفها. حنَت روزماري رأسها ونظرت إلى الشاب.

«إنها باجابوند». قالت روزماري. «لا داعي للقلق بشأنها ...» أدركت روزماري أن كراولر لم يعُد معها. كان يتوسّل من رجل أعمال يلبس ثيابًا باهظة الثمن، يمارس الرياضة من خلال المشي إلى عمله. هزت رأسها رافضةً ومستسلمةً في آنٍ واحد. في الوقت الذي التفتت فيه روزماري نحو باجابوند، كانت الحمامات والسنجاب قد رحلوا. هزت روزماري رأسها

لتريحه. «إن مخيلتي تمارس خدعًا كثيلرة مؤخرًا»، فكرت بينها وبين نفسها، ثم توجهت نحو المرأة المتشردة، الروح الضائعة الأخرى. «مرحبًا، باجابوند».

أدارت المرأة العجوز رأسها المكسو بالشعر المدهن بعيدًا وحدقت عبر الحديقة.

«اسمي هو روزماري. تكلمت معكِ من قبل. حاولت إيجاد مكان جميل لك لتقطني فيه. هل تذكرين؟» قرفصت روزماري لمستوى باجابوند لتتكلم معها بشكل مباشر.

جاء القط الأسود الذي رأته سابقًا إلى باجابوند، وقف إلى جانبها وبدأ بفرك جسمه بجسمها، فداعبت المرأة رأسه وتمتمت بأصوات غير مفهومة.

«أرجوكِ تكلمي معي. أريد أن أحضر لكِ الطعام. أريد أن أوفر لكِ مكانًا جيدًا تعيشين فيه». مدت روزماري يدها، فلمع خاتمها في الشمس.

ثنت المرأة الجالسة على الأرض ركبتيها للأعلى وأمسكت بالكيس البلاستيكي الذي كان ممتلئًا بكنوزها. بدأت بالترنح إلى الأمام والخلف وهي تدندن. نظر القط الأسود إلى روزماري التي ارتعدت خوفًا من نظرته.

«سأكلمكِ لاحقًا. سأعود مجددًا لأراكِ». قامت روزماري من

مكانها منتصبة القامة، وجهها مشدود، ولوهلة أحست أنها تريد البكاء لتخفيف خيبة الأمل التي شعرت بها. كانت فقط تريد مساعدة أحد، أي أحد لتشعر بالرضا بالنفس حيال شيءٍ ما قد قامت به.

مشت بعيدًا عن باجابوند، إلى غرب سنترال بارك ومدخل مترو الأنفاق. مجلس أبيها الحربي قد أرعبها. لم تكن راضية أبدًا عمَّا يفعله، كانت كل حياتها عبارة عن هروب وفداء وتكفير عن ذنوب أبيها. أرادت روزماري أن تعيش بسلام، ولكنها كلما اقتربت خطوة من تحقيق مرادها، شاءت الأقدار عن تبعدها ألفًا. كانت سي سي فرصتها الأخيرة. كذلك كان كل هؤلاء المنبوذين في المجتمع التي فشلت في مساعدتهم. كان لا بد من وجود مفتاح للوصول إلى باجابوند.

نزلت روزماري السلالم؛ انتظرت ودفعت تذكرتها، ثم مشت إلى الأسفل باتجاه الرصيف وهي في حالة ذهول. دخلت ريح عاصفة باردة المحطة مصحوبة بالقطار المحلي. نظرت روزماري من الأرض وتحركت بثقل نحو أقرب عربة.

وبينما كانت على وشك صعود القطار، اتَّسعت عيناها وتراجعت نحو الحشد. رمقها الركاب بنظرات مستاءة وانهالوا عليها ببعض الشتائم لأنها أعاقت تدفق الحشد. ولكن تلك العربة الأخيرة كانت تحتوي على كلمات أغاني سي سي

مكتوبة على جانب العربة بلونٍ أحمر كالدم. لطالما عانت سي سي من مشكلة الهوس الاكتئابي، وكانت روزماري تفهم مزاجها من خلال كتاباتها وأغنياتها. لقد كانت سي سي في هذه الكلمات آنذاك مكتئبة لدرجة تفوق ما اختبرته روزماري:

دماء وعظام

خذني إلى المنزل

أناس هناك، أنا مدينة لهم

أناس هناك، سيدخلون

معي إلى الجحيم

معي إلى الجحيم

اقتربت روزماري من العربة، رأت كلمات قد كُتبت حديثًا.

روزي، روزي، الجميلة روزي!

اتركي هذا المكان

انسي شكل وجهي

لا تبكي

روزي، روزي، الجميلة روزي!

«سوف أجدكِ، يا سي سي سوف أنقذكِ». مرة أخرى، حاولت روزماري أن تصعد إلى العربة التي اكتشفت أنها مليئة بمقاطع من أغاني سي سي البعض منه كانت قد عرفته، والبعض الآخر لا بد أنه جديد. مرة أخرى، لم تستطع ركوب العربة. شاهدت روزماري العربة تتحرك نحو النفق، بأنفاس صعبة وعينين متسعتين. شهقت عندما وجدت أن جانب العربة أصبح مغطى فجأة بنقط من الدماء.

«أيتها القديسة ماري، أم الرَّب ...» تذكرت روزماري قصص القديسين في طفولتها. للحظة الأولى، تساءلت إن كان العالم سينتهي، إن كانت الحروب والموت، الجواكر والحقد، قد سبقت جميعها نهاية العالم!

♣ ♦ ♠ ♥

حلّت الظهيرة.

كانت طائرات B-52 الأمريكية تقصف هانوي وهايفونغ. أما مقاطعة كوانج تري، فقد سيطر عليها الخوف؛ وذلك لأن الفيتناميون الشماليون كانوا في طريقهم نحوها. في العاصمة واشنطن، تبادل السياسيون الاتصالات بشأن السطو الأخير. وكان السؤال في بعض القيادات العامة، هل دونالد سيجريتي هو حقًّا من الآيائص؟

كان وسط مدينة مانهاتن موحشًا. وعند المحطة المركزية الكبرى، بحثت روزماري مالدون عن متشرد خفي يمكنها تتبعه خلسةً إلى الأعماق المظلمة.

وعلى بعد بضع أحياءٍ شمال المدينة، كان يمارس مهنته المعتادة، يتنقل عبر الظلام الدائم على عربته الكهربائية الصغيرة، ويتحقق من سلامة المسار في نفق بعد نفق. وفي مكان ما في أسفل تقاطع الشارع السادس والثمانين المهجور، تحت الحافة الجنوبية لبحيرة سنترال بارك، نامت باجابوند قرب القطط والوحوش الأخرى في حياتها.

عند الظهيرة، كانت الحرب أسفل مانهاتن على وشك الاندلاع.

«دعني أنقل لك شيئًا من خطاب ألقاه سابقًا الدون كارلو جامبيون بنفسه». قال فريدريكو «الجزار» ماسيلايو. مرر نظره بعبوس على مجموعات رؤوس العصابات ورجالهم المتجمعين حوله في الغرفة. في الثلاثينيات، كانت الغرفة الكبيرة عبارة عن منشأة تحت الأرض لتصليح قطارات وسط المدينة. وقبل الحرب الكبرى، كانت مغلقة بإحكام لحين اتخذت إدارة النقل قررًا بتوحيد جميع منشآت الصيانة الممتدة على طول النهر. كانت عائلة جامبيون قد أخذت المساحة كمستودع للأسلحة والبضائع المهربة ونقل البضائع،

وكمدافن عند الضرورة.

رفع الجزار صوته وردد تلك الكلمات: «ما سيحدث الفرق بالنسبة لنا في المعركة شيئان: الانضباط والولاء».

كان رينالدو الصغير يقف إلى جانب شخص مع فرانكي وجوي. «ناهيك عن الأسلحة الآلية والمدافع». قال مبتسمًا.

تبادل جوي وفرانكي النظرات. هز فرانكي كتفيه. قال جوي: «الرب والأسلحة والمجد».

علق رينالدو الصغير قائلًا: «أشعر بالملل. أريد الذهاب لإطلاق النار على أي شيء».

وقال جوي بصوت أعلى، حتى يسمع الجزار: «مهلًا، نحن ذاهبون إلى مضايقة بعض المخمورين؟ من سنهاجم؟ فقط السود؟ أم الجواكر أيضًا؟»

قال الجزار: «لا نعرف من هم حلفاؤهم. نحن نعلم أنهم لن يتصرفوا بمفردهم. هناك خونة من بني عرقنا يساعدونهم في سبيل الحصول على المال».

ارتسمت على وجه رينالدو الصغير ابتسامة عريضة وقال: «منطقة إطلاق نار حرة». «يا للروعة». ثم شد قبعة البوني الخاصة به.

«تبًّا». قال جوي. «أنت لم تكن هناك».

رفع رينالدو الصغير إبهامه موافقًا. «رأيت فيلم جون واين»، «هذه هي كلمة الرجل، هاه؟» قال جوي.

كانت ابتسامة الجزار رقيقة وباردة. «أي شخص يسبب لك مشاكل، تخلص منه».

بدأت جميع المجموعات المكونة من المستطلعين والفرق والفصائل بالخروج، وكان بين أيدي الرجال أسلحة M-16 وأسلحة بامب أكشن وبعض المدافع الرشاشة M-60 وقنابل يدوية وقاذفات وصواريخ وغاز مسيل للدموع وأسلحة خفيفة وسكاكين ولقم C4 كافية للتعامل مع أي نوع من المواجهة.

«جوي». قال رينالدو الصغير. «على ماذا ستطلق النار؟»

وضع جوي طلقات في سلاح AK-47. هذا السلاح لم يكن من مخزن أسلحة جامبيون، كان تذكاره الخاص. أمسك الأسهم الخشبية المصقولة. «ربما التمساح».

«ماذا؟»

«ألا تقرأ أيًّا من هذه الأخبار الخرقاء التي تتحدث عن تماسيح عملاقة هنا»

نظر إليه رينالدو الصغير والشك يساوره ثمَّ ارتجف. «إن جواكر الغابة قاموا بالواجب وأكثر؛ لذلك لا أرغب في مواجهة أيِّ سحالٍ كبيرة ذات أسنان».

ابتسم جوي عندها.

«لا يوجد مثل هذه الأشياء، أليس كذلك؟» قال رينالدو الصغير. «أنت تمازحني أليس كذلك؟»

رفع جوي إبهاميه للأعلى ضاحكًا.

♣ ♦ ♠ ♥

لم ينتبه جاك للوقت. كان يعلم أن فترة طويلة قد مضت منذ منذ أن قام آخر مرة بتحويل مركبة صيانة المسارات الخاصة بعيدًا عن الخط الرئيسي.

كان هناك شيء خاطئ. قرر التحقق من أكثر الطرق غموضًا. انتابته رعشة من الخوف، فصار كمن تم إسقاط قطعة ثلج في ظهره.

كان يسمع القطارات من بعيد. أما الأنفاق التي كان يتفحصها فكانت نادرًا ما تُستخدَم، باستثناء حين يتم تحويل الطرق بسبب الازدحام أو الحرائق أو مشاكل أخرى في الخط الرّئيسي. سمع أيضًا أصواتًا بدت مثل إطلاق نار.

غنَّى جاك. ملأ الظلام بأغاني زيديكو، مزيج من موسيقى الكاجون وموسيقى ذوي البشرة الداكنة الذي لا يزال يتذكره منذ طفولته. بدأ بأغنية «شانتلي لايس» لبيغ بوبير وأغنية «آي تي في» لكليفتون شينيير، وأتبعهما بتهويدة لجيمي نيومان وأغنية «راينينج إن ماي هارت» لسليم هاربو. كان قد قام للتو بتشغيل السيارة وزاد من سرعتها بعد أن مضى عام على الأقل منذ أن فعل ذلك، عندما انفجر العالم في وميض من اللهب الأحمر والأصفر. كان لديه وقت لغناء سطر واحد من أغنية «لا أريكو سون با سال» عندما تلاشى الظلام. أحس بضغط في أذنيه، وصار والسيارة يتخبطان باتجاهات مختلفة في الهواء.

لم يسعفه الوقت سوى لقول: «ما هذا بحق الجحيم؟» ليرتطم بعدها بحجر الجدار البعيد للنفق وينهار على الأرض. في الوقت نفسه، تفاجأ بارتجاج وبضوء. رمشت عيناه وأدرك أنه بإمكانه رؤية الدخان يحوم، والأضواء المنبعثة التي أضاءت سحب الدخان.

سمع صوتًا يقول: «يا إلهي، رينالدو! نحن لم نكن في مواجهة دبابة».

وقال صوت آخر: «آسف على القيام بذلك. يعز علي أن أقتل شخصًا يذكرني لهذا الحد بتشاك بيري».

«حسنًا». قال الثالث، «على الأقل يجب أن يكون شبحًا».

«تحقق من ذلك، رينالدو. ربما يبدو الرجل وكأنه علبة مفتوحة من لحم الخنزير، ولكن من الأفضل أن تتأكد من ذلك».

«يا جوي».

صارت الأضواء أقرب، تتمايل في سحب الدخان.

سيقتلونني، فكر جاك، ليعود إلى لهجة طفولته. لم يكن هناك في البداية أثر عاطفة للذي عرفه. فغضب. ترك الشعور يجتاحه. الغضب تصاعد حتى أم رأسه. جرعة الأدرينالين آلمت أعصابه. شعر جاك للمرة الأولى بما كان يعتقد أنها بداية جنون لوب غارو.

«مهلًا، أعتقد أنني أرى شيئًا! إلى يسارك، رينالدو».

اقترب الشخص المدعو رينالدو ... «نعم، عثرت عليه. الآن سأتأكد». رفع سلاحه، مصوِّبًا مثبتًا بإحكام على طول السهم.

أخرج ذلك الأمر جاك عن صوابه. أيها الوغد البليد!

تملكه ألم يليه ألم. لقد ... تغير.

بدا أنه مثقل التفكير، وعقله ينطوي على نفسه إلى ما لا نهاية، إلى مستوى الزواحف البدائية. كان جسده يزداد طولًا

وسماكةً؛ اندفع فكه إلى الأمام، والأسنان ظهرت واضحة. شعر بعضلاته مشدودة تمامًا. إنها القوة المطلقة للجسم ... شعر بها بوضوح.

ثم رأى الفريسة أمامه، التهديد.

«يا إلهي!» بكى رينالدو الصغير. إصبعه على زناد M-16. أطلق أول دفعةٍ من الطلقات بعشوائية، ولم تتسنى له الفرصة بإطلاق دفعة ثانية.

اندفع المخلوق الذي كان يعرف سابقًا بجاك إلى الأمام، وأغلق فكيه حول خصر رينالدو، وأخذ يلتوي ويمزق جسده. وقع مصباح الرجل من يده وانكسر ثم انطفأ.

بدأ الرجال الآخرون بإطلاق النار بشكل عنيف.

بدأ التمساح باستيعاب البكاء والصراخ من حوله. بات بإمكانه شم رائحة الخوف. كانت الفريسة أسهل للاصطياد عندما تحدد مكانها بنفسها. أسقط جثة رينالدو وانتقل نحو الأضواء. ملأ صراخه كامل النفق معلنًا عن تحديه للآخرين.

«بحق الرب، جوي! ساعدني!»

«انتظر. لا أستطيع أن أرى أين ذهب!»

كان الممر ضيقًا، والمواد القديمة متحلِّلة. كان عالقًا بين

وجبتين من الطعام المغري، التف التمساح حول المكان الضيق. رأى ومضات من الضوء، وشعر ببعض التأثيرات اللاذعة، خصوصًا في ذيله. سمع الفريسة تصرخ.

«جوي، لقد كسر ساقي!»

تتالت الومضات. وتبعها انفجار. دخان حاد خنق أنفه. سقطت قطع حجارة متنوعة من السقف. الحزم الفاسدة انشقت. انهار الأسمنت المهشهم. جزء من الأرض تحته هبط، وطوله الذي يبلغ اثني عشر قدمًا سقط بشكل كبير أسفل المنحدر. ظهر من فوقه الدخان والغبار، والحطام الصُّلب.

اصطدم التمساح بفتحة معدنية رقيقة لم يتم تصميمها أبدًا لهذا النوع من القوة. تمزَّق الألومنيوم مثلما يتمزَّق القماش وطاح في كوة مفتوحة. سقط لعشرين قدم أخرى قبل أن يقع على قضبان خشبية على شكل بيت العنكبوت. تبعته أجزاء من الحطام. ثم ساد الصمت كليًا. استراح التمساح في الظلام. عندما حاول ثني جسده، لم يستطع. كان محشورًا تمامًا في مهد خشبي لقطّة. اقتحم قضيب خشبي فمه. لم يستطع حتى فتح فكيه.

حاول أن يصرخ، ولكن صوته كان أكثر كزمجرة مكتومة.

رمش بعينيه، فلم يكن قادرًا على رؤية شيء. قوته كانت

تتضاءل، هي صدمة بيَّنت خسائرها.

لم يرد أن يموت هنا. أراد أن يموت في الماء.

الأسوأ من ذلك، لم يرغب التمساح في الموت جائعًا.

كان يتضور جوعًا.

♣ ♦ ♠ ❤

شعرت باجابوند بشيء لم تشعر به لفترة طويلة: التعاطف، مع روزماري مولدون. كانت تعرف أن العاملة الاجتماعية أرادت المساعدة، لكن كيف يمكن لباجابوند أن تخبرها أنها لا تحتاج إلى مساعدة؟ كانت في حيرة من أمرها، اكتشفت باجابوند أنه يمكنها أن تكون سعيدة مع اهتمام أصدقائها، بالرغم من كونها غير بشرية.

كان لديها مكان دافئ للنوم. كان منزلها تحت سنترال بارك بالقرب من الأنفاق. وباجابوند كانت قد فرشته بأفضل ما استطاع الشارع أن يوفر لها. الأثاث عبارة عن كرسي مكسور لونه أحمر مع سجادات وبطانيات تغطي الأرض. بالإضافة لرسم مخملي لأسود في الوادي منحوتة على جدار واحد، وتمثال خشبي لنمر في الزاوية. كانت إحدى أرجل النمر مفقودة!

وفي أثناء تسكعها في نفق الشارع السادس والثمانين المهجور، تذكرت باجابوند الشخص الذي كانت تحبه، سوزان ميلو. اجتاحت موجة من الألم عقلها وقطعت حبل أفكارها. تسبب بكائها الشديد بنوبة ألم للقط الأسود. وعندما خفت الألم، أرسل القط الأسود إلى باجابوند نفس الصورة التي كان قد أخذها من المخلوق الذي هاجم الفئران. قبلتها باجابوند. لم تكن قادرة على فهم الصورة تمامًا. يبدو أن المخلوق هو سحلية ضخمة، لكنه لم يكن حيوانًا بالكامل وقد كان مصابًا!

تنهدت باجابوند وقامت من مكانها. «علينا أن نجده إذا كنا سنحظى بالسلام والهدوء». لم يكن القط الأسود موافقًا على هذا الحل حتى انتابته موجة أخرى من الألم. زمجر وركض إلى النفق نحو باجابوند. شعرت كاليكو بالقليل من الألم فقط لأنها مرت بجانب باجابوند والقط الأسود.

أطلقت باجابوند صرخة ألم بسيطة لما سمعته من قبل، فاستلقت الكاليكو على الأرض وثنت ذنبها للخلف. ظهرت صورة القط الأسود في ذهن باجابوند واندفعت الكاليكو إلى أسفل النفق. طلبت باجابوند من الكاليكو أن تنتظرها، وبدأتا في تتبع كل من القط الأسود والمخلوق المصاب.

استغرقهما الأمر وقتًا طويلًا للعثور عليهما. لا يشبه المخلوق شيئًا بقدر ما يشبه سحلية عملاقة. كان محاصرًا

تحت أخشاب سقطت في نفق. جثم القط الأسود على بُعد بضعة أقدام، يحدِّق بالمنظر أمامه.

نظرت باجابوند إلى المخلوق المحاصر وضحكت. «إذن، يوجد حقًّا تماسيح في المجاري». حرك التمساح ذيله، وأوقع بعض الطوب عبر النفق. «لكن هذا ليس كل ما أنت عليه، أليس كذلك؟»

كان من المستحيل لها وللقطتين أن يقوموا بتحرير التمساح. ركعت باجابوند وفحصت الأخشاب المحاصرة للوحش ودعت أصدقاءها لمساعدتها. مدت يدها وداعبت رأس التمساح لتهدئته بالصور التي أرسلتها. شعرت أن المخلوق عالق بين الوعي واللاوعي.

وصلت الحيوانات في أوقات مختلفة. كان الأمر وكأن هدنة غير معلنة قد عُقِدَت، وذلك بينما كانت باجابوند توجه كل حيوان وفقًا لقدراته. فالفئران قضمت ما تمكنت منه، وزوج من الكلاب البرية ساعدا برفع الأخشاب، والأبوسوم والراكون حملا الحجارة الصغيرة. القط الأسود والكاليكو ساعدا باجابوند في السيطرة على مزيج متنوع من الحيوانات.

عندما تم رفع الحطام الصغيرة بعيدًا مع الأخشاب والألواح، بدأت باجابوند بمساعدة التمساح. بين التجاذبات

والمحاولات، شق جاك طريقه نحو الحرية. ظلت باجابوند مع التمساح المتعب والمغطى بالكدمات في حضنها. أخبر القط الأسود والكاليكو المخلوقات التي ساعدتهم أن تغادر المكان.

شاهد القطان باجابوند وهي تفرك الجانب السفلي من فك التمساح، في محاولة لتسكين المخلوق. وبينما كانت تداعبه، بدأ أنفه وذيله بالتقلص. أصبحت الحراشف ناعمة، وبشرته شاحبة. أطرافه القصيرة امتدت لتصبح ذراعين وساقين. في بضع دقائق، حملت باجابوند الرجل الذي وجدوه من قبل عاريًا، وعلى جسده كدمات. أدركت باجابوند أنه في مرحلة لا يمكن تحديدها، لن تعود قادرة على التحكم في هذا المخلوق أو قراءة أفكاره. فبطريقة ما غفلت عن فكرة انقسامه الحاسم بين كونه الرجل والوحش.

لقد نهضت ورفعت الرجل عنها، ومشت نحو نهاية النفق. رافقتها الكاليكو، في حين بقي القط الأسود بجانب الرجل.

لماذا؟ فكرت باجابوند.

«لماذا؟» رد القط الأسود. فالعمل الذي قاموا به للتو، دار في عقلها مجددًا، ولكن من وجهة نظر القط.

نظرت الكاليكو للجميع. فهي لم تكن قد دُعِيت إلى هذه

المحادثة.

تمساح، شرحت باجابوند، وليس إنسان.

ولكن في ذهنها، أصبح التمساح رجلًا.

«الفضول ...» تحدث باجابوند بصوت عالٍ لأول مرة منذ بدء عملية الإنقاذ.

أرسل القط الأسود صورة قط أسود على ظهره ورافعًا كفوفه في الهوء.

جلست باجابوند إلى جانب الرجل. بعد بضع دقائق بدأ بالتحرك. جلس وهو متألم. استطاع رغم الضوء الخافت التعرف على باجابوند – على أنها المرأة العجوز التي رآها منذ أيام.

«ماذا يحدث؟ أتذكّر أنني واجهت مجموعة من المجانين بالأسلحة، ثم أصبحت الأمور بعدها غير واضحة». حاول التركيز على العجوز، التي ظلت تنقسم إلى صورتين. «أعتقد أنني قد أصبت بارتجاج».

هزت باجابوند كتفيها وأشارت إلى القضبان التي وقعت من السقف وراءه. أجهد عينيه وتمكن من أن يرى ما يشبه مئات المخالب على الأرض والجدران حول الكهف. في وسط

الدمار، رأى جاك أيضًا أثر ذيل وحشي.

«تبًّا، ليس مرة أخرى». الْتفت جاك إلى باجابوند. «عندما وصلتِ إلى هنا، ماذا رأيتِ؟»

التفتت قليلًا وهي بعيدة عنه، وبقيت صامتة. رأى على فمها نصف ابتسامة ترتسم تحت شعرها المدهن. أكانت غاضبة؟

«اللعنة. ماذا سأفعل؟» كاد جاك أن يقع من هول الضربة التي تلقاها من الكفوف السوداء. «اهدأ يا فتى. أنت أكبر قطة رأيتها منذ أن غادرت المستنقعات». حدقت عينا القط الأسود في عيني الرجل بحدة غريبة. «ماذا؟»

«إنه يريد أن يعرف كيف تفعل ذلك». كان صوت المرأة العجوز لا يتطابق مع مظهرها. كان صوتها شابًّا وبه نفحة من الفكاهة. «كن حذرًا، فلا تزال غير متوازن، كما لو كنت تحت تأثير دواء تورازين». أخذت ذراعه وساعدته على الوقوف.

عندما وقف باستقامة، قالت: «لن تستطيع الخروج هكذا». وبدأت في خلع معطفها.

«يا إلهي. شكرًا». شعر ببشرته تحمر، لبس جاك معطفها القماشي الأخضر ولفه حول نفسه. كان يغطيه من الرقبة إلى الركبتين، لكنه ترك ذراعيه عاريتين من المرفقين إلى الأسفل.

«أين تعيش؟» حدقت باجابوند في وجهه دون ملامح تعبيرية تُذكر. قدَّر جاك لطفها.

«وسط المدينة. أسفل برودواي بالقرب من محطة سيتي هول. هل نحن في أي مكان قريب من القطار؟» لم يكن جاك معتادًا على الضياع، استاء كثيرًا من هذا الشعور.

كما لو كانت تجيب على سؤاله، توجهت باجابوند إلى مدخل النفق. لم تنظر إلى الوراء لترى ما إذا كان سوف يتبعها. التفتت واتجهت يمينًا.

«سيدتك غريبة بعض الشيء. لا أقصد الإهانة». قال جاك للقط الأسود. مشى القط وهو يتخلف عن باجابوند. نظر إليه، واستنشق الهواء، ثم نفض ذيله.

«من أنا لأتحدث، إيه؟»

على الرغم من أن جاك حاول السير بجوار باجابوند، لكنه سرعان ما تخلف عنها. لكنها في النهاية، بموافقة القط الأسود، عادت وساعدت الرجل، ووضعت ذراعه على كتفيها.

تذكر جاك الأنفاق أخيرًا عندما وصلوا إلى محطة الشارع السابع والخمسين. كان مندهشًا من التغير الحاصل لباجابوند وهم يشقون طريقهم إلى الرصيف. على الرغم من أنها كانت

ما تزال ممسكة به، بدت المرأة وكأنها تود التخلص منه. إنها تجر قدميها الآن بدلًا من السير عليهما، وقد أبقت عينيها على الأرض. وأولئك الذين ينتظرون على المنصة أفسحوا لهم مساحة كبيرة.

وصل قطار الأنفاق، كانت آخر عربة مغطاة بالكتابات الساطعة بشكل غير طبيعي.

رفعت باجابوند جاك نحو العربة المزينة. كان لدى جاك الوقت الكافي لقراءة بعض العبارات الواضحة التي كانت تغطي الجوانب.

«هل أنت غير عادي؟»

هل شعرت بالنار؟

هل تحترق من الداخل؟

النيران تلتهمنا جميعًا،

لكن لا تدعنا نموت أبدًا.

لا تخمد أبدًا، ستبقى للأبد مشتعلة.

اعتقد جاك أن بعض العبارات تغيرت أثناء مشاهدته، لكن ذلك لا بد أن يكون بسبب ارتجاج دماغه. سحبته باجابوند إلى الداخل. أغلقت الأبواب، وتركت بعض عملاء الترانزيت

الغاضبين في الخارج.

«توقف!» كانت باجابوند توجز كلماتها، لقد ظن جاك ذلك.

«سيتي هول». اتكأ جاك وأراح رأسه على الجزء الخلفي من المقعد، أغلق عينيه بينما مشى القطار نحو وسط المدينة. لم يلحظ أن المقعد تكيف مع منحنيات ليدعمه في أثناء نومه. لقد فشل في إدراك أن الأبواب لم تفتح مرة أخرى حتى وصل إلى محطته.

لم يكن القطان سعيدين تمامًا بهذه الرحلة. كانت الكاليكو تشعر بالرعب. أذناها كانتا للخلف وذيلها مستقيم ووبرها أشعث. اتكأت على جانب باجابوند. ضغط القط الأسود بحذر شديد على أرضية السيارة. كان الملمس مألوفًا. لقد تساءل حول الحرارة والرائحة في كل مكان من حوله.

حاولت باجابوند التركيز على التقسيمة الداخلية للعربة المظلمة. لم تكن هناك زوايا حادَّة. بدت الأشكال الخافتة وكأنها تغير شكلها قليلًا، وذلك من زاوية رؤيتها المحيطية. لم تشعر بشيء من هذا القبيل منذ أن تعاطت المخدرات آخر مرة. أعادت انتباهها للقطين وجاك. لم تستطع تحديد الشخص الذي تواصلت معه لفترة وجيزة. لكنها شعرت بالراحة الكبيرة. شعرت بالدفء والحماية.

أسندت ظهرها بحذر مرة أخرى على مقعدها وداعبت الكاليكو.

♣ ♦ ♠ ♥

قال جاك: «هذا هو».

كان قد تعافى بما فيه الكفاية لقيادة حزبهم الصغير خلال محطة سيتي هول، وذلك من بين مجموعة مذهلة من خزائن الصيانة، وعبر متاهة أخرى من الأنفاق غير المستخدَمة. كان ينير أقسامًا من الممرات بالأضواء التي كان يشغلها ويطفئها حسب الحاجة، وذلك في طريق عودتهم نحو منزله. عندما فتح الباب الأخير، وقف جانبًا وأشار لباجابوند والقطتين بالدخول. ابتسم بفخر بينما كانوا يحدقون في أنحاء الغرفة الطويلة.

«واو يا رجل!» ذهلت باجابوند وهي تنظر إلى الأثاث الفخم والديكور المدهش. كان الانطباع فوريًا بعد رؤية المقاعد الحمراء المخملية ذات القواعد المخلبية.

«أنتِ أصغر مما تبدين. كانت هذه ردة فعلي أيضًا. ذكرني بقاعة النقيب نيمو الفخمة ...»

«من فيلم عشرون ألف فرسخ تحت الماء».

«نعم، صحيح. هل شاهدته أيضًا؟ لقد كان من أولى الأفلام التي رأيتها على الإطلاق في مسرح الرعية». ساروا على السلالم المغطاة بالسجاد القرمزي والمحاط بدعامات ذهبية وحبال فخمة. ركض كلا القطين أمامهما، استخدمت الكاليكو الكراسي الفيكتورية كعقبات. وتم تعزيز الضوء الكهربائي بواسطة ألسنة اللهب الغازية التي أعطت الغرفة جوًّا يحاكي القرن الماضي. هرول القط الأسود على السجاد الفارسي إلى حافَة المنصة ونظر إلى البشريين.

«إنه يريد أن يعرف ما وراء هذا الباب». ثبتت باجابوند جاك ومشوا ببطء أسفل الدرَج. «إنك تحتاج إلى الاستلقاء والراحة».

«سأفعل ذلك قريبًا جدًّا ... هذا هو بيتي، وخلف هذا الباب غرفة نومي. يمكننا التوجه في هذا الاتجاه ...» بدأوا بعبور الغرفة. «كان هذا أول مترو أنفاق في نيويورك، بناه رجل يدعى ألفريد بيتش بعد الحرب الأهلية. كان ينطلق فقط لجادتين. لم يرده الرئيس تويد، فقاموا بإغلاقه ثم نسوا الأمر».

لقد وجدته بعد فترة من الوقت عندما بدأت العمل لدى إدارة النقل، وهذه واحدة من فوائد الوظيفة. لا أعرف لماذا صمدت، لكنها تعني الكثير بالنسبة لي. كل ما احتاجته هو

بعض التنظيف». ساروا إلى الطرف الآخر من الغرفة ومد جاك يده ليدير المقابض على الباب البرونزي المزخرف.

فُتح الباب.

«كان هذا هو المدخل إلى الأنبوب الهوائي».

«لم أكن أتوقع هذا». فوجئت باجابوند عندما وجدت أن الجزء الداخلي من النفق كان شبه مفروش. كان هناك سرير مصنوع يدويًا من خشب الصنوبر، وخزانة الكتب مصنوعة يدويًا من ذات الخشب وخزانة خشبية.

«كل وسائل الراحة في المنزل. حتى إنه توجد مجموعتان كاملتان من كتب بوجو». نظر جاك نظرة بريئة إلى باجابوند وضحك، فقد بدت مندهشة مما رأته حولها.

«أين الأيوداين الخاص بك؟» نظرت باجابوند حولها باحثة عن مجموعة الإسعافات الأولية.

«لا أستخدم هذه الأشياء. هل يمكنكِ أن تحضري لي بعضًا من هذه؟» أشار جاك إلى شباك العنكبوت.

«أنت تمزح».

«أفضل كمادات في العالم. جدتي علمتني ذلك».

عندما التفت باجابوند إلى الوراء، كان قد لبس سروالًا

قصيرًا وكان يحمل قميصًا في يده. أعطته شباك العناكب وساعدته على تضميد أسوأ الجروح.

«إذن كيف انتهى الأمر بكِ هنا؟» جلس جاك على السرير متألِّمًا، بينما جلست باجابوند بحذر شديد على الحافة.

«أنت بالتأكيد لست مثل هؤلاء الاختصاصيين الاجتماعيين». شاهدت باجابوند القطتين خارج الباب يطاردان بعضهما البعض حول الغرفة. التفتت إليه بنظرة تخمين. «وهم يحبونك».

«سمحوا لي بالخروج لفترة وانتهى بي الأمر في المدينة. لا مكان آخر للذهاب إليه. التقيت بالقط الأسود، بدأت بالتحدث معه، وتحدث معي. وكذلك فعلت الكثير من الحيوانات الأخرى، تلك التي ليست بإنسان. أنا أنسجم معها. أنا لا أحتاج الناس، لا أريد الناس من حولي. الناس بالنسبة لي يشيرون إلى سوء الحظ. يمكنني التحدث معك أيضًا عندما تكون ذلك المخلوق، أتعلم؟ في الخارج يدعونني باجابوند. كان لي اسم آخر ذات مرة ولكن أنا لا أتذكره جيدًا».

«يسمونني جاك المجاري». قال جاك ذلك بمرارة، على عكس ردة فعل باجابوند غير الآبهة. اجتاحت باجابوند موجة تضمَّنت صرخات وأضواء ساطعة والخوف، وملاذ المستنقع!

«كان هنا ... المخلوق. ما أنت؟» كانت باجابوند مرتبكة؛ لم يسبق لها أن قابلت هذا المزيج من الإنسان والحيوان، ذاك الذي لم تستطع التواصل معه إلا في بعض الأحيان.

«كلاهما. لقد رأيتِ».

«هل تتحكم فيه؟ هل يمكن أن تحول نفسك؟»

«هل رأيتِ في أي وقت مضى لورانس تالبوت على شكل مستذئب؟ أتغير عندما أفقد السيطرة أو عندما أسمح للوحش بالسيطرة. أنا لست ملعونًا عند اكتمال القمر؛ أنا ملعون طوال الوقت. لوب غارو هو أسطورة من حيث أنا قد أتيت. الكاجيون جميعًا يؤمنون به. عندما كنت صغيرًا، قمت بذلك، أيضًا. كنت أخشى أن أؤذي شخصًا ما؛ لذا ذهبت بعيدًا قدر الإمكان. نيويورك كانت بلدًا أجنبيًا؛ لا أحد يعرفني أو يزعجني هنا».

كانت عيناه تركزان عليها الآن بدلًا من تركيزه في الماضي. «لماذا التصنع؟ لا يمكنكِ أن تكوني أكثر من خمسٍ وأربعين».

«ست وعشرون». نظرت إلى جاك، متسائلة لماذا يهمه هذا. «إنها تمنعهم من إزعاجي كثيرًا».

نظر جاك من خلال الباب المفتوح إلى ساعة السكك

الحديدية على الجدار المقابل. «أنا أشعر بالجوع. ماذا عنكِ؟»

♣ ♦ ♠ ♥

تحولت فكرة إنقاذ سي سي من فكرة رائعة إلى كابوس. تبعت روزماري بعض المشردين في أنفاق البخار تحت المحطة المركزية الكبيرة.

في البداية، حاولت أن تسأل أي شخص التقت به عن سي سي ولكن عندما انتقلت إلى الممرات الرطبة، ابتعد أولئك الذين يعيشون هناك. لم يكن هناك سوى ضوء آتٍ من حواجز شبكية في الشارع أعلاه، أو من سحب الدخان. بدأ التعب يظهر عليها، سقطت مرارًا في الوحل داخل النفق.

في لحظة مروِّعة، تعرَّضت للهجوم من قبل مخلوق قذر ذي مخالب يثرثر كثيرًا. لقد قاتلته، لكن حقيبتها اختفت الآن. كانت روزماري ضائعة. سمعت أصواتًا بدت وكأنها طلقات نارية وانفجارات. أنا في الجحيم.

كان أمامها بقعتان متوهجتان سطعتا في وجهها وسط الظلام. خفَّ سطوعهما كلما اقتربت. لقد فتنتها الأضواء الخضراء القزحية اللون.

بانت البقع جيدًا، ورأت روزماري قطة تجلس القرفصاء في

الظلام. تراجعت بضعة أقدام وزمجرت، وصارت تراقب دنو روزماري من القطة المجروحة، الرفيقة التي كانت تحرسها. كان صدرها مسحوقًا وساقها شبه مقطوعة عن جسدها، كانت القطة المجروحة كانت تحتضر. لن تسمح القطة الحارسة لروزماري بإلحاق المزيد من الألم بصديقتها. عندما سمعت البكاء، تجاهلت كل شيء، وركعت بجانب القطة المصابة. أدركت روزماري أنه لم يكن هناك شيء يمكن أن تفعله، لكنها حملتها. بدأت القطة بالخرخرة قبل أن تختنق وتموت.

رفعت القطة الحارسة رأسها وأطلقت عويل تأبين قبل أن تدور وتغيب في الظلمة.

وضعت روزماري الجسم على الأرض أمامها ووضعت رأسها وساقيها في أوضاع مريحة، جلست، وبدأت تبكي. يبدو كما لو أنها بكت إلى الأبد قبل أن تبدأ بالسير نحو أصوات البنادق، وهي تلهث وتتنهد.

♣ ♦ ♠ ♥

بعد مداهمة الثلاجة، فهمت باجابوند لماذا لم يلاحظ إد المخادع قابس الطاقة، ولكن كيف قام بإحضار الثلاجة إلى هنا؟

عاد جاك إلى غرفة نومه لينام قليلًا. تجولت باجابوند والقطين في منزل جاك، مما طمأنهم بأنهم يستطيعون الخروج من الباب الذي كان قد أغلقه خلفهم.

اكتشفوا الحدود بسرعة. جلست باجابوند على أريكة محشوة بشعر حصان، وانضم إليها القط الأسود بينما واصلت الكاليكو لعبتها في عبور الغرفة دون لمس الأرضية. فكرت باجابوند مليًّا ولأول مرة منذ سنوات، لم تتم دعوة القط الأسود للانضمام إليها.

كانت باجابوند مندهشة من الأسلوب الذي عاش فيه جاك. جعلها ذلك تفكر كيف أن حياة الترحال الدائمة من منزل مؤقت إلى آخر، تبدو خاطئة ومليئة بالمضايقات. كان ذلك أمرًا تجاهلت التفكير به لسنوات.

وكانت قد ناقشت مع جاك احتمال أن يكونا على حدٍّ سواء من الآيائس.

يا له من حظ! لقد دمر الفيروس حياتهما. قالت إنها لن تكون مرة أخرى الطفل البريء الذي كانت عليه قبل أن تسيطر المخدرات والفيروس على عقلها ويملآنه بالتهيُّؤات الغريبة من عالم الحيوان. ظنت أنها كانت تعيش طفولة بائسة، وقد كان هذا هو سبب مغادرتها المنزل. ولكنها فكرت بمعاناة من كبر وهو يظن أنه مستذئب وملعون من الرب.

لماذا كانت شفافة معه؟ لم يكن هناك أحد ما يزال على قيد الحياة في المدينة التي يعرف الكثير عنها كما فعل جاك الآن. كان ذلك لأنهما كانا يشبهان بعضهما بعضًا، كانا يعرفان أنه يجب عليهما تقبل اختلافهما، والتوقف عن البحث عن طرق ليكونا مثل أي شخص آخر.

خدشت المخالب الخلفية يدها، فانطلق الدم قبل أن تنتبه إلى العالم الحقيقي. التقت عيناها بعيني القط الأسود، وتشاركا صورًا مرعبةً.

بدأ يتراءى في ذهنها:

أعشاش الفئران التي دمرتها نيران المدافع الرشاشة، وصراخ الرجال التي أخافت الأبوسوم، أطفالها المتشبثون بظهرها وهي تركض، سقوط أحدهم ميتًا؛ القطط تفر، إطلاق النار، القتل؛ قطة تقاتل لحماية القطط الصغيرة قبل أن تقضي عليها قنبلة يدوية في القمامة، الأم بساق شبه مقطوعة؛ والعاملة الاجتماعية اللعينة احتضنت قطة تموت. الدم - والمزيد من الدم - كان يتدفق من أصدقائها الوحيدين.

«الهررة. لا!» وقفت باجابوند ووجدت نفسها ترتجف.

«ما الذي يحدث؟» استيقظ جاك من صرخة باجابوند،

وخرج من غرفته وهو ما يزال نصف نائم.

«إنهم يقتلونهم! يجب أن نوقفهم». قبضت باجابوند كفَّيها، مبتعدة عنه. أحاط بها القطان، وتوجهت نحو السلالم.

«ليس بدوني». دخل جاك إلى غرفته، أمسك معطف باجابوند الأخضر، والمصابيح، وزوجًا من الأحذية الرياضية، ثم تبعهم.

أبطأه ربط حذاءه الرياضي بينما كان يركض، ولكنه قابلهم في تقاطع النفق الأول.

«ليس من هنا». أوقف جاك الثلاثي عندما دخلوا النفق الأيمن. دفع معطف باجابوند إليها. أشار بمصباحه نحو ممر آخر.

«إنها الطريقة التي أتينا بها». ونتيجة ذعرها، فقدت باجابوند الكثير من ثقتها في جاك.

«سوف يأخذكِ فقط إلى مترو الأنفاق. هناك طريقة أسرع للعودة إلى المتنزَّه. لقد حصلت على عربة المسار. اتبعيني.» انتظر جاك إيماءة باجابوند ودخل في النفق الأيسر مهرولًا.

بدت مشاهد المذبحة في عقل باجابوند أكثر وضوحًا عندما اقتربت من سنترال بارك ونزلت من العربة ... عندما

وصلوا إلى الأنفاق المتفرعة التالية، رفع جاك رأسه واشتم الهواء. «أيًّا كانوا، فإنهم يستخدمون البارود. ما الخطة؟»

«نحن بحاجة إلى معرفة مَن هم حتى نعرف كيفية إيقافهم. صحيح؟» لم تكن باجابوند متأكدة على الإطلاق فيما يجب القيام به.

«أراهن أنهم ضليعون بالسلاح، ولكن ليس لديَّ أي فكرة من هو الرئيس».

ظهرت صورة كاليكو وهي تسير مع جاك، القط الأسود مع باجابوند.

«ممتاز». ربتت باجابوند على رأس القط الأسود الضخم. «فكرة جيدة».

«أية فكرة؟»

«يعتقد القط الأسود أنه يجب علينا الانقسام حتى نكتشف ما يجري. إذا كان أحد القطط مع كل واحد منا، يمكننا البقاء، أم ...»

«على تواصل. نعم. يمكنكِ على الأقل رؤية ما يجري». أومأ جاك بعناية. «كنت أحب أفلام الحرب، لكن الاستقبال ضعيف في منزلي. لنذهب أيها الرقيب». تحدث إلى الكاليكو، التي

قفزت أمامه. «حظًّا موفقًا».

أومأت باجابوند وذهبت في الاتجاه الآخر.

♣ ♦ ♠ ♥

في ظلام عميق بالكاد يُرى منه الضوء من الخوذات التي يرتديها الرجال المسلحون، راقب الدون كارلو جامبيون الخراب الذي كان يومًا مملكته. أخبره الملازم: «دون كارلو، أخشى أن قواتنا أصبحت متحمسة للغاية لإتمام مهمتها». نظر الدون كارلو إلى الجثث واضحة المعالم في الضوء تحت مصباح الجزار. «الحماس في مثل هذه المسألة ليس برذيلة».

قال الجزار: «لقد وجدنا مقرهم الرئيسي. رجالنا اكتشفوه قبل أقل من ساعة». أشار بإصبعه على الخريطة. «حول الشارع السادس والثمانين تحت المتنزَّه. بالقرب من بحيرة السنترال بارك. بدا مأهولًا؛ وذلك اتصلت بك».

وقال قائده: «أنا ممتن. أريد أن أكون حاضرًا عندما يتم إطفاء شعلة التمرد لأعدائنا. كنت أعرف أن هناك سببًا لنشوئهم». ارتفع صوت الدون كارلو كذلك. حدَّق الجزار في وجهه.

قال الدون كارلو: «أريد رؤوسهم. سنضعهم على رماح في شارع أمستردام وشارع ١١٠». لمعت عيناه بحدة عندما

انعكس ضوء المصباح على وجهه أثناء كلامه.

وضع الجزار بلطف يده على معصم دون. «من الأفضل أن نذهب إلى المدينة الآن، أيها الرئيس. أخبرت الرجال أن ينتظروا في مكانهم، وهم متحمسون».

للحظة، تحركت نظرة الدون كارلو على الأجسام المبعثرة هنا وهناك على الطوب. أقمشة غارقة بالدماء. «يا لها من مأساة! الألم الألم ...» كان يحدق مباشرة إلى الجثة عند قدميه. كان رجلًا أبيض، ذراعاه وساقاه ممتدة مثل أطراف دمية مكسورة. لم تكن ملامح وجهه المحروق مريحة. العذاب ينعكس في العيون الداكنة الواسعة جدًّا. نظارات محطمة غارقة في الدم المتخثِّر في رأس الرجل. قام دون وعي بهز كتف السترة الباهتة بمقدمة حذائه اللامع.

«هذا كان جوكر الغابة الحقيقي ...» قالها بصوت خافت.

نظر الدون كارلو بعيدًا. واستقام في وقفته، مستمدًّا القوة من معرفته الواسعة بما يجب عليه فعله. انحنى إلى وجه الجزار الرصين. «هذه الأشياء التي نقوم بها ... إنه لأمر محزن جدًّا. لكن في بعض الأحيان يجب علينا المجابهة، حتى تدمير طريقة الحياة التي نحبها من أجل الحفاظ عليها».

على الرغم من شجاعته – لماذا أحاول إثارة إعجاب تلك المرأة الخشنة؟ – استغرق جاك وقته في الانتقال إلى الأنفاق. كانت الرحلة الطويلة إلى المتنزه قد أعاد له عرجه وألمه الشديد. كلما سمع ضجيجًا تجمد. أظهرت الكاليكو صبرًا ملحوظًا. كانت تتقدم بمسافة خمسين قدمًا أو نحو ذلك ثم تعود إذا كان المسار سالكًا. تمنى جاك بشدة أن يتحدث معها.

الأصوات الآن لم تكن وهمية. لقد ارتفعت شيئًا فشيئًا. بدأ جاك يسمع صيحات غير مفهومة. كان يجفل عند إطلاق كل طلقة نارية أو انفجار. توقف عن استخدام المصباح لأنه كان يخشى أن يراه شخص ما. بقيت الكاليكو على بعد بضع أقدام الآن. كان جاك يطلي الأوساخ على وجهه ليقلل نسبة انعكاس الضوء عليه.

أصدر حذاؤه صوتًا على الأرضية الأسمنتية تحته أمامه. بدأ في الرجوع وركض إلى أحد الصيادين، الذي كان مندهشًا أيضًا.

«ماذا بحق الجحيم! جوي! جوي، حصلت على واحد!»

لقَّم الرجل ذو القبعة الصلبة، والضوء مُرفق بيها، سلاحه

ووجّهه إلى رأس جاك.

«أين هو هذا الخبيث؟»

أراد ضرب جمجمة جاك بعقب بندقيته. إلا أنه تمكن من الركض بعيدًا عن الضوء حتى ممر مسدود. حاول جاك المناورة عبر لصق نفسه بالحائط، وتمنى أن يتحول إلى مخلفات أو طوب. فكر قليلًا، انتبه للحكة التي تعني أنه كان يتحول. حاربه جاك الأمر عبر إبطاء تنفسه. هذا كل ما يحتاجه الآن. أين الكاليكو؟ سوف تقتلني باجابوند إذا أصيبت هذه القطة بأذًى.

«يجب أن يكون هنا، جوي. لا يوجد مكان آخر يذهب إليه». بدا الصوت كما لو كان على بعد بوصة واحدة.

«ارمِ هذه القنبلة اليدوية، واستمر في التحرك. من المفترض أن نغلق قاعدتهم».

«جوي، هيا».

«سلاي، أنت مجنون، يا رجل. تحرك».

كان صوت المعادن يقرقع على الصخور. وجد جاك بريقًا من الضوء من القنبلة قبل أن يمحو ارتفاع الأدرينالين دماغه. كان ميردي آخر فكرة واعية له.

صوت الانفجار كان يرافقه بعض الانهيارات الصخرية.

«انظر يا سلاي».

«حسنًا، جوي. شكرًا». كان سلاي معروفًا بجنونه مثل رينالدو الصغير.

«لماذا أنا؟» تساءل جوي.

«لم يتبقَّ شيء. فقط بعض الخرق وحذاء الرياضة المفضل».

«هيا إذن. لدينا مساحة لا بأس بها للتغطية».

لم يلاحظ أي من الرجلين الكاليكو التي كانت تجلس على صخرة تبرز من الجدار بالقرب من السقف. قفزت الكاليكو إلى الأسفل وأخذت تشتم بعد أن رأت الملابس الممزَّقة والدموية. ثم أرسلت المشهد إلى باجابوند وشرعت في مقابلتها.

♥♠♦♣

وقفت باجابوند بهدوء بعيدة عن الجدار في تقاطع الشارع السادس والثمانين. ربتت على الكاليكو بلطف كونها امرأة عجوزًا غير مؤذية.

كان القط الأسود قد حذرها بأن المافيا قادمون، لكنهم

كانوا وراءها بحلول الوقت الذي حاولت فيه التراجع. وقع الكثير من القتال. لقد حدقت بصمت في الفوضى التي صنعوها. كان حارسها الوحيد يصبُّ اهتمامه على الدون كارلو.

قال الجزار باعتذار: «من المفترض أنهم هربوا».

قال الدون كارلو: «أريدهم». كان يحدق في اللوحة المخملية الكبيرة في إطارها الخشبي الرخيص، زاوية واحدة ممزَّقة: مطاردة فخر الأسود الحمر الوحشية على الوادي «كانوا هنا». قال. «وحوش».

«دون كارلو، سيدي، أنا ...» كان جوي.

«ماذا؟»

«إنها ماريا، دون كارلو. وجدتها تتجول هنا». رافق جوي روزماري إلى والدها. وكان لا يبدو عليها أنها رأته أو حتى لاحظت أي شيء. كان وجهها خاليًا من أية مشاعر، مسالمًا فقط. روزماري كانت دمية رقيقة سهلة الانقياد، قد فُقدت في مكان ما في الأنفاق.

نظر دون كارلو لوجهها في دهشة، ومن ثَمَّ بدا عليه القلق. «ماريا، ما الخطب يا ماريا؟ جوي، ماذا حدث لها؟»

«لا أعرف، يا دون كارلو. كانت هكذا عندما وجدتها».

نظرت باجابوند من وراء شعرها المدهن. «روزماري، ألا يمكنكِ البقاء خارج هذا أيضًا؟ العاملون الاجتماعيون فضوليون جدًّا». استدار الحارس من حولها، وهز رأسه.

«اعتنِ بها من أجلي، جوي، حتى أنتهي من هذا». استدار إلى الجزار، ثم قال الدون كارلو: «هل تعرف المرأة العجوز أي شيء؟»

«هذا ما سنكتشفه». انعكس الضوء على خنجر الجزار عندما اتجه نحو باجابوند، توقف وأنصت باهتمام. كل شخص في النفق كان يستمع. ازدادت الضجة التي كانت في البداية تبدو أنها مجرد قطار آخر بعيد، بسرعة وبشدة.

كانت هناك صرخات ألم تصدر من النفق الغربي، وقد صاحبت قطار الأنفاق فور ظهوره من بين الظلام. كان القطار يتحرك بغرابة غير طبيعية، وعربته تتوهج بلون أبيض فوسفوري. وكان عليه إشارة كُتِب عليها قطار سي سي. توقف القطار في وسط التجمع. وكان التصاميم المتوهجة على جانبيه تتغير بسرعة لا يمكن للعين مجاراتها.

«سي سي!» صرخت روزماري التي كانت تقف إلى جانب جوي. تخلصت من قبضته وركضت إلى العربة الوهمية. مدت

ذراعيها كما لو كانت تحتضن شيئًا، ولكن عندما لمست جانب العربة، ارتعدت. ثم مدت روزماري يدًا واحدة للمس ما لم يكن معدنًا. «سي سي؟» شعت الألوان من البقعة التي لمستها ثم اختفت. أصبحت العربة سوداء واختفت تقريبًا عن مرأى المراقبين. ظهرت الكلمات كما كانت من قبل: كلمات أغاني سي سي التي كتبتها لأفضل صديقة لها، روزماري. وقف المراقبون، متفاجئون جدًّا قبل المُضِيِّ قُدُمًا.

يمكنك الغناء عن الألم

يمكنك الغناء عن الحزن

لكن لا شيء سيجلب غدًا جديدًا

أو يمحو الأمس

ظهرت الصور على جانب العربة.

كان المشهد الأول هجومًا، مشهد اغتصاب في محطة مترو الأنفاق. شخص طريح الفراش تجلس بالقرب منه روزماري.

شخص بثوب المستشفى ينزل على درج الحرائق.

«هذه هي الطريقة التي خرجت بها من المستشفى، سي سي لماذا هربتِ؟» نظرت روزماري وتحدثت إلى العربة كما لو كانت صديقتها.

أظهر المشهد التالي محطة مترو أخرى، هجوم آخر، ولكن الشخص في ثوب المستشفى كان شاهدًا هذه المرة. حاولت توقيف الهجوم ولكنها رُمِيت جانبًا. ظهر عليها الألم والغضب.

تناثرت القمامة وبعض الآلات غير الآمنة على الرصيف وآلات البيع والصحف المهملة، فأر ميت، كل شيء؛ سقط إلى أسفل المسارات كما لو سحبه قلب الثقب الأسود. قطار مؤلَّف من ست عربات أصدر صوتًا في المحطة. فجأة انضمت عربة أخرى إليها. هرب المهاجم، دخل العربة الجديدة وتحول المشهد إلى قرمزي، كما لو كان الدم قد غسل العربة الوهمية. المزيد من محطات المترو، المزيد من اللون القرمزي. مهاجم آخر في سُترة جلدية، وامرأة عجوز.

«لومي؟» تراجعت روزماري إلى الخلف على مرأى من خطيبها الذي تم التقاطه وهو يسرق. «لومي؟»

«لومباردو!» كان الدون كارلو غاضبًا من رؤية صهره المستقبلي يدخل العربة ويُذبح. «جوي خذ ماريا بعيدًا عن ذلك الـ ... شيء. ريكاردو، أين هي قاذفة الصواريخ؟ ستحصل على فرصتك الآن. فريدريكو، خذ تلك المرأة العجوز بالسيارة. أريد أن يتم قتلهم جميعًا الآن!»

قاومت روزماري جوي عندما أراد إبعادها. «بحق المسيح، ليس لها، ليس لأي شخص بالذات. إنه مثلما كان في السابق

في القرى. يا إلهي». ذهبت باجابوند بهدوء، حاملة القطة كاليكو.

رأى ريكاردو قاذفة الصواريخ. ارتعدت باجابوند.

ضرب القط الأسود البري الغاضب الذي يزن أربعين رطلًا ريكاردو مباشرة على ظهره.

سقط إلى الأمام بينما كان الأنبوب يميل للأعلى وكان الصاروخ الذي أطلقه للتو متجهًا إلى السقف. انفجر الشرر الأحمر والذهبي.

تخلصت روزماري من جوي وركضت للعربة.

بدأت المياه تملأ النفق. والكتل الخرسانية المسنَّنة في الانفصال عن مراكزها المغلقة، وسقط المزيد منها في الماء.

«ريكاردو، أيها الأحمق، لقد فجرت حفرة في بحيرة السنترال بارك!» صرخ فريدريكو الجزار على شخص لم يعد طرفًا فاعلًا. المافيا المنتشرة أسفل الأنفاق في حالة من الفوضى.

«ادخلي العربة. بالله عليكِ!» روزماري أمسكت باجابوند.

«ماريا، أنا قادم من أجلكِ. تمسكي». سار الدون كارلو عكس الفيضان المتصاعد لإنقاذ ابنته الوحيدة.

«أبي، سأذهب مع سي سي».

«لا! لا. إنها ملعونة». حاول الدون كارلو التقدم أكثر ولكنه أدرك أن ساقه محاصرة. دفع كلتا يديه إلى الماء البارد في محاولة لتحريرها. نظر إلى أسفل ورأى صفوفًا من الأسنان العاجية. نظرت عيون الزاحف الشرس في عينيه ...

أصعدت روزماري الجميع على متن العربة، حتى القط الأسود. بدأت العربة بالتحرك مرة أخرى نحو النفق الغربي.

«انتظري. جاك هناك. لا تتركيه». حاولت باجابوند فتح الأبواب. روزماري أمسكت كتفيها.

«من هو جاك؟»

«صديقي».

قالت روزماري: «لا يمكننا العودة. أنا آسفة».

جلست باجابوند في المقعد الخلفي، مرة أخرى تحيط بها قطتاها، حدقت في الماء الذي يندفع إلى النفق خلفهما أثناء تحركهما نحو الأعلى.

♣ ♦ ♠ ♥

توجهت عربة مترو الأنفاق نحو الشارع السادس والثمانين، وأخذت المياه الداكنة تلف عجلات سي سي. وصلت في

نهاية المطاف إلى ارتفاع في النفق حيث توقف المد وتراجع للوراء. توقفت سي سي، بدأت بالتراجع، وأغلقت الفرامل.

ازدحم ركَّابها في الباب الخلفي، يحاولون رؤية أي شيء مما تركوه في الظلام.

«دعينا نخرج، سي سي». قالت روزماري. «من فضلكِ».

فتحت عربة مترو الأنفاق أبوابها الجانبية. أربعة منهم، اثنان من البشر واثنان من القطط، نزلوا إلى الطريق ووقفوا على الشاطئ الجديد.

«انتظري». قالت السيدة المتشردة. وارتسمت ابتسامة غير معتادة على وجهها للحظة فقط.

توترت روزماري، محدقة في الظلام. الشيء الأخير الذي تذكرته هو رؤية والدها يحاول الوصول إليها، ثم رأت وجهه وعينيه فقط.

«هناك». قالت باجابوند بشكل قاطع.

حاولوا جميعًا أن يفهموا الذي يرونه. قالت روزماري: «لا أرى أي شيء».

«هناك».

الآن رأوا جميعًا شيئًا: موجات تتكسر بفعل فم عريض

مليء بالأسنان الحادة، وزوجان من العيون المحمرة تبرز من الماء وتنظر للجماعة على الشاطئ.

بدأ القطان بالمواء، وبدأت الكاليكو تقفز ذهابًا وإيابًا، والقط الأسود يحرك ذيله مثل سوط أفعى سوداء.

«هذا جاك». قالت باجابوند.

♣ ♦ ♠ ♥

بعد فترة استقر الغبار، وانحسرت المياه، وضُمِّدَت الجروح، وُدِفَنت الجثث، وبذل طواقم المدينة التي طالت معاناتها قصارى جهدهم لتنظيف الفوضى على نطاق الاتحاد. عادت مانهاتن إلى وضعها الطبيعي.

تم إغلاق الجزء السفلي من بحيرة السنترال بارك وإعادة ملء الحوض. التقارير عن وحوش البحر، أو بالأحرى وحوش البحيرة، كانت متواصلة ولكن لم يتم التحقق منها.

أدركت سارة جارفيس البالغة من العمر ثمانية وستين عامًا أخيرًا الأسرار التي كان يخفيها الرئيس. في نوفمبر ١٩٧٢، صوتت لجورج ماكغفرن.

ازدادت حظوظ جوي مانزون، أو على الأقل تغيرت. انتقل إلى ولاية كونيتيكت وكتب رواية عن فيتنام لم تحقق

نجاحًا، وكتابًا عن الجريمة المدبرة، وقد نجح للغاية ...

غيَّرت روزا ماريا جامبيون اسمها قانونيًّا إلى روزماري مولدون. أكملت شهادتها في كولومبيا في العمل الاجتماعي وساعدت الدكتور تاكيون في علاج سي سي رايدر. دخلت سي سي كلية الحقوق وهي تفكر في استلام شركة العائلة.

سي سي رايدر ما تزال واحدة من أصعب الحالات الطبية، ولكن هناك على ما يبدو بعض التقدُّم في تحويل كل من عقلها وجسدها مرة أخرى إلى شكل الإنسان. تواصل سي سي جهدها لخلق كلمات أغانيها الحادة التي لا بأس بها. قد تم غناء أغانيها من قبل باتي سميث وبروس سبرينغستين وغيرهم.

من وقت لآخر - وخاصة خلال سوء الأحوال الجوية - تنتقل باجابوند والقط الأسود والكاليكو إلى مترو الأنفاق الهوائي ألفريد بيتش مع جاك «المجاري» روبيشو.

جاك لم يعد يصطاد الفئران.

وكان الحديث المعتاد الذي يدور حول طاولة الطعام الفيكتورية: ما هذا الآن، دجاج؟

الفاصل الرابع

من «الخوف والبغض في بؤرة الجواكر»

بقلم د. هنتر إس. تومبسون

رولينج ستون، ٢٣ أغسطس ١٩٧٤

قارب بزوغ الفجر في بؤرة الجواكر الآن. يمكنني سماع قرقعة شاحنة النفايات تحت نافذتي في نزل ساوث ستريت، هنا بالقرب من المرفأ. هنا كان منتهى الطريق، للنفايات وكل شيء آخر، إست أمريكا، وأشعر بأنها نهاية طريقي كذلك، بعد أسبوع من التسكُّع في أكثر شوارع نيويورك حقارة وسُمِّيَّة ... حين أنظر إلى الأعلى، أجد يدًا مخلبية تنبض على حافة النافذة، بعد دقيقة تلاها وجه. أنا على ارتفاع ستة طوابق من الشارع، وهذا المجنون المسرع المتهور يصعد متسلقًا النافذة كأنه لا شيء. ربما كان محقًّا؛ فهذه بؤرة الجواكر، والحياة تمضي بلؤم وسرعة هنا. كأنك تتجول بأحد مخيمات الموت النازية في رحلة سيئة؛ لا تستطيع فَهم نصف ما تشاهده، ولكنه يرعبك بشدة بكل الأحوال.

ذلك الشيء المارق من نافذتي طوله يناهز المترين، أذرعه/ أرجله ثلاثية المفاصل تدلت بشكل كبير؛ لدرجة أن مخالبه شقت خشب الأرضية الصلبة، بشرته بلون يماثل دراكولا،

وأنف أفطس مثل الذئب الشرير. حين يبتسم، يفتح فمه اللعين بأكمل ليَظهر ثلاثون سنتيمترًا من الأسنان الخضراء المدببة. حتى إن اللعين يبصق سُمًّا، وتلك مهارة جيدة إذا كنت ترغب في التجول ببؤرة الجواكر ليلًا. «هل لديك أي سبيد؟» سأل بينما نزل من النافذة. يرمق قنينة التكيلا على منضدة السرير، يختطفها بأحد أذرعه السخيفة تلك، ويقدم لنفسه جرعة طويلة.

«هل أبدو لك كمن يتعاطى؟» أجبته.

«إذن أعتقد أن علينا استخدام كمياتي إذًا». قال كرويد، ويسحب قبضة مليئة بالحبوب السوداء من جيبه. يأخذ منها أربعًا ويبتلعها بمساعدة المزيد من الكونياك ...

... تخيل لو أن هيوبرت همفري قد سحب بطاقة جوكر، تصور هيوب بخرطوم في منتصف وجهه، كدودة رهوة زهرية حيث من المفترض أن يكون أنفه، وهذا تمامًا ما عليه إكزيفيار ديسموند. شعره خفيف أو قد اختفى، وعيناه رماديتان ومترهلتان كبذلته. لقد عمل على هذا منذ عشرة أعوام، ويمكنك ملاحظة أنه قد أُنهِك. الكتاب المحليون يسمونه عمدة بؤرة الجواكر وصوت الجواكر؛ ذلك كل ما أنجزه في تلك السنوات العشر، هو وباقي الفشلة أعضاء رابطة الجواكر لمكافحة التشهير (جادل(11)) – بعض

الألقاب المصطنعة، مكانة ما بصفته أحب الجواكر الأليفة إلى تماني، بعض الدعوات لحفلات الفيليج اللطيفة حين يعجز المضيف أن يجد آيضًا لضيق الوقت.

يقف على المنصة بحلته من ثلاث قطع، حاملًا قبعته اللعينة في خرطومه بحق الجحيم، متحدثًا عن تماسك الجواكر، وحملات التصويت، ورجال شرطة جواكر لبؤرة الجواكر، متحدثًا بلباقة كأنما كان لحديثه أي معنى. خلفه، تحت لافتة جادل المترهلة، يقف أتعس تشكيلة من الفاشلين المثيرين للشفقة التي تود رؤيتها على الإطلاق. لو أنهم سود لسمَّوْهم العم توم، ولكن الجواكر لم يجدوا لهم اسمًا بعدُ ... ولكنهم سيفعلون، يمكنك رهن قناعك على ذلك. مخلصو جادل يكثرون من الأقنعة، كأي جوكر طيب في كل مكان. ليس فقط أقنعة التزلج وكارنفال. لو أنك مشيت على ضفاف شارع بويري أو شريستي، أو تسكل لفترة أمام مشفى تاكيون، فستشاهد أقنعة من كابوس: أقنعة طيور بريش، وجوه ميتة، وجوه قوارض جلدية، طرابيش رهبان، أقنعة فاخرة لامعة مطرَّزة منمنمة تباع بمائة دولار للحبة. الأقنعة جزء من بهرجة بؤرة الجواكر، فجميع السياح يشترون قناعًا أو قناعين لأخذها إلى المنزل كهدايا تذكارية، أول ما يلحظه كل صحفي ساكر معتوه يقرر أن يكتب مقالًا عن الجواكر المشوهين المساكين هو الأقنعة. يحملقون بشدة إلى الأقنعة

لدرجة أنهم لا يلحظون بدلات جيش الخلاص اللامعة التي لبسها الجواكر المقنعون، لا يلحظون كم هي قديمة بعض تلك الأقنعة، وبكل تأكيد لا ينتبهون للجواكر اليافعين، الذين يبلسون الجلد وليفايس، والذين لا يلبسون أي أقنعة على الإطلاق. «هذا هو شكلي»، أخبرتني بنت بوجه كالبطاطا المدهوسة في أحد أزقة بؤرة الجواكر. «لا يهمني ما إذا أعجب العاديين أو لا. أيفترض بي أن ألبس قناعًا حفاظًا على مشاعر مدلَّلة طبيعية حين تنظر إليَّ؟ اللعنة».

يكاد يكون ثلث الحشد المستمع إلى إكزيفيار ديسموند يلبسون الأقنعة. ربما أقل. كلما توقف التصفيق، يصفع ذوو الأقنعة كفوفهم بعضها ببعض، ولكنك تستطيع أن تتنبه إلى أنه مُجْهِد، حتى لهم. أما الباقون، فيستمعون فقط، ينتظرون، وعيونهم بقبح تشوههم. إنهم مجموعة فتية حقراء هنا، الكثير منهم يلبس ألوان العصابات، بأسماء مثل أمير الشياطين، القتلة المهووسون، والمذؤوبون. أقف جانبًا، متسائلًا ما إذا كان تاك سيحضر كما هو معلن. لا أعلم من بدأ الأمر، ولكن فجأة صمت ديسموند، في منتصف بيان ممل عن تساوي الآيائص والجواكر والعاديين في عين الله، وحين نظرت إلى الخلف وجدتهم يطلقون عليه صيحات الاستهجان ويرمونه بالفول السوداني، كانوا يرجُمونه بالفول السوداني المملَّح غير المقشر، لترتد على رأسه وصدره

وخرطومه اللعين، يقذفون بها في قبعته، ووقف ديسموند هناك مشدوهًا. من المفترض أنه صوَّت هؤلاء القوم، لقد قرأ ذلك في صحيفة ديلي نيوز وصحيفة صرخة بؤرة الجواكر، والعجوز البائس اللعين لم تكن لديه أدنى فكرة عما يحدث ...

... بعد منتصف الليل مباشرة حين مشيت خارج فريكرز لأتبول في بلاعة الطريقة، ظانًّا بأنه آمن من حمام الرجال، وبأن فرص عبور شرطي في بؤرة الجواكر في هذا الوقت من الليل تكاد تكون معدومة بدرجة مضحكة. كانت إضاءة الطريق محطمة، وللحظة ظننت أن ويلت تشامبرلين كان واقفًا هنا، ولكنه اقترب ولاحظت الأذرع والمخالب والأنف الأفطس. جلد كالعاج القديم. سألته عما يريد، فسألني إن كنت أنا مَن كتب ذلك الكتاب عن الملائكة، بعدها بنصف ساعة كنا جالسَيْن على طاولة في مطعم ليلي على شارع برووم بينما سكبت له النادلة جوالين من القهوة السوداء. شعرها أشقر طويل ورجلاها طويلتان، وعلى صدر زيها الوردي كتب سالي، جيدة المظهر إلى أن تنتبه إلى وجهها. اكتشفت إنني أنظر إلى صحني كلما اقتربت، ما يشعرني بالمرض والحزن والحنق. أفطس الأنف يقول شيئًا ما عن كونه لم يتعلم الجبر، وأنه لا توجد مشكلة تواجهني لا يمكن علاجها بحفنة من المخدر، ثم يريني أفطس الأنف أسنانه، ويذكر أنه وبالرغم من نقص المخدر عالي الفاعلية هذه الأيام، فإنه

يعرف من أين يمكنه الحصول على بعضها ...

... «نحن نتحدث عن الجراح، جراح دامية مسمومة عميقة، النوع الذي لا يمكن علاجه بضمادة لعينة، هذا كل ما يحمل ديسموند على خرطومه، العديد من الضمادات اللعينة»، أخبرني القزم، بعد أن صافحني بطريقة عصابة ثورة أخوة الخدار، أو أيًا كان ذلك الشيء اللعين. مقارنة بباقي الجواكر، فقد حصل على بطاقة جيدة – فقد كان هناك أقزام قبل البطاقة الجامحة بزمن طويل – ولكنه ما يزال حانقًا.

«ما يزال يحمل تلك القبعة اللعينة منذ عشر سنوات، وكل ما يحدث هو أن العاديين يتروّثون بها. لقد ولى ذلك الزمن. لن نطلب بعد اليوم، بل سنخبرهم، جمعية الجواكر من أجل العدالة ستخبرهم، وسنقذفها في وجوههم اللؤلؤية الجميلة إذا اضطُرِرنا لذلك». جمعية الجواكر من أجل العدالة تتشابه مع جادل كما تتشابه البيرانا مع أحد تلك الأسماك الذهبية ذات الأعين الضخمة الجاحظة التي نجدها تتمايل في أحواض الأسماك في منطقة الانتظار لدى عيادات الأسنان. جمعية الجواكر من أجل العدالة ليس لديها كابتن تاكي أو جيمي روزفلت أو القس رالف أبرناثي يساعدهم في مجلس إدارتهم – في الواقع لم يكن لديهم مجلس إدارة، ولا يبيعون العضويات للمواطنين المهتمين ولا الآيائص المتعاطفين. لم

يكن هيوبرت ليشعر بالراحة في اجتماع جمعية الجواكر من أجل العدالة، سواء كان لهم خرطوم بوجهه أو لا ...

... حتى في الرابعة صباحًا، لم تكن الفيليج بؤرة الجواكر، وكان ذلك جزءًا من المشكلة، ولكن المشكلة في الأغلب أن كرويد كان متوترًا وقد تعاطى كمية مجنونة من المخدرات، وعلى ما يبدو لي أنه لم يَنَمْ منذ أسابيع. في مكان ما في الفيليج كان الرجل الذي ننشد، آيص نصف زنجي والذي يدير ألطف البنات في المدينة، ولكننا لن نستطيع إيجاده، وكرويد أصر على أن الشوارع تتغير من حوله، وكأنها حية وخائنة وتحاول الإيقاع به. تتباطأ السيارات حين يرون كرويد يتلوى على الرصيف بأذرعه الطويلة ثلاثية المفاصل، ويبتعدون مسرعين حين ينظر إليهم مزمجرًا. وصلنا أمام كافتيريا حين نسي كل شيء من نبحث عنه وقرر أنه عطش. لف مخالبه حول الشيش المعدني، نخر ونزع الشيش بأكمله من واجهة المحل واستخدمه ليهشم الزجاج ... بعد أن أنهى نصف صندوق الجعة المكسيكية سمعنا صافرات الإنذار. فتح كرويد فمه وبصق على الباب، التصق لعابه السمي بالزجاج وبدأ بإذابته. «إنهم يسعون خلفي من جديد». قال بصوت ملء عذابًا وكراهية وغضبًا وبارانويا. «كلهم يسعون خلفي». ثم نظر إليّ وكان ذلك كل ما لزم، عرفت بأنني قد تورطت. «أنت من قادهم إليّ»، أحاول إنكار ذلك، فأنا معجب به،

بعض أفضل أصدقائي جواكر ملاعين، ظهرت الكشافات الحمراء والزرقاء بالخارج حين قفز ليقف على أرجله، سحبني بقوة وصرخ: «أنا لست جوكرًا أيها الحقير، أنا آيص لعين»، وقذف بي من خلال النافذة، النافذة الأخرى التي كان زجاجها لم يزل سليمًا. بينما انبطحت على الرصيف أنزف، خرج هو، من الباب الأمامي متأبطًا صندوقًا من الجعة، وضخ الشرطة بضع طلقات في جسده، ولكنه ضحك، وبدأ بالتسلق ... تركت مخالبه خروقًا عميقة في الطوب. حين وصل إلى السطح، عوى إلى القمر، فتح بنطاله، وتبول علينا جميعًا قبل أن يختفي ...

♥ ♠ ♦ ♣

---

(11) Jokers' Anti- Defamation League (JADL)

خيوط

بقلم ستيفن لي

ترجمة عمر الأشقر

كان وزر مقتل أندريا كله في رقبة رجُل الدمية، فلولا قدراته، ما كانت هذه الشهوة المستعِرة التي شعر بها صبيٌّ متخلفٌ في الرابعة عشرة من عمره تجاه جارته التي تصغره، لتنفجر، وما كان روجر بيلمان ليُغري أندريا ويستدرجها إلى الغابة خلف مدرسة القلب المقدس في ضواحي سينسيناتي، حيث مزق ملابس الفتاة المذعورة، وما كان ليفعل فعلته بها، وما كان قادرًا على أن تقع عيناه على الطفلة التي يسيل الدم الأحمر القاني منها. وشعر باشمئزازٍ رهيبٍ دفعه إلى التقاط الصخرة المسطحة الكبيرة التي كانت بجانبهما، وما كان أبدًا ليستخدم هذا الحجر ليهشِّم رأس أندريا بشعرها الأشقر، ويحوله إلى عجينة من اللحم المهترئ وشظايا العظام. ما كان ليعود إلى المنزل أبدًا ودمها متناثر على جسده العاري.

ما كان روجر بيلمان ليفعل شيئًا من ذلك لو لم يختبئ رجل الدمية في غياهب عقل روجر التالف المسكين، ويتغذَّى على المشاعر التي وجدها هناك، ويتلاعب بالصبي ويزيد من حمى المراهقين التي تهز الجسم. كان عقل روجر ضعيفًا

فارغًا يسهُل التلاعب به، ولم يكن اغتصاب الرجل الدمية لهذا العقل أقل وحشيَّةً مما فعله روجر بأندريا.

كان رجل الدمية في الحادية عشرة من عمره. كان يكره أندريا كرهًا يؤجِّجه غضبٌ عارمٌ لطفل مدلَّل، يكرهها لأنها خانته وأهانته. كان رجل الدمية هو خيال الانتقام لصبي مصاب بفيروس البطاقة الجامحة، صبيٍّ اقترف جرمًا جسيمًا عندما اعترف لأندريا بحبه لها، وربما أخبر الفتاة التي تكبره سنًّا أنهما قد يتزوجان يومًا ما. اتسعت عينا أندريا عندما أخبرها بذلك، وانسلت هاربةً وهي تضحك. ثم بدأ يسمع همسات الاستهزاء في اليوم التالي في المدرسة، وكان خداه يحترقان احمرارًا بعدما أبلغته أنها أخبرت جميع أصدقائها ... أخبرت الجميع.

عندما مزَّق روجر بيلمان عذرية أندريا، شعر رجل الدمية ذاته بهذه الرعشة المكتومة والمتأجِّجة. كان يرتجف مع الهِزة التي شعر بها روجر، وعندما ضرب الصبي وجه الفتاة الباكي بالحجر سمع صوت تكسير العظام، كان رَجُل الدمية يلهث. كان يترنح منتشيًا بالمتعة التي كانت تسري بعروقه.

كان آمنًا في غرفته على بعدٍ ربع ميل.

شعر بخوفٍ عارمٍ عندما اقترف تلك الجريمة الأولى، مازجه شعور بالنشوة، وطوال الشهور التالية كان متوجسًا من

استخدام هذه القوة، خائفًا أن يفقد السيطرة مرةً أخرى. لكن الرغبة العارمة في كل ممنوعٍ، كانت تحفزه، وخلال السنوات الخمس التالية، ولأسباب مختلفة، يظهر رجل الدمية ويقتل سبع مراتٍ أخرى.

كان يرى هذه القوة كيانًا منفصلًا عن ذاته، كان رَجُل الدمية مختبئًا تمسك أصابعه الخفية بخيوطٍ متدليةٍ، تتأرج عند نهاياتها مجموعته من الدمى البشعة.

تيدي ... جيمي استمرار الخداع

هارتمان وجاكسون وأودال في انتظار تسوية

نيويورك ديلي نيوز ١٤ يوليو ١٩٧٦

هارتمان يَعِد بنزال حقيقي

قضية حقوق الجواكر على المنصة

نيويورك تايمز ١٤ يوليو ١٩٧٦

خرج السيناتور جريج هارتمان من المصعد إلى بهو علية الآيائص، ودخل الوفد المرافق له إلى المطعم خلفه. كان بينهم اثنان من حراسه، ومساعداه جون ويرتين وإيمي سورنسون وأربعةٌ مراسلين نسي أسماءهم في الطريق. كانت رحلة مزدحمة في المصعد. تذمر الرجلان اللذان يرتديان

نظاراتٍ سوداءٍ عندما أصر جريج على أن يركب جميعهم في رحلة مصعد واحدة.

كان هيرام ورتشيستر هناك للقاء المجموعة، كان مظهره مثيرًا للإعجاب، رَجُلٌ رشيقٌ رائعٌ يتحرك بخفةٍ ورشاقةٍ مدهشتين. سار بخفة عبر منطقة الاستقبال المفروشة بالسجاد، وامتدت يده مع ابتسامةٍ تختفي خلف لحيته الطويلة. كان ضوء الشمس الآفلة يتدفَّق عبر نوافذ المطعم الكبيرة وينعكس على رأسه الأصلع. قال بمرح: «سيناتور، تسرني رؤيتك مجددًا».

قال جريج: «وتسرني رؤيتك يا هيرام»، ثم ابتسم بحزن، وأومأ برأسه للحشد من خلفه، وأكمل قائلًا: «أظن أنك تعرف جون وإيمي، وسيقوم بقية حديقة الحيوانات هذه بتقديم أنفسهم. يبدو أنهم أصبحوا خدمًا دائمين. ضحك الصحفيون. سمح الحراس الشخصيون لأنفسهم بابتسامات خفيفة سرعان ما تلاشت».

ابتسم هيرام، وقال: «أيها السيناتور، أخشى أن يكون هذا هو الثمن الذي تدفعه مقابل ترشُّحك، لكنك تبدو بحالة جيدة كالعادة، ويبدو هذا الجاكيت أنيقًا». تراجع الرجل الضخم خلف جريج ونظر إليه صعودًا وهبوطًا وكأنه يقيِّمه، ثم اقترب منه وانحنى قائلًا بصوت لا يخلو من لهجة تآمرية:

«يجب أن تعطي تاكيون بعض النصائح بشأن ملابسه». رد هيرام: «ما الذي يرتديه هذا الطبيب الطيب هذا المساء؟» ... توجهت عينا تشسنت نحو السماء في رعبٌ زائفٌ. ضحك هيرام، وقال: «لكنك لست بحاجةٍ إلى أن تسمعني أثرثر، طاولتك جاهزةٌ».

- «أرى أن ضيوفي قد وصلوا بالفعل».

انطبقت زوايا فم هيرام وعبس وجهه، وقال: «نعم، المرأة بخير، على الرغم من أني أرى أنها تفرط في الشراب، لكن لو لم يكن هذا القَزَم تحت رعايتك، لكنت سأطرده، ليس بسبب مظهره ولكنه وقح بصورةٍ لا تطاق».

هز جريج رأسه، وهو يمرر أصابعه عبر شعره الأشقر الرمادي، وقال: «سأحرص على أن يكون مهذبًا». كان جريج هارتمان رجلًا بسيط المظهر لا يثير الانتباه. لم يكن واحدًا من السياسيين المهذَّبين الوسيمين الذين يبدو أنهم من الجيل الجديد في السبعينيات، ولم يكن من النوع الآخر، كالصبية الكبار المنتفخين الراضين عن أنفسهم. كان هيرام يرى جريج شخصًا ودودًا وطبيعيًا، وأنه كان صادقًا في اهتمامه بأحوالهم ومشاكلهم، وبوصفه رئيسًا للجنة مجلس الشيوخ لموارد ومساعي الآيائص (سكير)، فقد أظهر جريج تعاطفه مع جميع المصابين بفيروس البطاقة الجامحة، وفي

ظل قيادة السيناتور تم تخفيف العديد من القوانين المقيِّدة المفروضة على المصابين بالفيروس، أو حذفها من السجلات، أو تجاهلها بحكمة، ورغم أن قانون مراقبة السلطات الغريبة والتجنيد الخاص ما يزال ساري المفعول، لكن السيناتور هارتمان منع عملاءه من تطبيقه. كثيرًا ما كان هيرام يندهش من مهارة جريج عند معالجته للعلاقات الحساسة بين الجمهور والجواكر. صديق بؤرة الجواكر كان هذا هو اللقب الذي أطلقه تايم عليه في إحدى المقالات (مصحوبًا بصورة جريج وهو يصافح راندال البواب في بيت المرح، كانت يد راندال كمخلب حشرة، وفي وسط راحة اليد هذه كانت هناك مجموعة من العيون الرطبة القبيحة). كان هيرام يرى السيناتور رجلًا طيبًا نادرًا، وكأنه حالة شاذة بين السياسيين.

تنهد جريج، ورأى هيرام إرهاقًا عميقًا يختفي خلف إطلالة السيناتور اللطيفة، فسأله: «كيف حال المؤتمر، سيدي السيناتور؟ وما فرصة نجاح لجنة حقوق الجواكر؟»

أجاب جريج: «أنا أقاتل من أجل ذلك بأقصى ما أستطيع»، ونظر مرةً أخرى إلى المراسلين. «لقد شاهدوا التبادل باهتمامٍ بالغٍ، وسنكتشف ذلك خلال أيامٍ قليلةٍ عندما يتم التصويت».

رأى هيرام الاستسلام في عيني هارتمان، وقد رأى فيها كل المعلومات التي يحتاجها؛ ستفشل مثل البقية، وقال:

«سيناتور، عندما ينتهي هذا المؤتمر، أتوقع منك أن تزورنا مرة أخرى. سأقوم بإعداد شيء خاص من أجلك فقط، لأشعرك أن أعمالك موضع تقدير».

ربَّت جريج برفق على ظهر هيرام، وأجابه: «بشرط واحد، عليك التأكد من أنه يمكنني الحصول على مقصورة في الركن، وأن أكون وحدي».

ضحك السيناتور، وابتسم هيرام.

«لك ذلك. الآن، الليلة، أوصي باللحم البقري في النبيذ الأحمر؛ إنه شهي للغاية. الهليون طازج، وقد صنعت الصلصة بنفسي. أما بالنسبة للحلوى، فيجب أن تتذوق موس الشوكولاتة البيضاء».

انفتحت أبواب المصعد من خلفهم. نظر رجال المخابرات بحذر إلى الوراء عندما خرجت امرأتان. أومأ جريج إليهما وصافح هيرام مرة أخرى، وقال له: «أنت بحاجة لرعاية ضيوفك الآخرين، يا صديقي. اتصل بي عندما ينتهي هذا الجنون».

«ستحتاج إلى طاهٍ في البيت الأبيض أيضًا».

ضحك جريج بصوتٍ عالٍ، وقال «ستحتاج إلى التحدث إلى كارتر أو كينيدي بشأن ذلك، هيرام أنا مجرد واحد من

الخيول السوداء في هذا الأمر».

رد هيرام: «ثم يمرون بجانب أفضل رجل». ثم انطلق.

احتلت علية الآيائص برج المراقبة في مبنى «إمباير ستيت»، وعبر النوافذ الواسعة، كان يمكن للرواد أن يلقوا نظرة على جزيرة مانهاتن. لامست الشمس الأفق وراء ميناء المدينة. ألقت القبة الذهبية لمبنى «إمباير ستيت» انعكاسات في غرفة الطعام. وفي غروب الشمس الذهبي المائل للاخضرار، لم يكن صعبًا تمييز الدكتور تاكيون، جالسًا على طاولته المعتادة مع امرأة لم يتعرف عليها جريج.

كان هيرام على حق، ورأى جريج على الفور تاكيون يرتدي سترة عشاء قرمزية متوهجة، ومزينة بياقة من الساتان الأخضر الزمردي. والترتر الأرجواني المتناثر في جرأة على الأكمام والكتفين، ولحسن الحظ، كان سرواله مختفيًا، على الرغم من إمكانية رؤية شريط من اللون البرتقالي تحت السترة. لوح له جريج، وأومأ تاكيون برأسه، وقال: «جون، من فضلك اصطحب ضيوفنا إلى الطاولة وعرفهم على بعضهم، لحظة وسأنتهي، هل ستأتين معي يا «إيمي؟»» شق جريج طريقه عبر الطاولات.

كان شعر تاكيون منسدلًا حتى كتفه وله نفس اللون الأحمر الشاذ كسترته. كانت يده تعبث بلطف في الأقفال

المتشابكة وهو يشير محييًا جريج قائلًا: «سيناتور هارتمان، هل يمكنني أن أعرفك على أنجيلا فاسيتي؟ أنجيلا، هذا هو السيناتور جريج هارتمان ومساعدته إيمي سورنسون، السيناتور هو المسؤول عن معظم تمويل عيادتي».

بعد بضع مجاملات، اعتذرت إيمي وغادرت. كان جريج سعيدًا عندما انتبهت رفيقة تاكيون إلى التلميح دون إحراج إيمي وتركت الطاولة معها. انتظر جريج حتى كانت المرأتان على بعد بضع طاولات ثم التفت إلى تاكيون، وقال: «أعتقد أنك ترغب في معرفة تأكُّدنا من أن العميل في عيادتك، شكوكك كانت صحيحة أيها الطبيب».

عبس تاكيون وتجعد جبينه راسمًا خطوطًا عميقة، وسأله: «هل هي المخابرات الروسية؟»

أجاب جريج: «على الأرجح، ولكن طالما أننا نعرف من هو، فهو غير ضار إلى حدٍّ ما».

قال تاكيون مصرًّا بلطف: «أيها السيناتور، ما زلت أريده أن يخرج من هناك». وضع يديه أمام وجهه، وعندما نظر إلى جريج كانت عيناه الأرجوانيتين ممتلئتين بجروح قديمة. وأكمل: «أيها السيناتور، لقد واجهت صعوبة كافية مع حكومتك ومطارداتها السابقة. لا أريد أن أفعل شيئًا مع شخص آخر. لا أقصد أي إهانة من ذلك، فقد كنت رجلًا

صالحًا مع كل من عملت معه وساعدتني كثيرًا، لكنني أفضل إبقاء العيادة بعيدة تمامًا عن السياسة. رغبتي هي مساعدة الجواكر لا أكثر».

لم يستطع جريج إلا أن يهز رأسه عندما سمع قوله، كان يقاوم شيئًا يدفعه لتذكير الطبيب بأن السياسة التي ادَّعى أنه يرغب في تجنبها دفعت أيضًا بعض فواتير العيادة، وقال له بصوت ملؤه التعاطف: «هذا ما يشغلني أيضًا أيها الطبيب، ولكن إذا طردنا الرجل ببساطة، فسيكون لدى المخابرات الروسية عميل جديد في غضون بضعة أشهر. هناك «آيص» جديد يعمل معنا. سأتحدث معه».

رد عليه: «افعل ما يحلو لك أيها السيناتور. أنا لست مهتمًا بأساليبك طالما بقيت العيادة في مأمن».

- «سأحرص على ذلك». رأى جريج كلًّا من إيمي وأنجيلا تشقان طريقهما نحوهما عبر الغرفة.

تقوس حاجب تاكيون وسأله: «هل أنت هنا للقاء توم ميلر؟» أومأ برأسه قليلًا في اتجاه طاولة جريج، حيث كان جون يقوم بتعريف الناس إلى بعضهم.

-القَزَم؟ نعم ... إنه ...

«أنا أعرفه أيها السيناتور. أظن أنه مسؤول عن الكثير

من حالات الموت والعنف في «بؤرة الجواكر» في الأشهر الأخيرة. إنه رجل قاسٍ وخطير، أيها السيناتور».

-هذا بالضبط هو سبب رغبتي في تجنبه.

علق تاكيون بجفاء: «أتمنى لك التوفيق».

اتحاد الجواكر يتعهد بالعنف إذا فشلت الخطة

نيويورك تايمز ١٤ يوليو ١٩٧٦

شعرت سوندرا فالين بمشاعر مختلطة عندما اقترب جريج هارتمان من الطاولة. كانت تعلم أنها ستواجه هذه المشكلة الليلة، وربما شربت أكثر مما ينبغي. كان الخمر يحرق معدتها، وكان توم ميلر أو جيميلي كما يفضل ينادونه في اتحاد الجواكر يجلس بجانبها متململاً. وقد وضعت يدها المهتزة على عضلات ساعده السميكة.

دمدم القزم: «أبعدي عني كفك اللعينة، سوندرا، أنتِ لست جدتي أيتها اللعينة».

أثرت فيها كلماته أكثر من المتوقع، كان يكفيها النظر إلى يدها، إلى ذلك الجلد الجاف المرقط المترهل على عظام رقيقة وإلى المفاصل المتورمة الناتئة. «سينظر إليّ ويبتسم كأنه غريب ولا أستطيع أن أخبره». لسعت الدموع عينيها.

مسحتهم بوحشية بظهر يدها، ثم احتست الكأس الذي كان أمامها والذي ظل يكوي حلقها طول الطريق.

ابتسم السيناتور لهما. كانت ابتسامته أكثر من مجرد أداة لسياسي محترف؛ كان وجه هارتمان طبيعيًّا وصادقًا، يدعو إلى الثقة. قال جريج ويده ممتدة نحو القزم الملتحي: «اعذراني على وقاحتي في عدم المجيء إليكما مباشرة. أود أن أعبر لكما عن سعادتي البالغة لأنكما اتفقتما على مقابلتي الليلة، أنت «توم ميلر؟»»

أجابه ميلر بتهكم وبلكنة أهل الغرب الأوسط: «لا، أنا وارن بيتي وهذه سندريلا. أره خفَّك يا سوندرا»، أدار القزم رأسه متحديًا هارتمان، متجاهلًا بوضوح يده الممتدة.

كانت سوندرا تدرك أن معظم الناس قد يتجاهلون الإهانة، وكانوا سيسحبون أيديهم ويتظاهرون بأنهم لم يمدوها على الإطلاق.

قال السيناتور: «لقد التقيت السيد «بيتي» الليلة الماضية في حفلة «رولينج ستون»، حتى إنني تمكنت من مصافحته». ثم ابتسم ويده محط أنظار الجالسين حول الطاولة.

انتظر هارتمان، ووسط الصمت تذمَّر ميلر وأخيرًا اعتصر

القزم أصابع هارتمان بقبضة يده. رأت سوندرا ابتسامة هارتمان تنطفئ مع برودة هذه اللمسة للحظة، وكأن ذلك قد آلمه قليلًا. سرعان ما ترك يد ميلر، واستعاد رباطة جأشه. قال هارتمان: «تسعدني مقابلتك»، لم يكن هناك أثر للسخرية في صوته، فقط دفء حقيقي وارتياح.

أدركت سوندرا كيف أصبحت تحب هذا الرجل. قال ميلر: «لست أنتِ من تحبه، فأنتِ «سوككوبوس». إنها الشخص الذي يعرفه جريج. بالنسبة له، أنتِ مجرد امرأة عجوز واهنة سياستها موضع للشك. لن يعرف أبدًا أنكِ و«سوككوبوس» تجسدان نفس الشخص، لن يعرف إذا كنتِ تريدين الاحتفاظ به. كل ما سيراه هو الخيال الذي تزينه له الشيطانة وهذا ما علينا القيام به، وسوف تنصاعين له، أليس كذلك؟»

لا يهم كم يؤلمك.

الآن حان دورها لمصافحة جريج، شعرت بأصابعها ترتجف عندما لامست أصابعه. لاحظ جريج ذلك أيضًا، وتدلت زوايا فمه في تعاطف خافت، ولم يظهر في عينية الرماديتين المزرقة سوى الفضول والاهتمام، ولم يبدو عليه غير ذلك. تعكر مزاج «سوندرا» مرة أخرى. كان يتساءل ما الأشياء الفظيعة التي تعاني منها هذه المرأة العجوز.

كان يتساءل عن هذا القبح الذي يسكن بداخلي، وما حجم

الرعب الذي قد يظهر عليها إذا عرفها. إنه يتساءل ما القبح الذي يجلس بداخلي، وما قدر الرعب الذي قد أكشفه إذا كان يعرفني.

أشارت إلى كأس سكوتش آخر.

غرقت في أفكارها أثناء تناول الطعام، وقد بدا نمط المحادثة محددًا. سيطرح هارتمان موضوعًا، ويرد ميلر بسخرية واحتقار غير مبررين، يتلقاهما السيناتور بدوره هادئًا. استمعت «سوندرا» إلى هذا الشد والجذب دون أن تنخرط فيه.

من الواضح أن الآخرين الجالسين حول الطاولة شعروا بالتوتر نفسه؛ لأن المسرح ظل مفتوحًا للاعبَيْن رئيسيَّيْن، بينما يراقب الآخرون وكأن هناك اتفاقًا على ذلك، وعلى الرغم من محاولات هيرام تلطيف الأجواء فإن مذاق العشاء في فمها كان كالرماد. شربت «سوندرا» المزيد وهي تنظر إلى جريج، وعندما أزيحت الحلوى جانبًا، وأصبح الحديث جادًّا، كانت سوندرا في حالة سكر شديد. كان عليها أن تهز رأسها لإزالة الضباب الذي غلف عقلها.

كان هارتمان يقول: «أريد منك وعدًا بأنه لن تكون هناك عروضًا عامة»، أجاب ميلر: «اللعنة». شعرت سوندرا للحظة أنه يبصق بالفعل. انتفخت الخدود الشاحبة المحفورة تحت

لحية جيميلي المحمَرَّة وضاقت عيناه المهووستان. ثم ضرب بقبضته على المنضدة، مطيحًا بالأطباق. توتر الحراس الشخصيون في مقاعدهم، وقفز الآخرون حول الطاولة عند سماعهم لصوتها. صاح القزم متذمرًا: «هذه نفس الحماقة التي تنشرونها أيها السياسيون. تلك التي سمعها اتحاد الجواكر منذ سنوات وما يزالون يسمعونها حتى الآن».

«كن مهذبًا واذهب مثل كلب مطيع وسنرمي لك بعض فضلات المائدة. حان الوقت للسماح لنا بالانضمام إلى الحفل يا هارتمان. لقد سئم الجواكر من بقايا الطعام».

كان صوت هارتمان رقيقًا ومتزنًا على عكس صوت ميلر.

وقال: «هذا أمر أتفق معه، يا سيد ميلر، ويا سيدة فالين». أومأ جريج برأسه إلى سوندرا، ولكنها لم تستطع إلا أن ترد بنظرة عابسة وهي تشعر بخطوط التجاعيد حول فمها. «لهذا السبب بالضبط اقترحت أن يضيف الحزب الديمقراطي ميثاق «حقوق الجواكر» إلى برنامجنا الرئاسي. هذا هو السبب في أنني كنت أحاول الإمساك بكل صوت آخر يمكنني الحصول عليه من أجل ذلك». ومد جريج يديه على اتساعهما.

ربما كان كلامه أجوفًا وزائفًا عند شخص آخر.

لكن كلمات جريج كانت مليئة بالساعات الطويلة المتعبة التي قضاها في المؤتمر، والتي بدت معبِّرة لهم عن الحقيقة. أكمل قائلًا: «لهذا السبب أطلب منك محاولة الحفاظ على هدوء منظمتك. المظاهرات، خاصة أي شيء ذي طبيعة عنيفة، سوف يؤلب الوسطاء ضدك».

«أطلب منكم أن تعطوني فرصة، وأن تمنحوا أنفسكم فرصة. أطلب منك التخلي عن خطتك للسير إلى قبر الفتى النفَّاث فليس لديك تصريح، والشرطة في حالة توتر من الحشود في المدينة، وسوف يتحركون ضدك إذا حاولت ذلك».

قالت سوندرا: «أوقفوهم إذن ...» ذهب شراب السكوتش بكلامها، وهزت رأسها، وأكملت: «لا أحد يشكك في حقيقة أنك مهتم؛ لذا أوقفوهم».

تجهم هارتمان، وقال: «لا أستطيع. لقد نصحت العمدة بالفعل بعدم القيام بمثل هذه الإجراءات، لكنه عنيد. المسيرة ... أنت تدعو إلى المواجهة. لا يمكنني التغاضي عن خرقك للقانون».

أدار ميلر رأسه وزمجر بصوت عالٍ قائلًا: «اغرب عن وجهي أيها الكلب». بدأت أنظار الموجودين في غرفة الطعام تتحول إليهم. نظر تاكيون إليهم بغضب واضح، وظهر وجه هيرام

من أبواب المطبخ يكسوه القلق. بدأ أحد رجال المخابرات في النهوض لكن جريج أشار له بأن يجلس.

«من فضلك يا سيد ميلر، أحاول التحدث معك عن الحقائق».

«لا يتوفر الكثير من المال والمساعدة، وإذا استمررت في معاداة أولئك الذين يسيطرون عليهم، فإنكم لن تؤذوا سوى أنفسكم».

ارتفع صوت ميلر بنغمة نابضة بالحياة وعميقة قائلًا: «وأنا أقول لك إن «الحقيقة» اللعينة موجودة في شوارع «بؤرة الجواكر». جرب أن تحشر أنفك في هذا الهراء أيها السيناتور. ألقِ نظرة على المخلوقات الفقيرة التي تتجول في الشوارع، تلك التي لم يكن الفيروس لطيفًا بما يكفي لقتلها، تلك التي تسحب نفسها على الرصيف، أو أولئك العميان، أو تلك التي لها رأسان أو أربعة أذرع. أولئك الذين يسيل لعابهم أثناء حديثهم، أولئك الذين يختبئون في الظلام لأن الشمس تحرقهم، أولئك الذين يعانون من أخف لمسة». فغر الموجودون حول الطاولة أفواههم، ودون الصحفيون ملاحظاتهم. شعرت سوندرا أيضًا بالاقتناع بهذه القوة الخافتة في هذا الصوت. لقد رأت ميلر يقف أمام حشد هازئ في «بؤرة الجواكر» وفي غضون خمس عشرة دقيقة جعلهم

يستمعون بهدوء، ويومئون برؤوسهم موافقين على كلماته. حتى جريج كان يميل إلى الأمام وكأنه أُسقِط في يديه.

استمع إليه، لكن بحذر. صوته هو صوت الأفعى، ساحر، وعندما يصطادك، فسينقض.

قال ميلر متهكمًا: «هذه هي حقيقتك. اتفاقيتك اللعينة مجرد حجة». ثم ارتفع صوته أكثر حتى بدا كأنه يصرخ: «وأقول لك الآن، أيها السيناتور سوف يحمل اتحاد الجواكر احتجاجاتنا إلى الشوارع».

حاول جريج أن يبدأ الكلام، فقال: «سيد ميلر ...»

صرخ ميلر وأصبح صوته حادًّا، واختفت كل قوته، كما لو أنه قد استهلك بعض طاقته الداخلية الدفينة: «جيميلي ... اسمي اللعين هو جيميلي!» كان واقفًا بقدميه على كرسيه. في حالة أخرى، كان الموقف سيبدو مثيرًا للسخرية، لكن لم يمكن لأحد منهم أن يضحك عليه، وأكمل كلامه: «أنا قزم لعين، ولست واحدًا من الأبطال!»

جذبت سوندرا ذراع ميلر، تجاهلها. فدفعها وقال لها: «اتركيني وشأني. أريدهم أن يرَوْا كم أكرههم».

أجابه جريج: «الكراهية عديمة الفائدة. لا أحد منا هنا يكرهك. إذا كنت تعرف الساعات التي أمضيتها أعمل من

أجل «الجواكر»، كل العمل الشاق الذي قامت به «إيمي» و«جون» ...»

من جانبه، صرخ ميلر: «اللعنة ... أنت لا تعرف شيئًا». طار البصاق من فمه، وتناثر على الجزء الأمامي من سترة جريج. كان جميع من في الغرفة يُحدِّقون إليهم الآن، وتحرك الحراس من مقاعدهم. إلا أن جريج أشر لهم بيده من الخلف ليمنعهم.

ثم قال له: «ألا ترى أننا حلفاء لك ولسنا أعداء؟»

«لن يكون لأي حليف لي وجه مثل وجهك أيها السيناتور. أنت طبيعي للغاية. هل تريد أن تشعر كأنك أحد «الجواكر؟» اسمح لي أن أساعدك في معرفة كيف هو الشعور بالشفقة».

وقبل أن يتمكن أي منهم بالقيام بأي حركة، انحنى ميلر واندفعت ساقاه السميكتان القويتان نحو السيناتور، والتوت أصابعه مثل المخالب عندما وصلت إلى وجه جريج. ارتدَّ جريج إلى الخلف، ويداه مرفوعتان. كان فم سوندرا مفتوحًا وكأنها ستبدي احتجاجًا عديم الفائدة.

انهار القَزَم فجأة على الطاولة كما لو أن يدًا عملاقة امتدت من الهواء لتسقطه على الطاولة التي انشطرت تحته. وتهاوت الكؤوس وأطباق الطعام الصينية متدحرجة على

الأرض. أطلق ميلر أنينًا مثيرًا للشفقة مثل حيوان جريح، بينما ظهر غضب عارم على وجه هيرام الأحمر، وهو يركض عبر غرفة الطعام تجاههم، وكان رجال المخابرات يحاولون عبثًا الإمساك بذراعي ميلر لإبعاده عن الأرض. تمتم أحدهم: «اللعنة، هذا البائس الصغير ثقيل».

صاح هيرام بصوت مجلجل: «اذهبوا خارج مطعمي!» شق طريقه بين الحراس الشخصيين وانحنى على القزم. انتزع الرجل كما لو كان ريشة، بدا جيميلي وكأنه يتمايل في الهواء، منتفخًا، وفمه يتحرك بلا صوت، ووجهه ينزف من عدة خدوش صغيرة. زمجر: «ميلر لن تطأ قدمك هذا المكان مرة أخرى!» رافعًا إصبعه السمينة أمام عيني القزم المذعورتين. اتجه هيرام نحو باب الخروج وهو يسحب القزم كما لو كان يسحب بالونًا ويوبخه طوال الوقت. «أنت تهين قومي، وسلوكك مشين، حتى إنك تهدد السيناتور، الذي يحاول فقط المساعدة ...» تلاشى صوت هيرام مع تأرجُح أبواب الردهة خلفه، وأخذ هارتمان يزيل شظايا أطباق الطعام الصينية من على بدلته، وهز رأسه مشيرًا للحراس الشخصيين، قائلًا: «دعوه يذهب. للرجل الحق في أن ينزعج، سيكون هذا هو حالكم إذا اضطررتم للعيش في بؤرة الجواكر».

تنهد جريج والتفت برأسه نحو سوندرا، التي ابتعدت فجأة عن القزم. قائلًا: «أتوسل إليكِ يا سيدة «فالين» إذا كان لديكِ أي سيطرة على اتحاد الجواكر وميلر، فمن فضلكِ أوقفيه. أنا أعني ما أقوله، أنتم فقط تعرِّضون قضيتكم للخطر، صدقيني».

بدا حزينًا أكثر منه غاضبًا. نظر إلى الدمار حول قدميه وتنهد. ثم قال: «مسكين هيرام. لقد وعدته».

شعرت سوندرا بالدوار والتثاقل بعد ما تناولت من الخمر. أومأت برأسها إلى جريج وأدركت أنهم جميعًا كانوا ينظرون إليها، في انتظار أن تقول شيئًا. هزت رأسها ذا الشعر الرمادي الذابل وقالت: «سأحاول ...» كان هذا ما أمكنها أن تتمتم به. ثم أكملت: «اسمح لي من فضلك». استدارت سوندرا وهربت من الغرفة، وكانت ركبتاها المصابتان بالتهاب المفاصل تتألمان محتجَّتين.

كان بإمكانها أن تشعر بنظرة جريج المحدقة إلى ظهرها المنحني.

♣ ♦ ♠ ♥

التصويت على حقوق الجواكر الليلة

نيويورك تايمز ١٥ يوليو ١٩٧٦

اتحاد الجواكر يتعهَّد بمسيرة إلى القبر

نيويورك ديلي نيوز ١٥ يوليو ١٩٧٦

كانت الخلية ذات الضغط العالي تجثم فوق نيويورك خلال اليومين الماضيين مثل وحش هائل متعب؛ مما جعل المدينة شديدة الحرارة والرطوبة. كانت الحرارة عالية، ومتعبة، ممتلئة بأبخرة كثيفة كريهة. كانت سوندرا تشعر بها في رئتيها وكأنها خمر «جاك دانييلز» الذي تسكبه في حلقها فيشعل في جوفها حريقًا حامضًا لاذعًا. وقفت أمام مروحة كهربائية صغيرة موضوعة على خزانة ملابسها. كانت تحدق في المرآة. ترهّل وجهها وتناثرت عليه فقاعات متقاطعة من التجاعيد. كان الشعر الرمادي الجاف متشابكًا يمتزج مع العرق الذي يغرق فروة الرأس ذات البقع البنية. انفتح معطفها المنزلي المهترئ، وتناثر العرق على منحدرات ضلوعها. كرهت المشهد، وعادت إلى الغرفة يائسة.

في الخارج، في شارع «بيت»، كانت «بؤرة الجواكر» يقظةً كلها رغم الظلام. تمكنت سوندرا من رؤيتهم من نافذتها، أولئك الذين تَشدّق جيميلي متحدثًا عنهم دائمًا. كان هناك «لامينت»، يقف واضحًا ببشرته المتوهجة، و«ماري جولد» التي تظهر مجموعة من البثور اللامعة المنفجرة على جلدها مثل الأزهار الذابلة، و«فليكر» الذي كان ينسَلُّ مبتعدًا عن

الأنظار في الظلام كما لو كان ضوءًا ذابلًا متلاشيًا. كانوا جميعهم يبحثون عن راحتهم البسيطة. جعل المشهد سوندرا حزينة. وبينما كانت تستند إلى الحائط، اصطدم كتفها بصورة في إطار رخيص.

كانت الصورة لفتاة صغيرة في الثانية عشرة من عمرها، ترتدي قميصًا قصيرًا مزركشًا انزلق عن أحد كتفيها. كانت الصورة جنسية بشكل فاضح، كان هناك حزن مؤلم في تعبيرات الطفلة وكأنها ترى القسمات المتآكلة للمرأة العجوز. استطاعت سوندرا أن تضبط الإطار، وهي تتنهد. كان الطلاء الذي غطته الصورة أكثر قتامة من لون الجدران، وكأنه يدل على المدة التي قضاها الإطار في مكانه.

ارتشفت سوندرا رشفة أخرى من خمر «جاك دانييلز».

عشرون عامًا. في ذلك الوقت، كان عمر جسد «سونيا» يظهر وكأنه ضِعفين ونصف. كانت الطفلة التي في الصورة هي سوندرا، تلك الصورة التي التقطها والدها في عام ١٩٥٦. كان قد اغتصبها قبل ذلك بعام، وكان جسدها يُظهِر علامات البلوغ على الرغم من أنها وُلِدت قبل خمس سنوات في عام ٥١.

كان هناك صوت خطوات حذرة على الدَّرَج خارج شقتها ثم توقفت. عبس وجه سوندرا. حان وقت العاهرة مرة أخرى.

اللعنة عليكِ يا سوندرا؛ لأنكِ تركتِ ميلر يقنعكِ بالقيام بهذا الأمر. عليكِ اللعنة لأنك ستهتمين بالرجل الذي من المفترض أن تستغليه. لم يمنع الباب شعورها بالوخز الخافت لشعورها الفرموني تجاه هذا الرجل، والذي ألهبته مشاعرها تجاهه. شعرت أن جسدها يتوق إلى الاستجابة الحانية، وخففت سيطرتها. أغمضت عينيها.

على الأقل استمتعي بالشعور به. كوني سعيدة على الأقل لأنكِ ستصبحين شابةً مرة أخرى ولو لفترة قصيرة. كان بإمكانها أن تشعر بالتغيرات السريعة تتحرك في جسدها، وتجهد العضلات والأوتار وتضعها في شكل جديد. استقام عمودها الفقري. رطبت الزيوت الجلد وبدلت ترهله الجاف. ارتفع نهداها عندما بدأت شهوتها تستعر. دلكت رقبتها ووجدت الثنيات المترهلة اختفت. تركت سوندرا معطف المنزل يسقط من كتفيها.

حقًّا. بهذه السرعة الليلة. لقد كانا عاشقين لمدة ستة أشهر حتى الآن. كانت تعرف ما ستجده عندما فتحت عينيها. نعم، كان جسدها أملس وشابًّا بشعر أشقر، وأصبح نهداها غضَّيْن كما كانا في صورتها. كان هذا الطيف، وهذه الصورة الذهنية لعشيقها. كانت طفولية، لكنها لم تكن بريئة. نفس الصورة دائمًا. دائمًا شابة وشقراء، ربما هي بعض رؤية من ماضيه.

عاهرة ... عاهرة عذراء.

طرق الباب. كانت تسمع أنفاسه متسارعة بعد أن صعد الطوابق الثلاثة، ووجدت أن إيقاعه يتوافق مع إيقاعها. بالفعل كانت هائمة به. فتحت الباب، وأزالت سلسلة القفل. عندما رأته وحده في الردهة، فتحت الباب على مصراعيه وتركته يحدِّق فيها وهي عارية. كان يرتدي قناعًا من الساتان الأزرق يغطي عينيه وأنفه، ويظهر فمه الرقيق مبتسمًا تحته. كانت تعرفه، كان كل ما تحتاجه هو أن تستجيب إلى جسدها. قالت: «جريج كنت أخشى ألا تستطيع المجيء إلى هنا الليلة». قالتها بصوت الطفلة التي أصبحت عليها.

انسل إلى الغرفة وأغلق الباب خلفه. دون أن ينبس ببنت شفة، قبَّلها قبلة طويلة عميقة، وعانق لسانه لسانها، وكانت يديه تداعب جانب جسدها. ثم تنهد أخيرًا وابتعد، ووضعت رأسها على صدره.

همس جريج: «لقد واجهت صعوبة في الهروب ... لقد تسللت إلى أسفل الدرَج الخلفي من فندقي مثل بعض اللصوص ... مرتديًا هذا القناع». ضحك بصوت حزين. ثم قال: «استغرق التصويت دهرًا ... يا إلهي ... أيتها المرأة ... هل كنت تحسبين أنني سأتخلى عنكِ؟»

ابتسمت لقوله، وابتعدت عنه خطوة وهي تشعر بالزهو،

وقالت: «لقد كنت في انتظارك يا حبيبي».

تنهد وقال: «سوككوبوس». ضحكت بنعومة، وقهقهت كطفل.

همست: «تعال إلى الفراش».

وقفت بجانب الفراش المجعد، وحلت ربطة عنقه وخلعت أزرار قميصه. ثم ركعت أمامه وخلعت حذاءه وجواربه قبل أن تفك حزامه وتخلع سرواله. ابتسمت له. كانت عينا جريج مغلقة. لعقته مرة واحدة، كان يتأوَّه. بدأ في إزالة القناع ولكنها أوقفته. قالت له: «لا، اترك الأمر لي». كانت تعلم أن هذا ما يريدها أن تقوله. كان يريدها أن تقول: «كن غامضًا».

دفعته إلى الوراء على الفراش وعضته بلطف، كانت تؤجج حرارته، وتشعل رغبته، فألهبت شهوته شهوتها حتى ذابت بين يديه.

زأر بقوة، ودحرجها. اقتحمها. كانت عيناه تتقدان خلف القناع، غرس أصابعه في أردافها حتى صرخت. لم يكن لطيفًا. كانت حماسته عبارة عن دوامة في عقلها، عاصفة من الألوان، حرارة أشعلت كلاهما. يمكنها أن تشعر بأنه بلغ ذروته، بشكل غريزي، تلاشت مع ذلك التدفُّق القرمزي، كانت تعض على أسنانها بينما كانت أظافره تحفر جسدها وهو يدفع

نفسه مرارًا وتكرارًا.

كان يتأوَّه.

واستمرت في التحرك تحته، لتصل إلى ذروتها بعد لحظة. بدأ دوامة اهتزازها تهدأ، وتلاشت الألوان. تشبثت سوندرا بذكريات لعلها توفر طاقتها حتى تتمكن من الإبقاء على شكلها هذا لبعض الوقت.

كان يحدق بها من خلف القناع. سارت نظراته على جسدها، العلامات على جسدها الملتهب وبقايا الاحمرار على أظافره. قال: «أنا آسف ... آسف جدًّا يا سوككوبوس».

شدته إلى جانبها على السرير، وابتسمت لأنها عرفت أنه يريدها أن تبتسم، سامحته لأنها تعلم أنه بحاجة إلى أن تسامحه.

احتفظت بخيط الإثارة فيه حتى تتمكن من البقاء سوككوبوس.

قالت: «كل شيء على ما يرام»، هدأت من روعه، بتهدئته. تقوست وهي تقبل كتفه وعنقه وأذنه، وأكملت: «أنت لم تقصد أن تؤذيني».

نظرت إلى وجهه، ووصلت خلف رأسه، وفكَّت خيوط

قناعه. تدلى فمه في عبوس. كانت عيناه مشرقتان باعتذاره. كانت تلمسه، تشعر بالنار فيه. أشعرته بالراحة.

عاهرة.

كان هذا هو الجزء الذي احتقرته سوندرا، ذلك الجزء الذي ذكَّرها بالسنوات التي باع فيها والدها جسدها لأثرياء نيويورك.

لقد كانت «سوككوبوس»، أشهر وأغلى عاهرة في المدينة من عام ٥٦ إلى عام ٦٤. لم يكن أحد يعلم أنها كانت في الخامسة من عمرها فقط عندما بدأت ذلك، وأن الجوكر كان مرتبطًا بالآيص الذي سحبته من مجموعة البطاقات الجامحة. لا، لقد اهتموا فقط بأن تصبح «سوككوبوس» هدفًا لأوهامهم؛ ذكرًا أو أنثى، صغيرًا أو كبيرًا، خاضعة أو مهيمنة. أي شخص أو أي شكل من أشكال الأحلام الأسطورية، مجرد وعاء. لم يكن أحد يعلم أو يهتم بأن «سوككوبوس» ستتلاشى حتمًا في سوندرا، وأن جسدها يشيخ بسرعة كبيرة جدًّا، وأن سوندرا تكره «سوككوبوس».

لقد أقسمت عندما هربت من أسرها الأبوي قبل اثني عشر عامًا أنها لن تسمح أبدًا باستغلال «سوككوبوس» مرة أخرى – لن تقدم «سوككوبوس» المتعة إلا لأولئك الذين ليس لديهم حظ للمتعة إلا معها.

عليك اللعنة ميلر. اللعنة على هذا القزَم لأنه أقنعني بهذا. اللعنة عليه لأنه أرسلني إلى هذا الرجل. اللعنة عليَّ أنا لأنني اكتشفت أنني أحب جريج كثيرًا. والأهم من ذلك كله ... اللعنة على الفيروس الذي أجبرني أن أبقى مختفية عنه. يا إلهي، ذلك العشاء في مرتفعات الآيائص أمس ...

عرفت سوندرا أن العاطفة التي ادَّعاها هارتمان كانت حقيقية، وكانت تكره إدراكها لهذا. إلا أن اهتمامها بالجواكر كان حقيقيًا أيضًا، وكانت مشاركتها مع اتحاد الجواكر تقوم على التزام صادق. كانت معرفة الحكومة، وخاصة لجنة مجلس الشيوخ لموارد ومساعي الآيائص (سكير)، أمرًا بالغ الأهمية. أثر هارتمان على الآيائص التي بدأت في الظهور إلى جانب السلطات بعد سنوات طويلة بقيت فيها مختفية: الظل الأسود «بلاك شادو»، والهزاز «تشاكر»، والشارد «أوديتي»، والعَوَّاء «هاولر». من خلال هارتمان، كان اتحاد الجواكر قادرًا على تحويل الأموال الحكومية إلى الجواكر؛ اكتشفت سوندرا المناقصات منخفضة الأسعار في العديد من العقود الحكومية، كانوا قادرين على تسريب المعلومات إلى الشركات المملوكة للجواكر.

أما الأهم من ذلك، وبسبب سيطرتها على هارتمان، تمكنت أخيرًا من منع ميلر من تحويل اتحاد الجواكر إلى المجموعة

الراديكالية العنيفة التي أرادها القَزَم. كان بإمكانها إبقاء السيناتور متأرجحًا بين يدي «سوككوبوس»، وأن تحد من طموح جيميلي، كان هذا هو أملها على الأقل، بعد إخفاق «علية الآيائص»، لم تعد متأكدة. كان جيميلي كئيبًا عابسًا خلال لقائهما في هذا المساء.

قالت لجريج: «أنت متعب يا حبيبي». كانت تتبع ذلك الخط الذي يغمس فيه شعره الفاتح في نشوة أرملة شبقة.

أجابها: «لقد أرهقتِني». عادت الابتسامة، مترددة، كانت تمسح شفتيه بشفتيها.

قالت: «تبدو مشتتًا، هذا كل شيء. هل هي الاتفاقية؟» انزلقت يدها على جسده، على بطنه الذي بدأ يلين في عمره هذا. كانت تداعبه، مستخدمة طاقات «سوككوبوس» كي تهدِّئه وتجعله يسترخي. كان جريج متوترًا دائمًا، أيضًا كان هناك ذلك الجدار في عقله، الجدار الذي لن يهدمه أبدًا، حاجز ضعيف عديم الفائدة أمام معظم الآيائص الذين عرفتهم. كانت تشك في أن جريج أدرك أن هذا الحاجز كان موجودًا، وأنه قد تأثّر بالفيروس أيضًا، وإن كان هذا التأثير طفيفًا.

شعرت بأول صحوة جديدة لشغفه.

اعترف وهو يحتضنها: «لم يكن الأمر جيدًا هناك».

التصويت لم ينجح، خاصة وأن كثيرين ومنهم كل المعتدلين كانوا ضده، كلهم خائفون من عاصفة المحافظين. إذا تمكن ريغان من إقصاء فورد من الترشح، فسيكون الأمر بأكمله دخانًا في الهواء. كان كل من كارتر وكينيدي قتيلين في مواجهة القائمة، لم يرغب أي منهما في أن يظل عالقًا في دعم قضايا لا يطمئنان إليها. كانا المتسابقين الأولَيْن؛ لذا لم ينالا كثيرًا من الدعم. تنهد جريج وقال: «حتى إنهما لم يقتربا من الفوز يا سوككوبوس».

وكأن هذه الكلمات قد كست عقلها بالجليد، وكان عليها أن تقاتل لتحافظ على شكلها في هيئة «سوككوبوس». الآن ستنتشر هذه الكلمات في أرجاء «بؤرة الجواكر». الآن سيعرف جيميلي. كان سينظم المسيرة غدًا. سألته: «وأنت لا تستطيع إعادة تقديم القائمة؟»

أجابها: «ليس الآن». كان يداعبها ... وأكمل: «سوككوبوس أنتِ لا تعرفين كم كنت أتطلع إلى رؤيتكِ بعد كل هذا». لقد كانت ليلة طويلة ومحبطة للغاية. التفت إليها جريج وضمته إليها في حنو وهدوء، على الرغم من أن عقلها كان يركض سريعًا.

شردت، حتى كادت ألا تنتبه إلى كلماته. حين قال: «إذا أصر اتحاد الجواكر، فسيكون الأمر سيئًا للغاية».

تجمدت يدها وتوقفت عن الحركة على جسده.

سألته مستدرجة له: «حقًّا؟»

كان الأوان قد فات، إنها تشعر الآن بشهوته المتَّقِدة تجذبها. أطبقت يده على يدها. قال: «هل تشعرين بهذا ...؟»

مرة أخرى، بدأت تغرق فيه وهي عاجزة، فارقها تركيزها. قبَّلها فالتهب فمها. مشطت جسده، وقادته إليها مرة أخرى. وفي داخلها، كانت تشعر أن سوندرا تحاصر «سوككوبوس» وتخنقها ... عليكِ اللعنة، لقد كان يتحدث عن اتحاد الجواكر.

بعد ذلك أصبح مرهقًا، ولم يتفوَّه جريج سوى ببعض كلمات قليلة. بذلت كل ما يمكنها فعله لإقناعه بمغادرة الشقة قبل أن تتغير هيئتها وتتلاشى، وتعود امرأة عجوزًا مرة أخرى.

السيناتور يحذر من العواقب والعمدة يتعهد بالتصرف

نيويورك تايمز١٦ يوليو ١٩٧٦

الاتفاقية قد تؤدي إلى مرشح مغمور

نيويورك ديلي نيوز ١٦ يوليو ١٩٧٦

«حسنًا، اللعنة! اذهب هناك. إذا لم تستطع المشي، فتعال إلى عربة جارجانتوا». أنا أعلم أنه غبي، لكن يمكنه أن يقوم

بهذا الأمر اللعين، من أجل خدام القضية «الكريساكيز».

كان جيميلي يحرض الجواكر من عند خلفية شاحنة صغيرة صدئة من طراز «شيفروليه»، كان يلوِّح بذراعيه القصيرتين كالمحموم، وجهه محمر من الصراخ والعرق يقطر من لحيته. اجتمعوا في منتزه «روزفلت» بالقرب من «غراند». كانت الشمس تطهو نيويورك من فوق سماء صافية، كانت درجة الحرارة في الصباح الباكر تتجاوز الثمانين وكأنها تصل إلى ثلاثة أرقام. لم يكفِ ظل الأشجار القليلة لتخفيف الحر الشديد، بالكاد تمكنت سوندرا من التنفُّس. شعرت بعمرها مع كل خطوة وهي تقترب من الشاحنة الصغيرة برفقة جيميلي، تشكلت دوائر العرق الداكنة تحت ذراعي فستان الكاليكو الصيفي الذي ترتديه.

كان صوتها مبحوحًا ومنكسرًا وهي تنادي: «جيميلي».

كان يقول: «لا، أيها الأحمق، تحرك إلى «ماري جولدا»» ثم أكمل: «مرحبًا سوندرا هل أنتِ مستعدة للمسيرة؟ يمكنني استخدامكِ للحفاظ على تنظيم الجزء الخلفي من المجموعة. يمكنكِ أن تستخدمي عربة جارجانتوا ومقاعد المقعدين؛ سيمنحكِ ذلك فرصة للركوب بعيدًا عن الزحام ويمكنكِ من تحريك مَن هم أمامكِ. أحتاج إلى شخص أثق في أنه لن يدع «جارجانتوا» يقوم بأي حماقة. هل تعرفين الطريق؟

سننزل من «غراند» إلى «برودواي»، ثم نعبر إلى القبر في «فولتون»».

نادته سوندرا بإصرار: «جيميلي».

وضع ميلر يده على خصره وأجابها: «تبًّا لكِ ... ماذا تريدين؟» كان يرتدي سروالًا قصيرًا مزركشًا فقط، كاشفًا صدره الضخم وساقيه وذراعيه القويتين، التي كساها شعر متناثر مجعَّد بلون بني محمر.

كان صوته الجهير هادرًا.

كانت سوندرا تحدِّق في ميلر بنظرة اتهام: «يقولون إن الشرطة تتجمع حول بوابات المتنزه وتنصب الحواجز، لقد أخبرتك أننا سنواجه مشكلة في الخروج من هنا».

«أجل. تبًّا! اللعنة عليهم، سنذهب على أية حال».

«لن يسمحوا لنا. هل تتذكر ما قاله هارتمان في «علية الآيائص؟»»

«انتبه إلى ما قلته لك بشأن ما ذكره الليلة الماضية». عقدت المرأة العجوز ذراعيها النحيلتين فوق مقدمة فستانها المهترئة. «سوف تدمر اتحاد الجواكر إذا دخلت في قتال هنا».

رد عليها: «ما الأمر يا سوندرا؟ هل كنتِ تمتصين حماقاته السياسية أيضًا؟» ضحك ميلر وقفز من الشاحنة إلى العشب الجاف. كان هناك مائتان إلى ثلاثمائة جوكر حولهما متجمعين بالقرب من مدخل «جراند ستريت» للحديقة. عبس ميلر في وجه سوندرا وحفرت أصابع قدمه العارية في التراب. قال: «حسنًا ... سأذهب لألقي نظرة على هذا، ما دام يزعجكِ كثيرًا».

عند البوابة الحديدية المصفحة، شاهدوا الشرطة تضع حواجز خشبية على الطريق المحدَّد. سار العديد من الجواكر نحو سوندرا وميلر عندما اقتربا.

سأل أحدهم: «هل ستمضي قُدُمًا يا جيميلي؟» لم يكن هذا الجوكر يرتدي أي ملابس. كان جسده قاسيًا مشعثًا، يمشي متدحرجًا وكأن أطرافه متيبسة.

أجاب جيميلي: «سأخبرك بعد لحظة ... هل فهمت يا بينوت؟» حدق في المسافة التي تفصلهم، وأجسادهم تلقي بظلال طويلة على أرض الشارع.

الهراوات، ومعدات مكافحة الشغب، والغاز المسيل للدموع، وخراطيم المياه. كانت جميعها على أهبة الاستعداد.

أجاب بينوت: «بالضبط هذا ما أردنا معرفته يا جيميلي».

«سنخسر الناس. سوف يتأذّوْن، وربما يُقتَلُون. البعض منهم لا يستطيع إمساك الهراوات، كما تعلم». علقت سوندرا على ذلك: «قد يتضرر بعضهم من الغاز المسيل للدموع».

رد جيميلي بصوت صارخ: «قد تتعثر أقدامهم اللعينة أيضًا. نظر عدد من رجال الشرطة تجاههم، مشيرين إليهم. ثم سأل سوندرا: «منذ متى ترين أن الثورة كانت بالغة الخطورة يا سوندرا؟»

ردت: «وأنت متى قررت أنه يجب علينا إيذاء شعبنا للحصول على ما تريد؟»

حدق جيميلي في وجهها، كانت إحدى يداها تحمي عينيه من الشمس. قال ببطء: «ليس هذا ما أريده أنا ... هذا هو العدل ... هذا هو الحق. حتى أنتِ قلت ذلك».

حرَّكت سوندرا فمها، والتجاعيد تنتشر حول ذقنها. ساوت خصلة من شعرها الرمادي، وقالت: «لم أُرِد أن نفعل ذلك بهذه الطريقة أبدًا».

رد عليها: «لكن هذا ما وصلنا إليه الآن ... الْتقط جيميلي نفسًا عميقًا ثم صرخ وهو ينظر تجاه الجواكر المنتظرين: «حسنًا. أنتم تعرفون الأمر؛ استمروا في التحرك مهما قابلتم ... بللوا مناديلكم وابقَوْا مرتبين حتى نصل إلى القبر. ساعدوا

من بجواركم إذا احتاجوا للعون. هيا ننطلق».

عادت القوة إلى صوته مرة أخرى. سمعته سوندرا ورأت رد فعل الآخرين. الحماس المفاجئ، الصيحات المدوية. تسارعت أنفاسها عندما سمعته. التفت جيميلي نحو سوندرا وسألها وفي عينيه وميض ساخر: «هل ستأتين معنا أم ستذهبين لتضاجعي أحدهم؟»

ردت سوندرا بإصرار: «هذا خطأ». تنهدت وهي تشد ياقة الفستان وتنظر إلى الآخرين الذين يحدقون بها. لم ترَ أي دعم منهم، لا من «بينوت»، ولا «تينهولان» أو «زونا» أو «كالفين»، أو «فايل» أو أي شخص من أولئك الذين دعموها في بعض الأحيان أثناء الاجتماعات. كانت تعلم أنه إذا تراجعت الآن، فسيتبدد أي أمل لديها في إيقاف ميلر. نظرت مرة أخرى إلى الحديقة، وإلى مجموعات الجواكر الذين يتجمعون معًا ويشكلون خطًّا. كانت الوجوه خائفة لكنها كانت حازمة. هزت سوندرا كتفيها. قالت: «أنا ذاهبة معكم».

تمتم جيميلي محاولًا أن يخفي سخريته: «أنا سعيد للغاية».

ثلاث قتلى، أصيبوا بجروح خلال شغب الجواكر

نيويورك تايمز ١٧ يوليو ١٩٧٦

لم يكن الأمر محكمًا. لم يكن الأمر سهلًا. قدمت لجنة التخطيط في شرطة نيويورك ملاحظات كثيرة من المفترض أنها غطت معظم الاحتمالات إذا قرر الجواكر استكمال مسيرتهم. لكن سرعان ما أدرك المسؤولون عن العملية عدم جدوى هذا التخطيط المسبق.

تدفق الجواكر من متنزَّه روزفلت بارك ومن على الرصيف العريض لشارع «غراند ستريت». لم يكن هذا في حد ذاته مشكلة؛ فقد منعت الشرطة حركة المرور في جميع الشوارع الفرعية بالقرب من الحديقة بمجرد ورود تقارير عن التجمع. كانت الحواجز منتشرة عبر الشارع وليس على بعد خمسين ياردة من المدخل. كان الهدف ببساطة هو أن يفشل منظِّمو المسيرة في جمع المحتجين وحشدهم معًا، أو أنهم عندما يرَوْن صفوف رجال شرطة يرتدون الزي الرسمي ويحملون معدات مكافحة الشغب، فإنهم سيعودون مرة أخرى إلى الحديقة حيث يمكن للضباط الذين يمتطون الخيول تفريقهم. تجهز رجال الشرطة بهراواتهم، لكن معظمهم توقعوا عدم استخدامها؛ فهؤلاء كانوا مجرد جواكر، وليسوا «آيائص». بل مجرد شرذمة من المعاقين والعجزة، والمشوَّهين المحنيين ... إنهم مجرد بقايا الفيروس غير المجدية.

نزلوا إلى الشارع باتجاه المتاريس، وهز عدد قليل من الرجال في الصفوف الأمامية للشرطة رؤوسهم علانية. يقودهم قَزَم؛ إنه توم ميلر، ناشط في اتحاد الجواكر. كان الآخرون سيصبحون مدعاة للضحك لو لم يكونوا بهذه الشفقة. انفتحت كومة القمامة في «بؤرة الجواكر» وأفرغت نفسها في الشوارع. لم يكن بينهم أحد من سكان «بؤرة الجواكر» المشهورين: تاكيون، أو كريساليس، أو أمثالهم.

بل كانوا هم البؤساء الذين تحرَّكوا في الظلام، وأخفَوْا وجوههم ولم يخرجوا من شوارع تلك المنطقة القذرة. لقد خرجوا بناء على طلب ميلر، على أمل أن يتمكنوا بكل بشاعتهم من دفع المؤتمر الديمقراطي لدعم قضيتهم.

لقد كان استعراضًا، وكان من الممكن أن يكون كرنفالًا غريبًا ممتعًا.

أشار الضباط في وقت لاحق إلى أنهم لم يريدوا أن تتحول المواجهة إلى عنف. كانوا على استعداد لاستخدام أقل قدر ممكن من القوة لإبقاء المتظاهرين بعيدًا عن شوارع وسط مانهاتن. عندما وصلت الصفوف الأمامية من الجواكر إلى المتاريس، كان عليهم إلقاء القبض على ميلر بسرعة ثم إعادة الآخرين إلى الوراء. لم يعتقد أحد أن الأمر سيكون صعبًا.

بعد ذلك، كانوا يتعجبون من مدى غبائهم وحماقتهم.

تباطأ المتظاهرون عندما اقتربوا من الحواجز الخشبية التي تمركزت الشرطة خلفها، ثوانٍ طويلة مرَّت، لم يحدث أي شيء على الإطلاق، وقف الجواكر صامتين في منتصف الشارع. كانت الوجوه المتعرِّقة تلمع نتيجة لانعكاس الحرارة عن الرصيف. كان زي الشرطة رطبًا. حدق ميلر مترددًا، ثم نادى الذين من ورائه ليتقدموا. دفع ميلر الحاجز الأول وأزاحه جانبًا، وتبعه الباقون.

شكَّلت فرقة مكافحة الشغب مجموعة تترابط دروعها البلاستيكية.

ضرب المتظاهرون الدروع. دفعوا الضباط للخلف، وبدأ صف المتظاهرين يتقوَّس. دفع أولئك الذين يقفون وراءهم، فانسحقت الصفوف الأمامية من الجواكر بينهم وبين الشرطة. حتى في هذه الحالة، كان بالإمكان إدارة الوضع؛ فقد تكون قذيفة من الغاز المسيل للدموع قادرة على إرباك الجواكر وتدفعهم كي يركضوا عائدِين إلى مكان آمن في المتنزه. أومأ الضابط المسؤول. ركع أحد رجال الشرطة ليطلق القذيفة.

صرخ أحدهم وسط الزحام. ثم نزل الصف الأول من فرقة مكافحة الشغب مثل مسامير متناثرة أو كما لو أن إعصارًا صغيرًا نثرهم في كل مكان. صرخ أحد رجال الشرطة: «يا

إلهي ... اللعنة! مَن الذي ...» أخرج رجال الشرطة هراواتهم وعندما اخترق بعض الجواكر الصفوف، استخدموها. صوت هدير منخفض يسري بين الأبنية العالية التي تصطف على طول شارع غراند ستريت، وانطلق نعيق الفوضى.

رفع رجال الشرطة هراواتهم ولوحوا بها ليثبتوا جديتهم، ورد عليهم بعض الجواكر الخائفين بقبضاتهم أو بأي شيء في متناول أياديهم.

كان الجوكر الذي يحرك الجموع الجامحة «يحمل قوة TK الجامحة» يلقي بها في كل مكان دون أي سيطرة على الإطلاق. كان الجواكر والشرطة والمارة يتدفقون بشكل عشوائي متدحرجين في الشوارع أو مصطدمين بالمباني. تساقطت كريات الغاز المسيل للدموع وانفجرت مثل الضباب المنتشر لتزيد حالة الارتباك. صرخ «جارجانتوا» الجوكر الوحشي صاحب الرأس الصغير البارز من جسده الضخم عندما أعمته الغازات اللاذعة. كان العملاق الذي يشبه الطفل يسحب عربة خشبية بها العديد من الجواكر الذين لا يقدرون على الحركة، كانت العربة تتأرجح خلفه بركابها الذين حاولوا أن يتشبثوا بجوانبها بشدة. لم يكن لدى «جارجانتوا» أي فكرة عن الطريق الذي سيسلكه، لكنه ظل يركض حتى وجد نفسه في مواجهة صف من رجال الشرطة الذين أعادوا

ترتيب أنفسهم. رد بشدة الهراوات التي ضربته. ضربة من قبضته الضخمة الخرقاء كانت سببًا في وفاة أحدهم.

دارت معركة لا يمكن وصفها لمدة ساعة على بعد عدة بنايات من مدخل الحديقة، ورقد المصابون في الشوارع وصدى أصوات صفارات الانذار يتردد. لم يكن ممكنًا استعادة أي مظهر من مظاهر الحياة الطبيعية إلا بعد الظهيرة. كانت المسيرة قد تبعثرت، ولكن بتكلفة باهظة على جميع المشاركين.

في تلك الليلة الطويلة الحارَّة، وجدت الشرطة التي كانت تقوم بدوريات في «بؤرة الجواكر» عرباتها ملطخة بالحجارة والقمامة. كانت ظلال الجواكر تبدو كأشباح تتقافَز في الشوارع والأزقة الخلفية. ظلال من الوجوه المشوَّهة الغاضبة والقبضات المرتفعة، لعنات محبطة مخفقة. في الظلام الرطب، خرج سكان بؤرة الجواكر من فتحات الحريق وفتحوا النوافذ في المساكن لرمي الزجاجات الفارغة وأواني الزهور والقمامة، لترتطم بأسطح سيارات الشرطة أو تحطم زجاجها الأمامي. بقي رجال الشرطة هادئين داخل عرباتهم، وأبقَوْا النوافذ والأبواب مغلقة. اندلعت النيران في عدد من المباني المهجورة، وتعرضت أطقم الإطفاء التي استجابت لمكالمات الاستغاثة إلى الاعتداء من منازل مجاورة.

جاء الصباح وسط سحابة من الدخان، وستار من الحرارة.

♣ ♦ ♠ ♥

في عام ١٩٦٢، جاء «رجل الدمية» إلى مدينة نيويورك ووجد سكينته في شوارع بؤرة الجواكر. كان هناك كل ما رغب في رؤيته من الكراهية والغضب والحزن، كانت هناك عقول ملوَّثة أمرضها الفيروس، كانت هناك مشاعر قد نضجت بالفعل وتنتظر أن تتشكل من خلال تدخلاته. الشوارع الضيقة، والأزقة المظللة، والمباني المتهالكة التي تعج بالمشوهين، والحانات والنوادي التي لا حصر لها والتي ترضي كل أنواع الأذواق المشوهة والخسيسة: كانت بؤرة الجواكر مرتعًا لإمكاناته، وبدأ يتغذى، ببطء في البداية، ثم زاد نهمه في كثير من الأحيان. شعر أن بؤرة الجواكر ملكًا له. كان رجل الدمية ينظر إلى نفسه على أنه سيد المنطقة الخفي الشرير. لم يستطع رجل الدمية أن يجبر أي من الدمى على فعل أي شيء يخالف إرادتهم، لم تكن له مثل هذه القوة.

لا، كان كل ما يحتاجه هو بذرة مزروعة في العقل، ميل إلى العنف، والكراهية، والشهوة، ثم يمكنه إحكام قبضة عقله على تلك المشاعر فيغذيها، حتى تحطم العاطفة كل الضوابط وتنجرف مندفعة. كانت تلك المشاعر وهاجة وملونة باللون الأحمر. كان بإمكان رجل الدمية أن يراهم حتى عندما

يتغذى عليهم، حتى عندما يفكر فيها، ويشعر بحرارة الشهوة تصل إلى ذروتها. نفس النشوة المتَّقِدة التي كان يشعر بها رجل الدمية عند قيامه بالاغتصاب أو القتل أو التشويه.

كان الألم متعة. كانت القوة متعة.

كانت بؤرة الجواكر هي المكان الذي يمكن أن تجد فيه المتعة دائمًا.

هارتمان يدعو إلى التهدئة

العمدة يؤكد على معاقبة المشاغبين

نيويورك ديلي نيوز ١٧ يوليو ١٩٧٦

دخل «جون ويرثين» إلى غرفة هارتمان في الفندق من الباب المتصل بالجناح. قائلًا: «لن يعجبك هذا يا جريج».

كان جريج مستلقيًا على سريره، وسترة بدلته ملقاة بلا مبالاة على رأس السرير، ويداه خلف رأسه ويشاهد المذيع «كرونكايت» يتحدث عن المؤتمر المتعثر. أدار جريج رأسه نحو مساعده.

وسأله: «ما الأمر الآن يا جون؟»

اتصلت إيمي من مكتب واشنطن، وكما طلبت منها فقد عرضت مشكلة تاكيون والعميل السوفياتي على «الظل

الأسود» (بلاك شادو) وسمعنا للتو أنه تم العثور على العميل في بؤرة الجواكر. لقد تم تعليقه على عمود إنارة بالشارع مع ملاحظة معلقة على صدره مغروسة في صدره يا جريج، لم يكن يرتدي أي ملابس. ذكرت الملحوظة البرنامج السوفياتي، وكيف يقومون بإصابة «المتطوعين» بالفيروس في محاولة للحصول على آيائصهم، وكيف يقومون ببساطة بقتل الجواكر نتيجة لذلك. أشارت الملحوظة إلى أن هذا المسكين كان عميلًا. هذا كل ما في الأمر: لا يعتقد الطبيب الشرعي أنه كان واعيًا خلال معظم ما فعله به الجواكر، لكنهم وجدوا أجزاء من جثة الرجل على بعد ثلاث بنايات.

تمتم جريج: «يا إلهي ... أطلق نفَسًا طويلًا وظل مستلقيًا للحظة طويلة، استلقى هناك بينما كان صوت «كرونكايت» المثقف ينقل التأرجح حول التصويت النهائي على المنصة والمأزق الواضح بين كارتر وكينيدي للترشيح. ثم سأل: «هل تحدث أحد إلى بلاك شادو منذ ذلك الحين؟»

هز جون كتفيه. فك ربطة عنقه وفتح ياقة قميصه ماركة «بروكس برازورز» وقال: «ليس بعد. سيقول إنه لم يفعل أي شيء، كما تعلم، وبطريقته الخاصة سيثبت أنه على حق».

أجاب جريج: «بربك يا جون، كان يعلم جيدًا ما سيحدث، خصوصًا إذا ربط الرجل ووضع هذه الملاحظة عليه. إنه

واحد من هؤلاء المتمرسين الذين يعتقدون أنهم يستطيعون فعل الأشياء بطريقتهم دون القلق بشأن القوانين. اتصل به، أنا بحاجة للتحدث معه. إذا لم يتمكن من العمل بطريقتنا، فلن يتمكن من العمل معنا على الإطلاق؛ إنه خطير للغاية». تنهد جريج وأرجح ساقيه على جانب السرير، وفرك رقبته. ثم سأله: «هل هناك أي شيء آخر؟ ماذا عن اتحاد الجواكر؟ هل تمكنت من الوصول إلى ميلر كما طلبت منك؟»

هز جون رأسه، وقال: «لا شيء حتى الآن. هناك حديث عن أن الجواكر سوف يسيرون مرة أخرى اليوم؛ نفس الطريق، جميعهم، مباشرة بعد قاعة المدينة. آمل ألا يكون بهذا الغباء».

قال جريج متوقعًا ما سيفعله: «سوف يسير ... الرجل جائع كي يكون في دائرة الضوء. يعتقد أنه قوي. سوف يتحرك بالمسيرة».

وقف السيناتور وانحنى فوق جهاز التلفزيون. صمت كرونكايت في منتصف جملة. حدَّق جريج من النوافذ. من موقعه المتميز في فندق «ماريوت إسيكس هاوس» أمكنه أن ينظر إلى الأسفل على الرقعة الخضراء في «سنترال بارك» المحصورة بين أبراج المدينة. كان الهواء راكدًا، لا يتحرك، والضباب الملوث الأزرق يخفي الطرق الأخرى

للحديقة. كان جريج يشعر بالحرارة حتى مع وجود مكيِّف الهواء في الغرفة. في الخارج، سيكون الجو شديد الحرارة مرة أخرى. سيكون يومًا لا يطاق بالنسبة لمحاربي بؤرة الجواكر؛ مما يجعل انصهار الأمزجة المتقدة سريعًا وأقصر. قال جريج مرة أخرى: «نعم، سوف يسير». قالها بهدوء لدرجة أن جون لم يسمعها. ثم قال: «هيا نذهب وعاد إلى الغرفة».

استفسر جون: «وماذا عن الاتفاقية؟»

فرد عليه: «لن يحسموا أي شيء خلال الأيام القادمة. هذا لا يهم في الوقت الحالي. دعنا نجمع زمامنا ونتحرك».

أيها الجواكر ... إنهم يسيئون إليكم

- من كتيب سلمه عمال اتحاد الجواكر

في مسيرة ١٨ يوليو

حث جيميلي الحشود المجتمعة تحت شمس الظهيرة اللامعة. بعد ليلة الفوضى في بؤرة الجواكر، وضع رئيس البلدية قوة شرطة المدينة في نوبتين وألغى جميع الإجازات، ووضع المحافظ قوات الحرس الوطني على أُهبة الاستعداد. قامت الدوريات بتمشيط منطقة بؤرة الجواكر، وفُرض حظر تجول في الليلة التالية. لأن معنى العبارة

السابقة هو أن اتحاد الجواكر سيحاول القيام بمسيرة أخرى لبلوغ قبر الفتى النفَّاث، وقد انتشر فحواها بسرعة عبر بؤرة الجواكر في الليلة السابقة، وبحلول الصباح، كان متنزه روزفلت صاخبًا بالنشاط.

ابتعدت الشرطة بعد محاولتين فاشلتين لتفريق الجواكر من الحديقة أسفرت عن شج بعض الرؤوس وجرح خمسة ضباط. ببساطة، كان هناك عدد أكبر من الجواكر المستعدين للمشاركة مع اتحاد الجواكر أكثر مما توقَّعته السلطات. أقيمت الحواجز في غراند ستريت مرة أخرى، وطارد العمدة الجواكر المتجمعين عبر مكبرات الصوت. ولاقى نداؤه استهزاءً شديدًا من أولئك المتجمعين عند البوابات.

من على المنصة المتهالكة التي أقاموها، استمعت سوندرا إلى جيميلي حيث اجتاح صوت القزم القوي الجواكر في ذروة غضبهم قائلًا: «لقد تعرضتُم للهجوم، والبصق، والكسور مثل أي شخص آخر في التاريخ ...» صرخوا وصاحوا موافقين على كلامه. كان وجه جيميلي متألقًا، لامعًا بالعرق، وبدت خصلات لحيته الخشنة داكنة بسبب الحرارة. أكمل: «أنتم الزنوج الجدد، أيها الجواكر. أنتم العبيد الجدد، أولئك الذين يتوسلون لإطلاق سراح من أُسِر لا يقل عن أسر الزنوج، أو اليهود، أو الاشتراكيين ... إنكم كل هؤلاء في هذه

المدينة، في هذه الدولة!» لوح جيميلي بذراعيه نحو أسوار نيويورك، وقال: «إنهم يريدونكم محبوسين في هذا الجيتو. يريدونكم جوعى، يريدون أن تبقوا في أماكنكم لكي يشفقوا عليكم ويحسنوا إليكم كي يمكنهم التريُّض في شوارع بؤرة الجواكر وهم يقودون سياراتهم الفارهة وسيارات الليموزين ويمرون بكم ويلقون إليكم نظرات الشفقة قائلين: يا إلهي، كيف يمكن للناس أن يعيشوا هكذا؟» كانت الكلمة الأخيرة عبارة عن هدير تردد صداها في أرجاء الحديقة، نهض جميع الجواكر ليصرخوا مع جيميلي. نظرت سوندرا إلى حشود الناس التي رطبت العشب تحت أشعة الشمس الساطعة.

لقد خرجوا جميعًا، كان الجواكر يتدفَّقون من شوارع بؤرة الجواكر. كان «جارجانتوا» هناك، وجسده الضخم تكسوه الضمادات، وكان هناك «ماري جولد»، و«فليكر»، و«كارمن»، ومعهم خمسة آلاف أو أكثر مثلهم جميعًا في الخلف. كانت سوندرا تشعر بالإثارة التي تنبض في عروقهم بينما كان جيميلي يحثهم، كان حقده يتسلل مثل السم في الهواء، فيصيبهم جميعًا. لا، أرادت أن تقول: «لا، لا يمكنكم الاستماع إليه. أرجوكم، إن كلماته مليئة بالطاقة والبريق. أجل، إنه يجعلكم ترغبون في رفع قبضاتكم إلى السماء وأن تسيروا معه ... لكن ... ألا ترون أن هذا ليس هو الطريق؟ هذه ليست الثورة. هذا فقط جنون الرجل».

ترددت الكلمات في عقلها لكنها لم تستطع أن تنطق بها. أوقعها جيميلي في شراك تعويذته مع الآخرين. كانت تشعر بقوس الابتسامة المتلاشي على شفتيها المشقوقتين وحولها كان هناك مجموعة من زملائها يصرخون منادين عليها. وقف جيميلي في مقدمة المنصة، وذراعاه مفتوحتان بينما كانت الصيحات تعلو وترتفع، وبدأ الهتاف يرتفع من حلق الحشد.

«حقوق الجواكر! حقوق الجواكر!»

كانت الأصوات كمطارق تضرب صفوف الشرطة، وسط حشد لا مفر منه من المارة والصحفيين.

«حقوق الجواكر! حقوق الجواكر!»

سمعت سوندرا نفسها تردد ذلك مع الآخرين.

قفز جيميلي من على المنصة، وبدأ القزَم قوي البنية يقودهم نحو البوابات. بدأ الحشد في التحرك، غوغائيون لا يتظاهرون حتى بالنظام. تدفقوا من بوابات متنزه روزفلت إلى الشوارع الجانبية. كانوا يصيحون متهكمين على صفوف رجال الشرطة. كان بإمكان سوندرا رؤية الأضواء الساطعة لعربات الشرطة، وسماع صوت دوي الشاحنات المزودة بمدافع وخراطيم المياه. كان هذا الزئير الغريب الذي لا يمكن تحديده هو ما سمعته في اليوم السابق، كان

يرتفع مرة أخرى، بصوت أعلى من الهتاف المستمر. ترددت سوندرا وهي لا تعرف ماذا تفعل. ثم ركضت نحو جيميلي وتألمت ساقيها. نادته: «جيميلي»، لكنها كانت تعلم أن الشكوى ميؤوس منها. كان وجهه يضج بالرضا عندما تدفّق المتظاهرون من الحديقة إلى الشارع. نظرت سوندرا إلى الأسفل نحو الحاجز، باتجاه الخط الذي رسمته قوات رجال الشرطة.

كان جريج هناك.

وقف أمام المتاريس ومعه عدد من الضباط ورجال المخابرات. وقد شمر أكمام قميصه، وفتح ياقته وخلع ربطة عنقه، وبدا مرهقًا. للحظة، اعتقدت سوندرا أن ميلر سوف يمشي متجاوزًا السيناتور، لكن القزَم توقف على بعد أمتار قليلة من الرجل، توقف المتظاهرون خلفه. قال له جيميلي في تحدٍّ وإصرار: «ابتعد عن الطريق، أيها السيناتور. ابتعد عن الطريق وإلا فسوف ندهسك تحتنا مع كل حراسك ومراسليك الملعونين».

قال له: «ليست هذه هي الطريقة المثلى يا ميلر».

رد عليه: «لا توجد طريقة أخرى، وقد سئمت الحديث عن ذلك».

«من فضلك، دعني أتحدث معك بضع دقائق أخرى». انتظر جريج، كان ينظر إلى جيميلي وسوندرا والآخرين من أعضاء اتحاد الجواكر في الحشد، وقال: «أعلم أنك تشعر بالمرارة بشأن ما حدث لقانون حقوق الجواكر. أعلم أن الطريقة التي عومل بها الجواكر في الماضي كانت مشينة. لكن الأمور تتغير. لا أريد أن أنصحك بالصبر، ولكن هذا ما تحتاجه الآن».

قال ميلر: «لقد نفد الوقت أيها السيناتور»، وانفرج فمه بابتسامة. كانت تيجان أسنانه سوداء مثقوبة.

أجابه جريج: «إذا تقدمت، فستقع أعمال شغب. أما إذا عدت إلى الحديقة، فيمكنني منع الشرطة من التدخل أكثر من ذلك».

«وما فائدة ذلك لنا أيها السيناتور؟ نود أن نتجمع عند قبر الفتى النفَّاث. هذا حقُّنا. نود أن نقف على أعتابه ونتحدث عن ثلاثين عامًا من الألم والعذاب لشعبنا».

«نود أن نصلي من أجل أولئك الذين ماتوا، وندع الجميع يرون من خلال النظر إلينا كم كان أولئك الذين ماتوا محظوظين. هذا كل شيء، نطلب الحقوق التي يتمتع بها أي شخص عادي آخر».

رد جريج: «يمكنك فعل كل ذلك في روزفلت بارك. كل

الصحف الوطنية، وجميع الشبكات ستذيعها؛ وأنا أضمن لك ذلك».

«هل هذا كل ما يمكنك أن تساوم به أيها السيناتور؟ هذا ليس كثيرًا ...»

أومأ جريج برأسه، وقال: «أعلم ذلك، وأعتذر عنه. كل ما يمكنني قوله هو أنه إذا كنت ستعيد رجالك إلى الحديقة، فسأفعل ما بوسعي من أجلكم جميعًا». فتح جريج ذراعيه على أقصى اتساع لهما. «هذا كل ما يمكنني تقديمه. من فضلك قل لي هذا يكفي».

راقبت سوندرا وجه ميلر. استمر الصراخ والهتاف وراء ظهورهم. كانت تعتقد أن القزَم سيضحك، ويسخر من جريج ويشق طريقه نحو المتاريس. لكن القزَم اكتفى بتحريك قدميه العاريتين على أرضية الشارع، وكانت الخدوش قد فرقت الشعر الخشن على صدره العريض. حدَّق عابسًا في جريج وكان الغضب يقفز من عينيه العميقتين.

ثم تراجع خطوة إلى الوراء. تراجعت نظرة ميلر، وبدا التوتر في الشارع وكأنه يتلاشى.

قال: «حسنًا». كادت سوندرا تنفجر ضاحكة، كانت هناك احتجاجات مندهشة من الآخرين، لكن جيميلي كان حوَّلهم

مثل دب غاضب.

«اللعنة، لقد سمعتوني. دعونا نعطِ الرجل فرصة، يومًا واحدًا لا أكثر. لن يضرنا الانتظار ليوم آخر».

عاد جيميلي يشق طريقه وسط لعناته وهو يسير بين الحشد متجهًا نحو بوابات الحديقة مرة أخرى. استدار الآخرون ببطء ليتبعوه. بدأ الهتاف مرة أخرى، بفتور، ثم تلاشى.

حدقت سوندرا في جريج لفترة طويلة، وابتسم لها. قال جريج بصوت هادئ ومرهق: «شكرًا لكِ ... شكرًا لمنحي فرصة».

أومأت سوندرا برأسها. لم تستطع التحدُّث معه. كانت تخشى أن تحاول معانقته وتقبيله. فهي مجرد امرأة عجوز في نظر هذا الرجل. كانت سوندرا جوكرًا مثل البقية.

كانت تريد أن تسأله: كيف فعلتها؟ كيف جعلته يستمع إليك رغم أنه لم يستمع إليَّ أبدًا؟

لم تستطع صياغة الأسئلة، ليس بفم تلك المرأة العجوز، ولا بصوت تلك المرأة العجوز.

تنهدت، وهي تعرج على ركبتيها المتورمتين، عادت إلى

الوراء.

هارتمان يرفض الشغب

ويناقش زعيم اتحاد الجواكر (JJS)

نيويورك تايمز، ١٨ يوليو ١٩٧٦، طبعة خاصة.

الجواكر في قلب الفوضى

نيويورك ديلي نيوز ١٩ يوليو ١٩٧٦

عاد تجمُّع اتحاد الجواكر إلى روزفلت بارك. خلال الفترة المتبقية من اليوم المليء بالحيوية، ألقى جيميلي وسوندرا والآخرون خطابات. ظهر تاكيون بنفسه بعد الظهر ليخاطب الحشد، وكان هناك جو احتفالي غريب يلف هذا التجمع. جلس الجواكر على الأراضي العشبية في الحديقة، كانوا يغنون أو يتحدثون. يشاركون طعامهم مع جيرانهم، ويسكبون لهم الشراب، وبصورة ما أصبح التجمع احتفالًا عفويًا للجواكر. حتى إن كثيرًا من الجواكر المشوهين كانوا يتجولون علانية. وخلعوا أقنعة الجواكر التي اعتاد العديد من سكان بؤرة الجواكر على الاختباء خلفها في ذلك الوقت.

بالنسبة لمعظم الناس، كانت فترة ما بعد الظهيرة جيدة، شيئًا ما سلب عقولهم بعيدًا عن درجة الحرارة وندرة

وجودهم؛ لقد شاركتَ الحياة مع زملائك، وإذا بدت مشاكلك صعبة، كان هناك دائمًا شخص آخر تلجأ إليه أو تتحدث معه. شخص يجعلك تشعر أن الأمور لا تحتاج إلى كل هذا القلق.

بعد صباح بدا أنه موصوم بالعنف والدمار، تحول اليوم إلى يوم لطيف ومتفائل. كان المزاج مليئًا بالمرح، وكأن بعض الزوايا قد انقلبت وتركت الظلام وراءها. لم تعد الشمس حارة جائرة. وجدت سوندرا أن مزاجها قد تحسَّن. ابتسمت، مازحت جيميلي، عانقت الآخرين وغنَّت وضحكت معهم.

المساء جلب الواقع.

انزلقت الظلال العميقة لناطحات السحاب في مانهاتن فوق الحديقة وتلاشت. سارت السماء فوق سطح البحر ثم استقرت حيث حجب بريق السماء وأضواء المدينة جيوش الظلام الزاحف، لتضفي على الحديقة ظلًّا ضبابيًّا. أعادت المدينة حرارة النهار إلى الشفق، لم يكن هناك فسحة من الحرارة، وكان الهواء ساكنًا مميتًا. بدا الليل أكثر قسوة من النهار.

في وقت لاحق، تعيَّن على قائد الشرطة أن يقدم تقريره إلى العمدة. وتعين على العمدة بدوره أن يخبر الحاكم، الذي سيدَّعي أن مكتبه لم يصدر أي أوامر. لم يبدُ أن أحدًا لديه يقين مَن الذي أمر بهذا الإجراء. وفي النهاية، لم يكن الأمر

مهمًّا؛ فقد انفجرت أعمال عنف ليلة الثامن عشر، ووسط الصراخ وصيحات مكبرات الصوت، بدأ الجنون.

بدأت شرطة الخيالة متبوعة بقوات مسلحة بالهراوات، في تمشيط الحديقة من الجنوب إلى الشمال، عازمة على دفع الجواكر إلى «ديلانسي» وإجبارهم على العودة إلى بؤرة الجواكر. قاوم الجواكر المرتبكون الفزعون الهجوم غير المتوقع وحثهم على ذلك جيميلي المحموم. ثم تبع ذلك اشتباك بالهراوات، أعاقه ظلام الحديقة. بالنسبة للشرطة، كان أي شخص لا يرتدي زيهم الرسمي هدفًا مستباحًا. تجوَّلوا في المتنزه وضربوا أي شخص يمكنهم لمسه. صرخات وعويل يشقان الليل. سرعان ما انهارت محاولة جيميلي في تنظيم المقاومة، وتم اقتياد مجموعات صغيرة من الجواكر نحو الشوارع، كل من تعرض للضرب أو الإصابة. تعرض الذين سقطوا للدهس. وجدت سوندرا نفسها وسط مجموعة من تلك الحشود. حاولت أن تحافظ على توازنها في هوجة التدافع، ويداها فوق رأسها لحماية نفسها من الهراوات، تمكنت من العثور على مخبأ آمن مؤقت في زقاق قريب من «ستناتون». هناك شاهدت طوفان العنف ينتشر خارج الحديقة مغرقًا الشوارع.

مرت مشاهد صغيرة أمامها.

كان مصور قناة «سي بي إس» يصور عند قيام عشرات من رجال الشرطة يركبون دراجات نارية بدفع مجموعة من الجواكر نحو حاجز يحمي منحدر مرآب للسيارات تحت الأرض عبر الشارع بعيدًا عن سوندرا. كان الجواكر يركضون، وقفز بعضهم فوق السور. كان «لامينيت» بينهم، ينير المشهد بالوهج الفسفوري لبشرته، كان هدفًا مثيرًا للشفقة غير قادر على الاختباء من الشرطة المتجهة نحوه. ووسط يأسه قفز من على السور ليهوي من فوق ارتفاع ثمانية أقدام. شاهد رجال الشرطة المصور بعد ذلك، وصاح أحدهم «أحضر الكاميرا اللعينة!»، ودارت الدراجات نحوه وهي تصدر هديرًا عاليًا، ومصابيحها الأمامية ترسم أقواسًا على المباني. بدأ المصور يهرب بعيدًا عنهم وهو ما يزال يصور. تلقى ضربة هراوة عندما مر به رجال الشرطة، تدحرج الرجل في الشارع وهو يئن وتهاوت الكاميرا على الرصيف، وتحطمت عدستها.

تعثر أحد الجواكر وسط الزقاق، من الواضح أنه في حالة ذهول، ممسكًا بمنديل مبلل بالدماء عند صدغه على الرغم من أن الجرح كان أسفل أذنه، وقد تبللت ياقة قميصه. كان من الواضح كيف ألقوا القبض عليه، كانت ساقاه وذراعاه في غير أماكنهم، كان يبدو وكأن نحاتًا مخمورًا قد لصقهم على جذعه دون اكتراث. كان الرجل يعرج ويتمايل، وتنحني مفاصله للخلف والجوانب. جاء ثلاثة رجال شرطة يركضون

بسرعة نحوه. قال الجوكر لأحدهم: «أنا بحاجة إلى طبيب».

عندما تجاهله الضابط، شد كم ردائه.

وناداه: «أرجوك». سحب الشرطي علبة رذاذ حارق من حزامه ورش محتوياتها مباشرة على وجه الجوكر.

كانت سوندرا تلهث وهي تغرق في أعماق الزقاق، وعندما واصلت الشرطة سيرها، هربت في الاتجاه الآخر.

انتشر العنف خلال الليل في شوارع بؤرة الجواكر. اندلعت معركة طاحنة بين السلطات والجواكر. لقد كانت موجة من الدمار، وكأنها احتفال بالكراهية. لم ينم أحد في تلك الليلة.

واجه الجواكر المقنَّعون عربات الشرطة المتربصة وقلبوا بعضها. حرقوا السيارات فأضاءت تقاطعات الطريق، وبالقرب من الواجهة البحرية، بدت عيادة تاكيون وكأنها قلعة محاصَرة، يحيط بها حراس مسلَّحون. كان الطبيب الشهير يركض محاولًا الحفاظ على بعض مظاهر العقل في هذه الليلة. قام تاكيون، وخرج مع عدد قليل من مساعديه الموثوق بهم إلى الشوارع لنقل الجرحى، من الجواكر ورجال شرطة.

بدأت بؤرة الجواكر تتفكك، وتموت وسط النيران والدماء. اندفعت أبخرة الغاز المسيل للدموع في الشوارع، وعندما

انتصف الليل استدعي الحرس الوطني وأُصدِر الأمر باستخدام الذخيرة الحية. أصدرت مكاتب لجنة مجلس الشيوخ لموارد ومساعي الآيائص (سكير) التابعة للسيناتور هارتمان دعوة لأولئك الذين يعملون لصالح الحكومة للمساعدة في تهدئة الوضع.

حلقت السلحفاة العظيمة القوية في الشوارع مثل إحدى آلات الحرب في رواية «حرب العوالم» لجورج بال؛ مما أدى إلى ابتعاد المتقاتلين بعضهم عن بعض. مثل العديد من الآيائص الأخرى، بدا أنه لن يميل إلى طرف بعينه في المواجهة، مستخدمًا قدراته لكسر المعارك الجارية دون إخضاع أيٍّ من الجواكر أو الشرطة. خارج عيادة تاكيون (حيث كانت الأجنحة ممتلئة تقريبًا بحلول الساعة الواحدة صباحًا وكان الطبيب قد بدأ في إفساح مكان بالممرات ليضع فيه الجرحى) التقط السلحفاة سيارة موستانج محطمة ومحترقة وألقى بها في النهر الشرقي مثل نيزك ملتهب يحيط به الشرر والدخان. تجول في الشارع الجنوبي، ودفع مثيري الشغب والحرس أمامه كما لو كان يستخدم محراثًا عملاقًا خفيًّا.

في الشارع الثالث، جهَّز رجال الحرس سيارات جيب بأغطية من الأسلاك الشائكة وربطوا حلقات كبيرة من

الأسلاك الشائكة بمقدمة المركبات.

استخدموا هذه لنقل حشود الجواكر خارج الجادة الرئيسية إلى الشوارع الجانبية. انفجرت حرائق عفوية أطلقها جوكر مختفٍ في خزانات الغاز في سيارات الجيب، وركض رجال الحرس وهم يصرخون، وكان زيهم العسكري مشتعلًا. بدأت نيران البنادق تعوي.

بالقرب من ميدان تشاتام، بدأ صوت أعمال الشغب في الارتفاع حتى وصل إلى أماكن بعيدة، حيث كان «هاولر العَوَّاء يرتدي ملابس صفراء، يطارد الشوارع الفوضوية، ويفتح فمه في عويل احتوى على كل ما سمعه، وقام بتضخيمه ومضاعفته، وحيثما سار هاولر، كان الجواكر يضعون أيديهم على آذانهم، هاربين من سيل الضجيج. تحطمت النوافذ عندما رفع «هاولر» الترددات، وارتعشت الجدران عندما كان يصرخ بصوت الجهير: «أوقفوا هذا ... اذهبوا إلى الداخل جميعًا!»

كان بلاك شادو، قد كشف عن نفسه وأعلن أنه الآيص قبل بضعة أشهر فقط، وأظهر تعاطفه سريعًا. شاهد الصراعات بصمت لبعض الوقت. في شارع «بيت»، حيث قاتلت مجموعة من الجواكر المحاصرين، وألقوا الزجاجات، والقمامة وما أمكن لأياديهم الوصول إليه وهم يواجهون

خراطيم المياه ومجموعة من الحراس يحملون بنادق مثبتة عليها حراب، وسط هذا دخل بلاك شادو إلى المعركة.

أصبح الشارع أسودَ على الفور لمسافة عشرين قدمًا حول الآيص الذي يرتدي الزي الأزرق الداكن وقناع الدومينو باللونين البرتقالي والأحمر. استمرت الليلة المقيتة لمدة عشر دقائق أو أكثر. انطلق الصراخ من بئر الظلام، وهرب الجواكر. عندما انطفأ الظلام وانعكست أضواء المدينة مرة أخرى على الرصيف الرطب، استلقى رجال الحرس في الشارع فاقدين الوعي، وشقت خراطيم المياه مجاري في مسارات غير محكَمة.

رأت سوندرا تلك المواجهة الأخيرة من نافذة شقتها.

أفزعها عنف الليل، ولكي تهرب من الخوف، فتحت غطاء زجاجة خمر «جاك دانييلز» الموضوعة في خزانة ملابسها، وسكبت كمية كبيرة في حلقها. كانت تلهث، تمسح طرف فمها بيدها. كانت كل عضلة في جسدها تحتج متألمة، وتضررت ساقاها المصابتان بالتهاب المفاصل وشعرت بألم شديد عندما حركت يدها. ذهبت إلى الفراش واستلقت. لم تستطع النوم، بلغتها أصوات الشغب من النافذة المفتوحة، وكانت تشم دخان الحرائق القريبة وترى ألسنة اللهب المرتعشة وهي ترقص على جدران منزلها. كانت تخشى أن

تُضطر إلى مغادرة المبنى، تساءلت عما ستحاول إنقاذه إذا حدث ذلك.

كان هناك طرقات ناعمة على باب شقتها. في البداية، لم تكن متأكدة أنها سمعتها، ولكنها تكررت، هادئة ومستمرة، تأوهت عندما سارت على قدميها.

عندما اقتربت من الباب، عرفت من يكون. شعر جسدها به. شعرت «سوككوبوس». به. «لا»، همست سوندرا لنفسها: «لا ليس الآن». قرع الباب مرة أخرى.

قالت وهي متكئة على الباب محافظة على صوتها هادئًا حتى لا يسمع تهدج صوت المرأة العجوز فيها: «ابتعد، من فضلك يا جريج».

«سوككوبوس؟» كان صوته مصرًّا. أثارتها لهفته عليها وتعجبت من ذلك. لماذا الآن؟ لماذا هنا؟ يا إلهي، لا أستطيع تركه يراني هكذا، ولكنه لن يذهب. قالت: «دقيقة واحدة فقط»، هدمت كل الحواجز التي كانت تحبس «سوككوبوس». بدأ جسدها يتغير، وشعرت بدوامة شغفه تحرض لهفتها. تجردت من ملابس سوندرا، وألقت بها بعيدًا في الزاوية. فتحت الباب.

كان جريج ملثّمًا، ورأسه بالكامل مغطى بوجه مهرج

مبتسم بشع. كان يحدق بها وهو يشق طريقه إلى الداخل. لم يقل شيئًا. لم يكلف نفسه عناء خلع ملابسه، ولم يقم بأي مداعبة على الإطلاق. دفعها لأسفل على الأرض الصُّلبة لاهثة بينما كانت سوككوبوس تتحرك تحته، كانت تجاريه في ضراوته وتسهل له هذا الاغتصاب الكريه. كان قاسيًا وأصابعه تحفر جسدها المشدود، كانت أظافره ترسم أهِلَّة صغيرة نازفة على جلدها.

أراد أن يؤلمها الليلة، كان يريدها أن تتوجع وتبكي وأن تكون ضحية راغبة. صفعها على وجهها، وعندما رفعت يدها لتمنعه من القيام بذلك مرة أخرى، كان الدم يسيل من أنفها، لوى معصمها بشدة.

وعندما انتهى منها، وقف فوقها ناظرًا إلى أسفل. كان رأس المهرج يضحك عليها، ووجهه مخفيٌّ خلف القناع. كانت ترى عينيه فقط متلألئة وهو يحدق بها.

قال: «كان يجب أن يكون الأمر على هذا النحو». لم يكن هناك أي اعتذار في صوته.

أومأت سوككوبوس وقد عرفت ذلك وقبلته. صرخت سوندرا بداخلها.

كان الجزء الأمامي من قميصه ملوثًا بالدماء وسوائلهما.

سألها: «هل تفهمين الأمر؟» كان صوته رقيقًا وهادئًا وكأنه يتوسل إليها كي تسمع وتتعاطف. أضاف: «أنتِ الشخص الوحيد الذي يقبلني دون أن أفعل أي شيء. أنت لا تهتمين بأني عضو في مجلس الشيوخ. لست مضطرًا إلى ...» توقف وقام ينظف بدلته قائلًا: «أنتِ تحبينني. أستطيع أن أشعر بذلك. أنت تهتمين بي، ولست مضطرًّا إلى دفعكِ للاهتمام بي، أتمنى ...» ثم هز كتفيه وقال: «أنا أحتاجكِ».

ربما كانت عدم قدرتها على رؤية وجهه. ربما كان ذلك بسبب خشونته، لكنه قبل ذلك كان دائمًا رقيقًا جدًّا، هذا ما دفع سوككوبوس إلى تعاطف أعمق مما كان عليه في الماضي. لكنها شعرت بأفكاره للحظة وقد تركها ممدَّدة على الأرض. إن ما شعرت به جعلها ترتجف على الرغم من الحرارة الرهيبة. كان يفكر في أعمال الشغب في الخارج، ولم يكن في عقل السيناتور بغض ولا نفور، لم يكن فيه سوى وهج من المتعة، وشعور بالتملك.

نظرت إليه بدهشة.

لقد كان هو. طوال الوقت، كان يستخدمنا، وليس العكس.

عند الباب، استدار جريج وقال لها: «سوككوبوس، أنا أحبكِ. لا أحسب أنكِ تدركين هذا، ولكنه صحيح. من فضلكِ، صدقي ذلك. أحتاجكِ أكثر من أي شيء آخر».

خلف القناع، كانت ترى بريق حدقتيه. كانت مندهشة عندما رأته يبكي.

بطريقة ما، ورغم كل الغرابة التي شهدتها سوندرا خلال هذه الليلة، لم يكن ما حدث غريبًا على الإطلاق.

♣ ♦ ♠ ♥

وجد رجل الدمية أن سلامته تكمن في عدم الكشف عن هويته، وفي مظهره البريء، لم يعرف أيٌّ من الدمى أنه قد سحرهم، ولم يتمكن أي منهم من إخبار أي شخص بما حدث في أذهانهم. كان الأمر ببساطة ... هو أن الرجل الدمية سمح لهم فقط بالتعبير عن مشاعرهم الخاصة، كان هناك دائمًا دافع كبير لأي جرائم قد يرتكبها أتباعه من الدمى، ولا يهم إذا تم القبض عليهم.

في عام ١٩٦١، تخرج من كلية الحقوق بجامعة هارفارد، وانضم إلى شركة محاماة مرموقة في نيويورك. في غضون خمس سنوات، بعد مسيرة مهنية ناجحة كمحامٍ جنائي، انتقل إلى السياسة. وفي عام ١٩٦٥، تم انتخابه عضوًا في مجلس مدينة نيويورك. وشغل منصب العمدة ما بين عامي ٦٨ إلى ٧٢، عندما أصبح سيناتور نيويورك.

في عام ١٩٧٦، رأى فرصته في أن يصبح رئيسًا. في

الماضي كان يظن أنه سيصل إلى ذلك في عام ٨٠ أو ٨٤. لكن المؤتمر الوطني للحزب الديمقراطي ذهب إلى نيويورك في الذكرى المئوية الثانية، وكان رجل الدمية يعلم أن هذه هي لحظته.

تم وضع الأساس.

لقد احتسى مرات عديدة من كأس المرارة العميق داخل توم ميلر.

الآن سيشربه كله

خمسة عشر قتيلًا، وبؤرة الجواكر تحترق

نيويورك تايمز ١٩ يوليو ١٩٧٦

كانت شمس الصباح مغمورة بالدخان الأسود. اشتعلت المدينة تحت وطأة الحر المتجدد وكانت أسوأ من الأيام السابقة. لم ينتهِ العنف مع الصباح. كانت شوارع بؤرة الجواكر مغمورة بالدمار، وتناثرت مخلفات الاضطرابات الليلية، وخاض المشاغبون معارك حرب العصابات مع الشرطة ورجال الحرس؛ مما أعاق تحركاتهم في الشوارع، وقلبوا السيارات لعرقلة التقاطعات، وأشعلوا الحرائق، واستفزوا السلطات من الشرفات والنوافذ. كانت بؤرة الجواكر نفسها محاطة بعربات الجيش وسيارات جيب

ومعدات إطفاء. تمركز رجال الحرس بكامل معداتهم كل بضع ياردات في الجادة الثانية. على طول جادة «كريستي» احتشد الحراس حول متنزه روزفلت بارك، حيث كان الجواكر يتجمعون مرة أخرى. كان من الممكن سماع صوت جيميلي في أعماق الحشد، وهو يخاطبهم، ويخبرهم أنهم اليوم سوف يسيرون بغض النظر عن العواقب. ظهر جميع المرشحين الديمقراطيين بالقرب من المنطقة المنكوبة، ليتم تصويرهم بوجوه تحمل تعبيرات صارمة وقلقة وهم يحدقون في مبنى محترق أو يتحدثون مع جوكر غير مشوَّه. كينيدي، كارتر، أودال، جاكسون، تأكدوا جميعًا من أن الناس شاهدوهم، ثم أخذوا سيارات الليموزين الخاصة بهم إلى الحديقة، حيث أدلى المندوبون بجولتين غير حاسمتين من الأصوات للترشح. وحده هارتمان جاء وبقي بالقرب من بؤرة الجواكر، تحدث مع الصحفيين وحاول دون جدوى إقناع ميلر بالخروج من أعماق الحشد للتفاوض.

عند الظهيرة، وارتفاع درجة الحرارة، ونسيم النهر الشرقي يحمل رائحة الحريق إلى المدينة، خرج الجواكر من الحديقة.

لم يكن جريج قد تعامل مع الكثير من الدمى من قبل. كان جيميلي ما يزال هو المفتاح، ويمكن أن يشعر بوجود القزَم الهائج ولو على بعد مائة ياردة في حشد من الجواكر الذين

اكتظت بهم ساحة غراند. لن يكون ميلر وحده كافيًا لإعادة الجواكر إلى الوراء في الوقت المناسب وسط هذه الفوضى العارمة، لقد تأكد جريج من أنه كان قادرًا على مصافحة قادة اتحاد الجواكر خلال الأسابيع القليلة الماضية، وفي كل مرة كان يستخدم جهة الاتصال تلك ليغوص في ذهنه ويفتح المسارات التي من شأنها أن تسمح له بالوصول من مسافة بعيدة. كان الغوغائيون مثل أي قطيع من الحيوانات، يكفي أن تحوّل القادة وسيتبعهم الآخرون حتمًا. كان لدى جريج معظمهم: جارجانتوا، بينوت، وتينهورن، وفايل، وربما عشرون آخرون. قليل منهم الذين تجاهلهم مثل «سوندرا فالين»، ذكَّرته تلك العجوز بجدة شخص ما، كان يشك في قدرتها على التأثير على الغوغاء. كان لدى معظم الدمى خوف بالفعل، سيكون من السهل استخدام ذلك لتوسيع هذا الخوف حتى يستديروا ويهربوا. كان معظمهم من الأشخاص العقلاء، لم يرغبوا في المواجهة، لولا أن تم حثهم على ذلك، وهذا ما فعله هارتمان. الآن سوف يتراجع عن هذا، وفي أثناء ذلك يجعل نفسه المرشح المفضل. كان تيار المؤتمر قد انحرف بالفعل عن كينيدي وكارتر، وأصبح المندوبون في حِلٍّ من التزامهم بالتصويت الأول، كانوا أحرارًا في انتخاب المرشَّح الذي يرونه في الاقتراع الأخير، احتل هارتمان المرتبة الثالثة. ابتسم جريج على الرغم من أن الكاميرات

كانت موجَّهة نحوه: لقد منحته أعمال الشغب في الليلة السابقة متعة لم يظن أنه سيشعر بها أبدًا، لقد غمره الكثير من الشغف الذي كان مزيجًا غريبًا من الشهوات.

بدأ صف الحراس في التحول مع اقتراب الجواكر. لقد امتدوا على طول شارع كريستي، وهم يهتفون بالشعارات ولافتات التلويح. أطلق «بولهن» الأوامر والشتائم ذهابًا وإيابًا. كان بإمكان جريج أن يسمع استهزاء الجواكر عندما شكَّل رجال الحرس سلسلة من الحراب. عند تقاطع شارع ديلانسي، رأى جريج صدفة السلحفاة التي تحوم فوق رجال الحرس. هناك على الأقل تم إبعاد المتظاهرين دون أذى، وفي أقصى الجنوب باتجاه البوابات الرئيسية كان هارتمان يقف وسط دائرة من الحراس. لم يكن الأمر بهذه السهولة.

جاء الجواكر متدافعين، وربما عاد الذين يقفون وراءهم إلى الحديقة. أُجبر رجال الحرس على اتخاذ قرار، فبين استخدام الحراب أو محاولة دفع الجواكر إلى الوراء بأذرعهم المتشابكة، اختاروا الخيار الأخير. للحظة، بدا الأمر وكأن بعض التوازن قد تحقق، ثم بدأت صفوف الحرس تنحني ببطء، ووسط الصراخ، اخترقت مجموعة من الجواكر الصف ووصلت إلى الشارع. صرخ الباقون مرة أخرى، ونشبت معركة ضارية غير منظَّمة ومربِكة. تنهد هارتمان بعد

عودته من القتال في الوقت الحالي. أغمض عينيه عندما بدأت انطباعات أتباعه من الدمى تصل إليه، ولو أنه رغب في ذلك، فقد يفقد نفسه، وكان من الممكن أن ينغمس في بحر المشاعر الهائج ويتغذى حتى يشبع.

لكنه لم يستطع الانتظار كل هذا الوقت. كان عليه أن يتحرك بينما كان هناك شكل من أشكال الصراع. وأشار إلى الحراس، وبدأ يتقدم نحو البوابات، إلى حيث يوجد جيميلي.

♥ ♠ ♦ ♣

كانت سوندرا مع بقية قادة اتحاد الجواكر. وبينما كانوا يسيرون عبر البوابة الرئيسية، حاولت مرة أخرى أن تخبر جيميلي عن الغرابة التي شعرت بها في هارتمان الليلة الماضية ... كان يعتقد أنه يتحكم في كل هذا. أقسم بذلك يا جيميلي.

«تمامًا مثل أي سياسي سخيف آخر أيتها العجوز. إلى جانب ذلك، اعتقدت أنكِ تحبينه».

«أنا أحبه، لكن ...»

«لماذا أنتِ هنا إذا بحق الجحيم؟»

«لأنني جوكر. لأن اتحاد الجواكر هي مجموعتي أيضًا، سواء كنت أتفق مع ما تفعله أم لا».

«أغلقي فمكِ إذن ... عليكِ اللعنة. لديَّ الكثير من الأمور لأتعامل معها هنا».

نظر إليها القزم وابتعد عنها. كانوا يسيرون بخُطى بطيئة في مسيرة جنائزية تجاه الحراس المنتظرين. استطاعت سوندرا رؤيتهم أمامها. ثم اختفت الرؤية حيث احتشد الجواكر عند البوابات الضيقة. يتأرجحون، يعرجون، يشقون طريقهم بقدر ما يمكنهم. كثير منهم كانوا يحملون علامات نضال اليوم السابق. الرؤوس ملفوفة بالضمادات، والأربطة، كانوا يظهرونها للحرس وكأنها شارات الشرف. توقفت أجسامهم أمام سوندرا فجأة عندما اصطدمت بخط الحرس، دفعها أحدهم من الخلف وكادت تسقط. عانقت الشخص الذي أمامها، وشعرت بجلده وكأنه جلد حيوان تحت يديها، ورأت حراشف تشبه السحلية تغطي ظهرًا ضخمًا. صرخت سوندرا وهي مرتعبة تبعد أذرعها الضعيفة، وعضلاتها التي كانت تتأرجح داخل أكياس جلدية فضفاضة. ظنت أنها ستسقط عندما ينفجر الأمر فجأة. لقد ترنحت.

رأت عيناها الشمس بعد ذلك، لقد أُصيبت بالعمى للحظات، وفي خضم الارتباك، رأت قبضتيها تتأرجحان أمامها

مصحوبتين بالصراخ والبكاء. بدأت سوندرا في التراجع، في محاولة لإيجاد طريقة لتجاوز الصراع. شعرت أن أحدًا يدفعها وعندما ارتدت هوت هراوة على جانب رأسها.

صرخت سوندرا. صرخت سوككوبوس.

ضاع بصرها في دوامات من اللون. لم تستطع التفكير، وضعت يديها على الجرح وشعرت أن يدها غريبة. كان الدم يسيل من جرح في صدغها، وحاولت أن تنظر إلى يديها. كانتا صغيرتين، هاتين اليدين، وحتى عندما كانت تبحث في عقلها مرتبكة شعرت باجتياح مفاجئ من المشاعر الأخرى.

«لا! عودي إلى الداخل، عليكِ اللعنة! ليس هنا، ليس في الشوارع، ولا مع كل هؤلاء الناس من حولنا!» حاولت سوندرا يائسة التحكم في ظهور سوككوبوس، لكن رأسها كان يطن من الارتجاج ولم تستطع التفكير.

كان جسدها في حالة عذاب، وكان يتحول بسلاسة مستجيبًا لكل من حولها. لامست سوككوبوس كل العقول واتخذت شكل رغباتهم الجنسية. كانت في البداية أنثى ثم ذكرًا، كانت صغيرة وعجوزًا كانت نحيفة وبدينة. انتحبت سوككوبوس في ارتباك. ركضت سوندرا، كان شكلها يتغير مع كل خطوة، تركض بين الأيادي التي تمتد إليها في شهوة غريبة مفاجئة.

استجابت سوككوبوس كما اضطُرت لذلك دائمًا، أخذت خيط الرغبة ونسجته في العاطفة، وفي دائرة دائمة الاتساع، انتهت أعمال الشغب حيث تحول الجواكر والحرس على حد سواء ليتابعوا تحول الرغبة السريع. كان بإمكان سوككوبوس أن تشعر به أيضًا، وحاولت شق طريقها. نحو جريج. لم تكن تعرف ماذا تفعل، وكان هذا الشعور يسيطر عليها، لقد عرفت ذلك من الليلة الماضية.

يمكنه إنقاذها. لقد أحبها، لقد قال ذلك.

تابعت الكاميرات تقدم السيناتور هارتمان نحو البوابة حيث كانت بعض المشاجرات قد بدأت للتو. وعندما حاول حراسه منع السيناتور من العودة إلى هناك أزاح أيديهم جانبًا. وسمعوه وهو يقول: «اللعنة، يجب على أحدهم أن يحاول».

تمتم أحد المراسلين: «حسنًا، هذه أمور جيدة».

اندفع هارتمان إلى الأمام. نظر الحراس الشخصيون بعضهم إلى بعض وهزوا أكتافهم وتبعوه.

شعر جريج بوجود معظم الدمى في المنطقة القريبة من البوابة. مع قيام السلحفاة بإيقاف الجواكر في الطرف الآخر

من الحديقة، أدرك جريج أن هذه ستكون أفضل فرصة له. إن استطاع أن يجعل جيميلي والآخرين يتراجعون الآن، فإن ذلك من شأنه أن يعيد الجميع إلى الوراء، وإذا استمرت أعمال الشغب في الليل مرة أخرى، فلا يهم، فقد أظهر جريج بجلاء هدوءه وثباته في الأزمات.

ستتحدث الصحف كلها عنه في صباح اليوم التالي وستظهر جميع الشبكات وجهه واسمه بشكل بارز. سيكون ذلك كافيًا لضمان الترشيح بزخم كبير في الحملة نفسها. فورد أو ريغان، لا يهم من يختاره الجمهوريون.

سار جريج نحو مركز الصراع وكان وجهه قاتمًا. صرخ وهو يعلم أن القزم قريب بما يكفي لسماعه: «ميلر ... ميلر، هذا أنا هارتمان!» وبينما كان يصرخ، أسر عقل ميلر وأغلق حرارة الغضب المنصهرة، وغمرها باللون اللازوردي البارد. شعر بالارتياح المفاجئ، وشعر ببداية اشمئزاز القزَم من رؤية مَن حوله. قام هارتمان بتلويث عقله مرة أخرى، حيث لمس جوهر الخوف في الرجل وأراد أن ينمو في بياض بارد.

همس جريج للرجل: «الأمر خارج عن السيطرة. لقد فقدتها الآن ولا يمكنك استعادتها إلا إذا ذهبت إلى السيناتور. اسمع، إنه يناديك. كن عقلانيًا».

ناداه جريج مرة أخرى: «ميلر!» شعر أن القزَم بدأ في

الالتفاف، ودفع جريج رجال الحرس الذين كانوا أمامه جانبًا حتى يتمكن من الرؤية.

كان جيميلي على يساره. ولكن حتى عندما بدأ هارتمان في مناداته، رأى أن انتباه الجوكر يتحول بعيدًا نحو البوابة. وهناك حيث كان يتبعها حشد من الجواكر والحراس، رآها جريج.

«سوككوبوس».

كان شكلها مضطربًا، ومئات الوجوه والأجساد تتبدل عليها وهي تركض. لقد رأت جريج في نفس اللحظة. صرخت وهي تناديه وتمد ذراعيها. ناداها مرة أخرى: «سوككوبوس»، وأخذ يشق طريقه نحوها.

أمسكها شخص من الخلف، فحاولت سوككوبوس أن تتلوى مبتعدة، ولكن الأيادي الأخرى أطبقت عليها الآن. أطبقت صرخة قوية ثم سقطت. لم يستطع جريج رؤية أي شيء منها بعد ذلك. كانت هناك جثث في كل مكان حولها. يدفعون ويضربون بعضهم بعضًا في غضب ليكونوا بالقرب منها. سمع جريج صوت طقطقة العظام الجافة الغريب. انطلق مهرولًا وهو يصرخ: «لا ...» نسي جيميلي، ونسي أعمال الشغب. عندما اقترب منها، شعر بوجودها، وشعر بجاذبيتها تشده إليها.

تراكم فوقها الغوغاء المحتشدون والمزمجرون، كانوا يتقاتلون ويمزقون بعضهم يريدون الوصول إلى سوككوبوس. كانوا مثل ديدان تتلوى على قطعة من اللحم، وجوههم متوترة وشرسة، مخالب أياديهم كانت تنهش سوككوبوس. تدفق الدم فجأة من مكان ما أسفل الجسد الذي يتلوى، وأطلقت سوككوبوس صرخة عذاب صامت وصاخب، ثم انقطعت صرختها فجأة وبشكل مخيف.

شعر بموتها.

بدأ المتزاحمون حولها في التراجع، والرعب يكسو وجوههم. استطاع جريج رؤية الجثة ملقاة على الأرض. سال الدم كثيفًا من حولها. كان أحد ذراعيها قد انتُزِع تمامًا من مكانه، وكانت ساقاها ملتويتين مكسورتين. لم ير جريج شيئًا من ذلك. كان يحدق في وجهها فقط: لقد رأى طيف أندريا ويتمان مستلقيًا هناك.

تفجر فيه غضب شديد جارف أخذه من كل شيء آخر. لم يكن يرى أي شيء حوله، لا الكاميرات ولا حراسه الشخصيين ولا المراسلين. لم يستطع جريج سوى رؤيتها هي فقط.

كانت له. لقد كانت له دون أن تكون دمية، وقد أخذوها

منه. لقد سخروا منه، كما سخرت منه أندريا منذ سنوات، كما سخر الآخرون الذين ماتوا أيضًا. لقد أحبها كما لم يحب أي شخص. أمسك جريج بكتف حارس وقف عند جسدها. طرحه جريج أرضًا وهو يصرخ: أيها الأحمق! وبينما كان يصرخ ظل يضرب الرجل في وجهه مرات متكررة وهو يردد: «أيها الأحمق اللعين!»

انطلق غضبه من عقله بلا قيود، وتدفَّق ليغرق الدمى. جاءه صوت جيميلي الذي بدا مقنعًا أكثر من أي وقت مضى وهو يقول: «هل ترى! انظر كيف يقتلون؟» تعالت صرخات الجواكر وهجموا ... اندفع حراس هارتمان الشخصيون الذين اعتراهم الخوف فجأة مع تجدد العنف، وأخذوا السيناتور بعيدًا عن القتال. شتمهم، قاومهم، قاومهم كي يطلقوه، ولكنهم هذه المرة كانوا مُصِرّين. أعادوه إلى السيارة وإلى غرفته في الفندق.

هارتمان منزعج من القتل،

هجوم المتظاهرين

يبدو أن كارتر هو الفائز

نيويورك تايمز ٢٠ يوليو ١٩٧٦

هارتمان «يفقد عقله»

يقول إنه يجب أن يقاوم في بعض الأحيان

نيويورك ديلي نيوز ٢٠ يوليو ١٩٧٦

لقد أنقذ ما يستطيع من الفشل الذريع. أخبر المراسلين المنتظرين أنه ببساطة شعر بالفزع مما شاهده، من العنف غير الضروري الذي تعرضت له البائسة سوككوبوس. لقد هز كتفيه، وابتسم بحزن، وسألهم عما إذا كانوا هم أيضًا قد تأثروا بمثل هذا المشهد أم لا.

عندما تركوه أخيرًا، عاد رجل الدمية إلى غرفته. وهناك في عزلته بغرفته، شاهد إجراءات التصويت على شاشة التلفزيون وقد انتخب المؤتمر كارتر كمرشح رئاسي جديد لحزبه. قال لنفسه إنه لا يهتم. قال لنفسه إنه في المرة القادمة سيكون الأمر له. بعد كل هذا كان رجل الدمية ما يزال آمنًا مختبئًا. لا أحد يعرف سره.

سرح رجل الدمية بعقله وهو يرفع يده ويبسط أصابعه، وشد الخيوط. ارتطمت رؤوس الدمى. شعر رجل الدمى بمشاعرهم، تذوق نكهة حياتهم.

في تلك الليلة على الأقل، كان العيد مريرًا وكريهًا.

♥ ♠ ♦ ♣

الفاصل الخامس

من «ثلاثون عاما من البطاقات الجامحة، نظرة تاريخية»

مجلة الآيائص، ١٥ سبتمبر ١٩٨١

لا يمكنني أن أموت، ليس بعد! لم أشاهد فيلم قصة جولسون. – ***روبرت توملين***

إنهم رجس في خلق الله، وعلى وجوههم وسم الوحوش، ورقمهم في الأرض ستمائة وستة وستون.

– ***منشور مجهول مناهض للجواكر، ١٩٤٦***

سموه حجرًا، وليس تميزًا. نحن لسنا عرقًا، يقولون لنا، نحن لسنا دينًا، نحن موبوؤون ولذلك فالصحيح أن يعزلونا، بالرغم من معرفتهم التامة بأن البطاقة الجامحة غير معدية. مرضنا جسدي، أما مرضهم فيعدي الأرواح.

– ***إكزيفيار ديسموند***

دعهم يقولون ما يقولون. ما زلت أستطيع الطيران.

– ***إيرل ساندرسون الابن***

أهي غلطتي أن الجميع يحبونني، ولا أحد يحبك؟

– ديفيد هارستين (لريتشارد نيكسون)

أحب طعم دماء الجواكر.

– رسم على جدران المترو في مدينة نيويورك

«لا تهمني أشكالهم، فهم ينزفون دمًا أحمر كبقيتنا ... أغلبيتهم على أية حال». **– المقدم جون جاريك، فيلق الجواكر**

«لو أنني آيص، فكيف تكون البطاقة المضروبة».

– تيموثي ويجينز

«أترغبون في معرفة ما إذا كنت آيصًا أو جوكرًا؟ الإجابة نعم». **– السلحفاة**

أنا جوكر، أنا مجنون

ولا تستطيعون ذكر اسمي

ملتف بالطرقات

أنتظر فقط المساء

أنا الأفعى التي تقضم جذور العالم

– «صحيفة سيربنت تايم»، توماس ماريون دوجلاس

«أنا مبتهج بعودة بيبي إليَّ، ولكنني لا أنوي مغادرة الأرض. هذا منزلي الآن، وأولئك الذين مستهم البطاقة الجامحة هم أبنائي». ***– د. تاكيون، بمناسبة إعادة سفينته***

«إنهم أبناء الشياطين لإبليس الأكبر، أمريكا».

– آية الله الخميني

«بالتفكر بالأمر، يبدو أن قرار استخدام الآيائص لضمان عودة الرهائن بأمان قد كان خطأً، وأتحمل أنا كامل المسؤولية عن فشل المهمة». ***– الرئيس جيمي كارتر***

«فكر كآيص، وستفوز كآيص. فكر كجوكر، وستصبح أضحوكة». ***– فكر كآيص! (إعلان 1981)***

«الآباء الأمريكيون قلقون جدًّا بشأن التغطية المفرطة للآيائص ومغامراتهم في الإعلام. إنهم قدوات سيئة لأطفالنا، والآلاف يصابون أو يُتَوفَّوْنَ كل عام محاولين تقليد قواهم الشاذة». ***– نايومي ويذيرز، رابطة الآباء الأمريكيون***

«حتى أبطالهم يرغبون في أن يصبحوا مثلنا. هذه هي الثمانينات. عقد جديد، ونحن الخلق الجديد. يمكننا الطيران ولا نحتاج إلى طائرات مزيفة كالفتى النفَّاث العادي. العاديون لم يستوعبوا بعد، ولكن الزمن قد عفى عليهم. هذا زمن الآيائص».

– رسالة من مجهول، صحيفة صرخة بؤرة الجواكر

1 يناير، 1981

الفتاة الشبح في مانهاتن

بقلم كاري فون

لم يكُن لجينيفر أدنى فكرةٍ عن الوجهة التي تقودُها إليها صديقتها تريشا إلى أن جرَّتها خارج القطار إلى رصيف الجهة الشرقية السفلى عند الجادَّة الثانية. لقد تجاوزتا أربع محطات مرورًا بوسط مانهاتن وواشنطن سكوير بارك وأيِّ مكانٍ مألوفٍ لديهن، ومشاعر القلق لديها تتأجج أكثر فأكثر. وما انفكت تريشا تردد قائلةً: «لا، إننا نزور هذا المكان دائمًا، أريد تجربةً جديدة، سيكون ذلك ممتعًا».

«تريش، هل جُنِنتِ؟ ماذا نفعل هنا؟» أحكمت جينيفر إمساكها بصديقتها علّها تبطِّئ قليلًا من تقدُّمها عبر الممر المُعَبَّد وعلى السلالم نحو شارع هيوستن. نظرت حولها ثم دنَت من تريشا أكثر؛ إذ إنها لم تَرَ هذا العدد من الجواكر في مكانٍ واحدٍ قط، فنصف المتواجدين هنا جواكر. سبق لها أن رأت جواكر من قبل؛ فمن الصعب أن تعيش في نيويورك - حتى لو لم تبتعد عن محيط جامعة كولومبيا - ولا تصادف أي جواكر. في معظم الأحيان، قد تصادف جوكرًا أو اثنين بعوارض خفيفة، كأن يكون له شعر من الريش وأذنين كالأرنب. أما هنا، حتى أجسادهم مختلفةٌ، فهي معدَّلةٌ ومحولةٌ ووحشية. مَرَّ رجل بقربها تاركًا خلفه آثارًا لزجةً على

طول الطريق. حاولت جينيفر ألّا تُحدق.

قادتها تريشا أعلى السلالم وإلى الشارع حيث الفوضى في أوْجِها. «هيا، إن فرقة «الفادز» سيقدّمون عرضًا الليلة في نادي «سي بي جي بي» وأتوق حقًّا للحضور، ولكن لو أخبرتُكِ مسبقًا لكنت رفضتِ مرافقتي، أليس كذلك؟ ثم لانزعجتِ وتأفّفتِ كما تفعلين الآن».

«أنا لا أتأفّف». حاولت جينيفر أن تجيب بدون تجهُّم، فهي لم تسمع من قبل بفرقة «الفادز».

«هيا، فلتعيشي حياتكِ قليلًا. لن يحدث أي مكروه».

تابعت جينيفر السير مع صديقتها بتأنٍّ، محافظةً على قرب المسافة بينهما بما يكفي لتتلامس أذرعهما على الدوام. «سيغضب والداي إن عرفا أنني في محيط بؤرة الجواكر».

أجابت تريشا: «إذن لا تخبريهما، أنت لا تخبرينهما عن كل شيء، صحيح؟»

«كلا»، وتلك الحقيقة؛ إذ كان لجينيفر سر كبير أخفته عن الجميع، حتى عن تريشا؛ لم تستطع إخبارها أن سبب رفضها للخروج يعود إلى خوفها من أن أحدًا سيكتشفه. يومًا ما، سينظر إليها أحدهم، وسيعرف.

وبالأخص في بؤرة الجواكر، حيث يتمتع البعض، عوضًا عن التشوُّهات والجروح الجسدية الناتجة عن فيروس البطاقة الجامحة، بقوى خاصة تُمكِّنهم من قراءة الأفكار، وبذلك سيعرفون. لم تعرف جينيفر ماذا يلي، فهي لم تفكر أبعد من ذلك قط، ولكن الأفضل أن تتظاهر بأنه ليس ثمة خطب أبدًا.

لم تكن جينيفر لتخرج لاستكشاف المدينة لو لم يعد الأمر لتريشا، وهما غالبًا ما تحظيان بوقتٍ ممتعٍ في نهاية المطاف.

نزولًا عند رغبة تريشا، وثقةً منها بأن صديقتها لن تأخذها بعيدًا، استعدت جينيفر للخروج ليلًا مرتديةً فستانًا قصيرًا مكشوف الكتفين وحذاءً بكعبٍ عالٍ ومثبِّتةً شعرها الأشقر المجعَّد في تسريحة ثابتة. أما تريشا، فارتدت بنطالًا بطباعة جلد النمر وسترةً كبيرةً مع حزامٍ ذهبي وحذاء بكعب أكثر علوًّا من كعب صديقتها.

«ها هو، ها هو!» نادت تريشا، جاذبةً ذراع جينيفر لحثها على الإسراع.

ربما توقعت مكانًا أكثر سحرًا، وفقًا لما وصفته تريشا، كالأستوديو ٥٤ مثلًا، ولكن لو أن جينيفر عبرت بالقرب من هنا في أي وقت عادي ما كانت لتلاحظ هذا المكان؛ إذ لم يكن سوى محلٍّ بواجهةٍ صغيرةٍ ومزخرَفةٍ وبمظلةٍ بيضاء

بالقرب من مستودع مؤونةٍ للمطاعم، لم يملك حتى سرداقًا. ولكن الحشد وقف خارجًا على الرصيف إلى جانب مجموعة من الجواكر المتشردين المستندين إلى الحائط.

قادتهما تريشا وسط حشد الناس للوصول إلى الباب الأمامي، حيث احتشد العاديون والجواكر معًا، بالإضافة إلى آيص أو اثنين، ولكن من كان ليعرف؟ ولم تنوي جينيفر إخبار أحد.

وقف رجل بالباب ليتقاضى الرسوم، وبينما كانت جينيفر غارقة في حقيبتها بحثًا عن عملة الخمسة، هزَّت تريشا يدها بعد أن علت وجهها ملامح الرجاء: «هل لديكِ خمسة إضافية؟ أعجز عن إيجاد خاصتي».

تنهدت جينيفر وناولتها الخمسة الإضافية مودِّعةً فكرة العودة إلى المنزل بسيارة الأجرة. لكنهما ستجدان حلًّا؛ دائمًا ما تفعلان ذلك.

في الداخل، كانت الأضواء لامعة والجدران السوداء مغطاةً بالملصقات ورذاذ الطلاء. وكان المشرب ممتدًا على طول أحد الجدران مع بابٍ مفتوحٍ خلفه ومسرحٍ في الزاوية حيث كانت فرقةٌ تعزف تحت اليافطة المعلَّقة وراءهم، والتي كُتِبَ عليها بخط اليد، سونيك يوث. تألفت الفرقة من شباب يافعين. كان أحد عازفي القيثار فتاة بشعرٍ أشقر مجعَّد. كانوا

يرتدون الكمامات؛ ومن ثَمَّ فلم يكن واضحًا إن كانوا من الدّشر أو من الجواكر أو كليهما. وما لم تقترب أكثر، لم تكن لتستطع جينيفر التمييز.

كانت الموسيقى صاخبة، ولا يمكن الرقص على أنغامها، ولم يكن أحد يرقص، لكنهم كانوا يتحركون. وقف حشد قرب المسرح يتقافزون ويتخبَّطون ويحاولون الوصول إلى الخشبة. كانت الفتاة التي تعزف القيثارة تغني، إلى حدٍّ ما، بل تصرخ كلمات الأغاني الضائعة بين أصوات الآلات الموسيقية الصاخبة التي تفاوتت بين هدير القيثارة وقرع الطبول. تطاير العرق من شعرها؛ إذ إن المكان كان حارًّا بسبب الأضواء.

صرخت تريشا وتقافزت في مكانها: «أليس هذا ...» ولكنها لم تسمع تتمة الكلام.

«ماذا؟» ردت جينيفر بصوتٍ عالٍ.

«مرحبا!» قال رجل طويل ونحيف، ذو شعر داكن وقميص قطني أسود قصير الأكمام كتب عليه رامونز بأحرف باهتة، بعد أن وقف أمامهما، «هل لي أن أحضر لكما مشروبًا؟»

صرخت تريشا مجددًا واضعةً يدها حول ذراعه. راقبت جينيفر بانزعاج.

بعد مصادفتها لبعض الشباب بقصة شعر «الموهوك» في الخارج، توقعت جينيفر رؤية الدّشر المخيفين بشعرهم المرتفع وستراتهم العسكرية وأحذيتهم العسكرية وقمصانهم القطنية قصيرة الأكمام المطلية بالرذاذ. توقعت رؤية السلاسل واندلاع المشاكل. ولكن الواقع كان مختلفًا. ففي حين حضر عدد من الدّشر الفعليين إلا أن أغلب الشباب كانوا أقرب إلى الطبيعة منهم إلى الدّشر؛ إذ ارتدوا السراويل الممزَّقة والقمصان القطنية السوداء قصيرة الأكمام واعتلى وجوههم العبوس، ولكن لم يتمتع أحدهم بالشعر الغريب ولم يحملوا المعادن أو أي شعار.

لم تختلف ملابس الفتيات عن ملابس الفتيان كثيرًا، ولكن بعضهن تأنقن، مثلما فعلت جينيفر وتريشا. إذ تميزن شعرهن المصبوغ بشتى الألوان والمصفَّف على شكل هالات حول رؤوسهن، وتنانيرهن القصيرة وجواربهن الملونة وأحذيتهن العالية وأقراطهن الكبيرة وشفاههن الوردية اللامعة وكحل أعينهن الجريء. وقف ثنائي رائع الجمال في زاوية قرب المسرح، كان شعرهما خلابًا ومصففًا مثل عارضي المجلات. لقد كان الفتى يرتدي بدلة بيضاء غالية الثمن، وكانت الفتاة ترتدي فستان سهرة أسود ضيقًا وحليًا فضية وكانت تدخن بواسطة حاملة السجائر؛ كانا يثيران الاهتمام رغم اهتمامهما بمحيطهما. كما كان هناك مجموعة من محبي الحفلات؛

شباب، طلبة جامعيون عاديون، بملامح غير آبهة بعض الشيء، يبحثون عن نشوة جديدة. كانت جينيفر قلقة من أن تبرُز، أن يرى الناس اختلافها وأنها لا تنتمي هنا فيعاملوها بقسوة، لكنها لم تبرُز، ولم يعاملها أحد بفظاظة.

ثلث الحشد تقريبًا كان من الجواكر، ولكن لم تلاحظ جينيفر ذلك في البداية؛ إذ إنهم لم يبرزوا عن غيرهم، فبعضهم ارتدى الأقنعة، أو ربما كان هؤلاء من العاديين، لم تكن تستطيع التمييز، كما لم يكن الأمر بتلك الأهمية.

لمحت جينيفر زوجين آخرين يجلسان في الطرف الآخر من المشرب. كانا يبدوان كبقية الحشد، بسراويل وقمصانٍ قطنيةٍ متواضعة قصيرة الأكمام، إلا أنهما كانا أكبر بعشر سنوات، ربما، عن باقي الحاضرين.

وفجأة شهقت بذهول جينيفر وهزت تريشا: «أهذان ميك جاغر وجيري هول؟»

كانت تريشا ترتشف بعضًا من شرابها عندما أدارت رأسها ساكبةً جزءًا من ما بدا من رائحته كشراب الجين والتونيك على نفسها، ولكنها تمكنت من النظر على أية حال، لتقِف بعدها بعينين مِلؤهما الدهشة: «يا إلهي، وهو يتحدث إلى ديفيد بيرن!»

لم تعرف جينيفر من هو ديفيد بيرن.

♣ ♦ ♠ ♥

عزفت فرقةٌ أخرى مباشرةً قبل اعتلاء «الفادز» خشبة المسرح. في ذلك الوقت، كانت تريشا ثمِلةً بالكامل، وكانت جينيفر تساندها لتحول دون وقوعها أو اصطدامها بأناسٍ آخرين. لم يعبأ أحدٌ، وحاولت جينيفر ألّا تشعر بالخجل، لكنها لم تأتِ لتكون جليسة أطفال تريشا.

في الواقع، بعد التفكير مليًّا، ربما فعلت، ربما طلبت منها تريشا الحضور لأنها مسؤولة وستحرص على عودتهما سالمتين. شربت جينيفر كأس الرم والكولا على مدى الساعة الماضية، وكانت متأكدة من أن تريشا تعاطت بعض الحبوب، فعلى ما يبدو أن الجميع يتعاطون الحبوب.

كان المكان بحرارة الخيم الزراعية، تفوح منه رائحة العرق ودخان السجائر والكحول.

طالت المدة قبل أن تترك فرقة واحدة المسرح فتعتليه الأخرى، وعندما أدركت تريشا أن «الفادز» استلموا الدفة، صرخت وركضت إلى الأمام، مزاحمةً الناس، وضاحكةً إذا زاحموها. نادتها جينيفر لكنها بالكاد سمعت نفسها.

تألفت فرقة «الفادز» من ثلاثة فتية، اثنان منهم من

الجواكر المثيرين للاهتمام. كان للمغني الرئيسي شعرٌ متوهج يصل لعنقه وبخصلٍ بيضاء رقيقة تضيء أطرافها كأنها مصابيح الألياف البصرية في المحلات العتيقة. كان لعازف القيثارة أصابع كثيرة في كلتا يديه، يصعب عدها إذ تتحرك بسرعة فوق أوتار آلته الموسيقية، مولدةً أغرب الأنماط الصوتية. بدا عازف الطبول طبيعيًا، أحد الدّشر من دون قميصٍ وبشعرٍ مرفوعٍ ومصبوغٍ، ودبوس أمان في أذنه اليسرى.

تتمثل الموسيقى المزعومة بقرع الطبول العشوائي وانعدام اللحن وصراخ المغني. لم تتمكن جينيفر من فهم الكلمات إلا بقدر؛ إذ تحدثت عن بغض الأهل وإشعال الأشياء وانتظار سقوط القنابل.

وأخيرًا، بعد كثيرٍ من الصراخ، أنهت الفرقة عزفها.

«أريد استعمال المرحاض»، أفادت تريشا شادةً بيد جينيفر لتتبعها إلى وراء النادي. أمسكتها جينيفر عند سقوطها.

«أهناك حمام هنا أصلًا؟» سألت جينيفر بارتياب، فلم تكن واثقة من أنها ترغب برؤية الحمامات نظرًا لمظهر باقي المكان. رمقتها تريشا بنظرة مفادها «هل يمكن أن تكوني أكثر مللًا؟»

كان المكان أشبه بكهف، بجدرانه السوداء المتقاربة والرسوم التي تزيد من اكتظاظه الحسي، وفي جانبه سلالم تؤدي، بالفعل، إلى المراحيض. تمكّنت جينيفر من شمها قبل الوصول إليها؛ إذ كانت تنضح برائحة الصرف الصحي التي تفوقت على رائحة العرق والعفن في النادي؛ مما دفعها إلى تجعيد أنفها.

حافظت تريشا على توازنها بالاعتماد على جينيفر، ودخلت مرحاض النساء. كانت رائحة الصرف الصحي تنبعث بشكل أفظع والأرض لزِجة. خافت جينيفر من النظر في أكشاك المراحيض ورؤية ما يفيض منها، بلا ريب.

لم تمنع هذه الفوضى – التي تحمل مخاطر صحية عظيمة – عصابة من النساء من الاحتشاد أمام مرآةٍ محددةٍ بالرسومات لإعادة ترتيب شعرهن وتحديد كحل أعينهن.

يبدو أن تريشا نسيت حاجتها لاستخدام المرحاض؛ إذ إنها وقعت قرب الجدار المغطى بالملصقات والإعلانات وخاطبت ببهجة إحدى تخيلاتها: «كان هذا رائعًا، كان هذا رائعًا للغاية!»

بالقرب منهما، وضعت امرأة، ترتدي جوارب مثيرة وتنورةً منقوشةً وحمالة صدرٍ من الجلد، على ظهر مرآة كانت تحملها، بضع الخطوط من مادة بيضاء، لتنحني إليها صديقتها التي تشبهها وتستنشق الكوكايين.

رأت الأولى أن جينيفر تحدق فسألتها: «هل تريدين التجربة؟ لديّ الكثير».

هزت جينيفر رأسها رافضةً بسرعة، وفكرت كم كان تصرفها مملًّا.

«أجل، بالتأكيد، شكرًا!» أجابت تريشا وانحنت إلى الأمام حيث قدمت لها المرأة المرآة بتروٍّ.

«تريشا!» حاولت جينيفر أن تعترض، ولكن دون جدوى، فقد تنشقت تريشا خط الكوكايين الثاني. هل يمكن أن تصبح هذه الليلة أسوأ؟

رفعت تريشا رأسها، بوجهها المتورِّد، وحكت أنفها وضحكت قائلة: «يا إلهي، لديّ فكرة».

«لا، ليس مجددًا»، تمتمت جينيفر، التي كانت تتنفس بواسطة فمها نظرًا لتزايد نتانة الرائحة. علا صوت المياه من أحد الحجرات، متزامنًا مع صوت بعض الفتيات: «يا إلهي، لم تقومي حقًّا بسحب مياه المرحاض، أليس كذلك؟» أمسكت تريشا بيد جينيفر من جديد وقادتها نحو الباب. «أريد أن أتبعهم».

«أن تتبعي من؟»

««الفادزا» طوني! أريد أن أجرب مقابلتهم».

«طوني؟»

«المغني الرئيسي! أليس رائعًا!»

«تريش، أتعرفين كم الساعة؟ الوقت متأخر، يجدر بنا الذهاب!»

«دقيقة واحد بعدُ، لن يتطلب الأمر أكثر من دقيقة».

وهكذا، قادتها تريشا أعلى السلالم وداخل الممر وصولًا إلى مدخلٍ غير محروس. اكتنزت الجدران بالإعلانات والمناشير القديمة التي تروج للعروض هنا، حتى إنها تعرفت على بعض الفرق. رائع! «ذا بوليس» قدموا عرضًا هنا! وبلوندي كذلك؟ حقًّا؟ ولكن كانت تريشا مصممةً، فذهبت وحدها واضطرت جينيفر للإسراع للّحاق بها.

بدا أنهما ابتعدتا عن الحشود لكن الناس تجمعوا مجددًا عند نهاية الممر المؤدّي إلى الغرف الخلفية وغرف الملابس والتخزين. تعرفت جينيفر على المغني الرئيسي ما إن رأته يوقع المنشورات والتذاكر في حين تزاحمت حوله ما يقارب ١٢ امرأة. كان شعره اللامع على شكل هالة، يعكس الضوء على وجهه. وقف عضوَا الفرقة الآخران في الزاوية، لتسلية أولئك الذين لم يتسنَّ لهم الوصول إلى طوني. ألا يجب أن

يكون هناك حارس هنا؟

«مرحبًا».

استدارت تريشا لتواجه شابًا يقف خلفها مبتسمًا، بدا وكأنه أكبر من باقي الحفل، أي في الثلاثين من عمره عوضًا عن العشرين، وجهه صارم ومتعب، حليق الذقن وشعره أسود وقصير. كان يرتدي قميصًا قطنيًا أبيض قصير الأكمام وضيقًا وسروالًا بدَا باهظ الثمن على الرغم من أنه باهت.

حدقت فيه، وكأنها غير واثقة إن كان يكلمها.

«لا بد من أنكِ جديدة هنا». أضاف.

«من؟ أنا؟» أجابت، لتشعر بالسذاجة ما إن غادرت الكلمات فمها، «لا، أنا هنا برفقة صديقتي». وأشارت بإصبعها فوق كتفها إلى تريشا التي أنزلت قميصها قليلًا لتظهر جزءًا من ثديها، والتي كان المغني الرئيسي يوقع عليهما.

ابتسم الشاب أكثر. «هل تريدين واحدة؟» وقدم إليها علبة معدنية مليئة بالحبوب البيضاء.

ليس مجددًا، حاولت جاهدة أن تبتسم وهي تبعد يده من أمامها. «لا، شكرًا، أنا بخير».

«أنا أحب هذه الحفلات لأن هذه الفرق لديها أفضل أنواع

المخدرات».

«أوه!» أجابت.

«هذا سري المروع، أنا لا أهتم حقًّا للموسيقى، لا تخبري أحدًا بذلك». اقترب منها غامزًا.

هل كان يغازلها؟ أم يحاول التعرف إليها؟ لم تكن واثقةً أنها تعرف كيف تجيبه؛ إذ أحست بالخوف والإطراء على حدٍّ سواء، وتورَّد خداها حتى شعرت وكأن البخار يتصاعد من رأسها.

«لا، لن أفعل، صدقني. عليَّ الآن العودة إلى صديقتي». ولكن عندما نظرت، لم تجد الفرقة، ولا صديقتها. «تريشا؟» نادت جينيفر، وركضت عبر الباب الخلفي إلى الزقاق خلف النادي حيث وجدت سيارة كاديلاك قديمة ومهترئة تركبها الفرقة للمغادرة بسرعة.

أحاطت يد المغني الرئيسي ذي الشعر المتوهج بتريشا رافعًا إياها قليلًا عن الأرض وهي تتلوى وتحاول إبعاده عنها. كانت تقول شيئًا، تصرخ ربما، لكن جينيفر لم تتمكن من سماعها بسبب ضجيج الحشد والأصوات القادمة من النادي.

«تريشا!» نادت جينيفر بأعلى صوتها واضعةً يديها قرب فمها.

لقد وضعوها في السيارة على الرغم من محاولاتها للإفلات.

صرخت جينيفر مجددًا: «تريشا»، وسارعت في نزول السلالم، وكادت متعثرةً بحذائها ذي الكعب العالي. كانت تنوي مطاردة سيارة الكاديلاك الصدئة، ولكنها اصطدمت بحشد منعها عن المتابعة. كانت جينيفر طويلة ويمكنها الرؤية من فوق رؤوس معظمهم لكنها لم تتمكَّن من شق طريقها بينهم.

اعترضها رجل ضخم من الجواكر بأنياب بارزة من فكه السفلي وحراشف سوداء لامعة بدل الشعر، متعمدًا. حاولت جينيفر الالتفاف حوله لكنه اعترضها مجددًا.

«يا عزيزتي، لِمَ العجلة؟»

«صديقتي»، أصرَّت يائسة، «لقد أخذوا صديقتي، هل رأيتها؟ لم تكن تريد الذهاب، ولكنهم أخذوها!»

ابتسم مما أظهر أنيابه ليبدو مثل كلب بولدوغ. «عزيزتي، تلك الفتاة تعيش أحلى لحظات حياتها».

حدقت به جينيفر مذعورة، «هل رأيتها؟» أشارت إلى السيارة المبتعدة وفيها صديقتها. «كانت تنازعهم! كما أنها

ثملة تمامًا».

ضحك الجوكر، «أتشعرين بالغيرة لأنهم لم يختاروكِ؟ ربما يمكننا أن نستمتع بوقتنا معًا».

«إنها تحتاج إلى المساعدة!»

حاول الشاب أن يمسك بها لكنها نفذت منه ضاربةً يديه مما جعله يضحك. انعطفت السيارة.

اختُطِفت تريشا، أمام ناظريها وأمام أنظار الجميع.

تذكرت جينيفر أنها رأت هاتفًا عموميًا قرب المراحيض، فهرعت إلى الداخل وأسفل السلالم متوقعةً أن تجد الهاتف معطلًا، ولكنه لم يكن كذلك، كان ملطخًا بمادةٍ لزجةٍ، مسحتها عن يدها بانزعاجٍ بالجدار لتنظيفهما قدر الإمكان.

انحنت لتعطي نفسها بعض الخصوصية وغطت أذنيها لتحجب الأصوات الخارجية ثم اتصلت بالمشغل.

«المشغل».

«مرحبًا! أريد الشرطة!» سمعت نقرًا وطقطقةً، قضمت شفتها، وظنت أنها فقدت الاتصال حتى سمعت صوتًا.

«الشرطة».

«مرحبًا، الأمر يتعلق بصديقتي! صديقتي اختُطِفت!»

«عذرًا؟»

بالكاد استطاعت جينيفر السماع فأخذت تصرخ: «صديقتي! اختُطِفت!»

«سيدتي، هل يمكنك إخباري بما حدث؟»

«كنا في نادٍ، بعض الرجال، أعضاء الفرقة، أخذوها إلى السيارة. لقد كانت تعاني، ليست في تمام وعيها وقد استغلوا هذه الفرصة».

«انتظري قليلًا»، بدا المتحدث مستمتعًا بالقصة: «إذا أنتما تحتفلان ولكن صديقتكِ تركتكِ لتهرب مع الفرقة».

«لا، أنا أخبرك، لقد أخذوها عنوة، كانت شبه مغمًى عليها وأخذوها».

«سيدتي، أين أنتِ؟»

ترددت؛ إذ إن المكالمة لم تسر على ما يرام والأمر يزداد سوءًا: «أنا في نادٍ في بويري».

أنهى المشغل المكالمة.

غضبت جينيفر وأعادت السماعة مكانها. لماذا لم تنتظرها

تريشا؟ لماذا لم تقاومهم؟ ماذا لو اختفت تريشا إلى الأبد؟ قد تتعرض صديقتها للاغتصاب أو القتل، وكل هذا بسببها هي.

حاولت مجددًا، هذه المرة عبر التحدث إلى المكتب الرئيسي عوضًا عن المشغلين. المشكلة كانت أنها لم تملك أي مال إضافي في حقيبتها الصغيرة، جل ما كان بحوزتها هو بعض العملات لشراء المشروبات. تنهدت، ثم نظرت حولها لتتأكد أن أحدًا لن ينتبه.

بسرعة، وضعت يدها على الواجهة الحديدية للهاتف العمومي، ثم تسللت داخله، بعد أن صارت يدها واهية، تخترق المادة الصلبة بسهولة كما لو كانت ذرات هواء، تحسست داخل العلبة إلى أن عثرت على مكان الفكة، أمسكت ببعضها وسحبت يدها لتخرج معها العملات، الآن، صار لديها فكة.

مهما كانت الظروف، فإن الآيص الخاص بها يعني أن تتمكن دائمًا من استخدام الهاتف العمومي.

منذ خمس سنوات، عندما كانت في الرابعة عشرة من العمر، حدث ذلك للمرة الأولى. كانت قد همّت بحمل كأس عصير الليمون الذي سكبته لنفسها، فوقع من يدها وانكسر. إلا أنها كانت تراقب، ولاحظت أنه وقع عبر يدها. وقفت لفترة طويلة، وقدماها محاطة بالزجاج المكسور وبركة من

عصير البرتقال، وهي تحدق في الخطوط الشفافة ليدها التي مكنتها من رؤية أرضية المطبخ عبر لحمها غير الموجود. دخلت أمها وسألتها إن كانت بخير بعد أن رأت الفوضى وجزمت أنه حادث عادي، كانت جينيفر قد أخفت يدها خلف ظهرها بسرعة، وحين نظرت إليها مجددًا كانت صلبة، طبيعية.

تبعت تلك الحادثة أشهر من الخوف والتجارِب. كانت فكرتها الأولى أنها تتلاشى شيئًا فشيئًا وستختفي في نهاية المطاف، مما ولَّد لديها الأرق، خوفًا من أن تختفي خلال نومها. ولكنها علمت أخيرًا أن باستطاعتها التحكم بهذه القدرة. يمكنها أن تمرِّر يدها عبر كل الأشياء الصُّلبة. تدربت باستخدام الأدراج خزانات المدرسة وخزينة والدها. كان آيصها مميزًا لكنها لم تجرؤ على إخبار أحد عنه.

وضعت بعض العملات في مكانها المخصَّص، وأجرت الاتصال، طالبةً التحدث مع المكتب الرئيسي لأقرب مركز للشرطة لتعيد سرد قصتها مجددًا، إلى الضابط المسؤول، بهدوء ويأس علّه يصدقها.

ولكنه أغلق الهاتف كذلك.

صعدت جينيفر على السلالم وهي تكفكف الدموع عن عينيها.

إلا أن فرقة جديدة كانت تعزف، في الجزء الرئيسي من النادي، عبرت ممرًا مكتظًّا لتواجه موسيقى صاخبة وصارخة تملؤ المسرح. لم تتوقف للرد على أحد؛ بل أكملت متفاديةً الأيادي التي حاولت لمسها. قد تكون هذه مخيلتها، وقد يكون العالم قد تحول فجأة إلى الظلام والشؤم، ولكن الحشد بدا أكثر جموحًا، مع تزايد التزاحم العنيف أمام المسرح. مشت جينيفر بموازاة الحائط للوصول إلى مقدمة المشرب، حيث الباب مفتوحٌ، محاولةً تجاهل أعداد الناس حولها وشعورها بالغثيان.

ما فائدة امتلاك آيص إن كان بلا جدوى؟ إن لم يمكنك من تقديم يد العون لأحد؟ ماذا لو كانت عرَّافة تتنبأ بمكانها؟ أو تقدر على الطيران حتى تتبع السيارة؟

استطاعت أن تصل إلى الهواء النقي بعض الشيء، حيث تجمع حشد صغير من الأشخاص الوافدين والمغادرين والمنتظرين. لم تعرف ماذا يمكنها أن تفعل، فاتَّكأت هُنَيْهَةً إلى واجهة محل من القرميد لترتاح وأخذت تمسح العرق وتبعد الشعر عن وجهها. ربما يمكنها أن تذهب إلى محطة الشرطة بنفسها، أو أن تجد أحدًا ممن يعرف الفرقة كمديرهم أو أيًّا من قد يعرف مكانهم.

«أيتها الطفلة، ما الخطب؟»

كان الشاب ذو القميص القطني الأبيض قصير الأكمام والحبوب. ربما كان في الخارج طوال الوقت، وربما خرج لتوِّه، وربما كان يلاحقها.

جلس قرب الحائط على بُعد لا يمكنه من خلاله الإمساك بها أو الوصول إليها. مما جعله أقل شبهة لها. «ولِمَ تهتم؟» حدقت به وأجابت، ثم نظرت بعيدًا كي لا يعتقد أنها تغازله. على الرغم من أنه لم يحاول مغازلتها. ورغمًا عنها، أخذت نفَسًا عميقًا وانهمرت بعدها دموعها وقالت: «صديقتي، تريشا. لقد اختفت، ولا أحد يهتم أو على استعدادٍ لأن يتصرف».

«تخلت عنكِ أليس كذلك؟» أجابها بابتسامة ساخرة.

«لا، لقد اختُطِفت! الفرقة، أخذوها، كانت ثمِلة وأدخلوها إلى سيارتهم عنوة، رأيتهم بعيني!»

«هل أنتِ متأكدة من أنها لم تقرر الاحتفال مع الفرقة وحسب؟»

«من دوني؟ لم تكن لتفعل ذلك». هزت جينيفر رأسها للتأكيد على ما قالته، على الرغم من أنها لم تُلغِ الاحتمال؛ إذ إن تريشا كانت ثملة بالكامل. حاولت منع انهمار المزيد من الدموع.

«حسنًا». قال الشاب، «أنا أعرف مكان تجمعهم بعد انتهاء الحفلة، ويمكنني اصطحابكِ إن أردت».

«حقًّا؟» ردت بتردد، وفي ذهنها صورة نفسها تُسحب إلى سيارة قديمة.

«نعم، إن المكان على بعد حيّين من هنا، كما أنني أعرف المدير، إن أظهرتِ له القليل من ساقكِ سيأذن لكِ بالدخول».

نظرت بعيدًا بخجل.

«كما قلت سابقًا، يقيم هؤلاء الشباب أفضل الحفلات حيث أفضل أنواع المخدرات. فلنذهب لنتحرى الأمر، ما رأيكِ؟»

«هل أنت واثق من أن تريشا ستكون هناك؟»

«إذا ذهبت مع الفرقة، فأنا متأكد».

ثم وقف على قارعة الطريق ومدَّ لها مرفقه بحركة لطيفة وغريبة منه. لحقت به بدون أن تأخذ يده؛ ولكنه لم يبدُ كمن شعر بالإهانة، بل بالتسلية.

بعد أن عبرَا الحيّ، تلاشت أصوات «سي بي جي بي» وتعالت مكانها أصوات الموسيقى المختلفة والحشود المتنوعة من البارات الأخرى. كانت أجواؤها مختلفةً عن الدّشر. ولفت انتباهها الجواكر المارون في الشارع الذين

نظروا إليها، ولكنها تعمدت عدم النظر إليهم، وأن تختبئ كي لا تلفت إليها الأنظار.

لم يبدُ أن الرجل من النادي كان يعبأ بأي من ذلك، بل كان يمشي باستقامة وبراحة تامة كأنَّه يمشي وسط سنترال بارك في يوم مشمس.

«ما اسمكِ؟» سألها بعد صمت طويل.

«جينيفر». أجابت، ثم فكرت أن عليها أن تجيبه بشيء مختلف، إلى أن قررت أنه اسم شائع وبذلك لن يتمكن من البحث عنها وإيجادها. أدركت بعدها أنها تمشي في بويري مع شخص غريب تمامًا.

«جينيفر، سُرِرْتُ بالتعرف إليكِ، أنا كرويد».

«مرحبًا»، ردت بابتسامة متوترة.

«أرى أنكِ لا تمضين الكثير من الوقت في هذه الناحية من المدينة».

«لا، فأنا أدرس في جامعة كولومبيا». جفلت، ثم تساءلت لماذا أخبرته شيئًا كهذا؟»

«حقًّا؟ هذا رائع، الجامعة. تعرفين، رائعة. لقد وصلنا، ما علينا سوى صعود السلالم».

سرعان ما تبادر إلى أذنيها أصوات الحفل صادرة من الباحة على السطح. أحست جينيفر بالتفاؤل. الفرقة هنا، إذًا تريشا أيضًا، ويمكنها الآن أن تؤنِّبها لأنها هربت، وبعدها يمكنهما الرجوع إلى المنزل فيتوقف صوت الرنين في أذنيها.

تنحَّى كرويد بكل أدب لكي تمر هي أولًا، صعدت بسرعة إلى الأعلى ودخلت إلى غرفة شبيهة بالمستودَع. كان جليًا أن ما من ثمّة تغييرات كثيرةٍ قد أجريت على الشقة قليلة الإيجار هذه، فالأرضية من الأسمنت والمشرب مؤلَّف من مجموعة طاولات قابلة للطَّيّ والجدران بحاجة إلى طلاء، وكان هناك ستيريو وجهاز أسطوانات ومكبرات صوت ضخمة تبث ذات الموسيقى الصاخبة من النادي. لا أحد كان يرقص؛ إذ لا متسع للجميع، بل وقف الحاضرون في مجموعات ليتحدَّثوا بصوت مرتفع، لم تدرِ جينيفر كيف كانوا يسمعون بعضهم بعضًا. وعلى طول أحد الجدران، كانت الأبواب الفرنسية مشرعةً على فناء، حيث تستمر الحفل.

كيف ستجد تريشا وسط هذه الفوضى؟

يبدو أن الرجل المسؤول عن المشرب كان أحد الجواكر.

كان ذا طول وجسم معتدلين، ولكنه كان مكسوًّا بالفراء الأزرق السميك، لم تقدر على رؤية ملامحه، ففمه وعيناه مجرد ظل، لكنه بدا كأنه يرمقها.

«يمكنكِ الحصول على أي شيء تريدينه ولكن عليكِ أن تضعي شيئًا في الإناء، حسنًا؟»

قال مشيرًا بإصبعه إلى إناء مخللٍ كبيرٍ، مكتنز بالنقود، على زاوية الطاولة.

«أنا أبحث عن صديقتي، إنها مع الفرقة، «الفادز؟» هل هم هنا؟ هل رأيتها؟»

«الفادز؟» صرخ قائلًا وهو يقترب منها والفرو حول فمه يتموج.

«أجل! صديقتي، هي أقصر مني، شعرها بنّي، هل رأيتها؟»

«لم أرهم، لم يمروا من هنا».

فكرت قليلًا، ماذا الآن؟ «هل أنت متأكد؟ لقد قدموا عرضًا للتو في نادي سي بي جي بي».

«عزيزتي، أنا أعرف الفرقة، وأعرف أين يعزفون، لم يأتوا إلى هنا، ولم أرَ صديقتكِ. الآن، هل تريدين أن تطلبي شيئًا أم لا؟»

بدون أن تجيب، تركت الحشد يدفعها بعيدًا عن الطاولة. نظرت حولها، لتدرك أنها أضاعت كرويد كذلك، لكنها لم تدري إن أشعرها ذلك بالخوف أو بالراحة.

حسنًا. هذا لم يزد من سوء الوضع. كل ما عليها فعله هو أن تعثر على شخص يعرف الفرقة ويعرف أين ذهبوا، هذا لا يدعو لليأس. بتصميم، التفتت وشقت طريقها إلى المشرب، فإذا كان الساقي يعرف الفرقة لربما سيخبرها أين يمكنها إيجادهم.

تغير طريقها حين اصطدمت بسيدة وتعثرت، تمكنت جينيفر من السيطرة على توازنها حتى إنها أمسكت بالسيدة وحالت دون وقوعهما سويًّا على الأرض.

كانت السيدة في العشرينيات من عمرها، ذات ملامح ناعمة وجميلة، لكن تعابيرها كانت متعبة، وأحمر شفاهها ممسوحًا بسبب مضغها لشفتيها، وكانت ترتدي فستانًا محاكًا ذا فتحة عنق واسعة.

حاولت جينيفر أن تنظر إليها ولكنها ظلت تحدق فوق كتفها. «هل أنتِ بخير؟» سألتها جينيفر.

عندما تكلّمت جينيفر، انتبهت السيدة لها، فأغلقت شفتيها معًا بإصرار وقالت: «هلّا حملتِ هذه لي؟» ثم وضعت مفتاحًا فوق خاتم مع ورقة تعريف بلاستيكية في يد جينيفر.

أغلقت جينيفر أصابعها حول الأغراض لا شعوريًا، في حين ابتعدت المرأة عنها مسرعةً واختفت. «مهلًا». لحقتها جينيفر

لبرهة، مطيلةً النظر إلى شعرها الأسود الطويل المتموج بين بحر من الناس قبل أن تختفي، شخص مجهول آخر. حاولت جينيفر اللحاق بها ولكنها لم تستطع.

عندما علا صوت إطلاق النار في المكان، ظنَّت جينيفر أنه صوت تحطم زجاجة من المشرب، ولم تدرك الخطر المحدق إلا بعد أن بدأ الجميع بالصراخ والانحناء. ولكن بسبب تزاحم الجميع وخوفهم قبل أن تتمكن من إدراك ما الذي يجري، ظلت واقفة تنظر حولها كالحمقاء.

وقف مجموعة من الرجال وانتشروا على أعلى السلالم. كان أربعة منهم - تابعون لعصابة ما - عظماء وأقوياء، وكانوا يرتدون أقنعة من النوع التنكري الرخيص التي يمكن الحصول عليها في أي متجر رخيص في بؤرة الجواكر. كلهم كانوا يحملون المسدسات، أطلق أحدهم النار على السقف، وظل مصوِّبًا مسدسه نحو الأعلى. ربما كان جوكرًا أيضًا، إذ كان عملاقًا كبيرًا، ذا كتفين ورجلين ضخمتين، عضلاته مليئة بالعروق، ورقبته بالكاد ظاهرة. أحدهم، كان بالتأكيد جوكر؛ إذ كانت ذراعاه مكسوَّتان بالفراء ويداه عبارة عن مخالب. أمّا الاثنين الآخرين فمن المرجَّح أن يكونا طبيعيين، أو ربما من الجواكر؛ إذ إن الأقنعة غطّت أي تشوُّه محتمل لديهما. مرة أخرى، لم يبدُ الأمر مهمًّا إن كانوا جواكر أم لا، المهم أنهم

كانوا ضخامًا وقساةً وغاضبين.

لو عرفت جينيفر بأن أمرًا كهذا سيحصل في هذه الناحية من المدينة. لقتلت تريشا لجرِّها إلى هنا، هذا إن لم تكن قد ماتت بالفعل.

«نحن نعرف أنكِ هنا». قال الرجل الضخم الذي يحمل المسدس، وهو ينظر خلسة متفحصًا الوجوه. «سلموها ولن نؤذي أحدًا».

دفع الخوف أغلب الحشد للخروج إلى الباحة. السيدة التي اعترضت طريق جينيفر لا أثر لها. «سلِّموها». نظرت جينيفر دون وعي إلى المفتاح في يدها، وهذا كان خطأً. رآها رجل العصابة، واقفة هناك تحدق وفي يدها قطعة صغيرة، تتملكها الحيرة والخشية. علت وجهه ملامح الإصرار والرضى، واتجه نحوها.

بدأ قلبها يخفق، وجلدها يتعرق، أخذت خطوة إلى الوراء ... وسقطت.

ظلت تسقط.

ظنت للحظة أنها غابت عن الوعي، وأغمي عليها وتناثر عقلها إلى آلاف القطع. لم تعُد تَرَ شيئًا، أو حتى تحس بوزن جسدها إذ صارت خفيفة كالهيليوم، ومشتتةً وتشعر بالدوار.

كل مسامٍّ جسمها تشعر بالدوار، بعد أن قلبت رأسًا على عقب. لم تستطع التنفس.

ثم عادت إلى وعيها، عافرت لتحصل على الهواء، ومرت الجدران قربها بسرعة، لقد كانت حقًّا تسقط. لم يستغرق الأمر سوى لحظات فقط، ثم ارتطمت بالأرض. كل شيء تغير، سقف البار قد اختفى، الغرفة كانت معتمة وفارغة من الحشود. الرجل الذي يحمل المسدس متوجهًا نحوها كان قد اختفى، مما جعلها تطمئن.

ولكن لا، لم يختفِ أي من ذلك، نظرت إلى الأعلى نحو السقف، العوارض والفتحات ظاهرة، لقد وقعت من هناك، وقد كانت عارية.

غطت القشعريرة يديها وظهرها وقدميها. حاولت معانقة ركبتيها لتختبئ قليلًا، لقد عبر جسدها بالكامل كالشبح من خلال الأرض، ومن خلال ملابسها، كانت تجلس عارية على أرضية مشمعة في غرفةٍ تبدو وكأنها غرفة خلفية لمتجر كحول. تحيط بها صناديق ورقية دُوِّن عليها: «كورس»، «بابست»، و«هام». لحسن حظها فقد وقعت في منتصف الممر بين الباب الأمامي والباب الخلفي، ولكن ماذا لو أنها وقعت على أحد الصناديق الورقية؟ لو أن جسدها عاد صُلبًا هناك. لم تستطع التخيُّل، وأحست بالقشعريرة.

ظلت تحدق بالسقف، غير متأكدة من الذي حصل فعلًا، على الرغم من أنها كانت تعرف. لقد كانت تعرف، أنه كما عبر كوب عصير الليمون من يدها، جسدها بالكامل عَبَر الأرض.

أنا أستطيع المشي عبر الجدران، فكرت، وهَمَّت بالتجربة، عدا أنها كانت عارية. ما الجيد في أن تمشي عبر الجدران وأنت عارٍ

ما زالت تحمل المفتاح بيدها محكمة الإغلاق. أسنانه حفرت في جلدها. لقد كانت مهتمةً جدًا في الحفاظ عليه، حتى حملته معها عبر الأرض.

حين فُتِح الباب الخلفي، اختبأت خلف كومة الصناديق. استمعت إلى أصوات الأقدام الثقيلة، وصوت الدمدمة. العصابة فتحت الباب، لقد وجدوها، والآن سيفعلون بها أمورًا لا توصف. تمنت لو أنها ترتطم بالأرض ثانية، مع أنها لم تكن متأكدة كيف فعلتها أول مرة.

«أيتها الطفلة، جينيفر، هل أنتِ هنا؟ لا تقولي لي إنك عبرتِ طريق الصرف الصحي كلها».

إنه كرويد.

«أنا هنا، أنا تقريبًا ... أعني، ملابسي لم ترافقني».

«أعرف، إنها معي. لماذا لم تذكري أنكِ آيصى».

«لأنني لم أخبر أحدًا قط. لا أحد يعرف. على الأقل لا أحد كان يعرف».

«خطوة ذكية». أجاب بكل هدوء من دون أي أثر للصدمة في رده. «ولكن هل لديكِ أدنى فكرة عن أهمية القدرة التي لديكِ؟ أذكر مرة في العام ١٩٣٥، حين حاول العملاء الفيدراليون سجني ولكنني كنت محظوظًا ونجوت».

«عمَّاذا تتكلم؟»

«لا عليكِ، خذي».

مد يده ليعطيها فستانها، وحين تسلَّلت لتأخذه منه، نظر بعيدًا بكل احترام.

سارعت بارتداء الفستان، بعد أن ارتدت ملابسها الداخلية التي استطاع إحضارها كذلك، وله كانت ممتنة. حتى إنه أحضر الحذاء، لكن مجوهراتها كان مفقودة.

كان عليها أن تكتشف كيف فعلت ذلك، وكيف تستطيع أن تعيد الكَرَّة بدون أن تخسر كل شيء. بينما كانت ترتدي فستانها سألته: «ما الذي يحصل؟ مَن هؤلاء؟»

«كنت سأسألكِ هذا، لماذا كانوا مهتمين بكِ؟ ما الذي

فعلتِهِ؟»

«لا شيء! كل ما حصل أنني تصادمت مع امرأة وأعطتني هذه». وأرته المفتاح ورقمه ٥١٣٣٧.

«لديكِ قدرة خاصة على التواجد في المكان الخاطئ والزمان الخاطئ، أليس كذلك؟»

«أنا أريد فقط أن أجد تريشا وأعود إلى البيت». قفزت بينما هي تُدخِل قدمها في حذائها.

«هيا». قال كرويد. «يستحسن أن نخرج من هنا».

«ماذا؟ لماذا؟»

تتبعت نظراته المرتبكة نحو الباب وإلى الزقاق حيث حصلت على إجابتها. العصابة كانت قد لحقت بهم، ووقف الزعيم بالباب معترضًا طريق الخروج، وكان واضحًا أنه مستعد لإطلاق النار عليها وعلى كرويد.

لم تكن جينيفر متأكدة من قدرتها على عبور الأرض مرة أخرى، وإن استطاعت فعل ذلك أين سينتهي بها المطاف؟ ربما لو ركضت عبر الحائط ...

«تجمدوا!» صرخ كرويد، وكذا فعلوا. كان فم زعيمهم مفتوحًا ليتكلم، لكنه لم ينطق ببنت شفة. تنهد كرويد،

ونظرت إليه جينيفر بدهشة قائلة: «أنت أيضًا آيص؟»

نظر إليها ثم أجاب: «حسنًا، ليس تحديدًا. الأمر أشبه برمية نرد».

«بماذا؟»

«تدوم فقط خمس دقائق، علينا أن نهرب الآن».

دفعها من بين أفراد العصابة المتجمدين، وهرَبَا.

سلكا طريقًا ملتويًا، وانعطفا عند كل زاوية يواجِهانها حتى يصعب اللحاق بهما. لم تكن جينيفر متأكِّدة من أن هذا سيساعد، ثم إنها، من ناحية أخرى، أصبحت ضائعة تمامًا، ربما لو اتصلت بالشرطة فسيساعدونها.

لكنها لا تستطيع الاتصال بأحدٍ للمساعدة، إنها، الآن، لوحدها في شارع مظلم مع رجل غريب لا تعرفه أبدًا. كيف لها أن تكون بهذا الغباء؟

انعطف كرويد حول زاوية أخرى ليصل إلى ممر جانب حجر بني، مدخله مخبَّأ، لو صادف أنها كانت لوحدها لما انتبهت له. اغتنمت الفرصة لالتقاط أنفاسها.

«دعيني أرَ» قال كرويد دالًّا إلى المفتاح التي ما زالت تحمله بيدها.

نتيجة ترددها لإعطائه إياه، رفعته عاليًا كي يتمكن من رؤيته، وبعد برهة قال لها: «يبدو وكأنه مفتاح لصندوق بريد».

«وما في ذلك؟» قالت جينيفر التي ما تزال تلتقط أنفاسها، محاولة تدليك قدميها حيث تَشكَّل تورُّم خفيف.

«أعتقد أن ما يحصل هو نتيجة عملية فاشلة. عملية تبادل مخدرات أو ما شابه ذلك. كان من المفترض أن يستلم الرجال المفتاح من المرأة وأن يختاروا إما البضاعة أو المال. لقد غُدِر بأحدهم ونحن في وسط المشكلة».

«هذا لا يُطَمْئِنُ». أجابته.

«أعرف أحدًا قد يدلنا على مكان هذا المفتاح» حاول أن يمد يده ليأخذ المفتاح، فأبعدته عنه.

«وماذا عن تريشا؟»

«من؟»

«صديقتي التي اختُطِفت».

«إنها حتمًا على ما يرام».

«عليّ إيجادها!»

«لنعقد اتفاقًا؛ إن ساعدتني لإيجاد مكان هذا المفتاح فسأساعدكِ بالعثور على صديقتكِ».

«لأنك أثبتَّ قدرتك على المساعدة بما يكفي».

«حسنًا انتظري قليلًا». قال فاتحًا يديه ومحاولًا الاعتذار: «إن الفتاة التي أعرفها ليست بعيدة عن هنا. دعينا نتفقَّد الأمر أولًا ثم أساعدك في العثور على تريشا؛ إذ إنني أعرف بعض الأماكن التي قد تتواجد فيها. حسنًا؟»

تجهَّمت قليلًا، ولأنه لا خيار آخر لديها، وافقت.

تناول كرويد حبة من محفظته وقال: «جيد، هيا بنا».

مشيا قليلًا، وكانا كلما تقدما في الحي، وجدت جينيفر أن حال الحي يزداد سوءًا. ولم تر أي سيارة أجرة منذ مسافات. عانقت نفسها وأخذت تفكر بالمشكلة التي وقعت فيها. حاولت إقناع نفسها أنها قادرة على كل شيء، وأنه إن حاول أحد تقييدها فستختفي من بين الحبال، ستعبر الجدران كذلك.

حاول كرويد أن يحادثها ولكن جينيفر تجاهلته، إلى أن قال: «انظري، إنني أحاول مساعدتكِ. يمكنني أن أجمدكِ وآخذ المفتاح».

«إلا أنك لن تفعل ذلك؛ لأنني متأكدة أنك تحبك خطة ما كي تدفعني إلى سطو بنك معك». لمّا لم يرد على ما قالته تجهمت: «لقد كنت تفكر في ذلك حقًّا؟» ثم أسرعت المشي.

«حسنًا، ربما كنت أفكر في ذلك». قال محاولًا اللحاق بها، ولو استطاعت الإسراع أكثر مرتديةً كعبها العالي لفعلت ذلك. «لكن عليكِ أن تفكري في ذلك قليلًا. قدرة كالتي لديكِ لا تتوفر لدى الجميع».

«ألا ترى؟ أنا لا أريدها. أتمنى لو لم أحصل عليها أبدًا».

«ظننت أن كل طفل يتمنى لو كان آيصًا. يمكن أن تشتهري بسبب قوتكِ، وتتناولي طعامك في أرقى المطاعم كـ «آيصيس هاي»».

«وماذا بعد؟ أصبح مسخًا؟ أنا فتاة عادية من عائلة عادية من «لونغ أيلاند» وكل ما أريده هو أن تتركني وشأني».

«يمكنكِ أن تسمي نفسكِ الفتاة الشبح». اقترح عليها قائلًا.

«الفتاة الشبح؟»

«اسم من أسماء الآيائص، اسم يمكن للجرائد إطلاقه عليكِ، تخيلي معي: الفتاة الشبح؛ سارقة المجوهرات الآيصى، تضرب من جديد». قال وذراعاه ممتدتان لتقليد عناوين

الصحف.

«لن أسمي نفسي الفتاة الشبح». طبعًا يمكنها ابتكار اسم أفضل من هذا. اسم أكثر تشويقًا وغموضًا ... «ألديك اسم آيص؟»

«النائم». توقف عن الابتسام، كما لو لم يكن فخورًا بالأمر.

«هذا اسم غريب. ظننت أن قد يكون شيئًا مثل المجمِّد».

استهجن وقال: «هكذا تُبتكَر الأسماء عادة».

توقفت عند زاوية حائرة إلى أي طريق تتجه. كل أضواء هذا الحي بدت معطّلة وكل واجهات المتاجر خلف معادن فولاذية، لا شيء يُطمئِن. كانت تأمل بأن تتمكن من التواري عن الأنظار مجددًا، وذلك إن وقعت في مشكلة، أو بالأحرى مشكلة أخرى.

دخلا إلى قلب بؤرة الجواكر الآن، ولم يعودَا على حدودها. قابلهما الناس بنظرات حادة كانت ترتعش تحتها.

«نحن لسنا بأمان أليس كذلك؟» سألته وهي تلف ذراعيها.

«هل تمزحين؟ اسمعي، سنظل بخير طالما أننا نتحرك».

في المنعطف التالي، رأت هيكل مبنى أسود من جرَّاء حريق، وكانت أعمدته الفولاذية تخرج من بين الرَّدم، وكأنها

ذكرى ضحية عن أعمال الشغب في بؤرة الجواكر التي لم ترمَّم بعدُ. أحست أنها في عالم جديد، عالم لم تُعِره أي أهمية من قبل، وهناك وقفت حائرة لا تعرف كيف أصيبت بفيروس البطاقة الجامحة. لا تعرف لما حصلت على آيص وليس جوكر، ولم ترد التفكير في ذلك.

توجّها نحو بويري جنوبًا، حيث كان الطريق مزدحمًا، وهذا ما لم تتوقّعه جينيفر، لكونهما في منتصف الليل. كانت كل البارات والمقاهي مفتوحة للزوار طول الليل.

إضافة إلى ذلك؛ رأت تجمُّع الناس عند بضع زوايا، كما بدا هناك احتشاد لمجموعة من النساء في منطقة واحدة، ثم انتبهت جينيفر إلى هويتهن وما كُنَّ يفعلن. وارتفعت موسيقى البوم بوكس من أحد الأزِقَّة. بالطبع لم يكن هناك أي أثر للشرطة.

لمعت لافتة براقة في الأفق، فقال كرويد: «لقد وصلنا، صديقتي إحدى الساقيات».

قبل أن يصلا بقليل، توقفت جينيفر.

كانت لافتة النيون العملاقة باللون الأحمر الفاتح والذهبي أمام المبنى تظهر صورةً لامرأة بستة نهود. كانت الأضواء تومض بالتسلسل، فبدا الأمر كما لو أن الأثداء كانت تهتز،

وتحيط بها ألعاب نارية رخيصة. وومضت لافتة طويلة أخرى باسم فريكرز بالأحمر النيوني، وأخرى مطبوعة بتصميم ممل بجوكرات مثيرات! أما المدخل فكان بتصميم أرجل راقصة تعري بساقين متباعدين.

«يا إلهي!» قالت جينيفر.

«هذه هي ردة الفعل التقليدية». قال كرويد مبتسمًا.

«لا أظن أنني أستطيع الدخول».

«بالطبع تستطيعين». أمسك بمرفقها وجرها إلى الشارع.

كان عليهما تفادي حركة السير. أجل كان الشارع يعج بالسيارات حتى في هذا الوقت. توجّه كرويد بثقة نحو المدخل، مباشرة بين ساقي الراقصة؛ اللذان ألقيا على الأرض وهجًا ورديًا غريبًا جعل الجميع يبدون وكأنهم تعرضوا لحروق الشمس.

شبك أحد الجواكر ذراعيه ووقف أمامهما، كانت لديه قرون بقرة تكساس طويلة القرون بارزتان من صدغيه، وحواف سوداء بدل من يدين. قال له كرويد: «مرحبًا يا بروس، دعنا ندخل أرجوك».

سأل الحارس بارتياب: «من أنت؟»

«أنا كرويد».

«أثبت ذلك».

«أتذكر العام الماضي تلك الحادثة مع التوأم الأزرق وزجاجة التكيلا؟»

اطمأنَّ الحارس وابتسم ابتسامة لطيفة ملؤها الذكريات. «آه، أجل. تبدو أفضل هذه المرة». أفسح لهما الطريق، ودفع كرويد بجينيفر إلى الداخل.

«أتعرفه؟ لما لم يتعرَّف عليك؟» سألت جينيفر.

«إنها قصة طويلة. دعينا نعالج مسألة المفتاح هذه أولًا».

احتاجت جينيفر بضع الوقت كي تعتاد عيناها على الظلام الدامس، إلى أن وصلا إلى الغرفة الأساسية التي تنيرها الأضواء والكرة العاكسة اللامعة. وكانت أغنية ذا هول آند أوتس المشغَّلة بصوت عالٍ على نظام الصوت أشبه بطمأنينة لجينيفر.

على الأقل، فقد كانت مألوفة أكثر مما سمعته سابقًا في النادي. وكان بإمكانها الرقص على هذه الموسيقى، وكذلك فعلت الراقصة على المسرح المتحرك في وسط الغرفة. هذه المرأة أعجوبة، طويلة ونحيفة بشعرها الأحمر القرمیدي

الذي يصل إلى أسفل ظهرها، ناهيك عن ذنَب الحرباء الأخضر الذي ينحني وراءها، يتمايل شمالًا ويمينًا، ثم يلتفُّ بإغراء حول عمود النحاس بينما تنحني هي إلى الأمام وتزيل قطعة القماش السوداء الصغيرة التي ارتدتها كحمالة صدر.

نظرت جينيفر في كل مكان عدا المسرح ورأت مجموعة من الذكور العاديين يشربون وينحنون إلى الأمام لدراسة الراقصة عن كثَب وبدقة. كان كرويد قد وصل إلى المشرب وبدأ يتحادث مع ... ما استغرق جينيفر بضع ثوانٍ لتدرك أنها امرأة. لم يكن لديها رأس، أو بالأحرى كان رأسها بارزًا من صدرها، وذقنها بين فراغ تدييها الناتج عن حمالة صدرها السوداء الداعمة. وكان شعرها الأسود الطويل يتدلى على كتفيها. كانت تمسح المشرب بقماشة مبتسمة لكرويد الذي اتكأ بدوره على مرفقه وعلت وجهه ابتسامة ساحرة. «كيف حالكِ يا شايلا؟»

«بخير يا عزيزي. لم أرك منذ مدة».

«تعرفين الحال، كنت في غيبوبتي».

«حسنًا، تبدو بحال جيدةٍ هذه المرة. آمل أنك ستستغل الأمر وتستمتع». هزت خصرها وغمزته، حركة فاتنة لو لم يكن شكلها ... عجيبًا إلى هذا الحد. شبكت جينيفر ذراعيها

وحاولت ألا تظهر توترها. نظرت إليها شايلا وسألت «من صديقتك؟»

«إنني أساعدها فحسب». قال كرويد. «جينيفر، هلّا أريتِها المفتاح؟ أعدكِ أن لن يحصل مكروه».

مدت جينيفر المفتاح مترددة.

«أتسمحين لي؟» سألتها شايلا آخذة المفتاح من يدها بعد أن أومأت برأسها قبولًا.

أغمضت الجوكرة عينيها اللتن لا يمكن أن تنظر إليهما من دون أن تحدق بثدييها، ووضعت المفتاح إلى جبهتها. انتهت أغنية ذا هول آند أوتس وتنحت الراقصة ذات الذيل عن المسرح لتليها راقصة ذات أقدام كالعصفور مع أغنية سوبرفريك.

بعد وقت قصير قالت شيلا: «إنه من مكتب البريد التابع لـ «دويرز»، للأسف لا يمكنني أن أخبركما بأكثر من هذا». هزت كتفيها الذين ارتفعا فوق رأسها وأعطت المفتاح لكرويد، فاعترضت جينيفر طريقها وأخذت المفتاح، فابتسمت شايلا.

«شكرًا عزيزتي». قال كرويد. «أنا مدين لكِ».

«لا مشكلة يا عزيزي».

«ما كل هذا؟» سألت جينيفر بينما ابتعادهما عن المشرب.

«إن شايلا سيكومترية. يمكنها أن تعرف معلومات عن الشيء عبر لمسه، مثل من أين أتى ومن صاحبه، هذا النوع من المعلومات».

«هذه قدرة مفيدة». قالت جينيفر.

«مفيدة كعبور الجدران، إن استخدمتِها فعلًا».

في محاولتها لتجنب النظر إلى المسرح، لمحت جينيفر عبر الباب إلى غرفة داخلية سرية عازف طبول «الفادز» ذا الشعر المرفوع.

ابتعدت عن كرويد بسرعة وركضت.

كانت الغرفة صغيرة، بمسرح خاص، ومُزيَّنة بالبساط الأسود والكراسي الحمراء وضوء أسود متوهج يبرز البيكيني الأبيض اللامع الذي كانت ترتديانه عارضتين ترقصان بهدف إرضاء عازف الطبول وحده. لم تكن تريشا أحد الفتيات مما جعل جينيفر تشعر بالارتياح.

مع اقترابها، كان الشاب يدنو من إحدى العارضتين ليضع المال في ثيابها الداخلية، كانت الفتاة ترتدي خاتمًا بألوان متعددة من الأزرق والأحمر البرتقالي. بعد أن تأكدت من

أن الشاب هو فعلًا عازف الطبول، دفعته جينيفر بعيدًا عن المسرح لتتمكن من مواجهته. فأوقع العملة من يده.

«ماذا فعلتم بتريشا؟»

«ماذا تفعلين!» صاحت الراقصة، طاويةً ذراعيها احتجاجًا.

«من أنتِ؟» سأل عازف الطبول.

«أين بقية الفرقة؟ أين تريشا؟»

«امعم ...» أجاب العازف.

مما لم يعجب جينيفر، «ماذا تفعل هنا؟ كانت الفتيات مجتمعات حولك في النادي، ولكنك هنا الآن تدفع لتحصل على هذا؟»

«يختلف الشعور عندما تدفع». قال كرويد الذي وقف جانبًا ليشاهد العرض. حرك عازف الطبول كتفيه كإشارة موافقة على ما قاله كرويد.

علا صوت جينيفر: «أين تريشا؟»

«اسمعي يا عزيزتي، أنا لا أعرف عمَّن تتحدثين».

«الفرقة». قال كرويد. «إلى أين ذهب باقي أعضاء الفرقة؟ أخذوا صديقتها معهم».

«آه، تقصدين الفتاة الجامحة، لقد كانت منتشية تمامًا».

أجل، هذه صديقتي تريشا، تنهدت جينيفر.

«يُرجَّح أنهم ذهبوا إلى منزل طوني».

«أين؟»

«لن أخبركِ بذلك، فأنتِ متربصة مجنونة».

«لا، صديقتي تريشا هي المجنونة، وأنا أريد إيجادها».

«جينيفر؟» لمس كرويد كتفها ووجَّهها للنظر إلى المدخل حيث وقف المجرم الضخم بالباب وعيناه تنادي بالقتل من خلف القناع.

«هناك باب خلفي». همس كرويد. «يمكننا أن نهرب».

يكفي. رفعت جينيفر المفتاح عاليًا بحيث يراه الرجل الكبير ثم وضعته في قميص عازف الطبول. وقالت: «الآن يمكننا الهرب». ثم ركضت وفي أثرها كرويد نحو الباب الخلفي.

تعالى صوت الفوضى، وتنوع بين قلب الأثاث وصراخ النساء والعمال؛ وعلى الرغم من أن المشهد ممتع لم تتجرأ جينيفر على الالتفات للمشاهدة.

عبرا الممر حيث غرف تبديل الملابس وخرجا من الخلف إلى زقاق رطب.

«لماذا قمتِ بذلك؟» سأل كرويد.

«لأن المفتاح ليس مهمًّا بما أننا الآن نعرف لِمَ يُستخدم، ولكن علينا أن نسبقهم إلى مركز البريد». أجابت جينيفر.

«ماذا؟ فهمت. حسنًا، فلنذهب».

هرولَا بصمت، وظلت جينيفر تترقب صوت الصراخ وووقع الأقدام خلفها، وظلت تنظر إلى الخلف، لكن يبدو أنهما نجحا في تأخير العصابة، حتى الآن.

«توقفي عن إظهار قلقكِ». قال كرويد. «إنك تثيرين الشبهات».

من السهل عليه أن يقول ذلك. حاولت ألّا تعير أي اهتمام لما يتربص بها.

حاولت تشتيت أفكارها: «إذن كيف تسطو على بنك؟»

رمقها بطرف عينه: «حقًّا؟»

«أجل». حوّلت نبرتُها السؤال إلى تحدٍّ.

«لا يمكنكِ ذلك، فمع تطور تكنولوجيا الأمن والمراقبة

الحديثة لن يستحق الأمر كل هذا العناء، وبدلًا عن ذلك، تستهدفين الخزنات الخاصة وتركزين على عمليات السرقة البسيطة والسيارات المصفحة أثناء نقلها للمال. تدرسين الحالة، وتجدين نقاط الضعف فيها ثم تقومين باستهدافها، لا تطمعي بالغنائم الكثيرة، بل انتقي ما تأخذين، أقصد، فضلي النوع على الكم. ولا تحتفظي بها لوقت طويل بعد إتمام العملية بهدف الحصول على ثمن أعلى لها، فهذا الجزء الخادع في بيع المسروقات، أو تبييض الأموال؛ لذا عليكِ بناء العلاقات من الأشخاص المناسبين الذين قد يعودون عليكِ بالفائدة».

هزت برأسها موافقةً، فكل ما قاله كان منطقيًا.

«كما قد يساعد امتلاك قدرة آيص فعالة». أضاف كرويد مع غمزة: «قوة خارقة مثل العبور خلال الجدران».

تعالت الأصوات أمامهما في الممر الضيق، فتوقفت جينيفر مكانها. بدا الصوت غاضبًا وأخذ يقترب أكثر فأكثر. لقد وجدتهما العصابة بطريقة ما، وسبقتهما ثم قطعت عليهما الطريق.

أمسكها كرويد بذراعها وقادها نحو الحائط حيث وقف مقابلها وقبّلها بشغف، ويداه ملتفة حولها، محاصرًا إياها بينه وبين القرميد. في هذه الأثناء، عبرت مجموعة من المراهقين

بقربهما وهم ينادون ويهتفون. لم تكن العصابة بل مجموعة من الفتية.

ظل كرويد يقبّلها ويشتّت أفكارها إلى أن دفعته بعيدًا عنها. «ماذا تظن نفسك فاعلًا؟»

«فكرت في أننا نبدو أقل شُبهةً على هذه الحال». أجاب بتعجرف.

دفعته مرة أخرى وصفعته بكل ما لديها من قوة ومشت بعيدًا، لكنه ضحك.

تبين أن المسافة للوصول إلى مكتب البريد لم تكن طويلةً؛ بل على بعد حيّين. كان المكان بناءً معاصرًا من الأسمنت يقع بين بنايتين من القرميد على أطراف شينا تاون. وكانت الردهة الصغيرة التي تؤدي إلى صناديق البريد ما تزال مفتوحة، يضيئها نور خفيف أصفر على الجدار البعيد. إذا كانا سيتعرضان للهجوم من قبل عصابة غاضبة فلا بد أن ذلك سيحدث في هذا المكان، فكرت جينيفر.

وجدا الصندوق الذي يحمل رقم البطاقة، وقف كرويد جانبًا. «إليكِ الشرف».

حدقت جينيفر بالباب النحاسي للحظة، غير متأكدة ما إذا كانت ترغب بمعرفة ما في الداخل، أو الوصول إليه أو رؤيته.

قد يكون مليئًا بالأفاعي القاتلة، أو فخاخ الفئران، أو حتى بريد أحدهم المهمل.

أخذت نفَسًا عميقًا، ومدت يدها عبر الباب لتلامس شيئًا مربعًا، وورقيًا، إنه ظرف، ممتلئ عن آخره، مما يبدو مشجعًا. أمسكته جيِّدًا ثمَّ حولته إلى شبح كباقي يدها، وسحبته عبر الباب.

راقبت وكرويد ظرفًا مليئًا بالنقود، من فئة المائة دولار، والعشرات منها. «يا إلهي، لا بد أنه يحوي ٣٠ ألف دولار». قال كرويد.

لم يسبق لجينيفر أن رأت هذا الكم من المال في مكان واحد سوى في الأفلام. أما كرويد فيمكنه تقدير المبلغ عبر النظر إليه لا غير.

ما كل هذا؟ ومن كانت تلك المرأة التي أعطتها المفتاح في المقام الأول؟ أي نوع من الصفقات هذه؟ هل هي مخدِّرات، تهريب، فدية، أم شيء مختلف تمامًا؟ لم تسعفها مخيِّلتها والمال بين يديها.

بعبوس، أغلقت الظرف وضمَّته إليها وغادرت مكتب البريد، يتبعها كرويد. «أنت لا تبلين سيئًا في ليلتكِ الأولى كمجرمة».

«أنا لست مجرمة، سآخذ هذه إلى الشرطة».

«ماذا؟ لا لن تفعلي».

«بلى». لا يمكن أن يكون مركز شرطة بؤرة الجواكر بعيدًا عن هنا، وإذا حاول أحدهم سرقتها في طريقها، فستعبر جدار أقرب مبنى.

ألح كرويد، «هؤلاء هم الشرطيون الذين استمعوا إليكِ بتعاطف لما أخبرتهم عن صديقتكِ، أليس كذلك؟»

«إنه الصواب».

«عزيزتي، هناك الصواب وهناك ما هو أكثر صوابًا، إن الشرطة في هذه المنطقة ليسوا على صواب، إن أعطيتهم هذا المال، فسيغرقونكِ بالأسئلة حول مصدره ولن ينصتوا لكلمة مما تقولين. سينتهي بكِ المطاف في الزنزانة، وعلى الرغم من أن هذا لن يشكّل مشكلة بالنسبة لكِ، إلا أن اسمكِ سيرد في سجلاتهم، وهذا ليس جيدًا. سيطاردونكِ حتى في قاعات جامعة كولومبيا ليعيدوكِ إلى السجن، وبذلك تودعين تعليمكِ إلى الأبد. أما من جهة أخرى، فنحن سنمنع هذا المال من الوصول إلى أيدي المجرمين؛ السيد بريك وول ورفاقه. أقترح أن نأخذ المال، ونشتري بعض المشروب اللذيذ ثم نعود إلى منزلي ونقيم احتفالنا الخاص».

أوشكت على الموافقة، تريشا كانت لتوافق، وجزء صغير منها حرَّكه الفضول للخوض في تلك المغامرة، حتى وإن كانت لا تعرف إلا القليل عن كرويد وليست واثقة إن كانت تحب ما عرفته بالفعل.

ولكن الفتاة العقلانية من لونغ آيلاند تفوقت في الصراع، فأسرعت من خطواتها وابتعدت عنه وقالت: «لا».

«جينيفر، إنك تعجبينني، ولا أريد أن أقوم بهذا».

«تقوم بماذا؟» قالت وهي تستدير لتنظر إليه حين قال كرويد: «تجمدي!»

ومن ثَمَّ اختفى. هزت رأسها لتتخلَّص من بعض الدوار. كانت تستدير لتنظر إليه ثم ... ذلك الوغد. ذلك الوغد الخائن، بالطبع اختفى! كانت لديه أفضلية بخمس دقائق ولكنها أكثر من كافية ليأخذ أحد المنعطفات ويتلاشى مع ظلام الليل الحالك بين الشوارع.

لم تكن تنوي مطاردته أصلًا، ماذا ستفعل لو وجدته؟

حتى إنه ترك الظرف الفارغ في فستانها بعد أن أخذ النقود، كما لو كانت سلة مهمَلات. ويرجح أن يكون قد لامسها

كمزحة كبيرة.

ولكن لا، سحبت الظرف لتدرك أن كرويد أخذ ما يقارب نصف المبلغ، فضحكت لنفسها. وغد خائن محترم. يا له من رجل غريب!

«أنتِ!»

لاحت عند الزاوية هيئة السيد بريك وول ورجاله مندفعين نحوها.

«سوف نضربكِ!» صاح القائد.

ركضت، تحسن مستواها بالركض مرتديةً الكعب العالي، ولكن ذلك ليس مهمًّا؛ إذ إنها ليست أسرع من هؤلاء الرجال، ولن تتمكن من الهرب إن أمسكوا بها، مما لم يُتِح لها المزيد من الخيارات، فدنت من الحائط إلى يمينها وهي تفكر، تماسكي، تماسكي، تماسكي ...

ملابسها الداخلية والنقود، تستطيع السيطرة على هذه الأمور، الملابس الداخلية والنقود، الملابس الداخلية والنقود ومن ثَمَّ عبرت الحائط واستمرت بالركض.

بسبب ضخ الأدرينالين، تحكمت بقواها بسهولة غير مسبوقة؛ إذ حولت جسدها كله إلى شبح، تشعر به ينتقل

من حال إلى حال، وتشعر بالجدران الصُّلبة تعبر من خلالها كالهواء العتي، وبالنقود في يدها كالظل. عندما اخترقت الجدار، وجدت نفسها في غرفة مليئة بالناس، حيث توقفت فوق السجادة الحمراء وحدقت بمجموعة الرجال والنساء المهندمين، والجالسين حول الطاولة ينظرون إليها بعجب. يبدو أنها حفلة خاصة في مطعم. بقربها، توقف النادل عن رفع صحن الحلوى من الصينية، كما توقف بعض الحاضرين عن تناول طعامها وأفواههم مفتوحة، حتى إن أحدهم سكب قهوته على نفسه.

لقد خلفت فستانها وصندلها؛ لذا لم تكن ترتدي سوى الملابس الداخلية. هي حتمًا لا تناسب اللباس المتعمَّد في هذا الحفل. تساءلت إن كان الحضور يتوقع أي ترفيه. والأهم من ذلك كله، أن الظرف ما يزال في يدها، تحمله جيدًا كمرساة لها. تجاهلت الخجل الذي شعرت به، ابتسمت ابتسامة عريضة، ولوَّحت للحفل قائلةً: «أتمنى لكم ليلة سعيدة!» ثم ركضت عبر الحائط إلى الغرفة التالية.

لتسمع أحدًا يتمتم: «هذه مانهاتن»، قبل أن تغادر.

اكتشفت أن قدرتها لم تكن تتعلَّق بعبور الحواجز بل بالسفر بينها.

لم يكن يتوجَّب عليها الوقوع عبر الممرات لتصل إلى

جادة قطار غراند ستريت؛ إذ بإمكانها المشي عبر الممرات والجدران والوصول إلى المكان الذي تريده. ولكن لم يساعد ذلك، فعندما خرجت من الجادة وعادت إلى حالتها الطبيعية، صادفت اثنين من الرجال المقنعين أمامها بعدتهما الكاملة. استطاعا الدخول عبر البوابة المغلقة بطريقة ما، وأسرعا باتجاهها. فما كان منها إلا أن رجعت بضع خطوات إلى الخلف، وعادت إلى الجدار مجددًا.

ربما كان بإمكانها أن تبقى مختبئة في الجدار إلى أن يذهبا، ولكن كان عليها أن تتحرك باستمرار؛ لأنها إذا بقيت مكانها فستشعر بأنها تتبعثر كما لو أن خلاياها تتباعد مما يصيبها بالدوار والغثيان؛ لذا كان عليها أن تستمر بالحركة. وهذا ما حدث، من القطار وإلى الشارع، ولكن بدلًا من الالتزام بالممرات، حيث تبحث عنها العصابة، تحرَّكت بشكل مائل، بين الأبنية والشوارع. جرحت وكدمت قدماها؛ إذ كانت تركض حافية في أسوأ شوارع المدينة. كما كانت ترتجف من شدة البرد، فجميع أعضائها مكشوفةٌ للهواء.

لم تنتبه للمسافة التي قطعتها، فقد كان جل اهتمامها في الابتعاد قدر المستطاع عن العصابة. ربما مرت نصف ساعة، ولكنها أحست بسبب التعب أن نصف الليل قد انقضى.

خرجت من أحد المنازل لتواجه مباشرة النهر الشرقي، الذي

أعطاها فكرة عن مدى تقدُّمها، ربما أصبحت الآن بأمان.

أثَّر الدوار على بصرها وأشعرها بالغثيان، فاستندت إلى الحائط، وبدلًا من الوقوع فيه، وقعت عليه وخدشت كتفيها. لقد كانت بحاجة إلى الراحة بعد كل ما قامت به. ماذا سيحدث لو استمرت بالتحوُّل إلى شبح؟ هل ستنسى كيف تعود لحالها الطبيعي بعد تناثر خلاياها كالنسيم العليل؟ استطاعت أن تتخيل ذلك بوضوح؛ مما جعلها ترتعب، أحست كأن الآيص الخاص بها يحاول إخبارها شيئًا.

ركضت، ولكن عوضًا عن استخدام الطريق المختصر هذه المرة، اعتمدت الطريق الطويل والتفت حول الزاوية ثم تابعت ركضها بمحاذاة النهر شمالًا.

كسرت ظلمة الليل الحادة ضوء مدخل تحرسه أسود من الحجارة. قرب هذا الممر، مدخل أكبر، بأضوائه البيضاء البرَّاقة، وكلمة طوارئ تلمع حروفها باللون الأحمر على لافتة معلَّقة فوقه. وفوق الأسود الحجرية لمعت لافتة أخرى: عيادة بليث فان رينسيلير التذكارية.

إن لم تكن بأمان في المستشفى، فلن تكون بأمان في أي مكان آخر.

تقدَّمت من مدخل الطوارئ، ولكن ترددت في الدخول

عندما رأت جوكر أخضر طويل يقف هناك، كان يرتدي زيًا رسميًا. ولكن من أين لرجل بطول مترين أن يعثر على زي حارس رسمي؟

إنه الحارس الليلي إذن.

قررت تجنُّب المدخل الرئيسي والدخول كشبحٍ عبر الجدار الخلفي. تبعها الدوار، لم ترغب بالقيام بذلك في أي وقت قريب. لحسن الحظ، كان الضوء خفيفًا والممرات خالية، فوجدت طريقها إلى خزانة معدات مفتوحة، حيث عثرت على ثياب طبية وزوج أحذية طبية جراحية ولكنها تقضي الغرض. لم يكن القميص والبنطال الأخضر آخر صيحات الموضة، لكنها أبقتها دافئة. ولبست معطفًا طبيًا أبيض فوق ثيابها لتكتمل الصورة.

دخلت إلى قاعة الانتظار في قسم الطوارئ وجلست عند أول كرسي رأته.

لم يكن المكان هادئًا، بل امتلأ بأصواتٍ كمناداة اسم أحدهم على مكبر الصوت في الممرات، ورجل ثمل يشتكي للممرضة عند المكتب، وامرأة ببشرةٍ كورق الصنفرة وشعرٍ كالأسلاك تحاول أن تهدئ من روع طفل صغير ملفوف بالقماط، فلم تستطع جينيفر أن تحدد إذا كان جوكرًا أم لا. ولكن على الرغم من كل ذلك، كان المشهد مسالمًا، فلا صوت موسيقى

صاخبة، ولا أحد يطاردها أو يتعرض لها. تنهدت مطلِقةً بعض قلقها، عادت إلى كرسيها وغفت.

استيقظت فجأة لما سمعت صوت سيارة الإسعاف في الخارج، بعد دقائق، دخل مسعفان إلى المشفى يجران حمالة بالكاد تتسع لبنية المريض الضخمة. كانت عضلاته تشتد قليلًا وهو يحاول الوصول إلى الأشخاص الذين يساعدونه. عرفت جينيفر مَن هو المريض، إنه السيد بريك وول، كان ينزف من قميصه كما لو تعرَّض للطعن، واختفت الحمالة خلف ستار فيما هرع أحد الأطباء والممرضين لمعالجته.

جلست جينيفر في مقعدها ولفت يديها حول نفسها محاولةً الاختباء خوفًا من أن يأتي أحد آخر ويتعرف عليها ومما قد يحصل عندها. ولكن لم يأتِ أحد، وبالتالي لم تكن بعد بحاجةٍ لتختفي عبر أحدر الجدران من جديد، ولكنها لم تستطع الاسترخاء، بل استمرت بالتحديق في الستارة بانتظار زعيم العصابة ليخرج من السرير ويأتي في أثرها.

«عزيزتي، هل تحتاجين للمساعدة؟»

خاطبها صوت من خلفها جعلها تخاف.

كان رجلًا صغيرًا ونحيفًا ولكن مخيف.

فشعره حديدي أحمر رُبِط إلى الخلف، ومعالم وجهه دقيقة

ومحددة، وتحت معطفه الطبي ارتدى قميصًا أصفر اللون بزخارف شاعرية، وبنطالًا أخضر ضيقًا.

حدقت به قليلًا.

«أنا أعتذر، لم أقصد أن أخيفكِ». قال مؤشرًا بيديه بطريقة مطمئنة وبلهجة غريبة ولكن فاتنة.

«لا، لا بأس، أنا فقط متعبة».

«اعتقدت في بادئ الأمر أنكِ ممرضة، أنا لا أعرفكِ أليس كذلك؟»

«لا». أجابت ضاحكةً ونظرت جانبًا.

«يبدو أنكِ تعانين من بعض القلق، هل يمكن أن أساعدكِ بأي طريقة؟»

كان وجهه لطيفًا وابتسامته دافئة، أحبته وحاولت قدر الإمكان أن تمنع نفسها من معانقته باكيةً وإخباره بكل ما حدث، وردت، «لا، أ ... أنا بخير، أحتاج لبعض الراحة فقط».

درس معالمها بعينيه البنفسجيتين الغريبتين، وللحظة بدا كأنه سيقول شيئًا لمناقشتها، ولكنه لم يفعل بل أجاب: «حسنًا، ولكن لا تترددي في طلب أي شيء قد تحتاجينه».

«شكرًا».

وتابع سيره بأناقة حتى في معطفه الأبيض، على الرغم أنه بدا متعبًا أكثر منها.

جلس الرجل الثمل على بعد عشرة كراسي منها تقريبًا. «يرجح أنه قرأ أفكارِكِ للتو، أتعرفين ذلك؟»

«ماذا؟» سألت جينيفر.

«هذا ما يفعله، إنه يقرأ الأفكار، هذا الدكتور تاكيون».

بالتأكيد، نظر إليها، وقرأ أفكارها، وعرف أنها آيصى، ولم يقل شيئًا، ولم يحدث شيء، وجدت الأمر مضحكًا.

عندما بدأ لون السماء يتغير خارج قسم الطوارئ، قررت جينيفر أنه حان وقت المغادرة، فهي لم تعثر بعد على تريشا.

ولكن وفقًا لما قاله عازف الطبول، فإن تريشا بصحبة طوني، ولربما إن بحثت عنه في دليل الهاتف، فستجده، وتتصل به وتطلب التحدُّث إلى تريشا. لا بد أن يعرف أحد في سي بي جي بي مكان إقامته، أو رقم هاتفه، ما زال بإمكانها إيجاد تريشا، لم تفقد الأمل بعد.

مشت غربًا، باتجاه بويري، خفتت أضواء الشوارع من دون أن تلاحظ جينيفر، وعربات الصحف بدأت تمشط الطرقات. حلَّ الصباح. لقد أمضت الليل في الركض، ويا لها من مغامرة،

لم تتمالك نفسها وابتسمت.

زادت زحمة السير صباحًا، المارة يعبرون الطريق، وأصحاب المتاجر يفتحون أبوابها. نظر الناس إليها بشعرها الغريب، وحذائها الطبي، وثيابها الطبية، ومعطفها الأبيض ولكن أيًا منهم لم يحدق.

لم يكن شكلها طبيعيًا، ولكن فيما يتعلّق بهذا الجزء من المدينة ما هو الطبيعي؟ لذلك قررت أن القلق بشأن مظهرها عديم الجدوى. رأت أمامها لافتة لمطعم يبدو مشهورًا، وأصدرت معدتها أصواتًا تدل على الجوع لما رأتها، وبدأت صورة صحن البيض والبانكيك تظهر في مخيلتها، ومع حيازتها لما يقارب عشرة الآلاف دولار في جيبها، بدأت الفكرة تروق لها، قد تدفع حتى عن كل رواد المطعم.

مشت بالقرب من شباك الباب الأمامي، ثم توقفت، وعادت بضع خطوات إلى الوراء، لتُمعن النظر جيدًا، ثم رأتها هناك، تريشا، في وسط الطاولة برفقة المغني وعازف القيثارة من الفرقة ومعجبة أخرى. كان عازف القيثارة ينقر عشرين أصبعًا على الطاولة، والمغني بشعره الباهت في ضوء النهار إلى جانبه، يشربون القهوة، ويضحكون كما لو أن شيئًا لم يكن، بصحون فارغة وكؤوس علت الطاولة، كأنما قضوا الليل بأكمله هنا.

طرقت جينيفر على الزجاج بهدوء محاولة السيطرة على نفسها كي لا تكسره.

نظرت إليها تريشا بدهشة، دخلت جينيفر إلى المطعم، وإلى الطاولة، وتريشا ما تزال تحدق بصدمة، طوت جينيفر ذراعيها فيما تراجع الثلاثة الآخرون في كراسيهم تحت حدة نظراتها.

وأخيرًا قالت تريشا: «يا إلهي، جينيفر، أين كنتِ؟ لقد فوتِّ أعظم حفل في التاريخ!»

كما لو أن تفويتها للحفل كان خطأها هي وليس خطأ مَن تركتها وحدها في أكثر أحياء المدينة ازدحامًا. خطر ببالها الكثير من الأمور لتقولها.

فكرت في الأمر قليلًا ثم قالت: «في الواقع، أعتقد أن الحفل الذي حضرته كان أروع بكثير»، ورفعت أطراف المعطف الأبيض لتظهر زيها الجديد. «لماذا لم تنتظريني تريش؟ لماذا لم تخبريني على الأقل إلى أين أنتِ ذاهبة؟ لقد بحثت عنكِ في كل مكان».

حاولت تريشا أن تستعطف صديقتها بنظراتها البريئة وقالت: «لقد ظننت أنكِ وراءنا، صدقًا».

لم تملك جينيفر أي رد على ذلك. وبما أن وقت عودتها إلى

المنزل قد مر منذ مدة، أدارت ظهرها وخرجت، لم تتوقع من تريشا أن تتبعها، وبالفعل صدق توقعها، بل إنها نادتها: «جينيفر، انتظري! يا إلهي! لا داعي لأن تكوني مملة هكذا».

اتكأت جينيفر على حائط بجانب المطعم. لم تكن تملك الطاقة لديها لتغضب أو تفكر بما حدث حتى. لم تكن تعرف ما الخطوة التالية.

أمضت ليلها راكضةً وعلام حصلت؟ آلام في قدمها، وتقدير جديد لكونها آيصًا، ومغلف مليء بالنقود.

لم تستطع تسليم النقود للشرطة، ولا تشعر بالعدل في إنفاقها، فماذا يمكنها أن تفعل غير رميها في المجاري ليجدها أحد المتسولين وينفقها لشراء الكحول؟

أو ربما ...

♣ ♦ ♠ ♥

عادت جينيفر إلى عيادة بؤرة الجواكر حيث تذكرت رؤيتها للافتة صغيرة معلَّقة على الحائط داخل الباب، قرب علبة غداء بشق صغير، كتب عليها «تبرعات»، وكُتِب تحتها بخط صغير: «كل قرش يساعد».

دخلت جينيفر من الباب ومشت بقرب الحائط كي لا

ينتبه لوجودها أحد. كان المكان هادئًا، والممرضة التي رأتها بالأمس في المكتب تريح رأسها بين ذراعيها، بانتظار انتهاء مناوبتها.

بسرعة، وضعت جينيفر المغلف عبر الفتحة، مما تطلب بعض الجهد، خاصة أن الفتحة مصمَّمة للعملات الصغيرة والمنفردة لا للدفعات الكبيرة. ولكنها نجحت في النهاية، وسقط المغلف محدثًا صوتًا مرضيًا.

للحظة، حدقت بالصندوق، وفكرت في أن تستعيد المغلف، ولكنها تذكرت كلام كرويد؛ هناك الصواب، وهناك ما هو أكثر صوابًا، وما قامت به الآن هو أكثر أمر صائب قامت به منذ الليلة الماضية.

ولكن من الجانب الآخر، فقد كانت تحتاج لثمن تذكرة العودة إلى المنزل، فمدت أصابعها إلى داخل الصندوق وسحبت عملة واحدة مجعدة، ثم ثانية، لتستبدل الملابس والمجوهرات التي فقدتها، هذا من العدل أليس كذلك؟ كانت على وشك أن تسحب الثالثة عندما أوقفت نفسها. كان ما سحبته أكثر مما تحتاج.

خرجت من قسم الطوارئ مسرعة، ويداها في معطفها الطبي، لتمشي في الشارع بفخر وسعادة.

الصيَّادُ رجعَ

بقلم جون ج. ميللر

ترجمة أشرف فقيه

إن أردت العثور على الحقيقة جلية، فلا تشغَل نفسك بالصواب والخطأ.

- تشنغ تشان: شن-شن مِنغ

***

تطلَّع بريّنان إلى انسحاب الألوان من المشهد الممتد، بينما تنحدر الحافلة من برد الجبال الهادئ إلى القيظ الصيفي الدبِق للمدينة. اختفت المروج والحقول المعشوشبة لتحل محلها مساحات لا نهائية من مواقف الأسفلت السوداء. وبرزت المباني، أعلى وأكثر تلاصقًا على جانبي الطريق. وفي منتصفه بين المسارين، استُبدِلت الأشجار بأعمدة الإنارة الرصاصية مَدَّ البصر. حتى السماء بدت رمادية مكفهِرَّة، مُنذِرة بالمطر.

ترجَّل من الحافلة عند المحطة مع بقية الركاب. تفرق الجمعُ إلى وجهات شتى، كلٌّ منشغل بهَمِّه يتحاشى أعين الآخرين، كعادة سكَّان المدن. لم يلتفت أيٌّ منهم إليه مرتين.

لم يكن فيه ما يجعل أحدًا يخصُّه بنظرتين.

كان طويل القامة، ليس على نحو مفرط. بنيته ممشوقة. كفاه عريضتان، مخدوشتان لفحتهما الشمس. العروق والأوتار بارزتان على ظاهرهما كشبكة أسلاك. وجهه كان قاتمًا، نحيلًا بلا علامات فارقة.

كان يرتدي معطف جينز كالحًا بفعل الشمس وطول الاستعمال. وقميصًا قطنيًا داكن اللون، وسروال جينز وحذاء جري داكنًا هو الآخر. في يده اليسرى تعلق جراب قماشي. وحقيبة جلدية مسطَّحة في يده اليمنى.

الشارع الثاني والأربعون خارج المحطة كان مكتظًّا. التحم بتيّار المشاة، سامحًا له بأن يحمله إلى منطقة في مانهاتن أقل تلوُّثًا من الأجزاء الأكثر احترامًا في بؤرة الجواكر. انتزع نفسه من سرب المشاة بعد بضعة أحياء ليرتقي السلالم الحجرية المتهالكة لإبسويتش آرمز؛ نُزُلٌ خليع كان قاعدة للرذيلة في المنطقة. بدا أن العمل ليس على ما يرام. من الواضح أن الناس يفضِّلون بؤرة الجواكر ليحظَوْا بمتعهم. فتيات الليل هناك كُنَّ أرخص وأكثر تمرُّسًا في الغواية، لو صدَق بعض ما وصله عن المكان.

أظهر موظف الاستقبال تشكُّكه منه؛ وحيدٌ ومحمَّل بالأمتعة. لكنه أخذ ماله وأرشده إلى حجرة صغيرة وقذرة

كما توقَّع. أوصد الباب. ترك الجراب على الأرض، ووضع الحقيبة الجلدية على الفراش المهلهل.

تعرَّق في حرِّ الغرفة. لكن برينان اعتاد على أماكن أكثر سخونة. أحس بأنه حبيس بين الجدران العارية الوسِخة التي تحدد عالمه. لكنَّ فَتْحَ أيٍّ من النوافذ لم يكن ليفيده. استلقى على الفراش محدقًا في السقف المتقشر غير آبه للصراصير السارحة فوق رأسه. كانت كلمات الرسالة التي تلقاها البارحة تتكرر في ذهنه.

«نقيب برينان، إنه هنا. لقد رأيته. وأخشى أنه قد رآني وتعرَّف عليّ كذلك. تعالَ إلى المطعم. كن حذرًا ومستعدًّا كذلك».

لم يكن ثمة إمضاء. لكنه عرف خط يد مِين الأنيق والدقيق. لم تكن الرسالة مُعنوَنة. لكنه لم يحتج عنوانًا. كان مِين قد خبَّأه في مطعمه لأيام حين تسلَّل عائدًا إلى الولايات المتحدة قبل ثلاثة أعوام. لم يساور برينان شكٌّ فيمن يقصده صديقه في الرسالة. كان المقصود هو كِيّن.

أغمض عينيه ورأى في مخيلته وجهًا؛ عضليًا، رشيقًا، وحشيًا. حاول أن يصرفه. حاول أن يصده عن خياله مستحضرًا، من أعماق وعيه، صوت كفٍّ وحيدة مُصفِّقة. حاول، لكنه فشل. والوجه في خياله ابتسم ساخرًا

منه، ثم راح يضحك.

جلس على الفراش، منتظرًا الظلمة وما ستجلبه.

***

سدَّ الهواء الراكد الساكن منخري بريبنان بعَطَن سبعة ملايين إنسان متراكمين فوق بعضهم. لم يعتد بعدُ على المدينة بعد ثلاث سنوات في كنف الجبال، لكن استغل ذلك لصالحه. واحدٌ ضمن آلاف، كان مرئيًّا بلا أثر، مسموعًا بلا صوت، بينما يغُذُّ السير باتجاه مطعم مِين على شارع إليزابيث، حاملًا حقيبته الجلدية.

كان المساء في أوله، والشوارع ما تزال مزدحمة بالباعة. لكن المطعم كان مغلقًا. أمر غريب.

الجزء الظاهر من المطعم، ردهة المدخل، كانت معتمة كما لمحها من الشارع. توهجت اللوحة المضيئة من وراء الزجاج بعبارة «مغلق، الرجاء الاتصال لاحقًا» بالإنكليزية والفيتنامية. ثلاثة رجال، من أوباش المدينة، يتسكعون على الشارع المقابل متبادِلين النكات.

مشى بريبنان ناحية الناصية، مداريًا قلقه بقناع من السكون. مارس سلسلة من تمارين التنفُّس التي كانت أول الدروس التي تلقاها من إيشيدا حين قرر أن يوجِّه حياته

إلى وجهة ذات معنى، وينتسب إلى الطريقة. القلق، الخوف، التوتر، الكُره. لا وقت لديه لأي من تلك الانفعالات. يحتاج إلى السكون الراسخ لبحيرة جبلية في يوم صحو.

ما زال كِيَّن حيًا. لا يساوره الشك في ذلك. لطالما أجاد كِيَّن فن البقاء بكلِّ مكر وقسوة. لم يعنِ له سقوط سايغون إلا مضايقة عابرة. عرف بريان أن كِيَّن، وإن لزمه بعض الوقت، قد أسس حتمًا شبكة عملاء فعَّالة وشرسة كتلك التي في فيتنام. أولئك العملاء لعلهم توصلوا إلى مِين، بالنظر للمدَّة التي انقضت منذ كُتبت الرسالة وأرسلت ونُفِّذ محتواها.

التفَّ حول زاوية المبنى، بدون أن يلحظه أيٌّ من العابرين حوله، وانسلَّ إلى زقاق جانبي محاذٍ للمطعم. كان مظلمًا، ونتِنًا وصامتًا كالموت. قرفص بريان إلى جوار أكوام النفايات مُحِدًّا نظره ومُصيخًا سمعه. اعتادت عيناه على عتمة الزقاق فلم يلمح إلا القطط المشرَّدة ولم يسمع إلا نبشهن بين المخلفات.

أراح حقيبته على باطنها وحرَّر قفليها بإبهاميه. حرمته الظلمة الإبصار، لكنه لم يحتج عينين ليركِّب الأجزاء التي حوتها الحقيبة. أدخل الأطراف العلوية والسفلية في المقبض الأوسط بارمًا إياها بإحكام لتغدو جسدًا واحدًا،

لاويًا النهايات بعزم ليمرِّر الوتر عبر الطرف الأسفل مثبِّتًا إياه بقدمه ساحبًا الخيط المشدود عبر الطرف العلوي المثني على فخذه. مرر أنامله على الحد المتوتر إلى أقصاه مبتسمًا للنغمة التي أصدرها.

حمل قوسًا معقَّبة طولها اثنتان وأربعون إنشًا، مصنوعة من طبقات من ليف الزجاج تكسو قلبًا من خشب الصنوبر. يعرف بريننان أنها قوس جيدة. لقد صنعها بيديه. بقوة شدٍّ بلغت ستين رطلًا، كانت كفيلة بالإجهاز على غزال، أو دُب، أو رجل بالغ.

التقط من الحقيبة قفازًا ثلاثي الأصابع ارتداه في كفه اليمنى. وجعبة سهام ثبتها في حزامه. تناول سهمًا منها. نهايته توَّجها رأسٌ رباعي الشفرات. أرخى قاعدة السهم على الوتر، وبخفة تفوق قطط الشوارع تقدم ناحية الباب الجانبي للمطعم.

أنصت، لكنه لم يسمع شيئًا. جرب الباب فوجده غير موصد، دفعه نصف إنش. اندلق شعاع ضوء من الفرجة ووجد نفسه يتطلع إلى جزء من المطبخ. خالٍ وصامتٌ كذلك.

انزلق داخلًا. كبقعة قاتمة بين بياض السيراميك والأوعية المعدنية. خافضًا قامته، تقدم سريعًا إلى الباب ذي المصراعين المؤدي لقاعة الطعام وتطلَّع بحذر عبر نافذته

البيضاوية. رأى ما كان يخشاه.

كان النُدّل، والطباخ، والزبائن مُجمّعين في زاوية القاعة تحت الأنظار الثاقبة لرجل مسلّح بمسدس آلي. رجلان آخران علّقا مِين على الجدار من أطرافه الأربعة فيما أوسعه ثالثٌ ضربًا. كان وجه مِين مغطى بالسحجات والدماء. عيناه اختفتا تحت كتل التورمات. كان الوغد الذي يهوي عليه بهراوة جلدية يستجوبه في الوقت ذاته.

انزلق بريئان أسفل النافذة، جازًّا على أسنانه والغضب يثور في عروقه ويحرق وجهه. لقد اكتشف كِيّن هوية مِين حقًّا وسلّط عليه زبانيته. كان مِين واحدًا من القلة في أمريكا ممن يسعهم أن يتعرفوا على كِيّن ويدلُّوا عليه. وممن عرفوا أن كِيّن استخدم، بمنهجية ودموية، منصبه كجنرال في الجيش الفيتنامي الجنوبي ليخون بلده، ورجاله، وحلفاءه الأمريكيين. عرف بريئان ذلك كله أيضًا. كما عرف أنه مهما كانت المكانة التي أوجدها كِيّن لنفسه في أمريكا، فإن المتنفذين كانوا سيحترمونه، ويسمعون له، ويخشونه. على النقيض، كان بريئان يُعَدُّ في نظرهم متمردًا، منذ تخلى عن جنديته إثر نكسة سقوط سايغون. لم يعرف أي منهم بأنه قد عاد إلى الولايات المتحدة. وقد آثر أن يُبقي الأمر سرًّا.

مد يده إلى جيب بنطاله الخلفي وتناول قناعًا ارتداه على

رأسه مُخفيًا وجهه حتى الشفة العليا.

لبث برهة ليتنفس بعمق، ليدفن مشاعره في غيهبٍ من اللا شيء، لينسى ثورته، وخوفه، ومعاناة صاحبه، ورغبته في الانتقام، ولينسى نفسه. غدَا لا شيء ليصير كل شيء. لم يعد غاضبًا، ولا هادئًا. انتصب واقفًا وخطَا عبر الباب، جثا على ركبته خلف طاولة وتناول سهمه الأول.

الكلمات الهادئة الواثقة لإيشيدا، شيخه ومعلمه، تتابعت في ذهنه كالقرع الرتيب لجرس هائل.

«كُن في آنٍ الهدّاف والهدف، المضروب والضربة. كُن وعاءً ممتلئًا على وشك الإفراغ. تخلَّ عن عبئك في اللحظة المواتية، بلا تفكير أو توجيه، وخلال ذلك اتَّبع الطريقة».

انطلق مستدلًّا ببصيرته دون بصره. متناسيًا كون أهدافه رجالًا أو حُزم قشٍّ، مرسلًا سهمه الأول، مد يده إلى جعبته ملتقطًا السهم الثاني، صوَّب القوس وشد الوتر فيما السهم الأول ما يزال يشق الهواء.

أصاب السهمُ الأول هدفه بينما هو يصوب ناحية الهدف الثالث. أدركوا أنهم تحت الهجوم لما سقط ثانيهم وانطلق السهم الرابع. كانوا آنذاك قد تأخروا جدًّا.

كان قد اختار ترتيب أهدافه قبل أن ينغمر في العدم. الأول

كان حارس الرهائن المسلح. أصابه السهم من الخلف، عاليًا في جانبه الأيسر. ثقب قلبه ورئته مخترقًا جذعه ليبرز نصفُ قدم من نصله من صدر الرجل. دفعت به الصدمة إلى الأمام، مذهولًا، لتتلقاه ذراعَا نادلٍ ضمن أسراه. حدق الاثنان في قضيب الألومنيوم الدامي البارز من صدر أحدهما. فتح الشقيُّ فمه ليتلفظ بصلاة أو مسبة، لكن الدم ثعب منه مغرقًا كلماته. مال إلى الإمام وقد خذلته ساقاه، تركه النادل يسقط أرضًا.

الاثنان اللذان يثبتان مِين تخليا عنه. هوى إلى الأرض ويدُ كل منهما تمتد إلى السلاح في حزامه. أولهما ألصق سهمٌ كفه ببطنه قبل أن يتناول مسدسه، فيما دُقَّ جسد الثاني في الجدار. ألقى مسدسه وتعلق بالنصل الذي ثبته كحشرة على سطح ورق مقوى. الأخير، ذاك الذي كان يستجوب مِين، التف حول جذعه قبل أن يصاب في جانبه. اخترقه السهم بزاوية علوية متخللًا أضلعه عابرًا قلبه ليبرز طرفه من كتفه اليمنى.

مرَّت تسع ثوان. الصمت المباغت لم يعكِّره إلا النحيب المعذَّب لذاك المثبَّت إلى الجدار.

قطع برينان القاعة في اثنتي عشرة خطوة. شلَّت الصدمة الرهائن فلم ينبس أيُّهم ببنت شَفَة. أُردي اثنان من الأشقياء

صرعى. لم ينل بريnan أية متعة بقتلهم، مثلما لم يكن ليمتعه قتل غزال لأجل لحمه. كان شيئًا لا بد من فعله. لم يبذِّر أي إحساس تعاطف عليهم.

ذاك الذي أُصيب في أمعائه تكوم على الأرض، فاقد الوعي ومصدومًا. الآخر، المثبَّت إلى الجدار بسهم في صدره، كان ما يزال متيقظًا. لوى الرعب ملامحه وحين تلاقت عيناه بعيني بريnan تصاعد نحيبه إلى عويل.

حدَّق به بريnan بلا شفقة. سحب سهمًا آخر من جعبته والرجل يتمتم بلا معنى. لوَّح بريnan بالنصل الحادِّ كشفرة الموسى فشق حلقه. ابتعد بلا اكتراث عن شلال الدم المنهمر، مغمِدًا السهم في جعبة نشابه، وأقعى بجوار مِين.

كان مصابًا بشدة. جميع أطرافه مكسورة. لا شك بأن تعليقه بذلك الشكل قد أذاقه عذابًا لا يوصف. إصاباته الداخلية كانت شديدة بالتأكيد. تنفُّسه كان سطحيًا ومتقطعًا. جفناه المنتفختان أغمضتهما السحجات. وحتى لو وسعه فتحهما، لما استطاع أن يركِّز إبصاره.

«أونغ لا آي؟» همس مستجيبًا للمسات بريnan الحانية المتفحص. من أنت؟

«بريnan».

ابتسم مِين ابتسامة شاحبة. تفقَّع الدم من بين شفتيه لامعًا على أسنانه.

«وثقت بقدومك، أيها النقيب».

«لا تتكلم. ينبغي أن نحصل على نجدة».

هز مِين رأسه. أعياه المجهود. سعل وتمعَّر وجهه ألمًا.

«لا. إنني أموت. لا بد أن أخبرك. إنه كِيَّن. بلا شك. أرادوا إن يعرفوا إن كنتُ قد أخبرت أحدًا، لكني لم أقل شيئًا. إنهم لا يعرفون عنك».

«سيعرفون». أكّدَ برينان.

سعل مِين ثانية.

«أمَّلت في أن أساعدك. كالأيام الخوالي.» تأرجح وعيه لبرهة. رفع برينان رأسه.

«اطلب الإسعاف». أمر أحد الرهائن. «واتصل بالشرطة. أبلغهم بوجود ثلاثة رجال آخرين في الخارج. تحرك!»

قفز أحد الندّل لينفذ الأوامر بينما حملق الآخرون بصمت وذهول.

«أن أساعدك». كرر مِين، «أن أساعدك». سقط في هوة

صمت للحظة ثم بدا أنه يبذل مجهودًا خارقًا ليتكلم بوضوح ومنطق. «يجب أن تصغي. اختطف سكار ماي. لقد كنت أتتبعه لأعثر على دليل إلى مكانها، حين رأيته وأنا مع كِيَّن في سيارة ليموزين. اذهب إلى كريساليس؛ في كريستال بالاس. لعلها تعرف أين ذهبَ بماي. لم أستطع ... أن ... أعرف». جملته الأخيرة قطعتها نوبة سعال دامٍ.

«لِم أخذوها؟» سأل بريnan برفق.

«لأجل يديها ... يديها الداميتين».

مسح بريnan حبّات العرق عن جبين مِين.

«استرح الآن».

لكن مِين لم يسمع. اعتدل في ضجعته قابضًا ذراع بريnan.

«اعثر على ماي. ساعد ... ها».

استرخى، ثم زفر المزيد من فقاقيع الدم على شفتيه.

«تُوي مِت. إنني تعب».

جزَّ بريnan فكيه ليكتم ألمه وردَّ بفيتنامية هامسة: «استرح إذن».

هز مِين رأسه. وأسلم الروح.

أرقده برينان برفق وقرفص على عقبيه، رامشًا بعينيه. ليس واحدًا آخر، قال لنفسه، ليس ميتًا آخر. كان دَينًا آخر في ذمة كِـيَّن.

انتصب واقفًا، متطلعًا حوله. لم يقابله إلا الهلع في وجوه أولئك الذين أنقذهم للتو. لم يكن من فائدة للانتظار. كانت الشرطة ستطرح أسئلة لا نفع منها. كاسمه ومَن يكون. هناك العديد ممن يريدون أن يتأكدوا من أن دانيال برينان ما يزال حيًا ورجع إلى أمريكا. كان كِـيَّن واحدًا منهم.

كان عليه أن يرحل قبل أن تصل الشرطة، كان عليه أن يتبع الأثر الواهي الذي تركه مِين له. كريساليس، كريستال بالاس.

لكنه توقف بغتة. التفت إلى الرهائن المحرَّرين.

«أريد قلمًا».

ناوله أحد النُدَّل قلمًا ذا رأس عريض بدون أن يتفوه بكلمة. توقف للحظة. أراد أن يستيقظ كِـيَّن في سواد الليل غارقًا في العرق البارد، مفكرًا، متسائلًا. لن تصله الفكرة فورًا، لكنه بالرسالة الصحيحة، والعدد المناسب من الضحايا، سيعرف حتمًا.

خط رسالته على الجدار إلى جوار الجثة المعلَّقة بسهمه. «أنا آتٍ لأجلك يا كِـيَّن». توقف قبل أن يوقعها. لم يكن اسمه

ليضيف شيئًا. كان سينزع الخوف من المجهول الآتي ويعطي كِـيَّن، وأزلامه، وعملاءه في الحكومة دليلًا واضحًا ليتبعوه. ابتسم وقد خطرت له فكرة.

الاسم الحركي لآخر مهامه في فيتنام، حين غدر كِـيَّن به وبوحدته لصالح قوات الشمال، كان عملية ياومان. ذلك الاسم كان سيجعل كِـيَّن يتخبط في أفكاره. سيشك بأن بريнان هو من وراء الاسم، لكنه لن يعرف قطعًا. كان ذلك سينخُر فؤاده في الليل ويُذْكي ذكرياته بخصوص الآثام التي حسب أن النسيان طواها. كان ذلك اسمًا لائقًا على نحو قاتم ساخر. ناسبه ذلك.

أمضى رسالته بالاسم ياومان، ثم، بإلهام مباغت، رسم رمز آيص البستوني، الرمز الفيتنامي للموت والشؤم. غمغم النُدَّل الفيتناميون ومساعد الطاهي بالصلوات أمام الرمز الكئيب، والنادل الذي استعار منه بريнان القلم رفض استعادته بهزات من رأسه أشبه بالنقرات.

«كما يحلو لك». قال بريнان. «كيف أصل إلى كريستال بالاس؟»

تمتم أحدهم بالوصف. غادر بريнان عبر المطبخ إلى الزقاق المظلم. ففك قوسه وأعاده إلى حقيبته، ومضى قبل أن وصول قوات النجدة. التزم الشوارع المعتمة بدون أن يخلع

قناعه، متجاوزًا الكيانات الشبحية في الظلمة من حوله. بعضهم تطلّع إليه، بعضهم تشاغل بعمله. لم يحاول أحد أن يستوقفه.

الكريستال بالاس، على شارع هنري، كان جزءًا من صفّ بيوت من ثلاثة طوابق على امتداد قطعة كاملة. دُمِّر نحو نصف المجمع خلال ثورة الجواكر الكبرى عام ١٩٧٦ ولم يعُد ترميمه أبدًا. أزيل بعضُ الركام، وبقي بعضه في أكوام ضخمة إلى جوار الجدران المتداعية. أثناء مروره، لاحظ بريتان أزواج عيون، لبشر أو حيوانات، لم يكن متأكدًا، ترمقه عبر الشقوق والصدوع أثناء مروره. لم يكن مهتمًّا بالاستكشاف. مضى عبر الشارع إلى الجزء الأكثر تماسكًا من المبنى. صاعدًا السلالم الحجرية القصيرة المؤدية إلى المدخل المظلّل، عبر الردهة الصغيرة، ليجد نفسه في الصالة الرئيسية للمكان.

كان الجو قاتمًا، مزدحمًا وغاصًّا بالأدخنة. كان هناك الجواكر التقليديون الذين لا بد منهم، كذلك القصير السمين ذي الأنياب الذي يوزع الصحف عند المدخل، والآخر ذي الرأسين على المسرح الصغير مؤديًا على لحن أغنية لكول بورتر. بعضهم بدا طبيعيًّا إلى حدٍّ ما، إلى أن يُمعَن فيه النظر. لاحظ بريتان شخصًا، بدا له وسيمًا، غير أنه افتقد الأنف والفم، وامتلك عوضًا عنهما خرطومًا طويلًا محنيًّا مدّه

كمصاصة في قدح شرابه تحت أنظار برينان. بعضهم ارتدى أزياء لافتة لغرابة أصحابها. وكأنما يعلنون عن عاهاتهم بجرأة. بعضهم ارتدى أقنعة ليخفوا عاهاتهم، بالرغم من أن بعض المُقنَّعين كانوا بشرًا طبيعيين، عاديين، كما يسميهم الجواكر.

«أنت بيَّاع؟»

مرَّت لحظة قبل أن يدرك برينان أنه المعني بالسؤال. تطلع عبر نهاية المشرب الخشبي الطويل حيث جلس رجل على مقعد عالٍ، مؤرجحًا رجليه الثخينتين القصيرتين اللتين لم تبلغا الأرضية. كان قَزَمًا، طوله أربع أقدام ومثلها عرضًا، كانت رقبته بارتفاع علبة تونا وبسُمك فخِذ بشرية. بدا بصلابة وجمود لوح رخام.

«هذه عيِّناتك؟» سأل مشيرًا إلى حقيبة برينان بيد بضعف حجم يده.

«معدات مهنتي فقط».

«ساشا».

أحد السُّقاة، طويل نحيل بشارب رفيع وبخصلة شعل مزيتة متدلية على جبهته، التفت ناحية القزَم. لاحظه برينان بطرف عينه، يخلط ويوزع المشاريب بسرعة ودقة

مدهشتين. لما استجاب لنداء القزَم، لاحظ بريان أنه بلا عينين. جلدتان مصمتتان غطتا محجري عينيه. تطلع الساقي ناحيته وهز رأسه مرارًا.

«لا بأس به يا إلمو، لا بأس به». أومأ القزم وحوَّل نظره عن بريان منذ أن شرعا في تبادل الحديث. قطب بريان حاجبيه. كاد أن يقول شيئًا لكن الساقي سبقه. أشار ناحية النهاية الأخرى للمشرب وقال «إنها هناك».

زمَّ بريان شفتيه. ابتسم الساقي سريعًا وعاود خلط المشاريب. تطلَّع بريان إلى حيث أشار وحبس أنفاسه.

جلست امرأة في طاولة على الزاوية مع رجل نحيل أسود شاحب الجلد، مرتديًا زي كيمونو أحمر ملطخًا بتنانين صفراء ومطرَّزًا بما قدَّر بريان أنه تعاويذ مقدَّسة. كان وسيمًا باستثناء الجبهة المنتفخة التي شوهت مظهره. الكرسي الذي جلس عليه كان عاديًّا. أما مقعد المرأة فكان بحجم عرش، بإطار من خشب الجوز الأسود وحشايا مخمل حمراء. وضعت قدحها الكريستالي الدقيق الذي كانت ترشف منه شرابًا عسليًّا وتطلعت مباشرة ناحية بريان، وابتسمت.

ارتدت بنطالًا ملتصقًا بقوامها الرشيق ودثارًا التف حولها كالغمد جمعت طرفه على ذراعها اليمنى، مبرزة نصف صدرها العاري. كان جلدها شفافًا بالكامل، كاشفًا بنيتها العضلية

والأعضاء أسفل منها. كان بوسع بريนان أن يرى الدم ينبض في شبكة العروق والشرايين الجارية عبر لحمها. أن يرى عضلاتها الشبحية نصف الشفافة تتحرك وتنزلق لأدنى حركاتها. وكان يرى، بالكاد، خفق قلبها داخل قفص أضلاعها ورفيف رئتيها في حراكهما الدائم الرتيب.

ابتسمت له. عرف بريนان أنه أطال التحديق، لكن لم تكن باليد حيلة. كانت مظهرها أشد غرابةً من أن يعد جميلًا، كان خياليًّا.

نهدها المكشوف كان خفيًّا بالكلية، ما عدا الشبكة الدقيقة المتقاطعة من العروق، وحلَمته الكبيرة الداكنة. وجهها ... حسنٌ، من يسعه أن يقول؟ عيناها كانتا زرقاوين. عظمتا وجنتيها، تحت غلاف عضلات الفكين، كانتا عاليتين. أنفها كان فجوة في جمجمتها. شفتاها، مثل حلمتي صدرها، كانتا ظاهرتين. مليئتين ومرحّبتين ومثنيتين في ابتسامة متهكّمة. لم يكن لها شعر يخفي جمجمتها البيضاء. شق بريนان طريقه عبر الزحام ناحية طاولتها بينما راقبته هي، إن كان له أن يفسر تعابيرها العجيبة، بإعجاب رصين. راقب آلية عمل حنجرتها فيما ترشف شرابها.

«اعذريني». بدأ بالقول، قبل أن يقع في الصمت.

ضحكت، ضحكة صادقة بلا مرارة ولا عتب ولا غضب.

«عذرك معك، أيها الرجل المقنَّع». قالت: «إنني مدعاة للتأمل. لا أحد يبصرني لأول مرة ويتصرف بعفوية. أنا كريساليس، مالكة الكريستال بالاس، كما لعلَّك خمنت. وهذا فورتشناتو».

التفت الأسمر إليه. حدس بريننان أصوله الشرقية من شكل عينيه. أومأ كلٌّ منهما للآخر بصمت. كانت هناك، كما لاحظ بريننان، هالة من القوة تحوط الرجل. كان آيضًا، تأكد بريننان من ذلك فورًا.

«ما اسمك؟» سألته كريساليس.

تحدَّثت بلكنة بريطانية مثقفة، ما كان سيفاجَأ بريننان لولا أنه استنفد نصيبه من المفاجآت لتلك الأمسية. صوتها اكتسب نبرة متفكرة، وملامحها أوغلت في تأمله.

«ياومان». قال بريننان، متسائلًا إلى أي قدر يمكنه أن يكشف نفسه.

«مدهش. إنه ليس اسمك الحقيقي، طبعًا».

نظر بريننان لها ساكتًا.

«هل تحبين أن تعرفيه؟» سأل رفيقها. ابتسم فورتشناتو بتكاسل. وهزت هي كتفيها مجيبة بابتسامة صامتة.

تطلَّع فورتشناتو إلى بريننان. نظراته ازدادت عمقًا وقتامة.

أحس بريبنان بدوامة من القوى تحوم فيهما، قوى أدرك فجأة أنها موجَّهة إليه. احمرَّ وجهه غضبًا، تكورت قبضتاه، وأدرك أنه لم يملك أن يمنع قوى فورتشناتو المكتسَبة من الأبواغ الفيروسية من أن تخترق نواة عقله. كان بإمكانه فعل شيء واحد.

أخذ نفَسًا عميقًا، حبسه، وترك كل الأفكار تتسرب من ذهنه.

كان في اليابان مجددًا، مقابلًا لإيشيدا، محاولًا حل الأحجية التي واجهه بها الشيخ المعلم حين حاول الانتساب إلى الدير البوذي لأول مرة.

«صوت يُسمع إذا ما صفقت كفَّان. ما صوت الكف الواحدة المصفِّقة؟»

صامتًا دفع بريبنان كفه وقد جمعها في قبضة. أومأ إيشيدا، وبدأ التدريبُ الجاد لبريبنان من فوره. استدعى ذكرى ذلك التدريب الآن. أدخل نفسه في حالة تأمل عميق؛ زازِن، حيث أفرغ ذاته من كل فكرة، وإحساس، وعاطفة، وتعبير. مرَّ عليه زمن غير محسوس ثم، وكأنما من مسافة بعيدة، سمع فورتشناتو يتمتم: «مذهل»، ثم استجلب ذاته ثانية.

تطلع فورتشناتو إليه بشيء من التقدير. راقبتهما كريساليس باهتمام.

«ألَكَ في الزِن؟» سأله فورتشناتو.

«تلميذ متواضع». ردَّد برينان. بدا له صوته آتيًا من قمة جبل قصية.

«لعله من الأفضل أن أتحدث إلى ياومان على انفراد». قالت كريساليس.

«إن أردتِ». وقف فورتشناتو.

«لحظة». هزَّ بريننان ذهنه ككلب ينفض الماء عن فروته. نظر إلى فورتشناتو. «لا تُعِدها ثانية». زمَّ فورتشناتو شفتيه وهز رأسه: «متأكد أننا سنلتقي ثانية».

غادر الطاولة شاقًّا طريقه خلال الحجرة المكتظة.

أخذ بريننان مجلسه وكريساليس تروزه بنظراتها.

قالت: «من الغريب أني لم أسمع بك قبلًا».

«قدمت توًّا إلى البلدة».

واصلت اختراقه بنظراتها الآسرة. بذل بريننان جهدًا لئلا يحدق في كرتي عينيها المجردتين الدائرتين في محجريهما الأجوفين.

سألته «عمل؟» أومأ بريننان ورشفت هي من شرابها. تنهدت

ووضعت كأسها جانبًا. «أرى أنك لست في مزاج للثرثرة. ما الذي تريده مني؟»

«ذاك الساقي. كيف يؤدي عمله بلا عينين؟»

«هذه سهلة». قالت كريساليس بابتسامة «سأعطيها لك بلا مقابل. إن ساشا تخاطريٌّ، بالإضافة إلى مهارات أخرى. لا تخف. أيًا تكن الأسرار التي تخفيها خلف قناعك فهي بأمان. إنه مسّاح. يمكنه أن يقرأ الأفكار السطحية فقط. ما يجعل مهمته أسهل، ويجعل الكريستال بالاس مكانًا آمَنًا. إنه ينبه إلمو إلى الخطرين، المرضى، المختلين. وإلمو يتخلص منهم».

أومأ برينان، شاعرًا بقليل من الأمان. أرضاه أن الساقي محدود القدرات. لم يعجبه أن يعبث أحدهم بدماغه.

سألت كريساليس: «وماذا بعد؟»

«أحتاج لأن أعرف عن رجلين. رجل اسمه سكار وزعيمه، كِيِّن».

نظرت كريساليس إليه متجهِّمة. على الأقل، تقلصت عضلات وجهها مرتفعة. بدت، كسائر عضلات جسدها، ضعيفة وهشة، وكأن ما جعل بشرتها شفافة تجاوز بتأثيره إلى اللحم أسفل منها.

«أتعرف بأنهما على تواصل؟ إنه أمر لا يعرفه أكثر من ثلاثة أشخاص خارج دائرتهما. أهما صديقاك؟» اشتعل وجه بريثان غضبًا حتى جفلت منه. «لا. لا أظن».

أعادت كلماتها ذكريات من الغدر والعنف. أدار ساشا عينيه المفقودتين ناحيتهما. وقف إلمو على أطراف أصابعه، مميلًا عنقه الغليظ. في أرجاء القاعة لزم نصف دستة من الحضور الصمت. أحدهم أمسك رؤوسه وسقط كالميت، عوى ككلب مجلود فيما رفاقه يجاهدون لاستعادته من نوبته. رفعت كريساليس عينيها عن بريثان وأشارت لإلمو مطمئِنة، وراح التوتر، تدريجيًّا، يخف.

«إنهما خطران، كلاهما». قالت بهدوء «كِيِّن فيتنامي. جنرال سابق. ظهر هنا قبل، أوه، ثماني سنوات. سرعان ما أقحم نفسه في تجارة المخدرات ويسيطر الآن على حصة كبيرة منها. في الواقع، فإنه يُحكِم قبضته على معظم الأنشطة المحظورة في المدينة، محافظًا على مظهر الوجيه على السطح. يمتلك سلسلة من المطاعم والمصابغ، ويتبرع للمؤسسات الخيرية والنقابات. تصله الدعوات لكل المناسبات الاجتماعية الكبرى. سكار هو أحد نقبائه. إنه لا يخضع لكِيِّن مباشرة. الجنرال يبقي نفسه معزولًا».

«أخبريني بالمزيد عن سكار».

«فتى محلّيٌّ من الأنحاء ... لا أعرف اسمه الحقيقي. يلقّبونه بالندبة بسبب وشم غريب دقَّه على وجهه. يفترض أنها نقوش من تراث قبائل الماوري».

لا شك بأن بريننان بدا مرتابًا؛ لأن كريساليس هزَّت كتفيها. شاهد العضلات تنقبض والمفاصل تدور في محاجرها.

«لعل الفكرة أتته من عالِم إنسانيات في جامعة نيويورك كان يدرس عصابته الشوارعية. أمر متعلق بالقبيلة الحضرية. على أية حال، إنه فتى بغيض. ذراع كِـيَّن الباطشة. لا يُهزم في أي عراك». حدجته بدهاء: «أنت ستنازله».

كانت عبارة تقريرية، لا سؤالًا.

«ما الذي يجعله لا يُهزم؟»

«إنه نقَّال آني. بوسعه أن يختفي أسرع من حركة أيٍّ كان ليعاود الظهور أينما أراد. غالبًا خلف خصمه. كما أنه خبيث كالجحيم. كان يسعه أن يصير ذا شأن لكنه مغرم بسفك الدم. وهو مكتفٍ بكونه تابعًا لكِـيَّن وإن لم يحطَّ ذلك من صيته في الأرجاء».

عبثت بكأسها لبرهة. ثم تطلعت إلى بريننان مباشرة «أنت آيص؟»

لم يقل برينان شيئًا تقاطعت نظراتهما للحظة طويلة ثم تنهدت كريساليس.

«لا شيء لديك. أنت مجرد رجل. عاديٌّ. ما الذي يجعلك تظن أنك قادر على هزيمة سكار؟» كررت.

«كما قلتِ. أنا رجل. وهو اختطف ابنة صديق لي. لم يبقَ سواي ليسعى خلفها».

«الشرطة؟» قالت كريساليس بتلقائية، ثم ضحكت من اقتراحها. «لا. سكار، بواسطة كِيِّن، يحظى بحماية الشرطة. أفترض أنك لا تملك دليلًا قاطعًا يدين سكار؟ لا. ماذا عن بقية الآيائص؟ بلاك شادو؟ ربما فورتشناتو ...»

«ليس هناك وقت. لا أعرف ما فعل بها. ثم ...» صمت واسترجع ذكرى من عشر سنين «الأمر شخصي».

«هكذا ظننتُ».

استرجع برينان تركيز نظراته. حملق في كريساليس «أين يمكنني أن أجد سكار؟»

«أنا بائعة للمعلومات، وقد أعطيتك الكثير بالمجان حقًّا. تلك المعلومة ستكلفك».

«لا مال لديَّ».

«لا أريد مالًا منك. سأسدي لك خدمة مقابل مثلها».

تجهم وجه بريننان «لا أحب أن أكون مدينًا لأحد».

«ابحث عن معلومتك في مكان آخر إذن».

الحاجة لفعل شيء أحرقت بريننان. «حسنٌ».

أخذت رشفة وتأملت في كأسها البلّوري التي تحملها كف بنقاوة الزجاج ذاته.

«لديه بيت كبير في جادة كاسلتون، بجزيرة ستاتن. مسوَّر ومعزول داخل مساحة فسيحة. إنه يحب الصيد. صيد الرجال».

«حقًّا؟» سأل بريننان متأملًا، مفكرًا في الأمر.

«لِمَ اختطف سكار تلك الفتاة؟ أهي مميزة على نحو ما؟»

«لا أعرف». قال بريننان وهو يهز رأسه «ظننته فعل ليشتري صمت والدها الذي رأى كِيِّن وسكار معًا، لكن تسلسُل الأحداث لا يخدم تلك الفكرة. مِين رآهما حين كان يتتبع سكار، محاولًا إيجاد دلائل على الاختطاف. أخبرني بأنه اختطفها من أجل يديها الداميتين. هل يعني ذلك شيئًا لك؟»

هزت كريساليس رأسها «لعلك تسأله أن يكون أكثر وضوحًا؟»

«إنه ميت».

مالت عليه ووضعت إحدى يديها على يده، شيء ما مر بينهما «لعلك لن تهتم بتحذيري، لكني سأقدمه لك على أية حال. كن حذرًا». أومأ بريينان. يدها الخفية على يده، كانت دافئة وناعمة. رأي الدم يتدفق برتابة فيها. «ربما»، أكملت «تودُّ أن تتخلَّصَ من بعض دَينكَ؟»

«كيف؟» سأل بريينان مواجهًا الإغواء البارع لصوتها وتعابيرها.

«إن نجوت من مواجهتك مع سكار، عُد إلى القصر الليلة. لا تقلق بشأن الوقت. سأكون بانتظارك».

لم يكن ثمة شك بشأن مقصِدها. لقد عرضَت نوع تواصل طالما تفاداه لوقت طويل. علاقة لم يرد أن يكون طرفًا فيها لسنوات.

«أم أنك تجدني مثيرة للاشمئزاز؟» سألت بواقعية خلال الصمت الذي امتد بينهما.

«لا». قالها باقتضاب أشد مما قصد. «ليس ذلك. ليس ذلك أبدًا».

بدا صوته خشنًا في أذنيه. كان قد عزل نفسه عن أي

تواصل بشري حتى بدا له الولوج في أية علاقة حميمية مخيفًا.

«أسرارك ستكون بمأمن معي، يا ياومان».

أخذ نفسًا عميقًا. وهز رأسه.

«جيِّد». عادت ابتسامتها. «سأنتظرك».

التفت مغادرًا بلا كلمة، وابتسامتها انسحبت من على شفتيها. «لو» همست بحيث لم يسمعها أحد «أمكنك تحقيق المستحيل. لو وسعك أن تهزم سكار».

***

فكَّر بريتان في طريقتين لإنجاز الأمر. بإمكانه أن يتسلل خفية إلى حصن سكار بدون أن يعرف أي نظام أمني يحميه، متنقلًا من غرفة إلى غرفة، بدون أن يعرف ما ينتظره في أي منها، وبدون أن يعرف إن كانت ماي موجودة في المبنى أصلًا. أو يمكنه أن يطرق الباب مباشرة، واضعًا ثقته في حظه، وتماسك أعصابه، وقدرته على اتخاذ القرار الصائب لحظيًا.

انتزع قناعه بعدما غادر الكريستال بالاس واستقل سيارة أجرة. تردد سائقها في أخذه إلى جزيرة ستاتن، لكنه لوح

له بورقتي عشرين فانقلب وجهه إلى ابتسامة. كانت رحلة طويلًا، بالسيارة ثم العبَّارة المائية، قضاها بريان مستذكرًا الذكريات الكئيبة. لم يكن ذلك ليرضي إيشيدا. لكن بريان عرف أنه لم يكن أفضل تلاميذ الشيخ المعلم.

ترجّل من سيارة الأجرة على بعد حي كامل من العنوان الذي أعطته له كريساليس. دفع الأجرة ونفح السائق بقشيشًا كاد أن يمحو رصيد محفظته. سار بصمت في العتمة حتى وقف على ضفة الشارع المقابلة من المكان. كان كما وصفته كريساليس.

البيت ذاته كان مبنى حجريًا مهولًا تفصله علن الشارع بضع مئات من الياردات. أضواء متفرِّقة سطعت من عدة نوافذ عبر الطوابق الثلاثة. لكن لم تكن ثمة إضاءة من الخارج. السور المحيط كان حجريًا، بارتفاع سبعة أقدام، مكللًا بشبكة من الأسلاك المكهربة. كشك الحراسة الصغير ذو الواجهة الزجاجية الملاصق للبوابة المعدنية المعتقة حوى حارسًا وحيدًا. لم يبد أن التعزيزات كانت عصية على الاختراق، لكن القصر بدا أضخم من أن يُفتَّش حُجرةً حجرة.

سيتطلب الأمر جرأة، جأشًا، وحظًا. الكثير من الحظ. فكر بريان وهو يسرع الخطى من الظلال. الحارس في الكشك كان يشاهد تلفازًا صغيرًا، برنامجًا حواريًا تقدمه امرأة

جميلة ذات جناحين. برينان، الذي لم يشاهد التلفاز منذ رجع إلى أمريكا، تعرف عليها: بيراغرِن – الشيهانة؛ أحد أشهر الآيائص، ومقدمة برنامج عُش الشيهانة(12). كانت تتابع رجلًا ملتحيًا ضخمًا يرتدي قبعة طبَّاخ ويقدم فاصل طبخ ما. كانا يثرثران بمرح ويدا الطبَّاخ الضخمتان تتحركان بسلاسة مدهشة. تنبَّه برينان إلى أنه لم يكن سوى هيرام ورتشيستر، الملقب بفات مان – البدين، أحد الآيائص المشهورة كذلك.

كان الحارس منهمكًا في مشاهدة الشيهانة، التي ارتدت زيًّا جذابًا حتمًا بفتحة حلقٍ بلغت سرتها. كان على برينان أن يطرق شباكه الزجاجي ليستدعي انتباهه، مع أنه لم يبذل أي جهد ليداري تقدمه.

فتح الحارس بابه.

«من أين أتيت؟»

«سيارة أجرة». أشار برينان بعشوائية لما وراء كتفه. «لقد صرفتها».

«أوه. أوه طبعًا»، قال الحارس. «لقد سمعتها. ماذا تريد؟»

أوشك برينان على القول بأن كِـيِّن أرسله لأجل الفتاة، لكن ابتلع كلماته في اللحظة الأخيرة. كريساليس أخبرته بأن قلة قليلة تعرف بأن كِـيِّن وسكار متواصلان. هذا الأخرق حتمًا لم

يكن أحدهم.

«أرسلني الرئيس. بشأن الفتاة». قالها بأشد قدر من الغموض، مبقيًا نبرته واثقة وعليمة.

«الرئيس؟»

«كلِّم سكار. إنه يعلم».

استدار الحارس ورفع سماعة هاتف. أرخاها بعد بضع ثوان من الحوار المكتوم مع الطرف الآخر وضغط مفتاحًا في اللوح أمامه. تحركت البوابة العتيقة لتنفتح بصمت.

«ادخل». قال مستديرًا إلى التلفاز، حيث كان هيرام والشيهانة يتناولان فطيرة كريب الشوكولا المسكَّرة بتلذذ بادٍ على وجهيهما. تردد برينان قليلًا.

«أمرٌ آخر».

تنهد الحارس والتفت له ببطء، ونصف انتباهه معلَّق بالشاشة.

دفع برينان كفه، بعنف، في أنف الحارس. أحس بالعظام تتهشم وتتناثر بقوة ضربته. ارتجَّ جسد الرجل متشنجًا فيما شظايا عظام أنفه تخترق دماغه كالسكاكين. ثم همد تمامًا. أغلق برينان التلفاز بينما الشيهانة وفات مان يُجهِزان على

الكريب. سحب الجسد خارج الكشك وأخفاه خلف شجيرات الفناء. ترك آسفًا حقيبة قوسه في الموضع ذاته. وكي لا يحرم نفسه من كل السلاح، أخذ أحد الأوتار ولفه حول ردفه تحت بنطاله.

مشى بخفة في ممر السيارات باتجاه القصر.

يحتاج سكار إلى بستاني. غدت الحديقة أقرب للبرِّيَّة. العشب لم يُجزَّ طوال الصيف. تشعثت النبتات بجنون. بلا تشذيب، تمردت خارج حدودها موفرة غطاء سميكًا أسفل جذوع الأشجار الكثيفة السميكة. كانت المساحة أقرب إلى فدان أو اثنين من الغابات عوضًا عن فناء أمامي، وأثارت في بريئان حنينًا إلى السلام الهادئ لجبال الكاتسكيلز. ثم وجد نفسه مقابل الباب الأمامي وتذكر ما الذي جاء به. قرع الجرس.

الرجل الذي فتح الباب كان متغطرسًا كما يليق بوغد شوارع. والمسدس الذي حمله تحت إبطه معلقًا من حزام على كتفه كان ضخمًا بما يكفي لقتل فيل.

«تعال داخلًا. سكار لديه زبون. إنهما مع الفتاة».

قطّب بريئان في ظهر الرجل الذي قاده داخل القصر. ما الذي يجري؟ دعارة؟ ممارسة جنسية مشبوهة؟ أراد

استجواب الرجل الذي أخذ به إلى مؤخرة القصر، لكنه عرف أنه من الأجدر به أن يبقي فاه مطبقًا. سيجد إجاباته عمّا قريب.

اعتنى سكار بداخل بيته أفضل مما فعل بفنائه الخارجي، إلى حدٍّ ما. الرخام على الأرضية كان قذرًا وكانت هناك عفونة في الهواء جعلت برينان يتقزز. خشي أن يتنفس بعمق إلى أن يتعرف على كنه تلك الروائح.

سلسلة سلالم امتدت إلى الأدوار العلوية من القصر، لكنهما بقيا في الدور الأرضي، متجهين ناحية نهاية المبنى.

انثنى مرافقه يسارًا، عابرًا من جهاز كشف معادن أطلق صفيرًا وحيدًا، ثم التفت إلى برينان الذي تبعه. لم يرن الجهاز. أومأ الشقي وقاد برينان إلى حجرة جيدة الإضاءة ضمَّت أربعة أشخاص. أحدهم كان قويًا مشابهًا لذاك الذي التقاه برينان عند البوابة. الأخرى كانت امرأة بشعر أشقر طويل. ارتدت قناعًا غطى كامل وجهها. الثالثة كانت ماي. رفعت رأسها إليه ببلادة حين دخل الغرفة ثم التفَّت بوجهها سريعًا مُدارِيَة نظرة الفهم التي شعَّت من عينيها مع تعرفها عليه. مرَّت ثلاث سنين منذ رآها آخر مرة. صارت امرأة جميلة. صغيرة الجسم، رقيقة، دقيقة الملامح بشعر غزير لامع وعينين داكنتين، داكنتين جدًّا. بدت غير متأذية، إنما

بالغة الإرهاق. عيناها محاطتان بالهالات وقرأ بريننان التعب في كل عضلة من جسدها في طريقة تحاملها على نفسها.

الأخير كان سكار. طويلًا ومفتولًا. وجهه كان كابوسًا. الوشم الأسود والأحمر الفاقع على وجهه حوَّله إلى شبيه لحيوان شيطاني شبق. عيناه كانتا غاطستين في غورين أسودين. أسنانه قابعة في كهفٍ قانٍ. ابتسم له سكار فتفاجأ بريننان لأن أسنانه لم تكن حادة كالضواري.

«ما اسمك يا رجل؟» سأل باللكنة الثقيلة لقلب المدينة «لم أرَ خلقتك من قبل».

«آرتشر». كذب بريننان تلقائيًّا. «ما الذي يجري هنا؟»

كشف سكار عن ابتسامة ثانية لوَّت وجهه في ملامح لا تمت للمرح بصلة.

«أتيت في وقتك يا رجل. الأخت هنا سترينا قدراتها. ألن تفعلي؟»

التفت الجميع إلى ماي، التي أحنَت رأسها في استسلام منهك صامت.

«هل يمكنها أن تفعليها؟» سألت المرأة المقنَّعة، بصوت صفيري متلهف.

أومأ سكار وأشار إلى ماي. واصل الشقيان الفرجة بغير اهتمام. نقَّل سكار أنظاره بين بريننان، وماي، والمرأة الشقراء.

«قل للرجل»، قال متطلعًا إلى بريننان فيما ماي تقترب من الشقراء «إني كنت سأخبره بكل شيء عنها. كنت أتأكد من الأمور وحسب».

أومأ بريننان مباشرة، مظهره الخارجي متحفِّظ وثابت، لكنه مرتبك في داخله. مشت ماي ناحية الشقراء بدون أن تلتفت في اتجاهه، فكر أن ما سيحصل، أيًّا كان، لن يكون سيئًا. كانت ماي تتعامل مع الموقف بهدوء معقول. قرر أن يصبر.

«يجب أن تخلعي القناع». قالت ماي للمرأة بهدوء. تراجعت الشقراء قليلًا وتلفَّتت ناحية الرجال الذي يراقبونها، لكنها أطاعت. راقبها بريننان بحياد وهي تخلع قناعها. راقب سكار بابتسامة خبيثة خفيفة. كانت بلا شك خَجْلَى من وجهها. رأى بريننان ما هو أسوأ. لكنه كان كافيًا لتعلو همهمات الإثارة من رجال سكار. لم يكن للمرأة ذقن، بل مجرد فك سفلي مسطح. لم يكن لها أنف، بل منخران فوق شق فمها. جبهتها كانت دقيقة، ووجهها بأكمله مسحوبًا إلى الأمام كوجوه الزواحف، مزينًا بألوان جلدها الحرشفي. بدت تمامًا كسحلية صحراوية(13) بشعر أشقر طويل.

«لقد كنت جميلة يومًا». قالت بنظرات ساقطة.

قهقه رجال سكار عاليًا، لكن ماي أخذت وجنتيها الحرشفيتين بين كفيها وقالت: «ستعودين كذلك».

نظرت المرأة إليها، عالم من الألم في عينيها. رمقتها ماي بصمت، ملامحها مستكينة كوجه قديسة. لم يحصل شيء لوهلة. التفت بريان بينها وسكار، الذي كان يراقبه بانتباه. ثم، حيث تلمس أنامل ماي وجنتي المرأة السحلية، راح الدم ينز في قطرات متتابعة، بدا وأنه ينبع من الوجنتين، أو الكفين، أو كليهما. جدولان صغيران من الدم جريَا من بين أصابع ماي، عبر راحتيها ومعصميها. تأوهت ماي وحدَّق بريان في ملامحها المتبدِّلة أمام عينيه. ذقنها يتراجع، فكها يصغر. جبهتها تضيق وجلدها يزداد سمكًا وخشونة ويتلوَّن إلى الأسود والبرتقالي والأحمر. استغرق الأمر بضع دقائق. تفرج بريان بشفتين مطبقتين. سكار تفرج عليه وهو يتفرج، مبتسمًا بحقد ووجهه الموشوم كقناع شيطاني.

امرأتان سحليتان واجهتا بعضهما. إحداهما شقراء والأخرى سوداء الشعر. المرأة تطلعت إلى ماي بعينين جاحظتين، ردَّت ماي بنظرات مطمئنة. وشرعت في التحوُّل. فقدت بشرتها خشونتها ولونها الزاهي. العظم تحتها عاد إلى تركيبته الطبيعية، شفتاها الْتَوَتا قليلًا، ربما بسبب ألم الانمساخ، لكنها

لم تقل شيئًا. بعد برهة أطول، راحت الشقراء تتحول كذلك، الجلد ينعم ويبيض، العظام تميّعت كالشمع السائل، الدموع انهمرت من وجنتيها العاليتين، بسبب الألم أو الفرحة، لم يستطع بريـنان أن يجزم. استغرق التحوّل بضع دقائق. وحين توقف سيَلان الدم، رفعت ماي يديها عن وجه المرأة. كانت الشقراء صادقة، لقد كانت جميلة، وقد عادت جميلة.

منتحبة بصمت، تناولت راحتي ماي وقبلتهما. ابتسمت لها ماي متمايلة في إنهاك. لاحظ بريـنان أن قوة إرادتها هي ما أبقاها واقفة على رجليها. كل خط وعضلة في جسدها أنَّ من الاستنزاف.

مدت المرأة يدها إلى حقيبة يدها على الطاولة المجاورة، تناولت مظروفًا سميكًا. أشار سكار بعينيه. تناوله أحد أوغاده المبتسمين ووضعه في جيب بنطاله الخلفي، ورافق المرأة إلى خارج الحجرة.

«ماذا تظن يا رجل؟»

«مدهش»، قال بريـنان وهو ما يزال ينظر إلى ماي: «ما هذا، تعديل جيني من نوع ما؟»

«لا أعرف شيئًا عن هذا الهراء»، قال سكار. «فقط سمعت أنها كانت تشفي الجواكر في المنطقة، وفكّرت، لِم تصلح

أولئك الجواكر المفلسين بدلًا من أن تصلح الجواكر الذين يدفعون جيدًا؟ فالتقطتها».

استدار برينان عن ماي ونظر إلى سكار في عينيه.

«إنها تساوي الكثير. كان عليك أن تخبر كِيِّن بشأنها. سآخذها إليه».

جعد سكار شفتيه الموشومتين في ذعر ساخر.

«ستفعل؟ يبدو أنك تعرف الكثير يا رجل. كيف لم تعرف إذن بأني قد أخبرته بأمرها فعلًا، حين رآنا ذلك الأفنس معًا في سيارة الرجل؟» التفت ناظرًا إلى ماي وأضاف بخبث «ثم أمر الرجلُ بالأفنس حتى لا يخبر أحدًا».

«أبي؟» سألت ماي.

أومأ سكار، مبتسمًا كشيطان. شهقت ماي. تمايلت في مكانها وكادت تقع أرضًا لو لم يقبض رجل سكار بقسوة على ذراعها. تحرك برينان.

أطلق نفسه عبر الحجرة، انتزع المدفع الرشاش من كتف أحد الرجلين، ألصق فوهته بصدره وضغط الزناد. تعالى هدير صاخب فيما النيران تنتزع الرجل من مكانه وتقذف به إلى الحائط. خلَّف لطخة حمراء وهو ينحدر منزلقًا إلى الأرض،

عيناه مفتوحتان وغير مصدقتين.

دار برينان حول نفسه، لكن سكار كان قد اختفى. لمح وميضًا بطرف عينه ثم شعر بألم حاد وسكار يهوي على معصمه، مطيحًا بالمدفع من قبضته. تفادى سكار ذراع برينان الملوحة، ركل المدفع بعيدًا بعرض الحجرة، ثم اختفى نهائيًّا.

عاود الظهور بين برينان والمدفع، مبتسمًا بخبال.

«تحتاج مسدسًا لتواجه سكار؟ يا لك من عادي مجنون، ما الاسم الذي تريده على شاهد قبرك؟» مد يده في جيب بنطاله، وبحركة متمرسة من معصمه، فتح مطواة حادة بطول ستة إنشات.

اختفى مجددًا وأحس برينان بألم مريع في جانبه. سمع صرخة ماي ورمى بنفسه جانبًا متدحرجًا، ثم وقف. سال الدم من جانب صدره حيث ترك سكار جرحًا طويلًا عبر أضلعه. بالكاد انتصب على قدميه قبل أن يظهر سكار مجددًا، ممزِّقًا وجنته هذه المرة، ثم يختفي. كما قالت كريساليس، كان سريعًا ودقيقًا في تنقله الآني، وكان يستمتع بعمله.

«سأقطعك على مهل يا رجل». قال وهو يعاود الظهور بشهوة القتل في عينيه. «سأقطعك حتى تتوسل إليَّ لأنهي أمرك». حرك معصمه ناثرًا دماء برينان عن نصل المطواة.

كانت الأنوار ساطعة في الحجرة التي أحاطت جدرانها ببرينان. كان حبيسًا، محاصرًا، وبلا فرصة تُذكَر. إذا حاول الوصول إلى المسدس فسيمزقه سكار ضاحكًا إلى شرائط. تنفس بعمق مهدئًا جريان أفكاره، سابحًا، كما علَّمه إيشيدا، إلى حالة من السكينة المطلقة، وعرف ما عليه أن يفعله. شق سكار ظهرهُ وهو يستدير وينطلق راكضًا ليقذف بنفسه عبر النافذة الفرنسية في نهاية الحجرة. تفجَّر الزجاج من حوله وهو يرتمي في عتمة الشرفة.

ابتسم سكار ابتسامة جذل صافٍ وهو يخطو ليتبعه إلى الشرفة. صفَّر بشفتيه متنغمًا متابعًا ركض برينان عبر الفناء الخارجي ليختفي بين الشجيرات الكثيفة.

«هيه يا عادي!» نادى عاليًا: «أين أنت يا رجل؟ اسمع مني، كُن لي صيدًا مسليًا وسأقطعك لقطع أقل وأعطيك ميتة أسرع. أما لو خيَّبت أملي فسأقطع خصيتيك. حتى هذه البنت الطيبة لن تقدر أن تُنبت لك حبَّتين جديدتين».

ضحك سكار لنكتته، ثم تبع برينان إلى الظلمة. توقف بعد برهة وأصاخ السمع. لم يسمع شيئًا سوى صوت الرياح والأشجار، وأصوات السيارات في الشارع البعيد. ضاعت طريدته، اختفت في ظلام الليل. قطَّب سكار. شيء ما لم يكن مضبوطًا، تعمَّق في مشيه بين الأشجار.

ومن لا مكانٍ، كشبح صامت في الظلمة، بزغ بريننان من مخبئه، بخيط الوتر النايلون معقودًا بين قبضتيه. لف الخيط حول عنق سكار من الخلف، سحبه، وبرمه.

تناثرت قطع اللحم والغضاريف. اختفى سكار. ثم ظهر على بعد عدة أقدام قابضًا على قصبته الهوائية المهشمة. حاول أن يشهق، لكن شيئًا لم يصل إلى رئتيه المختنقتين. فتح فمه ليقول شيئًا لبريننان، ليلعنه أو يتفاوض معه. لكنه كلمة لم تصدر. اختفى مجددًا وظهر في أقل من ثانية في نفس المكان، وجهه الموشوم شوّهه الألم والهلع، مبعثر التركيز فاقدًا التحكم. راقبه بريننان وهو يتذبذب في تمظهراته متخبطًا بين الأشجار، اليأس على ملامحه، متنقلًا آنيًّا بجنون بلا منطق. أخيرًا ظهر قاذفًا الدم من فمه، مترنحًا إزاء شجرة، أسقط مديته، وسقط على ظهره. اقترب منه بريننان بحذر، لكنه كان ميتًا. انحنى عليه، وتناول القلم العريض الذي أخذه من النادل في مطعم مِين. رسم آيص البستوني على ظاهر كف سكار الأيمن. ثم، ليتأكد من أن كِيّن سيراها، وضع اليد على وجه سكار الموشوم.

عاد أدراجه بين الأشجار بصمت. كشبح حيوان مفترس. كانت ماي تنتظره في الشرفة. لم تبدُ متفاجئة حين ظهر لها من بين الأشجار. كانت تعرفه، وتعرف ما بوسعه أن يفعل.

«نقيب بريتان، هل مات أبي حقًّا؟»

أومأ برأسه، غير قادر على النطق بالكلمة. بدا وكأنها تنكمش، تصير أشد ضعفًا، أكثر تعبًا، لو كان ذلك ممكنًا. أطبقت جفنيها وانهمرت الدموع من بينهما بصمت.

«فلنذهب للبيت».

قادها إلى ظلمة الليل المرحِّبة.

***

غادر بعدما ضمَّدت جراحاته، واعدًا إياها بأن يعود متى ما استطاع، والحزن عليها يتصاعد داخله، مختلطًا بأساه على رحيل مِين. رفيق دربٍ آخر، صديق آخر، رحل.

يجب اقتناص كِيِّن. كان الأمر منوطًا به، رجل واحد، وحيد، بلا سلاح إلا قوة يديه وتدبير عقله. كان ذلك سيأخذ وقتًا طويلًا. احتاج لقاعدة ليدير عملياته، وعتادًا. أقواس مخصوصة، سهام مخصوصة، احتاج مالًا.

انسحب إلى ظلال ليل بؤرة الجواكر، منتظرًا مرور نوع معين من الرجال، تاجر شوارع يبيع عبوات المسحوق الأبيض مقابل حفنة من الدولارات الخضراء المجعدة في أكف معرقة بائسة.

تنفَّس بعمق. الليل تعبَّق بعفونات لا تحصى لسبعة ملايين شخص وآمالهم التي ليس لها حصر، مخاوفهم، وأسباب يأسهم. كان أحدهم الآن. غادر الجبال وعاود الالتحاق بالإنسانية، عارفًا بأن تلك العودة ستجلب معها الإحباط والغمَّ واليأس. والراحة، خبَّره جزء منه، مدهوشًا بخيالات اللمسات الدافئة للحمٍ خفيٍّ، والخفق الظاهر لقلب تملؤه لذة متصاعدة.

صوت مفاجئ، خطو زاحف خفيف، استرعى انتباهه. مرَّ رجلٌ إلى جواره، في ملابس لا تليق بفقر المكان، ماشيًا باختيال فرِح. كان من ينتظره.

سرى برينان بصمت في الظلال، تابعًا الرجل. لقد رجع الصياد إلى المدينة.

♥ ♠ ♦ ♣

---

(12) Peregrine›s Perch

(13) Gila monster

الخاتمة:

الجيل الثالث

بقلم لويس شاينر

أخذ الفتى النفاث يمخر عباب السماء في طائرته الصاروخية الأنيقة، وخطوطُ السرعة ترتسم واضحةً من الأجنحة الخلفية. ما هي إلا برهة من الزمن وإذا بقاذفات المدافع ذات العشرين ملّيمترًا تخترق التيرانوصور وتحطُّ رحالها ممزِّقة الجسد الحديدي.

«آرني، آرني، أطفِئ هذا الضوء!»

أجاب آرني: «حسنًا يا أمي».

أعاد النسخة الخاصة بالفتى النفاث في جزيرة الديناصور المؤلَّفة من أربع وخمسين صفحة إلى علبتها البلاستيكية. أطفأ الضوء وحمل الكتاب المصوَّر وسط الظلام الدامس المعتاد عليه في غرفة نومه، ثم خبَّأه في الخزانة.

كان لديه مجموعة كاملة من القصص المصوَّرة للفتى النفاث في أحد الصناديق المستخدمة لشحن الدجاج إلى محلات البقالة. وعلى الرف فوقها، كانت هناك قصص مكدَّسة مليئة بأحداث حول السلحفاة العظيمة القوية، ومغامرات

جاك فلاش. إلى جانبها تستلقي كتب الديناصورات، وكتب الأطفال المزيَّنة بالرسومات البسيطة، والكتب المدرسية الخاصة بعلم الحفريات وعلم النبات وعلم الحيوان.

لقد كانت مجلة «بلاي بوي» مخبَّأةً وراء صندوق آخَر من القصص المصوَّرة، والتي كانت تتضمن صور بيراغرِن. كان النظر إلى تلك الصور، في الآونة الأخيرة، قد جعل آرني يشعر بشيء من التوتر والإثارة والإحساس بالذنب في الوقت نفسه.

كان والداه على عِلمٍ بهوسه هذا، باستثناء قصص «البلاي بوي». وما كان يزعجهم فقط هو قضية البطاقة الجامحة ... كان جد آرني في الشارع في ذلك اليوم المشؤوم، وقد رأى بأم العين انفجار طائرة الفتى النفاث واندثارها من الوجود ...

بعد مرور عام، ظهرت لدى والدة آرني قدرةٌ بسيطة على تحريك الأشياء ذهنيًا. كانت بسيطةً بما يكفي لتحريك عملة معدنية بضعَ بوصات فوق مفرش طاولة؛ ما جعل آرني يستاء من هذا ويتمنى لو كانت جميع الأمور تسير طبيعية أفضل من الحصول على قوة لا فائدة منها.

لقد كان يطلب من جده مرارًا وتكرارًا أن يروي له الحادثة، فكان الأخير يقول: «لقد أراد الموت، لقد رأى المستقبل ولم يكن له مكان به، لم يعد لوجوده لزوم».

بعد ذلك، كانت والدة آرني تصرخ قائلةً: «اصمت يا جدي». «لا تتحدَّث بهذه الطريقة أمام آرني».

«أعرف ما رأيت». كان الرجل العجوز يردد، ويهز رأسه. «كنت هناك».

تسلَّل آرني إلى الفراش بهدوء واستلقى على بطنه. كان يشعر بالضغط على منطقته الحساسة من جراء نومه على بطنه، وقد أسعده ذلك. فكَّر في جزيرة الديناصورات. لم يكن لديه أدنى شك في أنها حقيقية. كانت الآيائص حقيقية، والكائنات فضائية كذلك، لقد أحضروا البطاقة الجامحة إلى الأرض.

استدار على جانبه وشدَّ ركبتَيه نحو صدره وأخذ يفكر، كيف يمكن أن يكون شكلها؟ عندما كان في الثامنة من عمره، مرَّ مع والدَيه عبر ولاية يوتاه وجعلهما يتوقَّفان عند فيرنال. كانوا في زيارةٍ لدرب طبيعيٍ يعود لعصور ما قبل التاريخ، وكان آرني قد تقدَّم إلى الأمام ليكون بمفرده مع الديناصورات بحجمها الطبيعي. كان يعتقد أن جزيرة الديناصورات ستبدو بهذا المشهد: التلال الوعرة المغطاة بمساحة خضراء وديناصورات الديبلودوكوس ذات الحجم الكبير التي يمكنه السير تحتها، بالإضافة لديناصورات الستروثيوميموس التي تشبه نعامة ضخمة بحراشف

والبترانودون الجاثم كما لو كان قد تهيَّأ لتوِّه من أجل الهبوط.

أغلق عينَيه لكي يتمكَّن من رؤيتها تتحرك كلها، تلك الديناصورات التي يمكن أن تراها على شاشة التلفزيون، وتلك الغريبة أيضًا: دينانوكيس الصغيرة الشريرة، «المخلب الرهيب»، أو الأنكيلوصور المتكتل القبيح الذي يشبه ضفدع ذو قرون، يبلغ طوله خمسًا وثلاثين قدمًا، وله هراوة على ذيله يمكن أن تتسبَّب في ثني صفيحةٍ فولاذية.

ولكن في أعماق دماغه، خيم فيروس البطاقة الجامحة فوق خلية، مستمدًا طاقته من سائل الغدد الصماء السميك والغني حيث يسبح. توقف هنيهةً، ثم ضخ رسالته الفضائية واستسلم لقدره بعد أن أنهى مهمته. استمر الأمر مرارًا وتكرارًا على مر السنين، وبتصاعد متزايدٍ في دوامةٍ مزدوجةٍ تجمع ما بين الخوف والنشوة، التشوه والتغير الأعجوبي.

العلم وراء
فيروس البطاقة الجامحة

مقتطفات من الأبحاث المنشورة

... سيطر الخوف على الأجواء وتخطى التصور، بل إن الوضع أسوأ من جميع المظاهر التي رأيناها في مدينة بيلسن النازية. تسعة أشخاص من أصل عشرة أُصِيبوا بهذا الفيروس أو البكتيريا يموتون بشكل بَشِع. لا يوجد أي علاج فعال حتى الآن. أمَّا الناجون فليسوا بأكثر حظًّا؛ تسعة من أصل عشرة ناجين يتحوَّلون بطريقةً ما ... طريقة لا يمكنني وصفها ... يتحولون إلى شيء؛ شيء ليس طبيعيًّا. لقد رأيت رجالًا يتحولون إلى تماثيل مطاطية (مفلكنة)، ورأيت رؤوسًا إضافية تنبت من أجساد الأطفال ... لا يمكنني الاستمرار. وأسوأ ما في الأمر أنهم لا يزالون على قيد الحياة يا ماك.

أغرب ما في الأمر هو وضع العشرة بالمائة الناجين. إن واحدًا من بين الألف المصابين لا يبدو عليه أية علامة من علامات التغير الخارجية، ولكن من ناحيةٍ أخرى أصبح لديه ... أصبح لديه قوة خارقة. إن بإمكانهم أداء أمور لا يمكن للشخص العادي أداؤها. لقد رأيت رجلًا يقفز إلى السماء قفزة عالية كصاروخ باليستي، محلِّقًا وعائدًا إلى الأرض

بخفة هابطًا على قدمَيه. أحد المرضى الهائجين شقَّ نقَّالة من الحديد الثقيل إلى قسمَين وكأنها قطعة من المنديل. قبل عشر دقائق، رأيت امرأة تمشي عبر جدار المكتب في المستودع حيث ذهبت بغرض الاختباء والراحة لبضع دقائق. في حين وقفت امرأة عارية بجمال عارضات الأزياء وقد أُحِيطت بضوء وردي انبعث من داخلها مع ابتسامة جامدة رُسِمت على وجهها.

لم أُصَب بالجنون يا ماك. لم تُصِبني لوثة أو أتناول المورفين. ليس بعد. حتى إن حظيت بساعة أو ساعتَين من النوم، فستداهمني الكوابيس المرعبة كالعادة. وبالرغم من هذا فأنا مسرور لأنني أخرج من مخبئي لأواجه واقعَ ما يحدث هنا. هذه الأحداث حقيقية وربما ستقرأ عنها في يوم من الأيام بنفسك، إن تمكَّنوا من السيطرة على الأوضاع. لا يمكنني تصوُّر كيف سيحدث هذا، فهذه مانهاتن بحق الله وعدد الضحايا يصل إلى عشرات الآلاف.

حمدًا للرب أنه ليس مرضًا مُعدِيًا، فعلى حد علمنا، مَن تعرَّضوا له مباشَرةً فقط هم مَن في خطر، وليس في جميع الحالات أيضًا. لو كان مُعدِيًا لَرأينا عدد المصابين بالملايين. فوضع الحجر الصحي الآن وبهذه الأعداد من المصابين أشبه بالمستحيل، حتى مع التعقيم الكثيف. فقد تفشَّت الإنفلونزا

في العنابر، وهناك توقُّع بانتشار الحمى النمشية في أي لحظة.

انتشرت بعض النظريات عن افتراضية كونه مرضًا من صُنْع الفضائيين. وعلى ضوء ما رأيناه، نظرية الفضائيين لا تبدو مستحيلة. لقد انتشر في الأرجاء أنه قد تم القبض على واحد من هذه الكائنات. كم أتمنى أن يكون هذا الخبر صحيحًا. أتمنى أن يُعاقَب بأشد العقاب، ثم يدخل التاريخ مع الرؤساء النازيين ويُشنَق مثل الحيوانات.

- رسالة شخصية من الكابتن كيڤين مكارثي؛ عضو في الهيئة الطبية في الولايات المتحدة الأمريكية.

٢١ سبتمبر ١٩٦٤.

لاحظ العلماء أن الأوعية التي تحمل الزينوفيروس قد انفجرت بارتفاع ٣٠٠٠٠ قدم في أول خطوة في البحث لإنشاء العلاج. فعندما يكون الفيروس في حالته الخامدة يكون مغلفًا بمادة بروتينية متينة، يُشار إليها بـ «الأبواغ» عادةً، وهو مصطلح خاطئ انتشر بين الصحافة غير المتخصصة. أظهرت الأبحاث أن الفيروس قادرٌ على تحمُّل درجات حرارة مرتفعة وضغط عالٍ؛ وهما عاملان يسمحان له بالنجاة تحت ظروف طبيعية مختلفة، مثل البقاء آلاف الأقدام تحت سطح البحر، واختراق حدود الغلاف الجوي الطبقي

(الستراتوسفير).

انتقلت الجزيئات الفيروسية إلى الشرق عبر المحيط الأطلسي من خلال التيار النفاث، سواء مرت بمناطق مُمطِرة، أو استقرت تلقائيًا؛ الآليات الدقيقة لم تثبت صحتها وما زالت تحت الملاحظة. سُمِّيت بمأساة الملكة ماري في وسط المحيط الأطلسي (١٧ سبتمبر ١٩٤٦)، ومن ثَم تفشَّت الأمراض باستمرار في إنجلترا وجميع أنحاء القارة. (ملاحظة: تؤكد الإشاعات أن المرض تفشَّى بشكل كبير بين اتحاد الجمهوريات السوفياتي، ولكن رئيس الوزراء خروتشوف استمر بإبقاء المعلومات سريةً قدر الإمكان حتى يتمكَّن من التصرُّف حيال الأمر).

شكَّلت الرياح وتيار المحيط تشتيتًا مؤقتًا للفيروس في مناطق كبيرة من الولايات المتحدة (خريطة رقم ١). الأكثر رعبًا في الموضوع هو الإصابة المفاجئة بالفيروس، فكما يبدو هو ليس بمرض مُعدٍ، ولكنه ينتشر ويتوزع بسرعة عبر المكان والزمان. ففي عام ١٩٤٦ وحده، تم الإبلاغ عن عشرات الحالات، والآلاف من الحالات المعزولة، حول الولايات المتحدة وجنوب كندا (خريطة رقم ٢).

تدل مواقع معظم المناطق التي تفشى فيها المرض على وجود نمط لانتشاره؛ مثلًا ريو دي جانيرو (١٩٤٧)، مومباسا

(١٩٤٨)، بورسعيد (١٩٤٨)، هونق كونق (١٩٤٩)، أوكلاند (١٩٥٠)، كلها موانئ بحرية تفشَّى فيها المرض. المشكلة في كيفية حساب الحالات المرضية في الأماكن المنعزلة، في أماكن بعيدة عن الساحل مثل الأنديز وأقصى جبال النيبال. النتائج المبنية على بحوثنا تدل على أن الإجابة تكمن في متانة البروتين المحيط بالفيروس، فهذا الفيروس يمكنه الانتقال بجميع الطرق، عبر الإنسان، أو الحيوان، ميكانيكيًا، أو طبيعيًا. ويمكنه النجاة تحت أي ظروف إلى أجلٍ غير مسمى إلا في حال تعرُّضه إلى عوامل مدمِّرة مثل النار أو كيميائيات المسبِّبة للتآكل.

رُصِدت معظم المناطق التي تفشَّى فيها المرض في أمريكا الشمالية والحالات المتزايدة في الموانئ البحرية بشكلٍ مُقنِع (مكارثي، تقرير إلى وزير الصحة الأمريكي عام ١٩٥١)، فكان سبب التفشي هو القطع المشحونة في رصيف الميناء والمستودعات للمناطق المصابة في مانهاتن. حالات أخرى تم نسبها إلى هطول الأمطار وانتقال الجزيئات إلى السفن والمركبات المسافرة. يمكن للأفراد والطيور والحيوانات (غير المصابين) حمْلُ هذه الجزيئات ونقلها دون علمهم. رُصِدت حالات الإصابات في النيبال المذكورة سابقًا عندما اضطرَّ عريف لقبيلة جورونج التي بدأت في النيبال والفوج العسكري المعروف بفوج البندقية، وهو جيش من مدينة

جوركا النيبالية، إلى حلِّ الخلاف والعنف المروع الذي حدث بين الهندوسيين والمسلمين في الهند، والذي بدأ في العاشر من أغسطس واستمر ثلاثة أيام، حينما لام كلٌّ منهم الآخر على انتشار المرض؛ مما أدى إلى خسارة أرواح كثيرة وصلت إلى خمسة وعشرين ألف روح. عريف جوركا لم يُصَب بالمرض قَط.

... يبقى الكثير من الفيروسات الخامدة، منتشرًا على أسطح البنايات، مجتمعًا في رواسب الأنهار والمجاري، متناثِرًا في السماد، أو متطايرًا عاليًا في التيار المحيطي، ولكن لا يمكن لأحدٍ الجزمُ بمكان تلك الفيروسات. لا يعلم أحدٌ مدى الخطر المحدق بالصحة العامة للشعب من هذا الفيروس الخامد. ففي هذا السياق، يجب أن يُؤخَذ في الاعتبار عدم قدرة الفيروس على التأثير على عامة الناس.

- قولدبيرج وهوين، «فيروس البطاقة الجامحة: الاستمرارية والتبديد».

مشاكل في الكيمياء الحيوية الحديثة، شينر، بيك، أوزاوا وايدز.

قدرة فيروس البطاقة الجامحة تغيِّر برمجة جينات حامِلها، فهو يمثِّل نوعًا بريًّا من الفيروسات الهربسية، ولكنه أكثر تعقيدًا وقدرةً على تغيير الحمض النووي لحامل المرض، ولا

ينحصر فقط على الظهور في أماكن معينة – على سبيل المثال الشفاه والأعضاء التناسلية – مثلما هو متعارَف عن الفيروسات الهربسية.

فنحن الآن نعلم كيف يؤثر الزينوفيروس تاكَس في أيْ مجموعة كبيرة من الناس، أكثر بكثير مما كان متوقَّعًا – تصل إلى نصف من الواحد في المائة. فهذا الفيروس في العديد من الحالات يضيف شفرته على الحمض النووي؛ هذه هي حالته الخامدة، وفي هذه الحالة لا يوجد للفيروس هدف من الوجود، فوجوده يقتصر فقط على كونه فيروسًا خامدًا – وهذه صفة يشترك فيها مع بقية أنواع الفيروسات الهربسية. فيمكن للإنسان حمْلُ هذا النوع من الفيروس دون إدراكه؛ لكونه يبقى خامدًا وغير ملاحَظ، ولكن أي نوع من التوتر والرعب المؤثِّر على حاملها يمكن أن يسبِّب تفاقُمَه وظهوره، وفي معظم الأحوال يكون ظهوره مدمرًا. طريقة تأثيره على الحمض النووي وتغييره هي طريقة وراثية بحتة (سواء في حالته الخامدة أو النَّشِطة) فهي مثل وراثة الشخص للعينين الزرقاوين أو الشعر الأجعد.

صنع العلماء التاكيونيون هذا الفيروس متنبِّئين بتأثيره وقوته المدمرة، ليخلِّد نفسه بتأثير الجين المتنحي «جين البطاقة الجامحة»؛ متنحي، لأن الجينات السائدة المنتجة

لجيناتٍ متحورة مدمِّرة في تسعين في المائة من السلالات الجديدة وجاعلًا تسع في المائة أخرى إما غير قادرة أو من غير المحتمل أن تتكاثر سيتمكّن من النجاة بضعُ أجيال فقط، حتى ولو – على حسب توقعات العلماء – كان ثلاثون في المائة من حَمَلة الزينوفيروس المعدل في الحمض النووي يحملون الفيروس في حالته الخامدة.

وعليه فالبطاقة الجامحة تتبع قوانين الوراثة التقليدية للصفات المتنحية. فقط في حالة حمْلِ كِلا الأبوَين للشفرة الفيروسية، مما يمكنهما من إنتاج سلالة نَشِطة؛ وحتى في هذه الحالة ستكون الفرصة واحدًا من بين أربعة أشخاص، وفي المقابل ستكون هناك نسبة خمسين في المائة من إنتاج أفراد من دون فرصة ظهور الفيروس فيهم، وأيضًا وجود فرصة واحد من بين أربعة أشخاص من السلالات القادمة لا يحملون الشفرة ...

- ماركوس آي ميدوز، علم الجينات، جانيوري ١٩٧٤.

بالرغم من الهواجس المخيفة في نهاية فترة الأربعينيات وبداية الخمسينيات، والاكتشافات التي اكتشفتها لجنة مجلس النواب للتحركات غير الأمريكية، فالآيائص لا يخافون من هذه الدولة أكثر من خوفهم من الخروج عن حدودها، فالوضع هناك أسوأ بكثير. وَضع الحدودَ الحزبية

الدكتورُ تروفيم دي ليسنكو، شخص شبه أُمِّي، من داعمي العلم الستاليني (من الداعمين للعالِم السوفياتي ستالين)، فهو يعتقد أن هذه البطائق الجامحة الغريبة مجرد قناع لإخفاء تجارب الطبقة البرجوازية الشيطانية الرأسمالية الإمبريالية.

في كوريا، الشمالية والجنوبية، أُجبِر الأسرى الأمريكيون على توقيع وثائق معترفين فيها بأن أمريكا هي التي صنَّعت هذا الفيروس الذي جاب العالم، وبدأت هذه الحرب الجرثومية في عام ١٩٥١. في غضون ذلك، اختفى كل شخص تظهر عليه أعراضٌ خارقة في حدود الاتحاد السوفياتي، بعضهم أُخِذوا إلى معسكر العمل الإجباري، وبعضهم أُجبِر على الذهاب للمعامل، والبعض إلى القبور الضحلة.

بعد موت ستالين في عام ١٩٥٣ انتشرت الراحة. اعترف خروتشوف بوجود الآيائص، ما جعلهم يبدؤون بالاستمتاع بهذا اللقب قليلًا، وبالشعبية التي يملكونها في الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث كان لهم شرفُ الخدمة في الجيش أو في منظمات الجيش السوفياتي السرية (جي بي يو) والتي أصبحت هيئة الأمن الفيدرالي (كاي جي بي) لاحقًا. بعضهم اختفى أو اعتُقِل في سجن جولاج. بعد مرور فترة الستينيات، خفَّ كُرْه وانتقاد الناس لهم، لدرجةٍ أصبحوا

فيها من الأبطال الخارقين والشخصيات المهمة في الولايات المتحدة مثل روَّاد الفضاء وأبطال الأولمبياد.

ماذا كان السبب وراء الكره الواضح في البداية؟ اعترف نظام الحكم بريجنيف/كوسيغين في عام ١٩٧١ بأن ليسينكو كان جوكرًا؛ حيث يظهر هذا الفيروس فيهم مَعِيبًا؛ بمعنى أن وجود الآيائص أُخِذ على محمل شخصي من قِبل المزارع السابق. وكان هذا السبب الذي دفع ستالين للاستمرار في دعم مكافحة الآيائص. سيطرت الهواجس على هذا الحاكم الدكتاتوري في آخِر عمره وكان هذا تفسيرًا منطقيًا لأفعاله. ولكن، العديد من الرؤساء الدكتاتوريين في نهاية فترة الستينيات وأوائل فترة السبعينيات أعادوا نشر الإشاعات عن الرفيق نيكيتا؛ أنه كان في سهر بعض الليالي في أواخر الليل مع كأسه ورفقاء النعمة، يتباهى بقتل الرئيس الدكتاتوري السابق بيدَيه في قبو سجن لوبيانكا – مسددًا ضربة نحو قلبه ...

-جاي. نيل ويلسون، «السبب في العودة إلى الاتحاد السوفياتي»، مارس ١٩٧٧.

الزينوفيروس تاكِس (باللغة العامية البطاقة الجامحة)، كان تجربة عضوية مصنَّعة من قِبل الكزام، وهي عائلة حاكمة من ضمن حكام تاكِس. بُرمِج ليترجم شفرة الحمض

النووي بطريقةٍ تجعله يعدِّل على شفرة الجينات لدى الكائن الحي الحامل له ليحسِّن ميول الحامل الفطرية ومميزاته. هكذا تحسين يرضي بطريقة غير مسبوقة الدافع التاكيوني لزراعة الفضائل الشخصية (وبالتبعية فضائل العائلة كذلك). التاكيونيون يملكون قوى عقليةً فعَّالة وقوية بالفعل؛ هذا يعني أن بطاقة إلكزام الجامحة تسعى إلى تعدد المواهب الجامحة لدى الأعضاء، ضامنةً تفوُّقها على مدار السنين القادمة.

كان التحدي الذي واجَه باحثي إلكزام هو صناعة نظام يمكنه تحديد وتعزيز الصفات المرغوب فيها فقط؛ لأن لا أحدَ يريد أن يعزز صفة مريض الهيموفيليا (نزف الدم الوراثي)، مثلًا. تميُّز الكيمياء الحيوية بين التاكيونيين كان أكثر وضوحًا من الإنسان العادي، بالرغم من أن الكيمياء الحيوية لدى الإنسان هي الأكثر تنوعًا في الأرض. تصنيعُ نظام لديه المقدرة على تحديد الصفات المرغوبة – نظام ذكي – وتعزيزها، ومن ثَم تنفيذها، يتطلَّب القيامَ بتجارب من المستوى المفرط. ونظرًا لطبيعة المجتمع التاكيوني، يوجد العديد من الأشخاص المعرَّضين لأكثر أنواع التجارب صرامةً، فالتاكيونيون لا يتعاطفون كثيرًا مع متطوِّعي التجارب. ومع ذلك، فإن التاكِس لا يملكون عددًا كبيرًا من المجرمين أو الأعداء السياسيين – فهذه ليست ميزة تتميز

بها هذه الحضارة – ليتمكّنوا من إكمال تجاربهم على نحوٍ تام ليصنعوا هذا النظام المعقد. ولحسن الحظ، من وجهة نظر التاكيونيين، أنهم يعيشون في بيئة مليئة بالكائنات ذات الجينات المتشابهة التركيب ... الأرض.

... معظم البطاقات الجامحة المعززة غير قابلة للنجاة، أو أن إمكانية نجاتها تصل إلى حدٍّ مميت، تمامًا مثل نظام الأدرينالين «قاتِل أو اهرب».

فالقليل من التوتر يدفع الشخص إلى التحرك والتصرف بسرعة مفرطة، مؤدّيًا إلى استنزاف طاقة الشخص وهلاكه بدافع الخوف. تسعة أشخاص من أصل عشرة ناجين تعزّزت عندهم صفاتٌ غير مرغوب فيها، أو صفات مرغوب فيها تم تعزيزها بطريقةٍ خاطئة وغير مرغوب فيها. يتسم الجوكر بصفات تتأرجح ما بين البشاعة والألم والرداءة، أو صفات غير ملائمة بشكل عام. وقد تتحول الضحية غير الناجية إلى بقعة مخاطية مثل الجوكر الشهير «الرجل المخاطي»، أو يمكن أن يتحوَّل إلى نصف حيوان مثل إيرني صاحب الحانة، الذي تحوَّل إلى سحلية. تحوُّله سيؤدي إلى اكتساب بعض القوى، ولكن في أحوال مختلفة كانت ستمكّنه من أن يصبح آيصًا. فهذه الصفات تشبه صفات الآيص، مثل الطيران الجامح والعوم في الماء. وفي بعض الأحيان، قد

تبدو التغيرات في الجسم طفيفة جدًّا مثل كتلة المِجَسّ الخارجة من يد شاعر البلاط المنحط المعروف في مدينة الجواكر دوريان وايلد. يصعب التحديد في بعض الحالات بين التصنيفات، ففي حالة إيرني المذكورة سابقًا، هو أقوى قليلًا من كونه إنسانًا عاديًّا بسبب حراشفه التي تحميه، رغم أنها غير فعَّالة لتجعل منه آيصًا حقيقيًّا.

وفي حالة أخرى أكثر رعبًا ومأساوية، حادثةُ المرأة المحروقة في أواخر السبعينيات، فقد أثَّر الفيروس على الفتاة اليافعة حيث جعل جسمها يشتعل بنيران غير قابلة للإطفاء، بل تزايَدت في الاشتعال كلما أحرقَت جلدها. ترجَّتِ الضحيةُ المارَّةَ أن يقتلوها، وأخيرًا ماتت في مستوصف طبي في مدينة الجواكر، فقد قُتِلت قتلًا رحيمًا – مما أدى إلى رفع اسم الدكتور تاكيون من لائحة المتهمين. فهذه الحالة يصعب تصنيفها كجوكر أو كالملكة السوداء. بحكم تصنيع هذا الفيروس ليتفاعل مع الحمض النووي لدى حامِله، لا يمكن تطابُق أو تشابه حالتَين. علاوةً على ذلك، فالحالات تختلف من شخصٍ لشخص ...

... العشرة بالمائة من الناجين من تأثير هذا الفيروس، كانت نجاتهم بفضل جهود ومهارة الفنانين التاكيونيين في تطوير البرمجة الجينية. فالتجربة الأولى على مجموعة كبيرة من

الناس، مجموعة مختلفة تمامًا عما صنعت من أجله، أدت إلى نجاح انتشار الفيروس في تيرا بطريقة مبهرة. أسعد هذا الإنجاز مصنِّعي ومطوِّري الفيروس، ولكن لم تتسنَّ لهم الفرصة لرؤيته.

في المقابل كانت للأرض وجهةُ نظرٍ أخرى.

- سارا مورجينستين، «ألحان بؤرة الجواكر: أربعون عامًا من البطاقات الجامحة»، رولنج ستونز، ١٦ سبتمبر ١٩٨٦.

♣ ♦ ♠ ♥

مقتطفات ولحظات من المؤتمر الأمريكي عن المجتمع الميتابايولوجي والقوى الخارقة

(فندق كلاريون، آلباكوركي، نيو ميكسيكو، ١٤-١٧ مارس عام ١٩٨٧)

قدَّم هذا العرضَ الدكتورُ شارون باو كانق شي، في مارس عام ١٩٨٧، من جامعة هارفرد قسم الفيزياء الحيوية الخارقة.

أتقدَّم بشكركم، سيداتي وسادتي. سوف أتطرق للموضوع بسرعة. قام فريقنا في جامعة هارفرد بعدة بحوث، ونتائجها تنص على أن القوى البشرية الخارقة أو القوى الخارقة أصبحت في خطرٍ بسبب فيروس البطاقة الجامحة الذي طوَّره التاكيونيون، وهي ذات مصدر روحاني، وفي حالات نادرة تُستخدم بشكل فعَّال من قِبل الروحانيين. (هذه الجلسة لوضع النظام من قِبل رئيس أوزاوا).

أتفهم جيدًا أن جملتي السابقة تُعتبر جملة مجازية مخلدة من أسلافي، والتي ساهمت في اعتبار هذا العلم نوعًا من

أنواع الخرافات والعلوم الزائفة بنفس مستوى علم الأعداد وعلم التنجيم من قبل العديد من كبار العلماء. ولكن وبكل صراحة، ضغط الدلائل والبراهين التجريبية أجبرني على التأكيد: القوى الخارقة للإنسان ما هي إلا نوع متخصص من القوى الروحانية.

ها نحن الآن نملك صورة أفضل عن الأخطار التي سبَّبتها البطاقات الجامحة لضحاياها. ولكن في حالة تحوُّل الإنسان إلى آيص، يبدو بأن الفيروس قد تفاعل بداية بتطوير وتحسين القدرات الفطرية النفسية، التي تساعد في عملية إعادة كتابة الشفرة الجينية لدى حامِله. هذا يفسِّر التشابه العالي ما بين ميول وشخصية الآيص وقُوَاهم الخارقة – على سبيل المثال، عندما يكون الطيَّار مخلصًا في عمله سيكتسب قوى متعلقة بالطيران مثل الآيص المعروف بالنسر الأسود.

ولماذا يتمتع صاحب الظل الأسود المهووس، المعروف بمنتقم الليل، بمثل تلك القدرة على التحكم في الظلام، والسبب وراء إظهار رجل الدلو نفسه كنصف إنسان ونصف دلفين، كما أنه يمكنه تحويل نفسه إلى دلفين خارق يبدو أن التحريك الذهني على نطاق مجهري هي من آليات إحداث البطاقات الجامحة لتأثيرها، حيث تمكن لاواعي المصابين

على الاختيار، أو على الأقل، التأثير على طبيعة التحول الذي تمر به أو يمر به الآيص.

أتفهم الآثار المترتبة وفظاعة الافتراض بأنه يمكن للإنسان اختيار قدراته. وفي بعض الحالات يُعتبر أن الشخص «اختار» كونه جوكرًا أو مَلِكةً سوداء. التكهُّن في هذا الموضوع يتعدى مجال بحوثنا الحالية. أصعب التحديات التي واجَهتنا في عصر ما بعد البطاقات الجامحة، بالرغم من تطوُّر التكنولوجيا التي صنعت هذا الفيروس، هي إمكانية هذا الفيروس الغريب على أن يعطي أفرادًا معيَّنين القدرةَ على انتهاك القوانين الطبيعية المثبتة مثل قانون حفظ الكتلة والطاقة، وقانون مربع مكعب، وقانون سرعة الضوء المصون. عندما انتشر الفيروس وخرج عن السيطرة، كان العلماء مُعادِين لتغيير فكرهم عن وجود القوى الخارقة للطبيعة، وبرَّروا اعتراضهم بعدم وجود أدلة وإثباتات كافية لدعم هذه الظاهرة. ولكن أصبح الآن من المستحيل عدم تقبُّل وجود أشخاص يمكنهم إطلاق النار والكهرباء من أجسادهم، وقدرتهم على تحويل أجسادهم إلى حيوانات، والطيران، أو ابتداع طرق تمكِّنهم من اكتساب ميزات ميكانيكية متجاهلة المبادئ الميكانيكية والهندسية.

وبالطبع في سنة ١٩٤٦ أصبحت الدلائل متوفرة في فيزياء

الكم النظرية، بل إنه في التكنولوجيا التي كانت حديثة حينها مثل الأسلحة النووية والفترة التي صُنِّعت فيها أجهزة توليد طاقة الاندماج والتي كانت في مرحلة الإنشاء، كانت تستند في أغلبها إلى الميكانيكا الكمية، فكان معظم العمل يُنجَز، ولكن لا أحد يعلم كيفية عمله. ونظرًا لواقع زخم البطاقاة الجامحة، إعطيت القوى الروحانية تفسيرا من الميكانيكا الكمية «الأفعال عبر المسافات» من دون لجوء واضح لتفسيرها بكون القوى الكبيرة أو الآثار الكهروضعيفة أو قوى الجاذبية من صفات الترابط المثير للفضول بين الجزيئات المتفاعلة، على سبيل المثال، وفقًا لافتراض أينشتاين وبودولسكي وروزن في نظريتهم المشهورة «نظرية المفارَقة»؛ ورسختها قطعًا بعض الشيء تجربة آسبكت في فرنسا عام ١٩٨٢

... وفي مثال واضح إلى حدٍّ ما، إن قُوَى التحريك الذهني مغيرة للأشكال. الشخص المتحول - تقريبا في جميع الحالات ومن دون وعي - يعيد تنظيم مكونات ذراته أو ذراتها ليصنع هيكلًا إجماليًا يختلف بشكل ملحوظ عن الشكل الأساسي: مثلًا، تحوُّل فتاة الفيل غير المريح إلى فيل طائر يُعتبر انتهاكًا لمبدأ كتلة الطاقة المثبت. ولكن هذا ينطبق فقط على فتاة الفيل وحالات مشابهة لها، فهي تُعتبر حالات التغيير الذهني اللاواعي في الجزيئات؛ فالسيدة أورايلي

يمكنها استدعاء جزيئات السحب الافتراضية والمحافظة عليها أكثر من الوقت المتعارَف عليه. (النقاش عن الجزيئات الافتراضية هو بالطبع أعظم بكثير من هذا العَرْض المبسط. أنصح المهتمين بالموضوع بقراءة مقالات مفصَّلة أكثر عن الموضوع، مثلًا الجزيئات المتناهية الصغر التي تحمل تفاعلات قوية يمكنها تغيير المبادئ الثابتة).

لكي تتمكّن السيدة أورايلي من العودة إلى شكلها الحقيقي، تسمح للجزيئات الافتراضية التي كوّنت هذا «الشبح» بأن تختفي. حدت قدرةُ فتاة الفيل على الطيران على تغيير كل مبادئ الطيران المتعارَف عليها، وأشعلت أطراف الحديث وأثارت التساؤلات التي أدت إلى الاستنتاجات المذكورة في هذا المقال. باختصار، فتاة الفيل، والشاهين، وكل الآيائص الذين يملكون قدرة الطيران أو الطفو في الهواء، يملكون نوعًا من أنواع التحريك الذهني. وفي هذا السياق، تيرتيل القوي والعظيم هو النموذج الأصلي لكل الآيائص الطائرة، بمعنى أنه يطير بسبب قدراته على التحريك الذهني. لكن لا توجد خدعة فيزيائية تسمح لآذان فتاة الفيل أو حتى أجنحة شاهين العظيمة بأن تدعم شخصًا صغيرًا وتطير به، فهذا مختلف جدًّا عن الفيل الآسيوي الضخم. فهم مثل تيرتل، يطيرون باستخدام قوتهم العقلية فقط ...

يولِّد إنتاج الطاقة مشاكل شائكة، سببها باختصارٍ شديد ولمرة أخرى، التحكُّم الذهني. «جمبنق جاك فلاش». يظهر شخص أنه يمكنه توليد شعلة نارية من يدَيه، وعلاوةً على ذلك فباستطاعته التحكم بالنار التي يولِّدها بطرق مبهرة. ولكن هذا الشخص لا يولِّد النار فهي لا تَصْدر من جسده؛ فقدرته على التحكم الذهني تمكِّنه من تنظيم الحركة البراونية بالهواء المحيط به. فهو يصنع «بقعة ساخنة» من الجزيئات الهائجة تقريبًا بمسافةٍ تبعد عن كف يده بميكرون واحد، ومن ثَم يستخدم قدراته على التحريك الذهني ليوجِّه مسار النيران المتوهجة الناتجة عن الغاز.

... الطيران الأسرع من الضوء يطرح قضيةً مختلفة. في معظم الحالات (ومن الجيد التذكر أن كل بطاقة جامحة مختلفة عن غيرها) الشخص الذي لديه القدرة على التنقل بسرعة الضوء أو بسرعة أسرع من الضوء، لديه القدرة على محاكاة فوتون واحد، أو في حالة كونك تاكيونيًّا فهذا يعني تحوُّل الفوتون على النطاق الكبير إلى «فوتون كبير» أو «تاكيوني عظيم» بأسلوب مشابه لأجهزة ذرة الماكرو ماكروتوم الموجودة في جامعة ساسكس تحت إشراف تيري كلارك، والتي يمكنها محاكاة حركة البوزون. السفينة الفضائية التي نقلت فيروس البطاقات الجامحة إلى هذا الكوكب، أو الفضائي البشري الذي يُعرف باسم دكتور تاكيون،

استخدم قوانين مشابهة لتصنيع السرعة الأسرع من الضوء؛ وهذا أدى إلى ابتداع هذه الكلمة، فهو الشخص الوحيد غير المولود على هذا الكوكب الذي يعيش فيه لهذا اليوم. لقد أثبت أن القدرة على التنقل بسرعةٍ أسرع من الضوء هي خاصية يتمتع بها الآيصيون فقط. ونظرًا للقيود الامتدادية ومشاكل تحديد الوجهات عبر مسافات طويلة استنتجنا أنه من الصعب السفر إلى وجهات بعيدة، وذلك بسبب عدم ذهاب أي آيص من قبلُ إلى مسافاتٍ أبعد من النظام الشمسي (وصولًا إلى مدار نيبتون) والعودة.

... هنالك ميزة صامتة تُدعى بالأداة؛ وهي أحزمة مضادة للجاذبية، بوابة أبعاد، وبدل مدرعة، لا يمكن لأحد تقليدها. عندما يتم تفكيكها وفحصها يُرى أنها غير مفهومة ميكانيكيًا وكهربائيًا. جميع نتائجها غير قابلة للتكاثر. هذا يفسِّر عدم مبادرة صنَّاع هذه الأدوات على نشرها والتسويق لهذه الأحزمة ذات سرعة الضوء والرافعات الشوكية المضادة للجاذبية. صانعها هو الشخص الوحيد الذي بإمكانه تصنيع أجهزة ومعدات تعمل بالشكل الصحيح. ففي بعض الأحيان، يتطلَّب تصنيعها عناصر غريبة عبارة عن تجميعات للعديد من الشظايا والحطام مثل لب التفاح، ودبابيس الشعر وجذع دمية باربي. وأخرى تتكوَّن من رسم بياني للدائرة الكهربائية مثل خلطة ماكينة الهايرونمس التي تعمل كما من المفترَض

أن تعمل الدائرة الكهربائية. وتفسير ذلك هو إظهار القوة العقلية. فقد أبهر هذا العالم نفسه في هذا المجال الخارق للطبيعة (وفقًا للمعنى العلمي المتعارَف عليه الآن)، هذا التفسير يشرح الظاهرة المدروسة بأنه يوجد قيود لإبداع بعض من صنَّاع الأدوات، ففي بعض الأحيان يتطلَّب عملُ جهازٍ جديد تفكيكَ أجهزة أخرى. وهذا التفسير يسهل التنبؤ بمحاولات تقليد فاشلة للرجل الجزئي/التركيبي العظيم من قِبل الحكومات في جميع أنحاء العالم، ما عدا في حالة تواصلهم مع شخص من ذوي القُوى الجامحة لكي يساعدهم ...

... ميزة يتسم بها جميع الآيائص، وهي سرعة التمثيل الغذائي والتي تتعدى سرعة التمثيل الغذائي لدى أي شخص عادي. بعضهم يتمكَّن من توليد الطاقة من داخلهم ليثيروا قواهم (أو لصياغتها بطريقة أفضل) ليولِّدوها من الكون. وأما البعض الآخر فيحتاجون إلى مصادر طاقة خارجية ليفعِّلوا قُوَاهم. فهذه المصادر تساعدهم على تفعيل قواهم. ففي حالة هارلم هامر على سبيل المثال، فقد ضم عددًا مهولًا من الفلزات الثقيلة في نظام غذائه ليحافظ على المستوى العالي لتمثيله الغذائي، وعناصر أخرى مثل الاسترونتيوم-٩٠ والباريوم-١٤٠، تعمل على استبدال الكالسيوم في العظام، وبالتالي توفِّر له عظامًا أقوى من العظام المعتادة. أمَّا

جمبنق جاك فلاش فيستمد قُوَاه وغذاءَه من الحرارة والنار. وآخرون يستمدون طاقتهم الخارقة عن الطبيعة من البطاريات، وهذا يثبت أنها نوعٌ مشابه لأجهزة هايرونمس. إلى الآن لم يوجد آيضًا لا يستطيع استنزاف طاقته في وقتٍ قصير، أيًّا كان مصدر هذه الطاقة، بسبب ممارَسة قُوَاهم بشكل مكثَّف. بعضهم يمكنه استرجاع طاقته عند الراحة لفترة معينة، والبعض يحتاج موارد طاقة خارجية. كما ذكرنا سابقًا، فكل حالة تختلف عن غيرها ...

دليل إضافي يُثبِت فرضية التحكم الروحاني أو الذهني يأتي من حالة «النائم»، والذي تتغير قُوَاه في كل مرة يستيقظ فيها من نومه. أي نموذج من الآيائص سيجد صعوبةً في تدمير هذه الظاهرة.

استنتجنا أنا وزملائي أن «التحريك الذهني» هو التفسير الوحيد لكل الصفات الموجودة في جميع القوى الآيصية – والتي لا يمكن لأحدٍ تفسيرها ...